جامعـــة الأزهـــر

كلية اللغة العربية

الشعر العاملي الحديث
في
جنوب لبنان
(١٩٠٠–١٩٧٧م)

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه
في الادب والنقد

من الطالب :

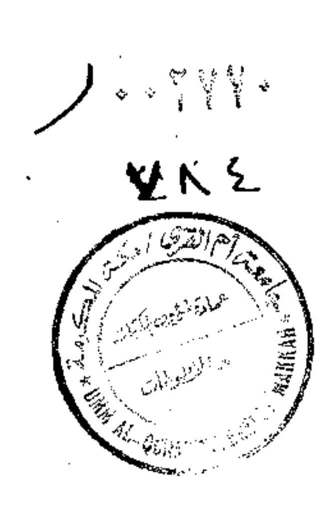
قيصـر فـارس مصطفـى

تحت اشراف :

الاستاذ الدكتور

احمـد الشرباصـي

أستاذ الادب والنقد بكلية اللغة العربية
جامعـة الأزهـر



القاهرة في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٨

بســـــم الله الرحمن الرحيـــــم

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على رسول الله الأمين .. وعلى آله وأصحابه ومن عمل بسنته واتبع هداه الى يوم الدين .

وبعد

يسرني أن أتوجه بشكري الى الاستاذ الجليل الدكتور احمد الشرباصي الذي أخذ بيدي حتى أكملت هذه الرسالة .. متمنيا له الصحة والسعادة راجيا من الله تعالى أن يكلأه بعنايته حتى يستمر بأداء رسالته لخدمة الفكر والأدب .. انه سميع مجيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لم يكن يدور في خلدي أن أكتب عن الأدب العاملي بهذا الشكل الموسع ، ذلك أن الصورة لم تكن متكاملة وواضحة في ذهني عن ذلك الأدب الذي نما وترعرع تحت سماء وطني التي طالما تلبدت بالغيوم الدكناء ، وقلما ترحل عنها حتى تعاودها ثانية وكأنما كان هدف هذه الغيوم حجب الحقائق المادية كما حجبت الحقائق المعنوية عن أنظار العالم فبانت تلك المنطقة المسماة " بجبل عامل " عن العيون والبصائر . ومن ضمن المحجوبات كان الأدب العاملي ، الضاربة جذوره في أعماق التاريخ ، والمتفرعة غصونه فوق ثراه ، كأنهما تعانق الأرض وتظللها لتضفي عليها المزيد من الحب والحنان ودفء الأمومة المشفقة الحانية .

وقد ابتعد الكثير من الأدباء والنقاد عن الكتابة عن الادب العاملي لأسباب كثيرة منها ما يتعلق بطبيعة ذلك الادب ومنها ما يتعلق بظروف سياسية واجتماعية ودينية أخرى خارجة عن جوهر ذلك التراث .

وباختصار نجد من الأدباء من كانوا ينظرون الى الادب في " جبل عامل " نظرتهم الى أدب ناشئ لم تكتمل فيه أسباب النضوج والكمال ، ولا شك أن هؤلاء كانوا واقعين الى حد ما تحت تأثير عوامل سياسية ودعائية معينة .

وكانت تهدف ضمن ماتهدف اليه اظهار "جبل عامل" وكأنه لم يخلع ثيابه الرثة القديمة ولم يتحفز للحاق بالركب .
ولهذا علاقة واضحة بالأمور السياسية التي كانت توجهها فرنسا ، وينفذها الأذناب لعداوة مستحكمة بين العامليين والفرنسيين — وقد تعرضنا لها في رسالتنا — وهذا مادفع السلطات اللبنانية الى الاحجام عن ادخال العامليين في الوظائف العامة الحساسة في الدولة بحجة عدم وجود الكفاءات ...

أما الظروف الاجتماعية التي كانت كذلك تحول دون ابراز الأدب العاملي فانها تعود للفقر المدقع الذي كان يقع تحت أعبائه الثقيلة أدباء " جبل عامل " الذين كانوا يتلهفون للكتابة عن تراثهم دون أن يتمكنوا من ذلك .
ويضاف الى ذلك التخوفات من صبغ الأدباء بالأقليمية البغيضة ، والتي يبرأ منها العامليون تماما ، كما يبرأ منها أدبهم الا أنها كانت سيفا مسلطا بأيدي المشوهين والاعداء .

أما من جهة العوامل الدينية فانها تعود لطبيعة المذهب ، فالعامليون من الشيعة الامامية الجعفرية .
وقد صبغ شعرهم وأدبهم بالصبغة الشيعية الواضحة .
ولا داعي لشرح الظروف التي حالت دون نشر أدب يحمل تلك الصبغة فالأمة العربية مازالت حتى هذه الأيام تعاني من التخلف والجهل . وكثيرون من المسلمين يجهلون حقيقة المذهب الجعفري ، كما أن الكثيرين من الشيعة أيضا يجهلون حقيقة مذهبهم ، فيبالغون أحيانا في الابتعاد خوفا واشفاقا على أنفسهم ويتطرفون أحيانا أخرى في التوهم

بشأن اخوانهم المسلمين لهم مواقف سلبية من أهل بيت رسول الله .

أما المستنيرون من العامليين فانهم رفضوا نشر تراثهم حرصا على وحدة المسلمين ، وكأنهم بذلك لا يريدون نشر غسيلهم على السطوح ، ولا شك أن في هذه النظرة المحدودة من السطحية مالا يخفى ...

تلك الظروف وغيرها أسهمت الى حد ما في جعل الادب العاملي بفنونه المختلفة ينكفىء الى الداخل ويتقوقع على نفسه مبتعدا عن أشعة شمس العصر .

هذا بالنسبة للكتابة المتخصصة ، أما ماعدا ذلك فكنا نرى بعض الأدباء حاولوا الخروج عما ذكرناه ، وكتبوا كتابات محدودة متفرقة هنا وهناك عن شعراء وأدباء "جبل عامل" وعلى رأس هؤلاء جميعا محسن الأمين الذى أورد في "أعيانه" تراجم لعدد كبير من أدباء وشعراء جبل عامل ثم سار على سنته ولده حسن الأمين ، كما كتب السيد على ابراهيم عن شعراء " جبل عامل " وأخيرا كتب محمد كاظم مكى عن الحركة الفكرية والثقافية بجبل عامل دون أن يحدد لذلك مدة زمنية ، فكتب عن الشعر والشعراء في " جبل عامل " منذ عبد المحسن الصورى حتى زينب فواز ، وكانت كتابته مضغوطة مختصرة ، ثم اختار بعضهم قصائد مفرقة لشعراء عامليين وطبعوها ... وبعد السبعينيات رأينا بعض الشباب والطلاب يأخذون من الشعر العاملي مواضيع لابحاثهم ودراساتهم فكانت بادرة طيبة قد تقود الى الاحسن في

المستقبل القريب ، وعلى العموم لم نجد ذلك الأديب الذى يبذل مجهودا مكثفا جيدا فى البحث عن الأدب العاملى لاعطاء صورة واضحة عنه ، أما الشيخ على الزين فى كتابيه : " أوراق أديب " و " فى الأدب العاملى " فقد حاول بصعوبة أن يشق الحجب الا أننا فوجئنا بأنه يكرر ماكتبه أولا ليعيد كتابته ثانيا ، وهذا حاله فى كتابيه ، الا أنه استطاع أن يعطى صورة جيدة عن بعض شعراء " جبل عامل " كعبد الحسين صادق وعبد اللطيف شرارة وغيرهما ، عندما تعرض لهم بالنقد والتحليل ، كما أنه لفت أنظارنا الى شعرائنا فى القرون الخوالى ...

اذن فنحن لانبالغ عندما نصف الشعر العاملى بأنه كالأرض العذراء والطريق الى استصلاحها محفوف بالمتاعب والأشواك ، كما أن المحاذير فى هذه الطريق كثيرة .. ولابد عند السير الى هذه الأرض من أخذ الحيطة والحذر الشديدين ... ومن أين لى بالجلد حتى أصبر على سلوك ذلك الطريق وكيف السبيل الى الوصول وماهى المدة لذلك؟

ومن حيث المبدأ نجد الكثيرين يحذرون ، ويحزم ، من الوقوع فى مزالق البحث الأدبى ، وعلى رأسها أخذ أدب شعب بأكمله لقرون بأكمله .. ومع هذا فقد خضنا هذا الطريق الوعر وعبرنا ونحن نتوخى مااستطعنا الوصول الى طريق السلامة ، وهذا الذى جعل طريقنا تمتد لأكثر من خمس سنوات متتالية .

والذى كنا نعانى منه فى أول الطريق هو قلة المراجع وكثرة المخطوطات فاستعنا بأعيان الشيعة ومجلدات العرفان التى أمدتنا بالعون الكبير .. ثم مددنا يدنا الى الادباء والشعراء فى " جبل عامل " نستمد منهم العون فأعاننا البعض منهم وعلى رأسهم الشيخ ابراهيم سليمان والسيد حسن الأمين ، وتخلى عنا البعض الذين نمسك عن التشهير بهم ... وما أن تعرفنا على معظم الشعراء فى "جبل عامل " وبدأنا زياراتنا لهم التى كان من شأنها أن تخفف عنا مؤونة البحث ، خاصة وأن تلك الزيارات ، كنت أخصص لها فصل الصيف ذلك أننى كنت مقيما بطرابلس الغرب ، وهذا ما أضاف الى متاعبى الشئ الكثير ... فما أن هان علينا بعض الشئ ، هذا الأمر حتى انفجرت الحرب المدمرة بلبنان الحبيب والتى مازالت تعصف به حتى يومنا هذا ، والادباء العامليون متفرقون فى مناطق مختلفة يصعب الوصول اليها خاصة وأن العامين الأكثر أهمية فى بحثى حيث كنت قد وصلت الى نقطة البدء ، كانا عامى الشؤم والبلاء فى لبنان ، وهما عامى ٧٥ ـ ١٩٧٦ ... ثم هربى للنجاة بأسرتى وانتقالى الى الكويت ...

كل ذلك يظهر بوضوح ، مدى ماعانيته فى البحث والتنقيب عن المراجع ، خاصة وان الكثيرين من شعرائنا لم يطبعوا نتاجهم الشعرى ، فكان لزاما علينا أن نبحث عن مخطوطاتهم .

ومعظم المراجع التى كان علينا أعتمادها لم تكن موسسة التبويب السليم .. فتراكمت المتاعب بعضها فوق بعض ، ولم يكن لنا الا الصبر والجلد ، فأضفنا الى همومنا الشخصية

المتصلة بأسباب الحرب هموما أخرى ، وكان هذا قدرنا ولا راد لقضاء الله وقدره .

هذا أما فيما يعود الى منهجنا ، فقد قسمنا بحثنا الى ثلاثة أبواب وكل باب الى فصول ، وقد وصل عدد هذه الفصول مجتمعة الى أربعة عشر فصلا . تحدثنا فيها عن تاريخ "جبل عامل" وموقعه ، والتيارات الادبية فيه قبل القرن الحالى مع نبذة عن أشهر الشعراء فى ذلك العصر ثم انتقلنا الى القرن العشرين ، حيث ربطنا بين الظروف السياسية والاجتماعية والأدبية وكلها متصل ببعضه ، ثم قسمنا بعد ذلك الشعراء الى طبقات ثلاث ، مراعين فى ذلك التسلسل الزمنى ، ثم التقسيم الفنى لتطور الأدب .

هذا واذا كنا قد قصرنا فى شىء أو أخللنا فى بعض الموازين أو جانبنا الصواب أحيانا ، فهذه هى طبيعة أى عمل والبحث الأدبى بشكل خاص ، ولا نريد الثناء على أنفسنا لما بذلناه من جهد ، فنتغاضى عن عيوبنا ، غير أننا نقول بكل تواضع ، ان الخطأ هو من شأن العاملين ، ومن لا يعمل لا يخطىء لأنه هو الخطأ بعينه ، والله تعالى نسأل العون والسداد وهو الهادى الى طريق الخير والرشاد .

ooooo ooooo

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" الباب الاول "

" الفصـــــــل الاول "

جبل عامل : تسميته وموقعـــــــه

ـ ١ ـ

أصل التسميـــــه

قال الله تعالى فى سورة سبأ : " لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتهـــان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور • فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من ســدر قليل " وقال تعالى : " ومزقناهم كل ممزق " (١) •

وسبأ هذه قبيلة سميت بأسم جد لهم من العرب كفرت وأنعم الله فأنزل الله عليها سيل العرم المذكور وتمزقوا فى البلاد بعد ما هلك معظمهم فذهبوا مثلا حتــى قيل " تفرقوا أيدى سبـــــأ " (٢) •

وفى الحديث الشريف " عن فروة بن مسيك : سألت رسول الله (ص) عن سبأ ارجل هو أم أمراة (٣) فقال هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة فأما الذين تيامنوا فالازد وكنده ومذحج والاشعرون وأنمار وحمير • فقال رجل من القوم : ماأنمار , قال : الذين منهم خثعم وبجيلة • وأما الذين تشاءموا فعاملـة وجذام ولخم وغسان • قـال فى المجمع ــ مجمع البيان ــ فالمراد بسبأ هنا القبيـــله الذين هم أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان " وجاء فى الصحاح : " عاملة هى من اليمن وهو عامله بن سبأ • وفى تاريخ بن فتحون : " أن حسام الدين بشاره العاملى من رهط عاملة السبىء وهو من ولد سبأ الذين تشاءموا وكانوا اربعه : لخم وجذام وغسان وعامله " (٤) •

---

(١) سورة سبأ (١٦ ــ ١٧ ــ ٢٠)

(٢) تفسير الجلالسين ص ٥٦٧ ط دار العربيه ــ بيروت ــ لبنان •

(٣) وفى مروج الذهب : أو واديا أو جبلا وكنانة بدل كنده ج ٢ ص ٤٧

(٤) خطط جبل عامل لمحسن الامين ج ٢ مطبعه الانصاف بيروت ط ١ ص ٣٥

أما القلقشندى فى صبح الاعشى الذى قسم العرب العاربه الى شعبيـــن :

١ — جرهـــــــــم

٢ — يعـــــــرب

فانه يقول : ان يعرب ولد له يشجب وهذا ولد سبأ ومنه تفرعت قبائلهم التى قسمها كذلك الى قبيلتيـــــن :

١ — حميـــــــــر

٢ — كهلان (من القحطانيه) بن سبأ وهم أحد عشر حيا والحى الحادى عشر من كهلان " عاملة وهم بنو عاملة واسمه الحارث بن عفير بن عدى بن الحارث بن وبره ابن ادينه بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان • وذكر أبو عبيـــد أن بنى عاملة هم بنو الحارث بن مالك يعنى بن الحارث بن مرة بن أدد وأنه كــــان تحته عاملة بنت مالك بن وديعه بن عفير بن عدى بن الحارث بن مره بن أدد فعرفوا بها وذكر صاحب حماه أنهم من ولد عاملة بن سبأ وقد ذكر الحمدانى أن بجبال عاملة من بلاد الشام منهم الجم الغفير " (١)

وقد قسم القلقشندى البربر الى طائفتين : الاولى فى بلاد المغرب والثانيه فى مصر وهى هوارة — بالتشديد — وهم بنو هواره بن أوريغ بن برنس بن بربر وذكــــر الحمدانى أنهم من ولد بر بن قيذار بن اسماعيل (٢) •

قال فى العبر " ونسابتهم يقولون أنهم من عرب اليمن • فتارة يقولون أنهم من عاملة احدى بطون قضاعة وتارة يقولون أنهم من ولد المسور بن السكاسك بن وائل ابن حميـــر • " (٣)

وهذا يدفعنا الى الظن أن من البربر من ينتسب الى عامـــــلة •

وفى تاريخ ابى الفداء : " وأما بنو عاملة فهم أيضا من القبائل اليمانيه التى خرجــت الى الشام عند سيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق فى جبل هناك يعرف بجبل عامله (٤)

---

(١) صبح الاعشى للقلقشندى ج ١ صـــــــ ٣٢٦

(٢) المرجـــــع السابـــــــق •

(٣) المرجـــع السابق صـــــــ ٣٦٤

(٤) خطط جبـــــل عامل ج ١ صـــــــــ ٣٦ •

أما ابن الأثير فقد ذكر فى تاريخه عن عاملة ما يأتى : " وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينه المليقى من عاملة العمالقة " (١) .

كما جاء فى لسان العرب : " وبنو عاملة وبنو عميله : حيان من العرب • قال الأزهرى : عاملة قبيلة اليها ينسب عدى بن الرقاع العاملى ، وعاملة حى من اليمن وهو عاملة بن سبأ وتزعم نساب مضر أنهم من ولد قاسط قال الأعشى :

أعامل حتى متى تذهبين | الى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجعوا | الى النسب الأتلد الأقدم (٢)

وجاء فى تاج العروس : " وبنو عاملة بن سبأ حى باليمن هن من ولد الحارث ابن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ نسبوا الى أمهم عاملة بنت مالك بن وديعة بن قضاعة أم الزاهر ومعاوية ابني الحارث بن عدى نفسه ومنهم عدى بن الرقاع العاملى الشاعر وغيره وقال الجوهرى : ويزعم نساب مضر أنهم من ولد قاسط قال الأعشى :

أعامل حتى .... (٣)

ونلاحظ فيما تقدم أن هناك من يقول بأن عاملة امرأة ولا يهمنا ذلك فى قليل أو كثير • أما ابن الأثير فهو الوحيد الذى جعل عاملة من العمالقة وقد تولى الرد عليه آخرون ذكر تاج العروس منهم أبو سعده وغيره .. (٤) .

وجاء فى العقد الفريد أن بنى عاملة " هم بنو الحارث بن عدى بن الحارث ابن أدد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ • ولد الحارث الزهر ومعاوية وأمهما عاملة بنت مالك بن ربيعه بن قضاعة ، فنسبا الى أمهما ويقال : عاملة هو الحارث نفسه ، فمن بنى معاوية بن عاملة : شعل وسلبة وعجل بطون كلهم • " (٥)

---

(١) تاريخ ابن الأثير جـ ١ صـ ١٩٨ ط بيروت
(٢) لسان العرب ـ المجلد الثانى صـ ٧٨٧
(٣) تاج العروس م ٨ صـ ٣٥ ط بيروت
(٤) سنرى أن الطبرى يوافق ابن الأثير فى ذلك
(٥) العقد الفريد جـ ٣ صـ ٤٠٢ ط القاهرة ١٩٥٢ م

وفى تاريخ الأمم والملوك يقول الطبرى : ان تبع الذى ينتهى نسبه الى سبأ :
" شخص متوجها من اليمن فى الطريق الذى سلكه الرائش حتى خرج على جبلى طىء
ثم سار يريد الأنبار فلما انتهى الى الحيرة وذلك ليلا تحير فأقام مكانه وسمى ذلك الموضع
الحيرة ثم سار وخلف به قوما من الأزد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فبنوا وأقاموا به ثم
انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طىء وكلب والسكون وبلحارث بن كعب واياد .. " (١)

نفهم من هذا أن عاملة كانت تقيم فى يوم من الأيام فى الحيرة ويعود الطبرى
ليقول ثانية " وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ضرب بن حسان
ابن أذينه بن السميدع بن هوبر المملقى ويقال العمليقى من عاملة العماليق " (٢)
وهذا يؤيد رأى ابن الأثير فى جعل عاملة من العماليق .

ويقول المجتهد الأكبر العلامة السيد محسن الأمين فى حديثه عن أسباب
تسمية جبل عامل الحالية : " عاملى : نسبة الى جبل عامل وفى الأصل يقال جبال بنى
عاملة . أو جبل عاملة . ثم لكثرة الاستعمال قيل جبل عامل نسبة الى عاملة بن سبأ الذى
أصله من اليمن . وسبأ هو الذى تفرق أولاده بعد سيل العرم حسبما نص عليه القرآن
الكريم حتى ضرب بهم المثل فقيل " تفرقوا أيدى سبأ " وكانوا عشرة تيامن منهم ستة ..
..... الخ ...

والنسبة الى القبيلة عاملى ثم صارت تقال على من سكن هذه الجبال مطلقا
واستمر ذلك الى اليوم ولم تعد تعرف النسبة الى القبيلة ويقال لهذا الجبل أيضا
جبل الخيل وجبل الجليل " (٣) وقوله " جبل الجليل " سوف يقودنا الى القول
بأن جبل الجليل ومركزه صفد داخل أيضا تحت التسمية العاملية :

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ٢ ص ٣
(٢) المرجع السابق ص ٣١
(٣) أعيان الشيعة ج ٥ ص ٦٠

عاملة رجل أم امـــــــرأة ؟

لعل التاء فى عاملة كأختها فى طلحة ومعاوية فالاسم مؤنث لفظا ومذكر معـــنى غير أنها لم تنج من تشكيك بعض المؤرخين فهل كان عاملة رجلا أم امرأة ؟

" قيل أن عاملة اسم امرأة قال بعض أهل العصر : جبل عامل : وعاملة وجبـــل الجليل سمى بعاملة القضاعية وهى أم الحارث بن عدى الذى تنسب قبيلته اليها نزلـــوا الشام مع بنى جذام ولخم وغسان " (١) .

وفى خطط الشام نقل عن الهمذانى " مساكن من تشاءم من العرب الى أن قال : وأما عاملة فهى فى جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر الى أن قال : وجبل الجليل وأهلها قوم من عاملة وجبل الجليل هو جبل عاملة " (٢) .

هذا وقد مر معنا أن صاحب العقد الفريد يذكر أن عاملة هى : " بنت الــك ابن ربيعه بن قضاعة ... " ثم أن صاحب تاج العروس يذهب الى نفس هذا المذهـــب ويروى نفس الرواية .

ومهما يكن من أمر فاننا لا نعلق أهمية على كون عاملة رجلا أم امرأة ونحـــن وان كان يغلب على اعتقادنا أن عاملة رجل فليس ما يمنع أن يكون امرأة فهناك كثير من القبائل العربية منذ القدم قد نسبت الى نساء لحادثة أو لأخرى . والمهم هنا أن النسبـــــة صحيحة فالعاملى من عاملة وعاملة بن سبأ وهذا ما تظافر عليه المؤرخون ولم يختلـــف منهم اثنان حول هذا مما جعله حقيقة قائمة لاجدال فيها .

ومما سبق نفهم أن عاملة السبئى اليمنى قد تحول عن اليمن مع اخوته التسعـــة بعد سيل العرم الذى أكده القرآن الكريم وبعد انهيار سد مأرب فيمم وجهه أو يممـــت وجهها مع لخم وجذام وغسان الى بلاد الشام . وقد أكد التاريخ هذه الحقيقـــــة

---

(١) خطط جبل عامل لمحسن الأمين ج ١ صـــ ٣٥
(٢) المرجع السابـــق صـــ ٣٦

وكما أن بنى غسان فى الشام مازالوا يفاخرون بأنسابهم حتى هذه الأيام فان اخوانهم العامليين يشاركونهم نفس الشعور • وكان لعاملة أن استوطن الناحية الشمالية الغربية من دمشق على ساحل البحر الأبيض المتوسط واحتفظوا بنسبهم العاملى وأخذ الجبل الذى سكنوا فيه اسمهم فى حين مال البعض منهم الى التخلى عن هذا النسب مكتفين أنهم من جبل عامل فقط •

ـ ٢ ـ

موقع جبل عامل ومنزلته من لبنان

لم يرسم العامليون ـ عبر التاريخ ـ فيما نعلم ـ لأنفسهم حدود دولة منفصلة عما حولها فهم لم يعملوا على انشاء دولة من الناحية السياسية بالمعنى المعروف •• اللهم الا اذا أخذنا فى اعتبارنا أن العامليين قد نزحوا الى جنوب لبنان قبل ثلاثة آلاف سنة فيكون منهم الفينيقيون الذين بنوا مدينتى صيدا وصور وما بينهما ثم انطلقوا الى الساحل الشمالى لأفريقيا جنوبى البحر المتوسط فيكون لهم نصيب الأسد من الحضارة الفينيقية الضاربة فى القدم المتألقة فى تاريخ الحضارات ولا شئ فى رأينا يمنع من هذا الاعتقاد فهناك اجماع تاريخى على أن الفينيقيين عرب نزحوا من جزيرة العرب واستوطنوا فيما يسمى بلبنان حاليا واذا كان المؤرخون يحللون أسباب هذه الهجرة ويعيدونها الى القحط والجفاف اللذين أصابا الجزيرة فلا مانع أن يكون انهيار السد وما سببه من خراب ودمار ما ترتب عنه من جفاف أن يكون هو الذى حمل الناس يومذاك على النزوح والهجرة •

والذى نريد قوله أن جبل عامل بتسميته تلك لم يتخذ لنفسه حدودا اقليمية ثابتة لها صفة ومقومات الدولة فى يوم من الأيام خاصة فيما بعد الفتح العربى • الا أن بعض المؤرخين قد رسموا له حدودا متقاربة متشابهة ننظر اليها من ناحيتين :

١ ـ الناحية الأولى وهى من زاوية نظر المؤرخين القدماء •

٢ ـ الناحية الثانية وهى بالنسبة للحدود التى استقر عليها الأمر طوال القرن الحالى •

ففيما يختص بهذه الحدود من الناحية التاريخية فقد تعرض لتحديد جبل عاملة كثير من المؤرخين نذكر منهم : شيخ الربوة (١) والقلقشندى فى صبح الأعشى وأبو الفدا المتوفى ٧٣٢ هـ فى تقويم البلدان . كما تحدث ابن جبير فى رحلته المشهورة عن جبل عامل وقراه ومدنه ... وقد جمع السيد محسن الأمين كثيرا من الأخبار والآراء سنورد بعضها فيما بعد .

قال شيخ الربوة عند كلامه عن صفد . " .... ومنه جبل عاملة بأرض كنعان وفلسطين ويتصل بلبنان وهو المطل على البحر الرومى ثم يبتدئ بالساحل ويسمى الطراز الأخضر وبه من حصون الدعوة التى دعوها الملاحدة والباطنية والقرامطة " (٢) .

ويضيف شيخ الربوة فى مكان آخر قائلا : أن جبل عاملة من أعمال دمشق (٣)

أما القلقشندى فقد أكد أن جبل عاملة تابع لصفد وقال : " .. وهو جبل عند شرقى ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور وعليه شقيف أرنون نزله بنو عاملة بن سبأ من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العرم فعرف بهم " (٤) .

ومن المناطق التى ذكر القلقشندى أنها فى جبل عاملة تبنين وهونين قال : " وهما حصنان بنيا بعد الخمسمائة بين صور وبانياس بجبل عاملة " (٥) .

أما أبو الفدا فمما ذكره فى تقويم البلدان قوله . " ومن الأماكن المشهورة بالشام جبل عاملة وهو ممتد فى شرقى الساحل وجنوبيه حتى يقرب من صور وعليه الشقيف الذى استرجعه الملك الظاهر بيبرس من أيدى الافرنج وكانت رعاياه فى حكم الفرنج وفى شرقيه وجنوبيه جبل " عوف" وكان أهله عصاة فبنى لهم اسامة حصن عجلون حتى دخلوا فى الطاعة وبينه وبين عجلون مرحلتان وكذلك بينه وبين الكرك وجبل السراه فى جنوبى البلقاء وخلفه البريه ويسكنه الآن خلاحون " (٦)

---

(١) شيخ الربوة هو شمس الدين أبو عبد الله محمد أبو طالب الانصارى الصوفى الدمشقى ألف كتابه فى نهاية القرن الثامن الهجرى وقد فرغ منه سنة ٧٩٥ هـ ولم أعثر على تاريخ وفاته أو ميلاده .
(٢) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر لشيخ الربوة صـ ٢٣
(٣) المرجع السابق صـ ٢٠٠
(٤) صبح الأعشى للقلقشندى ج ٤ صـ ٨٦ نسخة مصورة عن المطبعة الاميرية ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر "
(٥) المرجع السابق صـ ١٥٢
(٦) تقويم البلدان ج ١ صـ ٢٢٨

ويلاحظ فى كلام شيخ الربوة أنه لا يتوخى الدقة والضبط وتنقصه الامانة التاريخية ، وقد وقع فى مغالطات كثيرة ، منها وصفه لسكان ذلك الجبل بالملاحدة ونهمل هذه الناحية لنشير الى ما ذكره عن جبل عاملة ، حيث تحدث عنه دون تحديد واضح واكتفى بالقول أنها " بأرض كنعان وفلسطين ... " ثم يحدث عن جبل جبع وجبل حزين وقلعة شقيف تيرون وجبل تبنين وقلعة هونين ومرجعيون والجرمق على أن كلا منها مستقل عن الآخر ولم يذكر أنها من جبل عاملة (١) علما أنها جميعا تشكل جبل عاملة والا فأين جبل عاملة ؟

ومهما يكن من أمر فان شيخ الربوة مطعون بصحة أقواله وعلمه .

هذا أما من الناحية الثانية فقد تكلم عدد من المؤرخين فى عصرنا الحديث وفى القرن التاسع عشر عن حدود جبل عاملة ومنهم الشيخ على سبيتى مؤرخ جبل عامل والسيد محسن الأمين والشيخ أحمد عارف الزين ومحمد جابر آل صفا وعلى الزين وسليمان طاهر وغيرهم .. ومن المؤكد أن أحدا من هؤلاء لم يقل بوجود تحديد دقيق لجبل عامل من الناحية الجغرافية والسياسية . ذلك أنه لا يوجد على التحقيق شيء من هذا القبيل فى كتب التاريخ التى أشارت الى جبل عاملة وتحدثت عنه غير أنه يعتمد على ما هو معروف " اليوم بين أهله المأخوذ عن أسلافهم يداعن يد مع ملاحظة ما فى كتب التاريخ ونسبة جماعة اليه علم محل سكناهم الذى أوجب هذه التسمية فيعلم أنه كان يعد من جبل عاملة فى تلك الأعصار " كما يقول السيد محسن الأمين الذى يخلص الى القول بأن " حده من جهة الغرب شاطىء البحر الأبيض المتوسط أو بحر الشام ومن الجنوب فلسطين ومن الشرق الأردن (الحولة) ووادى الثيم وبلاد البقاع وقسم من جبل لبنان الذى هو وار جبل الريحان ووراء اقليم حزين ومن الشمال نهر الأولى أو مايقرب منه وهو المسمى قديما نهر الفراديس . (٢)

أما الشيخ على سبيتى (٣) فقد نقل عنه محسن الأمين أنه فى كتابه " الجوهر المجرد فى شرح قصيدة على بك الاسعد " قال مايلى : " حد جبل عاملة القبلى النهر المسمى نهر القرن الجارى من شمال طيرشيحا الى البحر جنوب قرية الزيب .. .

---

(١) نخبة الدهر ص ٢١١
(٢) خطط جبل عامل ص ٤٧
(٣) ولد فى كفرة قضاء صور ١٢٣٦ هـ وتوفى ١٣٠٣ هـ

ويقول السيد محسن الأمين عن هذا النهر " ... وكأنه المسمى قديما نهر أبي فطرس وفيه يقول أبو نواس في وصف رحلته الى مصر لمدح المغيب :

وأصبحن قد فوزن عن نهر فطرس وهسن عن البيت المقدس زور

ونعود ثانية لحدود الجبل التي رسمها على سبيتي حيث يقول " .. وشمالا النهر المسمى بالأولى الذي يصب في البحر شمالي صيدا ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق أرض الخيط الى الوادي المسمى بعوبا الى نهر الفجر في الحولة فعلى هذه الحدود يدخل فيه جملة قرى خارجة عنه منها قرية " الزيب " وهي قرية على البحر في الجانب الغربي الجنوبي لم تتبع البلاد أصلا ومنها البصة لسفح الجبل المسمى بلبون بالكرمل ولم تزل تابعة جبل عامل منذ القدم حتى قتل ناصيف فتبعت عكا . وقد اختلف ناصيف وظاهر العمر عليها حتى جرت حروب طربيخا . ومزارع البصمة الى الآن أكثرها تخص جبل عامل وخراجها يؤدى الى قلعة تبنين ومنها الأرض المسماه بجاليل (١)

ويقول الشيخ على سبيتي في مكان آخر :

" حد بلاد عاملة من الجنوب وادي القرن الذي هو الى الجنوب من الجبل الذي يسمى ليون الذي في سفحه قرية البصمة ومزارعها اذ هي بالقطع تابعة لبلاد عاملة وفي جانب القرن الى الجنوب قلعة جميلة العمران حسنة الأبنية عالية فيها الولب ماء الى ماء الوادي خالية الآن من السكان مهدمة الحيطان وفي جانب القرن الشمالي أرض جاليل وفيه مزارع وخرب قديمة ... وحد بلاد عاملة شرقا الأرض المسماه بالخيط المفصول بينه وبين الحولة والجولان بنهر الأردن والجبل الغربي الى غير دبشوم الى مقام نبي الله يوشع كان ذلك كله في الأصل تابعا لجبل عاملة ." (٢) .

والذي نفهمه مما تقدم أن جبل عاملة لم تكن لها في يوم من الأيام حدود واضحة دقيقة ذلك أنه لم يكن دولة بل اقطاعية وكل ما في الأمر أنه من الثابت تاريخيا أن ابناء عاملة قد نزلوا في أرض تسمت باسمهم وأن هذه الأرض لم تكن وحدة سياسية في يوم من الأيام ولكنها تجزأت وتقسمت حسب التقلبات السياسية خارج حدودها فهي مرة تابعة الى دمشق ومرة الى صفد أو صيدا . غير أن العامليين ظلوا محافظين على نسبهم معتزين به

(١) الخطط صـ ٤٧ ـ ٤٨

(٢) المرجع السابق صـ ٤٩

فأينما حلوا فهم عامليون وأينما نزلوا فهم من عاملة ومن ذلك أن كلا من سماك العاملـــى وعدى بن الرقاع كانا فى دمشق (١) الا أنهما احتفظا بعامليتهما وعرفا بهاوكذلـــك غيرهما وهذا هو الشئ الوحيد الذى ساعد على تحديد المناطق التى نزل بهـــــا العامليون فكل جماعة قالوا بأنهم عامليون لا بد أن تكون بلادهم عاملة وهكذا ....

وقد أكد المؤرخون أن أبناء عاملة ، كما قلنا ، قد نزلوا بتلك البقاع الـــتى ذكرناها فيما قبل ، ولكى نحدد جبل عاملة لا بد لنا من العودة الى التاريخ وبذلـــك نصل الى نتيجة واحدة وهى أن ما يسمى الآن بجنوب لبنان ، يضاف اليه شريط ضيـــق شمال فلسطين على طول امتداد الحدود مع فلسطين ، هو جبل عامل ، وهذا ماأشرت اليه منذ البداية من أنه الحدود الحالية لجبل عامل .

أما فى عصرنا الحالى فان كلمة جبل عامل تكاد لا تعرف من الناحية الرسميـــة ذلك أن هذه المنطقة قد أصبح يطلق عليها اسم جنوب لبنان بعد ما ضمت الى لبنـــان مع أوائل القرن العشرين بعد انشاء دولة لبنان وقد سلخ عنها الشريط الضيق الممتـــد من البصة على ساحل البحر الأبيض المتوسط حتى الخيام بعد أن ضمت الى فلسطـــين المحتلة . غير أن الحكومة اللبنانية تطلق الآن هذا الاسم على مشروع المياه الذى يـــروى الجنوب من الليطانى واسمته " مصلحة مياه جبل عامل "

ولا شك أن جبل عامل من المناطق المهضومة حقوقها فى لبنان منذ عهـــــد الاحتلال الفرنسى مما أدى الى تخلفها الا أنها استطاعت أن تتطور عـــن طريـــق المجهودات الفردية بسرعة مذهلة بعيدا عن السلطات الحاكمـــة .

---

(١) سماك العاملى شاعر أموى

الفصل الثاني

الحياة السياسية والاجتماعية في جبل عامل قديما وحديثا

— أ —

الحياة السياسية

— ١ —

نظرة عامة

ان التاريخ السياسي لجبل عامل قبل الاسلام هو التاريخ الفينيقي المعروف لمدينتي صيدا وصور التاريخيتين وما بينهما كقانا والصرفند أما بعد الاسلام وحتى القرن الخامس عشر الميلادى أى على امتداد قرابة سبعة قرون فان التاريخ لتلك المنطقة من العالم منقطع يشوبه الكثير من الغموض ولا يحكمه الترابط المنطقي للأحداث التى مر بها هذا الاقليم . وكل ما وصلنا من أخبار لا يعدو بعض الحوادث الصغيرة والمتفرقة التى سوف نتحدث عنها بشيء من الاختصار .. ففى صدر الاسلام نمسك ببعض الخيوط التى تقودنا الى دخول العامليين فى الاسلام .. ومن ثم دخولهم حلبة الصراع السياسى الذى تفجر فى الأمة الاسلامية وظهرت بوادره منذ خلافة عثمان ابن عفان ...

من المعروف أن عثمان بن عفان ، كان قد نفى أباذر الغفارى الى الشام حيث طارده هناك معاوية بن أبى سفيان ، فتقاذفته البلدان ، الى أن حط به الترحال فى البلاد العاملية ، حيث احتضنه سكانها وانضووا تحت لوائه وآمنوا بدعوته العلوية لأهل البيت ... ولسنا الآن بصدد الحديث عن أسباب الخلاف بين عثمان ومعاوية من جهة وأبى ذر من جهة أخرى فجميع كتب التاريخ تتحدث عنه وعن تصلب أبى ذر فى تطبيق الشرع وتهاون عثمان واستهتار معاوية .. المهم أن العامليين قد تشيعوا منذ ذلك التاريخ لأهل بيت رسول الله ، وما زالوا على تشيعهم حتى يومنا هذا ، ومن الآثار التى تركها أبو ذر فى جبل عامل ، مسجد فى ميس الجبل ، وآخر فى الصرفند ، وقد اتخذ من هاتين القريتين مقرين لدعوته والأولى تقع فى الجنوب الشرقى لجبل عامل على حدود فلسطين والأخرى تقع على ساحل البحر المتوسط غربا وما زال هذان المسجدان يعرفان باسم أبى ذر حتى يومنا هذا ....

وبعد ذلك نستطيع أن نربط بين تاريخ الشيعة وتاريخ جبل عامل ، فتاريخ العامليين هو تاريخ الشيعة وما عانوه من ظلم واضطهاد ، عبر تاريخهم الطويل على يد الأمويين والعباسيين ثم العثمانيين فالفرنسيين أخيرا . وأن التسلط كان ينعكس بأشكال مختلفة على حياة العامليين حيث صاغ نفسياتهم المضطربة الخائفة المنتقمة الحاقدة والجريئة أحيانا ، والصابرة المرتقبة أحيانا أخرى .. ، لقد انعكست مأساة الهاشميين بكل أبعادها على تصرفات العامليين ابتداء من أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومرورا بالحسن والحسين وانتهاء بالمهدى المنتظر ...

وقد سجل التاريخ الصراع الرهيب بين السلطان اسماعيل شاه الصفوري الشيعى والسلطان سليم الذى انتصر على الشيعة وأباد منهم قرابة السبعين ألفا فى أيام معدودات ثم تلك المجازر التى تعرضوا لها فى الكرخ أيام العباسيين (١) ..

وقد أثرت مأساة كربلا ، بشكل خاص على العامليين وتركت بصماتها ظاهرة واضحة فى تراثهم الفكرى والأدبى يتجلى ذلك فى الثروة الضخمة فى رثاء أهل البيت التى تركها شعراؤهم ..

أما فى العهد العثمانى فان العامليين لم يختلفوا عن غيرهم من المسلمين فيما عانوه من ظلم واضطهاد تعنصرا يبين أحيانا وتعصبا أحيانا أخرى .. ولا يعتبر ذلك تعريضا منا أو تجنيا فللشيعة الامامية - كما هو معروف - آراؤهم التى ينفردون بها ويختلفون فيها عن السنيين بل وقد تتعارض تلك الآراء مع معتقدات المذاهب الاسلامية الأخرى التى يتمذهب الحكم العثمانى بأحدها وهو المذهب الشافعى وهذا ما حدا ببعض الشيعة العامليين وذوى النفوذ منهم أن يخفوا مذهبهم تقية ويظهرون مذهب الشافعية كما فعل شبيب باشا الأسعد الذى ذكر فى مقدمة ديوانه المطبوع عام ١٣٠٩ هـ فى دار الطباعة العامرة الهمايونية " بترخيص من " نظارت المعارف الجليلة " من أنه شافعى المذهب حيث قال " أما بعد فيقول العبد الكثير الزلل القليل العمل ، أسير الخطايا والذنوب ... الفقير لربه الغنى الواحد الأوحد شبيب بن على بك الأسعد المحمد المحمود النصار الأحمد النصار الوائلى القحطانى نسبا الشافعى مذهبا البشارى مولدا " (٢).

(١) مراجع تاريخ العرب الحديث لزاهية قدورة

(٢) مقدمة الديوان ص ٢ والبشارى نسبة الى بلاد بشارة وهى بعض نواحى جبل عامل التى كان يقيم فيها الشاعر .

فلو لم يتدارك الشاعر نفسه بهذه " الشفاعة " لما ظهر ديوانه فلا بد له اذن من هذه التأشيرة المذهبية ، علما أن هببيا هذا شيعى بن شيعى والد شيعى وأجداده الذين ما زالوا بيننا هم من زعماء الشيعة الامامية وهذه الطريقة فى التخفى هى ما كان يطلق عليها اسم " التقية " حماية للنفس من جهل المتعصبين الجهلة .

هذا ومن جهة أخرى كان جبل عامل تبعا لموقعه الجغرافى ما بين فلسطين ودمشق وصيدا ، يلحق سياسيا لاحدى هذه الولايات فهو اما أن يكون تابعا لولاية دمشق ، واما أن يكون تابعا لولاية صيدا وفى الغالب لصفد ، وهو على هذا يخضع لسيطرة ونفوذ صاحب الشأن فى هذه الولايات يقول ساطع الحصرى : " كان جبل عامل يشكل جزءا من بلاد الشام التى انتقلت الى سيطرة الدولة العثمانية بعد معركة مرج دابق سنة ١٥١٦ م . لذا كانت الادارة فيها صورة مصغرة عن الادارة العثمانية العامة التى قسمت البلاد اداريا وعسكريا الى أيالات والايالات الى ألوية وسناجق وكان كل لواء يضم مقدارا من التيمارات والزعامات وكان يعهد لشؤون الولاية الى باشا يسمى " بكلربكى " ويعهد بشؤون اللواء الى بك يسمى سنجق بكى " (1) وكانت الدولة تمنح الايالات والسناجق بطريق الالتزام — المزايدة لمن يقدم لها أكبر مبلغ من المال وله بعد ذلك أن يحل محل الدولة فى السيادة والامارة المطلقة على المقاطعة عسكريا وماليا . وكان الوالى يجبى الأموال السلطانية من عماله مباشرة أو بتلزيم المقاطعات الداخلية فى ولايته الى أرباب الزعامة فينالها الامراء وهؤلاء يعطونها أيضا للمقدمين والمشايخ " (٢)

وعلى ضوء ما تقدم يتضح مقدار ما كان يتعرض له المواطن العاملى من ضغوط فهو مضطر لدفع الأموال لسيده المباشر وسيده المباشر سيدفعها بدوره لمن هو فوقه الذى التزمها كذلك من هو فوقه وهذا الأخير يضطر لدفعها للوالى أو السنجق وكل يتبارى مع الآخرين لدفع الأكثر مع الاحتفاظ لنفسه بحصة الأسد ويبقى المواطن هو المغلوب الأول والأخير ... فيكظم الغيظ ويضمر الحقد على الدولة العثمانية .. وقد نما هذا الحقد ومازال ينمو حتى أصبح فرضا على كل نظام ينحرف من جادة الصواب وهذا ما سنراه فيما بعد عندما ندرس الشعر العاملى ...

---

(١) البلاد العربية والدولة العثمانية لساطع الحصرى جامعة الدول العربية معهد الدراسات ورسالة محمد سعيد بسام لشهادة الكفاءة بكلية التربية اللبنانية صـ ٢٤

(٢) المجتمع السورى ى القرن الثامن عشر لجرجى ينى — المباحث م ٥ صـ ٦٢٧ سنة ١٩١٣

أما علاقة العامليين مع لبنان فلم تكن حسنة في يوم من الأيام وذلك لعوامل كثيرة أهمها المذهب والدين .. ففي حين كان العامليون على اسلامهم وتشيعهم كان اللبنانيون المسيحيون يحمل حاكمهم على استرضاء السلطان بشتى الطرق منافقا حينا وراشيا حينا آخر ومتمردا أحيانا أخرى عندما يتلقى الدعم والاذن من الأوروبيين ولذلك كان يتحين الفرص للانقضاض على العامليين لفرض السيطرة وسرقة الأموال لتقديمها لولاة الدولة العثمانية بقصد الرشوة ... وقد لعب هذا دورا بارزا في تعميق الهوة بين اللبنانيين والعامليين . وكثيرا ما كانت تنشب الحروب بين الفريقين حيث يتبادلان النصر والهزيمة وميزان ذلك كان وما يزال العلاقات الخارجية والتحالفات مع الغير فعندما كان يتحالف العامليون مع الفلسطينيين فان النصر يحالفهم وعندما يتحالف اللبنانيون مع الوالي التركي والأوروبيين فلهم النصر (١) .

أما بالنسبة للسياسة الداخلية فان العائلات الاقطاعية المختلفة كانت تتنازع في النفوذ والسلطة في الجبل وأبرز هذه الأسر آل علي الصغير وشكر ومنكر وصعب والزين وسودون . وغيرهم (٢) يقول سليمان ظاهر :

" برز آل الزين في بلاد بشاره وساحل صور سنة ١٠٩٥ هـ ١٦٨٣ م والمقدمون — الخزرجيون في مقاطعة جزين وآل منكر في مقاطعتي الشومر والتفاح وآل صعب في مقاطعة الشقيف ثم آل علي الصغير في بلاد بشاره الجنوبية وهؤلاء تقدموا على جميع الأسر العاملية في المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر عندما كان زعيمهم ناصيف النصار شيخ مشايخ جبل عامل " (٣) " وآل شكر في بلاد بشاره وساحل معركة وآل برو في جبل الريحان وآل داغر في منطقة انصار وآل شامي في منطقة بنت جبيل " (٤)

وسنثبت هنا بعض الاخبار القصيرة ودون أن نعلق عليها حيث تصور لنا مقدار ما كانت تعانيه البلاد من فتن وفوضى واضطراب :

في أواخر القرن السابع عشر كان مشرف من آل علي صغير وقد انتهت اليه زعامة الاسرة المذكورة قد سيطر على زعامة جبل عامل .

---

(١) (٢) راجع تاريخ جبل عامل لمحمد جابر صفا " وللبحث عن تاريخنا في جبل عامل لعلي الزين ولبنان في عهد الامراء الشاميين لحيدر أحمد شهاب
(٣) العرفان م ٨ صـ ٢٦٣ ـ ٣٢٠
(٤) للبحث عن تاريخنا في جبل عامل لعلي الزين صـ ٣٦٣ ط ١٩٧٣

في سنة ١٦٩٨ م أعلن العصيان على ارسلان باشا والى صيدا وقبض على جماعة من رجاله الا أن الوالى حرض الأمير بشير الأول على مشرف وأعطاه ولاية صفد ومقاطعات جبل عامل • فزحف بشير الشهابى على جبل عامل وهزم العامليين فى " المزرعة " وقبض على مشرف وأخيه الحاج محمد ومدبرهما الحاج حسين المرجى وأرسلهم جميعا الى ارسلان باشا الذى حبس مشرفا وأخاه وقتل حسين المرجى •

تولى الأمير بشير بذلك على جبل عامل وصفد وولى عليهما الأمير منصور الشهابى بمعاونة الشيخ عمر بن أبى زيدان • وكان آل صعب ومنكر العامليين حكام مقاطعة الشقيف واقليمى الشومر والتفاح قد حضروا الى الأمير وأطاعون ••• وبذلك أقرهم على بلادهم (١)

— ٢ —

حروب العامليين مع اللبنانيين وخروجهم على العثمانيين

استمرت روح العداء متفشية بين العامليين واللبنانيين واستشرت المعارك بين الفريقين واشتد لهيبها فهى ما ان تنطفىء نيرانها حتى تعود ثانية للاشتعال وأبرز هذه المعارك :

١ — معركة النبطية عام ١٧٠٧ م وقد خاضها العامليون ضد الأمير حيدر الشهابى وانهزموا فيها وفقدوا أحد أجلة علمائهم وهو الشيخ يونس • أما أسباب هذه المعركة فهى رفض العامليين حكم الأمير حيدر وشوقهم الى الاستقلال الذاتى وكانوا ضد الدولة العثمانية • (٢)

٢ — معركة " القرية " سنة ١٧١٩ م مع الأمير حيدر نفسه الذى انتصر ثانية وأحرق البلاد ونهب خيراتها •

---

(١) لبنان فى عهد الامراء الشهابيين لحيدر أحمد شهاب صـ ٥ — ٦

(٢) الشدياق جـ ٢ صـ ٣١٢ (كتاب أخبار الأعيان فى جبل لبنان للشيخ طنوس الشدياق ١٨٥٩) •

٣ — معركة انصار سنة ١٧٣٣ م ٠ ١١٤٧ هـ يقول الشيخ على سبيتى عنها :
" وصارت وقعة أنصار مع الأمير ملحم وأسر من الشيعة ألف وأربعمائة وكانت الوقعة بفتوى من الشيخ نوح ولعل ذلك من أثر التعصب المذهبى " (١) .

٤ — معركة عام ١٧٤٣ م (كانت الوقعة بين مشايخ بنى متوال وأهالى وادى التيم ومعهم دروز جبل الشوف وكانت الكسرة على الدروز وعسكر وادى التيم وقتل منهم مقدار ثلاثماية رجل وأحرقت المتاولة جميع قرايا مرجعيون ثم اجتمعت المتاولة فى النبطية وأرادوا أن يغزوا جبل الدروز فمنعهم وزير صيدا " (٢) .

٥ — معارك عام ١٧٤٩ م ١١٦٣ هـ وقعت معارك جبع — الخربة — القليعة ٠
ففى جبع كان الأمير ملحم يغير على العامليين فهدمر وحرق ولحق بكوكبة من فرسان الشيعة مقدارها سبعون فارسا عند دير قانون النهر حيث هزمهم وقتل مراد نصار شيخ الكوكبة ثم ارتد عندما قام عليه العامليون ٠ ثم اجتمع العامليون على أميرى حاصبيا وراشيا وهما خلفاء ملحم وكان الشيخ ظاهر العمر مع العامليين فالحقوا بالشهابيين هزيمة ساحقة خسر فيها هؤلاء أكثر من ألف قتيل ، (٣)

٦ — معركة كفر رمان عام ١٧٧١ م / ١١٨٥ هـ مع الأمير يوسف الشهابى انتصر فيها العامليون وخسر يوسف فيها ١٥٠٠ قتيل وكان المتاولة قد طلبوا الصلح من يوسف الا أنه رفض فلحقت به الهزيمة ولهذه المعركة أهمية أدبية حيث أثارت الزجالين والشعراء وحركت قرائمهم كما سنرى فيما بعد — عند شناعة وغيره من شعراء الزجل ٠

يقول الشدياق أن عدد المتاولة كان فى هذه المعركة أربعة آلاف رجل متحالفين مع الفلسطينيين فى حين كان عدد اللبنانيين زهاء العشرين ألفا ". (٤)

هذا وأورد طنوس الشدياق خبرا عن احدى المعارك التى كنا قد ألمحنا اليها على الشكل الآتى :

---

(١) على سبيتى — العرفان م ٥ صـ ٢١
(٢) حيدر أحمد شهاب صـ ٣٤
(٣) سليمان ظاهر فى العرفان م ٢٤ صـ ٩٤٢ والشيخ على الزين فى " للبحث من تاريخنا صـ ٤٤٠
(٤) طنوس الشدياق صـ ٣٣٠ على الزين صـ ٤١٩

" وسنة ١٧٠٠ خرج الشيخ مشرف بن علي الصغير المتوالي اليمني صاحب مقاطعة بلاد بشاره عن طاعة ارسلان باشا وقبض على بعض غلمانه وقتلهم . فاستنهض الوزير المذكور الأمير بشيرا لقتاله وأطلق له ولاية صفد مع مقاطعات جبل عامل الثلاث وهي مقاطعة بلاد بشارة ومقاطعة اقليمي الشمار (الشومر) والتفاح ومقاطعة الشقيف فجمع الأمير من رجال القيسية ثمانية آلاف مقاتل وزحف بهم الى قتال "مشرف اليمني فالتقى به في قرية المزرعة من بلاد بشارة واصطف الفريقان للقتال . ولم تضطرم نار الحرب بينهم الا قليلا حتى انكسرت رجال مشرف وهلك منهم خلق كثير . وقبض على مشرف وأخيه الحاج محمد ومدبرهما حسين المرجي فأرسلهم الأمير الى ارسلان باشا لقتل الوزير الحاج حسينا وسجن مشرفا وأخاه ودعى الأمير من صفد الى جسر المعاملتين فوضع الأمير ابن أخيه الأمير منصورا واليا على صفد . وجعل تحت يده أبا ظاهر عمر بن أبي زيدان العمر المشهور شيخا على تلك الديار لأنه قيسي . وحضر الى الأمير بنو منكر المتاولة أصحاب اقليمي الشمار (الشومر) والتفاح وبنو صعب المتاولة أيضا أصحاب مقاطعة الشقيف ودخلوا في خاطره فقررهم على مقاطعاتهم (١) . "

ويقول طنوس الشدياق أن الوزير " أسعد باشا العظم والي دمشق " كان — يستنجد الأمير ملحم كثيرا ويستشيره في مهماته ويثق به متاولة جبل عامل .

وفي " سنة ١٧١٣ أظهر المتاولة الشيعية أصحاب جبل عامل الخروج من طاعة سعد الدين باشا العظم والي صيدا وامتنعوا عن أداء الأموال الأميرية وشرعوا يعيثون (!) مفسدين في جوارهم وتطاولوا على اقليم التفاح التابع ولاية الأمير" (٢) .

ويشير الشدياق الى معركة النبطية التي جرت عام ١٧٧٠ م . بقوله :

" سنة ١٧٧٠ م جمع الشيخ علي جنبلاط رجاله وسار مع الأمير يوسف الشهابي الوالي الى قتال الصغيرية والصعبية المتاولة ولشيخوخته بقي في صيدا محافظا لها فأبقى عنده شرذمة من رجاله وأرسل الباقي مع أحزابه صحبة الأمير الى قرية النبطية . ولما أشار الشيخ عبد السلام العماد على الأمير بأذى بني منكر المتاولة أصحاب الشيخ علي وأذاهم المسكر اغتاظ جدا وبعث الى أحزابه سرا أنه متى صارت المصاف ينفضوا بلا قتال

---

(١) سبق وذكرنا أن هذه المعركة جرت عام ١٦٩٨ م . بناء على رواية حيدر احمد شهاب

(٢) طنوس الشدياق صـ ٣١٩.

ففعلوا فانكسر الأمير يوسف بمسكره فى النبطية وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة رجل » (١)

وفى عام ١٧٧٣ ظهرت النفرة بين الأمير يوسف وعثمان باشا فأتى الوزير بعسكره الى القرعون وخيم فى صحراء برّالياس » وتحارب الفريقان ولم ينتصر أحد « فكتب الأمير الى ظاهر العمر والمتاولة يستنجدهم فأجابوه فقدم الشيخ على بن ظاهر المذكور والشيخ ناصيف النصار كبير بنى على الصغير بجيش وافر ونزلوا فى قرية القرعون • ولما بلغ عثمان باشا قدوم العساكر دخله الهلع والرعب وتقلقل عسكره ففر هاربا تلك الليلة الى دمشق تاركا المدافع والخيام والعلائف فى المنزلة » (٢) .

وهكذا فان خلاف العامليين مع اللبنانيين كان تقليديا كما أن ثورتهم على العثمانيين استمرت زمنا طويلا فهى ثورة على المظالم والمفاسد ثورة على القهر والاستبداد والانحراف •• ولم تكن تلك الثورة متكافئة مع الدولة فهى فى ضعف متناه من حيث العدد والعدة والدولة بقوتها الضاربة ••• يضاف الى ذلك أن اللبنانيين وجلهم من الدروز والنصارى كانوا دائما ضد العامليين يعملون للايقاع بينهم وبين العثمانيين وعلى كل حال فهم لم يتحالفوا أبدا مع العامليين فهم اما مع العثمانيين أو مع الأوروبيين ••

أما ولاة دمشق وصيدا من العثمانيين فكانوا يستعينون بأمراء اللبنانيين للقضاء على العامليين وخاصة عندما كان العامليون يتحالفون مع الفلسطينيين وبالأخص أيام ظاهر العمر ففى عام ١٧٤٢ م اجتاح سليمان باشا والى دمشق جبل عامل وهو فى طريقه لتأديب ظاهر العمر الا أن المصائب التى لحقت بجبل عامل تفوق مصائب الحرب فيما لو كانت مع أهاليه » وفى « عام ١٧٣٨ م زحف ابراهيم باشا المظم والى صيدا بعد مضايقات شتى على بلاد الشقيف وقتل الشيخ أحمد الفارسى الصعبى وبعض — أولاده » (٣) .

---

(١) طنوس الشدياق صـ ١٤٢ وقد ذكر الشيخ على الزين هذه المعركة على أنها عام ١٧٧١ م •

(٢) المرجع السابق صـ ٣٣٥

(٣) على الزين صـ ٤١١

(٣)

العامليون والفلسطينيون

لم يكن بين العامليين والفلسطينيين معارك تذكر فالعداء لم يكن مستفحلا بين الفريقين والخصومة لم تكن متمكنة فى نفوس القوم كتمكنها فيما بين اللبنانيين والعامليين فقل أن تسمع بوجود معارك مع الفلسطينيين اللهم الا ما كان فى عهد الجزار أما فى عهد ظاهر العمر فهناك معارك محدودة وسرعان ما تتحول الى معاهدات وتحالفات ففى عكا وقع ناصيف النصار زعيم العامليين اتفاقية مع ظاهر العمر عام ١١٨٠ هـ ١٧٦٥ م . (١) وبعد عام من تلك الاتفاقية عكر صفو العلاقات بين الفريقين ظهور أطماع ظاهر العمر عندما أحس أن العامليين فى خلاف مع بعضهم فبعث الى ناصيف النصار يطلب منه التنازل عن بعض القرى الحدودية (يارون والبصة) زاعما أن هاتين القريتين تابعتان لفلسطين " فارسل له ناصيف الجواب بالرفض وأغلظ له القول ومن جملة ذلك قال له : لا تظن أننا نظير سوانا فوالله أنا عندنا مقابل سيفك سيوفا أحد منه وبازاء كيدك مكائد كثيرة فالأولى بك أن تدعنا غافلين عنك باعتدائك على جيراننا والآن والله العظيم انك تندم لأننا نحن طالما بغى علينا فانتصفنا من الباغى وعاهدنا فقمنا بعهدنا وكنا من أعظم أنصار أصحابك فدونك الأمرين أنت ورأيك ونحن نرى فيما يبدو منك والسلام "

الا أن الحرب اشتعلت بين الفريقين وانتهت بهزيمة ظاهر العمر الذى خسرماية وخمسون قتيلا بينما خسر العامليون عشرين قتيلا ... ثم عقدت بعد ذلك معاهدة صلح اسقط بموجبها ظاهر العمر ربع الميرى المقرر على جبل عامل " ففرح المتاولة بذلك لأن الباشا كان يكرههم للدين ويعدهم من الروافض" (٢)

والجدير بذكره أن هذه المعركة واسمها معركة دولاب طربيخا قد أذكت روح الأدب عند العامليين وفتقت قرائح الشعراء وبرز فى مدحها كل من ابراهيم يحيى وابراهيم الحاريصى كما سنرى فيما بعد .

ومن ثم فاننا نرى أن ظاهر العمر والعامليين كانوا بعد ذلك فى حلف شبه

---

(١) على الزين صـ ٤٤١

(٢) تاريخ ظاهر العمر لميخائيل نقولا الصباغ صـ ٣٩ ــ ٤١

دائم ولم يعكر العلاقات مع الفلسطينيين الا ما كان على عهد الجزار الذى " تابع حملته على العامليين بجيش مؤلف من الأكراد والاتراك وأعلى السيف بهم واستباح أعراضهم ونهب أموالهم ••• وكانوا يبيعون المرأة بعشرة مصارى وكان الرجال يساقون الى عكا حيث ينتظرهم الموت على الخازوق وقد سيطر فى عهد الجزار الخوف والجزع والذعر الشديد " (١)

أما فى القرن العشرين فقد تغيرت المقاييس وانقلبت المفاهيم وسيطرت الأفكار القومية على العامليين والفلسطينيين مما وقد تلوثت العلاقات بهذا اللون المشترك فالنضال ضد الدخلاء موحد اذ أن الشعور القومى والدينى واحد فوقف العامليون جنبا الى جنب مع الفلسطينيين فى كفاحهم ضد الفرنسيين والانكليز والصهاينة فيما بعد واستمرت الملحمة قائمة بين الشعبين حتى يومنا هذا ولا داعى للدخول فى التفاصيل اذ أن الشعر العاملى سوف يعكس هذا الاتجاه عندما نتعرض له فى اتجاهه القومى وهو الذى يترجم أحاسيس العامليين ومشاعرهم تجاه اخوانهم •

(٤)

علاقات العامليين مع مصر

كان كل من على بك الكبير وظاهر العمر والعامليين يعتبرون فى عداد الخارجين على الدولة العثمانية • لذلك كانت الدولة عن طريق ولاتها تتحين الفرص لضرب هؤلاء وكان عثمان باشا والى دمشق يترصدهم ولما علم أن ظاهر العمر يحاصر ولده على فى عكا زحف تجاه فلسطين لضرب ظاهر والعامليين الا أن ظاهر استنجد بعلى بك الكبير فأرسل له حملة بقيادة اسماعيل بك عام ١٧٧٠ م وقد تمكن عثمان باشا من محاصرة اسماعيل بك الا أن ظاهر والعامليين بقيادة ناصيف تمكنوا من فك الحصار والحاق الهزيمة بعثمان باشا الذى ولى الادبار وعاد الى دمشق •

---

(١) العرفان م ٢٨ ص ٨٣٢ وثيقة الركيتى

" ثم زحفت السناجق المصرية وظاهر العمر ومشايخ المامليين الى المزيريب لقطع الطريق على عثمان باشا الذى كان متجها الى الحاج ولكن اسماعيل بك أحجم عن القتال متذرعا بحجة واهية فانتهت هذه الحملة دون أن تجرى المعركة بينهم " (١)

وقد تعززت العلاقات مع مصر فازدهرت التجارة " بين صور ودمياط فى مصر فقد ذكر أن جرجس مشاقة كان يتعاطى تجارة التبغ ويصدرها الى مصر • وقد تمكنت صلته بمشايخ آل الصغير حكام بلاد بشارة والشقيف الشيعيين حيث كان يشترى منهم — حاصلات أراضيهم الواسعة من التبغ وفى ١٧٥٧ م اضطرته المصلحة أن يقوم من صيدا الى صور فانتقل اليها لتسهيل تجارته مع مشايخ الماملبين المتاولة القاطنين فى جوارها والذين لهم من أغلالها النصيب الوافر مثل التبغ والحبوب والأخشاب " (٢)

---

(١) المقتطف م ٢٨ صـ ٣٧٦
(٢) مشاقة صـ ٦

هذه صورة موجزة عن الحياة السياسية لجبل عامل فيما قبل القرن العشرين نستشفها من تلك الاخبار الموجزة التى استقيناها من بطون كتب التاريخ ونعود لتلخيصها كالآتـــى :

علاقات سيئة فى الغالب مع اللبنانيين وجيدة فى الغالب مع الفلسطينيين وحسنة مع المصريين وسيئة جدا مع العثمانيين الا أن حياة العامليين ما كانت تعرف طعم الاستقرار والهدوء والطمأنينة فأيديهم دائما على الزناد وسيوفهم مسلولة • هذا ومن جهة أخرى كانوا يخضعون لحكم أصحاب النفوذ من مشايخ العائلات الاقطاعية التى ذكرنا أبرزها فيما تقدم •

ومع مطلع القرن العشرين وبداية سقوط الدولة العثمانية شهد جبل عامل تغيرا ملحوظا على صعيد الزعامة وعلى صعيد الكفاح فقد نشأت فى الجنوب جمعيات عاملية تزعم أبرزها عبد الكريم الخليل وغيره وكان هدفها الاجهاز على الفلول العثمانية وتحقيق الاستقلال الذاتى لا لجبل عامل وحده بل للبنان الموحد ••• وكذلك ظهر الى جانب العائلات التقليدية عائلات أخرى كآل عسيران والخليل والعبدلله وسواهم كما ظهرت الأحزاب السياسية المختلفة فهناك أحزاب هى أشبه ما تكون بالجمعيات كحزبى النهضة والطلائع فالأول لآل الأسعد والثانى لآل الخليل وعسيران • وهناك أحزاب أخرى ماركسية وقومية ودينية تأسست فى جبل عامل كالحزب الشيوعى والبعثى وحركة القوميين العرب والاخوان المسلمين وحزب التحرير الاسلامى والقوميين السوريين الى جانب عدد كبير من الجمعيات والنوادى • أما بعد الخمسينات فقد تغير الوضع حيث أضيف الى تلك الاحزاب تنظيمات فلسطينية جديدة كفتح ومنظمة التحرير الفلسطينية والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والصاعقة وحزب العمل الاشتراكى والبعث ولهذه التنظيمات أجنحة عسكرية وأخرى سياسية وكلها فى جبل عامل •

عودة قليلة الى الوراء نرى أن العامليين حاربوا العثمانيين كما حاربوا الفرنسيين وحربهم للفرنسيين كانت تتسم بالدقة والشراسة لدخول عوامل جديدة للحرب والسياسة فبرز على عهد العثمانيين نمر الفاعور وعلى عهد الفرنسيين صادق الحمزة وأدهم وأدهم هذا كان الشرارة الاولى لثورة الدروز على فرنسا وهى ما تعرف بالثورة السورية

وبعد اعلان دولة لبنان الكبير ضم جبل عامل رسميا للبنان ولكنه بقى فى مؤخرة الركب وعانى الكثير من الحرمان مما دفع بشباب جبل عامل للانخراط فى الأحزاب الثورية التى تؤمن بالعنف الثورى كما سبق والمساهمة فى تأسيس الجمعيات والنوادى •

هذه خلاصة الحياة السياسية وانعكاساتها فى جبل عامل وهى نفسها الباعث والمحرك لقرائح العامليين ولسوف نلمس آثارها فى نتاج جميع الشعراء العامليين الذين سجلوا بعدساتهم الفكرية كل خلجة من خلجات قلوب العامليين كأصدق ما يكون التصوير والتسجيل فتراهم يبكون "ويضحكون" ويثورون ويتحمسون •• يهجون ويرثون وهذه هى طبيعة الشعراء وما أكثرهم فى جبل عامل قديما وحديثا •

أما فى عصرنا الحديث أى فى القرن العشرين فقد تلونت علاقات العامليين مع جميع أشقائهم فى الداخل والخارج بلون كفاحى قومى وطنى فهم مع الجميع ضد العدو المشترك • الاستعمار والصهيونية وقد تطورت علاقاتهم مع المصريين فزينب فواز عاشت فى كنف المصريين ومارون النقاش وجرجى زيدان ومحمد سليمان جواد فكل هؤلاء العامليون زاروا مصر وعاشوا فيها ثم اتجه العامليون الى مصر كطلبة علم وقويت العلاقات وهى مازالت وستبقى مستمرة الى ماشاء الله •

— ب —

الحياة الاجتماعية فى جبل عامل

اذا كانت الحياة الاجتماعية لأى شعب من الشعوب هى مجموعة العادات والتقاليد والأعراف المتبعة فى الحياة اليومية لهذا الشعب والتى تتحكم فى علاقات الناس مع بعضهم البعض فى الأفراح والأحزان وما يدور فى فلك هذين الاحساسين من مشاعر وانفعالات فان جبل عامل كجزء من الأمة العربية لا يختلف بكثير أو قليل عن أقطار هذه الامة وعلى الأخص عن فلسطين وسوريا ولبنان والاردن فالقوانين أو الأعراف التى تربط الجار بجاره والقريب بقريبه والأب بأبنائه وذوى رحمه والكبير بالصغير والتى تنظم العلاقات الأسرية ما بين الزوجة وزوجها وتربط الأسرة بروابط الحب والتقدير وتنظم طقوس الزواج والطلاق والعادات المتبعة فى الأعياد والمواسم والزيارات وما شابه ذلك هى نفسها المتبعة فى الأقطار المجاورة مع بعض الاختلاف الجانبى الذى لا يمس الجوهر . وقد عايشت جماعات عربية متباعدة فى المشرق العربى والمغرب وما بينهما فى مصر والسودان فوجدت أن العادات العاملية هى صورة عن عادات وتقاليد أشقائنا العرب . الا أن هناك عادات مستجدة طرأت على العامليين مع المذهب الدينى وهى تشبه الى حد ما طرق الصوفية فى البلاد الأخرى فالعامليون لا يتزوجون ولا يقيمون الأفراح فى الأشهر الحرم لما لها من قداسة وعلى الأخص فى شهر المحرم الحرام وصفر وأيام عاشوراء وهى العشرة الأول من شهر محرم . ففى هذه الأيام يخرج العامليون الى المساجد والنوادى الحسينية . فيقيمون المآتم ويبكون الحسين وأهل بيت رسول الله . ويندبون . ويلطمون . ويلبسون السواد . حدادا على أهل البيت . ويخرجون لزيارة قبور موتاهم التى يبنون عليها غالبا . ولم تعد عادة البناء على القبور مختصة بالعامليين وحدهم . فهى منتشرة فى مصر والشام والعراق وقلت بأن هذه العادات طارئة لأن عصرنا هذا يشهد عزوفا عنها واقلاعا عن مثلها خاصة وأنها ليست أصيلة بل انها دخلت نتيجة حوادث طارئة عصفت بالاسلام والمسلمين فى يوم من الأيام .

أما ما تبقى من عادات فهى مشابهة لعادات وتقاليد أشقائنا العرب .

كان المجتمع العاملى ينقسم الى ثلاث فئات أو طبقات :

١ ـ الأعيــان •

٢ ـ رجال الدين •

٣ ـ عامة الشعـب •

أما الأعيان فهم الزعماء المحليون من أبناء العائلات وخواصهم من مقاطعجيــة وملتزمين ومشايخ ووكلاء عينوا من قبلهم •

وكان الاقطاعي ينفذ فى عامة الشعب أحكامه " غير أنهم لم يكونوا عبيد الأصحاب الاقطاعات ارقاء لهم " (١) •

وأما رجال الدين فهم السادة والشيوخ المجتهدون والسادة من أهل البيت والشيوخ المجتهدون فهم من عامة الشعب ••• درسوا العلوم الدينية والفقهية وكان — لهؤلاء العلماء سلطة كبرى على عامة الشعب والزعماء على حد سواء •"

وأما عامة الشعب فهم الطبقة المسحوقة المحرومة •• وهم الذين يدفعــون الضرائب على شكل (ميرة — حلاوة — عيدية — هدية — سخرة) كل ذلك من أعمالهم بالزراعة وان تبقى لهم شئ" والا فيعيشون فى ضنك وحرمــان مطلــق ••• (٢) •

وحكاية الضريبة هى حكاية الانسان المغلوب على أمره الخاضع لصنوف الــذل والارهاب فالميرة هى الضريبة التى يدفعها المواطن على الأرض حسب مساحتها وكثيرا ما كانت هذه الضريبة ترهق كاهل الفلاحين مما يضطرهم للتنازل عن الأرض الى رجــال الاقطاع وهؤلاء بالتالى يتهربون من الميرة بالطرق الملتوية ويتحول المزارع من مالــك الى أجير يعمل بقوته وقوت عياله ••• والحلاوة هى ما يترتب على المواطن عندما ينجب ولدا فانه ملزم بدفع الحلاوة الى ذوى الشأن وان كان الالزام لا يأخذ شكلا الا أنه تبعا للعادات والتقاليد يصبح المتهرب عرضة للسخرية من الجميــع ••• والعيدية تحمل معناها ففى الأعياد يهرع الناس الى البيك أو الباشا محملين بالهدايا ••

(١) (٢) فرنسوا فولتى — سوريا ولبنان وفلسطين فى القرن الخامس عشر — تعريب حبيب السيوفى — المطبعة المخلصية ١٩٤٩ م ص ٩٢

أما السخرة فهي " واجب " يقوم به المواطنون من زرع وحصاد وجني للمحصول في حقول الوجهاء والزعماء وأبناء العائلات .. هذه كانت تأخذ طابعا اجتماعيا باستثناء الميري فانها للدولة وكذلك نفقات اطعام الجنود وخيولهم أثناء الحرب والسلم على السواء عند مايرابطون على الحدود .

وهناك ضريبة من نوع آخر غريب بل هي قرصنة " مشروعة " وذلك أن بعض القبائل العربية والبدو في حوران كانوا يقطعون الطرقات وينهبون ولكي يكفوا اذاهم عن الناس في القرى كان المواطنون يدفعون لهم ما يسمى بالاتاوة وهي ما تعرف ايضا باسم " الخوة " كل ذلك بسبب غياب الدولة .. والويل ثم الويل لمن يرفض دفع هذه الضرائب .

كل ظروف القهر تلك كانت تطبع في قوالبها مجتمعا متذمرا متأففا ثائرا عندما تتاح له الفرصة . وكثيرا ما كان يظهر الابطال من صفوف الفقراء يثورون على الدولة وعلى رجال الاقطاع كنمر الفاعور في حولا ، وصادق الحمزة في سواحل صور ، وأدهم خنجر في الزريرية وسواهم ...

واذا كان لا بد من الاسهاب قليلا في الكلام عن العادات والتقاليد الاجتماعية في جبل عامل فلأنها كانت الملهم للشعراء وسنأتي على ذكر تلك العادات في السطور القليلة القادمة ، ومن ثم فاننا سوف نقرأوها في أشعار العامليين وأزجالهم ...

والحياة هي ما تنفرج عنه الطبيعة من فسحة ما بين الولادة والموت وكل مايدور في هذه الفسحة القصيرة هو عمل ارادي يقوم به الانسان ثم يتشكل بأشكال مختلفة فهو يبكي ساعة ولادته ولكن أهله يضحكون ولعله يضحك ساعة موته ولكن أهله يبكون وحكاية الضحك والبكاء تلك لها مستلزماتها فعادات العامليين عند الانجاب كعادات معظم الشعوب ابتهاج بولادة الذكر وامتعاض وفتور عند ولادة الأنثى ... يختن الطفل أو تظهر أسنانه فيحتفل الاهل ببساطة حيث يصنعون أنواعا معينة من الطعام للاصدقاء والأقارب ...

يختم الطفل القرآن الكريم فيقيده الشيخ ببعض " شالات حريرية ويرسله مع كوكبة من الأطفال لأهله ويأمرهم بالا يسمحوا لهم بفك " قيوده " الا عندما يحملونهم هدية " الشيخ أولا وهي قد تكون سكرا أو شايا أو بعض الحلوى أو كرشا " أو نقودا

أما الطفل فيكون له " نقطة " فيمنحه أبوه بعض مايملك وكذلك تصنع أمه ابتهاجا به ...

عندما يشب الواحد من العامليين فانه يسمح له بمخالطة النساء وعلى الطريقة المتبعة فى الريف المصرى حيث يتمكن من اختيار شريكة حياته والأفضل أن تكون تلك الشريكة من بنات العم أو الخال ...

ثم تتم الخطبة فالعرس والمهر عادة ما يكون مقبولا فلا مبالغة فى المهور عند العامليين اقتداء بقولة (ص) " خيار كن أقلكن مهورا " وتعقد حلقات الدبكة التى يحضرها الجميع وبعض العامليين كانوا يطلبون من العريس " عمدة " حتى يسمحوا له بنقل العروس " والعمدة " عبارة عن حجر ثقيل على العريس أن يحمله لبيان مقدار قوته واذا فعل يأخذونه للحمام ثم يزفون له عروسته .

ولا بد من النقطة " وهى ما يقدم للعروسين من هدايا نقدية وغير نقدية كعربون للصداقة بين العريس وأصدقائه وهناك عادة فى جمع هذه النقطة كأن يقف أحد المعروفين عندما يتلقى أول " نقطة " حيث يرفع عقيرته مناديا " شوباش فلان دفع كذا .. فيتبعه الآخرون فيدفع كل منهم ما تيسر . وهذه تذكرنا ببعض العادات المصرية والسلام المربع .

وفى ليبيا يحمل والد العريس دفترا يسجل فيه أسماء " النقطين " وقيمة ما دفعوه ويحتفظ العريس بهذا " السجل " ليقوم بسداده فى المستقبل وهكذا ....
فالأعراس العاملية هى أعراس عربية بالمعنى الصحيح .

وفى حلقات الدبكة يقوم المصلحون بدور هام للصلح بين المتخاصمين فالكل " يقطرون " بالدبكة واذا أحس الناس أن هناك اثنين من المتخاصمين فى الدبكة فانهم يفرطون العقد تدريجيا حتى يصبح المتخاصمان جنبا الى جنب واذا فشلت المحاولة فانها تتكرر حتى تتم " الصلحة " ... وليست الدبكة فى جبل عامل وقفا على مناسبات الأعراس ففى كروم العنب والتين وفى الأعياد تنعقد حلقات الدبكة حيث الصبايا والشباب وكبار السن أيضا فالفرح لا حدود له فى السن ويتبارى الشعراء والزجالون بالأغانى فالدبكة لا تنعقد بغير " المجوز " والشبابة وعلى وقع ألحانهما الشجية العذبة تتعالى الأهازيج وترتفع الأصوات بالأغانى الشعبية المحبوبة ......

وعلى ذكر كروم العنب والتين فلا تحدد مواسمهما الاجتماعية بمواسمهما الانتاجيــــة فمواسمهما الاجتماعية تمتد طيلة فصلي الربيع والصيف وبعضا من الخريف من أواســـط نيسان حتى أواسط تشرين الأول وفي الصيف ينتشر العامليون في حقولهم يتعاونون فـــي الحصاد كما يتعاونون في الزرع ولا تجد في فصل الصيف من يقعد في البيت الا المقعد والطفل فكلهم كخلية النحل في عمل دائب متواصل فمن حصاد " الشكارة (١) التـــي " دراستها " ... ويطلق على شهور الصيف في جبل عامل اسم "القيضية" أما الآبار فغالبا ما تكون " شراكة " بين العائلات في الضيعة حسب التوارث فلكل حسب ما أورثه والده جرة أو جرتان يوميا أو كما يتفق الشركاء ذلك أن الأب يحفر بئرا وقبل أن يمـــوت يورثه لأولاده فليس باستطاعة أي واحد أن يحفر بئرا لكثرة التكاليف ويكون ذلك البـــئر بين الأولاد والبنات مقسما على الطريقة الاسلامية في الميراث فللذكر مثل حظ الانثيين فللولد جرة وللبنت نصفها أو للولد جرتان وللبنت جرة وهكذا ... ثم تتفرع الأسهـــم ولا يفتح البئر الا بحضور الجميع ومرة واحدة في اليوم ..

وكذلك فالزيتون يورث ويقسم بنفس الطريقة وقد تجد خمسين شريكا على زيتونــــة واحـــدة ..

وعندما يتم جني المحصول من القمح والشعير والذرة يستعد الفلاحون لموســـم آخر هو موسم الطحن وللطحن موسم ، ذلك أن المطاحن لا تكون الا على مساقط الميـــاه على ضفاف الأنهار والينابيع ، وأكثر ما تتمركز تلك المطاحن على ضفاف الليطانــــي وروافده ، وعلى هذا فهي بعيدة عن كثير من القرى ، فلا يذهب الناس فرادى ، بـــل مجموعات مجموعات ولكل مجموعة دورها على المطحنة ، وهذه المجموعة متضامنة مترابطـــة فكما أنها وصلت الى المطحنة متجمعة ، فانها لا تغادرها الا كذلك ، وللطحن موعدان موعد مع نهاية الصيف وآخر مع بداية الربيع والطبيعة تغري الشباب والصبايا في الربيـــع فيبطئون في الوصول الى المطحنة لكي يتمتعوا بعطلة أطول خاصة وأن حلقات الدبــكة والغناء كانت تعقد باستمرار على المطحنة وكانت الطبيعة تشارك في اضفاء البهجة علـى الناس لامتاعهم فاعتدال الطقس وصحو السماء وصفائها واخضرار السهول والجبال التـي تكسوها الأشجار الوارفة والزهور المتفتحة والعصافير المزقزقة طوال اليوم وخرير الميـــاه المتدفقة في الاودية .. كل ذلك كان يسهم في وضع ألحان هادئة جميلة فتانة بعزفهـــا

الفلاحون البسطاء بعد الفراغ من همومهم وأعمالهم ... وأجمل أوقات الطحن كانت في الربيع حيث كان يأنس الانسان بالطبيعة كما قلنا وقد ضرب المثل في ذلك فالناس يقولون للمبطىء " طحنة ربيع " أي أنه استسلم للطبيعة واستمتع بجمالها فأبطأ لذلك .

ومن عادات العامليين أنهم يولمون في المناسبتين : الفرح والعزاء فيطبخون كل على قدر استطاعته احتفاء أو عزاء ففي الزواج أو الميلاد أو أي مناسبة سعيدة لابد من الطبخ واطعام الناس وكذلك في الوفاة فمن عادة العامليين الوصية مثل قبل الموت باطعام الفقراء ...

والحقيقة أن هذه العادات مازالت قائمة الا أن التهذيب قد أدركها مع العصر ... وعندما يموت رجل ذو شأن فان ذويه يقومون بدعوة كل القرى المجاورة لجمع أكبر عدد من الناس على اختلاف طبقاتهم ويحالفهم الحظ والشهرة اذا لبى الدعوة أحد الزعماء لحضور المأتم مما يدل على علو مكانة الفقيد وأهله . وأن هذه الدعوة تتكرر بعد أسبوع من الوفاة وكذلك بعد أربعين يوما وفيها يتبارى الخطباء والشعراء في الحديث عن مناقب الفقيد كما يتحدثون عن مشاكلهم ويعبرون عن آرائهم ومعتقداتهم كما سنرى في غير هذا الموضع ...

ويصنع أهل القرية في هذه المناسبة " محملا " وهو عبارة عن نعش صغير من الخشب يغطى بالزهور وأغصان الأشجار الخضراء تزينه صور للفقيد أو صور من فقدوا قريبا ثم يتسابق الشباب لحمل هذا " المحمل " أمام موكب يطوف القرية مستقبلا الضيوف منشدا الأناشيد والأهازيج الحزينة يتقدمهم حملة السيوف والدروع والبنادق ..... فالرقص بالسيف والترس واطلاق الرصاص عادة مألوفة عند العامليين ... وكم أمدت هذه المناسبات الشعر العاملي وأغنته غناء ظاهرا فهي معينه الذي لا ينضب وشيطانه الذي لا يكل ولا يمل ... وأن معظم الشعر العاملي في الرثاء ان لم يكن كله وليد هذه المناسبات . ولا نريد أن نستبق الفصول الآتية الا أننا نقول بأن هذه المناسبات كانت ومازالت تشكل المشجع الاول لشعراء جبل عامل والمعلم الأول للخطباء والأدباء ... والشاعر أو الخطيب ما كان ينجو من ألسنة الحضور التي تلهج بالثناء أو العكس فللناس في جبل عامل ذوق أدبي ليس بالسهل فكانوا يحفظون الشعر الذي يقال في هذه المناسبات ويرددونه ويتناقلونه على طريقة الرواة القدماء ...

وفى الشتاء يلتقى الناس فى البيوت حيث تستفحل البطالة فيتحلقون حول المواقد والكوانين والدواخين ... (١) . فالرجال يجلسون حول النار وخلفهم ضمائنهم أى نساؤهم فيتناشدون أشعار عنترة والمهلهل ويقرأون قصص هذين الشاعرين الفارسين قصص الزير سالم .. هاتفين بحياة الأبطال الصناديد ! يتباهون أمام نسائهم اللواتى يجلسن على مقربة من الأبقار التى تترابط فى الاسطبل وهى تجتر ما أكلته من تبن وشعير الى جانب حمار قد يقلطع قارئ قصص الزير بنهيق يحمل الحضور على الصمت بانتظار أن ينتهى ذلك الحمار " معزوفته " ومن يدرى فلعله يبدى اعجابه بعنترة والزير والمهلهل ... ؟

وكثيرا من سهرات العامليين الشتوية ما تدور حول بطولات الامام على فى صراعه مع الكفار واليهود والأمويين وحب رسول الله له ... فينفسون عن أنفسهم بسب بنى أمية والنيل منهم ... وقد يتحدثون عن زعمائهم ان ذما فذم وان اطراء فاطراء والحق أن هذه الجلسات كانت تختلف من مكان لآخر فهى رهن بالنوعيات فجلسات العلماء والمتعلمين تختلف عن جلسات الفلاحين والبسطاء .. فهناك ندوات دينية وأخرى شعرية سنتعرض لها فى ثنايا حديثنا عن الشعر العاملى فيما بعد ..

وكان العامليون كغيرهم من العرب يؤمنون بالحسد فهم لذلك " يحترسون " من الحساد بحجابات وكتب يضعها لهم الشيوخ المتخصصون ...

أما روح التعاون فكانت واضحة عندهم ومازالت كذلك .. تتجلى تلك الروح أيام الحصاد والبناء وما شابه ذلك ... وكانوا " يفزعون " عند " دبة الصوت " أى الاستغاثة وطلب النجدة .. (٢)

ولكل قرية عاملية بيرق وعدد من الصنوج يخرجون بها فى القتال والويل للقرية التى لا بيرق لها فهى تذوب فى غيرها ولا شخصية لها وهذا عيب يخشاه العامليون ويتحاشونه فكانت القرى تتنافس على اقتناء البيارق والطبول كما وكيفا ..

هذه هى حياة العامليين وهذه هى عاداتهم وتقاليدهم وما حياتنا اليوم الا امتداد لحياة آبائنا وأجدادنا وكذلك فعاداتنا وتقاليدنا امتداد لعاداتهم وتقاليدهم مع بعض التغيير والتحوير الذى يلائم روح العصر الحديث .

---

(١) الدواخين جمع داخون وهو المدخنة المصنوعة من الطين فى احدى زوايا البيت الريفى
(٢) دبة الصوت تعبير يطلق على طلب الاستغاثة عندما يدهم اللصوص قرية أو مكانا ما

وحياة العامليين الاجتماعية قاعدة أساسية لشعرهم وأدبهم فالشعر انعكاس للحياة اليومية فما من عادة الا وصاغها العامليون شعرا وما من تقليد أو ميراث الا وكان امدادا لمدد من القصائد والدواوين الكثيرة . وسوف نرى ذلك عندما نعرض لأغراض الشعر العاملي في صوره المختلفة وعصوره المتباعدة وعلى الأخص في القرن العشرين الذي جعلنا رسالتنا وعاء له . "

ا ـ البيـدر

وعندما نذكر البيدر العاملي نذكر معه الكثير والكثير من القصص والأحاديث وتنبعث الذكريات الريفية الشعبية وكأننا في مربدي البصرة والكوفة أو في سوق عكاظ فالبيدر مسرح الأماني للكثيرين وهو الملتقى والمرتجى ومعقد الآمال .. عليه تعقد حلقات الدبكة وعليه تدار الندوات الأدبية والدينية بشكلها البسيط .. وهنالك تصفى الحسابات القديمة وتسدد الديون .. فهو الموسم ومجمع المواسم فعليه تتكدس الغلال التي طالما شقى الفلاح من أجلها طول العام فعليه تلتقى التناقضات فاما أن يخصب فأل الفلاح واما العكس وذلك راجع لتقلبات الطبيعة من جدب أو اخصاب فعندما يقبل الموسم يستطيع الفلاح أن يسدد جميع ديونه وعندما يجدب يقع العجز وذلك غاية ما يخشاه المزارع وعليه ضرب المثل الشعبي المعروف :

" حساب الحقلة ما خبط على حساب البيدر " يعني أن ما استدانه الفلاح كان أكثر من انتاجه وهذا المثل يقودنا الى بعض الأمثال الشعبية المألوفة لدى العامليين ولها دلالاتها النفسية الكثيرة :

ب ـ الأمثـال

" على قد بساطك مد جريك " أى رجليك (١) " وفى أذار طلع بقرك عالدار واطعم جزرك للحمار (٢) " شباط ماعليه رباط " (٣) " عرج الجمل من مشفتو (٤) " الضرة مرة (٥) الضيف يأتى ويأتى معه رزقه " " الجار ولو جار "

" شوالرياحة والزرع واقف (٦) " شرط فى الحقل ولا خناقة عالبيدر " (٧) " رغيف برغيف ولا يبيت جارك جوعان " (٨) " دعوا الحمير للعرس فقالوا النقل الحطب أو لجلب الماء " (٩) " الجود من الموجود " " الجمل بنية والجمال بنية ونية الله تغلب كل نية " " حاكمك خصمك " " حبل الكذب قصير " " حمل السلم بالعرض " " بنت الدار عورا " (١٠) " جارك القريب ولا أخوك البعيد " (١١) .

وهذه الأمثال تلقى الاضواء على نفسيات وأخلاق العامليين اهتمام بالجار ترحيب بالضيف .. تجسيد للكرم والشهامة والمروءة ... تفاؤل بالمستقبل ... كره للحاكم ... حقد على الطبقات المترفعة .. ايمان بالله ... تمسك بمكارم الأخلاق حب للوطن ... دعوة للعمل ..

شرح الأمثال :

(١) مأخوذ منه قول الشاعر : على قدر البساط مددت رجلى

(٢) آذار هو مارس وفيه تزول حدة البرد واخراج الأبقار الى الدار تعنى ذلك حيث لا ضرر عليها

(٣) شباط هو فبراير وهذا الشهر معروف بتقلباته الجوية المفاجئة والرباط هو القيد ويرمز المثل الى فقدان الثقة .

(٤) لايعرج الجمل من شفته ويضرب هذا المثل لمن يحتال فى اختلاق الأعذار الواهية .

(٥) الضرة هى الزوجة الثانية

(٦) الرياحة : الراحة ويضرب هذا المثل لمن يريد تأجيل أعماله فيلحقه بذلك الضرر فهو اذن دعوة للنشاط والاستعداد لحصاد الموسم

(٧) يعنى أنه على عمال الحصاد أن يتفقوا مع صاحب الزرع قبل بدء عملهم على شروط العمل ولا يتركون ذلك حتى نهاية الموسم

(٨) لامانع من قرض جارك رغيفا واستعادته وذلك أفضل من تركه جائعا

(٩) يضرب عندما لايدعى البعض الا وقت الحاجة

(١٠) يضرب مثلا للشاب الذى يعزف عن الزواج من قريبته الحسناء ويقترن بأخرى لايرضى بها أهله

(١١) راجع الأمثال الشعبية فى خطط جبل عامل لمحسن الأمين

الفصـــل الثالـــث

الحركة العلمية والثقافيـــة

اهتم العامليون ـ قديما وحديثا ـ بالحرف فهم ينظرون الى العلم نظـرة فيها الكثير من القداسة ، ويجلون العلماء غاية الاجلال ، ويستكثرون منهم عن طريـق تشجيعهم ، فالعلم عندهم ركن من أركان الدين ، وهو لا يقل شأنا عن الصلاة والصوم فامامهم على بن أبى طالب باب مدينة العلم ، كما رووا ، والكل يسعى للتشرف بالوقـوف على عتبة هذا الباب ... وبعد هذا فنحن لا تدركنا الدهشة ولا يعترينا العجـب عندما نراهم يفاخرون بالعلم والسعى من أجله الى العراق وايران ودمشق والقاهـرة ، والى جميع أنحاء العالم فيما بعد ... ومن ثم العودة الى الديار والجلوس لتعليـم الأولاد فى الكتاتيب ـ قديما ـ تلك الكتاتيب التى كانت تكبر فتتسع للمئات من التلاميذ لمختلف المراحل . وتبعا لهذه الرغبة الجامحة لدى العامليين فى التطلع الى طلـب العلم كانت الحياة العلمية تزدهر عندما تسمح الظروف الأمنية والاجتماعية وتخبو بفعـل نفس المؤثرات أيضا . وقد تحدثنا فى غير هذا الموضع عن المدارس الكثيرة : الـتى نشأت فى مراحل زمنية وأمكنة مختلفة من الديار العاملية ولن نعود لتعدادها مـن جديد . ولا شك أن الحياة العلمية كانت مرتبطة الى حد ما بسياسة الدولـة العثمانية فانها تنمو وتزدهر وقت السلم وتخبو وتضمحل زمن الحرب والقهر والارهـاب وقد استطاع العامليون الى حد ما ـ المحافظة على مستوى معين من الثقافة لهم برغم جميع الظروف والعوامل ولو رجعنا الى الماضى لاستقصاء أخبارهم من بطون الكتـب لوجدنا أنهم قدموا للأمة العربية والاسلامية عددا لا يستهان به من الشعراء والمفكريـن ابتداء من عبد المحسن الصورى (٣٣٩ ـ ٤١٩ هـ) الى عدى بن الرقاع العاملـى الذى عاش فى العصر الأموى ومن بهاء الدين العاملى الى أبى تمام الذى تذهـب روايات كثيرة للقول بأنه من مواليد جبل عامل (١) من عيناتا ، ومن رشيد الديـن الصورى العالم والمفكر والطبيب المتوفى عام (٦٣٩ هـ) الى غيره من الشعراء والمفكرين .

وقد كانت صور قلعة من قلاع الفكر فى جبل عامل وملتقى للأدباء والشعـراء كالبصرة فى العراق . قال ابن عساكر " قرأت بخط غيث ابن على الصورى : جعفر بـن احمد بن الحسين ذو طريقة جميلة ومحبة للعلم والأدب وله شعر لا بأس به وخرج لـه

(١) عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن ابى أصيبعه تحقيق نزار حنا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ هامش صـ ٦٥١

شيخنا الخطيب فوائد وتكلم عليها فى خمسة أجزاء وكان يسافر الى مصر وغيرها وتردد الى صور عدة دفعات ثم قطن بها زمانا وعاد الى بغداد وأقام بها الى أن توفى "كتبت عنه" ولم يكن به بأس" وله تصانيف منها مصارع العشاق ــ كتاب زهر السودان • ونظم أشعارا كتبوه فى الزهد والفقه وغير ذلك •

قال الصورى : قال لى : ولدت سنة تسع عشرة وأربعمائة وسمعت الحديث ولى خمس سنين وقرأت بخط أبى المعمر الانصارى توفى جعفر السراج فى حادى عشر عن صفر سنة خمسمائة ودفن بمقبرة باب آبرز وكان ثقة • (١)

وقد لمع اسم جبل عامل قديما وحديثا فكان مقصدا لطلاب العلم والمعرفة ومنارة لشعوب المنطقة وقد كثرت فيه المدارس التى تخرج منها الكثيرون وممن أموا جبل عامل قديما الطبيب الشهير داوود بن عمر الانطاكى يقول "ثم لما خرجت فى رفقة كرام نؤم بعض المدن من سواحل الشام حتى اذا صرت فى بعض ثغورها المحميه دعتنى همة عليه أو علوية أن أصعد منه جبل عاملة فصعدته منصوبا على المدح وكنت عاملة وأخذت عن مشايخها ما أخذت وبحثت مع فضلائها فيما بحثت (٢) •

جاء فى الجزء السابع من معجم الآداب مايلى : "احمد بن على بن ثابت أبى أحمد بن مهى (الخطيب) أبو بكر البغدادى الفقيه الحافظ أحد الائمة المشهورين المصنفين المكثرين والحفاظ المبرزين ومن ختم به ديوان المحدثين ••• فقصد صور فأقام بها وكان يتردد الى القدس للزيارة ثم يعود الى صور الى أن خرج من صور فى سنة اثنين وستين وأربعمائة وتوجه الى طرابلس وحلب (٣) •

كما جاء فى المعجم : "حدث أبو سعد السمعانى : قرأت بخط والدى : سمعت أبا الحسين بن الصورى ببغداد يقول أكثر كتب الخطيب سوى التاريخ مستفاد من كتب الصورى • كان الصورى بدأ بها ولم يتمها وكانت للصورى أخت بصور مات وخلف عندها اثنى عشر عدلا مخروما من الكتب فلما خرج الخطيب الى الشام حصل من كتبه ماصنف منها كتبه (٤)

---

(١) معجم الادباء لياقوت الحموى ج ٧ ص ٢٥٣ طبعه مصر
(٢) المحبى خلاصة الاثر ٢ / ١٤١ مكى ص ٧٠ وداود الانطاكى المذكور طبيب أعمى مشهور اقام فى مصر وزارة الشام توفى فى مكه (١٠٠٨ هـ ١٥٩٩ م)
(٣) معجم الادباء لياقوت الحموى ج ٤ ص ١٥
(٤) " " " " ج ٤ ص ٢٢ ـ ٢٣

وفي الحديث عن شهرة جبل عامل يقول على الزين : " ... وهو اسم شائع في الأقطار الشرقية عند الشيعة الامامية في الهند وايران والعراق وبعض الحجاز وذلك بما كان لأهل هذا الجبل من التقدم العلمي وبما أخرج من العلماء على مذهب الامامية الجعفرية حتى كانت مؤلفاتهم تدرس في كل مدارس الشيعة في سائر الأقطار الى اليوم وأصبح اسم جبل عامل في سائر الأقطار رمزا عندهم للعلم والتقى " (١)

ويقول صاحب الدر المنثور في ترجمة والده الشيخ محمد زين الدين المتوفى سنة (١٠٣٢ هـ) " لما سافر والدي الى العراق كان عمري ست سنين ووقع على بلادنا فتور عظيم احترق لنا فيه ألف كتاب " ثم يقول في مكان آخر : " جزى الله عنا سوء الجزاء من حرمنا من الكتب التي كانت عندنا (من أجدادي ووالدي) وقد وقع عليها الفتور غير مرة منها قرب ألف كتاب احترقت وأنا اذ ذاك ابن نحو سبع سنين وثمان حرقها أهل البغي . واما سافرت الى العراق كان الباقي لنا في الجبل ودمشق وغيرها ما يقرب من ألف كتاب وأكثرها منه ما أخذه الناس ومنه ما تلف من النقل والوضع تحت الأرض والباقي نحو مائة كتاب وصلت الى بعد السعي التام " (٢)

ويرجح الشيخ على الزين أن هذه الكتب أحرقت أو نهبت على يد فخر الدين المعني عندما نهبت قرية الكوثرية عام ١٠٢١ هـ و ١٠٢٢ هـ (٣)

أما في العهد العثماني فبالرغم من جميع المضايقات لأهل الفكر وبالرغم من الاضطهاد الفكري والارهاب المذهبي فقد نشطت الحركة الفكرية في جبل عامل وبرز الشعراء والعلماء وغزر نتاجهم في شتى الميادين ولم تتوقف عملية انتاجهم يوما قط .

يقول الشيخ على الزين : " أن الباحث ليشعر عند تاريخ الحركة العلمية في هذا العهد ان مدارس جبل عامل قبل احتلال العثمانيين لسوريا كانت عامرة

---

(١) على الزين للبحث عن تاريخنا في جبل عامل صـ ١٥٩
(٢) " " " " " " " ص ٢٩٩
(٣) " " " " " " " ص ٢٩٩

بالتلاميذ والاساتذه والعلماء من الشيعه ولم يكن هناك مايوجب خوفهم أو تسترهم كما أصبحت الحال بعد انقضاء عهد المماليك وعهد بنى بشاره واحتلال بنى عثمان وتنازع الرياسه العاملية بين آل منكر وآل شكر وآل على الصغير فان الحال قد اختلفت كثيرا عما كانت عليه قبل ذلك اذ بتنا نرى تقلص هذه المدارس الشيعية ونرى تشتت علمائنا وأدبائنا بين مستتر فى بيته وقريته أو مهاجر الى ايران أو الحجاز أو العراق أو لائذ بجبال التقيه كما يستفاد من تاريخ الشهيد الثانى وذريته الى عهد حفيده الشيخ زين الدين المتوفى بمكة سنة ١٠٦٤ هـ ومن حال الشيخ حسين عبدالصمد والبهائى والكركى وغيرهم من لجأوا الى ايران أو العراق أو الحجاز أو ترددوا بين هذه الاماكن على أن الشئ الذى يستوجب البحث والتدقيق من تاريخ علمائنا أو أدبائنا فى هذه الفترات المحرجه هو أن صلتهم بايران كثرت واتسع مداها وكادت أن تنحصر بداية ونهاية بعهد الملوك الصفوية أخصام الملوك العثمانيه الذين بادروا للاستيلاء على سوريا ومصر خوفا من أن يسبق اليهما منافسوهم من الصفوية بعد أن اجتاح هؤلاء العراق ثم تحالفوا مع ملك مصر وسوريا قانصوه الغورى (١) ٠

وهاقد لاحظنا مدى حرص العامليين على الكتب واقتنائهم اياها ومدى المجهودات التى تبذل من أجلها ٠٠ وفى المقابل لاحظنا كيف كان الخصوم يغيرون على الكتب أولا وكانوا يستهدفونها فى غاراتهم فان هذا من الدلائل القوية على ماكان يتمتع به العامليون من نضج ووعى وثقافه واسعه بالذات الحد و معها يستشعر مدى تعلقهم بالكتب ومعرفته التامه بانها أثمن مايحرص عليه العامليون فكان ينتقم باتلاف هذه الكتب مباشره وكم كان من العامليين من يتمنى أن يموت دون كتبه ٠

وعلى كل حال فان المجال واسع أمامنا لادراك المزيد من التفاصيل عن اهتمام العامليين بالفكر والعلم فلدينا قائمة لاتكاد تنتهى باسماء الشعراء والعلماء فى جبل عامل برغم ضيق رقعته وقلة موارده ٠٠ واذا ماأقبل القرن العشرون نجد العامليين قد توسعوا فى طلب العلم وأن الرغبه فى ذلك قد تمدت الطبقات ٠

---

(١) على الزين للبحث عن تاريخنا صـ ٢٩٧ ٠

والعائلات التقليديـة لتتجاوزها الى الفقراء وذوى الدخول المحدوده فينبغ منهـم الشعراء والعلماء الافذاذ كمحمد سليمان جواد ومحمد على الحومانى والمختـرع الشهير حسن كامل الصباح (١) وغيرهم واذا بهم يتوسعون فى بناء المـدارس والمؤسسات التعليميه وانشاء المجلات والصحف وطبع الكتب المختلفـه •

أن شملة الفكر لم تنطفىء يوما ما فى جبل عامل واذا كان قدر لهـا أن تخبو على يد الدخلاء بعض الاوقات فانها لاتلبث أن تعود ثانية وعلى أقـوى ماتكون عليه فتتأجج ويمتد نورها ويشتد لظاها ويستمر لهيبها فتنير الطريـق وتحرق الجهـل وتبدد الظلمات •• وتملأ الافاق علما وأدبا وشعرا تتناقله الاجيال جيلا عن جيـل •• وعلى ضيق هذه الرقعه من ديار العروبه والاسلام قد تمكنت من العطاء مالم يتـمكن عليه أحد حتى قيل بحق عن جبل عامل أنه " جبـل العلماء " (٢) •

هذا ومن الناحيه الحضاريه يشهد التاريخ على ماشاده الفينيقيـون فى مدينتى صيدا وصور العامليتين من أمجاد لايمحوها الزمن على امتداد العصور وحتى صدر الاسلام ولم تخفف همة العامليين فى الاسلام بل ازدادت زخما وقـوة وامتلات روحهم حماسة للبناء على أساس العقيده وأن الاثار الماثله للعيان اليـوم تشهد على مابلغه أجدادنا من حضارة عريقه تتمثل فى شامخ البنيان والقلاع الحصينه المنتشره فى كل مكان ومن القلاع التى مازالت تسامر الطبيعه وتحاكى الخلود رغـم المحن وكر الدهور قلعة الشقيف الصامده وقلاع هونين وتبنين ودوبيه ومارون وصيدا وشمع وغيرها وقد ذكر السيد محسن الامين عددا آخر من القلاع والحصون فى خـطط جبل عامـل •

أما المساجد فمنها القديم ومنها الحديث أما القديم الذى مازال يحتفـظ بطابعه التقليدى فمسجدا أبى ذر فى كل من ميس والصرفند والمساجد القديمـه فى صور وصيدا ••• وفى كل قريـة مسجـد •

وفى جبل عامل أسواق تجاريه قديمه تدلل على مدى ازدهار الحياة التجاريه وانفتاح الاسواق العامليه أمام البضائع والتجار من كل مكان وهنالك مايسمى با " السوق " الاسبوعى فى كثير من القرى والتى كان يتداول فيها العامليون العملات المختلفـه كالفلسطينيـة والمصريه والتركية والسوريه وغيرها •• وللحديث عن الحضاره فى جبل عامل نترك الفصول القادمه تتحدث بنفسهـا •

---

(١) ستأتى ترجمته فيما بعـد (٢) نقدات عابر لهارون عبود ص ٢٠٩

البـــاب الثانـــــي

الفصل الاول

التيارات الادبيه في الجبل حتى نهاية القرن التاسع عشر

يبدأ التاريخ الفكري لجبل عامل فى صدر الاسلام وفيما قبل هذه المرحله لـــم يصلنا من نشاط العامليين الا مانقل عن الفينيقيين • وابتداء من العصر الاموي الـــذي شهد التدوين وكتابة التاريخ السياسى والادبى بكر العامليون فى المشاركة بصنع هـــذا التاريخ فظهر منهم عدي بن الرقاع العاملي الشاعر الى جانب كل من الفرزدق والاخطل وجرير والراعي النميري ثم ظهر فى العصر العباسي عبد المحسن الصوري الى جانـــب أبي العلاء المعري وديك الجـن ••• ثم أستمرت الحياه الادبيه فى الجبل بالانتعـاش والتحرك ولم يقتصر نشاط العامليين على الشعر فحسب وانما تجاوزه الى النثر الفنـــي والشعر الشعبي والخطب والرسائـــل •

ولما كان للتشيع من أثر فى أدب العامليين كان من الضروري الاشاره ثانيه الـــى لجوء أبى ذر الى جبل عامل حيث بث فيه دعوته لاهل بيت رسول الله (ص) تلك الدعـــوه التى لقيت قبولا لدى السكان وصبغتهم بالايمان " الغفاري " العميق المصحوب بالتقـــوى والزهد والورع • وقد ظهرت أثار التشيع على كل ماخلفه العامليون من نتاج فكري حيـــث جسدوا فيه آلامهم وأحلامهم ••• وكان لقربهم من دمشق عاصمة الامويين أثر بـــارز في حساسيتهم المذهبيه حيث عانوا من القهر والارهاب والتسلط من بني أميه الشـــيء الكثير فظهر ذلك واضحا فى أثارهم وأنطووا على أنفسهم وهم يجترون آلامهم شعـــرا ونثرا ومن ثم يدفنون تلك الاثار فى خزائنهم لايظهرونها الا بين الحين والاخر ويلجـــأون الى رسول الله (ص) وعترته الطاهره يبثونهم مر الشكوى وأليم الحزن والشجن ••• ومـــن ثم يتخذون من عقيده المهدى المنتظر سبيـــلا الى الصبر وحـر الانتظار ولعل لهذا البعد أكبر الاثر فى جعل الشيعـه يتميزون بشدة الاحتمال والصـــبر •

هذا اللون النفسي القاتم صبـغ العامليون به شعورهم وحركوا به قرائحهـم وأفكارهـــم حيث كان الاتجاه الديني أشهر وأبرز الاتجاهات التى سيطرت على الشعر العاملي ووجهتـه الوجهــه التى أرتضتهــا •

وعند الحديث عن التيارات لابد من تحديد معنى التيار فالمصطلحات الادبيه قد أختلطت احيانا فما المقصود بالتيار ٠ ،

نجد أحيانا من يكتب عن التيار على أنه لون ومن يكتب عن الغرض على أنه مدرسه وهكذا ٠٠٠ فتداخلت هذه المصطلحات تداخلا خطيرا وبالتالي يصعب تحديد المعاني في هذا المجال مالم نرجع الى كثير من المراجع والدراسات وهكذا نستطيع الفصل بين مصطلح وآخر فالتيار هو المدرسه وقد تكون المدرسه تقليديه وقد تكون ابداعيه ٠ أما الاتجاه فالفرق بينه وبين التيار هو أنه يصب في بحره فالتيار عام والاتجاه خاص فقد يتجه أحد الادباء نحو التيار التقليدي مثلا أما الغرض فهو معروف كأن يكون مدحا أو رثاء أو هجاء أو نسيبا أو فخرا وهكذا ٠٠ وقد يكون دينيا أو اجتماعيا وماشابه ذلك ٠٠٠ ويقال لون اجتماعي ولون سياسي

واذا كنا لانستطيع الكلام عن التيارات القديمه بمثل الطريقه التي نتحدث بها عن التيارات الحديثه فأن هذا الكلام ينطبق على الشعر العاملي قديما وحديثا فالشعر العاملي منذ القرن الاول الهجرى الى القرن الرابع عشر الهجري تنطبق عليه جميع المواصفات التي وضعها النقاد للشعر العربي عامه بدء أو نهايه ابتداء من عدى الرقاع العاملي وانتهاء بمحمد على الحوماني ٠ غير أننا نحس نفسا آخر وروحا يختلف ٠٠٠ فالانفاس لاهثه محترقه والصوت ناحب خافت والروح هاشميه نبويه علويه حسينيه كربلائيه ٠ وهذا مايميز العامليين في نثرهم وفي شعرهم وأحاسيسهم ٠٠٠ عواطف صادقه ٠٠٠ ودعوه الى التمرد والثوره والانتقام من كل ظالم مستبد ٠٠٠ واستكمالا للبحث عن التيارات الادبيه التي كانت سائده قبل القرن العشرين نتحدث أولا عن النثر وفنونه ثم عن الشعر وفنونه مع نماذج موجزه لكل ولنبدأ أولا بالنثر ٠

النثر وفنونه

١ — النثر العلمي

الغالب في أدب وتراث العامليين الشعر ولكنهم لم يتركوا النثر فهم كانوا يخاطبون العواطف والعقول والمعروف عن الشيعه أنهم يهتمون بالعقل ويحلونه في المقام الاول وهو بديل للقياس عند المذاهب الاسلاميه الاربعه ومخاطبه العقول والافهام

تتم من طريق النثر بفنونه كالرسائل والخطب والكتب الفقهيه وغيرها يدعمون بها حججهم وآراءهم • ونشطت حركة التأليف نشاطا ملحوظا وقد ألمحنا الى شيء منها عندما تحدثنا عن الحركه العلميه والمذاريه في الفصل السابق واذا كان لم يصلنا من نتاجهم فيما قبل القرن الخامس الهجري الا القليل من الكتب والكثير من الاخبار فقد وصلنا الكثير من المؤلفات والاخبار مما فيما بعد هذه الفتره وأهم العلوم التي اشتغل بها العلماء العامليون في تلك الحقبه هي :

الفقه والتفسير والحديث والرياضيات والجغرافيا والنقد " خرج من صور جماعة أشتغلوا بالطب والجراحه والنبات وأشتهر منهم رشيد الدين بن علي الصوري الذي ولد بصور (٥٧٣ هـ ١١٧٨ م) ونشأ بها وأشتغل بالطب ثم رافق الملك العادل الى الديار المصريه • ثم لما ملك الناصر داود بن الملك المعظم عهد اليه برئاسة الطب وقد كان فوق هذا نباتيا وكثيرا ماصحب معه المصورين والاصباغ التي بها النبات الى جبل لبنان وغيره يريها للمصورين وصحبها يجتهدون في محاكاتها " (١)

وبالنسبه للحركه العلميه وماانتج عنها من كتب ودراسات فأننا نكتفي بتلخيص ماورد في كتاب " الحركة الفكريه والادبيه في جبل عامل " حول اشهر الكتب التي وضعت في العلوم المختلفه وقد قسمها الى خمسة أقسام كالاتي :

الفقه والحديث — في الفلسفة والنفس والتربيه — في العلوم العقليه في التاريخ والسيره — في علوم اللغه •

أ — في الفقه والحديث •

١ — وضع الشهيد الاول محمد بن مكي الجزيني اللمعه الدمشقيه التي الفها وهو في السجن قبل اعدامه خلال سبعه أيام وهي في الفقه والعبادات والمعاملات ألفها سنة ٧٨٦ هـ ١٣٩٤ م وهي مطبوعه •

٢ — وضع الشيخ محمد نور الدين الجبعي (٩٦٤ هـ ١٠٠٩ هـ) (١٥٤٣ م — ١٥٩٨ م) كتاب المدارك وأسمه (مدارك الاحكام في شرائع الاسلام) قيل عنه (وقد بلغت المدارك من جودة التحرير وحسن الفصول منتهى مايخطر في البال وما من فقيه يأتي بعده الا ويعتمد عليه) (٢)

الهوامش في الصفحه التاليه •

٣ ـ الوسائل فى الحديث للحر العاملي (أكبت عليه فقهاء الشيعه منذ ثلاثة قرون أتفقوا فيها على تناوله وتداوله وأجمعوا على النقل عنه والاستناد عليه وهو من ألطف مصادر الفقه) (٣)

٤ ـ المعالم كتاب فى اصول الفقه لحسن بن زين الدين الشهيد الذي يعتبر صاحب (نظرية المعنى الحرفى الفقه) •

ب ـ وللعامليين باع طويل فى الفلسفه وعلم النفس والتربيه فقد وضعوا فى ذلك مؤلفات كثيره منها ١ ـ الباب المفتوح لعلي بن يونس النباطي المتوفى سنة (٨٧٧ هـ ١٤٧٣ م) وهى رساله اسمها (الباب المفتوح الى ماقيل فى النفس والروح) •

٢ ـ آداب النفس لمحمد بن الحسن العيناثي المتوفي (١٠٨٥ هـ) •

٣ ـ منية المريد فى آداب المفيد والمستفيد للشهيد الثاني الجبعي (٩١١ هـ ٩٦٦ هـ) (١٥٠٥ م ١٥٥٩ م) •

جـ ـ اما في العلوم العقليه كالرياضيات والفلك والمنطق والطب فللبهاء العاملي منها كتاب الجبر والمقابله وبحر الحساب وخلاصة الحساب وللحر العاملي هندسة الحساب ولفرج الله الحويزي العاملي شرح خلاصة الحساب •

د ـ أما فى التاريخ والسيره فلهم الكثير من المؤلفات منها : التحرير الطاووسي ومنتقشه الجمان فى الاحاديث لحسن بن زين الدين الشهيد • وتاريخ وفيات العلماء للكفعمي ••• وأهم هذه الكتب أمل الامل فى علماء جبل عامل للحر العاملي •

---

(١) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعه ج ٢ ص ٣٥٦ ومكي ص ٤٨ وجرجي زيدان ت ١٠ ل ع جـ ٢ ص ٦٢.

(٢) الاعيان جـ ٤٦/ ١٠٥ / مكى ص ٧٣ •

(٣) مجلة الدراسات الادبيه حسن الامين سنة ٩٥٩ عدد ٢ ـ ٣ ص ٥٥ / مكي ص ٧٤ •

هـ ـ أما علوم اللغـه كالصرف والنحو والبيان فكانت موضع اهتمام العامليين لاشتغالهم بها في التدريس وأهم ماكتب في ذلك :

فروق اللغه للكفعمي ... ولاشك أن أهم الكتب التي وضعها العامليــون هي الكشكـول والمخلاة لبهاء الدين العاملـي .

أما الرسائل والخطب فقد كثرت كثرة ظاهره فالرسائل لحاجتهم اليها في الرد على مناظريهم أو اخوانهـم أما الخطب فكانت تلقى في المساجد والمناسبات .

أما أسلوبهم النثري فكانوا يرصعونه بالسجـع وسائر فنون البديع متكلفـا احيانا وخاليا من ذلك التكلف احيانا اخرى ولابد من ايراد بعض النماذج من نثرهم .

٢ ـ النثر الادبـي

في الخطـب

من خطبة الشيخ محمد علي الخاتوني العاملي يوم اربعين حمد النصـار المتوفي عام ١٢٦٩ هـ . قـال :

أما بعد حمد الله على كل حال والصلاة والسلام على المفضل بالنبوه والارسال سيد النبيين وأقربهم من الله زلفـه وأولهم جلالة . وأفضل المرسليـن وأعظمهم عند الله قدرا وخاتمهم رساله سيدنا محمد وأهل بيته الطاهرين . وأصحابـه الغـر الميامـين . فاني وأنا خادم نعال العلماء وتراب اقدام الفضـلاء حسن الظـن بربـه وراجي لطفـه الخفي محمد علي بن الشيخ الجليل يوسف بن محمد حسن العاملي الشهيد بالخاتوني أورد نبذة بأحوال تغير الزمان في عامل وتقلب أحواله بتغيـر العوامـل . فأقول أن شنشنـة الدهر بالتقلب معروفه وله حالات مألوفه وغير مألوفـه فهو يتحول من نحس الى سعد ومن سعد الى نحس . ومن صفـو الى كدر ومن كـدر الى صفـو ومن جمع الى شتات ومن شتات الى جمع ومن اقبال الى خمول ومن خمـول الى اقبـال ولطالما غـدا الجود في عامل يتنافس فيه والمعروف يتسابق اليه وريـاض الفضـل فيها محدقه . وأنوار المجد مشرقـه . والامال فسيحـه والاعمال المحمـوده رجيحـه ... " (١) ونكتفي منها بهذا القدر فهي نموذج لاساليب العامليـين في تلك المرحلـه ليس غـيـر .

---

(١) مقدمه ديوان شبيب باشا الاسعـد ص٥٨ .

وذاك نموذج آخر للشيخ علي سبيتي في مقدمة (الجوهر المجرد في شرح قصيدة علي بك الاسعد) حيث قال فيها :

" اما بعد فان التقبيل ظهرا المظيم ونزرا أبا الحسن علي بن محمد بن احمد السبيتي العاملي عامله الله بخفي لطفه يقول : أن الادب مهما خمدت ناره ونبت شفاره وسدلت استاره حتى تشابه ليله ونهاره فما زال علما قد رفع مناره وجل اعتباره وحمدت اثاره ومدحت سماره وكملت أقماره وتعالى مقداره . سيما أن شفع بالتاريخ نكاته ومزجت بالغابر اشاراته ووشحت بالوقائع فقراته ورصعت بالفرائد ابياته وبالغرائب أشتاته وتحلت بالعقود لباته .. " (٢)

وهذا نموذج من نثر ابراهيم الكفعمي نجتزئه من كتابة " جنة الامان الواقية وجنة الايمان الباقية " المعروف بمصباح الكفعمي " يقول الكفعمي في مقدمة كتابه " الحمد الله الذي جعل الدعاء سلما نرتقى به أعلى مراتب المكارم ووسيلة الى اقتناء غرر المحامد ودرر المراحم ويتوسل ويبتهل به الى الله المقربون يتضرع به المحبون وينال به الفوز كل ملك مقرب وكل نبي محبب وهو الوسيله العظمى والفضيلة القصوى وقد قال الله تعالى : ادعوني أستجب لكم وقال : اجيب دعوة الداعي اذا دعان وامثال ذلك كثيره ونحن قنعنا باليسر فالحمد له على ما أولى عباده بهذه النعمة والشكر له على ما أزال بالدعاء منهم النقمه والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه وصفيه محمد وآله الكرام وصحبه العظام صلى الله عليه وآله خير من دعا الله وحرض على الدعاء وأمر بالتمسك به وجعله المرقى والملتجى فصار من أعظم السنن في السر والعلن " (٢) ومنه هذا الدعاء للمريض يقول الكفعمي : " ومنها عن الصادق عليه السلام : ضع يدك على الوجع وقل بسم الله ثم امسح يدك عليه وقل سبعا أعوذ بعزة الله وأعوذ بقدرة الله وأعوذ بجلال الله وأعوذ بعظمه الله وأعوذ بجمع الله وأعوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وأعوذ بأسماء الله من شر ما أخذ ومن شر ما أخاف على نفسي " (٣) .

---

(١) ديوان شبيب باشا الاسعد ص ٦٩

(٢) مقدمه الكتاب ص ٢ من طبعه ايران ١٣٢٠ هـ التي قام بها الحاج ميرزا عبد الله الحائري الطهران .

(٣) ص ١٥١ .

وهـذا دعاء منسوب لعلى بن أبى طالب "يامن يرحم من لا يرحمه العبـاد يامن يقبل من لاتقبله البلاد ويامن لا يحتقر أهل الحاجه اليه ويامن لا يخيب الملحين عليه ويامن لا يجبهه بالرد أهل الداله عليه ويامن لا يجتبيه صغير مايتحف به ويشكر يسير مايعمل به ويامن يشكر على القليل ويجازى بالجليل ويامن يدنو الى من دنا منه ويامن يدعو الى نفسه من أدبر عنه ويامن لا يغير النعمه ولا يبادر بالنقمه ويامن يثمر الحسنه حتى ينميها ويتجاوز عن السيئه حتى يعفيها • انصرفت الامال دون مدى كرمك بالحاجات وأمتلأت بفيض جودك أدعية الطلبات وتفسخت دون بلوغ نعتك الصفات فلك العلو الاعلى فوق كل عال والجلال الامجد فوق كل جلال • كل جليل عندك صغير وكل شريف فى جنب شرفك حقير خاب الوافدون على غيرك وخسر المتعرضون الا لك وضاع الملمون الا بك وأجدب المنتجعون الا من انتجع فضلك بابك مفتوح للراغبين وجودك مباح للسائلين واغاثتك قريبه من المستغيثين لا يخيب منك الاملون ولا ييأس من عطائك المتعرضون ولا يشقى بنقمتك المستغفرون رزقك مبسوط لمن عصاك وحلمك متعرض لمن ناداك عادتك الاحسان الى المسيئين وسنتك الابقاء على المعتدين حتى لقد غرتهم أناتك عن الرجوع وصدهم امهالك عن النزوع وانما تأنيت بهم ليفيئوا الى أمرك وأمهلتهم ثقة بدوام ملكك ••• " (١) •

وهذا نموذج من نثر البهاء العاملي جاء فى مقدمه الكشكول :••" ثم عشرت بعد ذلك على نوادر تتحرك لها الطباع وتهش لها الاسماع وطرائف تسر المحزون وتزرى بالدر المخزون • ولطائف أصفى من رائق الشراب وأبهى من ايام الشباب وأشعار أعذب من الماء الزلال وألطف من السحر الحلال ومواعظ لو قرئت على الحجاره لانفجرت أو الكواكب لانتثرت وفقر أحسن من ورد الخدود وأرق من شكوى العاشق حال الصدود فأستخرت الله تعالى ولفقت كتابا ثانيا يحذو حذوة ذلك الكتاب الفاخر ويستبين به صدق المثل السائر فكم ترك الاول للاخر ولما لم يتسع المجال لترتيبه ولا وجدت من الايام فرصة لتبويبه بعثته كسقط مختلط رخيصه بغاليه أو عقد انفصم سلكه فتناثرت لآليه وسميته (بالكشكول) ليطابق أسم أخيه •ولم أذكر شيئا مما ذكرته فيه وتركت بعض صفحاته على بياض لاقيد مايسنح من الشوارد فى رياضها

---

(١) ص ٤٣٣ •

كيلا يكون به من سمت ذلك نكول ، فأن السائل في معرض الحرمان اذا اشـــــلا الكشكول " (١) كان الكتاب الذى ذكره البهاء هو المخلاه وهذه سانحــــــه من الكشكول : " أن ذرات الكائنات تنصحك ليلا ونهارا بأفصح لسان وتعظــــك سرا وجهارا بأبلغ بيان لكن لا يفهم نصائحها الغبى البليد ، ولا يعقل مواعظهـــا الا من القى السمع وهو شهيد " وهذه سانحه آخرى " الى كم تكون فى طلـــــب اللذات الفانيه الدنيويه وأنت معرض عما يثمر السعادات الباقيه الاخرويـــه فإن كنت من أصحاب العقول وأرباب العقول فاقنــع من الدنيا كل يوم برغيفين واكتفى منهـــا كل سنه بثوبين مثلا تسقط من البيـــن وتجيء يوم القيامه بخفي حنين (٢) تلك اذن طريقه العامليين القدماء فى كتابة النثر : اغراق فى السجع ــ كلف بالجنـــا س والطباق ــ وتعلق بالصور البديعيـــه المختلفه التى تعتمد على التشبيهـــــات والاستعارات التقليديه وهذه هى أبرز مميزات النثـــر العاملي القديم وأظهرها .

وان كان بهاء الدين العاملي الذى نسميه بحق جاحظ عصره والعصـــــور التى تلتـــه فلأنه كان واسع الثقافـــه عميق التفكير فهو فيليسوف ــ مفكر اكثر منه رجـــل دين تقليـــــدي .

وباستثناء ماذكرناه من النثر العاملي لم نعثر لهم على فن آخر من فنـــــون النثر ولعلهم فى ذلك يتوافقون الى حد ما مع الحركه الفكريه العربيه عامه كـــــــان هدفهم من النثر خدمة الناس فى توضيح أمور دينهم ثم الدفاع عن العقيده والمذهب ثم نصح الناس وأرشادهم ووعظهـــم فى المساجد والنوادي الحسينيه ــ ولذلـــــك جاء اهتمامهــــم بالفقـــه والحديث وعلم الكـــلام وعلوم اللغـــه ثم التاريخ والسيــــره لشرح مأساة كربــــــلاء وســــــيرة رسول الله وأهـــل بيتـــــه ..

---

(١) مقدمه الكشكول تحقيق الطاهـــر الزاوي ص ٣ ــ ٤ جـ ١

(٢) الكشـــــكول صـــــــــ ١٦٣ جـ ١ .

الشعر وفنونـــــه

اذا كـان أدبا‌ء عامله قد خاطبـوا العقـول بالنثر فأنهم خاطبـــوا العواطـف بالشعر وقد غلب الشعر ـ كما قلنا في غير هذا المكان ـ على نتاجهـــم فكان فى معظمه شعرا ولعل الشعر أقل مؤونـة من النثر وأيسر مطلبــا •

ولا شك أنه يصعب ويتعسر علينـا أن نؤرخ الشعر العاملي عبر قـــرون عديده فى صفحات محدوده خاصه وأن الشعراء العامليين قل أن يخلو منهم عصـر أو يقفر منهـم كفـورفى جـبل عامل فكانوا غره فى جـبين الدهر ووسامـا علـى صدر الزمـان وفخرا للعروبـه والاسلام • فابتداء من عدي من الرقاع العاملـي (١) فى القـرن الاول الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر للهجره حيـث عاش كل من محمد سليمان جـواد وشبيب باشا الاسعد وزينب فواز ••• (١) لـم تخبـو للشعر في جبل عامل نار ولم يسـدل على الادب ستار ••• وكان الشعـر العاملي فى هذه الاحقاب يتمشى مع سنـة الزمان من حيث التطور القائم علـى الانتقـال التدريجي من الجمـود الى التحرك بالصقل والتهذيب أو التمسـك بحبـال القديم أو التفلت منها فأنطبقت عليه جميع المواصفات والنعـوت التى رسـم بها النقـاد والادبـاء عامة الشعر العربى فاذا درسنـا شعر عدي بن الرقـاع وجدناه جزء من مجموعه نتاج الفرزدق وجريره الاخطـل والراعي النميري واذا درسنـا عبد المحسن الصوري نجده جزءا مما وضعـه أبو العلاء المعري وديك الجـن وابـن وكيـع التنيســي (٢) وغيرهم من شعراء ذلك العصر ولا يعني هذا اننا نصـل بشاعرنا العاملى الى مستوى المعري وفى نفس الوقت فنحـن لانقلل من أهميـة شاعرنا واذا تقدم بنا الزمن فأننا نجد شعراءنا العامليين قد أسهموا فى المـداد التراث العربي عامـه • فهـم منه واليـه الا أنهـم فى عصـر الانحطاط قد فاقـوا غيرهم من الشعراء خاصـة وأنهم قدموا للامة العربيـة أمثال بهاء الدين العاملـي والمشغـري والكفعمـي وغيرهـم •

---

(١) أدرجنا هولاء فى عداد رجال القرن العشرين لانهم أدركوه وماتوافيـه •

(٢) شاعر وأديب توفى عام ٣٩٣ هـ ١٠٠٣ م •

والذى يميز شعر العامليين عبر عصورهم تلك الروح الملتهبه فى حب أهل البيت .. وذلك الحزن الذى يلف نتاجهم بوشاح أسود على الحسين وشهداء كربلاء والطف وذلك التمرد العظيم الذى يختلج فى صدورهم ويتردد على شفاههم ثم الدعوه الى الثوره والانتفاض على كل ظلم والتمثل بعلي فى كل مناسبه حيث أنه لم يفضل الاولى على الثانيه ولم يتهاون فى الدين أو يجامل احدا على حساب الشرع ... هذه هى الروح التى تميز بها الشعر العاملى وتكاد لا تختفى من أى ديوان من دواوينهم بل من أى قصيده من قصائدهم مهما قلت تلك القصيده أو صغر حجم ذلك الديوان .

اذن فالشعر العاملي تقليدي محافظ على عمود الشعر وخصائص القصيده العربيه الفنيه من حيث الوزن والقافيه والفكر والعاطفه والتصوير والخيال . التفكك العضوي .. فمجال التيار التقليدي فى الشعر العاملي محدود وملامحه الاجتماعيه والسياسيه قليله الا اذا تقدم بنا الزمن أما الفكره فكثير أما كان ينقصها العمق والغزاره لولا ماجد من المعاني العاطفيه الصادقه فى رثاء أهل البيت .. وقد لجأوا فى التصوير الفنى والخيال الى التشبيه والاستعارة والكناية وقد أغرقوا كثيرا من قصائدهم بالمحسنات اللفظيه .. وكان البعض منهم يتسابقون الى استعمال المفردات اللغويه الغريبه وتباروا فيها واذا كانت قصائدهم تفتقر الى التلاحم العضوى شأنها فى ذلك شأن القصيده العربيه عامه ... فأنها تتميز بوحدة الجو النفسي فى مراثي أهل البيت كما سنرى فيما بعد .

يقول أحد النقاد المعاصرين عن الشعر انه " افناء واذابة مستمره للذات بل هو هروب منها الى عالمه الخاص " (١) فالشاعر عندما يعصر ذاته ليقول الشعر فهو لا يفكر في أي تيار يصب شعره ولكنه وبشكل تلقائي لا يحس الا وهو يسكب عبراته بالطريقه التى تهيؤها له انطلاقا من الجو النفسي الذي يحيط به .

---

(١) عن " اليوت " بتصرف ـ البحث الادبى لشوقى ضيف ط دار المعارف بمصر ص ١٣٤ .

وهكذا كتب الشعراء العامليون شعرهم من وعيهم ولا وعيهم فما عليهم الا أن يكتبوا وعلى النقاد أن يعربوا — على حد قول بعض النقاد .

واذا كانوا قد نشأوا وترعرعوا فى احضان طبيعة أندلسية بجمالها الاخاذ ومناظرها الساحره فان هذا الجمال قد صبغ شعرهم به وميزه بالرقه والشفافيه وأضفى عليه طابعا خاصا يخاطب العواطف والمشاعر قبل مخاطبة العقل ولا غرو فالجمال اول مايخاطب العواطف والاحاسيس ... وهكذا كان الشعر العاملي .

ولسنا بحاجة للقول ثانية الى أن شعراء جبل عامل كانوا ينتسبون الى مدرسة المعارضه الشيعيه مع مافى هذه المعارضه من ملابسات ومايحيط بها من تناقضات لا مجال للحديث عنها الان ولولا أن لذلك أثره البارز فى شعرهم ماألمحنا اليه فهم كانوا يرتكزون فى ذلك الى قاعدة فكريه عريضه واسعه .

فهم حزب معارض ضعيف يدعو الى التحلي بالصبر أحيانا وتحمل المراره والالم فكانوا يمضغون حسراتهم ويجترون آلامهم أحيانا آخرى ثم اذا بهم يثورون ويتمردون بعد حين .

بعد ذلك فأننا نستطيع توزيع الشعر العاملي فيما قبل القرن العشرين على تيارين رئيسيين وبعض الاغراض .

١ — تيار ديني .
٢ — تيار اجتماعي .
٣ — أغراض آخرى .

— ١ —

أما التيار الدينى فيندرج تحته : المدائح الهاشميه (للرسول والاسره العلويه) ثم الزهد والتصوف والشكوى والدعاء والابتهال ونظم معانى الاحاديث وأحكام المواريث . وكل مايصب فى المعاني الدينيه ومافيه من حرقة وجوى ولوعة وأنين وبكاء وعمق فى الايمان .

- ٢ -

أما التيار الاجتماعي فمنه المدح للاشخاص والهجاء ثم الغزل وهو كثير والخمره وهو قليل والاخوانيات ثم وصف الشيب والطبيعه وأخيرا الحجاج المذهبي بين شعراء الشيعه وشعراء الطوائف الاخرى ولم تكن ذلك الحجاج ضارا وانما كان هادئا مفيدا . ومن الشعر الاجتماعي الحنين وتقريظ الكتب والحكم والمواعظ والتهكم على العلماء والعتاب والرثاء ..

الشكل والضمون

لم يخل الشعر العاملي القديم من بعض نزعات تجديديه من حيث الشكل والمضمون ومن ذلك وصف الطبيعه والصلاة ووصف الصلاه مستجد طريف .. بالاضافه الى مافى ذلك الشعر من تكرار لبعض المعانى التقليديه التى لم ينج منها شاعر وقد أكثر الشعراء العامليون القدماء من : -

١ - الاقتباس من القران والحديث .
٢ - المعارضات .
٣ - التضمين .
٤ - التقسيم .
٥ - التخميس .
٦ - الطباق والجناس وغيرهما من الحسنات اللفظيه .
٧ - الاراجيز .
٨ - المحبوكات الطرفين .

هذا ومن مطالعتنا لشعر تلك الفتره نرى أن العامليين حافظوا على ديباجه الشعر وجزالة الالفاظ وأحسنوا البدايات كما أحسنوا النهايات والتخلص اليها ... وقد وقفوا على الديار والاطلال وأستوقفوا الصحب ونسبوا وبكوا على الحبيب الظاعن ووازنوا بين الشكل والمضمون فلم يغلبوا واحدا على الاخر ولابد لاثبات ذلك من استعراض سريع لشعرهم وتقديم نماذج حيه منه .

ـ ١ ـ

الاتجـــاه الدينـــــى

أ ـ (مدح النبــــــى وآلـــــــه)

التصـق شعراء عاملة قديمة وحديثا بالدوحة النبويه الشريفة فحلقوا فـى أجوائها ، واستظلوا بظلها ، ووقفوا أخيلتهم على الهيمان فى أجوائهــــا وماتحركت السنتهم بالمديح الا لتلهج بمحامد أهل البيت أولا وماتحركت بالرثـــاء الا لبكاء شهدائهم وموتاهــم وماأنطلقت في الغزل الا بعد استئذانهم والعاملــي ان أحب فحبه لاهل البيت أقوى وان كره فكرهــه لاعدائهم أقوى وان اتخذ الزهد مذهبا فهو انما يسير على نهجهم ... وهكذا ... وان آل على هم آل الرســول وقد تميز عنهم الرسول (ص) بالوحــى يقول عبد المحسن الصوري .

آل النبي هم النبــي وأنما بالوحي فرق بينهم فتفرقـــــوا
أبت الامامة أن تليق بغيرهم ان الرسالة بالامامة أليـــق (١)

أما حسين بن شهاب الدين الكركي العاملي (٢) فانه يرهن لنفسه حب آل محمد وهذا الحب سوف ينقذه يوم الحشــر .

رهنت لنفسي حب آل محمــد طريقة حق لم يضع من يدينهــــا
وحب علي منقذى حين تجتوى لدى الحشر نفس لايفادى رهينهـا

ويعتذر الى علي على أنه لايستطيع على غير المدح طالبا الشفاعه :

أبا حسن هذا الذي استطيعــه بمدحك وهو المنهل السائغ العــذب
فكن شافعي يوم المعاد ومؤنسـي لدى ظلمات اللحد ان ضمني اللحــد (٣)

ويقول الشهيد الثاني وقد زار قبر النبـــى :

صلاة وتسليم على أشرف الورى ومن فضله ينبو عن الحد والحصـــــر
ومن قد رقى السبع الطباق بنعله وعوضه الله البراق عــــن المهـــر

---

(١) الاعيان ج ٣٩ صـــ ١١٠
(٢) توفى فى حيدرآباد سنة ١٠٧٦ هـ
(٣) الاعيان ج ٢٦ صـــ ١٤٤ ـ ١٤٥

وخاطبه الله العلى بحبـه شفاها ولم يحصل لعبد ولا حـر (١)

ويعبر بهاء الدين العاملى عن اخلاصه فى حب النبى وآله قائـلا :

وأخلصت حبى فى النبي وآله كفى فى خلاصى يوم حشري اخلاصي (٢)

اما الحر العاملي فله تسع وعشرون قصيده فى مدح الرسول وآله كل واحـده منها تسع وعشرون بيتا يبدأها بالغزل قال فى احداهـا :

أما ومحيا ذي سنا وسنـاء سما فتخيلناه بدر سمـاء

الى مثله يعزى الهوى ونظيره وان كان فى أمن من النظـراء

أرى لضلال الحب عذبا عذابه كأن شقائي فى هواه شقائـي

ويقول فى آخـرى :

مرت بنا فاطمة بنت أسـد حاملة بالمرتضى ذاك الاسـد

فجاءها الطلق فطافت سبعـا ثم دعت أكرم رب يدعـا (٣)

ويقول الشيخ عبدالله نعمه المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ :

أحن اذا هب النسيم ولم أكن بناس زمانا بين أهل التراجـم

سلام وهل يجدى السلام لنازح على الدار والديار أهل المكـارم

لئن بخل الدهر الخؤون بقربكم وحالت صروف البين دون المراسـم

اذا افتخر الناس الكرام بمفخـر فخر علي سابق فى العوالـم (٤)

ويقول السيد محمد الحسيني العاملى الميناثي المتوفي سنة (١٠٨٥ هـ) من قصيده يبدأها بالغزل ثم يضمنها الزهد ليعبر مدح الرسول :

الماجد المبعوث فينا رحمـه محمد الهادي النبي المصطـفى

وأثن على أخيه وابن عمـه قسيم دار الخلد حقا ولظـى

والحسن المسموم ظلما والحسين السيد السبط شهيد كربـلا ....

فهم منار الحق للخلق فمـا أفلح مانا واهم ومن شنـا (٥)

---

(١) الاعيان ج ٣٣ صـ ٢٠٨ وتاريخ اجباع ص ٦٨ — ٦٩ .
(٢) تاريخ اجباع صـ ٢١٢
(٣) توفى الشاعر سنة ١١٠٤ هـ الموافق سنة ١٦٩٢ م . والمرجع تاريخ اجباع صـ ٢١٢
(٤) نفس المرجع صـ ٣٨٦
(٥) الاعيان ج ٤٥ صـ ٣٤١ .

فهاهم أهل العبا وأهل الكساء وعترة النبى وأهل بيته ويقول الشيخ علــى مروه المتوفى عام ١٢٨٠ هـ بأن مدح هولاء منصوص عليه فى الكتاب والسنـــه .

وفى مدحهم نص من الله واضح — أتى محكم التنزيل عنه معرفـــا
بنى احمد هذا فقير أتاكـــم — فمنـوا عليـه رأفـة وتعطفـــا
عليكم صلاة الله ما أنهزم الدجى — وسل عليه الصبح أبيض مرهفـــا (١)

وعودة للبهاء العاملي الذى يتحدث عن " صاحب الزمان " فى قصيـــدة عنوانها " وسيلة الفوز والامان فى مدح صاحب الزمان " وهى تجسد عقيده الشيعه " بالمهدي المنتظر " فيقـــول :

سرى البرق من نجد فهيج تذكاري — عهودا بحزوى والعذيب وذي قار
وهيج من اشواقنا كل كامـــن — وأجج فى أحشائنا لاعج النـار
آلا يا لييلات الغوير وحاجـــر — سقيت بهام من بني المزن مدرار

ثم يقـــول :

أأصبر للبلوى وأغضى على القذى — وأرضى بما يرضى به كل مخـوار
وأفرح من دهري بلذة ساعـــة — وأقنع من عيش بقرص وأطمـار
اذا لا ورى زندي ولاعز جانبـى — ولا بزغت فى قمة المجد أقمـارى
ولا بل كفي بالسماح ولاســـرت — بطيب أحاديثي الركاب وأخبـارى
ولا أنتشرت فى الخافقين فضائلى — ولا كان فى المهدى رائق أشعارى
خليفة رب العالمين وظـــله — على ساكني الغبراء من كل ديـار

وهو المخلص المنقـــذ :

وخلص عباد الله من كل غاشـــم — وطهر بلاد الله من كل كفـــار (٢)

فهو الذى سوف ينقذ الناس من الظلم والفجور والكفر والبغي ولعل هذه النظريـــه تجسد الضعف والهروب من الواقع ولسنا الان بصدد مناقشة تلك النظريه التى أمتـــدت جذورها فى العالم الاسلامى وتفرعت أغصانها حتى شملت بظلها طوائف اسلاميه آخـرى

---

(١) الاعيـان ج ٤١ صـــــ ١٥٥ .
(٢) الاعيان ج ٤٤ صـــــ ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

غير الشيعة ... والذى لا مهرب منه هو انها فى الاصل نظرية شيعية .

أما البكاء على الحسين فهو ضرورى وكل دمع ينهمر على غيره يذهب هدرا ولا قيمة له . يقول ابن حماد العاملي وهو من شعراء القرن الحادي عشر الهجري في ذلك :

لغير مصاب السبط دمعك ضائع ... ولم تحظ بالحظ الذى أنت طامع

فقاموا يرون الموت أكبر مغنم ... وما منهم الا عن السبط دافع (١)

ويسلك الشيخ محمد الحيانى العاملى (٢) فى مدح النبى وآله مسلكا آخر وعلى غير عادة الشعراء فقد بدأ قصيدته بالوصف ثم تخلص الى المدح يقول الشاعر :

زهت الرياض ومالت الاغصان ... وتبسم النسرين والوسنان

والنبق اصبح مائسا فى عجبه ... زهوا ومال بصحبه الريحان

والنرجس الغض البهي تبسما ... من ثغره النعمان والقحوان

وكأنما نشر الزهور وعطرها ... عزف الجنان وغيرها الولدان

ضحك الربيع الى الغمام تعطشا ... فبكى عليه العارض الهتان

الى أن يتخلص بقوله :

وبدا لنا في الروض ريم أغيد ... دمث الشمائل طرفه نعسان

جدلى بوا والوصل عطفا مثلما ... سمحت لنا بملي الا زمان (٣)

وهكذا يصل الى مدح النبى وآله .

وتبقى كربلاء ومعها شهر المحرم نقطة تحول هامة فى تاريخ الشيعه . ففى كربلاء ، وفى شهر المحرم استشهد الحسين ، وقطع الامويون رأسه ، وسبوا الهاشميات ومنهن بنات الحسين ، وشقيقته زينب ، وكيف ينسى العامليون ، وهم شيعة هذه المأساه وهى التى لم تحرك ساكنا لاحد سواهم؟!

---

(١) الاعيان جـ ٤٤ ص ٢٩١ — ٢٩٢

(٢) من شعراء القرن العاشر الهجرى

(٣) الاعيان جـ ٤٤ ص ٣٠٩

انهم يستقبلون هذا التاريخ من كل عام بالحزن والبكاء واقامة المــآتم
يقول الشاعر الحاج سليمان بن علي بن زين العاملي المتوفي (١٢٧٢ هـ) .

هل المحرم فاستهل مكدرا ... قد اوجع القلب الحزين وحسرا
وذكرت فيه مصاب آل محمد ... فى كربلاء فسلبت من عينى الكرا
يوم مباني الدين فيه تزلزلت ... وانهد من اركانها عالي الذرى

وفيهـا :

خطب له تبكي ملائكة السماء ... والشمس والقمر المنير تكورا
من مبلغ المختار ان سليله ... اضحى بارض الطف. شلوا بالعرى (١)

ويقول الشاعر ابراهيم الكفعمي المتوفى عام (٩٠٥ هـ) وهو يقف على ضريح الحسين .

اتيت الامام الحسين الشهيد ... بقلب حزين ودمع غزير
اتيت ضريحا شريفا به ... يعود الضرير كمثل البصير

ثم يلمح الشاعر نفسه الى بيعة يوم الغدير التي يقول الشيعة بأن النبي (ص) بايع عليا فيها ويؤكدها .

هنيئا ليوم الغدير ... ويوم الحبور ويوم السرور
ويوم الامارة للمرتضى ... ابي الحسنين الامام الامير
وسل عنه بدرا واحدا ترى ... له سطوات شجاع جسور (٢)

اما الشيخ حسن بن زين بن الدين العاملي الجبعي (توفى عام ١٠١١ هـ — ١٦٠٢ م) فانه يمدح فروع الدوحة فرعا فرعا ويقول .

ولقد نذرت صيام يوم لقائهم ... من انه من أعظم الاعياد
نفسى فداء أحبة فى حبهم ... ذهب الزمان وما بلغت مرادى
لكننى متمسك بهدايتى ... لولاء اصحاب الكسا الامجاد

---

(١) تاريخ جباع ص ٤١
(٢) " " ص ١١٠ — ١١١

اهل النبوة والرسالة والهـــدى — للخلق بعد الشرك والالحـــاد
اعني النبي المصطفى المبعوث من — أم القرى بالحق والارشـــاد
والطاهر الجد الامام المرتضـــى — زوج البتول أخي النبي الهـــادي
والبضعة الزهراء والحسنيـــن — سادات الورى بهم وبالسجـــاد
ومحمد وبجعفر وبكاظـــم — ثم الرضا ومحمـــد الهـــادي
والعسكري ونجـــله المهدى — من نرجوه يروي غلة الاكبـــاد
يا آل احمد حبكـــم لي منهـــج — خلف عن الاباء والاجـــداد (١)

وعلى هذا النغم الحزين الحزين ، وعلى نغم القيثاره التي عزف عليها العامليون أعـــذب الحانهم واشجارها في حب النبي وأهل بيتـه ومدحهم ورثائهم تلك الالحـــان التـــي كانت تتسم بالثورة والرفض والتمرد حينا وبالهدوء والرتابـه حينا آخر فكانت تجسيـــدا حيا للمخاض النفسي والروحي وتصورا صادقا للنفس التواقـــه الى الحق ، الوثابـــة الى الثأر والانتقام ، الهادره خلف شعاراتها المزمجره من أجل الحق . ومن طبيعـــة الانسان الثائر ، انه كثيرا مايميـــل الى الهدوء والدعـة ، عندما يرى أنه ثورته لـــن تجديه نفعا ، فيلجـــأ الى السكون حيث التأمل والتفكر والتدبر أو قل الهروب مـــن الواقع والهروب من الدنيا والارتماء في احضان الفكر حيث الايمان والزهد والتصوف والشكوى الى الله حيث لاتنفع الشكوى للعبد . اقول : على نغم القيثـــاره وعلى نغم النغـــم الديني الحزين الذى رتلوا عليـه الحان الحب والولاء لاهل البيت صاغت انا ملهم الحانـــا اخرى في الزهد والتصوف وكأنها كما قلنا نهاية لثورتهم المتجدده ونهاية لتمردهم أو هزيمة لهم امام الواقـــع المر ولكنهم في أي حال من الاحوال لم يخرجوا عن طريقتهم التـــي اعتادوها ومنهجهـــم الذى سلكوه ذلك المنهـــج الذى كان دائما يصب في الاتجاهـــات الدينيـــه .

(١) الاعيان ج ٤١ ص ٥٤ والشيخ على من رجال القرن الثانى عشر الهجـــرى .

الزهـــــد

يقول الشيخ على بن احمد العادلى العاملــــى فى الزهـــــد :

الى كم تمادى بارتكاب المحــــارم وفعل المعاصى واكتساب المآثــم

وحتى م لا ينهاك عن غيك النهـــى ولم تستمع يوما نصائح لائـــم

أمالك فى ترك الهوى منك زاجـــر فترجع عنه قارعا سن نـــادم

بلى سوف تجزى فى غدما ما اجترحتــه قصاصا بعدل من لدن غير حاكم

وحسب الفتى ما أبيض من شعر رأســه بذاك نذيرا بعد اسود فاحــم

رويدك ما الانسان الا كظـــله وأيامه الا كأحـــلام نائــم

وحاذر خطأ الشيطان والنفس والهوى لتأ من يوم الحشر شر الجرائـــم

فيارب مالى غير عفوك شافــــع يقينى يقينى فاضحات المظالم (١)

وعلى طريقــة السالكـــين فى التصوف يقول الشيخ محمد على عزالدين العاملـــى المتوفى عام ١٣٠١ هـ ٠

حبيب لا يحب له شريكــــا دعانى فأستجبت الى دعــــاة

جلا عينى اذا نظرت اليـــه يحجبها اذا لحظت ســـواه (٢)

وفى ذلك يقول الشيخ نجيب الدين على بن الشيخ شمس الدين المكى وكان حيا عام ١٠٤١ هـ

اذا كانت الحياة الى المـــوت فقصر الاجال أولى واحــــرى

فالخطايا تزداد والعيش ضنـــك فهو أولى لاشك أولى واحـــرى

اما البهاء العاملى فهو رائد الشعر الصوفى اذ آن الروح التى كانت تختلج بيـــن ضلوعـــه كانت متطلعة وثابــة ٠ تواقــة الى الغيب وكشف اسراره انها روح الفيلســـوف الناســـك الزاهد سمت بصاحبها الى اعلى الرتـــب ٠

---

(١) الاعيان جـ ٤١ ص ٥٤ والشيخ على من رجال القرن الثانى عشر الهجرى

(٢) " جـ ٤٦ صـــ ٩٤ ٠

ووصلت به الى الغاية المرجوة من الزهد والتقى والعلم والفلاح اسمعـــه يقـــول :

انا الفقـــير المعـــنى	ذ ورقة وحنـــين
للناس طرا خـــدوم	اذا هم استخدمونـــي
يعلو مقـــامي قـــدرا	اذا هم لمسونـــي
ولست أسلو هواهـــم	يوما ولو قطعونـــي
هذا ومن سوء حظـــي	وحسرتي وشجونـــي
ان لست اذكـــر الا	عقيب غســل الصحون (١)

وهذا شعر على طريقة الشبلي وابن عربي ، والحـــلاج •

والتوبة مصباح على طريق الزهد وهذا الحسن بن على بن احمد العاملى الحانينى المتوفى ١٠٣٥ هـ يبكى نفســه ويحــار فى امر نفسه وهو فى القـــبر كيف يلقى ربــه وقد اثقلتـــه الخطايا والذنـــوب •

ترى قبري يكون باي ارض	وأي محلة فيها ترابـــي
ومابعد الممات يكون حالى	اذا حضر الملوك وماجوابـــي
لقد اثقلت ظهري بالخطايا	ونفسى فى عذاب من حسابـــي
عسى المولى يجود لنا ويعفو	ويمحو ماتحرر فى كتابـــي (٢)

ويقول صاحب المدارك (١٠١١ هـ) وقد سبق ذكره فى نفس المعنـــى :

ولقد عجبت وماعجبـــت	لكل ذى عيـن قريـــره
وأمامه يوم عظيـــم	فيـه تنكشــف السريـــره
هذا ولو ذكر ابـــن ادم	مايلاقـــى فى الحفيـــره
لبكى دما من هـــول ذا	لك مدة العمر القصيـــره
فاجهد لنفسك في الخـــلاص	فدونـــه سبـــل عســـره (٣)

---

(١) الاعيان ج ٤٤ صـــ ٢٥٠
(٢) " ج ٢٢ صـــ ٢٥٨
(٣) " ج ٢١ صـــ ٣٩٩

والعزلة ايضا طريق الى الزهـــد ومن العامليين من دعا اليها يقـــول السيد محمد الحسيني العاملي المتوفى (١٠٨٥) هـ .

أخي لاتركنــن الى أحـــــد حتى يواريــك ضيق الرمــــس
وعش فريدا عن الانام ففـــي البعد عن الانس راحة الانـــس (١)

وفي الابتهال لله والاستغفار يقول بهاء الدين العاملـــي :

وثقت بعفو الله عنـــي في غـد وان كنت ادري انني المذنب العاصي
واخلصت حبي في النبي وآلـــه كفى في خلاصي يوم حشري اخلاصي

وفي ذلك توريـــــه لطيفـــــه .

جـ ـ نظم معاني الاحاديث النبويه

ونظم الشعراء العامليون الكثير من معاني الاحاديث النبويه ومن ذلـــك الحديث الشريف وهو قوله (ص) : ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم (ع) انـــك لما أسلمت مالك للضيفان وولدك للقربان ونفسك للنيران وقلبك للرحمن اتخذنـــاك خليلا " الذي نظمه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى عـــام ١١٠٤ هـ قـــال :

فضل الغنى بالبذل والاحسـان والجود خير الوصف للانســـان
أو ليس ابراهيم لما أصبحـــت امواله وقفا على الضيفـــان
حتى اذا اتى اللهى اخذ ابنــه فسخى به للذبح والقربـــان
ثم ابتغى النمرود احراقا لـــه فسخى بمهجته على النيــران
بالمال جاد وبابنه وبنفســــه وبقلبه للواحد الديـــان
اضحى خليل الله جل جلالـــه ناهيك فضلا خلة الرحمـــن
صح الحديث به فيالك رتبــــه تعلو باجمعها على التيجـــان (٢)

وفي الشكوى يقول محسن بن شهاب الدين الكركي العاملي المتوفى عام ١٠٧٦ هـ حيث يشكو أمره فيقـــول :

---

(١) الاعيان جـ ٤٥ صـــــ ٣٤١
(٢) تاريخ جبـــاع صـــــ ٢٢٤

الى الله أشكو حاجة لاأنالها ... ودهرا اذا حاولت اضحى معارضا
واخوان سوء ليس فيهم اذا انبعت ... بنى الدار الا خاذلا او مناقضا
أراني اذا عاهدتهم فى ملمه ... ورمت الوفا منهم على الماء خائضا
فشأنك يادهري وما أنت صانع ... فلست لعهد الخل ماعشت ناقضا
فليس ينال المجد الا ابن حرة ... يكون باعباء العشيرة ناهضا (١)

هذا وليس باستطاعتنا استقصاء ماقيل فى تلك الاغراض الدينيه عند العامليين فمجالها أوسع من أن نلم بجوانبه هنا •

— ٢ —

التيار الاجتماعي

(١) المدح

من أشهر الاغراض الاجتماعية المدح وهو لدى الشعراء منذ القدم كالملح للطعام فهو الوسيلة الاولى للتكسب بالشعراء ولم يخرج كثير من الشعراء العامليين القدماء عن هذه السنة نمدحوا الخلفاء والامراء والحكام وأول شاعر عاملي سلك هذا المسلك ، هو عدي بن الرقاع العاملي ، واذا كنا هنا بغنى عن استعراض شعره لان له من الشهره مايكفى للتعريف عنه وقد كان منصرفا لبني امية مختصا بهم ويمدحهم الى جانب الفرزدق وجرير والاخطل والراعي وغيرهم وله فى مدح الوليد بن زين القصيده المشهوره التي مطلعها :

(١) الاعيان ج ٣٥ ص ١٤٦

عرف الديار توهما فاعتادهـــــا — من بعد ماشمل البـلى ابلادهـــا
ومنها : تزجى الجنين كأن ابرة روقهـــا — قلم اصاب من الدواة مدادهـــا
ولقد اراد الله اذ ولاكهـــا — من أمـة اصلاحها و رشادهـــا
تأتيه اسلاب الاعـزه عنـــوة — عصبا تجمع للحروب عتادهـــا

وله في مدح عمر بن الوليـــد :

واذا نظرت الى أميري زادنـــي — ضنـا به نظري الى الامـــراء
تسمو العيون اليـه حين يرونـــه — كالبدر فرج دهمــه الظلمــاء
والاهل يثبت فرعـــه متاثـــلا — والكف ليس بنانها بسـواء (١)

اما عبد المحسن الصوري فهو يختلف عن عدي حيث مدح كثيرا ولم يرج من ذلك نفعا ماديا فهـو يمدح عن حب وعاطفة واخلاص ويرفض على مدحه اجرا برغـم امـــلاقه وفقره أسمعه يقول :

الناس صنفـــان فمســترفد — مالا ولا فيـــك بافضــاله
فواحد ينفـــق من وجهـــه — واخر ينفـــق من مـــاله (٢)

ومن مدائحـه لابي الجيش قـــوله :

ابا الجيش حسب الشعر ماانت صانـع — وقد عجزت عن وصف ذلــك القصائـــد
اما انصلحت للمال فيـــك طويـــة — فتصلحـه حتى متـــى أنت حاقـــد
ولن يستطيع المظهـــرون معايبـــي — سوى أن يقولوا ناقص الحــال زائـــد (٣)

وفي شعر الصوري نحس بدبيب وسريان روح المتبنى فيها في ثنايـا قصائده ومعانيهـا ومـرد ذلك الى عزة النفس التي كان يتمتع بها كلا الرجليـــن •

---

(١) تاريخ اداب اللغه العربيه لجرجي زيدان ج ١ ص ٣٠٤ / وانظر اخبـاره في العقد الفريد ج ١ ص ٣١٤ ومافوق والمجلد التاسع من الاغانـي ص ٣٠٠ — ٣١١ ط — بيروت •

(٢) وفيان الاعيان لابن خلكان ج ٢ صـ ٣٩٧ مكـي ص ٥٦

(٣) الديوان ص ٢٧ مخطــوط مكـي ص ٥٨ •

ثم تستحثنا الخطى فنتجاوز قرونا عديدة يحدونا الشوق الى البهاء العاملي علنا نجد فى شعره من المدائح مايتناسب مع حجم اتصاله بالزعماء والملوك والرؤساء وقد كان ملازما للشاه عباس الصفوي الذى كرمه غاية التكريم فلم نعثر له على مديح فيه فى حين نجد له مدحا للسيد أبى الحسن البكري وذلك اثناء زيارته لمصر ه ولاندري فلعل لانتماء البكري لبني هاشم علاقة بالامر يصف الشاعر فى قصيدته ارض الكنانة ويقول :

يامصر سقيا لك من جنة قطوفها يانعة دانية
ترابها كالتبر فى لطفه وماؤها كالفضة الصافية
قد أخجل المسك نسيم لها وزهرها قد أرخص الغالية

ومهما يكن فان باب المدح عند البهائي ضيق وذلك دليل على [redacted] وبعد نظرة •

وقد اتصل شعراء عاملة بالملوك والامراء فمدحوهم ونالوا اعطياتهم فهذا السيد نور الدين علي شقيق صاحب المدارك المتوفي (١٠٦٨) هـ يمتدح الامراء فى مكة بقصيدة طويلة جاء فيها :

سموت على عالى المجرة دفعة ودارت على قطبى علاك الكواكب
وحزت رهان السبق فى حلبة العلى فأنت لها دون البرية صاحب

كما يمدح السيد جمال الدين الموسوى العاملى المتوفى (١٠٩٨) هـ امام اليمن فيقول :

خليلي عودا لي فيا حبذا المطل اذا كان يرجى فى عواقبه الوصل
خليلي عودا واسعداني فانتما أحق من الاهلين بل انتما الاهل
فقد طال سيرى واضمحلت جوارحي وقد سئمت فرط السرى العيس والابل

ومهما كان السير طويلا متعبا فانه لن يضير مادامت غايته الامام احمد :

ولكن طول السير ليس بضائر وغايته كنز الندى احمد الشهل
أبانت به الايام كل عجيبة يسير بها الركب اليماني والفضل (١)

---

(١) تاريخ جباع ص ٢٠٨ نقلا من أصل الاصل •

والتكسب ظاهر فى هذا المدح ويمدح الشيخ حسين الكركى العاملـــــس السيد كاظم الامين المتوفى ١٣٠٢ هـ علـى أن الثلثى ممن ينتسبــــون الى بنى هاشم فيقــــول :

ياسيد الصيد وابن الساده الغرر — وأشرف الناس من بدو ومن حضر
اصفيتك الود لاغرا بموقعــــــه — مالجهل بالحب من شأنى ومن وطرى
وقد رأيتك تبدى للعلى هممـــا — بها تحاك مناط الانجم الزهـــــر
حتى بلغت من العلياء منزلــــة — جاذبت أردانها الاشراف من مضر (١)

(٢) الهجـــــاء

ونأتى بعد ذلك للهجاء ومن الطبيعى أن نجده الى جانب المـــدح وبنفس الكثافه وأول الهجائين عند العامليين عدى الذى شارك زمــــلاءه الشعراء الامويين الهجاء وبادلهم اياه وقد هجاه جرير بقصيدتـــــه المشهوره التى يقول فيها :

انى اذا الشاعر المغرور حربنى — جار لقبر على مران مرمــــوس (٢)

ورد عليه أو سبقـه بمثلها عـــدى :

ويختلف الهجاء من واحد لاخر فهو عند الصورى عتاب للاهل وهجــاء سياسى لبنى أمية ومن هجائه لاخيه يقـــول :

أخ ويارب جــــــــــراح — لم يقـن فيـــه دم الاخويـــن

ويهجو مغنيه بطبريا كما هجا أحد البخــلاء وقد نزل عليــــه :

بت ضيفا له كما حكم الدهـــر — وفى حكمه على الحـــر قبـــح
قال لى اذا نزلت وهو من السكر — والهم طافح ليس يصحــــــو (٣)
لم تغربت قلت قال رسول اللـــه — والقول منه نصــــح ونجـــح
سافروا تغنموا فقال وقد قـال تمام الحديث صوموا تصحـــــوا (٣)

ومن الهجاء الطريف ماقاله الشاعر محمد على الكاظمى العاملى عندمـــا خطب امراه وكان رجلا اسكافيا فرفض تزويجـه ابنتـه قال الشاعر :

---

(١) تاريخ جباع ص ٢٣٤
(٢) الاغانى مجلد ٩ ص ٣٠٠
(٣) يتيمـه الدهر ج ١ ص ٣٠٠

بنى (...) طالكم وطال ـــــى ... تركتم نار قلبى فى اشتمـــــال
نصبت لظبيكم اشراك صيـــــد ... فأفلتها ولم يرد د حبالــــــى
وان جهل السفية فليس عقـــب ... عليه فهو مضـــــاط النعـــال
ولما لم يكن من صلب فــــــذ ... دعوه لامه باللرجـــــــال
سأتعب فى ابتغاء المجد نفسا ... تصيركم لها بعض الموالـــــى

ومن الهجاء السياسى ماهجا به أحمد باشا الجزار قوله :

يا طاغيا جعل الحياة جهنما ... فى هول قسوته وفى ارهابــــه
خسئت يوش أنت قائد ظلما ... أن تصرع الحق المنيع بغابـــة (٢)

(٣) الرثـــــــاء

أما الرثاء فلاشك انه يمثل غالبيــة شعر العامليين بنوعية العـــام والخاص أما العام فهو مايختص برثاء أهل البيت أما الخاص فهو ماكـــان فى الاهل والاقارب والاصدقاء والرثاء كلام باك ، فطر على قوله الانســان عند الممات ، ثم نظمه شعرا عندما استطاع ذلك ، والرثاء كما هو معلــوم عبارة عن عواطف ملتهبة ، ومشاعر عصفت بها الاحزان ، وهى تبعا لذلــك تختلف باختلاف المرثي ومركزه من الراثى قال الصورى فى رثاء أمـــه :

رهينة أحجار بيداء دكدك ... تولت فحلت عروة المتمســـك
وقد كنت اشكوان تشكت وانما ... أنا اليوم اشكوانها ليس تشتــك (٣)

ويرثى البهائى والده فيقــــول :

قف بالطلول وسلها اين سلماها ... ورو من جرع الاجفان جرعاهـــا
وردد الطرف فى اطراف ساحتها ... وأدرج الروح من ارواح أرجـــاها
فان يفتك عن الاطلال مخبرهـــا ... فلا يفوتنك مرآها ورياهـــــا
ربوع فضل تباهى التبر تربتهـــا ... ودار أنس تحاكى الدر حصباهــا
عدا على جيرة حلوا بساحتهـــا ... صرف الزمان فأبلاهم وأبلاهـــا

---

(١) الاعيان ج ٤٦ ص ١٠٨
(٢) تاريخ جباع ص ٣٥٦
(٣) مكـــــى ص ٥٩ .

بد ورتم غمام الموت جللهـــا شموس فضل سحاب الترب غشاهـــا
فالمجد يبكى عليها جازعا اسفا والدين يندبها والفضل يرعاها (١)

وهذا الرثاء يمثل الصدق والصفاء ولكن لننظر الى رثـاء الزعماء الذى تسمع له جمجمـــة ولا ترى له طحينا مثل ماقالة محمد الامين الثانى المتوفى ١٢٩٧ هـ فى رثاء حمد بيـــك أمير جبــــل عامـــل :

ارايت أى ملمة ومخســـوف سلب الكرى عن ناظر مطـــروف
هدمت صروف الدهر ارفع كمية ورمت سنا شمس العلى بكســـوف
ذهب الذى قد كان من عاداته فى الروع ضرب طلا وخرق صفوف (٢)

وفى رثاء الشهيد الثانى يقـــول البهـــاء :

هذى المنازل والاثار والطـــلل مخبرات بأن القوم قد رحـــلوا
ساروا وقد بعدت عنا منازلهـــم فالان لاعوض عنهم ولا بـــدل
فسرت شرقا وغربا فى تطلبهـــم وكلما جئت ربما قيل لى رحلـــوا
فحين أيقنت أن الذكر منقطـــع وأنه ليس لى فى وصلهم أمـــل
رجعت والعين عبرى الفؤاد شج والحزن بى نازل والصبر مرتحل
لهفى له نازح الاوطان منجدلا فوق الصعيد عليه الترب مشتمل
اشكو الى الله شكوى ليس يشملها الا مصاب الالى فى كربلة قتلوا (٣)

وأنت ترى مافيها من الحزن والشجى والرقه والحنين والحب والاخلاص أما رثـــاء الابناء فمنـــه قول الشاعر على زيدان العاملى (٤) فى رثاء ولـــده :

طعنوا الغداه وأخلفوك الموعدا فغدا سوام النوم عنك مشـــردا
مازال للاضعان قلبك ممهـــدا قد أغلت الاظعان ذاك الممهدا
هل تجمع الدنيا بهم شملى وهل تروى لى الاحلام عنهم مسندا
وقع الذى تخشى فهل تلقى علـى مانابـ من ريب الحوادث منجدا ، (٥)

---

(١) تاريخ جبـــاع صـــ ٧٧
(٢) الاعيان جـ ٤٣ صـــ ٢٩٩ (٣) الاعيان جـ ٤٦ صـــ ٢٦
(٤) ، (٥) توفى ١٢٨٩ هـ الاعيان جـ ٤٢ صـــ ١٨٧

أما الشاعر ابراهيم يحيى فانه يرثي شهيد جبل عامل ناصيف النصــــــــار وكان ملازما له ويقــــــــول :

وعاشت به الايام فينا ومجدنـــــا وبالرغم منى أن أقول مهــــــــدم
وكم عالم فى عامل طوحت بـــــه طوائح خطب جرحها ليس يلأم
وكم من عزيز ناله الضيم فاغتدى وفى جيده حبل من الذل محكم (١)

والشعر العاملى زاخر بالرثاء ومنه رثاء العلماء للعلماء كرثاء محمد بــــــن الحســن ابن زين الدين لاستاذه السيد محمد نور الدين الموســــــوى العاملى المتوفــــى ١٠٠٩ هـ وفيه يقــــــول :ـ

صحبت الشجى ما دمت فى العمر باقيا
وطلقت أيام الهنا والليالــيــــا (٢)

ورثاء حسن زين الدين المتوفى ١٠١١ هـ لاستاذه السيد على الصائغ المتوفى عام ٩٨٠ هـ الذى يقول فيـــــه :

داعى الغواية بين العالمين دعا قد غاب نجم الهدى من بعد ما سطعا
وأصبحت سبل الاحكام مظلمة وكان من قبل فجر الحق قد طلعا (٣)

وهكذا رثا العامليون اخوانهـــم .

هذا ومن الشعر الاجتماعى الذى نظمه العامليون فيما مضى ما قالوه فى ذم الفقر والبخل وجمع المال والظلم وبعض العادات الاجتماعيه السيئـــــــه كما مدحوا الكرم والعلم والعدل ... من ذلك مانظمه الشاعر نجيب الديــن شمس الدين وقد سبقت ترجمته فى ذم المال من أرجـــوزة طويــــــلة .

هذا ولى فى ذمــــة بيتــــان لكن هما فى طرف اللســــــــان
واعجبا منا ومن جبنـــــــــا للمال ما ذلك الا بـــــــــوار
فآخر الدرهم هم بـــــــــرى وآخر الدينار لا شك نـــــــار

---

(١) ولد الشاعر فى الطيبه ودرس فى شقرا (١١٥٤ هـ ــ ١٢١٤ هـ)
(١٧٤١ م ــ ١٧٩٩ م)
الاعيان ج ٢ ص ٤٥٠
الحركه الادبيه فى بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر لاسامه عانوتى ص ٥٢
(٢) تاريخ جبـــــاع ص ٩٣ (٣) تاريخ جباع ص ٩٧

وعن البخـــــل يقول :

البخل بالميسر الموجـــــود منشأ سوء الظـن بالمعبــــود
والبخل والتبذير توأمــــان ذمهما قد جاء فى القـــرآن (١)

ومما قاله صاحب (المدارك) فى مساواته بين الموت والجهـــل :

عجبت لميت العلم يترك ضائعا وجهل مابين البريه قــــدره
وقد وجبت احكامه مثل ميتهم وجوبا كفائيا تحقق أمــــره
فذا ميت حتم على الناس ستره وذا ميت حتم على الناس نشـره (٢)

(٤) الخمرة والمرأه والشيب

أما الخمره والمرأه والشيب ففى كل منها شعر عاملى ومابينها علائـــق متينـــة فالذى يتحدث عن الخمره يذكر المرأة والذى يصبو الى المرأه يذكـــر الشباب والشيب وشعر العامليين فى الخمرة قليل وان وجد فلا يصدر عــــن تجربة فقد نظمه الفقهاء عن غير علم به أما المرأة فقد تحدثوا عنها كثيرا ولكـن ليس على طريقة العابثين والمستهترين بالقيم ، ففى ذكرها حياء ، وكلامهـم عنها لا يخدش القيم والاخلاق ولا يؤذى المرأة نفسها ، أما الشيب فيكثـــر الحديث عنه عند ادراكه وظهور " عوراته " و" سوأته " ففى ذكره اســف وتحسر يخالجه الندم أو التوبـه وهذا شأن الدنيــــا .

فبالنسبه للخمره نجد أن عبد المحسن الصورى قد أجاد فى وصفهـــا والحديث عنها علما انه لا يعاقرها ويستشعر حرمتها فيطمع بغفران الله .

للرحمن فى يوم حســــاب النـــــاس غفــــران

ولكن هذه المغفرة لها حدود والخمرة شيطان مقنـــع بل سافـــر :

شياطين تولى بسطهــــم فى الغـــى شيطـــان
أطاعوه وفى طاعتـــه للـــه عصيـــــان (٣)

---

(١) الاعيان ج ٢١ ص ٣٩٩
(٢) " ج ٤٢ ص ٩٩ ـ ١٣٦
(٣) الديوان ص ١٣ مكسى ص ٥٨

أما البهاء فله فى " الخمرة ومجلس الانس شعر عذب سماه سوانح الحجاز والخمرة لديه ظاهرة تزيل الاوانس ، تفعل فى المظام كخمرة النواس وأكثر فان كان دبيبها عند الحسن ابن هانىء كدخول البرء فى السقم فانها عند البهاء العاملى تحيى المظام وهى رميم وترقى بالخمرة فى منزلتها فكأنها كأس قدسية لونها كنار موسى ذالطور صدره"

يانديمى ضاع عمرى وانقضى — قم لادراك زمان قد مضى

واغسل الادناس عنى بالمدم — واملأ الأقداح منها ياغلام

هاتها من غير مهل يانديم — خمرة يحيا بها العظم الرميم

خمرة من نار موسى نورها — وبها قلبى وصدرى طورها

وبين ضيق الوقت وطلب الخمرة تنزع نفسه لاستعجال الزمن ، الكأس والدنان آلات للخمرة فى اعتمادها تضيع رقعة العمر الباقية ماالعمل ؟

هاتها صهباء من خمر الجنان — دع كؤوسا واسقنيها بالدنان

ضاع وقت العمر من الاتها — هاتها من غير عصر هاتها (١)

والغريب أن الفقهاء من العامليين كالبهاء والمشغرى وصفوا الخمرة وهم لم يعاقروها ويبدو أن وصفهم لها كان من باب التقليد واعلم لا من باب الخبرة والتجربة ولكنهم أجادوا فى وصفها وهذا يذكرنا بالسيدة تقية بنت غيث الأرمنازى العاملية التى هاجرت من صور الى الاسكندرية وقد مدحت الملك المظفر بن أخى صلاح الدين بقصيدة أتت فيها على وصف الخمرة ، فلما وقف عليها قال : الشيخة تعرف هذه الاحوال من زمن صباها فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية فى وصف الحرب وقدمتها للملك ثم سيرت اليه تقول علمى بهذا كعلمى بتهذا (٢) " ٥٠٥ هـ — ٥٧٩ هـ" الموافق ١١١٢ م — ١١٨٤ م "

اذن فوصف الخمرة لا يعنى معاقرتها والشاعر المشغرى يتحدث عن الخمرة وكأنه يتحدث عن خمرة الجنة فخمرة الدنيا يعرف عنها ولا يعرفها يدرك آثارها من أحاديث معاقريها ولكن ما الحيلة فى أمره وقد ابتلى بالهموم ألا يهرب منها الى الخمرة ولو شعرا ؟

---

(١) تاريخ جبل عامل لمحمد جابر آل صفا صـ ٢٩٣

(٢) تاريخ سورية للخورى يوسف الدبس ج ٦ ص ١٤٣ — ١٤٤ / مكى صـ ٤٩

لا تعرض على مرارة عيشي | وكل واش ولا فريسة لاح
صاح كلني الى المدام ودعني | والليالي تجول جول القداح

والدهر العابس لا يضحك الا عندما يضحك القدح :

واستضحك الدهر قد طال العبوس به | لا يضحك الدهر حتى يضحك القدح (١)

وله في الخمرة شعر كثير .

والحديث عن الخمرة يقودنا الى المرأة ولما كانت المرأة جزءا من الرجل وتمثل مركز الاثارة لأحاسيس الرجل وانفعالاته فقل من ينجو من الوقوع في حبالها أو لا يمت بصلة الى وصالها أو الاستيلاء على قلبها والعاملي بطبيعته يحب الجمال وكانت الطبيعة العاملية ومازالت بجبالها الخضراء ووهادها المنبسطة ومياهها العذبة غنية بالجمال .. وهذا كاف لاشعال نار الحب عند أهلها فيتساقطون في بحور الحب والغرام ويهيمون خلف المرأة ... بعواطفهم المكبوتة ومشاعرهم الثائرة ..

يلتفت الشاعر العاملي حوله فيجد نهرا يجري وساقية تنساب وزهورا متفتحة وثمارا يانعة وبين هذا وذاك فاتنة هيفاء تتمايل كالغصن المياس لا يحجبها حجاب ولا يخدش حياءها ما يسيء ويشين سافرة الا أن الخفر يشدها والحشمة تحرسها وهذا ما يجعل نار الحب تتلظى في الصدور . فيتقرب اليها الشاعر متوددا متحببا .. ثم ينظم في حبها أجمل القصائد . وأعذب الألحان فالحياء يلف قصائده والتردد يسيطر على جو القصيدة .. واذا علمنا أن جل شعراء جبل عامل من الفقهاء والشيوخ نستطيع أن نتصور مدى الحرج الذي يعانيه الشاعر في غزله .. فهم يبتعدون عن مواطن الريبة والشبهات فيأتي غزلهم رقيقا عفيفا .. يستجيب لنداء الروح في المرأة وليس لنداء الشهوة والجسد ... ومع هذا كله كان وصف الشعراء العامليين للمرأة حسيا الا أنه ليس من نوع ما نقرأه اليوم لشعرائنا المراهقين :

يقول بهاء الدين العاملي في امرأة :

وماشة الأعطاف تستر وجهها | بمعصمها الله كم هتكت سترا
ارادت لتخفي فتنة من جمالها | بمعصمها فاستأنفت فتنة أخرى (٢)

(١) مكي ص ١٢٧
(٢) الاعيان ج ٤٦ ص ٢١٩

أما الشيخ علي سبيتي فينظر الى المرأة على طريقة القدماء فيرى قامتها الهيفاء وتثنيها كغصن البان فيقول :

وذي قامة هيفاء كالغصن تنثني ... وردف كأحقاف بمالج يرتج (١)

وقريب من هذا المعنى الحسي ما قاله الشيخ محمد علي عز الدين :

من زرع الورد على وجنتك ... من أطلع السوسن طلعتك
من زرع الآس على عارض ... عارضه النرجس من مقلتك
من صاغ هذا الجيد من فضة ... من أفرغ الدر على لبتك
من شق هذا الصدر من عسجد ... رماه بالرمان من جنتك
سبحانه من خالق بارئ ... أعطاك مالم يلف في حسبتك
أعطاك ما أعطاك كي يبتلي ... مثلي في منحك أو محنتك (٢)

وقريب من هذا ماقال عبدالمحسن الصوري :

ياغزالا صاد قلبي ... بلحاظ فأصابا
يالذي ألهب تعذيبي ... ثناياك العذابا
والذي ألبس خديك ... من الورد نقابا
والذي أودع في ... فيك من الشهد شرابا
والذي حير حظي ... منك هجرا واجتنابا
مالذي قالته عيناك ... لقلبي فأصابا (٣)

ويقول الكركي العاملي المتوفى (١٠٧٦ هـ) لصاحبة الشعر الطويل :

يا شقيق البدر أخفي ... بدرك المسدول بدرك
فارحم المشتاق واكشف ... ياجميل الستر سترك (٤)

وهذا الشيخ حسين عبدالصمد والد البهائي والمتوفى (٩٨٤هـ) يشتاق الى حبيبته كلما شم رائحة الورد ويتمنى أن يشرب الخمر على ما فيه من شقاء لحرمته من يديه ليجد فيه الشفاء :

---

(١) الاعيان جـ ٤٤ صـ ٣٦٧
(٢) الاعيان جـ ٤٦ صـ ٩٨
(٣) الاعيان جـ ٣٩ صـ ١١٠
(٤) الاعيان جـ ٢٦ صـ ١٤٧

ما شممت الـــورد الا　　زاد قلبي شوقا اليـــك
واذا مامال غصــن　　خلته يحنــو عليـــك
ان ذاتي وذواتــي　　يامنايا في يديـــك
أو لو أسقى لأسقــى　　خمرة من شفتيـــك (١)

ثم اذا بنا أمام لون آخر من غزل الفقهاء ونستشف منه مرارة الحرمان تقف وجها لوجه أمام التقوى والورع ذلك هو ماقاله الشيخ نجيب الدين على بن محمد بن مكى العاملى المتوفى ١٠٥٠ هـ :

مدت حبائلها عيون العـــين　　فاحفظ فؤادك يانجيب الديــن
فى هجرها الدنيا تضيع وطلبها　　فيه اذا وصلت ضياع الديـــن (٢)

وفى هذا الاتجاه كان يسير أبدا الغزل العاملى فهو غزل رقيق صادر عن مشاعر وأحاسيس مرهفة الا أنه صدر عن فقهاء لا يقصدون به الغزل الا تحقيق المتعـــة الروحية استجابة لنداء الفن واخلاصا لروحه العالية .

وماذا بعد الخمرة والمرأة وهما من مطالب الشباب الغض الفتى ؟

ماذا عندما يفقد الانسان شبابه ويقف على عتبة الشيخوخة ؟ وقد أحس بعجزه عـــن تلبية مطالب الشباب والخضوع لرغباته ؟

لا شك أن الانسان كل انسان يقف بعد ذلك عند حد معين على مفترق طرق مترددا بين حب العودة الى الخلف والتيار الجارف الذى لا يرحم وهو يدفع بـــه الى الامام حيث الشيخوخة والعجز والموت .. فماذا يملك المرء عندئذ ؟ انه حقـا لا يملك شيئا غير الندم فالتوبة أو البكاء على الماضى حيث لا ينفع لا ندم ولا بـــكاء ولكنه الألم الحاصل والذى لا مهرب منه فنحن لا نستطيع أن نمسك أنفسنا من التأوه عند وقوع الألم وعن البكاء عند وقوع الكارثة ونحن نعلم أن ذلك لن يجدينا بشـــئ لقد بكى العامليون شبابهم عندما أدركتهم الشيخوخة .

---

(١) تاريخ جباع صـ ٨٣
(٢) تاريخ جباع صـ ٢٦٨

وهذا المشغرى وقد أدركته الشيخوخة يتذكر بألم وحسرة أيام شبابه يوم كان يجرى مع الشهوات تلبية لنداء شبابه ويقارن بين تلك الأيام وهذه حيث فضحة الشيب ولجمه — ولكنه سرعان ما يستدرك وكأنه ينتفض فيقول :

وكنت اذا نزعت الى هنات ... جريت مع الصبا طلق الرياح
فقلدنى المشيب على عذارى ... لجاماً كف رأسى عن جماحى
فقلت لماذلى ايه فانى ... وهبت اليوم سمعى اللواحى
وماحسن العيون بلا بياض ... وماليل التمام بلا صباح
وما ضيف أتاك بلا احتشام ... وأنت من الرحيل على جناح (١)

يقول البعض تمتع صغيرا تقنع كبيرا فالشيخ عبد الله نعمة المتوفى ١٣٠٢ هـ يحتشم صغيرا ويلبس ثياب الوقار مبكرا ولكنه عندما شاخ تستشبنم على ضياع تلك الايام حين لا ينفعه الندم :

عصيت هوى نفسي صغيرا وعندما ... أتتني الليالي بالمشيب وبالكبر (٢)
أطعت الهوى عكس القضية ليتني ... خلقت كبيرا ثم عدت الى الصغر

---

(١) تاريخ جباع صـ ١٨٦
(٢) الاعيان جـ ٣٩ صـ ١٧

(٥)

الحنـــــــين

وقد ورث العامليون عن أجدادهم حب السفر والسعي من أجل الـــرزق والهجرة فى طلب العلم . هذا وقد جعلوا منذ مقتل الحسين من النجف مهاجرا لهم طلبا للعلم وقد سافروا بعد ذلك الى مصر للسبب نفسه وقد تعددت رحلاتهم وأسفارهم لأسباب مختلفة والحنين وليد السفر والغربة والفراق وعلى قدر الرقـــة والحب والشوق تكون جودة شعر الحنين وهذا الحنين اما أن يكون للأرض واما أن يكون للأهل والأقارب واما أن يكون للأصدقاء واما أن يكون لذكريات عابـــرة وأصدق ما يكون الحنين لمراتع الصبا والطفولة . والعامليون معروفون بتعلقهـــم بالأرض وحبهم للوطن وافتدائه بالغالى . كما أنه يعرف عنهم الاخلاص فـــى الحب والوفاء للذكريات والخلان .

عندما غادر الشيخ حسن بن زين الدين المعروف بصاحب المـــدارك أرض عاملة متوجها الى النجف الأشرف لتلقى علوم الفقه واللغة فى جامعتهـــا المشهورة آلمه الفراق وألهب مشاعره الحنين لأرض عاملة وفكره فى أرضه وجسمـــه فى العـــراق :

فؤادي ضاعن أثر النيـــاق ... وجسمي قاطن أرض العـــراق
ومن عجب الزمان حياة شخص ... ترحل بعضه والبعض بـــاق
وأظما في النوى وأراق دمعي ... فلا أروى ولا دمعي يـــراق (١)

أما على بك الأسعد المتوفى ١٢٨٢ هـ فقد كان حاكما لتبنين وطرأ له طـــارئ فذهب الى دمشق لمقابلة الوالى وقد مات فى تلك الرحلة بعد ما أصيب بالكوليرا التى كان يقال لها " الهواء الأصفر " وقبل أن يطرحه الوباء ألهبه الشـــوق لعاملة فتذكر الأهل وحن اليهم . بثهم لواعج قلبه وأشواقه وحبه وكتب لهم ولعـــل

---

(١) الاعيان ج ٢١ ص ٤٠٤ ــ ٤٠٥

ما كتبه لهم كان آخر ما كتب :

ألا بلغي يا ريح عني تحية يعطر أرجاء الربوع عبيرها
وقولي لأحباب تناءت ديارهم وشطت مغانيها وبانت قصورها (١)
أخذتم فؤادي خلسة ومنعتم رقادي فهل لي مهجة استعيرها

أما الشيخ عبد الله نعمة فقلبه موزع بين العراق وعاملة فعندما يكون في العراق يحن الى عاملة وعندما يكون في عاملة يحن الى العراق يقول في حنينه الى جبع في عاملة :

رعى الله طوداً قد تشأت بظله وحياه من صوب الغمام بنافع
فان به داري ومنزل جيرتي وملعب أترابي وروض مراتعي
لقد برح الشوق الملح بناظري وأذكى لهيبات الغضا في أضالعي (٢)

وفي حنينه الى العراق :

ياراكبا يطوي الفلاة ميمما أرض العراق مواطن الأخوان
عج بالغري مقبلا تلك الربى ركن الأمان ومنبت الايمان

وواضح الفرق بين حنينه لأهله وحنينه للعراق فالأخير فيه نفحة دينية حيث يحن الى الغري حيث العتبات المقدسة .

وللحنين في شعر ابراهيم يحيى نصيب وافر " ولعل أكثر شعره صدقا في العاطفة وجلالا في الموضوع والتعبير هو شعر الحنين (٣)

فقد شرد الشاعر عن وطنه وكثرت أسفاره وكان يشده الحنين الى ربى عاملة ويمزقه الشوق فيكفكف دموعه تماسكا من ألم الشوق :

أكفكف دمع العين وهو غزير وأكتم نار القلب وهي تفور
وانتشق الأرواح من نحو عامل وفيها لمثلي سلوة وسرور (٤)
منازل أحباب اذا ما ذكرتهم شرقت بماء المزن وهو نمير

(١) الاعيان ج ٤١ ص ٣٥٦
(٢) و (٣) الاعيان ج ٣٩ ص ١٧
(٤) مكي ص ١٥٧

وللسيد موسى عباس (١) في الحنين الى عاملة شعر رائع ولعله كان منصرفاً الى حمد المحمود وعندما كان يغيب عن جبل عاملة يبعث له بقصائد يضمنها شوقه وحنينه :

الى عامل شوقي وفي القلب عامل ... فيا ويح قلبي مابه الشوق عامل
يحملني مالا أطيق وأنه ... لينقل رضوى دون ما أنا حامل
فراق ووجد واشتياق ولوعة ... وحزن وان طال المدى متطاول
فما أنس لا أنسى الزمان الذي مضى ... بعاملة والدهر عني غافل
وياحبذا لبنان من سفح عامل ... وياحبذا أجباله والسواحل (٢)

— ٦ —

الشعر الوجداني

ومن الحنين الى الشعر الوجداني وهو من الشعر الفلسفي حيث التأمل والتفكر في النفس والانسان ووصف الحال ومنه ما قاله الشيخ محمد علي عزالدين وقد مات عن سبعين عاما :

اذا مت فانعيني بما أنا أهله ... لدى كل عاد واقرعي سن نادم
وسحي دموعا يقصر الودق دونها ... وشقي علي الجيب يا ابنة هاشم
وقولي فلان كان أول غارم ... لدين المعلى عفوا وآخر طاعم (٣)

فهو يطلب منها البكاء وشق الجيب وكما نعلم فشق الجيب محرم ولكن الشعر كثيرا ما يتجاوز حدود العقل لأن العاطفة ممدته

---

(١) السيد موسى عباس توفى ١٢٥٣ هـ
(٢) العرفان م ٦٢ ج ٤ صـ ٤٣٠ سنة ٩٧٤ بقلم حسن الأمين
(٣) الاعيان ج ٤٦ صـ ٩٤ ـ ٩٥

وللشيخ حسن زين الدين قصيدة طويلة مطلعها :

ماأومض البرق فى داج من الظلل — الا وهاجت شجونى أو نمت عللى
وازداد اضرام وجدى حين ذكرنى — لذيذ عيش مضى فى الأزمن الأول
اذ كنت من حادثات الدهر فى دعة — مبلغا من لديه غاية الأمل

ولـه

أجهدنى حمل النصب — ونالنى فرط التعب
اذ مر حالات النوى — على دهرى قد كتب
لا تعجبوا من سقمى — ان حياتى لعجب (١)

وفى التظلم والشكوى يقول الشيخ عبدالله نعمة :

لا تكثرن من الشكاية ان أتى — أمر الاله واظلمت تلك اللجج
واصبر كما صبر الكرام فربما — جرت اليك عواقب الصبر الفرج (٢)

أما الكركى العاملى فانه يدعو الى القناعة وعزة النفس :

كن قنوعا بحاضر العيش والبس — من غنى النفس كل يوم غلالة
واقصر النفس عن بروق الأمانى — فالأمانى أدام خبز البطالة (٣)

ومن مواعظ صاحب المدارك قولـه :

تحققت ما الدنيا عليك تحاولـه — فخذ حذر من يدرى بمن هو قاتلـه
ودع عنك آمالا طوى الموت نشرها — لمن أنت فى معنى الحياة تماثلـه
ولا شك ممن لا يزال مفكرا — مخافة فوت الرزق والله كافلـه
ولا تكثرن من نقص حظك عاجلا — فما الحظ ماتبغيه بل هو أجلـه (٤)

---

(١) تاريخ جباع صـ ١١١ — ١١٤
(٢) الاعيان جـ ٣١ صـ ٩٩ — ١٣٧
(٣) الاعيان جـ ٢٦ صـ ١٤٠
(٤) الاعيان جـ ٢١ صـ ٣٩٩

(٧)

الاخوانيـــــــات

ومن الشعر الاجتماعي الاخوانيات وهي رسائل شعرية يبعث بهـــا الشعراء لبعضهم يبثون فيها لواعج الشوق والحب والمودة ويضمنونها أفكارهـم وآلامهم وأحلامهم ويشكون الزمان حينا والناس حينا آخر وكان لشعراء جبل عامل نصيب وافر من هذا اللون الشعري وكانت تتقاذفهم الحياة بين العراق وعاملة أو في قرى جبل عامل نفسه فالذي يقيم في العراق يراسل أهله في لبنان شعـرا والذي في لبنان يراسل من له في العراق شعرا وكثيرا ما كان شعراء جبل عامل وهم مقيمون في قراهم المتناثرة هنا وهناك يتراسلون شعرا بقصد الدعابة أو ما شابه ذلـك •

كتب كاظم الأمين الى ابن عمه محمد الأمين قائلا

أأبا الجـواد مقالة مـن ناصـح ... قد هذبته يد النهى والأزمـن

بمكارم الأخلاق كـن متحليـا ... تهدى الثناء على علاك الألسـن (١)

ومما كتبه الشيخ علي زيني العاملي وكان حيا عام ١٢٠١ هـ الى صديقه عبد الباقي كاتب ديوان الانشاء ببغداد في عهد ولاية علي باشا كتخدا :

عهدي بك قد طال وقاك الواقـي ... للنوم نفـسي

والجفن حكى به معه المهـــراق ... غيثا وكفـي

بعد وجفاء وغربة بــين رعـاع ... أهل الجبـل

الحظ مساعد به كل لـــكاع ... خصم لعلـي (٢)

---

(١) الاعيان ج ٤٣ صـ ٧٣

(٢) الاعيان ج ٤٢ صـ ٨٤

وكتب احمد بن سليمان الفجري الى عبد المحسن الصوري وقد اعتكف ببيته واعتزل الناس :

أعبد المحسن الصوري لم قد ... جثمت جثوم منهاض كسير
فان قلت العيالة أقعدتني ... على مضض وعاقت من مسيري

ثم جاء فيها :

تحرك هل ان تلق كريما ... تزول بقربه أشجى الصدور
فما كل البرية من تراه ... ولا كل البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن :

جزاك الله عن ذا النصح خيرا ... ولكن جاء في الزمن الأخير
وقد حدت لي السبعون حدا ... نهى عما أمرت من المسير
وقد صارت نفوس الناس حولي ... قصارا عدن بالأمل القصير (١)

هذا وقد تراسل البهاء مع والده شعرا ذكرنا شيئا منه فيما مضى والاخوانيات كثيرة في الشعر العاملي قديمه وحديثه ٠

(٨)

الجدل المذهبي والعقدي

ومما ازدهر من أبواب الشعر في جبل عامل : الجدل المذهبي والعقدي بين الشيعة العامليين ومن خالفهم في المذهب والدين وقد برع العامليون في هذا اللون بالدفاع عن آرائهم ٠٠٠ فهم كشيعة يكرهون بني أمية ولكن كراهيتهم لأولئك لم تمنعهم من رؤية الصالح في بني أمية كمعاوية الثاني وعمر بن عبد العزيز

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٣٠٩

ويكرهون العباسيين الا أنهم يتعصبون للبعض منهم كالمأمون وغيره وعلى كل حال فان نفس العامليين في الجدال المذهبي ضيق وقصير لا عجزا ولكن اعراضا فهم يفضلون عدم خوض أي نقاش مع اخوانهم المسلمين لكي لا يفسحوا المجال أمام اتساع الهوة . أما مع النصارى فلهم موقف آخر . ومن الحجاج المذهبي ماجرى بين مروان بن أبي حفصة والسيد على الأمين المتوفى ١٢٤٩ هـ فالأول يفضل بني العباس على الهاشميين فيرد عليه السيد على الأمين :

فياراكبا اما عرضت فبلغن | سلامي على خير الورى أكرم الرسل
وحي أمير المؤمنين وزيره | وعترته الغر الكرام أولي العدل
وبث لهم عزني فاني بحبهم | أجادل أقواما لئاما ذوي جهل
ولأمهم مروان ذو الجهل والعمى | وأكذبهم في القول منه وفي العقل
فتى باع أبناء النبي محمد | بأبناء عباس ذوي الجبن والبخل
* فدونك أبائي فجئني بمثلهم | اذا ما تفاخرنا وهيهات من مثل

وكان الشاعر ممن ينتمون الى الدوحة الشريفة من حيث النسب وبهذه الطريقة البسيطة يعرض الشاعر العاملي وجهة نظره دون لف أو تعقيد وفي القصيدة مقارنات كثيرة فهو يقارن بين هارون الرشيد من العباسيين وموسى الكاظم من الهاشميين وبين المنصور العباسي وجعفر الصادق الهاشمي فيقول :

أهارونهم كالكاظم الغيظ في الحجى | ومنصوركم كالصادق القيل في النبل
علية منكم أم عليـة منهم | كان لكم شيخ القنا أم لهم قل لي (١)

والقصيدة طويلة يناقش فيها خصمه مناقشة علمية هادئة ويسير معه خطوة خطوة دون أن يتوجه اليه أية تهمة أو أن يسيء اليه فهو يدافع عن أصحابه معتمدا في ذلك على الأدلة والبراهين والقرائن مستعينا بالكتاب والسنة لاظهار حق أهل البيت ثم يدافع عن الحسن والحسين

---

(١) الاعيان جـ ٤٢ صـ ٧١

وكان الشيخ عبدالحليم بن عبدالله النابلسي الشويكي المتوفى (١١٨٥ هـ) الفوا خير لظاهر العمر كثيرا ما يهاجم الشيعة ويحرض عليهم وفى احدى الحروب التى وقعت بين العامليين والفلسطينيين بقيادة ظاهر العمر فى طبريا وكانت الغلبة فيها للعامليين فقال النابلسي قصيدة هاجم فيها الشيعة فأجابه الشيخ حسن سليمان المتوفى ١١٨٤ هـ بقصيدة جاء فيها :

عنى اليك فهل بلغت مزارها — وحللت فى طلب الوصال ديارها
وشممت أيام الحياة أريجها — وخلعت فى روق الشباب خمارها
وأسمت لحظك فى رياض جنانها — وقطفت فيما تدعى أزهارها

وجاء فيها :

دع عنك يا مغرور نخوة مبدع — لا يهتدى أبد الزمان منارها
سل يوم طبريا وقد هجم الصبرى — والحرب تقدح الكماة شرارها (١)
هل كان غيرهم يمج سنانه — حتفا ويروى فى الوغى أشرارها

ولولا أن هجوم النابلسي كان موجها الى الشيعة لما كنا اعتبرنا رد الشاعر حسن سليمان من قبيل الحجاج والجدال فهو الى الفخر والحماس أقرب والحقيقة أننا نلمح دفاع الشيعة عن عقيدتهم فى ثنايا رثائهم لأهل البيت من شهداء كربلاء وغيرها فليرجع اليها من يشاء وقد أوردنا قسما منها فى فصل سابق .

(٩)

تقريظ الكتب

والغريب أننا نجد فى شعر العامليين الشىء الكثير الموضوع خصيصا لتقريظ الكتب والثناء على مؤلفيها ولذلك دلالة بالغة على مدى اهتمام هؤلاء بتأليف الكتب والاحتفاظ بها وبواضعيها وذلك غرض لم نجد مثله فى أغراض الشعر العربى

---

(١) الاعيان جـ ٢١ صـ ٤٣٣

وان وجد فأنه محدود جداً غير أن الامر عند العامليين على العكس

ومن ذلك أن الشيخ زين الدين وهو الشهيد الثاني له اكثر من ثمانين مؤلفاً ومن بينها كتاب " مسالك الافهام الى شرائع الاسلام " الذى لقى قبولاً واستحساناً لدى الكثيرين من المهتمين بشؤون الفكر والفقه فمدحه ولده وهو المعروف بصاحب " المدارك " فقال :

لولا كتاب مسالك الافهام ... مابان نهج شرائع الاسلام

كلا ولاكشف اعجاب مؤلف ... من مشكلات غوامض الاحكام (١)

يضع السيد مرتضى العاملي رسالة فى بعض العلوم الفقهية تقع تحت يد السيد نصر الله الحائرى الذى يسارع فى تقريظها فيقول : ـ

حبرها المهذب الصفى ... سيدنا المنتخب الوصى

سيد قطب المجد والسيادة ... وشمس أفق اليمن والسعادة

محرر المنقول والمعقول ... ومتقن الفروع والاصول

محمد بن حيدر بحر الندى ... من قد غدا فى ذا الزمان مفرداً (٢)

ويصنف بعضهم كتاباً فيتسابق الشعراء الى تقريظه والثناء عليه فيقول الشيخ على ابن أحمد العادلى العاملى :

هذا الكتاب ترفع ... على المجاميع أجمع

وكاد يعبق طيبا ... محله حيث يوضع

ويستشف ضياء ... مما حواه فيلمع

له يدين كتاب ... به يتيه ويخشع

يرون كل أديب ... مافيه مرأى ومسمع

---

(١) تاريخ جباع ص ٦٨

(٢) الاعيان ج ٤٨ ص ٥٠

ومنهـــا :

لله در أديب به البلاغة أودع

تالله حلفة صدق لقد أجاد وأبدع

وكيف لا وهو بحر من الفضائل مترع (١)

وعند ما اطلع السيد نصر الله الحائرى على هذا الشعر فى تقريظ ذلك الكتاب بعث للشاعر يقول :

حير عقلى ذا الكتاب الأنيق فليس للوصف اليه طريق

دقيق معنى جزل لفظ له كل مجاميع البرايا رقيق

ومنهـــا :

كم نشق المشاق من نفحها نسيم أخبار اللوى والعقيق

د ستها صوب يراع الذى أصبح دوح الفضل فيه وريق

فرد عليه الشاعر :

نعم له كل كتاب رقيق بلفظه الجزل ومعنى دقيق

فرائد قد نظمتها لأليب من كل عقد للعذارى يليق

ومنهـــا :

ألفه الواحد فى عصره فهو بما أحدث فيه حقيق (٢)

وظهر كتاب " نشوة السلافة ومحل الاضافة " وهو كتاب بعيد الصيت للشيخ أبو الرضا محمد على بن الشيخ بشاره بن الشيخ خلف النجفى الذى شرح نهج البلاغة وكتب فى النحو وهو شاعر مجيد . فما أن تسامع الشعراء بأخبار هذا الكتاب حتى شرعوا يتسابقون على تقريظه ومن هؤلاء الشيخ محى الدين ابن الشيخ حسين بن الشيخ محى الدين الهمدانى العاملى وكان حيا عام (١١١٦هـ) قال :

---

(١) الاعيان ج ٤١ ص ٤٦

(٢) الاعيان ج ٤١ ص ٥٦ ـ ٥٧

سلافة ذى العصر تلك التى ... غدا الفخر ثوبا لها يلبس
حكت جنة الخلد حيث انطوت ... على كل ما تشتهى الأنفس
كفى بعاملى لها موئلا ... مؤلفها العالم النقرسى (١)

وللسيد صدر الدين .. الموسوي العاملي النجفي (١١٩٣ ـ ١٢٦٤ هـ) فى مقدمة كتاب القوانين لابن سينا :

ليت ابن سينا درى اذ جاء مفتخرا ... باسم الرئيس بتصنيف لقانون
ان الاشارات والقانون قد جمعا ... مع الشفا فى مضامين القوانين (٢)

وهذا يظهر مدى اهتمام العامليين بالكتب وكتابتها وتصنيفها وقراءتها ونقدها ولم نعلم فيما قرأناه أن قطرا عربيا فى تلك العصور حظى فيه الكتاب بهذا الاهتمام الزائد الا عند العامليين وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من أن جبل عامل بقي منارة يشع منها نور الفكر والمعرفة بمر الأيام وما خبا ذلك النور مرة قط .

هذا ومن

(١٠)

الوصف

هذا من الأغراض التى أحسن فيها العامليون الوصف فقد وصفوا كل ما وقعت عليه أنظارهم فأحسنوا وأجادوا وربما كان لجمال الطبيعة فى جبل عامل أثر فى ذلك فقد وصفوا النهر وهو يتلوى فى مسيرته بين الأشجار وسط الغابات الكثيفة ووصفوا السواقي والجداول وهى تنساب رقراقة دفاقة بين الأزاهير والأعشاب والرياض ... وصفوا الجبال بشموخها والقلاع برسوخها والقصور بزخرفتها ... وصفوا وادي الحجير والسلوقي ... وصفوا مواكب الحجيج والصلاة ..

ففى وصف رحلة الى المشهد الرضوي نظم السيد صدر الدين المتقدم ذكره قصيدة وصف فيها الفرس وسيرها وسرعتها :

---

(١) الاعيان جـ ٤٨ صـ ٢٩
(٢) الاعيان جـ ٤٥ صـ ٢٤٥

أتتك اشتياقا تعد القفارا | سوابح تقدح في السير نارا
تطير مثار الحصى بالحصى | وتتبع باقي الغبار الغبارا
ارادتك أبعد غاياتها | وقبل الطواف رمين الجمارا
من الصافنات تباري الصبا | اذا الاقحوان على الجيد مارا (١)

وقد وفق الشاعر في وصفه هذا وعلى الأخص في قوله " وتتبع باقي الغبار الغبارا " الذي يذكرنا بقول امرئ القيس " مكر مفر مقبل مدبر معا ... " وكم هي موحية كلمة " تقد " حيث جاءت في موضعها . أما كلمة " سوابح " فانها حالمة موحية يتخيل معها السامع لأن تلك الفرس تسبح في الهواء لسرعتها الفائقة وهذا يذكرنا بقول الشاعر " وسالت بأعناق المطي الأباطح " ومن شدة سرعة الفرس فانها ترتطم قوائمها بالحجارة بشدة فيتطاير الشرر ... وهذا يصور لنا مدى قوة الفرس و لا نريد التوقف أكثر من هذا مع هذه الابيات ونترك للقارئ مهمة تذوقها وتقويمها .

وعلى ضفاف الليطاني تحلو الجلسات وبعد الجلسات الذكريات ومن الذكريات القديمة على ذلك النهر صورة رسمها الشاعر الكبير عبد المحسن الصوري:

لا يوم كان كيومنا | في المعجبات بشاطي ليطا
والطل ينشر كل وقت | لؤلؤا فيها سقيطا
فاذا رأيت الدر أبصر | ت العقيق به منوطا
والطير تستبق النشيد بها | وتقتضب البسيطا (٢)

أما وادي الحجير وهو أحد روافد الليطاني فكم استوقف الشعراء بجماله وسحره وخضرته التي تلونه طوال أيام العام وكم أغراهم بفتنته ومائه العذب الزلال الذي يسيل في بطن الوادي يتلوى بين أشجاره وزهوره وأعشابه وعلى نغم خرير مائه تصدح الطيور أعذب الألحان فتختلط الأصوات وتتجانس الألحان لتؤلف سمفونية أبدية خالدة أما مطاحن الحجير المنتشرة على جنبات الوادي والتي تتقاطر اليها

---

(١) الاعيان جـ ٤٥ صـ ٢٤٦
(٢) مكي صـ ٦١ والديوان صـ ٩٨

زرافات من الصبايا والشباب يتمايلون حول أحجار المطاحن وصخور الـــوادي وأشجار الملول والسنديان والرند الباسقة .. كل هذه المناظر كانت تمثل الوحي والالهام للشعراء .

من الشيخ محمد علي الخاتوني (١٢٨٦ هـ) في وادي الحجير فحرك قيثارته وعزف عليها لحنا صاغه من الطبيعة قال :

هذا الحجير فرو منه غليـــلا	واحبس ركابك في رباه طويـــلا
نهر يزول صدى القلوب بمائه	فاق الفرات محاسنا والنيـــلا
وتغردت فوق الغصون به وحي	تشدو البلابل بكرة وأصيـــلا
ان كل قاصده الغداة طريقة	كان الاريج بسه عليـــه دليـــلا
واد سقته المعصرات وأمطرت	أودا وكم فيه اتخذت مقيـــلا
والروض باسمة هناك ثغـــوره	جر الندا من فوقهن ذيـــولا (١)

ومن الوصف ما قاله محمد علي عزالدين في وصف الناقة :

مشت مشية الظلمان حتى اذا غدت
بيغداد أضحـــت تسلب المشية البطـــا
أرحها فقد أعطتك في سيرها المنى
يقينا وقبـــلا خالج الشك أن تخطـــى
ودعها تبات الحـــزن ترعى اذا رعت
سواها الغضا والشيح والاثل والخمطـــا

ومن الوصف وصف القرط للشيخ علي بن أحمد العاملي :

بنفسي ساحر الالفاظ ألمى	يريني حين يبدي الصد حينـــي
يمثل قرطه خفقان قلـــبي	فاغدو مثله بالخافقـــين

---

(١) الاعيان جـ ٤٦ صـ ١٤٠

ومن وصف العامليين وصف المعارك الحربية والذى تألق فيها ابراهيم العاريضى (١١٨٥ هـ ١٧٧١ م) وقد رافق المعارك التى خاضها العامليون ضد اللبنانيين والفلسطينيين والتى كان يقودها فى عصره ناصيف النصار ومن وصفه لاحدى المعارك قولـه :

ومد النقع فوقهم غمامــا	تراكم لا تقول له انقشــاعا
رويدك لا تلحقي ان نفسي	ترى الأقطار شبرا أو ذراعـا

ومن ذلك تلك الصورة المتحركة التى رسمها الشاعر بريشته الساحرة تصويرا سريعـا متحركا كأنها التصوير السينمائى :

والخيل ناكصة على أدبارهـا	والبيض تلمع فى ظلام القسطـل
والهام طائرة وكل مدجـج	رعش الفؤاد عن القتال بمعـزل (١)

ومن هذا القبيل شعر الحماس والفخر وقد كثرت المعارك التى خاضها العامليـون اذ كانوا محاطين بالأعداء من كل جانب وفى تلك الأيام كان العدو متحركا فهـو لا يثبت فاليوم صديق وغدا عدو ولأن المداوة كانت نتيجة الصراع بـين الزعمـاء والولاة على السلطة .... وكان الشعراء العامليون يراقبون ما يقع من معـارك فيصفونها ويبثون روح الحماس فى صفوف رجالها ضمن الحماسيات ذكرناه لابراهـيم العاريضى . من الفخر ماقاله محمد الأمين (١٢٩٧ هـ) :

" أنا ابن جلا وطلاع الثنايـا "	وجدى خير من ركب المطايـا
وأمي فاطمة وأبـي علـي	امام الحـق دفاع البلايـا
ولي همـم تبلغني الـثريا	أبي الضيم محمود السجايـا (٢)

وسبق أن ألمحنا الى أن آل الأمين يعودون فى نسبهم الى بنى هاشم ومن الشعراء من كان يفخر بقومه كالشيخ حسن بن حسين الحر العاملي المتوفى (١٢٩٧ هـ) فيقول :

---

(١) مـكى صـ ١٦٣
(٢) الاعيـان جـ ٤٣ صـ ٢٩٩

وسائلي عن ندى قومي فقلت لـــه هم الألى لميون المجد أحـــداق
أكارم نجب غـــر مآثرهـــــم لجيد شخص العلاء المجد أطـــواق
محسدون أبـــاة الضيم سؤددهـم لبيت أموالهم فقـــر وامـــــلاق
لاعيب فيهم سوى الصنع الجميل كما أودى بخالـــص عود الند احـــراق (١)

ومن حماسيات وفخر الحاريصى قوله عن قومه فى احدى المعارك :

ودارونا بها شرقا وغربا وأقبلـــوا بمسكر يغشى لا يباريه عســـكر
فمذ أبصر الاعداء بريق صفاحـــه تولوا على أعقابهـــم ثم أدبـــروا
وعافوا هناك الخيل والبيض والقنا ولم يطلبوا الا النجـــاة فقصـــروا
وحاق بهم سوء العذاب فأصبحوا على الأرض صرعى منهم الدم يقطر

ومما قالـــه عدى بن الرقاع مفاخرا بنفسه :

وعلمت حتى ما أسائل عالمـــا عن علم واحدة لـــكى ازدادهـــا (٢)

(٣)

أغـــراض أخـــرى

هذا وقد نظم العامليون الكثير من الأراجيز التعليمية فى الصرف والنحـــو والتفسير والمواريث والتاريخ وعلم التوحيد وغير ذلك . " وكان قدر لعلم التوحيد شاعـر عاملى ينظمه فى أرجوزة " (٣) وللشيخ محمد على عزالدين منظومة فى التاريخ مطلعها :

الحمد لله على ماأعطـــى من علم أهل العلم قسطا قسطـــا
أحمده حمدا يدوم للأبـــد مادام لم يلق له كفـــوا أحـــد (٤)

أما الشيخ على سبيتى فنظم قصيدة فى تاريخ " النبى يوشع "

(١) الحركة الادبية فى بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر د . اسامه عانونى ص ٥٦
(٢) الاغانـــى م ٩ صـــ ٣٠٠
(٣) العانوقـــى صـــ ١٠٠
(٤) الاعيان جـ ٤٦ صـــ ٩٤

ألست الذى طوايمانـــــه	ذكاء وقد آذنت بافـــــول
ألست الذى حين عاد الطغـاة	وأزت مراجلها للنكــــــول
أريحا وبيسان ذ ات الشــقاق	وأربا البثينة ذات الســــهول
أدرت رحا الحرب وهى الحرون	تذل العزيز تعز الذليـــــل (١)

ولاندرى لماذا يصر بعض النقاد على اعتبار التاريخ الشعرى مظهرا مــن مظاهر الانحطاط الادبى فى حين لا نرى ذلك ولكنه ظاهرة فنية لا تخلو من الجمـال ولا تمت الى التخلف او التقدم بصلة بل هى طريقة لحفظ تواريخ معينة • وقد أكثـر العامليون من كتابة تواريخهم المميزة بالحرف شعرا على قبور موتاهم وعلى عتبـات مساجدهم من ذلك ما كتبه ناصيف النصار مؤرخا وفاة احمد رباله :

ان هذا القبر فيــــــــه	صاحب القدر العظيــــــم
قاسم الند المفـــــــدى	نجل سمحات الكريــــــم
كان كالهيجاء ترمــــــا	قاهر الضد الزعيــــــم
قلت تاريخ عليـــــــه	وجه المولى الرحيــــــم

١١٦٩ هـ (٢)

اما مقتل الشيخ ناصيف النصار فقد أرخه ابراهيم يحيى قائـــلا :

وقد اولتنا بمده ايدى العـــدا	من فاجر او غادر او اخـــون
هى دولة عم البلاد الظلم فــى	تاريخها والله خير مغـــون

وهكذا تقف رحلتنا مع التيـارات الادبية فى جبل عامل قبل القرن العشرين على نهايتها ولا بد اخيرا من الاشارة الى اننا لم نجد فى الادب العاملى فى تلـك المرحلة مايوحى بانهم كتبوا قصة او رواية نساعيك عن المسرحية اللهم الا اذا اعتبرنا تمثيلية مقتل الحسين التى يقومون بتمثيلها ايام عاشوراء من باب التمســر المسرحى علما انها عفوية ساذجة غير منظمة يختار فيها الممثلون من ذوى السمعة الحسنـــة ••

---

(١) الاعيان ج ٤٤ ص ٣٦٧ •

(٢) ناصيف النصار فى جبل عامل •

وهذا يقسم على المهارة فالذى يمثل دور الحسين لابد وأن يكون مشهوداً له بالتقوى والصلاح ثم ينقسم " الممثلون " الى فريقين : فريق يمثل بنى أمية والآخر يمثل بنى هاشم ثم تجرى الحرب فيما بينهم حتى تنتهى بالشكل الذى انتهت اليه حرب كربلا • حيث انجلت عن مقتل الحسين وسبى نسائه وسوقهم الى دمشق كل ذلك من باب التحريض والاعلام •

أما القصة فى الشعر فتلمح بعض ظاهرها عند البهاء العاملى عندما يحكى حكاية امرأة كردية فاجرة تعاطت البغاء وكان ابنها قد احس بانحرافها فثارت ثائرته وكتم غيظه حتى استطاع عليها فقتلها وعلى رغم قلة الأبيات التى عالج فيها البهائى هذا الموضوع الا أنه استوفى فيها عناصر القصة يقول الشاعر :

كان فى الأكراد شخص ذو سداد ... امه ذات اشتهار بالفساد

لم تخيب من سؤال راغبا ... لم تنفر عن وصال طالبا

جاءها بعض الليالى ذو أمل ... فاعتراه الابن فى هذا العمل

شق بالسكين فوراً صدرها ... فى محاق الموت أخفى بدرها

فاقتل النفس الكفور الجانية ... قتل كردى لأم زانية (١)

فهى كما ترى على قصرها ذات بداية ونهاية وحبكة وهذه عناصر القصة وهو أسلوب رائع يلجأ اليه الشاعر للوعظ وتهذيب النفس عن طريق التحريض على المنحرف•

---

(١) مسكى صـ ١٠٨ الكشكول

الفصـــل الثانـــي

أشهر شعراء هذه المرحلة وأهـم نتاجهـم

في حديثنا عن التيارات الأدبية في جبل عامل القينا نظرة عامة على شعرائنا في تلك المرحلة التاريخية وتبعا للأغراض والتيارات الأدبية التي عرضنا نماذج عنها كان استعراضنا للأدباء والشعراء حيث مر بنا أكبر عدد من الأسماء دون تمييز وفي فصلنا هذا نستوفي مشاهير هؤلاء الشعراء مترجمين لهم باختصار ذاكرين باذن الله ما تركوه من آثار فالفصل هذا استعراض نراعي فيه التسلسل الزمني فنبدأ بالشعراء حسب أقدميتهم وقد نعرض لشاعر في كل قرن مبتدئين بأشهر شعراء العصر الأموي ثم ننتقل الى العصر العباسي • وهكذا ••••

(١)

عدي بن الرقاع العاملـي

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عك بن شمل ابن معاوية بن الحارث وهو عاملة بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد • وأم معاوية ابن الحارث عاملة بنت وديعة من قضاعة ((وبها سموا عاملة) ونسبة الناس الى الرقاع وهو جد جده لشهرته أخبرني بذلك أبو خليفة بن محمد بن سلام (١)

" وكان شاعرا متقدما عند بني أمية مداحا لهم خاصا بالوليد بن عبد الملك وله بنت شاعرة يقال لها سلمى ذكر ذلك ابن النطاح وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام " (٢) •

ولعدي أخبار كثيرة مع عبد الملك بن مروان والوليد ومهاجاة مع جرير والراعي

---

(١) و (٢) الاغانـي م ٩ ط بيروت صـ ٣٠٠

النميرى . جاء فى الأغانى : " أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال :
حدثنا عمر بن شبه قال : قال أبوعبيده دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده
عدى بن الرقاع العاملى فقال له الوليد : أتعرف هذا ؟ قال : لا فمن هو ؟ قال :
هذا ابن الرقاع قال : فشر النبات الرقاع فمن هو ؟ قال : من عاملة : قال أمن التى
قال : لله تعالى فيها (عاملة ناصبة) (تصلى نارا حامية) فقال الوليد : والله
ليركبنك . لشاعرنا ومادحنا والراثى لأمواتنا تقول هذه المقالة : ياغلام على باكاف
ولجام . فقام اليه عمر بن الوليد فسأله أن يعفيه فأعفاه فقال : والله لئن هجوته
لأفعلن ولأفعلن فلم يصرح بهجائه وعرض فقال قصيدته التى أولها :

حى الهدملة من ذات المواعس

وقال فيها :

قد جربت عركتى فى كل معترك ... غلب الأسود فما بال الضغابيس

وجاء فى الأغانى أنه " أتاه ناس من الشعراء ليماتنوه وكان غائبا فسمعتهنه وهى
صغيرة لم تبلغ بدور وعيدهم فخرجت اليهم وأنشأت تقول :

تجمعتم من كل أوب وبلدة ... على واحد لازلتم قرن واحد (١)

ومما جاء فى العقد الفريد أن الأصمعى كان ينشد الرشيد قصيدة عدى فى
مدح الوليد فقال الفضل : يا أمير المؤمنين البستنا ثوب السهر ليلتنا هذه
لاستماع الكذب . لم لا تأمره أن يسمعك ما قالت الشعراء فيك وفى امائك ؟ قال :
ويحك انه أدب ما يخطب أبكاره بالنسب ... واستمر الأصمعى ينشد قصيدة عدى
حتى بلغ قوله :

تزجى أغن كأن ابرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

فاستوى جالسا ثم قال : أتحفظ فى هذا شيئا ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين
قال الفرزدق . لما قال عدى :

تزجى أغن كأن ابرة روقه

قلت لجرير أى شىء تخاله يناسب هذا تشبيها ؟ فقال جرير . قلم أصاب من
الدواة مدادها .

---

(١) راجع المجلد التاسع من الأغانى ما بين صـ ٣٠٠ ـ ٣١١

فما رجع الجواب حتى قال عدى : فلم ...

فقلت لجرير : ويحك لكأن سمعك مخبوء فى فؤاده ... (١)

نماذج من شعر عدى

لولا الحياء وان رأسى قد عسا — فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها وسط النساء أعارها — عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت — فى عينه سنة وليس بنائم (٢)

وله فى وصف ظبية :

كالظبية البكر الفريدة ترتعى — من أرضها قفاتها وعهادها
خضبت لها عقد البراق جبينها — من عركها علجاتها وعرادها
كالزين فى وجه العروس تبدلت — بعد الحياء فلاعبت أرآدها

تزجى أغن ...

ولقد أصبت من المعيشة لذة — ولقيت من شظف الخطوب شدادها
وعلمت حتى لست أسأل عالما — عن علم واحدة لكى أزدادها
صلى المليك على امرئ ودعته — واتم نعمته عليه وزادها

ومن شعره فى مدح عمر بن الوليد :

واذا نظرت الى أميرى زادنى — ضنا به نظرى الى الامراء
تسمو العيون اليه حين يرونه — كالبدر فرج دهمة الظلمات
والأصل منبت فرعه متأثلا — والكف ليس بنانها بسواء (٣)

أما مولد الشاعر فيرجح المؤرخون أنه كان فى العقد الرابع من القرن الأول الهجرى والغالب أنه توفى فى عهد عمر بن عبد العزيز مابين ٩٩ — ١٠١ هـ

---

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٣٠٥ — ٣١٥
(٢) الاغانى م ٩ (٣٠٠ — ٣١١)
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ١ ص ٣٠٤

(٢)

عبد المحسن الصـــــــوري

(٣٣٩ – ٤١٩ هـ) – (٩٥٠ – ١٠٢٨ م)

هو ابو محمد عبد المحسن بن محمد بن احمد بن غالب بن غلبون الصوري ولد عام ٣٣٩ هـ الموافق لعام ٩٥٠ م ظهر ذكاؤه مبكرا فمال الى نظم الشعـــر وقد اتخذه مهنة يتكسب منها مكرها وقد كان اخو ثريا الا انه لم يعد له يد العـون ومما يؤكد عدم رضاه عن التكسب بالشعر قوله :

وليس عند الليالي ان اقبـح مـــــــا صنعن بي ان جعلن الشعر مكتسبـــي

اتصل الشاعر بالحمدانيين فمدح امراءهم وولاتهم في مختلف الجهات كما اتصل بعمال صيدا والشام وطبريا ومدحهم ونال اعطياتهم وتردد على الامصــــار فسافر الى طرابلس وصيدا وبيروت وحلب ودمشق وعكا والرملة وكان يطمح في الذهاب الى مصر الا انه لم يحقق تلك الامنية لظروف خاصة .

التقى الشاعر المصري واحمد سليمان الفجري وديك الجن وقد مدحـــــــه الاخيران وقد اشرنا لمديح الفجري له امام ديك الجن فمما قاله فيه :

لا تقف للزمان في منزل الضيم ولا تستكن لرقة مـــــــــال
واهن نفسك الكريمة للمـــوت وقحم بمهلة على الاهـــــوال

الى ان يقول :

عاملي النستاج تطوى له الارض اذا ما استعد للانفـــــــال (١)

وقال عنه ابو منصور الثعالبي المتوفي (٤٢٩ هـ ١٠٣٨ م) " احد المحسنين الفضلاء المجيدين الادباء شعره بديع الالفاظ حسن المعاني رائق الكلام مليح النظــام من محاسن اهل الشــام " (٢) وقال عنه ابن خلكان : " له ديوان احسن فيه كل الاحسان " (٣) وقال الشيبي عنه : " وشعره من ذلك السهل الممتنع يمتاز بجمـــال العبارة ومتانة الديباجة يميل ظاهر الى الابداع والابتكار في المعاني " (٤) .

---

(١) الاعيان جـ ٣٨ ص ٣٢
(٢) اليتيمة ص ٢٩٦ جـ ١ ط مصر ١٩٥٦
(٣) الشذرات جـ ٣ ص ٢١١ – ٢١٢
(٤) مكـــس ص ٥٥ .

نمـــاذج من شـــــعره

ليس في ديوان الصوري من المطولات الشيء الكثير فمعظم قصائده مـــن القصار فهو يميل الى الايجـاز وهو في ايجازه بليغ معانيه عميقة خياله محلق واسـع وقد ادرك هذا في شعـــره فقـال :

لقد انفردت فكنت وحدك سامعـا — وقد انفردت فكنت وحدي شاعـــرا
ولطالما كثرت اقاويل الـــورى — فاتيت بالنزر القليل مكاثــــرا (١)

وقد جسد ذلك في احد معانيــه :

اطلت معانيها وقصـرت لفظهـا — واوردتها بكرا وتعذر أيمـــــا

وله في مدح لؤلؤ البشـــاري :

سانظم من سميك فيك عقـــــدا — واترك ماتبقى للنثـــــــار
فربتما اطال الناس قــــــولا — فدا اولى ذلك القول اختصـــاري (٢)

وله في الغــــزل :

أترى بثأر ام بديـــــــن — علقت محاسنها بعيــــــنى
في خدها وقوامهــــــا — ولحاظها ما في الرديـــنى
ووجهها ماء الشــــباب — خليط نار الوجنتـــــين
بكرت علي وقالت اخـــتر — خصلة من خصلتـــــين
اما الصدود او الفـــراق — فليس عندي غير ذيـــن
فأجبتها ومدامعــــــي — منهلة كالمرزمــــــين
يا هذه لا تعجلـــــي — ان حان بينك حان حيـــنى (٣)

ويخلد الشاعر لقاءه بالمعري ومناقشته له في امور دينية فيقول :

نجا المعري من العـــار — ومن شناعات واخبــــار
وافقني انسي على انـــه — يقول بالجنـــة والنـــار
وانه لاعاد من بعدهـــا — يصبو الى مذهب بشـــار

(ولعله بشـــار) (٤) وله كثير من قصار القصائد في معاني مختلفـــة .

---

(١) مكي ص ٦٢ .
(٢) الاعيان ج ٣٩ ص ١١٥ ومكي ص ٦٢ .
(٣) يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٢٩٦ ط مصر ١٩٥٦
(٤) مكي ص ٥٣ والديوان ص ٨٧ .

آثــــــــاره

" ليس من اثار عبد المحسن الصوري الا ديوان مخطوط توجد منه نسخة فريدة في لبنان هي نسخة الشيخ سليمان ظاهر عدد صفحاتها ٢٣٧ صفحة من القطع المتوسط كتبت في بغداد سنة ١٣٥٢ هـ في ١٧ جماد الاول وهي نسخة حديثة نقلت عن نسخة الشيخ محمد رضا الشبيبي التي نسخها والده عن نسخة تعود بتاريخها الى اوائل القرن السادس الهجري وقد وجد الشبيبي هذه النسخة من ديوان الصوري في خزانة آل العطار في بغداد مع نفائس عديدة من المخطوطات" (١)

وديوان الشاعر غير مطبوع وقد تفرق شعره او كثير منه في امهات الكتب التي وضعها كل من الثعالبي في يتيمة الدهر وابن خلكان في وفيات الاعيان والشذرات •

وفاتــــــه

اعتزل الشاعر الناس في اخريات عمره الطويل قرابة العشر سنوات وربما كان عجزه هو السبب وفي تلك الفترة هجا اخاه لجفوته اياه ويذكر ابن خلكان في وفياته انه توفي يوم الاحد الواقع في التاسع من شوال سنة ٤١٩ هـ الموافق ١٠٢٨ م في صور ولم يترك الا ولدا واحدا هو عبد المنعم الصوري وكان شاعرا مثله • (٢)

مراجع لدراستـــه

١ـ وفيات الاعيان لابن خلكان • ٢ـ يتيمة الدهر للثعالبي •
٣ـ اعيان الشيعة لمحسن الامين • ٤ ـ الشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣/٢
٥ ـ الحركة الفكرية والادبية في جبل عامل لناظم مكي

---

(١) الاعيان ج ٩ ٣ ص ١١٠ الشبيبي في العرفان ج ٣٢ ص ١٥ مكي ص ٥٥ •
(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٤٠٠ •

(٣)

ابراهيـــــم الكفعمــــــي

٨٤٠ هـ ـ ٩٠٥ هـ

١٤٣٦ م ـ ١٥٠٠ م

هوابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح العاملي وينتهـــي نسبه الى الحارث الهمداني صاحب الامام علي بن ابي طالب ولقبــه تقي الديــــن اشتهر بالكفعمي نسبـة الى بلدته كفرعيما العامليـــة •

تلقى علومه الاولية على يد والده الذي كان تقيا عالما ثم شد الرحـــال الى جزين فتعلم فى مدارسها النحو والمعاني والمنطق والبيان ثم توجه شـــطر الحلة مستجيزا من علمائها ومنه ان بلغ درجة الاجتهاد عادالى جبل عامل وكــان مرجعا دينيـــا •

انصرف الكفعمي الى التأليف زاهدا في دنياه موثرا التقشف والطاعـــة على ماذذ الدنيا • وكان يرغب ان يدفن فى كربلاء غير انه دفن فى بلدته كفرعيما :

سألتكم بالله ان تدفنونـــــي ... اذا مت فى قبر بارض عقـــــير

فانى به جار الشهيد بكربـــــلا ... سليـل رسول الله خير مجير (١)

وكانت وفاته موضع خلاف فقد قيل انها كانت عام ٩٠٥ هـ ١٥٠٠ م غـــير ان بروكلمان يذهب الى انها كانت عام ٨٩٥ هـ •

الكفعمـــــي شـــــاعرا

تغلب على شاعرنا الروح الدينية بصفائها واخلاصها وتبدوعليه ملامح الزهد بالدنيا والميل الى التصوف والخشوع وقد تجسدت تلك الروح فى قصائده الدينية الكثـيرة فى مدح النبي وآله يقول من قصيدة له فى يوم الغدير :

---

(١) مكي ص ٩٠ تاريخ جباع ص ٣٦ •

هنيئا ليوم الغديــــــــــــر ... يوم الحبور يوم السـرور
يوم الامارة للمرتضـــــــــــه ... ابى الحسنين الامام الامـــير
وسل عنه بدرا واحدا تـــــــرى ... له سطوات شجاع جســـور

وله من قصيدة اخـــرى :

يا من له السبع المثانى تـــنزل ... وخواتم البقرة عليه انزلـــوا
تولى له الانعام والاعراف والانفال ... والحشر التى لا تجهـــــل
ردنا له القمر المنير وشقة السـر ... حم ياقمة لملا تجهـــــل
ابياتها ميقات موســـــى عــدة ... والكفعمى فى مدحه يحجـــل
صلى عليه الله مع اصحابـــــه ... مازال طير العندليب يهندل (١)

ومن مكاتباته لشيوخه واصدقائـــه :

اتانى كتاب من سليل ابن حمزة ... يخال كسلوى وكتصحيف جده
كتاب امان فى يمين وعكســـه ... يقطع اعناق الشـــناة بحده

ومن شعره فى مدح اهل البيت :

انا مسكينكم قتيل هواكـــــم ... صرت من فقدكم يتيما أســـيرا
ماتخافون شر يوم شـــديد ... قد دعى مجبوسة قمطريـــرا
ياولاة الهداة بشرا فانتـــم ... سوف تجزون جنة وحريـــرا

ومن شعره فى مدح احدهـــم :

ايها المولى الذى افضالـــه ... كالقطر منهمر على الفقـــراء
انت المؤمل والرجاء أميرنـــا ... ابقاك رب الخلق فى النعمـــاء

ومن اراجيزه التعليمية ارجوزة تزيد عن "مائة وثلاثين بيتا حملها ذكر مايستحب صومه عن الايام " قـــال :

الحمد لله الذى هدانـــــى ... الى طريق الرشـــد والايمـــان
ثم صلاة الله ذى الجـــلال ... على النبى المصطفى والآل (٢)

(١) مكى ص ٩٣ .
(٢) مكى ص ٩٤ .

ومنهـــا :

وعده التاسع من ذي الحجـــة فصمه والزم بعده المحبـــة
وعده يرغد يـــــرخـــم تامن عشر منه فاتبع تظمـــى
فصومه يعدل صوم الدهـــر فهذه السبعة صم عن امـــر

ومن معارضاته انه عارض بعض الشعراء في قولـــه :

واذا السعادة لاحظتك عيونهـــا نم فالتمازب كلهن هنـــاء
فاصطدبها العنقاء فهي حبالـــة واقتد بها الجوزاء فهي عنـــان

فقال معارضـــا :

واذا السعادة البستك قشيبهـــا فاهم فان لظى الجحيم جنـــان
فاصرع بها الاعداء فهي ذوابـــل واقطع بها البيداء فهي حصان

ومن طريف شعره مايقرأ طردا وعكسا وتكون في الطرد مدحا وفي العكس ذمـــا
ومنها الاتـــي :

شكروا وما نكثت لهم ذمـــم ستروا وما هتكت لهم حـــرم
صبروا وما كانت لهم قحـــم نصروا وما وهنت لهم همـــم (١)

آثـــاره

ترك الكفعمي العديد من المصنفات الموزعة بين الشعر والادب والفلسفة والعبادات والتفسير واللغة والتاريخ • ومن اشهر تلك المؤلفات مايأتـــي :

١ — الجنة الواقية والجنة الباقية المعروف بمصباح الكفعمي وقد طبع في ايران عدة مـــرات •

٢ — نهاية الارب في امثال العرب •

٣ — كتاب فرج الكرب في علم الادب •

٤ — زهرة الربيع في شواهد البديـــع •

٥ — رسالة في النفس اسماها : محاسبة النفس اللوامة طبع مرارا •

---

(١) ملكي ص ٩٤ •

٦ـ مجموع الغرائب وموضوع الرغائب وقد ذكر المؤلف في اخره انه جمعه من ألف مصنف ومؤلف ومازال مخطوطا •

هذا ويبلغ مجموع مصنفاته ثمانية وثلاثين كتابا منها المطبوع ومنها مازال مخطوطـــــا •

المراجـــــــع

١ـ أعيان الشيعة لمحسن الامين م ٥ •

٢ـ امل الامل لمحمد الحر العاملي •

٣ـ روضات الجنات لمحمد باز الخوانساري •

٤ـ الكنى والالقاب لعباس القمي •

٥ـ الغدير ج ٤ ج ١١ لعبد الحسين الاميني •

٦ـ الاعيان للزركلي (ج ١ ـ ٧)

٧ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣ ج من دمشق •

٨ـ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ج ٤ للمقري (١)

---

(١) اعتمدت كثيرا فيما كتبته عن الشاعر على كل من مكس وعلي مروة •

(٤)

بهاء الدين العاملي

(٩٥٣ ـ ١٠٣١ هـ)   (١٥٤٦ ـ ١٦٢٢م)

هو محمد بن حسين بن عبد الصمد بن محمد الجبعي العاملي الحارثي الهمداني لقب ببهاء الدين وهو المعروف بالبهاء العاملي وهو اشهر من اطلق عليه لقب العاملي . (١) .

اقام والده في بعلبك فولد هناك وقيل في قزوين عند غروب الشمس من يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة عام ٩٥٣ هـ ١٥٤٦ م وقد انتقل به ابوه الى بلاد العجم وهو مازال صغير السن .

"وهو اديب وعالم من ادباء عصر الانحطاط وآخر من شارف على علوم عصره وقد جمع بين فضيلتي الدين والدنيا واستوعب من العلوم العصرية ما جعله موسوعة يرجع اليه في معضلات الامور في جيله ويستضيء باصالة رأيه ويؤخذ عنه حتى انتهت اليه رئاسة المذهب والملة " (٢) .

وقد "عد بهاء الدين العاملي من المع العلماء وابعدهم صيتا واكثرهم ذكرا في القرن الحادي عشر الهجري فقد اخذ باسباب الثقافة الاسلامية فغدا كذلك احد الائمة الكبار المنفردين بالعلوم والمعرفة في عصره جمع الى الفقه والاثار والاصول والاداب والهندسة والحساب والجبر والفلك وجميع اقسام الرياضيات باتقان عجيب وفهم غريب كما جمع الى ذلك الحكمة والكلام وبعض العلوم التي لم يحم حولها سواه كما قيل " (٢)

اسفاره

ارتحل البهائي عن وطنه في سن مبكرة وقد استقر به المقام اولا في ايران وقد ولاه السلطان طهماز الصفوي مشيخة الاسلام وكان قبل ذلك قد فوضه امر التدريس بعد استاذه المحقق الكركي العاملي .. ثم تقلد مناصب عاليه وتقرب اليه الزعماء والاعيان

---

(١) دائرة معارف بطرس البستاني .
(٢) تاريخ جيا ع ص ١٢٥ نقلا عن روضات الجنات الخوانساري ص ٥٣٢ .

والوجهاء والعلماء ولكن نفسه النزاعة الى العلم التواقة الى المعرفة ابت عليه الاستقرار في مكان واحد فرغب " في الفقر والسياحة " وترك جميع مناصبه واتجه لحج بيت الله وزيارة النبي وطوف في البلاد ما يقرب من ثلاثين عاما فاتى مصر بزي الدراويش واجتمع باهل الفضل فيها والتقى بالاستاذ محمد بن ابى الحسن البكرى الذى بالغ فى تعظيمه فقال له البهائي مرة : أنا درويش فقير كيف تعظمنى هذا التعظيم ؟ قال : شممت منك رائحة الفضل " (١)).

ثم غادر مصر الى القدس وتجنب فيها الناس .. ولقد اجتمع اليه بعض علماء القدس ومنهم الرضا بن ابى اللطف المقدسي الذى سأله مسائل عديدة (٢)

ثم توجه الى دمشق والتقى فيها الحسن البوريني الذى تجاهله ولم يعره انتباهه " ولما بدأ البهائي بالكلام موردا مسائل عويصة مبديا براعته فى تحليلها باسلوب بهر أسماع الحضور نهض البوريني واقفا على قدميه وقال : ان كان ولابد فانت البهائي الحارثي ولا احد فى هذه المثابة الا انت " (٣)

ثم قصد حلب وعاد بعدها الى ايران وكانت وفاته فى الثاني عشر من شوال سنة ١٠٣١ هـ ١٦٢٢ م باصفهان ونقل قبل دفنه الى طوس ودفن بها فى داره القريبة من حضرة الامام الرضا عملا بوصيته .

مؤلفاته

قال جورجي زيدان عنه : " وقد الف فى التفسير والحديث والفقه واصول الدين والفلك والحساب واللغة وغيرها وهناك اشهر كتبه :

١ ـ الكشكول : هو مشهور ومطبوع فى مصر وطهران مرارا ويعد حسب الظاهر من كتب الادب لكنه يحتوى على شذرات من كل علم وفن حتى الهندسة والجبر والنجوم والطب والاحصاء فضلا عن الادب والتاريخ والشعر والامثال والعلوم الاسلامية والابحاث الفلسفية واللاهوتية والتصوف وعلم الكلام وغير ذلك ـ

---

(١) معجم المطبوعات لسركيس ص ١٦٦٢ نقلا عن ص ٩٨ .

(٢) خلاصة الاثر للمحبي ج ٣ ص ٤٢٢ نقلا عن ص ٩٨ .

(٣) دائرة معارف البستاني ج ١١ / ٤٦٣ نقلا عن ص ٩٩ .

لكنه غير مرتب فى ابواب فيعجز المطالع عن معرفة مكان كل علم او مسألة ولو طبع
طبعة لها فهارس ابجدية لزاد بالفائدة المطلوبة لانه كشاف لاداب العرب
فى القرن العاشر •

٢ـ المخلاة : هى من قبيل الكشكول لكنها مقصورة على الادب والشعر والامثال
والحكم والمواعظ طبعت بمصر عام ١٣١٧ هـ

٣ـ اسرار البلاغة فى الادب طبع بمصر مع المخلاة •

٤ـ الحبل المتين • فى حديث الاحكام عن الشيعة منه نسخة فى الخزانة التيمورية

٥ـ خلاصة الحساب : هو من احسن ما كتبت الايام فى هذا الموضوع وقد طبع
مرارا فى الاستانة وكشمير ومصر وترجم الى الفارسية وطبع فى كلكتا وللالمانية
وطبع فى برلين ١٨٤٣ م وللفرنسية وطبع فى روما سنة ١٨٦٤ م وعليه شروح
عدة غير مطبوعة • (١) •

ومن كتبه : ١) رسالة تحقيق جهة القبلة (فلكية) مخطوطة •
٢) بحر الحساب • ٣) تشريح الافلاك طبع فى الهند مرارا • ٤) جبر الحساب ٥
(لم يكمله) ٥) الصفيحة فى الاسطرلاب مخطوط بالعربية ٦) كتاب
الاسطرلاب بالفارسية (مطبوع) ٧) الجفر مخطوط ٨) رسالة فى ان انوار الكواكب
مستفادة من الشمس • ٩) الزبدة فى اصول الفقة (مطبوع) •
١٠) رسالة فى المواريث • ١١) ديوان شعر عربى ١٢) ديوان شعر بالفارسية
والديوانان مخطوطان • هذا وقد ذكر له زيدان مايزيد عن اربع واربعين —
كتابا بين مخطوط ومطبوع •

نماذج من شعره

قال يستعجل قدوم المهدى المنتظر :

سرى البرق من نجد فهيج تذكارى عهودا بحزوى والعذيب وذى قار
وهيج من اشواقنا كل كامن تأجج فى احشائنا لاعج النار

---

(١) تاريخ ادب اللغة العربية لجورجى زيدان ج ٣ ص ٢٥٢ •

وياجيرة بالأزمين خيامهم … عليكم سلام الله من نازح الدار
خليلي مالي والزمان كانما … يطالبني في كل وقت باوتار
فابعد احبابي واخلى مرابعي … وابدلني من كل صفو باكدار
وعادل بي من كان اقصى مرامه … من المجد ان يسمو الى عشر معشاري
الم يدر اني لا اذل لخطبه … وان سامني خسفا وارخص اسعاري
واني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي … ولا تصل الايدى الى سبر اغواري
اخالط ابناء الزمان بمقتضى … عقولهم كي لا يفوهوا بانكاري
ويضجرني الخطب المهول لقاؤه … ويطربني الشادي بعود ومزمار
ويصمي فؤادي ناهد الثدى كاعب … باسمر خطار واحور سحار
واني سخي بالدموع لوقفة … على طلل بال ودارس احجار
وما علموا اني امرؤ لا يروعني … توالي الرزايا في عشي وابكار
اذا دك طود الصبر من وقع حادث … فطود اصطباري شامخ غير منهار
ووجه طليق لا تمل لقاؤه … وصدر رحيب في ورود واصدار
ولم ابده كيلا يسر بوقعه … عدوي ويأسى منه خلي او جاري
ومعضلة دهماء لا يهتدى لها … طريق ولا يهدى الى ضوئها الساري
تشيب النواصي دون حل رموزها … ويحجم عن اغوارها كل مغوار
اجلت جياد الفكر في حلباتها … ووجهت تلقاها صوائب انظاري
فابرزت من مستورها كل غامض … وثقفت منها كل قسور شواري
الا ضرع للبلوى واغضي عن القذى … وارضى بما يرضى به كل مخوار
وافرح من دهري بلذة ساعة … واقنع من عيشي بقرص واطمار (١)

ثم ينتقل بعد ذلك الى مدح المهدي المنتظر يستعجله في الظهور وقد ذكرنا بعضا من هذه الابيات في مكان اخر .

---

(١) الاعيان جـ ٤٤ صـ ٢٤٥ .

ومن شعره بعنوان :

الى خدام حرم مولانا الحسين

يا سعد اذا جزت ديار الاحباب وقت السحر
قبل عنى تراب تلك الاعتاب واقض وطرى
ان هم سالوا عن البهائى فانطق رؤيا النظر
قد ذاب من الشوق اليكم قد ذاب هذا خبرى

ومن شعره فى رثاء والده :

قف بالطلول وسلها اين سلماها وروّ من جرع الاجفان جرعاها
وردد الطرف فى اطراف ساحتها وأرح الروح من ارواح ارجاها
فان يفتك من الاطلال مخبرها فلا يفوتنك مرآها ورياها
ربوع فضل تباهى التبر تربتها ودار انس تحاكى الدر حصباها
عدا على جيرة حلوا بساحتها صرف الزمان فابلاهم وابلاها (١)
والقصيدة طويلة •

المراجع

١ ـ اعيان الشيعة ج ٤٤ • ٢ ـ تاريخ اداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ٣ ٥ ٣ـ دائرة معارف البستانى ج ١١ • ٤ ـ سلافة العصر ومحاسن الشعراء بكل مصر ط مصر ١٣٢٤ هـ • ٥ ـ خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر محمد المحبى ٤ أجزاء القاهرة ١٢٨٤ هـ • ٦ـ الحركة الفكرية والادبية فى جبل عامل لمكى • ٧ ـ تاريخ جباع لعلى مروة ••
بالاضافة الى كتبه المطبوعة •

---

(١) الاعيان ج ٤٤ ص ٢٤٨

(٥)

محمد بن علي المشغري
١٠٩٠ هـ ١٦٨٠ م

هو محمد بن علي بن محمود العاملي المشغري نسبة الى بلده مشغرة . وقد غلب عليه لقب المشغري فلا يعرف احد به سواه ولعله ولد في مشغرة تلقى علومه الاولية في مشغرة ثم ما لبث ان هاجر الى ايران وعمل في التدريس وطارت شهرته الى ان استدعاه الامراء والاعيان ونادموه وكرموه ثم استدعاه السلطان في حيدر اباد حيث احاطة بالتكريم والحفاوة الى ان مات عام ١٠٩٠ هـ ١٦٨٠ م .

شعره وشاعريته

كان المشغري اذكى شعراء عصره فلم يوجد من هو أشعر او احسن ديباجة منه كان رقيق المعاني جزل الالفاظ .. يغوص على المعاني فيستخرج اجلاها واعدها ويمحص الالفاظ فيختار ابلغها ويجسد المعاني في قوالب هندسية فترتسم لديه صور متحركة ناطقة . غزله رقيق ومدحه انيق خمرياته صادقة وفلسفته ظاهر فهو تقي مؤمن الا ان الوصف والغزل والخمريات متعة فنية يمارسها وكانه اراد بها ان يكمل فنون شعره . وبالطبع فان حديثه عن الخمرة والعشق لا يعني الممارسة باي حال من الاحوال .

وعلى طريقة القدماء وقف المشغري على الاطلال واستوقف الصحب ووصف المرأة ومفاتنها كاجمل مايكون الوصف .. نظم الشعر في الحنين والفراق ووصف الطبيعة وتحدث عن المشيب .. ومدح الاصدقاء وسادات هاشم باسلوب بدوي اصيل ولعباراته اشعاع عميق وايحاء دقيق .. انظر الى تلك العبارات الراقصة .. : " رقص الدمع بالبكاء اجفاني " هو " يميل الى استعمال تعابير قرآنية فخد الحبيب " وردة كالدهان " والفاظ فردوسية كالحور العين والولدان " عطفت حورها على الولدان "

ومن الفاظه البدوية قوله : " يوم الفراق كرعت من راو وق "
ومن الفاظه الفارسية قوله :

وزمان البهار لوعاد فيه ... ميسان الشباب عود البهار (١)

أقوال النقاد فيه

قال صاحب السلافة : " انه لم يسمع بعد شعر مهيار وارضى احسن من شعر المشرق الوضى ان ذكر الانسجام فهو غيثه الصيب او السهولة فهو منهجها " وقال عنه المحبى " الوحيد فى مقاصده البعيد الغاية فى ميدانه " وقال الحر العاملى : " .. كان اديبا شاعرا فائقا على اكثر معاصريه فى العربية وغيرها وله شعر جيد ومعان غريبة " (٢) ولابد من العودة الى شعره لنعرف مدى اصابة هؤلاء فى ارائهم عن الشقوي .

نماذج من شعره

قال فى الغزل :

يا اخا البدر رونقا وسناء ... وشقيق المها وترب الغزالة
ساعد الجد يوم بعثك روحى ... لا وعينيك لست ابغى اقالة
ياعليل الجفون عللت قلبى ... زاد جفنيك علة وذبالة
مالعينى كلما عن ذكرات ... تداعت جفونها الهطالة
جن طرفى مذ غاب عنه محياك ... جنونى فلا تسل ماجرى له
كنت قبل الهوى ضنينا بقلبى ... خدعتنى لحاظة الختاله
لك قد القنا وثغر الاقاحى ... وجفون المها وجيد الغزالة
قد تناسى بالرقمتين ودادى ... فبميينى غصونه الميالة
رب ليل قصرته بضرير ... حل من عقد زلفه فأطاله
من ضفيرى فى حب طفل لعوب ... عرده سفك الدما فحلا له

---

(١) مثلى ص ١٣٣ .
(٢) مثلى ص ١٣٤ .

كلما صد عن سواى د لا لا ... صد عنى تبرما وملالـــــه
لست انسى يوم الفراق وقد ادرك من شملنا النــــوى امالــــه
غصب البين من يدى كل غصـــن ... سرق الغصن لينه واعتدالــــه

وله فى الخمــــر :

داريها لعلها ان تدارى ... واجمدهاعلى طباع العـــذارى
واجلوها رفى الكؤوس بقايا ... قبل ان ترشف الصبا الاســــرارا
علانى ولو بكأس هتــــار ... ما اقلت يداى كأسا هتـــــارا
ان قد حى من الهموم المعلى ... فاملئا لى من الكؤوس الكبــــارا
هاتيها فالزمان طلق المحيا ... واديم الصبا يروق بخضــــارا
فكانى به وقد جرد الشــيب ... على مفرق الشباب غـــرارا
واسقينيها سقيتهما فى ظل كرم ... قد جادها عريشه ان هــــار
لا تسمنى عن السلاف اصطبارا ... لا وعينيك لا اطيق اصطبــــارا
ان ليل الضرير يوم نواهــــا ... وحياتا الملوك عيش السكــــارى
اجلسانى على يمين نديـــم ... البسته على الشمال ســــرارا
زارنى والدجى ينم عليـــه ... والدياجى لا تكتم الاقمــــارا
فرفى لى ولاح حين رضــاء ... فجر خفوت الثرى وصد جهــارا
فى ليال كانهن ريــــاض ... اطلعت من كمائم ازهـــارا
بين زهر تخالهن ا قاحــــا ... ونجوم تخالها نــــوارا
يا ليالى السرور طولى قانـــا ... قد شربنا الشموس والاقمـــارا
وارتشفنا من الكؤوس رضابـــا ... واحتسينا من الثغور عقــــارا
خند ريسيا لولا حياء ابيهـــا ... خطفت من عيوننا الابصـــارا
من بنات المجوس تطلع فى جنبى ... نارا وخده جلنـــــارا
يا لقوم اسيرهم لا يفــــادى ... لعيون قتيلها لا يــــوارى
فاترات لو لم يكن نشـــاوى ... ماتشكت جفونهن الخمــــارا
ووجوه تخالهن بــــدورا ... فى خدود تخالهن ســــرارا
كل خد من الغصـــون معار ... هز ردفا من النقا مستعـــارا (١)

(١) تاريخ جيا ع ص ١٧٤ وما بعد .

هذا الى جانب اغراض اخرى فى الشعر كالرثاء والوصف والمدح وغير ذلك •

آثـــــــاره

أما آثاره فهى عبارة عن قصائد كثيرة غير مجموعة فى ديوان وهى منتشرة بين صفحات الكتب كسلافة العصر وخلاصة الاثر التى نقل عنها السيد محسن الامين وحذا حذوه آخرون •

المراجـــــع

١ـ معجم البلدان •
٢ـ خلاصة الاثـــر •
٣ـ أعيان الشيعة جـ ١ و٤٦ •
٤ـ أمل الآمـــل •
٥ـ سلافة العصـــر •
٦ـ فن الشعر الخمرى لايليا حاوى •
٧ـ الحركة الفكرية والادبية فى جبل عامل لمحمد كاظم مكى •
٨ـ تاريخ جباع لعلى مروة •

(٦)

ابراهيم الحاريصي
١١٨٥ هـ - ١٧٧١ م

ولد في حاريص من قرى جبل عامل واليها نسب اما تاريخ ولادته فمجهول تعلم في جويا ، اتصل بامراء جبل عامل ومشايخهم و مدحهم مقلدا في ذلك شعراء الحماسة العباسيين • وكان للشيخ علي الفارسي الصعبي شيخ مقاطعة الشقيف نصيبا وافرا من مدحه ويبدو انه كان قد انقطع اليه • كما اتصل بالمشايخ من آل علي الصغير ومنهم ناصيف النصار ومحمود النصار وحيدر الصعبي من امراء المقاطعات العاملية • (١)

ثقافته وشعره

اكب الشاعر على الاطلاع فوسع مداركه العقلية ودرس التاريخ والادب وقد تأثر الى حد ما كما قلنا بشعراء الحماسة العباسيين فسجل معارك جبل عامل مع اللبنانيين والفلسطينيين والمصريين • وجاء شعره الحماسي متدفقا كالسيل صافيا كالنمير العذب منسابا كالجدول الرقراق يجد طريقه الى الاذن فيدخلها دون استئذان ولعل السبب في قوة شعره الحماسي يعود لكونه شارك في المعارك بنفسه وكان يرافق القادة فينفعل ويتفاعل مع المواقف فكان شعره صادق العواطف ينطلق على السجية دون تصنع او تكلف فهو مع قومه بقلبه وسنانه ومعهم بعقله ولسانه فجاء شعره هادرا مزمجرا ثائرا مرعدا مهددا ••• يشيد ببطولة القوم ومناقبهم معرضا بجبن الاعداء وتهاونهم أمام جحافل الجماعة • وسنرى في بعض النماذج تلك الصورة حية على الطبيعة •

آثاره

أما آثاره فهي عبارة عن مجموعة من القصائد المخطوطة والموزعة هنا وهناك والمتفرقة في بعض كتب الادب • وقد أشار محمد كاظم مكي الى مخطوطة

---

(١) راجع ماكتبه مكي ص ١٥٧ •

كانت موجودة لدى الشيخ سليمان ظاهر المتوفى سنة ١٩٦١ م الا اننا لاندرى اين مصيرها الآن • وكذلك فقد أشار السيد محسن الامين الى بعض المخطوطات الموجودة لدى آل الصعبى وهى تتضمن مدائح فى أجدادهم •

هذا كل ما تركه لنا الشاعر فليس لديه من المؤلفات ما يذكر حيث انه لم يتعاطى الكتابة النثرية فى العلوم الدينية كغيره فهو شاعر وحسب وهذا يميزه عن عموم شعراء جبل عامل الذين كانوا فى غالبيتهم يتعاطون مع الكلمة المنثورة والمنظومة فى وقت واحد وقد ضبطوا بكل فن بسهم •

نماذج من شعره

قال فى وصف قلعة الشقيف :

ما الشقيف الصلد الا جنة … ولنا قصر بأعلاها استنار
ليس يدنو منه فى حسن البنا … قصر غمدان ولاعظم الجدار
تنظر المرآة فيه فترى … فوقك النهر تراءى فى انحدار
ما رأينا قبل هذا جسداً ولا … فوق قصر شامخ فى البوطار
زينة الدنيا على أرجائه … تزدهى فى كل نحو كالفنار
نقشها مختلف من كل صنف … فى ابيضاض واحمرار واخضرار (١)

ونعيد الى الاذهان ما قاله فى وصف المعارك :

والخيل ناكصة على ادبارها … والبيض تلمع فى ظلام القسطل
والهام طائرة وكل مدجج … وعن الفؤاد عن القتال بمعزل

وهذا يذكرنا بشعر عنترة العبسى ومن شعره فى مدح على الفارس الصعبى :

فكم لى من صفاتك من قوافى … أجاد الفكر فيهن ابتداعا

وله فى مدح المذكور ايضا :

مؤيد لم تزل تهمى أنامله … عام المجاعة مأمون به الزلل

---

(١) مع الادب العاملى لعلى الزين ص ١٥ •

ترجى وتخشى أياديـــه وسطوتـــه   هذا السحاب وهذا الحادث الجلل

وله ايضا مايذكرنا بشعراء الكدية ومحترفى المدح :

أتيت اليك أشكو ما أعانيـــــ   بهذا العام من ضيق المجـــال
بلينا بالغلا والمحل فيـــه   فأصبح همنا فوق الميـــال
فما ضاع الفقير وانت عضـــد   له عون بسيف او بمـــال

وله فى الغـــزل :

دعج الاجفان كأن من الحـــو   ر والاتراب له أمـــا
والريـــم أخـــوه ولا أب   حاشاه وليس له عمـــا
قمـــر ما البدر كالمتمـــه   خجلا للبدر وان تمـــا

ومن غزلـــه ايضـــا :

انظروا وجنتها ذات احمـــرار   بالخد غار منه الجلنـــار
وانظروا مبسمها كيف نشـــا   من أقاح وهو دون للمقـــار
وأتيت الفرع من جنح الدجـــى   كالافاعى دب من تحت الخمـــار
ونحيل الخصر لطفا كالصبـــا   فوق ردف لا يوازيـــه ازار

ومن شعره فى الحكمـــة :

وليس المرء كل المـــرء الا   فتى عنه حديث المجد شـــاعا
رأى ميل المعالى بالعـــوالى   فزاحم فى مواردها الســـباعا

وله فى الحكمة ايضـــا :

لا حق الا للحسام وكل مـــن   طلب الحقوق بغيره لم ينجـــد

وله كذلك فى الحكمـــة :

فكن مع الدهر معوجـــا   فانما الشهم معوج ومعتـــدل
وصل ولا تقطع المعروف عن احـــد   فالحر لا يقطع المعـــروف بل يصل
واحمل ولا تشتكى للدهر حادثـــة   ان الكريم لاثقال الورى جمـــل (١)

---

(١) راجع الحركة الفكرية لمكى مابين صـــ ١٥٩ و ١٦٧

"مراجع دراسته"

١ ـ آعيان الشيعة .

٢ ـ أوراق أديب لعلى الزين .

٣ ـ مع الادب العاملى لعلى الزين .

٤ ـ الحركة الفكريه لمكى .

٥ ـ دائرة المعارف للبستانى .

٦ ـ مخطوطه لسليمان ظاهر اسمها (مجموعة آثار أدبية منسيه لرجال العلم والقلم فى جبل عامل) .

٧ ـ سلك الدرر فى آعيان القرن الثانى عشر ٤ اجزاء بولاق ١٢٩١ه لمحمد المرادى .

الفصل الثالث

النهضة الأدبية الكبرى في القرن العشرين وأهم عواملها

لا شك أن النهضة العاملية في مختلف المجالات مرتبطة بشكل أو بآخر بالنهضة العربية فالجبل جزء من الأمة العربية يخضع لما خضعت له وتأثر بما تأثرت به . غير أن النهضة الفكرية في عاملة ليست مرتبطة بحدث معين كدخول نابليون الى مصر ، كما أنها لم تكن نتيجة مؤثرات وعوامل خارجية ، فالخلفية موجودة أصلا وبذور النهضة مستمدة من ذلك التراث الضخم ، الذي تتبعنا تطوراته في الفصول السابقة ، ذلك التراث الذي ما ذبلت أزاهيره ، ولا صوحت أوراقه بالرغم ممن جميع التحديات والمعوقات .. فالنهضة الأدبية في جبل عامل كانت تنطلق من منطلقات ذاتية حتى بداية الخمسينيات حيث دخلت الأدب عناصر دخيلة ما زالت موضع شك وريبة حتى الآن وكثيرون من النقاد يعتبرونها عناصر هدم وفساد فالمذاهب الأدبية لم تستقر حتى الآن وهي ما زالت موضع أخذ ورد من الجميع حتى من أولئك الذين تبنوها . وتلك المنطلقات الذاتية هي التي أذكت روح الأدب في جبل عامل وكانت تمدها روح عالية أبية شامخة وبالطبع فان ظروف القهر والارهاب والتسلط والاستبداد التي جوبه بها علماء جبل عامل عبر التاريخ وذاقوا مرارتها والتي كانت نتيجة للصراع المذهبي والتسلط الطائفي قد تجلت في قتل الشهيد الأول والشهيد الثاني والعلماء الذين سيقوا للخازوق في عكا على يد أحمد باشا الجزار والذين قتلوا في التبطية على يد المعنيين والشهابيين بالاضافة الى حرق الكتب ونهب المكتبات ليصار الى حرقها في عكا وقد جاء في الأخبار[1] أن أحمد باشا الجزار قتل علماء جبل عامل وشردهم وأحرق كتبهم التي قيل أنهم نقلوها على الجمال الى عكا حيث استمرت النار تشتعل فيها أياما طويلة "[2] وهذا مما حدا بالعلماء أن يهربوا ويتفرقوا في مختلف البلدان ومن هؤلاء : البهائي

---

(١) ، (٢) الكنى والألقاب للقمي ج ٢ ص ١٠ ومكي ص ٦٧ والعرفان ج ٢٨ ص ٢٢٠ ÷ ٢٢٦

وقد ذكرنا أنه مات في ايران ولسنا بحاجة للحديث ثانية عن مركزه وثقافته ، ووالده الشيخ حسين عبد الصمد المتوفى سنة ٩٢٧ هـ الموافق ١٥٧٦ م الذي مات في البحرين ، والمحقق الكركي العاملي المتوفي ١٥٢١م الذي عينه الشاه عباس الصفوى مفتيا لايران ، وحبيب الله الموسوى العاملى الذي اقام بخراسان وكان شيخ الاسلام فيها وتوفى ١٠٥١ هـ الموافق ١٦٤١ م ، وحسين بن محمد بن علي الجبعي الذي اقام في خراسان ، ومحمد المشغرى الذي اقام في طوس ، ومحمد ابن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤ هـ الموافق ١٦٩٢ م الذي اقام في ايران ، وكذلك علي بن محمد احد احفاد الشهيد الثاني ، والاصفهاني العاملي الذي اقام باصفهان وتوفى سنة ١١٠٣ هـ الموافق ١٦٩١ م وغيرهم . (١)

وممن رحلوا الى الهند جمال الدين بن علي الحسيني الجبعي الذي سكن في حيدر آباد " وكان مرجع فضلائها واكابرها " وتوفى سنة ١٠٠٨ هـ الموافق ١٦٨٧ م ، ومحمد بن علي خاتون الذي "قصد ايران والهند ثم اقام في حيدر آباد وصحب به ملكها محمد قطب شاه السابع ثم تولى في عهد ولده السلطان عبد الله سنة ١٢٠٨ هـ الموافق ١٦٢٨ م منصب الصدارة العظمى وتولى السفارة بينه وبين ملك ايران عباس الصفوى وما زال رسمه في المتحف البريطاني " (٢) وعلي الزين الذي فر بعد فشل ثورته على الجزار الى الهند سنة ١٧٨٠ م واصبح وزيرا لاحد ملوكها ، ومحمد بن علي المشغري الذي اقام في حيدرآباد وقد ذكرنا ذلك فيما سبق .

وقد استمرت الحركة الفكرية والعلمية في جبل عامل بالنمو والانتعاش بالرغم من كل الظروف حتى بعثت حية قوية جديدة متجددة في القرن العشرين ، وكان لذكاء العامليين وعزائمهم التي لا تقهر وعقيدتهم الثابتة التي لا تتزعزع مع ما حباهم الله به من طبيعة جميلة ساحرة اثر بارز في حياتهم الفكرية فتطلعوا الى المعالي بعيون ثاقبة وقلوب ثابتة فبنوا ماعجز عن بنائه الغير ، وتحركوا يوم جمد غيرهم واستيقظوا في الوقت الذي ران فيه النوم على ابصار الناس وافئدتهم فحطموا القيود وقطعوا الاغلال

---

(١) ملى ص ٢٦ .

(٢) العرفان م ٢٨ ص ٢٢٦ م

وكلما ضاقت بهم بلاد انتقلوا الى الاخرى عربية كانت تلك كمصر وسوريا والعراق أم اجنبية كالهند وايران •

اجل ان هذه الروح العالية هي التي اسهمت في اذكاء روح الادب في جبل عامل وحاولت دون وأدها فما أن اطل القرن العشرون حتى سارع العلماء الى اصدار المجلات والصحف واستقدام المطابع وتأسيس المكتبات العامة واستمروا في ارسال ابنائهم الى النجف ثم الى كل من مصر وسوريا والبلاد الاوربية حيث تخرج العلماء والاطباء والمهندسون ونشأت طبقة مستنيرة من الشباب المثقف وأن كان من عيب في تلك النهضة فانما هو اقتصارها على طبقة معينة من الناس هي طبقة الموسرين والاغنياء من ابناء العائلات ذات النفوذ • غير أن هذا لم يمنع الطبقات الاخرى من التطلع الى العلم والثقافة بعزائم فولاذية جبارة فشقوا طرقهم باباء وشمم وساروا على دروب العلم والمعرفة بخطى ثابتة وارادة لاتلين فتخطوا الحواجز وتفوقوا على اقرانهم •

واستطاعتنا ان تجمل اسباب النهضة الفكرية في جبل عامل ونحيله هما للاتي :

١ـ المدارس القرآنية والكتاتيب المنتشرة في معظم قرى ومدن جبل عامل •

٢ـ الهجرة العلمية التي ماانقطعت الى النجف وايران اولا ثم الى مصر وسوريا والعالم الخارجي ثانيا •

٣ـ المجلات والصحف اليومية •

٤ـ المطابع •

٥ـ المكتبات الخاصة والعامة •

٦ـ المحاضرات الدينية في الاندية الحسينية •

٧ـ منابر القبور

٨ـ الجمعيات الادبية •

(١)

المـــــــــدارس

كانت المدارس تغطي معظم قرى ومدن جبل عامل ، ذلك ان العامليين اهتموا غاية الاهتمام ، بتعليم ابنائهم وتنشئتهم التنشئة الاسلامية الصحيحة ولذلك عملوا على انشاء المدارس المتكاملة ، في القرى الكبيرة والمدن الرئيسيـــة أما في القرى الصغيرة والمزارع فكانت الكتاتيب منتشرة حيث تقوم بتحفيظ القـرآن وتعليم الخط والاملاء وبعد ذلك فالذي يرغب بتعليم ولده فانه يقوم بنقله الـــى المركز الاكبر حيث يتعلم الحساب والنحو والفقه والتوحيد والمنطق ، وغير ذلـــك لسنوات عدة يؤهل الطالب بعدها للذهاب الى النجف حيث الجامعة الاسلاميـة الكـــبرى .

هذا أما الاساتذة في هذه المدرسة فكانت جامعة النجف تقوم بتأمينهـم حسب الطلب أما الاهالي فيتكلفون بالاتفاق على هؤلاء الاساتذة وتأمين المسكن والمأكل لهم ولعيالهم وكان الشيخ في بعض الاحيان يستعين ببعض المتفوقـــين من تلاميذه لمساعدته في تعليم الصغار وهكذا ... أما الاجرة التي كان يدفعها الطالب فهي كناية عن الخبز والحطب والسكر والشاي والبيض والتين والمجفـــف والتبغ و بعض الفاكه فمن كل حسب قدرته ، أما طريقة التعليم فكانت تعتمد علــى تعليم الحروف الابجدية ثم القرآن الكريم ابتداءا من سورة الفاتحة فقصار سور جزء عم فالذي يليها حتى النهاية وبعد ختم القرآن يتعلم الطالب الخط والاملاء والحساب .. وهكـــذا ... هذا في الكتاب ، أما بعد ذلك فكما أسلفنا يقول السيد محسن الامين : " أنشئت في جبل عامل من عهد قديم عدة مدارس كان اهمهـــا في جزين ومشغرى وجبع وعيناثا وميس والنباطية وكرك نوح وبعلبك وهاتان الاخيرتان وان لم تكونا داخلتين في جبل عامل الا انه صار متعارفا ادخالهما فيه فالمدرســـة النورية في بعلبك درس فيها الشهيد الثاني في المذاهب الخمسة عدة سنــــين وآل المرتضى في بعلبك عندهم مكاتب فيها الكتب المخطوطة القديمة ومنها كتـــب الفقـــه لقدماء فقهاء الشيعة مما دل على أن أجدادهم القدماء كانوا علمـــاء فقهـــاء .. وخرج من هذه المدارس الجم الغفير من فحول العلماء وكانت الهجرة اليها من البلاد النائيـــة وكانت مدرسة ميـــس في عهد المحقق الشيخ علـى

الميسي صاحب الميسية في الفقة تحوي عددا كبيرا من الطلبة فيها تخرج الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي الجبعي وذلك في اوائل المائة العاشرة وكانت هذه المدارس قلما تخلو في عصر التدريس لتعاقب وجود العلماء الاعاظم فيها مع انه ليس لهما اوقاف كما هو الحال في سوريا وايران والهند ومصر والعراق والمغرب وغيرها من بلاد الاسلام فان جل المدارس فيها لها اوقاف تقوم بمؤونة الطلبة وتوجب رغبة الناس في طلب العلم • أما مدارس جبل عامل فخالية من ذلك الا نادرا ومع هذا كان الاقبال عليهما عظيما في الاعصار السالفة ثم انشئت فيها من بعد القرن العاشر عدة مدارس استمرت الى ما قبل هذا العصر وكانت تظهر وتخفى بحسب وجود المدرسين فيها ومن يقوم مقامهم بعد موتهم وعدمهم (١) •

ثم يعدد العلامة الامين بعد ذلك المدارس التي كانت منتشرة في جبل عامل ويذكر منها ما يأتـي :

١ـ مدرسة شقرا أنشأها السيد ابو الحسن موسى في اواخر القرن الثاني عشر وكانت من اعظم مدارس جبل عامل في فسيح من الارض وبنى فيها ما يزيد على اربعين حجرة وحفر في وسط دارها بئرا يكفي ماؤه طلبتها وكانت تحوي نحوا من اربعمائة طالب يحضر مجلس درسه منهم نحوا لمائتين • ومن خريجيها صاحب مفتاح الكرامة والشيخ ابراهيم يحيى •

٢ـ مدرسة جويا لآل خاتون " وهي مدرسة قديمة عاشت زمانا طويلا وتخرج منها جماعة من العلماء " •

٣ـ مدرسة النبطية الفوقا وهي مدرسة قديمة عاشت الى زمن العالم السيد محمد نور الديـن •

٤ـ مدرسة الكوثرية لشيخ حسن قبيسي المتوفي سنة ١٢٥٨هـ •

٥ـ مدرسة جبع انشأها الفقية الجليل الشيخ عبد الله نعمة المتوفى سنة ١٣٠٢هـ •

٦ـ مدرسة كفرة كان يدرس فيها الشيخ محمد علي عزالدين قبل مدرسة حنوية •

---

(١) المخطط ج ١ ط ١ ص ١٥٠ •

٧- مدرسة حنوية انشأها كذلك الشيخ محمد علي عز الدين المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ ٠

٨- مدرسة النميرية ٠ ٩- مدرسة المصار ٠٠ أ ٠

١٠- مدرسة عيتا الزط ٠ ١١- مدرسة مجدل سلم ٠ ١٢- مدرسة بنت جبيل
انشأها سنة ١٢٩٧ هـ العالم الفقيه الشيخ موسى شراره " وقد قرأ فيها الفقسير
مؤلف الكتاب حاشية ملا عبد الله في المنطق وشرح الشمسية والمطول والمعالم" (١)
استمرت الى سنة ١٣٠٤ هـ فافل نجمها بوفاة منشئها ٠

١٣- مدرسة النبطية التحتا انشأها السيد حسن بن السيد يوسف الحبوشي المعاصر
وبناها له الحاج حيدر جابر سنة ١٣١٠ هـ ٠

١٤- مدرسة عيناتا انشأها العالم المعاصر الفقيه السيد نجيب بن السيد محيي الدين
فضل الله الحسني ٠

١٥- مدرسة شحور انشأها العالم الصالح السيد يوسف شرف الدين المعاصر ٠

١٦- مدرسة طيردبا " انشأها الفقيه الشيخ حسين مغنية المعاصر ٠

مدرسة جزين

" يبدو ان جزين كانت مقصدا للمعرفة ومجمعا للعلماء والمفكرين من مشتغلين بالفقة واصوله منذ القرن السادس الهجري وقد توفي فيها في القرن السابع علامة كبير ربما الشاعر العاملي ابن العصام احد ابناء القرن السابع الهجري رمما قاله :

عرج بجزين يامستبعد النجف ففضل من حلها ياصاح غير خفي

وقد مات هذا بجزين واسمه ابو القاسم بن الحسين بن العود ي الاسدي الحلبي ولكن تأسيس المدرسة المنتظمة فيها لم يكن الا على ايدي الشهيد الاول محمد بن مكي ويبدو انه انشأها بعد عام ٧٧١ هـ - ١٣٧٠ م لما عاد من النجف بعد تعطل واضطراب امور الجامعة السلمية فيها اثر غارات التتار ونكبة بغداد ٠٠ ولقد طار لهذه المدرسة شهرة كبيرة في الجبل وخارجه وقد كانت جزين في ذلك العهد قصبة مهمة محشوة بالسكان

---

(١) الخطط ص ١٥٣ ٠

وكان فيها جامع كبير ومنارة رفيعة وكان في جزين اثنا عشر شيخا من العلماء الافاضل ونبغ فيها عدد كبير من العلماء على المتوالي وكان بينهم الفاضلات والعارفات من النساء منهن ست المشايخ فاطمه ام الحسن اخت الشهيد الاول التي اولاها اخوتها العلماء الفتوى بكل مايختص بالنساء من امورهن الدينية " (١) .

مدرسة ميس الجبل

اسسها علي عبد العالي الميسي المتوفي ٩٣٣ هـ — ١٥٢٦ م " وكانت هذه المدرسة مثابة طلاب العلوم في عامة انحاء جبل عامل ورحلة فضلاء الشيعة من العراق وايران والشام وقد بلغ عدد طلابها اربعمائة طالبا وقرأ فيها كثير من العلماء منهم العلامة الكبير الملقب بالشهيد الثاني ٩٦٦هـ " وينتسب اليها كثير من العلماء الذين تخرجوا بعد وفاة مؤسسها وخرج من ميس الجبل نفسها علماء كثيرون ذكرهم وذكر ترجمتهم على الصرفة واشار الى مؤلفاتهم الحر العاملي . وقد كان منهم في القرن السابع الهجري علماء كبار منهم احمد بن تاج الدين العاملي الميسي الذي استجاز منه العلامة محمود بن محمد الكيلاني سنة ٩٥٦ هـ ومن العلماء القدماء الذين خرجوا من ميس الشيخ لطف الله الميسي كان علامة كبيرا مات ودفن في اصفهان حيث بني له مقام ومسجد معروف مازال في ايران مشهورا ببنائه البديع وقد كان هذا معاصرا للشاه طهماسب الصفوي" (٢)

هذا اما في العصر الحديث فمن اشهر مدارس جبل عامل .. :

١ـ الجعفرية في صور وهي ابتدائية تكميلية ثانوية .

٢ـ العاملية في بيروت وهي كالجعفرية ولها فروع في .

٣ـ مدارس المقاصد الاسلامية في النبطية .

٤ـ المدارس التبشيرية الامريكية في كل من صيدا والنبطية ومرجعيون .

٥ـ مدارس الراهبات وهي كذلك مدارس تبشيرية في كل من صيدا وصور والنبطية ومرجعيون

٦ـ مدارس مرجعيون الخاصة .

الى جانب عدد كبير من المدارس الخاصة بالاضافة الى المدارس الحكومية المنتشرة في جميع القرى والمدن ولجميع المراحل التعليمية هذا وقد انشأت حديثا دور للمعلمين

---

(١) مكي ص ٢٩ .

(٢) مكي ص ٣١ .

في كل من صيدا وصور والنبطية كما انشئ فرع للجامعة اللبنانية في النبطية .

المناهـــج وطـــــــــــرق التدريـــس

يقول السيد محسن الامين : " أما العلوم التي كانت تدرس في مدارس جبل عامل فالنحو والصرف وعلوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع ، وعلم المنطق وعلـم التوحيد المشتمل على العقائد الخمسة : التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد . وعلم الكلام بتسمية : الجواهر والاعراض والالهيات وعلم اصول الفقه وعلم الفقه وعلـم التفسير وعلم الحساب وفن الادب وغير ذلك فاول ما يبتدئ به الطالب بعد حفظ القـرآن الكريم وتعلم الكتابة هو علم النحو فيحفظ متن الاجرومية في النحو غيبا ويحفظ اعراب جمله والامثلة التي يمثل بها لما ذكر فيه غيبا وكان المعلمون يكتبون ذلك حتى الكل مالســب الى ان وضعنا للاجرومية شرحا يتضمن الاعراب للجمل والامثلة وطبعناه مرتين وبعضهم كان يقرأ شرح الكفراوي على الاجرومية واعرابها يبتدئ بقراءة شرح قطر الندى وبــل الصدى لابن هشام الانصاري في النحو ويراجع حال قراءته له شرح الفاكهي على القطر وشرح الشذور لابن هشام وغيرهما وشرح شواهد القطر للسيد صادق الفحام وغيره لاجل معرفة اعراب ابيات الشواهد ومعانيها . ويبتدئ معه بقراءة شرح سعد الدين التفتزاني على متن عز الدين الزنجاني في صرف الفعل وبعد الفراغ من ذلك يبتدئ بقراءة شرح بـدر الدين بن مالك على الفية والده محمد بن مالك في النحو خاصة دون التصريف . امــا التصريف فيقرأ فيه شرح الالفية وشرح الجاربردي على الشافية في تصريف الفعل وشـرح النظام ، وحال قراءة شرح الالفية يراجع التصريح لخالد الازهري وشرح الشيخ الرضي على الكافية ، ولاجل معرفة اعراب الشواهد ومعانيها يراجع شرح الشواهد للعيني وشـرح الشواهد للسيد حيدر العاملي وشرح الشواهد للسيد محمد العاملي ." (١) وبالنسبة للعلوم الاخرى كالتوحيد والفقه والتفسير والتاريخ والادب فان الطريقة في تعليم هـــذه المواد لا تختلف عن سابقتها .

العطـــــــلات

اما ايام العطل فهي : الجمعة عطلة نهاية الاسبوع والاعياد وعلى رأسها عيد الاضحى

(١) خطط جبل عامل ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

والقطر بالاضافة الى عيد الهجرة والمولد النبوي ومولد الامام علي وايام عاشوراء ابتداءً من اول المحرم الحرام حتى العاشر منه وشهر رمضان المبارك .

مدة التدريس

" حفظ الاجرومية واعرابها ثلاث اشهر وقراءة شرح القطر وشرح التفتزاني في نحو نصف سنة وقراءة شرح ابن الناظم والجاربردي نحو سنة وقراءة شيء من المغني نحو تسعة اشهر وقراءة المطول والحاشية وشرح الشمسية نحو سنة وقراءة المعالم والشرائع نحو نصف سنة وقراءة القوانين وشرح اللمعة نحو سنة وقراءة الرسائل وما معها نحو سنة ونصف وقراءة الفقه الاستدلالي من خمس سنين فما فوق فهذه نحو احدى عشرة سنة ونصف السنة " (١) يستطيع الطالب بعدها متابعة دراساته في النجف الاشرف .

(٢)

المكتبات

ومما يشجع على الاطلاع والبحث والقراءة وجود المكتبات العامة والخاصة وقد تنافس العامليون ومايزالون على تنافسهم في اقتناء الكتب وانشاء المكتبات ويسهب العلامة السيد محسن الامين في الكلام عن المكتبات في جبل عامل فيقول :
" كان في جبل عامل من القرن السادس او قبله الى اليوم اي في مدة سبعة قرون ونصف او اكثر من ذلك عامرا بالعلم اهله بالعلماء . لذلك كانت مكتباته مملوءة بالكتب القيمة ونفائس المخطوطات من مؤلفات علمائه وغيرهم وكل عالم من علمائه لابد ان توجد عنده مكتبة كبيرة او صغيرة بحسب حالة من سعة العلم والرغبة في اقتناء الكتب الا ان توالي الفتن والحروب فيه ذهب باكثر كتبه ونفائس مخطوطاته وذهب كثير من مؤلفات علمائه التي لم تشتهر وربما كانت تضاهي ما اشتهر أو تزيد عنه أو تنقص مع كونها من جيد التصنيف واعظم حادثة اتلفت معظم كتب جبل عامل هي حادثة الجزار فقد نقلت منها

(١) الخطط ص ١٥٧ .

الاحمال الكثيرة الى عكا على ظهور الجمال وغيرها اياما عديدة ٠٠٠ " ومن سبب اتلافها وحرقها يقول السيد الامين : " وكان يكفي سببها لاتلاف هذه الكتب كونها مختصة بالشيعة بل كونها من كتبهم وان لم تختص بهم فاوقدت بها الافران في عكا اياما وسرق منها الكثير واشتريا هل جبل عامل بعد فلك جملة منها من اهل عكا واخذ الذين هربوا الى العراق وايران والهند وغيرها ما قدروا على حمله منها وكثير منهم سكن هناك فبقيت كتبه في مكتبه ٠٠٠ " (١)

هذا ومن المكتبات التي يذكرها السيد محسن الامين في خططه ما يأتي :
١- مكتبة الشيخ عبد الله نعمة في جبع ٢- مكتبة آل الحر في جبع كذلك ٠
٣- مكتبة السيد علي الامين في شقرا ٤- مكتبة السيد محمد الامين في شقرا وكلها مخطوطة ٠ ٥- مكتبة السيد علي مرتضى العاملي الشقرائي في شقرا ٦- مكتبة آل السبيتي في كفرة ٧- مكتبة آل سليمان في البياض ٠
٨- مكتبة آل خاتون في جويا ٩- مكتبة الشيخ محمد علي عز الدين في حنوية ٠
١٠- مكتبة الشيخ احمد رضا في النبطية مرتبة ولها فهرست وفيها كتب مخطوطة نادرة ١١- مكتبة الشيخ سليمان ظاهر في النبطية ١٢- مكتبة السيد علي محمود الامين في شقرا ١٣- مكتبة السيد محسن الامين في شقرا ودمشق ويقول السيد حسن الامين عنها انها حفظت بعد وفاة والدة في المدرسة المحسنية بدمشق وفيها نحو الفي مجلد ٠

وفي جبل عامل مكتبات اخرى كثيرة غير تلك التي ذكرها السيد محسن الامين ولعلها انشئت بعد وفاته ومنها :
١- مكتبة الشيخ محمد خليل الزين في بيروت ٢- مكتبة الشيخ ابراهيم سليمان وهي غنية جدا ولعلها اكبر مكتبة في جبل عامل وفيها الوف الكتب والمجلدات وقد زرتها بنفسي اكثر من مرة وكنت اجد صاحبها الشيخ ابراهيم سليمان غارقا بين كتبها ومجلداتها ومخطوطاتها النادرة ٠ ٣- مكتبة السيد علي مروة في جباع ٤- مكتبة حسن الامين في بيروت وهي على جانب من السعة والضخامة ولا عمل للسيد حسن الامين الا فيها ٠

---

(١) الخطط ١٥٨ ٠

المكتبات العامــــــــة

١ـ مكتبة بلدية النبطية . ٢ـ مكتبة بلدية صور . ٣ـ مكتبة التهذيب العاملية أسست عام ١٩٣٠ م ـ ١٣٤٩ هـ أسسها شباب بنت جبيل ودعت مجلة العرفــان لمساعدتها . ٤ـ المكتبة الانجيلية في صيدا (انشأتها جمعية الخدمة الوطنيــة الانجيلية في صيدا سنة ١٩٠٢م) ـ ٥ـ مكتبة صيدا العامة وكانت تضم كتب محمود حلمي التي وقفت لهذه الغاية واضيف لها كتب المرحوم كامل حشيشو وقد تم جمع هذه الكتب من اهالي صيدا وقد تأسست هذه المكتبة عام ١٩٢٩ م (١).

٦ـ مكتبة جمعية التعاضد في النبطية .

هذا ولا تغيب عن بالنا المكتبات التي انشأتها الاحزاب ففي كل قرية اكثر من مكتبة لاكثر من حزب اما الجمعيات التبشيرية فلها مكتبات منتشرة في معظم المدن العاملية .

المخطوطــات والنفائـــــس

اورد السيد محسن الامين اسماء عدد من المخطوطات النادرة التي توجد في المكتبات العاملية ومنها :

١ـ نسخة من شرح الشريفين للهروي في مكتبة الشيخ عبد الله نعمة وقد باعه حفيده في النجف بثلاث ليرات عثمانية بالمزاد وهو لا يعرف مقداره .

٢ـ نسخة من ديوان الوصفي في مكتبة السيد محمد الامين وصلت الى بعض الكتبيين في دمشق .

٣ـ شرح الاستبصار للشيخ محمد حفيد الشهيد الثاني في مكتبة السيد علي مرتضى

٤ـ مهاجاة جرير والفرزدق وديوان الشريف الرضي في مكتبة آل السبيتي في النفــوة .

٥ـ قانون ابن سينا طبع اوربا في مكتبة آل سليمان من البياض .

٦ـ مختصر الشفا لابن سينا طبع روما في مكتبة آل سليمان ايضا .

---

(١) مكس ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

٧ـ شرح ديوان المتنبي في مكتبة آل خاتون .
٨ـ كتاب التهذيب للشيخ الطوسي " بخط مؤلفه " في مكتبة الشيخ بن عز الدين .
٩ـ كتاب الفوز الاصغر لابن مسكويه ومعجم البلدان ـ وغير ذلك من المخطوطات النفيسة المنتشرة هنا وهناك ناهيك عن مخطوطات العامليين انفسهم .

٣ـ المطابــــــع

عرف جبل عامل المطبعة مبكرا واول مطبعة دخلت الديار العامليــــة هي مطبعة العرفان في صيدا ١٩٠٩ م ثم مطبعة الدمج في مرجعيون للدكتور اسعد رحال (١) ثم مطبعة النهضة المرجعيونية ثم المطبعة العصرية في صيدا ثم اخذت المطابع تغزو المدن العاملية ففي كل من صور والنبطية وصيدا ومرجعيون مطابـــع تجارية تقوم بطبع الكتب على اختلافها والكراسات والبطاقات والمناشير والصحف والمجلات المحلية وغيرها وكان لها الاثر البارز في انعاش وبعث الحياة الثقافية في جبل عامل .

٤ ـ الصحف والمجــلات

كانت اول مجلة تصدر في جبل عامل هي مجلة العرفان التي اصدرهـــا الشيخ علي الزين بعد ان استحصل على امتيازها من الحكومة العثمانية عام ١٩٠٩م ثم تولى تحريرها ولده الشيخ احمد عارف الزين المتوفي (١٩٦٠م) وقد صدر العدد الاول منها في ٥ شباط فبراير ١٩٠٩ م ومازالت تصدر حتى يومنا هذا ومدة عامين من صدورها اصدر صاحبها جريدة "جبل عامل" عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩١١م وكانت اسبوعية هاجمت المفاسد العثمانية وانتقدت الاوضاع فسجن صاحبها ولوحق ثم انقطعـــت الجريدة وعادت للظهور ثانية وهي مازالت تصدر اليوم كملحق لمجلة العرفان . وفـــي ٢٧ كانون ثاني عام ١٩٢٧م اصدرت جمعية النهضة المرجعيونية جريدة باسمها وكانت تطبع على مطبعة العرفان بصيدا .

---

(١) الخطط ص ١٤١ .

وفي ١٦ آب ١٩٢٠ اصدر سعيد رزق في جزين جريدة " الافاضة " التي سارت في تحريرها الشاعر تامر شعيب العاملي . وكان قبل ذلك قد اصدر السيد حسن دبوق جريدة " القوة " وذلك في صور في ١١ شباط فبراير ١٩١٢م ثم توقفت بعد زمن غير طويل .

وفي ٢ أيار مايو ١٩٢٦ أصدر الخوري يوحنا رزق في جزين جريدة " الشلال " أما جريدة لهو دلامة " فقد اصدرها كل من رفيق بعلبكي وحسيب شاهين في ٤ كانون ثاني ١٩٢٧م . كما اصدر راضي دخيل جريدة صدى الجنوب عام ١٩٢٧م . الا انها توقفت بعد قليل . أما الفرد ابو سمرة فقد اصدر في مرجعيون جريدة " القلم الصريح " وذلك في ٣ آب عام ١٩٣١م وهي مازالت تصدر بين الحين والحين بشكل متقطع وحسب المناسبات .

أما الشاعر الكبير محمد علي الحوماني فقد اصدر عام ١٩٢٥ م مجلة " العروبة " وقد ناصرت العرفان وشهدت ولادة الشعر العربي الحديث المعروف بالشعر الحر وكان قبل ذلك بعام واحد قد اصدر مجلة نفحة النيل

وكان اسعد رحال ودنيال زغرب قد اصدرا مجلة " المرج " في ٢٥ الخ ١٩٠٩ م وتوقفت اثناء الحرب الاولى ثم اصدرها مؤسسها اسعد رحال في النبطية بمساعدة والدكتور اديب رحال بعد عودته من مصر عام ١٩٢٥ ثم عادا بعد ذلك لاصدارها في مرجعيون .

وفي عام ١٩٥٠ أصدر السيد صدر الدين شرف الدين مجلة الالواح في صور .

العامليون والصحافة اللبنانية والعربية

في بغداد اصدر السيد صدر الدين شرف الدين جريدة الساعة ثم مجلة النهج التي مازالت تصدر الى اليوم (١)

---

(١) راجع مكي ص ٢٠٦ ـ ٢١٠ و مخطط جبل عامل .

وفي مصر اسس جرجي زيدان دار الهلال ولا ننسى الدور الــذي لعبته زينب فواز في تاريخ الصحافة المصرية اما في لبنان فقد ساهم جبل عامل الصحافة اللبنانية بدم نقي ورجال افذاذ فانشأ كامل مروة جريدة الحياة التي مازالت تصدر حتى اليوم ، كما انشأ زهير عسيران مجلة الهدف وصدرت من النضال والهدى وانشأ همــــام ابو شهر جريدة المحرر وهلى بلوط مجلة الدستور وبرز في عالم الصحافة اللبنانيـــــة السادة جورج . رداق وعصام محفوظ وسمير صباح ونعمان شراره صاحب مجلة البلاغ وهو نجل الشاعر المعروف موسى الزين شراره ومحمد دكروب الصحافي الناقد المعروف وكذلك حسين مروة وكريم مروة وغيرهم ...

هـ ـ الجمعيات الادبيــــــــة

شهد القرن العشرون منذ مطلعه نشوء العديد من الجمعيات الادبيـــة والنوادي الثقافية في جبل عامل ومن تلك الجمعيات :

١ ـ جمعية العلماء العامليين " لبعث الروح الفكرية والعلمية في الجبل وانشاء المدارس والجوامع " وقد بلغ عدد اعضائها عام ١٩٣٠ مايزيد عن ثلاثين عضوا اكثر من نصفهم عامليون ومن اعضائها : حسين مغنية وهو مديرها المسؤول والسيد محسن الامين مساعدا له ، ويبدو ان هذه الجمعية قد اضمحلت .

٢ ـ الجمعية الخيرية العاملية بصيدا وقد تأسست عام ١٩٢١ م ومن ابرز اعضائها احمد عارف الزين .

٣ ـ جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في النبطية تأسست عام ١٨٦٩ م ومـــن اعضائها احمد رضا سليمان ظاهر ـ محمد جابر صفا ، وهي مازالت مستمرة في نشاطها حتى اليوم ومن ابرز انشطتها مدارس " الزهراء " " والعلميـــة " في النبطية الى جانب العديد من انشطتها الفكرية والثقافية والخيرية .

٤ ـ الجمعية الخيرية الاسلامية العاملية تأسست عام ١٩٢٣ م ورئيسها النائب والوزير السابق رشيد بيضون جمعت الاموال من المهاجرين وبنت "الكلية العاملية" ببيروت وقد سبقت الاشارة اليها .

٥ـ جمعية النهضة العاملية في النبطية ومؤسسها محمد جابر صفا ومن اغراضها احياء الحركة الفكرية والثقافيـة •

٦ـ جمعية العلماء عام ١٩١٠ تأسست بمبادرة كامل الاسعد ومن اعضائها : سليمان ظاهر، احمد رضا، السيد علي محمود الامين، حسين مروة •

٧ـ جمعية النهضة المرجعيونية ١٩٢٣م تثقيفية تعليمية •

٨ـ الجمعية الخيرية للشبيبة الاسلامية العاملية ـ باريسو ـ الارجنتين سياسية قومية دينية ثقافية تأسست عام ١٩٢٨ • وقد نصبت هذه الجمعية السيد محسن الامين رئيسا فخريا لها وهو مقيم في الوطن ومن اعضائها محمد ضيا رئيسا ومحمد محمود نائبا للرئيس عبد الحسين دبوق أمينا للسر •

٩ـ جمعية الشبيبة العاملية ـ النجف ١٩٢٥ ومن اعضائها : علي الزين ـ محمد شراره ـ حسين مروة ـ محسن شراره ـ هاشم الامين. وقد اطلق هؤلاء على انفسهم اسم " اخوان الصفا " وقد قال فيهم شاعرهم علي الزين :

من لي باخوان الصفا بفتية	تخذت نهاها مرشدا ودليـلا
مهما تنوعت المطامح ونهجها	لا تبتغي غير الحقيقة سـولا
ومن البيان الحر اذ كت شعلة	تستأصل التمويه والتضليـلا

١٠ـ عصبة الادب العاملي ـ النجف عام ١٩٣٥م رئيسها علي الزين •

١١ـ الرابطة الادبية العاملية عام ١٩٢٨ م ومن اعضائها : احمد حجازي ـ زكي بيضون ـ عارف الحر ـ علي ابراهيم ـ زهرة الحر (١) •

اما الان فان المجلس الثقافي للبنان الجنوبي قد احتوى كل ادباء وشعراء جبل عامل وله انشطة بارزة ومن اشهر اعضائه : حبيب صادق، احمد سويد، الياس لحود ـ محمد علي شمس الدين ـ شوقي بزيع ـ عبد الكريم شمس الدين ـ ياسر بدر الدين ـ هاني مخضي ـ موسى شعيب ـ حسن عبد الله وغيرهم ••

---

(١) راجع كسس ص ٢١١ ـ ٢١٦ •

٦ — الرحلة العلميـــــــــة

لا يزال النجف ولا يزال قبلة العامليين الثقافية فجامعته الثقافية تعتمد فقهه الامامية ولذلك فان طلبة العلم من جبل عامل يضعون نصب اعينهم النجـــف ويرتحلون اليه وان معظم واشهر شعراء وعلماء وادباء جبل عامل كانوا من النجفيين وكان بعض منهم يرتحلون الى ايران وقد ذكرنا عددا من هؤلاء في مكان اخر ثم الى حيدر آباد في الهنــــد (١) .

هذا ولم ينس العامليون ان مصر قاعدة الفكر الشيعي وان الازهر فيهما ركن من اركان الثقافة الاسلامية فيمموا شطر هذه الديار طالبين للعلم فالشهيد الاول محمد بن مكي " روى عن اربعين شيخا من علماء المذاهب الاخرى في مكة وبغداد ومصر ودمشق وقد استجاز من علماء مصر وغيرهم " اما الشهيد الثانــي فقد زار مصر عام ٩٤٢هم واخذ عن علمائها ومفتيها " اما في القرن العشريـــن فزينب فواز قد اقامت في مصـــر (٢)

ومازالت الرحلة العلمية العاملية مستمرة اليوم الى مختلف الاقطار في جميع انحاء العالـــم .

٧ — المحاضـرات الدينيـــــــة

اما المحاضرات الدينية فهي في جبل عامل اساسية ونشطة تعتمد على مواسم معينة في المناسبات والاعياد وعلى الاخص ايام عاشوراء التي تقام فيهــا الاحتفالات الدينية تخليدا لذكرى اهل البيت المطهرة وشهداء كربلاء ففي هذه الايام يتبارى الشعراء والادباء والعلماء كل في مجال تخصصه يتحدثون عـــن البطولة والفداء ويدعون الناس الى التحلي بتلك الروح العالية وجعل اهل البيت قدوتهم الحسنة وكان الناس ينصتون الى ما يقال في هذه المحاضرات والقصائد والمنابر للعامة في جبل عامل ذوي ادبي لا بأس به .

---

(١) راجع الاعيان ج ١١ ومكي ص٢٥ والعرفان م٢٨/٢٢٦ وامل الامل وسلافة العصر ص ٣٥٤ .

(٢) العرفان م ٢ ص ٣٨٣ .

٨ — منابر القبـــــــور

تعود العامليون ان يلتفوا على قبور موتاهم يؤبنون الفقيد ويرثونه فما ان يموت لهم احد حتى يسارعوا الى نعيه في القرى المجاورة وتوجه دعوات خاصة للخطباء والشعراء وبغياب هؤلاء لايتم الحفل • وقد تعود الشعراء في الرثاء ان يكونوا تقليديين الى حد ما حتى الخمسينيات • اما بعد ذلك فقد تغيرت الصورة فتحولت خطب وقصائد الرثاء على القبور الى حمم وقنابل يلقيها اصحابها في وجه السلطة التي اهملت جبل عامل وحرمته من حقوقه في جميع المجالات وكان مايلقى على القبر تحريضيا ناجحا ذلك ان الخطيب يتمادى في الكلام لما للقبر والمناسبة من حرمة • فلا تجسر السلطات على منع احد من قول مايريده مراعاة للمشاعر الدينية ولذلك كان اصحاب — الافكار الثورية الجديدة يقتنصون هذه الفرص لبث افكارهم في الجموع المحتشدة وقد تمكن الحزبيون من استغلال هذه المنابر كاحسن مايكون الاستغلال فانصرت خطبهم وقصائدهم في الناس فكانوا كالنافخ في الكير يزيد من النار اضطراما واللهب اشتعالا وهذا ما كان ولا يستطيع احد انكـــاره •

قال محمد على الحومانـــي : " اذا نعى الى اخوى كبير علم او جـــاه من ابناء طائفتي تعلقت باذيالهما ليصحباني معهما فاشهد حفلات التأبـــين واسمع مايتلى للشعراء من النظم والنثر فيستهويني اطراء المستمعين وثناءهم على الشاعر لاحترافه الادب " (١) ومثل هذه العبارة من رجل كالحوماني تكفي للتدليـــل على مدى اهمية منابر القبور في اذكاء روح الادب لدى العامليين •

وقد تكون منابر القبور ظاهرة غريبة وفريدة في نفس الوقت في جبل عامـــل ذلك ان احدا من الشعوب العربية وغير العربية لا يعرف تلك المنابر الا اذا مـــات احد العظماء اما في جبـــل عامـــل فكانت هذه المنابر تنصب عند فقد اي عزيـــز والعامليون يكرمون موتاهـــم ولا يميزون بين كبير وصغـــير فلا طبقية بعـــد الموت وهذا يدل كذلك على روح ترفض الطبقيـــة قبل المـــوت •

---

(١) نقد السائس والمسوس — المقدمة — •

واخيرا .. تلك اذن هي عوامل النهضة الادبية والفكرية في جبل عامل في قرننا الحالي : مدارس ورحلات علمية الى الخارج ومطابع وصحافة ومجلات وجمعيات ادبية ومنابر قبور وماشابه ذلك ..

كل هذا خلق حركة فكرية رائدة في جبل عامل امتدت جذورها الى عمق الارض العربية فانفعلت وتفاعلت مع مايحيط بها من اجواء .. اخذت واعطت .. نفعت واستفادت وهي مازالت على نشاطها الدائب وحركتها المستمرة التي لاتعرف التوقف . تماشي الزمن وتساير التطور وتأخذ من الماضي وتتطلع الى المستقبل . ترد على الناقمين وتتصدى للاعداء والحاقدين .. تلك هي الحركة الادبية المعاصرة في جبل عامل .

الفصـــــل الرابـــــع

اشهر الشعراء فى القرن العشرين وتقويم ادبهـــم

تلك الحركة الرائدة التي شهدها جبل عامل في القرن العشرين جعلت منه موطنا للادب والادباء ومعقلا من معاقل النهضة العربية • وعلى مر السنوات فى هذا القرن ومارافقها من احداث جسيمة وتطورات حضارية وانقلابات اجتماعية كان العامليون يتأثرون بما يجرى وتنعكس عليهم اثار ذلك فهم لم يقفوا جامدين حيال مايحصل امامهم ولم يتزمتوا فى القبول او الرفض بل كانوا ينفعلون ويتفاعلون كمــا سبق لنا ان قلنا وازاء ذلك لابد لنا عند الحديث عن شعراء جبل عامل فى هــــذا القرن من تقسيمهم تقسيما زمنيا واخر فنيا فبالنسبة للتقسيم الزمنى نرى لزامـــا علينا مراعاة الاتـــى :

١ـ اولئك الشعراء الذين عاشوا معظم حياتهم فى القرن التاسع عشر ثـــم ادركوا القرن العشرين وعاشوا فيه قليلا وماتوا اثناء الحرب الاولى •

٢ـ اولئك الذين عاشوا حتى ادركوا الخمسينيات ونعتبرهم امتدادا لمـــن قبلهم وهناك الذين مازالوا يعيشون حتى يومنا هذا الا انهم مــــن الناحية الفنية يعتبرون من الرعيل الاول •

٣ـ شعراء مابعد الخمسينيات ومعظمهم من الشباب الذين امتطوا صهوة حصان التجديد وتحرروا من الشكل التقليدي للقصيدة وثاروا على المعاني القديمة وعلى عمود الشعر بنفس القوة التى ثاروا فيها على الانظمـــة السياسية والعادات والتقاليد الاجتماعية •

وعلى هذا الاساس نستطيع تقسيم الشعراء دون ان نزعم بانه التقســـيم الدقيق غير انه قريب من الدقـــة :

(١ـ شعراء المرحلة الاولـــى

محمد سليمان جواد توفى ١٩١٣م •   زينب فواز ١٢٦٢هـ ـ ١٣٣٢هـ
١٨٤٦م ـ ١٩١٤م

شبيب باشا الاسعد توفي بعد الحرب الاولى ، السيد هاشم عباس الموسوي الديرسرياني توفي ١٣٣٥ هـ الشيخ علي حسين شمس الدين توفي ١٣٢٨ هـ السيد محمود الامين المتوفى ١٣٢٧ هـ زينب بنت علي بك الاسعد توفيت عام ١٣٣١ هـ الشيخ محمود مغنية توفي ١٣٢٤ هـ والشيخ علي مروة المتوفي ١٣٣٩ هـ والسيد علي محمود الامين المتوفى ١٣٢٨ هـ والشيخ عبد الرؤوف بن علي المحمد ١٣٣٥ هـ والشيخ عبد الكريم شرارة المتوفي ١٣٣٢ هـ •

٢ ــ شعراء المرحلة الثانيـــة

أما الطائفة الثانية من الشعراء فهم اولئك الذين يعتبرون امتداد الشعراء المرحلة الاولى والذين ادركوا النصف الثاني من القرن العشرين وابرزهم :

الشيخ عبد الحسين صادق ١٢٧٩ هـ ــ ١٣٦١ هـ •

السيد محسن الامين المتوفى ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م •

الشيخ محمد نجيب مروة المتوفي ١٣٦٧ هـ ــ الشيخ علي مهدي شمس الدين المتوفى ١٣٧٣ هـ الشيخ عبد الحسين سليمان المتوفى ١٩٤٩ م ــ الحاج علي الزين بن الحاج سليمان الزين المتوفى ١٣٤٩ هـ ــ الشيخ محسن شراره المتوفى ١٣٦٥هـ ــ الشيخ علي شراره المتوفى ١٣٧٥ هـ ــ الشيخ محمد حسين شمس الدين المتوفى ١٣٤٣ هـ ــ الشيخ عبد الكريم الزين المتوفى ١٣٦٠هـ ــ السيد محسن محمود الامين المتوفى ١٣٦٨ هـ ــ بولس سلامة المولود عام ١٩٠٢ م ــ الشيخ احمد رضا (١٨٧٢ م ــ ١٩٥٣ م) الشيخ محمد علي نعمة المتوفى ١٣٨١هـ الشيخ بشير مصطفى محمود المتوفى ١٣٦٤هـ موسى الزين شراره المولود ١٩٠٢م عبد الحسين عبد الله (مازال حيا) • وهو من مواليد العقد الاول من القرن العشرين ــ الشيخ علي الزين من مواليد ١٨٨٢ م (مازال حيا) ــ محمد علي الحوماني توفي ١٩٦٤ م • محمد نجيب مروة المتوفى ١٣٦٧ هـ ــ محمد كامل شعيب العاملي •

هذا ونستطيع ان نلحق بشعراء الطائفة الثانية مجموعة اخرى من الشعراء جاءوا متأخرين عنها الا انهم لم يبعدوا عنها فنيا ومنهم من بقي متأرجحا

بين القديم والجديد فلا هو مع القديم ولا هو مع الجديد وفي نفس الوقت لا يعادي احدا منهما فهو يأخذ من القديم ويأخذ من الجديد ومن هؤلاء السيد حسن الامين الذي يبدو انه ترك الشعر وانصرف الى الكتابة وهو من مواليد العقد الاول من القرن العشرين وشقيقه السيد عبد المطلب الامين (١٩١٦م - ١٩٧٤م) نسيم نصر ابراهيم حاوي ، ابراهيم شرارة المولود ١٩٢٥م ابراهيم فران ١٩٢٠ محمد يوسف مقلد ١٩١٥م محمد علي مقلد ، احمد حجازي (ابن البادية) حسين مروة نامي سليمان - عبد المسيح محفوظ - فؤاد جرداق - عبد الرؤوف الامين (فتى الجبل) وديع ذيب ، احمد سليمان ماهر - ناظم حنيظ ، محمد سليمان يونس توفي (١٩٦٥) نامي مصباح فرحات عبد الحسين جواد سليمان - جواد الامين توفي (١٩٤٩م)

٣- شعراء المرحلة الثالثة

أما شعراء الطائفة الثالثة فهم شعراء الطفرة الذين كفروا بالقديم من جميع جوانبه الفنية والمعنوية واعلنوها ثورة شعواء حصدت الايجابيات قبل السلبيات وقد انعكست عليهم تلك الثورة عندما ارتطموا بصخرة القديم الصلبة فانتقلوا وهم لا يشعرون يتمثل ذلك في عودتهم للقديم وقت المناسبات - كما سيتضح فيما بعد - الا انهم استمروا في ثورتهم مثابرين احيانا ومداهنين حينا ومعظم هؤلاء من الشباب الملتزم بمبادئ متطرفة وقد اخطأوا التقدير وظنوا ان الملتزم بالمبادئ التحررية والافكار التقدمية لابد له من ترك القديم على اعتبار انه رجعي ناسين او متناسين ان عددا من كبار الشعراء العرب قد جمعوا بين الثورة والكلاسيكية ، ثورة في الافكار وكلاسيكية في الفن وقد استطاع الشعر المحافظ ان يحتوي الثورة الفكرية والسياسية دون شعور او احساس بالضعف والتكلف ومن هؤلاء الشعراء السادة :

الياس لحود - محمد علي شمس الدين - حبيب صادق - حسن عبد الله عبد الكريم شمس الدين - ياسر بدر الدين - هاني فحص - موسى شعيب - شوقي بزيع - خليل احمد خليل - مرتضى شراره (وهو مقل) - حسن حمدان - حمزة عبود - تحسين شراره - حسين علي صعب (توفي ١٩٧٢م) .

شعراء على الهامش

وهم شعراء المناسبات والاخوانيات والمزاج ولا شأن لهم من الناحية الفنية في حياة الشعر وما كان لهم ان يكونوا شعراء الا انهم مقصرون او مهملون لاسباب نجهلها وقد اكتفوا بالمداعبات الشعرية والنظم في الفكاهات وغيرها ومن هؤلاء : جعفر الامين ولد ١٩٠٩م - نور الدين بدر الدين توفي ١٩٧٨م - محمد فلحة مصباح رمضان - عبد الله كميس .

الشاعرات

وان كن في معظمهن من المقلات الا ان بعضهن تمكن من البروز والتغلب على الحواجز الاجتماعية دون اخلال بالقيم الاجتماعية والمثل الاخلاقية ومن هؤلاء : زينب فواز - زينب بنت علي الاسعد - زهرة الحر - سكنة العبد الله - اميرة الحوماني - سلوى الحواني - عزيزة فهد يحيى - عليا القبيسي فاطمة رضا . (١) .

واعتقادنا ان هذا التقسيم للشعراء جبل عامل يكفي الا انه لابد من الاشارة الى الذين جمعوا بين الشعر والنثر فكانوا الى جانب كونهم شعراء كتابا ونقادا ومؤرخين برزوا في الفنين ونجحوا نجاحا ظاهرا ومن هؤلاء : محسن الامين - سليمان ظاهر - احمد عارف الزين - احمد رضا - علي الزين محمد علي الحوماني - حسن الامين - خليل احمد خليل - موسى شعيب - كامل عبد الله - بولس سلامه - زينب فواز - جورج جرداق - وديع ديب - تسيم نصر - محمد علي مقلد - كامل شعيب العاملي - حبيب صادق - حسين مروة محمد علي شمس الدين - ابراهيم فران - علي ابراهيم - الياس لحود .

---

(١) صدر لها بعد وفاتها اخيرا ديوان شعر باسم "مواويل طائر الخزامى" ١٩٧٨م .

" الباب الثالث "

الفصل الأول

الشعر العاملي الحديث : أغراضه وأهدافه

« ١ ـ الشعر السياسي »

كانت السياسة وما تزال من أهم الأمور التي تشغل بال العامليين وقد ربطوا بينها وبين الشعر ربطا وثيقا حتى بات الشعر بلا سياسة ليس بشعر ولعل ذلك تجسيد لالتزاماتهم الفكرية فهم يسخرون كل شيء من أجل السياسة ما دامت السياسة هي من الحكم وفلسفة الحكم تقوم على خدمة الجماهير واسداء النصح لهم وهكذا فقد سخروا الشعر للسياسة . والعاملي ورث الاهتمامات السياسية منذ القدم وأصبحت تجري في دمه وتسيل في عروقه وهو بطبيعته لا يقبل الأمور ببساطة فهو ليس سهل القياد .. واذا كان الشيعة والعامليون منهم ـ لا يقبلون بوصفهم بالرفاغ أو الروافض فان عددا كبيرا من المنظمات في أيامنا هذه يفاخرون بانتمائهم الى ما يسمى بجبهة الرفض . وهذا بطبيعة الحال لا يعني أن الشيعة ليسوا روافضا اذا كانت هذه الكلمة تعني التصلب والتشدد في المعارضة ذلك أن الشيعة كانوا عبر التاريخ يشكلون جبهة المعارضة في الاسلام .. ومن هنا كنا نرى تعاطفا من عقلاء زعماء المسلمين مع الشيعة وهذا يذكرنا بقول الامام الشافعي :

ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

ولا شك أن هذا قد ترك أثرا بارزا في حياة العامليين وجعلهم يعيشون في صراع دائم مع الحياة .. مع القادة والزعماء المحليين والمستعمرين .. وفي قرننا الحالي كانت السياسة تتجاذب العامليين مدا وجزرا .. فهم مع الدولة العثمانية رغم تعصبها الطائفي ضدهم ورغم ما جرته على الأمة العربية والاسلامية من قهر وتخلف ، حبا ببقاء ظل الخلافة الاسلامية وحفاظا على وحدتها وهم في ذلك يضربون مصالحهم الشخصية عرض الحائط تجردا ونزاهة .. واذا ما ظهرت حركة

ثورية قومية فهم معها كما صنعوا مع الشريف حسين وفيصل من بعده حيث كانوا مع هذه الثورة قلبا وقالبا وذلك لسببين هما : عروبة الرجل وانتسابه لبنى هاشم الذين طالما تفانى الشيعة فى حبهم والولاء لهم .

واذا ما دخل الفرنسيون بلاد الشام شهر العامليون سلاحهم فى وجهها وثاروا عليها بسنانهم ولسانهم ... واذا اندلعت الحرب الاولى أو الثانية يتأرجح موقفهم شأنهم فى ذلك شأن العرب عموما .

ثم تضع الحرب أوزارها فتنجلى عن مخلفات رهيبة : حكم عميل خاضع للاستعمار واستقلال أهون منه الاحتلال حيث تحول الحكام الى جواسيس وعملاء للدخيل يتبارون على ارضائه ليتمكن من تنفيذ رغباته عن طريقهم ... ثم تأتى بعد ذلك الطامة الكبرى مع بداية الخمسينيات حيث تأسست دولة العصابات الصهيونية اسرائيل ثم يقع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وما أن تمر بعد ذلك سنتان حتى تندلع حرب طائفية فى لبنان عام ١٩٥٨ ثم تعلن وحدة سوريا ومصر التى ما لبثت أن انهارت وفى عام ١٩٦٧ يقع العدوان الرهيب الذى سقطت نتيجته أرض عربية كبيرة بأيدى الصهاينة ثم حرب الـ ١٩٧٣ ثم الحرب الأهلية اللبنانية الثانية .. وهكذا فاننا نرى سلسلة من الأحداث الرهيبة التى غيرت مجرى التاريخ فى المنطقة العربية . وقد عايش العامليون هذه الأحداث بقلوب مؤمنة وعيون يقظة ونفوس متحفزة وضمائر حية وأصالة قومية وايمان عميق . فلم يقفوا موقف المحايد من الأحداث بل دخلوا وسط المعمعة جنبا الى جنب مع المقاتلين الفلسطينيين ... وفى هذه الجلبة ارتفع صوت الشعراء العامليين فعزف ما شاء له أن يعزف وغنى على شبابته الام وآمال أمته التى كانت تصغى اليه باهتمام بالغ وتعيش معه بجوارحها ومشاعرها وكامل أحاسيسها .

من هذا المنطلق سوف نتناول الشعر العاملي وموقفه من الأحداث التى عصفت بقطره وأمته خلال القرن العشرين لنرى الصورة التى صنعها بهوشته وكتبها بدمعه ودمه يجسد فيها تاريخ أمته فى صراعها الرهيب مع أعدائها . وتبعا لذلك نقسم مواقف الشعراء الى ما يأتي :

١ ـ موقف الشعراء العامليين من الحكم التركي وحركات الاصلاح .
٢ ـ العامليون والاستعمار الفرنسي .
٣ ـ العامليون وموقفهم من الاستقلال .
٤ ـ الجانب القومي من الشعر العاملي .
٥ ـ العامليون والقضية الفلسطينية .
٦ ـ الصراع الداخلي .
٧ ـ الوعي السياسي .

(١)

تختلف النزعات لدى الأفراد في كل عصر ومكان وذلك تبعا لاختلاف رغباتهم وأهوائهم فمن حاقد على النظام لانحيازه الى حاقد عليه لمجافاته شخصيا ومن ثائر أبدا الى متقلب بين الثورة والولاء ... ولا شك أن أكثر الناس جبنا وفسادا أتبعهم للنظام وأكثرهم انصياعا لأوامره وإراداته أولئك الذين يخضعون لميزان ذواتهم وتقلبات أمزجتهم الشخصية . وأكثر الناس حبا للخير والصالح العام أقلهم ولاء للسلطان وحتى لا نتمادى في ما قد يحسب علينا تطرفا نقول : ان أي نظام في العالم مهما كان نوعه لا يخلو من جانبين أحدهما ايجابي والآخر سلبي والذي أعنيه أن أي نظام لا يخلو من الايجابيات . ومن الناس من ينظر الى أحد هذين الجانبين ويضخمه بعينه ~~فيضخم حسناته~~ حتى يوشك ألا يرى الا حسنا فيه أو أن يضخم سيئاته حتى لا يرى فيه الا سوءا .. ولا شك أن النفع أو الضرر كلما لامس الواحد منا أحس به ..

أما الذي يخشى منهم على المجتمع فهم أولئك الذين لا ينظرون الا الى مصالحهم الشخصية وينطلقون منها . وفي مجتمعاتنا الشرقية بمثل هذا النوع من الناس ابناء ما يسمى " بالعائلات " والباشوات والأغنياء وهؤلاء لا يتحركون الا داخل ذواتهم .

ظلم الناس في العهود العثمانية المتعاقبة وقد سوت الدولة في ظلمها بين جميع الرعايا . والظلم كان سببا رئيسا في سوء الاحوال وفساد الدولة ومآلها الى الاضمحلال

والزوال • وكان العامليون من هذه الأمة الواحدة المريضة يعانون ما تعانى وتقاسون ماتقاسى، وكذلك منهم الانتهازيون والوصوليون الذين لا يتألمون الا اذا كان الألم داخل جلودهم • ومن هذا النوع الاخير كان أبناء عائلات الاقطاع فى جبل عامل كآل على الصغير وسواهم فهم اذا جرحوا صرخوا وتألموا واذا أنعم عليهم السلطان تاهوا فخرا وعجبا وامتلأوا سرورا حتى لو كان الجياع من حولهم بالألوف • وهكذا يتضح الفرق بين ناقم وآخر ومما يعرف عن كامل الأسعد أنه دس السم للثائر نمر الفاعور الذى تمرد على الدولة العثمانية غير أننا لا ندرى سر ثورة الأسعد نفسه عندما يقول عن تركيا والأتراك :

فلاخير فى أقوام لا (خير) عندهم ولا يمن فى أقوام مبخوتهم قرد
فيانكد الدنيا من أنت مقصر عن الحر حتى لا يكون له ضد (١)

أما الشاعر محمد نجيب مروة (١٢٩٩ ـ ١٣٧٦) فهو على النقيض لأنه من عامة الشعب ذاق المر وأحس بالهوان وعانى من الفقر والحرمان فتحسس المظالم وعزف على أوتار الثورة والتمرد ودعا الناس للتحرك السريع نحو الأفضل والحسن وحرض الجماهير الكادحة مذكرا بمظالم الأتراك وفسادهم داعيا الى التسلح باليقظة اسمعه يقول :

ألا فليفق بعد الرقاد وينتبه الى الحرب من غلمانكم كل نائم
فحتى متى هذا العقود وقد سقت بنو الترك من أوداجكم كل صارم
وحتى متى ترضون بالضيم والعدى تروح وتغدو بينكم كالأراقم

ثم ينكر على قومه قبولهم للذل والهوان ويذكرهم بالشهداء الذين سقطوا على أيدي الترك فيقول :

فكم قالت الأتراك منكم أما جبهوا أولى عزمات كالليوث الضياغم
غدوا بين مقتول بغير جناية وبين طريد للخمول ملازم (٢)

ومهما يكن من أمر فان العامليين كانوا يحقدون على الدولة العثمانية لعثمانيتها ولم يكونوا لينظروا لها على أنها استعمار وهذا يعنى أن الكره لم يكن مستحكما فى نفوسهم ولم يكن الحقد ليعمى بصائرهم فهم انما يكرهون الظلم واذا مالاح لهم فى الأفق

(١) اسوطيا أتى ذكره ثانية ٨/ ١ الاعيان ج ٤٣ ص ١٤٠
(٢) الاعيان ج ٤٤ ص ١٦١ ـ ٢ ١٢٧:

ما يبشر بزواله فانهم يستبشرون ويهللون فعندما تم خلع عبدالحميد واعلن الانقلابيون الاتراك الدستور الجديد للدولة العثمانية سارع العامليون للانضواء تحت لواء العهد الجديد ومبايعته مستبشرين بالعهد مهللين له ... وتتحرك ريشة الشاعر الشيخ محمد حسين شمس الدين (١٢٨٠ — ١٣٤٣ هـ) لتجسد مشاعر الشعب ويقول :

حدث بما شئت الحديث واصدق — فقد تحلى لك سرب المنطق
واصبح الشمل جميعا ومضى — غير حميد زمن التفرق
تصرم الجور فقم منتجعا — صفو الهنا الوردك المرنق

وبعد أن ينكر النوم على الضيم يدعو اليراع لانتقاء الدرر التي تناسب عهد الحرية والمساواة فيقول :

لطالما قيده الخوف عن الجري — بمضمار الجواد المطلق
قد آن أن ترسله لغاية — بعيدة المرمى عن المحلق
ولا تخف أرصاد من جار فقد — أرهقته الخوف بما لم نطق

وبعد أن يؤكد الشاعر أنه لا يدوم حال على حال ولا ظلم وان طال يقول :

تحكموا ظلما دقاك المدى — جورهم اللحم عن الظلم أعرق
رعية نكبها الرائد عن — خصب الكلا الى الوبي الموبق
وقادها على الوجى شاكية — لفو بها لكن لغير مشفق
فكم أباحوا حرقة وكم دم — أشاطه الجور بلا ترفق (١)

أما الشيخ عباس الهلالي فانه يثور على الاستبداد التركي وزبانيته في جبل عامل لما يرهقون به الرعايا من الضرائب الباهظة التي كانت تفرض على الطبقات الفقيرة من الشعب فيقول :

طغت سفهاء عامل في البلاد — وفيها أظهروا كل الفساد
لقد ظلموا العباد ولم يخافوا — من الرحمن في ظلم العباد
اذا (العشار) وافى نحو قوم — تراهم هائمين بكل وادي
وعاملة بها عاشوا فسادا — كأنهم بقايا قوم عاد
كأنهم بأموال البرايا — رياح عاصفات في رماد
من التقدير أهل الملك أضحت — تحيي بالسلام على الجراد

---

(١) الاعيان ج ٤٤ ص ١٦١ — ١٧٢

وان بكا الأرامل واليتامـــــى   له لأن الأصم من الجمـــــاد
فكم ناءت بذل واستجـــــارت   ولكن لا حياة لمـــن تنـــادي (١)

ولما كانت العاطفة الدينية تسيطر على مشاعر العامليين فانهم ما كانوا ليتمادوا فـــي القسوة على الدولة العثمانية بالرغم من جميع سلبياتها بل كانوا ينظرون الى تلـــك السلبيات على أنها من فعل أفراد ينبغي أن يعاقبوا كأفراد وليس كدولة أو كأمـــة ذلك أن العامليين بثاقب نظرهم ووضوح أفكارهم وشدة وعيهم كانوا يدركون مخاطـر المستقبل الكامنة في زوال الدولة العثمانية وعليه فهم يثمنون بقاء تلك الدولة ولـــكن على أن تكون قوية عملاقة لا هزيلة مشلولة ".

وعندما ظنوا أن في الأفق بوادر اصلاحية هللوا لتلك البوادر التي منهـــا انشاء مايسمى بـ " مجلس المبعوثان " واعلان الدستور وكانت العرفان منــــبرا للعامليين يبثون فيها أفكارهم وتطلعاتهم وآمالهم وأحلامهم وآلامهم ففي ٢٩ نيسان (أبريل) عام ١٩٠٩ نشرت المجلة المذكورة قصيدة للسيد عبدالمطلب مرتضـــى يقول بها :

بدى الدهر مختالا بثوب سعوده   زهى مذ بدى واخضر يابس عوده
جديد من الأثواب قد حاكه القنـا   فحق له ذا اليوم لبس جديده
حقيق به أن يلبس العرش مطرفـا   ولا غرو أن يزهو فذا اليوم عيده
تحلى " بمبعوثانه " يوم عقـده   فكان له مذ جاء حلية جيـــدة
بدا في شباب بعد أن كان أشيبا   بأثواب عدل رافلا في بـــروده
لنا البشر قد عاد الزمان بأنسـه   وأينع بعد اليبس زهر وروده
وها بلبل الأفراح غرد منشـدا   فأطرب أسماع الورى في نشيـده
بني الشرق بشراكم باقبال دهركم   عليكم بما أولاكـم مـــن خريده (٢)

وعندما أعلن الدستور استقبل العامليون هذا الاعلان بالبشر والسرور فقال السيد الشيخ علي أحمد الحسيني من قصيدة بعنوان " أبطال الدستور " :

---

(١) الادب العاملي في النصف الاول من القرن العشرين ـ رسالة جامعيـــة مخطوطه لنوار الأمين سنة ١٩٦٢ صـ ٢٦
(٢) العرفان م ١ ج ٥ صـ ٢١٥ ـ ٢١٦

بواسل خاضت أبحر الحتف بالظبا على ضمر جرد عتاق سلاهب
وقد حلبت ضرع الهياج بحلبة دما وسقته للظبا والقواضب
فمدت لها نحو العصاة سواعدا تلاعبها بين الطلا والمناقب
فطورا بها ضربا لعنق مكاشح وطورا بها طعنا لصدر محارب
ومذ وطئت منها غوارب مجدها فما شمرت الا بقرع المضارب
فأعمت ولكن بالجماجم سورها مثال ولكن بالدماء السوارب
وشادت بناء العدل مذ أسست به قواعد دستور الأمان لراهب
مناجيد طلاعون كل ثنية بيوم الوغى من قبل جر الكتائب (١)

أما الحس القومي فهو وان دفن لأسباب وعوامل مختلفة سرعان ما يتفجر بركانا مغلفا بسحب من العواطف الملتهبة لا يحبسه حاجز ولا يقف في وجهه حائل . والعامليون وقد فشلوا كغيرهم في تحقيق أمانيهم برأب الصدع في جسم الدولة العثمانية تحولوا في أفكارهم الى التغني بأمجاد الأمة العربية والعمل على أنهاضها . فما أن تندلع الثورة العربية بقيادة فيصل حتى يهب العامليون لمؤازرته قولا وعملا فشبابهم ينضوون تحت لوائها وشعراؤهم ينشدون أناشيدهم ويبثون روح الحماس في الرجال بقصائدهم وأغانيهم المشتعلة حماسة والممتلئة حيوية والمتدفقة من قلوبهم وعواطفهم " فلما انسحبت الجيوش التركية من الأصقاع العربية ودخل العرب الشام بقيادة فيصل في ٣ تشرين الأول ١٩١٨ م أخذت الشعر نشوة الظفر حتى كنت تراه في دمشق وبيروت والقدس وسائر الحواضر تتدفق الحماسة منه تدفق السيل كقول متحمس من قصيدة " (٢)

أجل بزغت في الشرق شمس الحقائق
برغم العدى والمزعجات الطوارق
وقد حررت فيه مناطق طالما
تقادم عهدا ذل تلك المناطق

---

(١) العرفان م ١ ج ٧ صـ ٣٢٠
(٢) أنيس المقدسي صـ ١٥٠

غداة انتضى العضب المهند فيصل بكل كمي رابط الجأش صادق
مليك عظيم ما التوى عن طريقه من العرب الا كل غمر ومارق
لعمرك ما العرب الكرام يهولها صليل المواضي أو دوي البنادق
ولا راعها ما جرعت من مرائر وقد نصبت قدما حبال المشانق (١)

(٢)

ضاق العامليون ذرعا بالحكم التركي وتسلطه وارهابه وقد لحقهم من ظلمه وبطشه الشيء الكثير وكان للخلاف في المذهب أثر في ذلك اذ ضاق افق العثمانيين وأعماهم التعصب الأحمق لجهلهم وغطرستهم فأساءوا في معاملتهم لأبناء الطائفة الشيعية الجعفرية كما أساؤا لسائر الرعايا الا أن اساءتهم لتلك الطائفة كان لها أبعادها .

وبالرغم من هذا فقد كان الكثيرون من العامليين ذوي نزعة اصلاحية فهم يفضلون البقاء تحت ظل الدولة العثمانية على أمل قيامها بالاصلاح المنشود ولا يريدون تمزيق الامبراطورية الاسلامية شأنهم في ذلك شأن دعاة الاصلاح من العرب كمعروف الرصافي والزهاوي والافغاني ومحمد عبده .. ولكن الرياح عصفت على غير ما تشتهي السفن وفوجيء الجميع بانهيار الدولة كما فوجيء العامليون بجنود الفرنسيين مدججين بالسلاح وهم على أبواب الشام يقرعونها ببنادقهم ويفتح لهم منها الثغرات المسيحيون المتعصبون في جبل لبنان وبعض قرى الجنوب كالقليعة ومرجعيون ورميش وعين ابل وهي نفس القرى التي شرعت أبوابها للصهاينة عام ١٩٧٥ أثناء الحرب الأهلية الأخيرة فتثور ثائرة العامليين فالظالم التركي وهو مسلم أفضل من الملاك الفرنسي وهو " كافر " ومن ينفخ في كير الثورة غير العلماء والشعراء ؟

ومن هنا بدأ الشعراء يبعثون بقصائدهم فتتناقلها الألسن من مجلس الى مجلس ومن مسجد الى مسجد ومن قرية الى قرية فتجاوب بعض الزعماء لصرخة الشعب وساعدوا على تنظيم العصابات ضد الفرنسيين . وهذا كامل الأسعد وهو الزعيم الأوحد للعامليين في ذلك الوقت ينتفض ويجمع حوله الرجال لاحبا

(١) الحماسيات للعاملي ص ٤٧ — ٥١

للثورة ولا كرها بالفرنسيين بل استئثارا بالزعامة واحتواء للثورة وجماهيرها الحاضرة ويتراءى له خبر قدوم غورو (الأعور) فيتشاءم ويقول :

يوم كله ظلـــم نأى عن أفقه النـــور
به المنحس تاريـــخ كيوم جاءنا غــــورو (١)

١٣٤٠ هـ

وكان الشعراء يحرضون الناس ويدفعونهم الى التمرد على الفرنسيين ويوغرون صدورهم عليهم ويغرونهم بالثورة وكان الشيخ محمد حسين شمس الدين (١٢٨٠ — ١٣٤٣) في طليعة هؤلاء ويصور ما أصاب جبل عامل على يد الفرنسيين عـــام ١٣٣٨ هـ فيقول : "

سمحا فعامل خطبة جلـــل يكفيك عن تفصيله الجمـــل
لاتسأل الأطلا ل عن أحـــد خف القطين وأوحش الطلل
ناخت على الجبل الخطوب ضحى فقل السلام عليك يا جبـــل
جاست خلال ربوعه فــــتن خرقاء فيها يضرب المثـــل
صبت عليه مصائب فمالـــــــى أمثالها لا تبرك الابـــــل
وتد افعت ترمى مدافعهـــــا كللا تطاير تحتها القلـــل
فكأنما أبنـاء عاملــــــة غـنم من الذئبان تنجفـــل
والطير طير الحتف فوقهـــم يرمى القنابل حيث ينتقـــل (٢)

وأخذ الفرنسيون يسعون لاسترضاء العامليين عن طريق اغراء زعمائهم بالمناصب والوظائف . والاغراء سيف قاطع رهيب فهو ان لم يقتل يمزق ومن زعماء عامل مـــن أغرته المناصب ومنهم من لم يؤثر سحرها في صلابته ومن بين هؤلاء العلامـــة المجتهد السيد محسن الأمين الذي يقول في بعض مذكراته التي جمعها ولده حسن وأثبتها في أعيان الشيعة . يقول : " وعزم الفرنسيون على احداث منصب (رئيـــس علماء) للشيعة في لبنان وقرروا تعييني لهذا المنصب وأصدروا به مرسوما اعتقـــادا

---

(١) الاعيان ج ٤٣ صــ ١٤٠ وكان غورو أعـورا
(٢) الاعيان ج ٤٤ صــ ١٨٧

منهم بأنني أقبله بكل امتنان فالناس تتوسط للحصول عليه فكيف بمن يأتيه ؟ فقلت للرسول الذي جاء بالكتاب : قل لصاحبه أن هذا الأمر لا أسير اليه بقدم ولا أخط فيه بقلم ولا أنطق فيه بفم وقلت للعرفاء :

أيها السائل عنهم وعني ... لست من قيس ولا قيس مني

فعادوا أدراجهم (١)

ويثور محسن الأمين على الوصاية والحماية الفرنسية ويرى أن السلام لا ينتزع الا بالحسام ويقرر بأن العدل كالعنقاء غير موجود مادام الفرنسيون قد احتلوا بلادنا ودنسوا أرضنا :

ان الحياة تنازع وخصام ... هيهات مايسوى السيوف سلام
والعدل كالعنقاء فينا والذي ... لم ينف عنه الضيم فهو يضام

وفي ذلك اشارة الى قول زهير :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

انهم لا يريدون السلام ولكنهم يريدون الخداع والتضليل :

قالوا السلام نريده بفعالنا ... والأمن تدركه بنا الأقوام
ان كان هذا أمنكم وسلامكم ... فعلى السلام تحية وسلام
قالوا الشعوب نفكها من رقها ... كلا بل إستعباد ها قد راموا
هبوا بني قحطان طال رقادكم ... فالام أنتم غافلون نيام
باسم الحماية والوصاية يحتوى ... حق لكم وتدوسكم أقدام (٢)

ويعم ظلم الفرنسيين بلاد الشام وتقع معركة ميسلون ١٣٣٨ هـ — ١٩١٨ م فيندب العامليون ضحاياها كما يبكون جبل عامل فهم لا يميزون بين عامل والشام ومصر كما سنرى وتثور ثائرة الشاعر الشيخ سليمان ظاهر فيقذف الحمم في قصائده فيقول :

أمل بصدر العرب والاسلام ... هل ذاهب فيه سقوط الشام
يايوم وقعة ميسلون كم جوى ... لك في الحشا لا تنطفي وضرام
أخمدت من عزمات يوسف جذوة ... مرهونة الايراد والاصدام

---

(١) الاعيان جـ ٤٠ صـ ٩٥
(٢) الاعيان جـ ٤٠ صـ ١٢٧

ألويتهم عن سرجهم من بعد ما | ألوت عزائمه بكل لجام
ماكان فيك الفيلقان لبأسه | الا كسرب جآذر ونعام
ينقع خيليه غدوت وبيضه | متشابه الاصباح بالأظلام

والقصيدة طويلة تصور نقمة العامليين على الفرنسيين أينما كانوا فى بلاد الشام . ويوسف العظمة ليس شهيد سوريا ولكنه شهيد العروبة :

فلتبكينك أمة ناصحتها | ونصحتها استمذ بت كأس حمام

وأن دمه لن يذهب هدرا :

لا يذهبن دمك الحرام مضيعا | فالعرب بعدك عنه غير نيام
هل انصف الحلفاء قائد أمة | أرعى الأنام لموثق وذمام
حلوا الذى عقدوه فى ايمانهم | وهي الغموس بمدفع وحسام (١)

وللشاعر الأمين قصائد أخرى فى تمجيد الثورة السورية ١٩٢٥ على الفرنسيين ومنها :

في الشام قوم أضاق الدهر أمنهم | وروعتهم أفانين السياسات
بالأمس كانوا وظل العيش منبسط | منعمين بفسد وات وروحات
يجري لهم بردى خفضا ينزلهم | من غوطتيه بروضات وجنات

ثم يصف ما لحقها من دمار وخراب وترويع للآمنين :

ترى مقاصيرها من بعد منعتها | يدكها القذف من جو السماوات
وطفل غاب تحت الردم واحدها | كما تغيب غرب فى الغيابات (٢)

أما الشيخ أحمد رضا (١٢٨٩ ـ ١٣٧٣ هـ) فيتساءل عن نتائج الحرب العالمية الاولى التى انتهت بتقسيم بلاد العرب الى مناطق نفوذ للدول الكبرى ومنها فرنسا

أيقسم دارنا الأحلاف قسرا | كأنا بينهم مال حريب
ويجعل فى الغنائم رق قوم | لهم يوم الوغى العزم الصليب
فلا عهد هناك ولا ذمام | اذا ما استفحل الطمع الخلوب
أسوريا يباح حماك نهبا | ومجدك فى يد العادي سليب
تريدين السلام من طبيب | وقد أهدى لك الداء الطبيب (٣)

(١) المستدركات على الاعيان جـ ٥٢ صـ ١٢٦
(٢) الاعيان جـ ٥٢ صـ ١٢٧
(٣) الاعيان جـ ٥٤ صـ ٨

ويكثر العامليون من الحديث عن دمشق وثورتها على الفرنسيين حتى لا تكاد تحس بأن هؤلاء القوم يفصلهم عن عاصمة الأمويين فاصل فهم لها وهي لهم ففي شهر تشرين الأول ٩٢٥ وعلى عهد الجنرال سيرايل الفرنسي ضربت دمشق وحماه بالطائرات فينتفض الشاعر محمد علي الحوماني ليسجل المأساة فيقول :

مجد العروبة أقفرت عرصاته ... والضيم حل به فأين حماته
الله للاسلام هدم صرحه ... والى الحضيض تساقط شرفاته
في ذمة الاسلام "طائفه" الذي ... لفظ الحياة وشامه وحماته (١)
علم العروبة لا تحل بنوده ... والأسد أسد الغوطتين حماته
علم أطل من الفخار سنامه ... وعلى الندى خفاقة عذباته (٢)

ثم يضرب حي الميدان بدمشق ثانية في شهر أيار سنة ٩٢٦ على يد الفرنسيين على عهد المفوض الفرنسي " دي جوفنيل " فيقول الحوماني (٣)

شعبان مظلوم وآخر ظالم ... ظفرت يداه به فأين الراحم
حشد البسيط عليه منه كتائبا ... وانقض منه عليه صقور آزم
ودوت قذائف بغية فاذا السما ... شهب تساقط والبسيط جماجم
حتى اذا اشتبك القتال رأيتهم ... حمرا تجرعها المنون ضياغم
والخيل تسبح في الدماء فراسب ... في لجها الطامي وآخر عائم

ثم يقول الشاعر بأن الذين ضربتهم فرنسا ليسوا من المسلمين فحسب ولكنهم مسلمون ومسيحيون :

باسم المسيح وباسم احمد كبرت ... تحت البنود فلا نسر عمائم (٤)

وللشاعر نفسه وقفة على قبر يوسف العظمة يقول فيها :

ومجد عبثنا بأركانه ... وقد شيدته العلى فانهدم
ألمت به نكبات الخطوب ... ففي كبد المجد منها ألم
وقفت أناشد أطلاله ... وأبكي فأمزج دمعا بدم
أسائلها من مهب الليوث ... ومجرى الكتائب والمزدحم

---

(١) الطائف في الحجاز وقد دمرتها الحرب الأهلية
(٢) الديوان ص ٩
(٣) سوف تأتي ترجمته
(٤) الديوان ص ١٣

أمثوى المروءة هل شاعـــر ببطنك أي البدور اكتتم
لقد ضم ببطنك سر الحيـــاة من المجد اذ ضم تلك الرمـم
بكيتك مثوى العلاء الصريــح ومثوى الشجاعة مثوى الـكرم

وكعادة الحوماني فانه ينحي باللائمة على ولاة الأمر ويقول بأنهم ليسوا في مستوى المسؤوليـــة :

تولوا فعاثت بها عصبـــة كبار النفوس صغار الهـــمم
متى يفصح الشعب عن حقـــه فتلفظهم منه لفـــظ المجـــم
محالا تحـاول فيما تـــروم ومدعواك اليـوم أعمـــى أصم
أبى الضيم من كان في نفســه اباء وفي النفس منه شـــمم (١)

وللحوماني قصائد كثيرة أتينا على ذكر بعضها في الهجوم على الفرنسيين وعملائهم والاشادة بالثوار وأنصارهم مبثوثة في دواوينه المطبوعة الكثيرة •

واذا كان الاستعمار الفرنسي قد وضع خطة يقسم بموجبها الشعب اللبناني ويمزقه بين مسلم ومسيحي ودرزي ••_ فان من يفهم الحرية لا يخضع لناموس المستعمرين هذا فقد ألقى بولس سلامه عام ١٩٣٢ في قاعة مدرسة الحكمة " قصيدة يرثي بها أحد أعلام الصحافة اللبنانية المهجرية بمناسبة وصول رفاته الى لبنان وجاء في القصيدة تعريـــض بالمحتل الدخيـــل :

حم تطاير من يراعـــي كلما د ق الدخيل على رتاج البـــاب
ضربات بتار وطعـــن أسنـــة وخفوق أعلام ولمـــع حـــراب

ويروي الشاعر نفسه ما أصابه بعد ذلك بقوله : " ان أحد صنائع المحتلين نقل اليهـم مضمون البيتين وانه عندئذ صدر تعميم يقضي بمنع الموظفين من الكلام في الحفـــلات دون اذن سابق وكان شاعرنا موظفا في ذلك الحين " (٢) أما المؤبن فهو الصحافـــي المهجري نعوم مكرزل • مطلع القصيدة :

الغـاب يا أرض افريكة غابـــي مهما أطلت عن الصرين غيابـــي

أما عبد الحسين عبد الله فانه يحتج على أولئك الذين لا يثورون ويحطمون القيـــود والاصنام جاعلا من وطنه معشوقا محبوبا ثم يتغنى بأمجاده :

(١) الديوان صـــ ٢٦
(٢) من مقال لحسين مروه في العرفان نيسان ٩٦٦ صـــ ١٠١٠

وطن دعائمه الجماجم والـدم | تتهدم الدنيا ولا يتهدم
في كل ناحية شهيد رابض | وبكل جرح شاعر يترنم
تتلفت الابطال وهي مروعة | والخيل تسرج للكفاح وتلجم
شاكي السلاح على البسيط وأعزل | يتصارعان وحاسر وملثم
يامن رأى تلك الحراب محطمة | والحق لايلوى ولا يتحطم (١)

وفي عام ١٩٢٠ يشن الفرنسيون الغارات على جولا وبنت جبيل وغيرهما ويسقط عدد من الشهداء فيقف الشاعر في بنت جبيل مؤبنا الشهداء ويقول :

يقولون وفيت المروءة حقها | نظيرك احرار البلاد تكون
فاسخر من نفسي ولو كنت شاعرا | أبيا بدين المخلصين أدين
لما هدأت نفسي وفي الحي ثورة | وأشباله مستشهد وسجين
أيغشى الوغى قومي وأقعد خائنا | اذن أنا مثل الخائنين خؤون (٢)

أما موسى الزين شراره وهو رفيق عبد الحسين عبد الله في المعتقد والمأكل والمشرب فانه يحق شاعر الوطنية الصادقة والثورة اللاهبة في جبل عامل وهو ماهر في التحريض داعية للاتحاد والتضامن والثورة على الدخلاء قال :

فيم التباين والتحاسد بينكم | وبلادكم كادت تموت بدائها
سلمتموها للدخيل غراقة | فتان منظرها وطيب هوائها
فاضل هضبتها وعاث بربعها | وعلى بنيها ضاق رحب فنائها (٣)

ولماذا يسخط الفرنسيون علينا ولماذا يسيموننا القهر والعذاب ويسلطون علينا كلابهم وأسواطهم ؟

حسن فياض شرارة يجيب على هذا التساؤل في مجلة العرفان ١٩٢٩ فيقول :

ان يكن بسخطكم علينا لأنا | لم نبعكم مبادئا قدسية
أو لأن الوجدان حر طهور | أو لأن النفوس فينا أبية
فأخرجونا ماشئتم واظلمونا | وارهقوا كلما استطعتم أذية
واقتلونا فالقتل مازال فخرا | في سبيل الوجدان والحرية
كم سحقتم من قبلنا أبرياء | في سبيل المراكز الوهمية

---

(١) حصاد الاشواك علشاء صـ ٤٢
(٢) العرفان نيسان ٩٦٦ صـ ١٠١٢ من مقال لحسين مرو : حصاد الاشواك صـ ٦٦
(٣) العرفان ت ٢ ١٩٢٩ الجزء الرابع

ولكم قد سلبتم مال قـوم   نهبا للمطامع الأشعبيــة (١)

وكانت طليعة الشباب العاملي ابان الاحتلال الفرنسي عصبة من الطلاب في النجف الأشرف من العراق ذهبوا لتلقي العلوم الدينية وكانوا على صلة بوطنهم الأصغر جبل عامل وعلى علم بما يجري على أرضه الطاهرة على يد المغتصب الفرنسي فكانت تتشكل الجمعيات الأدبية في النجف وجبل عامل وتتلاقى هذه الجمعيات المقيمة والمهاجرة ومن هذه الحركات " الشبيبة العاملية "النجفية " وأبرز أعضائها الشيخ علي الزين والسيد هاشم محسن الأمين وحسين مروة والشيخ محمد حسين الزين والكاتب الشاعر محمد شرارة وهؤلاء جميعا مازالوا أحياء ومازالوا على وطنيتهم ونشاطهم ومنهم المرحوم الشيخ محسن شرارة .

يقول حسين مروة " .. وتكاثرت الأحجار في " البركة " الراكدة وتكاثرت الدوائر المتحركة في وسطها وأعماقها " (٢)

وكان الشيخ علي الزين ومازال —رغم تقدم سنه— ثورة دائمة منطلقة متحركة يرفض الدجل والنفاق ويرفض المناصب الزائفة والمهادنة المشبوهة مع العدو والمستعمر ويدعو العامليين الى الالتحام مع السوريين ويهاجم غورو وأسياده وعملائه والمتقاعسين عن النضال . خاطب أبطال الثورة السورية وأبطال جبل عامل بقوله :

أبنلنا عامل ما ونت عن نصركم   لو كان يسعدها الزمان الأشأم
لو خيروا وهبوا القلوب حفائظا   والبيض تنزع نحوكم لتقيكم
لم يغمدوها قط خوفا أو قلى   لكنما للدهر حكم مبرم
ان فاتهم شرف الجهاد مؤخرا   لم يعدهم بالأمس وهو مقدم
أيام "غورو" لم تكن مجهولة   كيما نفصلها اذا ما أبهموا
مازالت الاطلال وهي دوارس   من عسفه تشكو الهوان وتنقم

ونستشف من هذه الأبيات أن العامليين كانوا يشكون على أنهم وحيدون في الكفاح ويطلبون العون من اخوانهم السوريين ويبدو أن السوريين قد تأخروا عن ذلك تحت وطأة الاحتلال والظروف كما قال الشاعر . وكما رأينا فهو دفاع صريح عن أخوة النضال

---

(١) العرفان ج ٤ م ١٨ ت ٢ ١٩٢٨

ضد الدخيـــــل .

هذا هو نضال العامليين ضد الفرنسيين . يقول حسن الأمين :

" فالرصاصات العاملية كانت الرصاصات الاولى التى أطلقت بوجه الاستعمار فى ديار الشام وكان جبل عامل الثائر الأول على الاحتـــلال الاجنبي بعد الحرب " (١)

ثم يحرض عبد المطلب الأمين على المعاهدات مع الفرنسيين ويدعو السيوف لتحل محل الترابط فيقول :

لغة التحـــــكم بالضعيـــف تسترت بمعاهـــــــدات
خلوا التعاقد للسيـــــوف فهن أصلبنــــــا قناة (٢)

وفى صراع العامليين مع الفرنسيين قصص مثيرة فمن المعروف من الزعماء التقليديـــين والمتزعمين أنهم لا ينطلقون الا من مصالحهم وذواتهم موازينهم فثورتهم مغشوشــــة وحركاتهم مشبوهة وصمتهم مريب وهكذا كان الحال مع كامل الأسعد فهو لم يعلـــن موقفه صريحا من الفرنسيين وكأنه ينتظر منهم مركزا ومن الثوار ملمزا غير أن الثـــوار الذين كان يقودهم صادق الحمزة وجماعة من الفقراء والفلاحين الشرفاء ماكانـــــوا ليسكتوا طويلا من هذا الرجل فأرسلو اليه كتابا يخيرونه فيه بين اثنين فاما أن يـــكون مع الثوار ضد فرنسا واما أن يكون عليهم مع فرنسا وهنا تسلط اليه السهلم . وكـــان رد الأسعد أنه لا بد من استشارة العلماء والوجهاء . وكان ذلك تمهيدا لمقد مؤتمـــر الحجير المشهور فى ٢٤ نيسان ١٩٢٠ م . وكذلك فان الحكومة السورية كانت قـــد طلبت من العامليين تحديد الموقف . وكان جماعة المير محمود الفاعور مع الثوار وقـــد احتجوا على موقف كامل الأسعد وهاجموه وتوعدوه مما كانوا يرددونه ضده :

" والبيـــك بيـــع ملتـــــــو لمن سمع بفزيعتنــــــا
وان قدر الله ينذ بحـــوا لعين عيونك ميرنـــــا (٣)

وفى تلك الفترة انكشف الزعماء التقليديون وعزلتهم جماهيرهم وبرز فى الساحة زعمــاء الثوار الفقراء وعلى رأسهم صادق الحمزة وأدهم خنجر ومحمود الأحمد .. وفى مؤتمـــر

(١) العرفان نيسان ٩٦٦ صـ ١٠١٥
(٢) أطروحة لمحمد جابر صـ ١٩٧٣/٥٦ وهى مخطوطة نقلا عن مذكرات أحمد رضا
(٣) المرجع السابـــق

الحجير انطلقت الجماهير على سجيتها لما أتيل صادق للحمزة هادئة تحييه وتهتف بحياته ومما قالوه في استقباله :

يهنيك يا بيك الخليل ... صادق أبو محمد لنا

كما استقبلوا أدهم بهذا الهتاف :

ورد على بير الضحى ... حمر الشلافي غربت (١)

ولا جدال في أن السواد الأعظم من المسيحيين (الموارنة) كانوا يميلون الى فرنسا ويتعاونون معها ويعتبرونها " أمهم الحنون " وقد تشكلت لذلك جمعيات منها " جمعية اتحاد الشبيبة " ومن أهدافها ـ كما تقول جريدة البشير العميلة : " توحيد قلوب الشبيبة على العمل للخير ونشر حسنات فرنسا وبيان نياتها النبيلة نحو البلاد (٢) .

ومن أغاني أهالي عين ابل في تحية فرنسا عام ١٩٢٠ وكانت شائعة قولهم :

بيبا فرنسا بيبا ... يحيا دين الصليبا

وقولهم :

فرنسا يا شعب مليح ... يامعزز دين المسيح (٣)

وكلمة " بيبا " محرفة عن الفرنسية ومعناها " تعيش " .

هذا ولا ندري ما هي أهازيج وأغاني أهالي عين ابل التي رددوها أمام الصهاينة عام ١٩٧٥ بعد مايزيد عن خمسين سنة على استقبال الفرنسيين .

وهناك أدلة كثيرة على تعاون غلاة الموارنة مع فرنسا وجر الطائفة الى مثل هذه المواقف المخزية لامجال لذكرها الآن ولولا علاقة الشعر العاملي بما سبق ما أتينا على ذكره .

(٣)

عندما قررت فرنسا الفازية الجلاء عن لبنان ومنحه الاستقلال كان ذلك الاستقلال كأي استقلال " يمنح " فهو لم ينتزع انتزاعا حتى يجسد أماني الشعب اللبناني ....

---

(١) الاطروحة صـ ٥٦
(٢) البشير ٢٥ ك ٢ ١٩٢٠ صـ ٤
(٣) الاطروحة صـ ٨٧

ومن هذا المنطلق نظر العامليون الى الاستقلال فكان قيدا وكان عبئا ثقيلا وكان تمزيقا محنطا للبنان جر عليه الويلات والمصائب فيما بعد فقد كرس الامتيازات لأبناء العائلات كما كرس التسلط الطائفي وأكد زعامة العملاء الذين تعاونوا مع فرنسا وأخلصوا لها الولاء .. والذي يخلص في ولائه للعدو لا يمكن بأي حال من الاحوال أن يخلص لمصلحة الوطن العليا .

تكشف هذا الواقع للعامليين بعدما تجسد لهم بشرا سويا من خلال الممارسات المشبوهة للسلطات المأجورة والمعاناة التي رزح تحت كابوسها الرهيب أبناء الشعب اللبناني ..

ولم تنس فرنسا أن العامليين أول من شهر في وجهها السلاح وأن الثورة السورية الكبرى انطلقت شرارتها من جبل عامل وأن أول رصاصة اطلقت في وجه جنودها كانت من جبل عامل ولذلك فقد ورث عملاؤها الحقد على العامليين فبقي الجنوب يرزح تحت نير الظلم والاستعباد وبات يسبح في بحر من التخلف والتجهيل على يد السلطات المهملة وأكثر ماكان يؤلم العامليين ذلك التباين الواضح والتناقض الصريح بين المناطق اللبنانية ففي حين ترتفع ناطحات السحاب في مناطق معينة كانت الأكواخ تتراحم قربها وفي حين كانت تشاد اجنائن الخلابة والمنتزهات الجميلة والمراكز السياحية الحديثة في أماكن معينة كانت قربها تعشش جرذان الفار وتتعفن القاذورات .... وفي حين كانت تبنى المدارس في مناطق معينة كانت في الجنوب تكاد تنعدم الا من تلك الكتاتيب التي طورها العامليون على حسابهم الخاص ... كل ذلك حصل في عهد الاستقلال فكيف ينظر العامليون الى ذلك الاستقلال ؟

لا شك أنها نظرة الحذر الحاقد والمشمئز المنطوي والثائر المرتقب ... ولكن كيف تنمو بذور الثورة ومن يزرعها ؟ لا شك أن الشعراء هم المحرضون وهم الداعون وهم المبشرون .

وكان شعراء عاملة في مسيرتهم الموحدة وقد تشابهت نظراتهم وتوحدت آراؤهم وتقاربت وجهات نظرهم من الاستقلال والعهد .. كان هؤلاء في طليعة جماهيرهم وفي مقدمتها ... وقد اقتربوا من الاجماع على أن الاستقلال الذي يمنح لا بركة فيه وأن الذين سلمهم الاستعمار مقاليد الأمور في البلاد ماهم الامطايا

لذلك الاستعمار كالدمى فى أياديه ..

وكان موسى الزين شرارة .. من بداية العشرينات وهو مازال حتى هذا الوقت يمثل التيار المعارض والمحرض والثائر الناقم دائما على الذين يتلاعبون بمقدرات البلاد فهو يدعو الناس للحذر ويحذرهم من الانخداع للتطبيل والتزمير منبها الناس بكل جرأة وشجاعة الى أن الذين يظهرون أمامهم على أنهم أبطال الاستقلال ماهم الا أعداء الشيمة وقد اعتمدوا الكذب والتمويه والخداع والتضليل قصيدة عنوانها : لا تخدعوا التاريخ يقول فيها :

ياعهد فى لبنان مالك والـ... فالى متى التزمير والتطبيل
لايخدعنك المدعون فكلهم ... عند الحقيقة مالديه دليل
من منهم البطل الذى بجيوشه ... ضاقت جبال عندنا وسهول
لا تغترر بجماعة ماجورة ... أنى يميل الحاكمون تميل
هى بوق كل مسيطر أو حاكم ... ودمى تلفق باطلا وتقول

أما تسميتهم "بأبطال تشرين" وهو الشهر الذى أعلن فيه قيام لبنان " المستقل " فليست الا من باب الكذب وعليه فلم يعد شهر نيسان —أبريل — شهر الكذب المشهور بل أصبح اليوم شهر تشرين هو شهر الكذب :

سموهم أبطال تشرين فقل ... وأنا كذاك اذا سئلت أقول
تشرين شهرالكذب حين دعوهم ... الابطال فى لبنان لا أبريل

ولكن العجيب أن يسكت اللبنانيون عليهم فهل أصبح الكل عبيدا للوظيفة ؟

الكل عبد للوظيفة دينه ... الكرسي وقبض الراتب الانجيل

ثم يعدد بعد ذلك مخازى الحكام فيقول :

أفرنسة منه وهذى حاله ... تخشى ويجلو الجيش والأسطول
لا تخدعوا التاريخ مافي أرضنا ... غاندي ولافي أرضنا زغلول (١)
كلا ولا منا الألى بزنودهم ... فيما مضى قد هدم الباسفيل

---

(١) غاندي الزعيم الهندي المعروف وزغلول هو الزعيم المصرى سعد زغلول

أيسل صمصاما ويهزم فاتحـــا | شعب عريق بالهـوان ذليـــل ؟
هب نحن صدقنا لضعف عقولنـــا | مايدعـون فللأنـــام عقـــول

ثم يوجه وعيده للحكام فيقول :

مهلا عليكم ان ملكا أســـــه | قهر الخصوم وكيدهم ســــيزول

والمقصود بالخصوم : خصوم الزعماء الشخصية وان هذه البلاد بعدما ساد بهـــا الظلم وعمت الفوضى فلا سيادة فيها للقانون :

سادت بها الفوضى فلا قانوننـــا | يحمي الحقـوق والا القضاء عـدول

ثم يختم قصيدته بقولـــه :

كنا قديمـــا في دخيل واحـــد | واليوم كل الحاكمـــين دخيـــل(١)

والحقيقة أن معظم قصائد موسى الزين شرارة كانت على هذا النسق وقد اطلعـت على معظم ما نظمه الشاعر فلم أجده قد حاد عن سنته تلك برغم ماعاناه من السجـن والابعاد والملاحقـــة ...

أما الحوماني فقد كانت قنابله محرقة وثورته لاهبة وقد بلغ به الأمر مبلغا دفعه لتصنيف الدواوين في ذم الحكام ومجابهتهم فوضع ديوانا أسماه " فلان " وكله هجـاء لرياض الصلح صنيعة المستعمرين ثم وضع ديوانا آخر أسماه " نقد السائس والمسوس " وقد قسمه الى قسمين كما هو واضح من عنوانه فنقد السائس موجه لولاة الأمور مـن وزراء أو نواب ومستوزرين ومستنويين وأعيان وزعماء ومستعمرين ومشايخ ... أما القسم الثاني فقد توجه به الى الشعب وخص المتزلفين والمنافقين من العلماء والأذناب ...

وكانت قصائد شاعرنا قصيرة ومعظمها على بحر واحد هو المتقارب ففي البرلمان قـــال :

اذا ما وليت نظام الأمـــور | فاحكم بتنسيقها نظمـــه
فسلك الحكومة لا يستقـــيم | نظما وناظمـــه أعمـــه

× × ×

أرى الفتق في الشعب مالم يسد | به ذو الحصافة لا يرشـــق
ورشق الحصيف اذا لم يمـــث | به ذو الحماقـــة لا يفتـــق

(١) العرفان م ٣٥ جـ ١٠ صـ ١٤٥٣ سنة ١٩٤٨

وشعب تمثلـه للشعـوب في (مجلس الحكم) أذنابـه
أيدفع عنـه شرور العـداء وما عـرف الخـبر ونوابـه

× × ×

توغـل أنذالنا فـي البـلاد وبزوا المناصـب أربابهـا
رقوهـا على عهـد مندوبنـا وقد زاحمـوا أمس حجابهـا

× ×

رئيس الوزارة نعـم الرئيـس فلا تسألونـي عمـا وزر
اذا استـوزر الرأس وهو الضعيف أضعـف منه فقـل لا وزر

× ×

وزير الزراعـة في نعمـة وأنعـم منه وزيـر الذهـب
وأما المعـارف فاسلم بهـا فقـد قام فيها أمير الأدب

× ×

وللداخليـة والخارجيـة فـلان لكـن قرينـا صفـد
ونافعة الشعب تصدى لهـا رجال ففـاز بها من فسـاد(١)

× ×

وللحرب قد نصبوا أغلبـا شديد السواعد لـكن أجـم(٢)
ولا تسأل العدل عمن يليـه أأنصـف في حكمـه أم ظلـم(٣)

وهكذا فقد صور الشاعر جميع الوزراء وقد كانوا في عهد الفرنسيين يتزاحمون ليكونـوا حجابا لدى المندوب السامي وهم اليوم وزراء ... ولكنهم أكفاء وكل ما صنعوه أنهـم ملأوا جيوبهـم ...

ولا عجب فقد عانى الشاعر الكثير من الحكام وقد أصدروا عليه أقسى الأحكام ظلمـا وأخيرا نفوه الى اربد في عمـان حيث قضى فيها وقتا طويلا سافر بعده الى مصـر وفي أربد يقول الشاعر :

---

(١) فؤاد حنى سرق مالا كثيرا من وزارة الاشغال وفر به كما ذكر الحوماني في ص١٧ من ديوانـه .
(٢) ثوريلا قـرون
(٣) ديوان السائس والمسوس ص ١٧ ـ ٢٣

سئمت حياتى فى أربــــد حياة العناء حياة الشـــقا
ترى هل أراني بعد الأفول أباكرصيد !! أم جلقـــــا

اذا أفسد الدهر أخلاقنــا فمت بالسياسة أن تفسـدا
ونافق تسد فبغير النفــاق لم يك سيد نـتـا سيــدا

أترقى بلاد يسود النفـاق في أهلها ويساد الأدب
ومنصب ذاك على النيّران ورتبة هذا أحط الرتــب (١)

ولا يتوقف الحوراني عن ثورته تلك حتى بعد عودته من المنفى بعد سنتين حيث يقـــول :

أقلـــب طرفي بأعمالهـــم فلم أحظ الا بما أتلفـــوا
فدعهم يعيثوا بأوطاننـــا لنا ولهم فى غـــد موقـــف

وهذا شبيه بقول معروف الرصافى :

لا بد من يوم يطول عليهـم فيه الحساب كما يطول المرهف

وتنشر مجلة " العرفان " أن أم العميد (وهو أحد الزعماء اللبنانيين) راقصة وهي كذلك فيصدر حكم بتعطيل المجلة فيقول الحوراني :

بكم فم الصحف ان صرحـــت بأن العميد نفيـــل أزب (٢)
اواى عدانـــا غلا قلبـــه عليك فمن نفلة فى النسـب

لقد أطبقوا فم عرفاننـــا وقد جاء بالحق فيما نطـق
وقالوا الهدى وهو عين الضلال ينشر دجاها وحجب الشفـق (٣)

وهذه هى طريقة الحورانى وتلك هي ثورته التى ارتضاها لنفسه عن قناعة برغم ما جرته عليه من مشقة وعناء فيستمر فى هجومه على المسؤولين موكدا أن الاستقلال ما هو الا ستار يخبىء وراءه المؤمرات الغادرة يحيكها المستعمرون وينفذها العملاء المأجورون :

---

(١) نقد السائس والمسوس صـ ٢٦ ــ ٢٩
(٢) النفيل : ابن الزناد والأزب : الشيطان التمرد
(٣) الهدى : جريدة عملية " والشفق " جريدة وطنية ــ نقد السائس والمســوس صـ ٣٣ ــ ٣٦

كلا ابنى بريتانيا والفرنســـى ... يريدان قتل من استعبدا
وهتان ذاك وذا قاتليـــن ... فصل بنـــار وول يـــدا

* * *

يحاول ذاك قضاء عليـــك ... بوجه أهش وخلق صفــا
وأما الأخيـــر فيقضى عليـــك ... بقلب أفظ وطبـــع جفـــا (١)

ويخاطب المستعمرين بقوله :

د سيستم مكائدكم فى البـــلاد ... وثتم بها باسم عمرانهـــا
رفقتم بحيوانهـــا صامتـــا ... فهلا رفقتـــم بانســـانها

وماذا عن علاقة الزعماء بالمستشار الفرنسى ؟

بعينى رأيت يد المســـتشار ... بقبلها ندبنـــا السافل
ليبطش فى قومـــه كفـــه ... ويجثو لتقبيلها الجـــاهل

لقد انحطت الاخلاق وساءت وانعدمت القيم فكل شىء يهون فى سبيل الوظيفة حتى الشرف والعرض والمال .. وهذه طريقة الوصوليين والانتهازيين .. وقد كـان المسيحيون كما هو معروف أسعد حظا عند الفرنسيين والمرأة المسيحية أكثر تحررا وأقرب منالا من المرأة المسلمة .. فهى تجالس الرجال وترافقهم .. وهـذا مايهم المستشار ويذكر لنا الحومانى أن بعض المسيحيين كانوا يدعون الشرف حتى تحسبهم مسلمين ولكنهم سرعان ماينتهون تحت أقدام المستشار

وكم خائنا من رجال المســيح ... من كنت تحسبه مســلما
يفاخر أن صـافح المستشــار ... فى داره البكـــر والأيما

يصنعون النائب ليعيدهم فى البرلمـــان :

بعينى رأيت فتى رشـــحوه ... لأن يتعبدهم نائبـــا
أباح لهم خلة أرهفـــت ... حشاها ودققت الحاجبـــا

* * *

---

١) السائس والمسوس صـــ ٤٦
٢) المرجع الســابق صـ ٥٦

قضى عصرنا أن يكون الشفيـــع   لدرك المناصب نهـــد وقـــد
فمن شاءهافليـــــزر أهلـــه   رئيس الحكومـة يوم الأحـــد (١)

أما عبد المطلب الأمين الشاعر المثقف الذي نذر حياته لأمته وشعبه فهو تلميـــــذ مخلص للحوماني وشرارة وعبد الحسين عبد الله أوقل هو من مدرسة هؤلاء ٠٠ وجميعهم لمدرسة رافضة واحدة ٠

تتكشف أمام عبد المطلب المؤامرة فيكشفها للناس وهو يعلم أن الذيـــــن سجنتهم فرنسا فى قلعة بشامون عشية مايسمى بالاستقلال كانت تعدهم لاستـــلام الحكم فالسجن لهم فى شهر تشرين كان " تعميدا " لهم لاظهارهم أمام الشعـــب بمظهر المناضلين الأبطال فالحبس كان محاولة استعمارية لغسل دنسهم وعمالتهـــم تمويهـــا ٠

يقول عبد المطلب :

لاكان تشرين من بين الشهورولا   تلك الخرافة عن أبطال تشريـــن
فسجن يومين فى تشرين أورثنا   تزوير أيار واستهتار كانـــــون
وحبس يومين "للأبطال" كلفنا   سجنا لشعب ووأدا للقوانيـــن
وكان تعويضهم عن حبسهم خطأ   رق الألوف وتكديس الملاييـــن
قالوا استقل بنا لبنان زعمهـــم   ماعاد يفرض فيه غـــير مأفـــون (٢)
قد كان يصدر عن "مارتل" وحيهم   فصار يصدر عن "جيمس" وعن "جون"

اذن فلبنان لم يستقل الا مظهريا القائمون عليه بعد " الاستقلال هم عمـــلاء المستعمرين قبل تلك الفترة وارتباطاتهم مع الفرنسيين واضحة وعلاقاتهم الخارجيـــة مشبوهة ٠٠ وهذا لاشك أبشع من الاحتلال وتسلط أبناء الوطن على بعضهم أمر مـــن تسلط الدخلاء ٠٠٠ وهكذا تحول الصراع الى الداخل وبات صراعا طبقيا وطائفيـــا فى آن واحد ٠٠٠ صراع بين الفقراء من عامة الشعب والاغنياء و من لصوص الشعـــب وكان لجبل عامل من هذا الصراع نصيب الأسد فقد كان كبش الفـــداء ٠٠٠

---

(١) الديوان ص ٤٦ ــ ٥١
(٢) العرفان م ٤٠ ج ١ ص ١٦ ت ٢ ٩٥٢

اذن يئس التاسمين عهد الاستقلال واعتبروه امتدادا للماضي بل أسوأ منه فأخذوا يتباكون على عهد المستشار لا حبا فيه ولكن تشنيعا بالقائمين على الأمور وعودة لموسى الزين شرارة في " شراراته " حيث يتجسد لنا ذلك اذ يقول :

سقيت الغيث عهد المستشار ... على ما فيك من خزي وعار

ثم يقـول :

وأرض للأبي الحر من أن ... يرى يمناه تقطع باليسار

ثم يتذكر عهد الاتراك فيقول :

أعاد اليه عهد الترك جورا ... وطغيانا وعهد الانكشاري

فالذين حكمونا اليوم هم بالأمس صنائع وجواسيس للفرنسيين

ومن كانوا غداة غزت فرنسا ... بلادي، واستقرت في دياري

جواسيسا على الأحرار منا ... وسيفا في يمين المستشار

وكان ضميرهم في كل سوق ... يباع كسلعة من كل شاري

ثم يترحم الشاعر متهكما على فرنسا فيقول :

فرنسة كنت من أعداك قدما ... وحربك كان في وطني شعاري

بعهدك كاد يدمي القيد ساقي ... و" سجن الرمل " كاد يكون داري

غير أن ما أعانيه اليوم في ظل الحكم " الوطني " جعلني أطلب عودتك فأنت أرحم علي من هؤلاء الأوباش :

فعودي كي أكون لك عميلا ... وجاسوسا على أهلي وجاري

وأعلن توبتي جهرة أو أبدي ... على رغمي عن الماضي اعتذاري (٢)

وهذا هو رأي العامليين بالاستقلال .. مرارة وخيبة أمل جعلهم يتلهفون على أيام الفرنسيين لما عاناه الشعب على يد العملاء الذين حكموا كأسوأ ما يكون الحكم ، استبداد وبطش وارهاب وتمييز بين الناس وفوضى وارتباط بالمستعمر وعلاقات مشبوهة مع الفرنسيين وغيرهم .. والذي استعرضناه كان نماذج محدودة من شعر العامليين والا فأين عبد الحسين عبد الله وعلي الزين وحسين مروة وفؤاد جرداق

---

(١) سجن الرمل هو سجن معروف في بيروت سجن فيه الشاعر

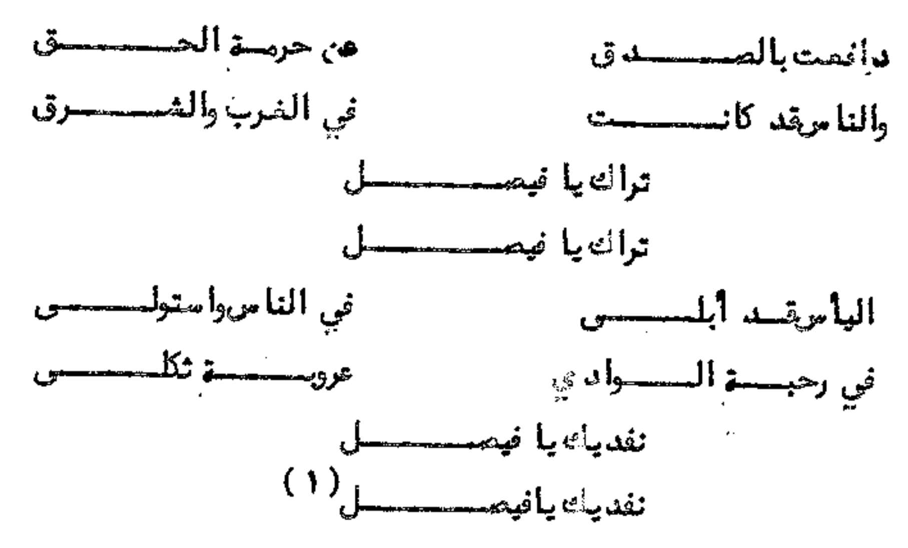
(٢) نظم الشاعر قصيدته تلك عام ٩٤٧ على أثر اعتداء ستة رجال أحد الأعمال على بيته وبيد وأن القصيدة لم تنشر وهي مخطوطة في حوزتي استلمها من الشاعر نفسه .

والشعراء الشباب ؟ وكلهم نظم الكثير من القصائد فى الاستقلال وماقبله ومابعده ، وكلهم لم يكن راضيا عن هذا الاستقلال المزيف ...

لقد اكتفينا باستعراض نماذج محدودة ايمانا منا بأنها تمثل وجهة نظر الشعراء العامليين وتعتبر عينة ونموذجا حيا من نماذج ذلك الشعر الثائر المتوثب.

(٤)

كانت لثورة الملك فيصل بداية لعهد جديد فى الوطن العربي وهي تشكل مرحلة انتقالية أنهت معها الوجود العثماني وقد ألهبت تلك الثورة الحماس فى صدور العامليين فاستقبلوها بقلوب عامرة بالحب للعروبة والولاء لفيصل فالتفوا حوله وهتفوا باسمه ونادوا به ملكا عليهم وربوا أبناءهم على حبه ونظم الشعراء الكثير من القصائد والأناشيد فى الاشادة بمناقبه ومن ذلك النشيد الذي اعتمده الكشاف المسلم في صيدا نشيدا له ويقول النشيد :



دانمت بالصدق عن حرمة الحق
والناس قد كانت في الغرب والشرق

تراك يا فيصل
تراك يا فيصل

اليأس قد أبلى في الناس واستولى
في رحبة الوادي عروبة ثكلى

نفدياك يا فيصل
نفدياك يافيصل (١)

وعندما مات فيصل انقلبت الفرحة وسيطر الحزن وران الأسى على قلوب العامليين فقال الدكتور عبد المسيح محفوظ من قصيدة :

---

(١) أنيس المقدسي ص ١٩٦

عبقري الملوك أي فــــؤاد اسكتته يد الزمان العادي (١)

وبقي الشعب العربي في جبل عامل يعزف على أوتار العروبة أشجى الألحـــان وأعذبها وعاش قضاياها من محيطها الى خليجها وحمل همومها ولم تثني عزائمــه الأحـداث عن اهتماماته القومية فلم ينعزل أو يتقوقع بل كان ومايزال ملتحمــا باشقائه العرب يربط مصيره بمصيرهم ينفعل معهم تأثرا وتأثيرا .... وهذا هـو الشعب في جبل عامل : عربي الأرومة والممتد عربي القلب واللسان ... حـتى أن الأقليات المسيحية التي عاشت في كنفه ما كانت تدين بغير العروبة ولم تتغنـى بغير أمجادها كما نرى ذلك في شعر جرادق وبولس سلامة ولحود وعبد المسيـح محفوظ وغيرهم ... ومن هنا ندرك مدى اهتمام العامليين بعروبتهم وتعلقهـم بها ... فهم مع ثورة فيصل على أن تقودهم للوحدة ... وهم مع شعب فلسطين ومع مصر ضد بعد العدوان عليها عام ١٩٥٦ م ومع الوحدة السورية المصريـة فيما بعد وهم مع العرب جميعا عام ١٩٦٧ م ومع الجزائر في ثورتها على الفرنسيين ومع عدن ضد الانكليز ومع مصر دون تحفظ .

كان العامليون بعد انحسار المد العثماني عن بلاد الشام في أعقـــاب الحرب الكونية الاولى يفضلون الانضمام الى سوريا دون غيرها مما أثار عليهــم حفيظة الفرنسيين الدخلاء الجدد فأمعنوا بالتنكيل برجال جبل عامل واحــراق قراهم وقتل شبابهم . يقول الأمير شكيب ارسلان في حديثه عن كامل الأسعـد المتوفى ١٣٤٢ هـ : " ... وأخذ الفرنسيس في الانتقام من اخواننا شيعة جبل عامل لنزعتها العربية وتأييدهم حكومتها في الشام " (٢) .

وما كان العامليون من أنصار الانضمام الى لبنان بل كانت آمالهم معلقـة بحكومة دمشق وأنظارهم تتجه اليها وما أن حطت الحرب العالمية الاولى أوزارها حتى ذهبت وفود العامليين الى دمشق لمبايعة فيصل ملكا على بلادهم جميعـا فبعد دخول المذكور الى دمشق " قامت وفود العامليين من علماء وزعماء بزيـارة الأمير فيصل في دمشق لتهنئته ولتأكيد ولائهم له . وحضروا تتويجه ملكا علـى

---

(١) أنيس المقدسي صـ ١٩٥
(٢) الاعيان جـ ٤٣ صـ ١٣٦

سوريا وحملوا له تفويضا من أهل جبل عاملة فى القيـــام بما يلزم لدى الملـــك " الا أن الملـــك فيصل وجد موقفهم حرجا ولم يرد أن يصيبهم بسببه سوء فأمرهـــم أن يلزموا السكون الا أن أحداث سنة ١٩٢٠ ونتائجها التى أدت الى خـــروج الملك فيصل من سوريا واحتلالها من قبل الفرنسيين أدت الى ثورة جبـــل عامـــل تأييدا للملك فى حربه ضد الفرنسيين " (١)

وتدور الأيام دورتها وينفذ المستعمرون مخططاتهم التى كان العامليـــون والعرب فى غفلة عنها ويزيح الفرنسيون والانكليـــز دماهم من الطريق ويضمـــون جبل عامل الى لبنان — كمستعمرة — بعد أن سلخوا عنه فيما بعد شريطا علـــى طول الحدود مع فلسطين المحتلة وتسقط دولة فيصل ثم تسقط معه سوريا فـــى قبضة الفرنسيين فيندب العامليون سوء طالعهم وطالع العرب فيقول الشاعـــر عبد الحسين صادق :

ألا ان سوريا المقدســـة التى	تولى عليها الرجس واستحوذ الخبث (٢)
فان قبل بيروت مطهرة فقـــل	أتطهر بيروت وفى رأسها الحدث

وفى ذلك تورية لطيفة فى استيلاء الفرنسيين على سوريا بما فيها لبنان وعـــدم طهارة بيروت وفى رأسها الحدث وهى اسم محلة فى بيروت .

ومن الذين حضروا المؤتمر السوري المذكور — والذي تمت فيه مبايعة الملـــك فيصل من العامليين : رضا الصلح — رياض الصلح — مراد غلمية والشيخ عبد الحسين صادق . ومما قاله الشيخ عبد الحسين صادق للملك فيصل " أنني باسم جبـــل عامل أبايعك على العرب " (٣)

ولم يكل العامليون عن المطالبة بالانضمام الى سوريا بل كانوا متحمســـين لهذه الوحدة حماسا شديدا وعندما قدمت لجنة كنيغ — كراين الأمريكية لاستخـــراج رأي الناس فى المنطقة : " بلغ عدد أعضاء الوفد الذي مثل المنطقة أمام اللجنـــة

---

(١) سليمان ظاهر — العرفان م ٢٠ صـ ٢٥ من مقاله بعنوان معجم قرى جبل عامل
(٢) العرفان تموز ٩٥٧ صـ ١١٠٠
(٣) جبل الفداء : قصة الثورة العربية الكبرى ونهضة العرب لقدري قلعجي صـ ٣٠٥

الأمريكية نحوا من مائة عضو وفوض السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ حسين مغنية التكلم باسم الوفد أمام اللجنة الامريكية وبعد أن تكلم الشيخ حسين مغنية تولى السيد عبد المحسن شرف الدين الحديث في حوار طويل " ويقول السيد :
" أفضيت خلاله بتصوير رغبات الأمة وأمانيها في الوحدة السورية بحكوماتها الدستورية وأن يكون على رأسها الأمير فيصل ملكا ورفضت أن يكون لأية دولة أجنبية يد في حكم أو دخل في انتداب ولا سيما الحكم الفرنسي " (١) .

هكذا وبهذه الروح كان العامليون متحمسين للوحدة مع سوريا . ولعل في ذلك أضعف الايمان لأن ايمانهم بالعروبة أقوى من كل شيء فان لم تكن وحدة عربية شاملة فلتكن مع سوريا لنتخلص من التقزيم ولعل العامليين كانوا يحسون في قرارة نفوسهم أن لبنان لابد وأن يكون في المستقبل وكرا للتآمر على العرب ومركزا للجاسوسية والفساد خاصة وأن الطائفة المارونية كانت قد ارتمت كلية بأحضان فرنسا وقد عانى العامليون منها الأمرين لأن فرنسا حاربت العامليين بهم في الجنوب برغم أنهم من الأقليات وهكذا كان فقد صدق حدس العامليين في الخمسينيات كما صدق في السبعينيات فيما بعد . وبقيت تسيطر على العامليين النغمة القومية " وكل اناء بالذي فيه ينضح " كانوا عربا خلصا وكان شعرهم كذلك عربيا خالصا :

يقول محب الدين الخطيب صاحب مجلة الزهراء الدمشقية يصف الشعر العاملي : " ... وهذا الجبل مازال من مواطن البلاغة والشعر منذ عهد طويل لأن أهله من العرب الخلص بألسنتهم وأنسابهم " (٢) .

وبقي الشعر العاملي معبرا عن أحاسيسنا ومشاعرنا القومية فلم يتقوقع الشعراء ولم يعتزلوا معترك الحياة الصاخبة أو يبتعدوا عن حلبة الصراع مع الأعداء والكفاح ولم يخضعوا لمؤامرات المستعمرين ودسائسهم . وقد بالغ

---

(١) السيد عبد الحسين شرف الدين - صفحات من حياتي - الألواح العدد ١٤ ص ٦ أطاروحة منذر جابر ص ١٥ / ١٩٧٣ م
(٢) نقد السائس والمسوس للحوماني المقدمة ص ١٣

العملاء • بالاساءة الى العامليين كشيمة بزرع بذور الفتنة بينهم وبين اخوانهم السنيين وعزلهم عن المسيحيين الا أن ذلك كله باء بالفشل وبقيت محافل الشيعة العامليين تجمع مختلف الطوائف على الحب والالفة وبقيت رؤوسهم عالية شامخة فى حين طأطأت رؤوس الآخرين • ولم يقتصر كفاح العامليين على الكلمة بل تمدداه الى السلاح حيث رفعوه فى وجه الأعداء من صهاينة وعملاء • ووقفوا الى جانب الشعب الفلسطيني المكافح بعد أن تخلى عنه غيرهم ودعموه وآزروه فى كفاحه المقدس ضد الصهيونية العالمية والتسلط الأمريكي •

وكم أساء لهم المتعصبون ؟ الا أن يدهم بقيت مبسوطة للجميع متسامحين من أجل الوطن ومن أجل العروبة والاسلام •

وشغلت مشاكل الشرق بالهم فتطلعوا اليه والأعداء ينوشونه بسنانهم وأهله نائمون يغطون فى سبات عميق فتألموا وحز فى نفوسهم أن يروا أوطانهم نهبا للطامعين فاستنهضوا الأمة ودعوا شبابها لليقظة والبعث وحفز الهمم فقال الشيخ محسن شرارة (١) من قصيدة :

رقمت لي تجارب الدهر طرسا ... جعلته الخطوب عنوان درس
شغف القوم باكتناه المعمى ... وشغفنا من بينهم بالتأسي
أولجت شمسنا لتنشر فيهم ... شعلا من ضيائها حين تمسي

الى أن يقول :

ملك الغرب فضله من تراها ... وذهبنا لجهلنا بالتأسي
كم لدى الشام والعراق منال ... سلبوا من حلية خير لبس
وبوادي الملوك كم من عروش ... أخرجوها وزعزعوا رب كرسي
أثر خطلنا الشرق قدما ... وله امتد عنهم كف خلس

---

(١) ولد فى بنت جبيل عام ١٣١٩ هـ وتوفى ١٣٦٥ هـ وقد لعب دورا بارزا فى بعث النهضة العاملية وهو من خريجي النجف الأشرف

ومنهـــــا :

شغلونا ببعضنا ثم راحـــــوا   يعقدون العهود في طي طرسـى

ثم يقول بأن الغربيين خدعونا وخاتلونا وعملوا على أفساد أخلاقنا وطمس معالـم حضارتنا أما الحل الذي يراه الشاعر فهو :

ان سر النهوض في الشرق باد   وبأبنائه اشـارات حـــــدس
قد أطل الذكاء في طرف هـذا   واستوى ذاك في منصة درس (١)

وفي قصيدة بعنوان " ربيعيات " يفتخر سليمان ظاهر بالعروبة فيقـول :

ان الشعوب لكالفصول ربيعها   ما أدركت بحياتهـا آرابهـــا
ومشت على سنن الاله وفاقمت   عن حوضها واسترجعت أسلابها

ثم يشير بعد قليل الى الخلافات المستحكمة بين العرب فيرى أنه ليس مـــن الرجولة أن نستل سيوفنا على بعضنا وأصدقائنا لأتفه الأسباب ونترك الخصـم يفعل بنا مايشـاء :

لا أن تسل على القريب سيوفنا   وتدق في صدر الصديق حرابها
للتافهات غدوها ورواحهـــــا   لا مجدها ترعى ولا أنسابهـــا

ويتشوق الى أمجاد العروبـــــة :

هل يستعيد الدهر أمتها التي   وصلت بأسباب العلا أسبابهـــا
فتعيد في الدنيا حضارتها وتجري   في الشروق وفي الغروب عرابها (٢)

ويضع الشاعر ابراهيم شرارة نشيدا بعنوان " عرب نحن " يقول فيـه :

---

(١) الاعيان جـ ٤٣ صـ ١٨٢ ـ ١٨٣
(٢) الاعيان جـ ٥٢ صـ ١٢٠ المستدركات والشاعر سليمان ظاهر عاشبــــين (١٢٩٠ ـ ١٣٨١ هـ)

يافتاة العرب وفينا الملـــــى ماندرنا فأيلينا الثوابـــــا
نحن أعطينا المعالي حقهـــا ومهرنــاها دمــاء وشبابــــا
فابـن لبنـــان ومن علمـــه يوم داعى الروع أن يلقى الخرابـا
وفتى الشام ومـــن دربـــه في صــراع الأسد أن يقحم غابـــا

ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن فلسطـــين :

فـي فلسطـين لئـــيم مجـــرم أعملت كفاه في القدس نهابـــا
مهد عيسى وأمانـي مريـــم ومما المعراج تأبى الاغتصابـــا

ثم ينهي نشيده بالوعيد فيقول :

وكما ذلت فرنسا وجلـــت فستجلى عن فلسطين الذنابــــا (١)

أما الشاعر المقعد كامل مصباح فرحات فيثور من أجل فلسطين ويخاطب الذين تطوعوا من العاملين لنصرة فلسطين والجهاد فى أرضها فيقول من قصيدة بعنوان " الى المجاهدين العرب "

لم نجد مثلكم لدى الروع جنـدا وثبوا للجهاد شيبا ومـــردا
أنـتم في يد العروبـة سيـــف بشباه نروي العدو الألـــدا
قد زحفتم الى فلسطـين كيمـــا تحرسوا بالظبا حماها المفـدى
ليم يرجى انقاذها من ســـواكم فاجعلوا للهوان والظلم حـدا

وهذا شاعر آخر يبعث صرخة مدوية فيقـول :

حماة العرب أنـتم فى سبـــات تحف بكم رزايـا الحادثـات
تحل الكارثات بكم تباعــــــا ولا تذرون أهل الكارثـــات

ويقول بأن العرب مازالوا يرجون المودة من الأجانب على الرغم مما عانينــــاه على أيديهـــم :

وترجون المودة مــن أنـــاس أرادوا سلبنـا حق الحيـــاة

---

(١) العرفان م ٣٤ جـ ٤ صـ ٥٥٢ سنة ١٩٤٨

ويستعرض بعد ذلك تاريخ العرب وكفاحهم ضد الصليبيين والأجانب ويحرض على الثورة داعيا للتصدي للمستعمرين (١)

ويعقد مؤتمر اسلامي في منى بالسعودية عام ١٣٧٥ هـ فيلقي فيه الشاعر العاملي سعيد فياض قصيدة يعلن فيها ثورته على الواقع المعاش ويدعو الى تفجير البركان العربي لبعث الماضي ويثني على الثورة المصرية كما يثني في نفس الوقت على السعوديين لاعلانهم الدستور ولعل في ذلك تناقضا يشفع له المقام : (٢)

أمة العرب فجري البركانا — واملأي الأرض والفضا نيرانا
قد سئمنا الحياة صبحا وليلا — ومساء مستضعفا ومهانا
ومللنا البقاء شعبا شتيتا — ونفوسا تدمى وقلبا جبانا
يا رؤى الأمس عاودينا لئلا — يستحيل الأمل الجميل دخانا
صرخات التحرير صيرت النيل — زئيرا يحرر الميدانا

ويشير بعد ذلك الى السعوديين فيقول :

ثم كان الدستور عدلا وهديا — وصلاحا يستلهم القرآنا (٣)

أما الشاعر الشيخ ابراهيم حاوي فان غاية أمنياته أن يرى العرب وقد جمعتهم وحدة شاملة :

منية الحر وأحلام الأبي — وحدة تجمع شمل العرب
فاجعلوها وحدة شاملة — ارجعوا في عزها عهد النبي

ثم يثني على الوحدة السورية المصرية اليمنية فيقول :

يالها وحدة زادت علا — وبها من فخرنا بين الملا
سجل المجد هتافات الملا — يوم ميلاد الاخاء العربي (٤)

(١) العرفان م ٣٣ ج ١٠ سنة ١٩٥٠ ص ١١١٧ الشاعر أديب فرحات
(٢) سعيد فياض شاعر عاملي مازال يعيش في السعودية
(٣) العرفان آيار ٩٥٧ ج ٨ م ٤٤ ص ٨١٦
(٤) العرفان م ٤٦ ج ٢ شباط سنة ١٩٥٩ ص ٥٦١

أما العلامة الفاضل الشيخ أحمد عارف الزين فقد عاش حتى أدرك الوحدة بين سوريا ومصر فباركها بقصيدة نشرها على غلاف مجلة العرفان ومنها :

حي المروءة حي من يحييهـــا وانظم قلائد في من بات يحميهـــا
العيد جمع شتات العرب قاطبة في كل قطر وسيف العرب يحميهـــا (١)

غير أن اليأس يسيطر على الشاعر فؤاد جرداق فيتساءل : كيف تتم الوحدة العربيـــة والقوم مختلفـــون ؟

كيف السبيل لوحدة عربيـــة والقوم مختلفـــون فـــي الآراء
أغراهم أعداؤهم فتناثـــروا وتمزقوا كتمـــزق الاعـــداء

الا أنه بعد هذا اليأس نراه يهدد ويتوعد ويرى أن سكوت الأمة العربيـة عما بها ليس الا من قبيل التوثب للانطلاق :

اذا سكتت قسرا الى الذل أمة لحين فخفها انها تتحفـــز
فان لثورات البراكين هجعـــة تثير الى نفجار انفجار وترمـــز

ويستنهض الشاعر السيد محمد جواد فضل الله الامة العربية بقصيدة أهداها لصاحب العرفان ويقول فيها :

لم تزل تصهر الدماء فلسطين بأعماقنا ويغلى الفـــــداء
تلك مأساة يعرب غربت فيهـــا شموس وبعثرت أشـــلاء .

ثم يتكلم عن الجزائر فيقول :

وهنا أختها الجزائر مأســاة ثوى في صعيدها الضعفـــاء
تتلاشى بها النفوس حصيـــدا ثم لم يثن عزمهـــا ابـــاء
من ترى يعرب وآفاقها البيضـاء يوما ستبعـــث الأضـــواء
وهنا تتجلى غياهـــب ليـــل عن صباح يلذ فيـــه الغنـــاء (٢)

تلك هي ثورة العامليين : تمرد يقلقه الأمل ويحدوه الرجاء .. صرخة عاصفـــة في وجه المستبد يضعف معها تيار اليأس القنوط .

(١) العرفان م ٤٦ ت ١ ٩٥٨ جـ ٢ صـ ١٢٨

(٢) وعد محمود الجهمي ـ العرفان م ٤٠ جـ ٦ صـ ٥٩٣ آذار ٩٥٧

أما المرأة العاملية فقد اخترقت الحجاب ولم تبعد عن تطلعات وآمال قومها بل وقفت الى جانب الرجال تحدو الركاب معهم وتسير مع القافلة تغنى لمجد العروبة وتبارك خطواتها • وهذه امرأة ترفع عقيرتها وتصرخ بأعلى صوتها في قصيدة بعنوان " يا شباب العرب " •

كل حر عربي للفدا	مجده فالله أن يستشهدا
أمل العرب اسمعوا	وطني يملي الندا
علم النصر ارفعوا	نحن للعرب فدا

ويقيم الشاعر الفذ محمد على الحوماني في مصر ومن هناك يراقب الأحداث التي تمر بها الأمة العربية وكما يقول في مقدمة احدى قصائده :

" وقد رأيت اليأس على وجه الأمة من فساد الحكم فيها وذلك سنة ١٩٥٢م " فينفث آهاته في قصيدته تلك وهي فلسفية طويلة على غير ما تعودنا أن نقرأ لقصائد قصار • ويبكي الأمة العربية ولا بد من استيحاء التاريخ واستلهام العبرة وعلى الأخص من مأساة الحسين ويرى أن لكل عصر حسينا وفي كل عصر يزيد والظلم قد ملأ الأرض فيتحسر قائلا :

أفلا يقظة تبلغنا الشاطىء في غمرة الحياة أمينا

ابعثيني قلت أهجع الا	أن أرى الخيف والصفا والحجونا
وأرى طيبة وأنشق روحي	كل عطر في تربها مدفونا
وأناجي أبا عباقرة الاسلام	الفاتحين الفائزينا

أين ذاك الروح الذي أنبت في الكون منبت اليراع والتدوينا

أين تلك الجياد مبثوثة الأرض	في كل بقعة تنينا

الى أن يقول :

كل يوم يطغى يزيد وينهار	حسين بسيفه مطعونا
ورث الحكم ساسة العرب عنه	وثبتوا أشماره الملعونا (١)

---

(١) العرفان شباط ١٩٥٥م م٤٢٠ جـ ٤ صـ ٣٧٨

وهكذا يرى الشاعر أن ساسة العرب وحكامهم يستلهمون خبث يزيد ومكره وظلمه وعلى سنته سائرون .

ويظهر عبد الناصر فى الوطن العربى على رأس الثورة المصرية فى أوائل الخمسينات وبصرف النظر عما يمثله عبد الناصر وعما حققه الا أنه جسد آمال الأمة العربية وأحلامها من محيطها الى خليجها فرفع لواء الوحدة العربية وراية الكفاح ضد الاستعمار وأمم قناة السويس وطرد الانكليز وبنى السد وتبنى قضايا الأمة العربية ودافع عنها .. فوجد فيه العامليون ضالتهم وصفقوا له قبل كل العرب وهتفوا له ولمبادئه ولا أريد أن أناقشهم فى ذلك فانما أنا مصور لا محلل ثم يقع العدوان الثلاثى الغادر على مصر فترتفع أسهم الزعيم ويحقق الوحدة بين سوريا ومصر ومن ثم اليمن فيحلق فى سماء جبل عامل نسرا خافق الجناحين عالى الرأس كما حلق فى سماء العروبة ... فيتبارى الشعراء فى مدحه وتقريظه والذود عنه ومهاجمة أعدائه ولا مجال لاحصاء ماقيل فيه من شعر ودبج فيه من مقالات صحفية وان كان القوم قد اختلفوا فى نظرتهم للقائد الا أنهم أجمعوا على أنه الرائد وأنه المنقذ وكان فى تاريخ عبد الناصر هنات وثغرات كخلافه مع عبد الكريم قاسم والملك حسين والعامليون يحبون حسينا لأنه من بنى هاشم ويحبون عبد الكريم قاسم لأنهم يرون فيه منقذا آخر حطم حلف بغداد وخرج بالعراق من عزلته وحرره من النفوذ الاستعمارى ..

الا أن هذا لم يؤثر على أسهم الرئيس المصرى فتضع الشاعرة سكنه العبد الله ديوانا وتقدمه للرئيس عبد الناصر ويضع الشاعر سليمان ظاهر مجموعة شعرية باسمه كذلك ثم يأتى أحمد سليمان ظاهر فيرى أن عبد الناصر جامع شمل العرب فيقول :

جامع الشمل يا محط الأمانى | أنت فى الكون خفقة فى الصدور
صانع المجد رائد العرب حرا | أنت نار على العدا كالسعير (١)

---

(١) مجلة القناة ٩٦٤ / مجلة مدرسية لمدرسة القناة الاعدادية ببورسعيد (مطبوعة)

أمـــا الشاعر ابراهيــم حساوى فيسرى بعيد الناصر حلما تحقق للعـــــرب :

حلـم تحقق فيك يامنشود وانقشــع الغمـــــــام
قوميـة عربيـة ذات اتحاد لا انفصـــــــــام
فاهتف معــى واصعد بها وابلغ بها اسمى مقـــام
أنا وراك يامظفـر ليس يثنينـــــا الحمـــــام (١)

ويهتف العامليون بحب مصر وحب جمال فيقول شريف ياسين (بتوقيـــع الرضــى الصغيــر) •

يافضـــاض النيل العظيم ســـــلام | يتنـدى ضراعـة وابتهـــالا
من حريص على العروبـة حـــــر | يفتـدى مصرها ويفـدى جمالا (٢)

أما الشاعر السيد محمد نجيب فضــل الله فينظم قصيدة طويلة يقدمهـــا بقـــوله : " الى أمــل العروبـه الباسم ومحيى تراثها المقدس الرئيــــس جمال عبد الناصــــر " ويتحـدث فى قصيدته عن العروبه وأمجادها ونكباتهـا ويتصـور البعـث فيقول :

والباعثين الشعب فى أحداقـه | يلج النهـار ويهدر الاعصـــار
تتطاعن العزمات فى ساحاتـــه | جمرة ويجرى فى مداة النـــار (٣)

ويستمر الصوت فى الانبعاث من شبابـة شعراء جبل عامل فيعزفـون علـى وقعه أجمل الالحان وأشجاها وكلها تتغنى بأمجاد العروبه وانتصاراتها وتبكى على ماضاع منها وتتجاوب لها الاصداء فى كل مكان من دنيا العروبه الواسعـة ولا تمر حادثـة فى أى قطر عربى الا ويؤرخ لها العامليون شعراً وكانت مصـــر محـط أنظارهم ومحط رجائهم وآمالهم ومهبط أحلامهم وهى بالتالى صانعـــة أحداث الشرق طوال فترة مابعد الخمسينيات حتى اليوم فـهى مركز الثقل فـى الوطن العربى وقد نصب لها الاستعمار الكثير من الشراك وحاك عليها ـ ومايزال ـ العديد من المؤامرات لتركيعها وتركيع العرب من بعدهـــا ••••

---

(١) العرفان م ٤٨ ج ١٠ ص ٩٦٣ سنة ١٩٦١
(٢) العرفان م ٤٤ ج ٥ ص ٥٢٨ شباط ١٩٥٧
(٣) العرفان م ٤٤ ج ٢ ص ١٦٥ ت ١٩٥٦ •

وهكذا فقد تحدث الشعراء العامليون عن مصر والعدوان الثلاثي عليها ومصر وعدوان الـ ١٩٦٧ ومصر وحرب الـ ٧٣ ، وتحدثوا عن غزة والجزائر وفلسطين ومراكش والأردن والعراق واليمن ...

لقد كانوا بالفعل مرآة الوطن العربي تنعكس عليها آماله وأحلامه وآلامه وسنوالى الاطلاع على صفحة هذه المرآة لنرى ماذا ينعكس عليها .

هذا واذا كنا قد اقتصرنا فى حديثنا على الشعراء التقليديين فلا يعنى أن الشعراء المجددين من الشباب وغيرهم مقصرون فى هذا المجال فهم ثورة قومية عارمة تربت فى ظلال الشعراء السالف الذكر ورضعت منهم لبان العروبة فكان الصفاء وكان النقاء يغلب على معانيهم القومية واندمجوا مع الجماهير محرضين ومقاتلين ولنا معهم أكثر من حديث نكشف فيه على الجوانب القومية فى شعرهم وخاصة عند حديثنا عن القضية الفلسطينية ومحنة الشعب الفلسطينى .

(٥)

استأثرت القضية الفلسطينية باهتمام شعراء وأدباء جبل عامل فأعطوها كامل عنايتهم وكبير اهتمامهم وذلك لأسباب مختلفة منها :

ارتباط العامليين التاريخى الوثيق بفلسطين قوميا ودينيا واجتماعيا وجغرافيا فجبل عامل وفلسطين امتداد طبيعى يكمل كل منهما الآخر بلا فواصل طبيعية وكلاهما جزء من بلاد الشام التى هى الأخرى جزء من الأمة العربية وقد تأثر العامليون تأثيرا كبيرا بأحداث فلسطين واكتووا بنار الانكليز والصهاينة بنفس القدر الذى اكتوى به اخوانهم الفلسطينيون فكانت المشاركة كاملة وعلى هذا الأساس نجد أن العامليين قد غاصوا الى أعماق القضية الفلسطينية وناضلوا مع

الفلسطينيين منذ أن ذرت المشكلة قرناها في أواسط الثلاثينيات بل وقبل ذلك منذ وعد بلفور المشؤوم • فيوم دخل بلفور الشام نظم شباب دمشق مظاهرة ضده وما أن تسامع العامليون بهذا النبأ حتى تجاوبوا مع اخوانهم الدمشقيين وأعلنوا صرختهم في وجه هذا الزائر الثقيل المكروه وأول من سجل تلك الحادثة شعرا الشاعر الحوماني الذي قال :

ان تدع لنصرتك العربا
فالشاميون هم العرب
واذا حاولت لها سببا
فالشام اليوم هي السبب

سل عن بلفور وقد رجفت — رجلاه بها لم يرتجف
هزته صفعة أساد — قلب الأساد لها يجف
زأروا فحسبت زئيرهم — في الكون رعودا تنقصف
وافانا ملء حقيبته — شيم تسود بها الصحف

يرجو تنظيم وفادته
من قوم بيديه اغتصبوا
برزوا اللهيجا يقدمهم
بأس تندك به الهضب

في الشام ليوث رابضة — شجر المران لهم أجم
أبطال طوع أناملها — أسياف تشحذها الهمم
ان يخفق قلب مناجزها — فعليها قد خفق العلم
نشأوا والعز لها مرحم — وعلى حب العليا فطموا

عرب لم تثن أعنتها
في الحرب وليس لها الغلب
السمر مثقفة شهدت
بوفاهم والبيض القضب

لفلسطين فى الشام يد — لا يغفل عنها لبنان
فرق حفظ الأوطان لهم — دين وهواها ايمان
ان فرقها بلفور فقد — وحدها قبلا عدنان
هتفوا والحرب تهددهم — لنمت ولتحيا الأوطان

نهضوا للموت بأفئدة
وبال العلياء لها أدب
وعزائم شدت أزر المجد
بها آباؤهم النجب (١)

هذا وقد أوردنا ما أوردناه من هذه القصيدة متجاوزين الاختصار المطلوب فى مثل هذا المقام لأهميتها فهى تجسد مشاعر العامليين الفياضة الصادقة تجاه فلسطين كما تصور مدى حنقهم وحقدهم على الطاغية بلفور وتعاطفهم مع الشعب الفلسطينى كما تصور الأحاسيس القومية لشاعر يمثل شعبه .

وفى عام ١٩٣٠ م ينفذ الانكليز حكم الاعدام بحق ثلاثة من المناضلين الفلسطينيين وهم : فؤاد حجازى / محمد جمجوم / عطا الزير . فتثور ثائرة — العامليين وتقام لهم المآتم وصلاة الغائب عن أرواحهم الطاهرة ويتسابق الشعراء الى رثائهم ومن الشعراء الذين رثوا هؤلاء الشهداء الشاعر محمد رضا شرف الدين حيث يقول من قصيدة :

فى كل يوم للعروبة مشهد — ينبى بأن العز ملء اهابها

ثم يخاطب المجاهدين فيقول لهم :

اتباح أرض أنتم سكانها — وحماتها فى سلمها وخرابها
هبوا فقد نفذ التبصر واجمعوا — مجدا علا فوق السها وقبابها
أولم تروا أن البلاد وأهلها — قد أصبحت تنعى لذل خرابها
قد انهكت أوطاننا بضرائب — وجسومنا تغذى بقضم ترابها
السعر كان وكان فى رخص سوى — أن الدراهم فى يدى أغرابها
أيسن للأعراب نفع بلادنا — ونصيبنا منها وقبض سرابها ؟ (٢)

---

(١) ديوان الشاعر ص ١٨
(٢) العرفان ج ٢ شباط ١٩٣١ م وعلق عليها حسين مروه فى عدد نيسان سنة ٩٦٦ ص ١٠١٧

وما أن تقع النكبة عام ١٩٤٨ حتى يهب العامليون شعراء وأدباء ليعلنوا ثورتهم ويرفعوا أصواتهم هادرة فى سماء العروبة ولو حاولنا استقصاء ما نظمه العامليون فى النكبة لما انتهينا ولما اتسعت لذلك المجلدات ولكننا سوف نكتفى بنقل بعض ماتقع يدنا عليه رامزين حينا ومفصلين حينا آخر ومن الذين أنشدوا على أوتار المأساة أناشيدهم الشاعر محمد نجيب مروة الذى يحرص على توجيه كلامه للمسيحيين قبل المسلمين فيقول :

لقد جرحت قلوب المسلمينا ... وأفئدة النصارى أجمعينا

ثم يقول :

فقل لشباب اسرائيـ طرا ... وللولد الصغار الناشئينا

هى الدنيا تقلب بالبرايا ... رويدا لا تكونوا آمنينا

لئن نلتم فلسطينا ورحنا ... بأرجاء البلاد مشردينا

سنخرجكم بعون الله منها ... وتلقون الهوان كما لقينا

ونسحق آل اسحق جميعا ... ولو بعد الأهلة والسنينا

ثم يقتل برنادوت على أيدى الصهاينة فيتنبه العامليون الى أبعاد المؤامرة وهم الذين علموا ما قدمه الوسيط الدولى لليهود ومع هذا فقد قتلوه فيقول الشيخ على شرارة (٢)

حقنت دماء الماكرين أولى الغدر ... وبالسر قد ناضلت عنهم وبالجهر

ولولاك كانت للمواضي نفوسهم ... واشلاؤهم للطير والوحش والنسر

فكنت لهم يابرنادوت ديئة ... من الفتك والتنكيل والقتل والأسر

أتيت ولم تضمر سوى الخير كله ... لهم وهم لايضمرون سوى الشر (٣)

ويعود الشاعر محمد نجيب مروه (٤) فيناشد العرب أجمعين قائلا :

---

(١) العرفان م ٣٨ جـ ٢ صـ ١٩٠ سنة ١٩٥١م
(٢) شاعر مناسبات (١٣٠٢ ـ ١٣٧٥ هـ)
(٣) العرفان جـ ٤٦ صـ ٢٣١ ـ ٢٣٦
(٤) ١٢٩٩ هـ ـ ١٣٧٦ هـ

فبلغ أهل هاتيك النواحـــى جميعا عن فلسطين السلامـــا
وقل لهـم مقالـة مقدســى تأجـــج فى قلوبهم الضرامـــا
لسان المسجد الأقصى ينادى ويدعو الشيخ منكم والغلامـــا

والقصيدة طويلة تحث على الجهاد والنضال وتدعو للتسلح باليقظة والحذر (١)

وسقط شهيد على أرض فلسطين فيؤبنه الشاعر أمين شرارة بقصيدة طويلـــة يصف فيها الحـرب والمدافع والدماء والدمار ثم يخاطب الشهيد قائلا :

يا شهيد البلاد ياعلم الأحـــرار ياصفحة الجهاد المجيـــــد
قل لمن خط فى البلاد حدودا نحن أدرى منه بوضع الحـدود
لن ينام الشرق الأبى على الضيم ويرضى عن خطة التبديـــــد
ان للحق قوة ترهق السيـــف وتدمى قلب البغيض الحســود
قل لمن ظن بالعروبة ضعفـــا لا يغرنك طول هذا الركـــود (٢)

أما بولس سلامة فقد وضع ملحمة كبيرة اسماها " فلسطين وأخواتها " تحدث فيها عن الشعب الفلسطينى وما أحاط به من مؤامرات غادرة وما عاناه على يد السلطات الاستعمارية البغيضة والصهيونية الحاقدة من تنكيل وبطش وارهاب ووضع سليمان — ظاهر ديوانا كاملا أسماه " فلسطينيات " وهى مجموعة قصائد نظمها الشاعـــر ابتداء من وعـد بلفور حتى عام ١٩٥١ وهو عام مابعد اختلال فلسطين وقد تحدث فيها عن وعد بلفور بقصيدة نظمها عام ١٩٢٩ ونشرها فى جريدة المقتبس الدمشقية وعن " الانتداب " وعن المؤتمـر الاسلامى الذى عقد فى القدس فى " ذكـــرى المعراج " ١٩٣١م وقصيدة عن الشهيد سعيد العاصى الحمصى ١٩٣٦ وقصيدة بمناسبة المؤتمر العربى الذى عقده رجال من سوريا وفلسطين ولبنان والعـــراق ١٩٣٧ فى بلودان وقصيدة بعنوان " مهلا فلسطين " و " تهنئة للحاج أمـــين الحسينى بمناسبة فراره من السلطات البريطانية سنة ١٩٣٧ وقصيدة بعنوان —

---

(١) العرفان م ٤٤ صـ ١٦١ — ١٧٢
(٢) العرفان م ٣٥ جـ ٨ صـ ١٢٢٠ سنة ١٩٤٨

" أبناء صهيون " ١٩٣٨ م وقصيدة بعنوان : " بريطانيا وفلسطين عام ١٩٣٨ م ، و " فلسطين والاسكندرون " عام ١٩٣٨م و " سلوا صحف التاريخ " و " الى لجنة التحكيم " سنة ١٩٤٦ م و " لجنة التحكيم " سنة ١٩٤٩م و " فلسطين بين اليأس والرجاء " سنة ١٩٤٦م و " مآسي فلسطين " سنة ١٩٤٨م و " فظائع الصهيونيين في فلسطين " سنة ١٩٤٨م و " الى الامة الامريكية سنة ١٩٤٨م " و " زعماء العرب " سنة ١٩٤٨م و " قضى الامر " سنة ١٩٤٨م و " برنادوت " و " مصرع برنادوت " و " نكبة حولا " سنة ١٩٤٨م و " الى بلفور وترومان " سنة ١٩٥١ م و " ذكرى نكبة فلسطين الاليمة " سنة ١٩٥١م . ويقول في احدى هذه القصائد :

مهلا فلسطين لاتأسى فللقدر ... مهما دجا ليلها صبح من الظفر
قد ساورتك صروف الدهر من قدم ... فما محت لك من عين ولا أثر
كلا ولا أخلقت يوما نوائبها ... ديباجة لك ملء القلب والبصر
ماخضت في غمرة الا نجوت على ... سفائن الوحي لاالالواح والدسر (١)

وما أكثر ما نظمه الشاعر موسى الزين شرارة من وحي القضية الفلسطينية ومما قاله من قصيدة " لموا الجراح " التى نظمها في ٤/ ٧/ ١٩٦٧ :

يافتية العرب يا أحفاد من غمروا ... الدنيا رخاء وعرفانا وتمدينا

وبعد أن يحض العرب على الاخذ بالثأر ويدعوهم للم الصفوف ، يحذرهم من المستقبل ويذكرهم بصلاح الدين وأمثاله الذين سيسخرون منا وهم في قبورهم يقول :

ماذا يقول صلاح الدين ان سمعت ... اذناه انا أضعنا أرض حطينا
واننا اليوم لا أرض ولا سكن ... مشردين خيام الذل تأوينا
لم يجدنا مجد اجداد غطارفة ... سادوا الملوك قديما والسلاطينا
و " تائه الكون " تغزونا شراذمه ... وترتوى من دمانا ديرياسينا (٢)

وتقول زهرة الحر من قصيدة لها بعنوان " القدس " :

---

(١) الفلسطينيات ص ٢٦ منشورات المكتبة العصرية صيدا - بيروت ١٩٥٤م

(٢) مخطوطة للشاعر موجودة بحوزتي .

ياساكن القدس هل فى القدس اعصار ... أم فى حناياك أشجان وتذكار
مر المسيح عليها وهى قائمة ... على ميادينها والقوم كفار
اما تحدر من روح ومن ألق ... فكيف لم يخش فيه الله فجار

ولكن الشاعرة تتفاءل على المدى البعيد فتقول :

ياقدس لاترهبى للظلم سانحة ... لسوف يصفع وجه الظلم بتار
ولا صروحا لشذاذ الدروب علت ... فسوف تندك يوما ما وتنهار
غدا تطل على الاقصى فيالقنا ... فيجرف البغى والباغين تيار (١)

ويسخر الشيخ حسن صادق من مقيمى صلاة الغائب على شهداء فلسطين لأنهم يكتفون بذلك فيقول :

مواطن الميعاد تبتز وذى ... أبناؤها رمية المعاطب
والمسلمون ليس من واجبهم ... الا القيام بصلاة الغائب (٢)

وليس يوسعنا الاستقصاء فقل أن نجد شاعرا عامليا لم يلفح نتاجه بأنفاس فلسطينية محترقة ، وأنات لاهثة على فلسطين ، بل اننا لانجد ذلك الشاعر الذى تقوقع بنفسه بعيدا عن القضية الفلسطينية . أما ملحمة بولس سلامة التى ألمحنا اليها وعنوانها " فلسطين وأخواتها " فقد نظمها الشاعر سنة ١٩٤٧ قبل وقوع الحرب والكارثة والهدنة بسنة واحدة وهى ــ كما يقول الشاعر ــ قصيدة شعبية تربى على ثلاثمائة بيت نظمها وهو فى مرضه ومنها :

يامنزلا رحمة فى طور سينينا ... رحماك أنزل سلاما فى فلسطينا
فمن يدس أرضها يبغى مناسكها ... تفجرت حوله الدنيا براكينا
دار السلام وما للسلم من شبه ... كيف انقلبت تلمست السكاكينا

ومنها : ياوعد "بلفور" ياعار الدهور ويا ... وقاحة الضيف قد باع المضيفينا
يا واهبا أرضنا للطامعين اذا ... أعميت عينيك عن حق المقيمينا (٣)
أوراقها الحمر لو تدرى الكلام روت ... وقائع العرب فى "اليرموك" فازينا

---

(١) قصائد منسية ص ١٣٤ (٢) سفينة الحق ص ٥٨
(٣) فى ذلك الزمان للشاعر ص ٩٠

(٦)

... ونستمر فى حديثنا عن مرحلة مابعد الاستقلال لنلقى الاضواء على الوضع الداخلى وما شهده من صراع مختلف • فقد جسد الشعراء خيبة أمل الجماهير العاملية واللبنانية بعد خروج الفرنسيين ، اذ احسوا أن دماء الشهداء ضاعت سدى • ونتيجة لما لمسوه من طغيان الاقطاع السياسى والتسلط الطائفى والطبقى ، أخذوا يتلهفون على عهد المستشار كما رأينا فى شعر موسى الزين شرارة وسواه • وهذا ما جعل الصراع يستمر فى الداخل ويزداد تعقيدا والتواء • والحقيقة أن جبل عامل كان ضحية لذلك الصراع فقد سلطت عليه يد القهر وشهر فى وجه ابنائه سيف الحرمان ، ولعل الفرنسيين أوصوا عملاءهم به شرا كما ذكرنا ، فاتجهت السلطة لتأديب العامليين ، فاضطهدتهم وقهرتهم وصاروا اذا ماطالبوا بانشاء مدرسة أو مستوصف ، أو شق طريق ، يعتبرون خارجين على القانون ، وبالتالى يرمون بالشيوعية والكفر والالحاد ومن ثم فالسجن والاضطهاد والملاحقة فى انتظارهم •

وفى المقابل كان يرى العامليون ماتقوم به الدولة من اعمار لجبل لبنان وبعض المناطق المعينة • فعمقت الهوة بين اللبنانيين وتمزقوا الى طبقات وطوائف وأقاليم ، وهذا عينه الذى أدى بالتالى الى الانفجار الرهيب الذى مازالت نيرانه تلهب صدورنا وظهورنا ، وتكاد تجر العرب جميعا الى كارثة لايعلم الا الله أبعادها ونتائجها •

ولم يكن الاحساس بهذا الواقع عند العامليين قاصرا على المحرومين والفقراء ، بل تعداه الى المحافظين الذين استطاعوا أن يتقربوا الى السلطة وينالوا الحظوة عندها ، فهذا عبد الحسين صادق ينبه ويحذر قائلا :

الا قل للبنان وهو الصغير	وفى "عامل" لم يزل يرضع
أتيت بها أى أعجوبة	بها جبل جبلا يبلع
الست و" عاملة " توأمين	يضمكما الحسب الأضوع
أبوك من الأخوة المشئمين	غداة بنو " سبأ " وزعوا
فأنت اذن عرسى النجار	لك الفخر والشرف الأرفع

فمالى أراك أبحت الجوار ومن سنة العرب أن يمنعوا (١)

ولا يخفى مافى ذلك من مرارة ويأس ونحن نلمح فيه الضعف المتجسد بالرجاء والسؤال والاسترحام ، وبالطبع فهذه اللغة ليست لغة الثوار ، ولكنه عندما يصدر عن رجل جليل محافظ ، كالشيخ عبد الحسين صادق ، فله معنى آخر ، اما الشاعر الشاب كامل صباح فرحات فان لضعفه الجسدي أثرا في تصوير الوضع فهو عاجز لأنه مشلول ، وليس بامكانه صنع شيء الا التصوير والتحريض بعد ما أحس بعزلته في بيته ، يقول الشاعر :

نفيت في "عامل" لا القوم أحسبهم قومي ولا الصحب أصحابي وخلاني
أرى العبودية العمياء ترهقهم بقيدها وهو قيد مثل ثعبان
شربت ياشعب كأس الذل مغتبطا ما أنت ياشعب الا بائس عاني

أما الاستقلال فان الشاعر يراه زائفا ، لأنه كرس العبودية ، والأحرى بمن يغنى له ، وهو لايدري بما يصنع أن يبكي ألما وحسرة :

غنيت في موقف كان الأصح بأن تبكي به دون أن تشدو بألحان

ويحاول الشاعر تناسي مأساة شعبه المخدر والعيش بعيدا عن آلامه ، الا أن أحاسيسه وعواطفه تأبى عليه ذلك فيعود للبكاء :

لكن عاطفتي ثارت ااانـ ... ﻩ عيشي وشعبي في ذل وخذلان
حطم قيودك ياشعبي وعش حذرا من كل طاغ بلا عقل ووجدان
ذوو الزعامة أصنام تقدسهم كفاك تقديس أصنام وأوثان (٢)

هذا وعندما نعلم أن لبنان من أغنى بلاد العالم بالثروة المائية حيث تتفجر الينابيع في سفوحه وجباله وسهوله ووديانه ولا يخلو منها مكان بالاضافة الى البرك الكبيرة والعيون ، ويخترقه نهر الليطاني من شماله الى جنوبه ، ونهر العاصي من وسطه الى شماله بالاضافة الى الانهار التي لايبعد الواحد منها عن الآخر أكثر من عشرة كيلومترات من الشمال الى الجنوب ، ومع هذا فان لبنان يعاني من أزمة مستحكمة بالمياه

---

(١) سقط المتاع ص ١٤٨

(٢) الاعيان ج٤٥ ص ٣٥٠ المستدركات

وجهل عامل محروم حتى من مياه الشفة فان هذا الواقع يصور مدى الغبن والظلم اللاحق بالعامليين الذى يرسمه شاعر عاملى عانى من العطش ماعاناه فيدعو الى الثورة والتمرد والرفض ويهاجم الطغمة الحاكمة المستبدة • ذلكم الشاعر هو محمد نجيب مروة الذى يستصرخ الضمائر ويقول :

قلب الجنوب من الظما قد ذابا — والطرف فيه من الحوادث شابا
والقهر حكم فى جميع جهاته — من جلده الاظفار والانيابا
والمحل فيه قد أناخ مطية — جهرا وشد بأرضه الأطنابا
وبنوه من حر الظماء لديهم — عذب المياه قد استحال عذابا
ياشاعر الشعب الذليل الا انتحب — حزنا عليه ومزق الاثوابا
وارث الجنوب بما تراه مناسبا — بين الانام وأسمع النوابا
قوم لقد ظن الجنوب ببعضهم — خيرا ولكن ظنه قد خابا
ماآن أن ينسوا زغاريد النسا — والمدح والتصفيق والاطنابا
لكنهم من بعد نيل مرادهم — لم يحسبوا لهم بذاك حسابا
كأس الحياة صفا لكل موظف — منهم هناك وعيشه قد طابا
حقا لقد حفظ المعاش بجيبه — لكنه قد ضيع الاصحابا
نبذ الوفا وجميع اخوان الصفا — وغدا يغنى بعد ذاك عتابا (١)

وهكذا يصور الشاعر ازمة العطش فى الجنوب وفى مكان آخر نجد الشاعر نفسه يتحدث عن الفساد الادارى وقد انتشرت الرشوة وعم الاستهتار والاهمال والمحسوبية والواسطة يقول الشاعر :

أرى الحكام طرا والرعايا — جميعا بين مرشى وراشى
أ أرباب الحكومة لم غدوتم — تقودون الورى قود المواشى (٢)

ثم يتحدث عن اهمال الحكومة للناس ويصف الحكام الذين ينامون عن مصالح الشعب ولا تهمهم الا مصالحهم الشخصية ثم سعيهم للايقاع بين الناس •

---

(١) الاعيان جـ ٤٤ ص ١٦١ ــ ١٧٢
(٢) الاعيان جـ ٤٤ ص ١٦١ ــ ١٧٢

أما السيد محسن الامين وهو الذى عرف عنه أنه كان من دعاة ضم الجنوب إلى سوريا وقد تحطمت أحلامه على صخرة التآمر الفرنسى وخيانة العملاء فانه يتهكم على اعلان ضم جبل عامل الى لبنان فيقول :

هنيئا لكم أهل الجنوب سعدتم — بلبنانكم فلتملأوا الجو تغريدا
ويوم تبستم حكم لبنان فاحفظوا — به كل عام واجعلوا يومه عيدا
وعد تسم بجسر الماء نحو بلادكم — ألا فاشربوا أهل الجنوب مواعيدا
مواعيد عرقوب التى عصرها مضى — يجددها لبناننا اليوم تجديدا

ثم يتساءل الشاعر متهكما ساخرا : هل استقل لبنان فعلا ؟

وقالوا لنا لبنان من بعد أعصر — غدا مستقلا ليس يقبل تقييدا
فقلنا استقل العدل عن جنباته — جميعا وأمسى ساكنوه عباديدا
رجالاتنا عند الفعال ثعالب — وتلقاهم عند المقال صناديدا (٢)

وتلك هى ثورة العامليين وذلك هو تمردهم من أجل الحق والعدل والانصاف .

ومن جهة أخرى كان الزعماء التقليديون يعملون على تجهيل الشباب وصرف الناس عن طلب العلم ، ليبقوا رهن أيديهم ، وطوع أناملهم ، وقد تنبه الشاعر الشيخ سليمان ظاهر الى تلك الظاهرة فقال :

اذا رائد الاقوام أكذب أهله — فلا الماء مورود ولا النبت طيب
أيقعدنا عن نهضة " عاملية " — أخو سنة فى غيه متنقب
ويظفر منا بالمقادة سائرا — بنا حيث لا يهوى العلاء ويرغب (٣)

أما الشاعر المؤرخ محمد جابر آل صفا فانه يأخذ على الشعراء تقاعسهم عن نصرة شعوبهم وهيامهم فى أودية الحب ، وكأنه يبعث ثورة أبى نواس الدفينة فيقول :

خرافات سروا زمنا عليها — وما شمنا بها يوما رشادا

ثم يقول لهم : لقد قلدتم القدماء دون أن تنتفع البلاد منكم ، وهو بذلك يدعو الى تسخير الشعر لمصالح الناس او بمعنى أصح يدعو الى الالتزام فى الشعر :

(١) الاعيان جـ ٤٤ ص ١٢٨

(٢) الاعيان جـ ٥٢ ص ١٢٥

سلكتم خطة التقليد حينــــا وكررتم لنــا معنى معـــــادا
أليس الشعر موهبـــة فهـــلا صرفـاها لما نفـع المبــادا ؟!

ثم ينصح الشاعر زملاءه بالتجول في القرى للاطـلاع عن كثب على حالة النـــاس وما يعانونه من فقـر وحرمان ، ثـم عليهم بعـد ذلك أن ينقلـوا صوت الناس جليـــا واضحا الى المسؤولين :

اذا جئت القرى ألفيت فيهـــا وطيس الجور يتقـد اتقـــادا
تبيت على الطـوىّ غرثى وتمشي بلا رفـق فتكتحـل السهـــادا (١)

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر نظم قصيدته تلك عام ١٣١٥ هـ الموافق لعام ١٨٩٧ م

أما الشاعر محمد كامل شعيب العاملي فانه يختلف عن شعراء عاملة ، ذلك أنـــه كان ومايزال مستوزرا دفعه الى ذلك ثقتـه بنفســه دون أن يدرك بأن الثقة بالنفـــس والثقافـة ليستا المؤهـل الحقيقـي لمثل هذه المناصب ، ولعل ثقافتـه فـي ذلـك قد جنـت عليـه ، فتـم ابعاده عن الحلبـة دون أن يتمكن من تحقيق ماتصبـو اليــه نفسـه ، زد الى ذلك أنه ليس من أسرة اقطاعيـة ، فشنعوا عليه واتهموه بالجنـــون حتى أوشكوا أن يلبثـــوه • بعث الشاعر بقصيدة الى صاحب العرفان عام ١٩٤٨ ايصور فيها ما آل اليه الوضع في لبنان على يـد العمـلاء ومطلع القصيدة :

لبنــان أنت معاقـل الأحـــرار بالشـرق أم هـزء القضاء الجاري
مهـد الحضارة أنت الا أنهـــم جعلـوا الفنـون دوارس الآثـــار

وبعد أن وصف ما آل اليه الحال بعد الاستقلال يتجـه الى الذين بيدهم الامـــر قائـلا :

قـل للأُلى طمسوا الحقيقة جهرة واستبدلوا الأكفـاء بالاغـــرار
أسلمتـم أمر البـلاد لعصبـــة مـن كل خـب ماكـــر غـدار
وزعمتـم أن الزعانف في الــورى هي من رحى الاصلاح قطب مدار
فاذا جراثيم الفساد تخلفلـــت واذا الحكومة كتلـة استثمـــار
لم أدر ماهـذي الدمى أأرائـك مبثوثـة أم تلـك ومضـة عـــار

ثم الى متى السكوت ؟ ولماذا لايثور " العامليون " على الاوضاع ؟ أأغراهم السكوت ؟

---

(١) اطروحـة جامعية لنوار الامين عنوانها " الادب العاملي في النصف الاول من القرن العشرين ـ الصفحة ٤٢ سنة ١٩٦٢ م

طال السكوت فظن رهط سبة ... ان الصوت من المنافح عار
ان كان غرهم السكوت فانما ... تحت الرماد لظى وجذوة نار
قد جف ضرع الواردات واصبحوا ... فى الحكم أهل مزارع ويسار
أين العدالة وهى منهكة القوى ... ترضى البلاد بدمعها المدرار ؟
أين المهارة فى معالجة الضنى ... أين الدواء لكل داء سارى ؟
أين الاشاوس فى البلاد وقد ونت ... خوفا من الارهاب والانذار ؟

ولكن الشاعر كعادة الكثيرين يحفظ لنفسه خط الرجعة ، ويحاول استثناء الرئيس من الأمر مستخفيا به وكأنه لايعلم حقائق الامور ولعله يتعامى وبعد أن يقول : لبنان ماعانى الذى عانيته ... فى يعرب قطر من الاقطار
يتجه للرئيس ويقول له :

قل للرئيس السيل قد بلغ الزبى ... والحق أصبح عرضة لبوار
رحماك قم أقل البلاد وأهلها ... لمرمم لبنائه المنهار
وانقض من الخطر المداهم موطننا ... فيه الولاة حثالة التجار (١)

ويتساءل الشيخ خليل مغنية عما صنعه المسؤولون فى الجنوب وماذا ينتظر الناس :

سائل الناس فى الجنوب علام ... سودوا بالعيوب وجه الجنوب
أضرموا نارها بكل مكان ... وأتى الغمر يرتمى باللهيب
ثم جاءوا وهم يقولون انا ... قد ملأنا الدنيا بنفح الطيوب
أيها القوم انكم لأناس ... نهض العيب فيكم للمعيب
لاتسلنى فكم يثير سؤالى ... فى محانى الأريب نار الأذية
همج أقلقوا البلاد وراحوا ... كيف شاء العمى لكل دنية
ياعصى الزعماء وعرك أضحى ... مصدر الفضل للأكف قوية
لاتشاء الزعماء الا شذوذا ... وانبعاثا بحالك الهمجية (٢)

---

(١) العرفان م ٣٥ ج ٨ / ١٩٤٨م ص ١١٢٧
(٢) العرفان م ٣٧ ج ١٠/ ص ١١١١ ت ١ ٩٥١

ويهاجر الشاعر الحوماني وهناك يلتقى بأبناء وطنه فيشرح لهم ظروف الوطن وما أصابه على يد الغاصبين والعملاء فيقول :

اتدرون ماصنع الأعجمى   وقد وطئ الشرق باليعرب
علا متنه ليرود الكلا   وخوله نصرة المنصب

****

أتى باللجام له والا كاف   ليركبه ملجما موكفا
ولم يحن من هيبة رأسه   لديه ولكنه أكرفا (١)

****

فان حركته ظلاماتهم   فهاج فهب الى المخزم
امروا عليه يدا فاستشال   كما شال ذيل ابى الهيثم (٢)

*

وعندما نقرأ هجاء الحوماني للزعماء حيث يصور عيوبهم ويجسمها لتبدو ظاهرة للعيان يخالطنا نوع من الضحك المر ومزيج من الالم والغضب فمن الزعماء من يقتنى الكلاب وينفق عليها من مال الشعب مايكفى لاطعام عدد من العائلات الفقيرة يقول الشاعر :

لسادتنا ولع بالكلاب   وان شئت قل ولع بالكلب
تصيد الطيور اذا أصحرت   وبين البيوت تصيد الذهب

****

فكم بث ضيف امرئ منهم   فكانت وسادتنى المرتقا
ودونى أكاليب قام الخصى   عليها فوسدها النمرقا

وان هؤلاء الزعماء يطعمون كلابهم الحليب أما ضيوفهم فيأكلون العدس :

أتوها وقد أصبحت بالحليب   غذاء اوساقوا الى البلس
وان هى أمست أتوا باللحوم لها   وأفاضوا على العدس (٣)

---

(١) الاكاف للحمار كالسرج للفرس وأكرف الحمار احنى برأسه ليشم روث غيره .

(٢) الديوان ص ٤٥ .

(٣) الديوان ص ٤٥ .

أما القضاء والرشوة واستبداد القوى بالضعيف فحدث ولا حرج :

قواك على أن تبز الضعيــف هو الضعف والضعف عنه قوى
فمن سفه المـرء أن يستبـد عزيزا ويقوى على ذى قـسوى

** **

فجس خلل الدور وانظر فهل تحس بذى عمـل ذى عمـل
قضاة قضـوا بضروب الـورى على قومهـم وولاة سفـل

****

بعينى أبصرتـه باسطـا يديـه ليقبـض أو يبطشـا
أتشكوه وهو ومن نصبـه غريمـان يقتسمان الرشـا (١)

*

وكان الانسان العاملي يرزح تحت أكثر من نير ، نير الحكومة ونير الاقطـاع ونير رجال الدين ونير الطبيعـة القاسيـة أحيانا ... كان يكد صيفا وشتاء ليـلا ونهارا هو وصغاره وزوجتـه فاذا جاء الموسم وقف الاقطاعى من جهة ومندوب " الريركو " من جهة وأصحاب الديون من جهة أخرى فتوزع الغلال على البيدر ثم تبدأ رحلـة العذاب من جديد . عدس بالربا وعمل وكد متواصل حتى الموسم المقبل ..وهكذا .

ود اثمايبقى الحومانى بالمرصاد وعدسته جاهزة وشدة حساسيته أقـلام جيدة ومشاعره مصقولـة فترسم ريشته لوحات باكية حزينـة ثائـرة متمـردة وهذه صورة لرحيل أهـل البيت عند الصباح :

فأما الرجال فقد أسحـروا الى الحقل بالخلب والمنجـل
واما النساء فيلقطـن مـا تناثـر فيـه من السنبـل

ثم هذه صورة أخرى للحومانى نرى فيها وصول رجال الاقطاع الى البيدر عندما يعلمون بانتهاء الحصاد وجنى الغلال فهـم يتراكضون على خيلهم ليقبضوا فعلى الفـلاح الغرم ولهم الغنـم :

---

(١) الديون ص ٤١

فان جاء موسمه أقبلوا .. يخبون بالملجم المسرج
وما رجموا جهده في الحصاد ولا مايقاس على النوريج

** **

قضوا بالشعير له مأكلا وبالتبن علفا لأبقاره
له العشر مما جنى كاسبا وللبيك تسعة أعشاره (١)

وأخيرا فنحن لانستطيع المضي مع الحوماني الى أبعد من ذلك لانه لم يترك صغيرة أو كبيرة في المجتمع الا وسلط عليها أضواءه فأعطاها ماتستحق وفي كل ذلك كان الشاعر مخلصا لدينه وضميره وشعبه ونفسه .

أما موسى الزين شرارة فهو لايختلف عن الحوماني في نقده للزعماء وما يدور حول الزعماء من أزلام ومؤامرات يقول الشاعر :

حطم دواتك في لبنان والقلما واسخر بمن نثر الآداب أو نظما
واحمل مسدس وامشي عاقظ شنبا خلف الوزير وخلف السادة الزعما
ولا تصدق دعاوات تقول لنا لبنان في الشرق دار العلم والعلما
هذا المسدس كالخاقان صاحبه يسير في الناس مرهوبا ومحترما (٢)

ويقف الشاعر شرارة أمام رئيس الجمهورية الخائن كميل شمعون عام ١٩٥٣ ويشكو له حال جبل عامل ويقول :

لو زرت عامل أشجاك الشقاء به وما يكابد من بؤس وحرمان
فلا ترى غير جوعان وجائعة وغير ظمآنة فيه وظمآن (٣)

ويبقى كل ذلك كالصرخة في واد فلا الشكوى أمام شمعون تفيد ولا الصراخ أو الاستغاثة تفيد فشمعون هو الخصم والحكم وكذلك الحال بالنسبة لغيره :

ووزارة فيها وزير حوله مثل التلال تراكم الاوزار
صنم على كرسيه أو آلة بأصابع المستعمرين تدار
وسياسة شتى البذور وانما محصولها الناطور والمختار
كثر أغانيها العذاب وشعرها لكن بيت قصيدها الدولار

---

(١) الديوان ص ٧٤
(٢) العرفان م ٤٦ ج ٦ شباط ١٩٥٩ ص ٥٧١
(٣) العرفان م ٤٦ ج ٤ ك ١ ١٩٥٨ص ٣٢٩

و الذى زاد الطين بلـة أن من هؤلاء الوزراء من كان فى عهد الفرنسيين يلبس ثيـاب الثـوار :

كم ثائر بالامس منه بيومنـا ... كالمجرمين يطارد الثوار
ومن البليـة أنهم زعماؤنـا ... وبأنهم رغم الصغار كبـار (١)

ويستفيد العامليون من بعض الحريات فى لبنان فيستمرون فى عرض قضاياهم بشىء من التفصيل وشعراؤهم لعبوا دور المحامين فى الدفاع عنهم والهجوم على الحكام فكلهم ينفخون فى كير واحد وكان اللون مختلفا فكل شاعر يركز على مايشده وهذا فؤاد جرداق يهاجم الحكومة ويتهم الرؤساء بالعمالة للاجانب :

ماذا أقول بموطن حكامـه ... ظلامـه ورئيسـه مرؤوسـه
وزراؤه أوزاره ورجالـه ... أصلالـه والمومسات تسوسه

وتبقى صيحة جرداق غير مسموعة فيقـول :

أنا كم خطبت على المنابر هاديا ... زعماء لـم يصغـوا لصـوت خطابى (٢)
أترى تروج بضاعة الآداب فى ... أرض لشذى قـوم بـلا آداب

أما عبد الحسين عبد الله فيؤبن الشيخ عبد الكريم مغنية ١٣٥٤ ويغتنم تلك الفرصة ليهاجم الحكام متمنيا لهم الموت الذى لم يحصد الا الصالحين كالفقيد يقول الشاعر :

كل يوم مأتم للصـلاح ... فـتى نكبـة الغلاظ الوقاح
كاد يخلو الحى من الاسد الغلب ... ومن طلعـة الوجوه الصباح
يقى الشوك نابتا وتصوت ... قمة المجد من زهور الأقاحى (٣)

---

(١) العرفان م ٤٥ جـ ٤ ص ٣٢٩ سنة ٩٥٨ .
(٢) العرفان م ٤٣ جـ ٢ ت ٢ ٩٥٥ ص ١٤٦ .
(٣) العرفان م ٤٣ جـ ٢ ت ٢ ص ١٦٣ .

أما الشاعر سعيد فياض فنظرته تختلف عن نظرة رواد مدرسة الحومانى انه يرى الظلم ويحس به ولكنه لايضع موسمه على الداء ولا يضع الهناء مواضع النقب بل يسير كالناقة العشواء متخبطا فى بيداء الضلالة فيكيل التهم دون أن يحدد المتهم ويوزعها يمينا وشمالا ولعله الخوف والجبن المتمكنان من الشاعر ذلك أنه يخشى نقمة وبطش السلطان وربما لأنه لايقوى كالحومانى وشرارة والمهد الله على مجابهة الحكام .. ولعل للظروف العائلية أثرا فى ذلك وهو بدل أن يوجه التهم للمجرم الحقيقى يوجهها للناس مممادون تحديد على أن الناس هى التى صنعت القيود لنفسها ووضعته فى أيديها وهو على كل حال له شكل مميز فى عالم الشعر العاملى . يقول من قصيدة عنوانها " أمة تحتضر " :

قال لى صاحبى أراك شقيا
فى مآقيك دمعة تتلالى
وبعينيك من جراح الامانى
شبح الوهن جرجر الاذيالا
قلت أشقى لأن قوى نساس
حسنوا معشرا وساءوا خلالا
سلكوا فى الثراء سبل لصوص
وتباروا خساسة واحتيالا
وتباهوا من كسبة من حرام
فكان الحرام أمسى حلالا

ويشير بعد ذلك الى الحكام فيقول :

نشروا راية الجهالة فينا
وتمادوا غواية وضلالا
ساءهم أن ذى أعزة قوم
فحدوا شعورنا اذلالا

ان رضينا فحسبنا الذل عـارا
أو أبينا فلنستحل أبطالا (١)

وهكذا فالثورة تكمن في كل نفس والتمرد يسيطر على الافئدة ولم يكن من خلاف بين العامليين في المعتقد فنظرتهم الى الأمور واحدة وثورتهم واحدة وكانوا يختلفون من حيث التعبير فقط فهذا يعبر عن ثورته بهدوء أو بطرق ملتوية فيمس الأمور مسا خفيفا في حين نجد الآخر يصرخ في وجه الحكام فتملأ صرخته الآفاق ولا يبالي بعد ذلك بالنتائج . وكان الحوماني وشرارة وعبد الحسين عبد الله وفؤاد جرداق يمثلون التيار الثاني يقول الأخير :

عشت للثورة الفتية زندا تصطلي بي لاشاعرا قد أحبا
كلما أخمد الطغاة لظاها أوجدت في واريا قد أحبا

لايخيف الشعوب فرد ظلوم بل يخيف الافراد شعب جسور
انما الشعب في الملمات أعمى هل رأيت البركان كيف يثور

وكثيرا ماتؤرقه الاوضاع في لبنان وتشغل باله فالحاكم الكذاب ينتخبه الشعب ولا نجاة للشعب من هذا الحاكم الا أن يحكم ضميره بانتخاب الصفوة :

يا ابن لبنان لاتغر بوعد من زنيم مذبذب كذاب
وانتخب حاكما حكيما أبيا ومحبا للشعب غير محابي (٢)

أما شاعر المناسبات ابراهيم بري فهو من النوع الاول فثورته هادئة وشكواه خافتة عليها سمة من الذل والمسكنة وكأنه يستجدي حقه استجداء ونحن لانعارضه في التصاقه بالعمال والفلاحين والفقراء فتلك هي طبيعته وطبقتنا جميعا أما عندما يصف نفسه بأنه " رفيق الشحاتين " والمتسولين فهذا مالا نرضاه لا له ولا لنا فالعاملي معروف بابائه وشممه فهو لايركع لغير الله اسمع الشاعر ماذا يقول واحكم فيما بعد عليه بما شئت أو بما تراه مناسبا :

---

(١) براعم لسعيد فياض ص ٥٩ وهو ديوان صغير للشاعر مطبوع في الخمسينيات ليس فيه مايشير الى تاريخ طبعه ومكانه وعدد صفحاته ١١٢ صفحة وفيه من القصائد المنظومة عام ٥٢ ومعظم قصائده في الغزل والرثاء . مدح الملك طلال ورثى محسن الامين .
(٢) العرفان م ٤٣ ج ١ ت ١ ١٩٥٥ ص ٣٦ .

من عامل أنا من بلاد اليتم والظمأ المخيف
من بقعة فيها القوى سطا على حق الضعيف
من أمة رضيت من الايام بالرزق الطفيف
من جنة ذبلت أزاهرها بأنفاس الخريف
سرق الجناة مياهها لتصب في حدث وشوف

ذلك تصوير صارخ للظلم فمياه الجنوب تمر الى جبل لبنان (الحدث والشوف) ويترك الجنوب يعاني من العطش الشديد ثم يعرف الشاعر بنفسه ثانية فيقول :

من بقعة القوم الذين تجرعوا غصص الحتوف
تشدو حروف باسمهم وعليهم تبكي حروف
ولرب حرف من فم الشعراء يقطع كالسيوف
ولرب قافية على الميدان تهزأ بالالوف

أما أم الشاعر وأبوه وأخوه ورفيقه فهم :

أمي هي الأرض المنون ترف بالنسم اللطيف
وأبي هو الفلاح ذو الوجدان والكف النظيف
وأخي هو البناء يرفع هيكل البيت المنيف
ويشق هامات الصخر بحد معوله الرهيف
ورفيقه الشحاذ يفتح راحتيه على الرصيف
الوى أضالعه الوقوف وما استراح من الوقوف

ومع هذا فان هؤلاء جميعا من الشرفاء والاطهار :

من منبت الذوق السليم ومصنع العقل الحصيف
من معهد العلماء والفقهاء والشرع الحنيف
من موطن الالهام والشعراء والادب الطريف
من مربع الغزال والموال والزجل الظريف
من أمة ترنو ليوم البعث بالطرف اللهيف (١)

(١) العرفان م ٤٧ ج ٣ ت ٢ ١٩٥٩ ص ٢٢١ .

وان كانت ثورة هذا الشاعر تتسم بالوضوح الا أنه كالقارب التائه تتجاذ به الأمواج ولا يستقر له قرار وهو بانتظار هدوء العاصفة ومع هذا نحن نستطيع القول بأن ابراهيم بري هو رفيق سعيد فياض فكلاهما يحس بالظلم ويعرف الظالم ويكاد يشير اليه بالبنان الا أنه لا يصف العلاج الناجع فيبقى المريض يعاني من علته دون أن يأمل في الشفاء العاجل ... فالشاعران يترفقان بالظالم ويمسان الداء مسا خفيفا ولعل السبب في ذلك يعود لكون الاثنين يرزحان تحت نير الوظيفة ولكن عبد الحسين عبد الله وموسى الزين شرارة كانا من الموظفين ومع هذا فلم يعتريهما ذلك الخوف الذي اعترى كلا من سعيد فياض وابراهيم بري .

أما الشاعر محمد خاتون فانه يرى أن من يريد أن يعيش وهو حر ذو أنفة وكرامة فليرحل عن لبنان لأنه لم يعد موئلا للاحرار :

اذا ماعيش أحرار	أردت وكنت ذا أنفة
فغادر أرض لبنان	ففيه ضاعت النصفة
ومامن حاكم الا	ويحذو حذو من سلفه
لهذا لاترى الا	كريما عديا أسفه
يعش الساكنون به	حياة كلها ترف
ومن عظمت نفوسهم	اذا قعدوا وان وقفوا
فلا يؤتون حقهم	سوى ماتفعل الصدف

****

لقد أثرى الذي فيه	زعيم راح يحميه
موظفه وذو الاخلاص	لم ينفعه ماضيه
فمن أرضى الزعيم بلا	ارتياب سوف يرضيه
وهذا الشعب لايدري	كأن الماء في فيه

وتبقى مشكلة الماء والكهرباء تنغص حياة العامليين ويؤلمهم جدا أن المياه تنبع من أرضهم ويشربها غيرهم كما يؤلمهم أنهم في القرن العشرين مازالوا

يستنيرون بالمصابيح القديمة التى تعمل بواسطة الزيت والكاز :

و " عامل " هل به ماء ... سوى ماتحتوى السبرك
وهل فى " عامل " نور ... سوى مايبعث التنك (١)
لقد حرموه نسمات ... لو ان قيادها ملكوا
ظم يعطوه من شى ... سوى وعد به ضحكوا

وينتهى الشاعر الى الدعاء لله :

الهى نحن فى ظلم ... يراه من له بصر
ولكن الذين طغى ... كراسى الحكم قد ظهروا
تناسوا أمر محنتنا ... كأن لم يأتهم خبر (٢)

أما محمد على ناصر فانه يعزف على نفس الوتر ويغنى على نفس الالحان ويرى أن الاوضاع لم تتبدل ولم تتجه الى الأحسن :

قالوا تبدلت الاوضاع قلت لهم ... ما ان لأوضاعنا بالحسن تبديل
نبقى ونحن على حال نساء بها ... لاخير يرجى لنا والشر مأمول
عهد كسابقه فيما يحاوله ... لاتخدعن بوعد فهو ممطول
ان كان عهد مضى بالجو ينقصه ... شىء فهذا لنقص فيه تكميل
ماذا تبدل ون أوضاعنا ولنا ... فى كل ناحية نهب وتقتيل
نير الزعيم على الاعناق يرهقها ... وسيفه فوقها للفتك مسلول
كأننا كسوام فى مراتعها ... من شذ فهو بناب الذئب مقتول
أو كالعبيد أذلاء بلا خطر ... شعارنا الدهر تزمير وتطبيل

وبعد أن يسلم الشاعر من هذه الأوضاع يحرض الجماهير على الثورة ويدعوها الى الانتفاض محذرا من الزعماء ثم يقول :

متى تحرر من قيد تضيق به ... ذرعا وأنت به بالجور مغلول
فانهض وحطم قيود الذل مرهقة ... فما يرى لك عذر وهو مقبول

---

(١) هو السراج البدائى الذى يصنع من التنك ثم يعمل بواسطة الكاز والفتيلة .
(٢) العرفان م ٤٠ ج ٨ حزيران ١٩٥٣ ص ٩٢٢ .

أو مت وأنت كريم النفس ذا شمم   فأنت أنت امام الحق مسؤول (١)

هذه هى نظرة الشعراء التقليديين المحافظين الى الاوضاع الداخلية وهذه هى ثورتهم وتلك هى نقمتهم وتمردهم ... يعزفون على أوتار القلوب فتجاوب الاصداء فى كل مكان ... يزرعون بذور الثورة فى الساحات والطرقات فتنبت أزاهيرها الحمراء فى كل الدروب تتفتح فيتنشق عبيرها الثوار .. وتستمر الثورة دفينة فى الاعماق حتى تجد الفرصة المناسبة فينفجر بركانها هادرا عاصفا ..

أما العيب فى ثورة " العامليين " فهى فى تلك العفوية والسذاجة ولكن هذه العفوية قد تغيرت فيما بعد الخمسينيات وتلاشت وانخرط العامليون فى صفوف التنظيمات السياسية التى تحولت بعد السبعينيات الى تنظيمات عسكرية صنعت الرفض والتمرد والصمود ومازالت تسير على دروب النصر متعثرة حينا ومصيبة حينا آخر .

أما مانراه فى شعر الشباب أمثال الياس لحود وشمس الدين وياسر بدر الدين وشوقى بزيع وحسن العبد الله وحسن حمدان وحبيب صادق وسواهم فانه المعبر الحقيقى عن مطامح وآمال العامليين والناطق باسم الثورة و الثوار والداعى الى الرفض والتمرد كما سنرى فيما بعد وعندئذ نحكم عليه كما نترك لغيرنا أمر الحكم والتقويم . وكل مانسعى اليه الآن هو تصوير الوضع فى جبل " عامل " كما رسمته أنامل الشعراء العامليين .

****

— أ —　　　　(٧)

المدح مطية النفاق وقل أن يصدق الا اذا كان في الأموات الذين لايرجى نفعهم ولا يخشى بأسهم .. وعندئذ يتحول الى الرثاء ولا شأن لنا به في هذا الفصل . وفي المدح على الاساس المتقدم تفاوت فاذا كان المدح لزعيم والشاعر يقف بين يديه لالقاء شعره فهو من باب المداهنة والتزلف طمعا بمال أو بمنصب أو خوفا من بطش وهو في ذلك من باب الاعتذار . واذا كان الزعيم عظيما والشعر لايلقى في حضرته وليس الشاعر ممن يطمحون بمقابلة ذلك الزعيم والاستفادة منه فالشعر عندئذ اما أن يكون قوميا أو دينيا وهذا ماينطبق على الكثير مما قيل في عبد الناصر وعبد الكريم قاسم . ومهما يكن من أمر فان الشعراء في جبل عامل قد أدلوا بدلائهم في آبار المدح فاغترفوا منها ما أمكن حتى الخمسينيات وحتى ذلك التاريخ كان المدح تقليديا لاغناء فيه أما بعد ذلك فقد تحول المدح في غالبه الى شعر قومي .

ومن المدح التقليدي ماقيل في السلطان عبد الحميد والشريف حسين والملك فيصل الثاني والملك عبد الله وغازي وطلال وحسين وغيرهم أما ماقيل في الشريف حسين فهو من قبيل الشعر القومي . ومن الزعماء المحليين الذين مدحوا مدحا تقليديا زعماء آل الأسعد ورياض الصلح والوزراء وكبار الموظفين وسواهم ..

ومن الشعراء الذين قلدوا في مدحهم شبيب باشا الأسعد حيث مدح السلطان عبد الحميد طمعا في المنصب وتزلفا اليه ومحمد سليمان جواد حيث مدح آل الأمين ايمانا بهم وتزلفا اليهم ومحمد كامل شعيب الذي مدح الامام احمد امام اليمن وغيره من الملوك والزعماء .. وكذلك صنع الحوماني أحيانا .. أما بولس سلامة فقد مدح السعوديين وفاء لهم .. ولم يكن العامليون صادقين في غالب مدحهم كصدقهم في الشعر القومي .. وعلى العموم فالمدح نوع من الشعر الاجتماعي .

كان شبيب باشا الأسعد يطمع فى تعيينه حاكما فى احدى مقاطعات جبل عامل بما يتناسب مع طموح العائلة الاقطاعية ولذلك تقرب كثيرا من السلطنة العثمانية فاذا سمع أن الدولة قد عينت واليا جديدا فى دمشق فانه سرعان مايذهب اليه ليلقى بين يديه المدح مشيدا بالوالى وبالدولة العثمانية العلية التى عينته وخصت به الناس ثم يدخل الى مدح الخليفة فعندما تم تعيين الوزير احمد حمدى باشا " من جانب الحضرة العلية الملوكانية واليا للولاية السورية " (١) قال من قصيدة مطلعها :

بحمدى وافى العز يهتف بالبشر	فقابلته بالحمد لله والشكر

ومنها :

هو الاسد الضرغام لكن نوره	هو البدر والرحمن والليل اذ يسرى
همام جليل فى البرية قد سما	بحضرة ظل الله فى البحر والبر
خليفة خير المرسلين عماد نا	وسلطاننا السامى المؤيد بالنصر
وزير تراه اليوم فى خير دولة	بصائب آراء يدبر بالأمر

ثم نرى بعد ذلك أن الشاعر لايستطيع كتم غايته أو كبتها فيعتصره الالم والشوق الى الوظيفة فيرى أن من يتولون المناصب العليا ليسوا أكفا منه بل ليسوا انداد ا له وربما خالجه الحسد للوزير الممدوح نفسه فيقول :

تكاثر قولى اذ زمانى معاند	وفيه بغاث الطير يسطو على الصقر

ولعل فى ذلك اشارة الى بنى عومته الذين نافسوه فى احتلال المناصب ثم يقول :

أما آن انى امتطى سابق العلى	بظل مليك العدل ويحك ياد هر

الا ترى أن فى ذلك غاية التضرع والتوسل والالحاح فى السؤال ؟

ويقول الشاعر فى مقدمة قصيدة أخرى :

" وقد قصدت الدخول لمقام حضرة ملجأ الصدارة العظمى صاحب الدولة والفخامة كامل باشا المعظم للتبريك بيوم عيد الفطر المجيد فحررت بسرعة هذه

---

(١) الديوان ص ٢٠٣

الابيات على الفور قبل أن أتشرف بدخول ذياك الباب الذى هو محط رحال الرجا وملاذ الالتجا وقدمتها لسمو ذلك الجناب " (١) ويبث الشاعر فى أولها مر الشكوى والتطلع الى المجد :

لئن كنت فى ذا العيد فى ذل غربة ... فحسبى عز للبديل شامل

ثم يبكى حظه فيقول :

وان تنقص الافلاك حظى لحكمة ... فان هلال العيد عندى كامل
وانى للمولى دوام سنائه ... على رغم من عاداه راج وآمل

ولا يخفى مافى البيت الثانى من تورية لطيفة .

ويقول الشاعر من مقدمة لاحدى قصائده فى مدح عبد الحميد :

" خير من تقدم من الملوك ومن تأخر أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين سيدنا ومولانا السلطان ابن السلطان الغازى عبد الحميد ان ابن السلطان الغازى عبد المجيد خان ابن السلطان الغازى محمود خان خلد الله شوكته وملكه لمنتهى الزمان ..... " (٢) .

يااله الورى ورب المثانى ... كن لسلطاننا عظيم الشان
ومجير الملا وغوث البرايا ... وأشير العلا وشمس الزمان
والحميد السامى بمجد مجيد ... والمبيد العدا بغير طعان
وأمير للمؤمنين رؤوف بهم ... والرحيم ذى السلطان
كافل الأمن والامان وحامى ... حوزة الدين مظهر الايمان

ثم يلمح الشاعر الى مطلبه فيقول :

من عناه أمر أم حماه ... أدركته النجاة مما يعانى
وغدا رائعا بظل ظليل ... فى سرور ممتع بجنان

---

(١) الديوان ص ٢٨٥ .
(٢) الديوان ص ٣٠٣ .

ولا ينسى الشاعر من ينتسبون للدوحة الهاشمية الشريفة فيمدحهم ومنهم السيد احمد الرفاعي الحسيني وقد قال في مقدمة مدحه له : " وقلت بمديح حضرة الغوث الكبير والقطب العظيم الخطير العارف بالله حق المعرفة المتصف بأخلاق جده خاتم المرسلين (ص) وناهيك بهاتيك من صفة .. علم الاقطاب والامام سلطان أولياء رب الناس الولي ابن النبي أبي العباس سيدنا ومولانا السيد احمد الرفاعي الحسيني وحسبك من حسب نسال أوج المعالي " ثم يقول :

اذا لسعتك من دهر أفاعي	وضاق بك الزمان من اتساع
وظلت حليف وهم واكتئاب	وخفت الغدر من زمن مطاع
فلذ بحمى ابي العلمين تلقى	به للائذين أجل راعي
لقد أصبحت في أمن ومن	يظل من اغتدى لي خير راعي
وقد أمسى بكشف الكرب عني	عليه معولي وله انقطاعي
أغثني يا ابن خير الرسل مما	دهاني من زمان ذي خداع
وخذ بيدي وان عظمت ذنوبي	لدى يوم التقاضي والتداعي (١)

ونلاحظ أن الشاعر يكثر من الحديث عن الأمن النفسي وكأنه كان يحس بخطر داهم عليه فتبدو عليه امارات الخوف والهلع والاضطراب ولعل ذلك انعكاسا لما كان يعصف بعائلته من خلافات وكأن الشاعر قد اتصل بالامير عبد القادر الجزائري فمدحه بقصيدة جاء فيها :

فذاك امير الاكرمين وفخرهم	بحلق عبد القادر العلم السامي (٢)

أما الشاعر محمد سليمان جواد فقد طمس السيد محسن الامين من أشعاره كل ماليس له علاقة بآل الامين اذ ذكر له ٣٨٩ بيتا كلها في مدح ورثاء آل الامين .. والشاعر قد عاش في كنفهم وأخلص لهم الحب ومع هذا فقد كان الأحرى بالعلامة الامين أن يقدم لنا نماذج مختلفة من شعر الشاعر . ومما يذكره السيد محسن الامين من شعر شاعرنا ما قال عنه انه في مدح " ابن عمنا السيد محمود علم قدومه من العراق الى جبل عامل

---

(١) الديوان ص ٢٣٥
(٢) الديوان ص ٢٩٤

سنة ١٣١١ هـ وهما علي ومحمد وقد بدأ الشاعر على طريقة القدماء :

مابال دمعك من فوق الخدود همى | فهل شجاك خلو السفح من أضم
أجل بواعث وجد بين أضلعه | بمثن أدمعه كالوابل السرتم

ثم يستمر الشاعر في النسج على هذا المنوال والعزف على هذا النغم الجميل فتشعر وأنت تقرأ القصيدة انها من وجدانه ولا علاقة لها بالمدح من قريب أو بعيد وانما هي من لواعج قلب مشبوب بالعاطفة والرقة واللطف الى أن يتخلص بعد عشرين بيتا كأحسن مايكون التخلص الى قوله في مدحهما :

قل للسماء اذا ماناخرت شرفا | بالنيرين وأبدت كبر في عظم
انا لفي غنية عن نيريك عن | سنا ضيائهما يمحو دجى الظلم
بدران قد بزغا في "عامل" فجلا | سناهما من دجى أفاقها الدهم

وفي مدحه لأحدهما :

اذا احتبى خلته مما تهيبه | أطل من ربا عال من العظم
كأنما علمه يخفى تجهمه | فليس تلقاه حينا غير مبتسم
بنو الأمين شادوا لسؤددهم | للعز سور فخار غير منهدم
تبيت تهجز هجر القول ألسنهم | فليس تنطق الا باهر الحكم
وانما كرم الاجداد حدبهم | سعيا الى كرم الاخلاق والشيم (١)

ولا يخفى مافي ذلك من تأثر بالشاعرين الفرزدق وأبي تمام . وللشاعر في مدح آل الامين شعرا كثيرا كما قلنا .

اما الشيخ محمد رضا الزين (١٣٦٦ هـ) فانه يمدح أحد أصدقائه فيقول :

ولو كنت ممن ينيفى أخذ أجرة | على المدح لانهالت على سحائبه
ولكنني والشعر ليس بحرفتي | أنزه شعري أن يذل جانبه (٢)

---

(١) الاعيان جـ ٤٥ ص ١٨٢ .
(٢) الاعيان جـ ٤٥ ص ١٢٣ .

وان شغف العامليين بأهل البيت ومن يمت لهم بأدنى صلة فلا يوصف وسنفرد فصلا خاصا للمدائح النبوية تدرج تحتها مدح الرسول (ص) وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم جميعا • والعاملي بطبيعته يستعذب الاطراء والثناء على كل من يدعى أنه من تلك الدوحة الشريفة ويصدق بمواطفه ولذلك هللوا لثورة الشريف حسين والملك فيصل • ولما كنا أدرجنا ذلك فى الوطنيات والقوميات لما تمثله تلك الثورة فى تاريخ الامة العربية فاننا لن نتوقف عنده الآن • ومن هذا المنطلق أحب العامليون الملك عبد الله وولده طلال وحفيده حسين وهذا لايعنى أن العواطف بقيت جامدة فكل هذه الاعتبارات قد تغيرت بعد الخمسينيات مع الثورة السياسية القومية التى اجتاحت عقول الشباب العربى وعواطفهم بوجه عام •

فمحمد على الحومانى الذى عرف بهجائه للسلطات الحاكمة كما عرف بقلة مدائحه نراه يقف على مائدة الملك عبد الله منتشيا من عزة الموقف وينشد :

أفضل أيام حياتى التى	أنشدها يومى على المائدة
مائدة كف أبى نايف	تملى عليها سورة المائدة
معبودة الايدى اذا أومأت	خرت أيادينا لها ساجدة
خولها فوط الندى مرقسا	قد وصل الحمد به ساعدة (١)

ولكننا كما نرى ليس بها من زخم العواطف ما يلفت النظر وكان الشاعر قد تخصص فى الهجاء فقط • وممن مدحوا الملك طلال الشاعر سعيد فياض الذى يقول :

---

(١) ديوان الشاعر ص ١٠٠

مولاى ياقبس المروءة والعلا
ومظفر الاعلام والرايات
يامن تسردى المجد فى أردانه
متحديا غير الزمان العاتى
كم فى سجلات الخلود مآثر
غراء تملأ أروع الصفحات
خطت بكف جدودك الصيد الألى
ملأوا فيافى المجد بالآيات
رفعت عليك فأعقبتك صفاءها
ورنت اليك تحن للهمسات
أحفيد أمجاد الرسول شجاعة
وعدالة وهدى وطول أناة (١)

أما عبد الحسين عبد الله الذى تعودنا سماع المدح منه فانه يثير فضولنا واستغرابنا عندما نسمعه يمدح أهل الحل والربط فى سوريا .. ولأمر ما جدع قصير أنفه .. يقول الشاعر فى قصيدة له بعنوان " توأم " :

عهد عز عهد هذا التوأم	الهمام المصلح وابن المردم
كل تصريح بليغ منهما	مدفع دوى بمسرح الأمم
بطلان اتفقا فانطلقا	لفؤاد الصعب مثل الأسهم (٢)

وليت الامر كان سخرية وتهكما كما عودنا الشاعر عندما كان يهجو الزعماء وتكاد الصورة العابثة تسيطر على الابيات المتقدمة لولا أن الشاعر يعود للقول بعد حديثه عن قرارات مجلس الأمن بخصوص استقلال سوريا ولبنان :

حكم المجلس بالحق لنا	وهو لولا سعيهم لم يحكم
واتفقنا ومشينا الموغى	بمساعى صلحنا المحترم

---

(١) حصاد الاشواك ص ١٨٠

(٢) حصاد الاشواك ص ١٨٠

ثم انظر معى بعد ذلك الى هذا القول المهلهل الواهى الذى يسخر من نفسه :

لم تضع منا فلسطين فدا جيشنا المنصور تحت العلم
ماخسرنا الحرب فى ساحاتها اذ ربحنا عبقرى النغم

والاسخف من هذا تلك المعادلة :

قد يكون الجبن مدعاة العلا ويكون النصر للمنهزم
رحلة الصلح المفدى رفعت أرأس الحرب لعالى القمم

ويحس الشاعر بمرارة الواقع واستخفاف الناس بأقوالـه فيدافع عن وجهة نظره دفاعا ضعيفا متهالكا فيقول :

لاتقل مانجحت أعماله هى فى أولها لم تختتم
لاتلوموا الصلح بالغيب ولا ترشقوه بمرير التهم (١)

ولعل طبيعة الموقف قد فرضت على هذا المديح ضعفه وتهالكه فالممدوح لايستحق المدح والشاعر غير مخلص فى مدحه فهو متكلف فجاء شعره واهيا كبيت العنكبوت فأى نصر ذلك الذى يتحدث عنه وأى بطولة تلك التى أضفاها على رجلين لم يصنعا من البطولة شيئا ؟ حقا ان الشاعر قد خرج عن مألوف عادته وشذ عن طريقته التى ألفناها منه .

أما محمد كامل شعيب العاملى — صناجة جبل عامل — فان مدحه كان تقليديا وقد نجح فيه نجاحا كاملا وكأنه قد خلق ليكون مداحا تقليديا .. نظم الشاعر منذ العقد الاول للقرن العشرين وعلى طريقة القدماء وقف العاملى على أبواب الملوك والامراء فدحهم ونال أعطياتهم .. مدح أمام اليمن وملوك نجد والحجاز والعراق ومصر والاردن والهند وجاب الاقطار حاملا اليها رسالة الشعراء القدماء .. فعندما دخل الحسين بن على عمان سنة ١٩٢٤ م بعث اليه العاملى بقصيدة رائعة مطلعها :

---

(١) حصاد الاشواك ص ١٨٠

طلعت كبدر فى الدجنة كامل | تلوح بآفاق العلا والفضائل
تعاليت من مولى تعاظم قدره | وملك بأبراد الخلافة رافل

ومنها :

اليه انتهى أمر الخلافة اذ غدا | لأعبائها فى يعرب خير حامل
وتلك رجال العرب حولك حوم | تميل كنشوان من السكر مائل

ثم نراه وقد تغلبت عليه النزعة العلوية على عادة شعراء جبل عامل فيقول :

فياسيدا من آل طه وحيدر | جرى حبه مجرى دمى فى مفاصلى

ثم يبايعه باسم اهل جبل عامل ويقول :

اليك مليك العرب منى بيعة | مباركة من أهل صيدا وعامل

ثم يرى الشاعر فى الملك حسين منقذا حقيقيا لخلافة المسلمين :

فكم عاث فيها الماكرون وأفسدوا | وكم قيدوا آسادها بالسلاسل
وكم أعدموا ليثا هزبرا سميذعا | لوصمة واش أو للوشة عاذل
أجل فاهتفوا باسم الحسين جميعكم بنى يعرب عن كل حاف وناعل (١)

والقصيدة طويلة يحرض الشاعر فيها العرب على السير فى ركاب الحسين ويدعوهم فيها لحمل السلاح من أجل نصرة القضية العربية التى قام الحسين من أجلها وفيها الكثير من التفاؤل والاعتزاز بالنفس ومرة أخرى يمدح الملك حسينا عند دخوله عمان سنة ١٩١٤ فيقول من قصيدة :

هذى الاسود أسود الله من مضر | وافت تحييك من بدو ومن حضر
طلت لك الهبوات السود وانقشعت | دجى الهموم وولى طائف الكدر
والقوم آنئذ من كل مبتهج | شوقا الى سيد البطحاء مبتدر

ثم نراه بعد رحلة طويلة مع الملك فى قصيدته يؤكد على نسب الملك الهاشمى فيقول :

---

(١) الحماسة ص ٣٣

فاهنأ بما شدت للعلياء من أسس — ياابن النبي وما أدركت من وطر
يلذ ذكرك في سمعي ولا عجب — فان ذكرك مل‌ء السمع والبصر
وكيف يبرأ من آل الرسول فتى — الا الذي هو من آل الرسول برى

وقد يكون هذا أحد أبرز الاسباب التي حدت بالعامليين للوقوف الى جانب الملك حسين ومدحه والاخلاص له فهو هاشمي نسبا وهم هاشميون مذهبا وتحزبا وان كان هو على مذاهب السنيين فلا ضير لديهم ماداموا متفرعا من الدوحة النبوية الطاهرة . ثم نراه يدعو العرب لمبايعته :

ويابني يعرب هبوا لبيعته — فبيعة الغير لم تربح سوى الضرر

أما التجزئة فيقول عنها :

لم يجد لبنان مارامته قادته — بالامن من صغر في الاسم او كبر
ولم تفز سوريا بنيل مبتغى — غير المذلة والخذلان والضرر
وكيف تثمر في الاوطان تجزئة — أمسى لها الشرق طرا عرضة الخطر

واخيرا يختتم قصيدته بقوله :

قصيدة من بديع الشعر محكمة — بابن النبي حسين خيرة الخير (١)

وينفى الزعيم المصرى سعد زغلول الى جبل طارق ١٣٤١٠ هـ فتثور ثائرة الشاعر وينظم في ذلك قصيدة جاء فيها :

ان لم يكن لك في الاقدام اقران — ففي علاك سنلم الفخر بزدان
وان دهتك من الاقدار داهية — خفض عليك فان الدهر خوان
فمن سمت فيه للعلياء عن كلف — قوادم العزما انتابته احزان (٢)

---

(١) الحماسة ص ٥٧
(٢) كان ذلك عام ١٩٤٦

ثم يتحدث عن ظروف نفى الزعيم المصرى وخيبة الوطن العربى من ذلك وتطلع الشعب المصرى الى عودة زعيمه .

ويفر الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الى أوربا بعد ماطرد من العراق وتركيا وايران أثناء الحرب العالمية الثانية فيحزن العامليون لذلك وما أن يعلموا بعودته حتى يهبوا لزيارته مهنئين زرافات ووحدانا ويكون العلامة الشيخ سليمان ظاهر على رأس بعض هذه الوفود (١) فيلقى فى حضرته قصيدة طويلة جاء فيها :

أعن فلسطين يقصى عن فلسطين ... عنها بها تدفع البأساء والهون

وثان " ويزمن " أولى أن يقيم بها ... منه وصنواه حاييم وروبين

ومن بين قومهم من فى مساوئهم ... أيامهم وهى من أسوائهم جون

ويهاجم بعد ذلك الغربيين ويستنهض هم العرب متوعدا اليهود ممنيا النفس بعودة صلاح الدين وأمثاله :

فى كل عصر صلاح الدين يدفع عن ... حمى البلاد ومنصور ومأمون

ماضر " لندن " لو لم يغو ساستها ... رأى "لبلفور" بادى الوهم مأفون (٢)

أما بولس سلامة فكان نفسه فى الشعر كنفسه فى تحمل الآلام التى رماه المرض أسيرا لها وأقعده فى الفراش حتى الآن ومنذ اكثر من ثلاثين عاما وهو تحت مباضع الجراحين .. وهذا يجعلنا نقف مذهولين أمام الصمود النفسى المعجز .. فماذا يكون لون المدح عند أمثال بولس ومن يمدح ؟

أيكون الصدق المغلف بالعواطف أم الصنعة التى يدور حولها النفاق وماهى المصلحة من ذلك ؟ أم يكون من عرفان الجميل وتسجيل له فى سجل الخلود لاولئك الذين وقفوا الى جانبه واستجابوا لدعوة الألم وساهموا بعلاجه ؟

---

١) كان ذلك عام ١٩٤٦

٢) فلسطينيات صـ ٦٨

في الحقيقة لا أدري أين وكيف أصنف مدائحه وهي محدودة وان كانت من النوع الرفيع الخالد ولكن على أية حال فلابد من الاشارة الى أن حكام السعودية قد ساعدوه في العلاج .. ومن هنا استمد الشاعر ملحمة " عيد الرياض " ولا نستطيع في هذه العجالة الا مجرد الاشارة الى تلك الملحمة دون التعرض اليها بالشرح والتحليل يقول الشاعر في مقدمة الملحمة :

" اتشرف بأن أرفع الى صاحب الجلالة المعظم الملك فيصل بن عبد العزيز الملحمة التي هو أحد أبطالها وهي ملحمة آل سعود أو ملحمة العرب .

وبحسبي ثوابا أن يتفضل صاحب الجلالة فيتلقاها بعين الرضا "

وهكذا نفهم الملحمة من عنوانها فهي في مدح آل سعود وتعتمد على سرد الحقائق التاريخية مشوهة حينا ومستقيمة أحيانا أخرى اذ أنها تروى تاريخ هذه الاسرة وقصة صراعها مع أشراف الحجاز من الهاشميين وغيرهم من القبائل وآل الصباح في الكويت وكيف تغلبت تلك الاسرة على سائر الأسر والقبائل وكيف توصلت الى سدة الحكم وكعادة أصحاب الملاحم فان الشاعر يضيف الى الأحداث كثيرا من خياله الخصيب وينسب لهم شهامة ماعرفوها وبطولة ما أحسوا بها فيجعلهم أبطالا كآلهة اليونان مامسهم دنس قط فهم يعاملون أسراهم بالحسنى ولا يعتدون على الحرمات وينهجون على نهج الرسول متقيدين بالقرآن الكريم شجعانا لايبيتون على الضيم وأباة لايرضون الهوان وهكذا .. وعلى كل حال فالملحمة تتألف من سبعة آلاف بيت كما جاء في مقدمتها النثرية أما مقدمتها الشعرية في مدح فيصل بن عبد العزيز فتتألف من ٩٢ بيتا مطلعها :

خلفت لبنان في دربي الى الشهب   فما تغرب وجداني ولا أدبي

والملحمة قصيدة طويلة النفس كما هو معلوم وموضوعها البطولة وهذا هو الواقع في ملحمة شاعرنا بولس سلامة التي يقسمها الى فصول يبلغ عددها ٣٨ فصلا ولكل فصل روى مستقل وأول فصل فيها عنوانه "احلام الجزيرة" ومطلعها :

غلغل الليل واستطال الشقاء   وادلهمت في المشرق الارجاء

ولا شك أن الكثيرين من النقاد يستكرهون مثل هذا المطلع غير أننا لسنا هنا بصدد النقل بل الاستعراض • وعلى كل حال فان الملحمة تعتبر بحق ثاني ملحمة عربية في المدح بعد ملحمة " عيد الغدير " للشاعر نفسه •

وهكذا فاننا نحس روح العامليين تسرى في مدحهم فهم لايتخلون عن الروح القومية ولا عن النفحات الهاشمية كعادتهم وكل ذلك يسرى في دمهم •• والحقيقة أن المدح الشخصي الخالص يكاد يكون نادرا في شعرهم •• ولابد من مزجه بالسياسة والدين قديما وحديثا ولذلك نجد صعوبة في فصل المدح الشخصي عن المدح السياسي فكله يدخل في الحماس القومي والشعر الوطني كما سنرى في الفصل التالي •

(ب)

كان للثورة المصرية فعل السحر في نفوس العرب فقد تحولت أنظار العرب جميعا الى القاهرة ولا شك أن هذه الثورة التي قادها الرئيس جمال عبد الناصر قد حولت مجرى التاريخ في وطننا الكبير حيث استقطبت الجماهير وحولت أفكار الشباب وعمقت فيها المفاهيم الثورية والاشتراكية والقومية واحيت في نفوسهم الأمل جديدا قويا في بعث الأمجاد العربية •

وكان العامليون في طليعة أولئك المتعطشين للجديد البناء المتعطشين الى زعيم منقذ وقد أشبع رغبتهم زعيم الكنانة جمال عبد الناصر فوجدوا فيه الزعيم الأوحد والقائد المنقذ المخلص فيمموا أنظارهم اليه وتابعوا تحركاته على جميع الأصعدة باهتمام بالغ وبايعوه من كل قلوبهم ودافعوا عنه وعن أفكاره وتحمسوا له حماسا منقطع النظير وأحبوا لأجله مصر . والشعراء مرآة شعوبهم فانطلقت ألسنتهم في مدح القائد والثناء عليه والاشادة بمنجزاته وأشادوا بمصر وشعب مصر وكانوا كلما أحسوا بخطر داهم على مصر تزداد عواطفهم التهابا ومشاعرهم تدفقا فتأتي قصائدهم عفو الخاطر جياشة بالحب والوفاء .. ولم يزاحم عبد الناصر على قلوب العامليين أحد لا من الزعماء التقليديين ولا سواهم حتى لمعت في العراق انتفاضة الرابع عشر من تموز فرأوا في شخص عبد الكريم قاسم قائدا ثانيا للأمة العربية فأحبوه وأخلصوا له الحب غير أن الحياه بين القاهرة وبغداد تعكرت وكان تعكير تلك المياه صدمة للعامليين كما كان صدمة للعرب وانقسم الناس تبعا لذلك فريقين أحدهما للقاهرة والثاني لبغداد ولكل عاصمة زعيمها ولم يطل عهد قاسم فعاد الجميع الى مصر وقائدها ولو حاولنا احصاء ما قيل في ذلك من شعر وعلى الأخص في عبد الناصر لما وسعتنا المجلدات .. ولكننا سوف نكتفي بالنماذج القصيرة والالماحات التي تتناسب مع هذا الغرض .

كان الشيخ سليمان ظاهر الذي عاصر الثورة العربية مع بداية هذا القرن وشهد صراع الامة مع الاتراك والفرنسيين وعملائهم ما يزال على قيد الحياة حتى أوائل الستينيات وهو الذي دخل السجون وعانى الأمرين من أجل وطنه وأمته فلما ترامت الى مسامعه أنباء الثورة المصرية استبشر خيرا وامتلأ قلبه أملا وسعادة ولما أمم عبد الناصر قناة السويس أيقن الشاعر أن الأمة تشهد بعثا حقيقيا وان الرجل صادق في حب بلاده وأمته ولما شن المعتدون حربهم القذرة على مصر عام ١٩٥٦ م آمن الشاعر أن الرجل صادق في مطاردة المستعمرين فحمل شبابته وعزف آخر الحانه فكانت الحانا وحدوية

قومية اسلامية وأخذ يبث قصائده جياشة بالعواطف عامرة بالحب زاخرة بالدروس المستفادة من التاريخ والتجارب وأصدر مجموعة شعرية وأطلق عليها اسم " الجماليات " زين غلافها بصور ثلاث الاولى للرئيس عبد الناصر والثانية لجامع الازهر والثالثة للاهرام ويظهر لنا بوضوح وجلاء ماترمز اليه تلك الصور ومطلع احدى هذه القصائد :

يامصر لاتأسى فربك كافل   أن لاتروعك للعدو جحافل
ثقى بأن سيحوط ملكك ثابتا   نصر من الله المهيمن عاجل

وكان الشاعر قد نظم تلك القصيدة قبل الثورة ولما بزغ فجر الثورة أضاف اليها ومما أضافه :

ومشى جمال للجهاد بفتية   مافيهم الا الكمى الباسل

ويختمها بقوله :

فاسلم جمال لمصر حارس ملكها   ولأنت فى برد السعادة رافل

وله من قصيدة نظمها عام ١٩٥٦ م :

يامصر نيلك مخصب بالصيد   وبكل مرهوب اللقا صنديد
كالخصب فى واديك مخضل الربا   فى قائم من نبته وحصيد

ثم يشيد بموقف الاتحاد السوفياتى فيقول :

يامنة للسوفيات عظيمة   مكتوبة لهم ليوم خلود
هرعوا لنصرك حاشدين قواهم   لتذيق خصمك غصة الرعديد

وله من قصيدة أخرى يحيى فيها ثورة الجزائر ويشيد بعبد الناصر :

الى متى ملتات من الحكم جائر   تسام به بؤس الحياة الجزائر
وفى كل يوم من فرنسة زاحف   لاخضاعها والاسد فيها خوادر

ثم يعدد مآثر العرب وامجادهم الى أن يصل بقوله :

ومن سفه الاحلام اذلال أمة   وفيها جمال وهو للحق ثائر

كمثل صلاح الدين فى كل موقف	جمال بـه رغم المعادين ظافر

وله من قصيدة أخرى :

أمانى مصر لاتنوء بها مصر	وايسيرها ما ينوء بـه الدهر

ثم يتحدث عن وحدة مصر والسودان :

وما مصر والسودان والله جامع	لشملهما يسطيع تبديده غمر

أما جامعة الازهر :

وازهرها والجامعات كأنها	تفيض عليها النور أنجمها الزهر
وعنها صلاح الدين فى كل فترة	حسام ومشدود لمصر بها الازهر
كمثل جمال ناصر الدين من به	استرد لها استقلالها والاباء المر (١)

وتوضع دواوين مختلفة للشعراء مختلفين فى الاشادة بعبد الناصر فتطبع الشاعرة سكينة العبد الله ديوانا تهديه الى جمال عبد الناصر وقد أشرنا اليه سابقا وفى " معركة القناة " ينظم الشاعر حسن صادق قصيدة فى مدح عبد الناصر مطلعها :

جمال العروبة يامشحذ العزا	ئم مرهفة النصل
وملهب فينا الحمية تغلى	الصدور بها غلية المرجل (٢)

أما المرأة العاملية فانها لاتقل حماسا عن الرجل فى تأييدها للثورة المصرية والوحدة العربية فتنطلق السيدة زهرة الحر الى جانب الرجل وتهب متجشمة متاعب السفر الى دمشق ضمن الوفود العاملية التى أمت العاصمة الأموية مرحبة بالقائد جمال عبد الناصر بعيد اعلان الوحدة وتقف أمام الرئيس لتلقى بين يديه قصيدة مطلعها :

هنئينا بالوحدة العربية	واسعدينا فى عزة قومية
ودعينا نشق فى عالم المجد	طريق الحياة والحرية

(١) القصائد الجمالية للشاعر مطبعة العرفان — صيدا
(٢) سفينة الحق للشاعر ص ٥٩ /منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت

واهنأى مصر فالوجـود ضيـاء وعـبير ونفحـة قد سبيـــة

ومنهـــا :

طاب فيك الراعى على ضفة النـ يـل وطابت يامصر فيك الرعية
وتهادى جمال فالكون دنيـا من جلال الاقدام والعبقرية

ومنهـــا :

وجمال يقود بالطلعة الغـراء ركـب الجهـاد والوطنيـة
بايمته البلاد مصـر وسوريـا فرحـى للبيعـة اليعربيـة (١)

وعلى العموم لم يبق شاعر عاملى الا وأعمل ريشته فى رسم المشاعر الوطنيـة وغمس مداده فى مدح الرئيس عبد الناصر تلميحـا وتصريحـا وهذا لايعنى أن موجة الحب العارم قـد استمرت مستويـة ولكنهـا انحـرفت كثـيرا لأن العامليـين تأثروا ببعض تصرفات القيادة المصريـة فى العـراق • وانحرف هواهم عن الرجل لانحرافـه عن الزعيـم عبد الكريـم قاسـم الـذى أخلص لـه العامليـون •• الا أن هذه المشاعـر كانـت لاتلبث قليـلا حتى تعـود شفيفـة للرجـل كأحسن ماتكون •

هذا واذا كان العامليون قد أكثروا مـن الاشـادة بالخط الوطنى القومى والتزمـوا بـه فى غالبيتهـم فان البعض منهـم قـد التزموا بالخط المحافـظ وهو مايطلق عليه اسم الخـط الرجعـى فمدح شعراء هذه الاقليات الملـك حسين وفيصل الثانـى ملـك العـراق والملـك عبـد اللـه وطلال وغيرهم •• كما مدحـوا الزعماء المحليين من العامليـين •

وكان ممن مدحوا الملـك عبـد اللـه الشاعر محمد على الحومانـى عند مـا كان منفيـا فى الاردن وقد دعـاه الملك الى مائدتـه فكان ما قالـه الشاعر :

---

(١) قصائد منسية للشاعرة زهـرة الحـرص ١٢٠ •

أفضل أيام حياتي الـتي | أنشدها يومي على المائدة
مائدة كف أبـي نايف | تملى عليها سورة المائدة
مبسوطة الأيدي فان أومأت | خرت أيادينا لها ساجدة
خولها فرط الندى مرقا | قد وصل الحمد به ساعده (١)

وهي كما ترى باردة العواطف لا رونق فيها ولا ماء وهي وصف لتلك المائدة ناهيك عن كونها قصيدة مائدة فليست اذن من المدح بشيء بل تدخل في المجاملات السطحية .

أما الملك طلال فقد وجد من العامليين من يمدحه ومما قيل في مدحه ماقاله الشاعر سعيد فياض وقد أشرنا اليه في غير هذا الموضع ومنه :

مولاي ياقبس المروءة والعلا
ومظفر الأعلام والرايات

ومنها : شرف العروبة أن تكون مليكها
وملاذها في زحمة العثرات
فالمكرمات بغير بابك لم تقف
جذلى توزع رائع البسمات (٢)

اما الشاعر كامل سليمان قد مدح الملك حسين بقوله :

حيوا معي ملكنا مفدى | فاق الجدود علا ومجدا
حيوا الحسين وقد تصدى | للعظائم واستعدا
قد شلم قرصنة العلوج | وذاق ظلمهم الأشدا

ومنها : قال ارتحل عنا غلوب | فذا أوان الجد جدا
ضحا به عارا تقادم | كان فيه الشعب يردى
وأطاش حلم الانكليز | وكان خصمهم الألدا (٣)

---

(١) ديوان الشاعر ص ٤٠
(٢) براعم لسعيد فياض ص ١٠٠
(٣) العرفان م ٤٤ ج ٦ آذار ١٩٥٧ ص ٥٩٠ .

والقصيدة كما نرى نظمت بمناسبة طرد " جلوب " من الاردن التى هلل لها كل العرب وأشادوا بها .

وهكذا فان العامليين كانوا حاضرين فى كل مناسبة ومدحوا الا أن مدحهم ماكنا لنشتم منه رائحة الذات والمصلحة وانما كنا نلمس فيه حسا وطنيا صادقا ومدا قوميا عارما لاتقف فى وجهه المصالح الشخصية .

xxxxxxxxxxxxxxxx

الشعر الديني

المدائح الدينيـــــة

هي لون آخر من الوان المدح وتختلف عن غيرها بانها اكثر صفاء وصدقا والتصاقا بالقلب وقد صاغها العامليون من شغاف قلوبهم وصفاء نفوسهم فهم لا يرتجـــــون من ورائها نفعا ماديا ... فجاءت معبرة تعبيرا صادقا عن خلجات افئدتهم .. وتكاد تلك المدائح ان تكون المحرك الاساسي لقرائح العامليين .. فحب آل البيـــت داخل في عقيدتهم وبالتالي فان مدح الرسول وآل بيته قد جاء مزيجا من العاطفـــة والايمان ...

هكذا كان العامليون في شعرهم الديني يمجدون الرسول والكتاب والسنـــة ثم يعرجون على أهل بيت الرسول الكرام ابناء بنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين .. الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة سبطي الرسول وريحانتي هذه الامة ثم يأتي بعدهم الائمة الاثني عشر من ذرية رسول الله (ص) .

والذي زاد من رهافة مشاعرهم وصدق أحاسيسهم مأساة أهل البيت في كربلاء فهم يعيشون احداثها كل عام حيث يتم احياء هذه الذكرى الحزينة عن طريق اقامـــة حفلات التأبين ومآتم الحزن والحداد ثم التمثيل الحي كما ذكرنا في غير هذا الموضع . وفي هذه الايام يبكي الشيعيون عموما بكاء مرا صادقا على الحسين وأنصاره وكلهـــم ندم وكأنهم كانوا معه يوم الطف ولم ينصروه .. وقد كانت تلك العواطف تتفاوت مـــدا وجزرا وقسوة ولينا وعمودا وتحررا .. سلبا وايجابا وكثيرا ما كانت تذهب في غير طريقهـــا متطرفة بعيدا عن الجادة .. وكان من علماء الشيعة العقلاء من يعملون على تصعيد هذه الاحتفالات بالمعنى العلمي لكلمة التصعيد فيستغلون تلك الاحتفالات للدعـــوة الى النضال ضد الظلم والطغيان .. حمل السلاح في وجه المستعمرين الغاصبين .. ثم العمل على توعية الجماهير وقد شارك في هذا الاتجاه الكثير من العلماء السنيين والشيعة معا الى جانب بعض شعراء المسيحيين مثل العلامة السيد محسن الأمين ، السيد عبدالحسين شرف الدين والشيخ على الزين والشيخ محمد جواد مغنية ، والعلامة الشيخ عبدالله العلايلي (وهو من السنيين) وبولس سلامة ، فؤاد جـــــردا ق

(الاول مسيحي ماروني والثاني مسيحي ارثوذكسي) وقد حورب هذا الاتجاه من المستفيدين من أمثال آل صادق في النبطية وغيرهم الا ان هذا التيار ما لبث ان سيطر ومازال مسيطرا حتى الآن فابطلت عادات كثيرة كاللطم والتحريض وما شابه ذلك . والذي يهمنا هنا هو كون هذه الاحتفالات مناسبات لالقاء القصائد في مدح اهل البيت فكانت كسوق عكاظ ولم يكن الشعر في هذه المناسبات مقتصرا فقط على رثاء اهل البيت بل كان في الوعظ والارشاد والدعوة لاصلاح المجتمع .. ومهما يكن من امر فان معظم نتاج العامليين في المدح الديني كان يلقى في مناسبة عاشوراء والباقي كان يلقى بالمناسبات الاخرى كالمولد النبوي والهجرة ومولد الامام علي .. ومن الشعراء من جمع قصائده تلك بعدما يكون قد القاها - في دواوين مستقلة وابرز هذه الآثار المطبوعة حتى الآن هي :-

١ - عقر الظباء للشيخ عبد الحسين صادق ويتضمن قصيدتين طويلتين في مدح النبي وآله كما يتضمن قصائد قصيرة اخرى كلها في مدح الرسول وقد قام ولده الشيخ حسن صادق بجمع وشرح وطبع هذه القصائد في " عقر الظباء " .

٢ - المضامير وهو عبارة عن قصيدة طويلة واحدة للشيخ عبد الحسين صادق في مدح الرسول والامام علي والائمة من ابنائه .

٣ - عرف الولاء وهو ديوان للشيخ عبد الحسين صادق في مدح الرسول .

٤ - ملحمة " عيد الغدير " لبولس سلامة وهي غنية عن التعريف .

٥ - مواكب الولاء للشاعر احمد سليمان ظاهر في مدح الرسول وآل بيته الكرام .

هذا بالاضافة الى الروح الدينية التي سيطرت على معظم نتاج العامليين ومئات القصائد الطويلة والقصيرة التي نظمها شعراء جبل عامل في مدح الرسول . والحق ان مدح الرسول وآله كان ملح الجلسات والحفلات والمناسبات عند العامليين والدين سيد المنابر بلا منافس .

لقد عاش العامليون صميم المأساة فوعتها عقولهم الباطنة ونمت في ضمائرهم ووجداناتهم وتجددت في عواطفهم وكنت تحس وانت في عاشوراء بان الحسين قد استشهد لساعته . وقد اتخذ العامليون منه مثالا يحتذى ورائدا يقتدى ومحبوبا

يفتدى فاتخذوا منه عبرة للدفاع عن الوطن والعقيدة وكانت هذه المناسبات تملأهم حماسا وشجاعة . لذلك كنا نراهم في حروبهم في طليعة المقاتلين الشجعان ومن اشعل الحرب ضد الفرنسيين فيما يسمى بالثورة السورية غيرهم (١) ؟ ومن هب لنجدة الملك حسين ومن بعده فيصل من اجل اعادة امجاد الخلافة الاسلامية قبلهم ؟ ومن تصدى للزمرة الحاكمة في لبنان والتي ارادت ان تجعل من لبنان وكرا للتآمر على العرب والمسلمين غيرهم ؟ وبالتالي فمن تصدى للصهيونية سواهم ؟

وكأن العامليين ارادوا ان يمنعوا وقوع كارثة جديدة ككارثة استشهاد — الحسين ... وكما قلنا فقد تطورت الاحتفالات بعاشوراء كما تطورت مناسبة ذكرى الحسين في القاهرة واصبحت مناسبة لحشد الامكانيات والطاقات وشحذ الهمم في مواجهة المد والمتربص بالامة العربية والاسلامية .

عيد الغديـــر

وهي ملحمة طويلة اقترحها على الشاعر الامام السيد عبد الحسين شرف الدين وذلك في اعقاب خريف عام ١٩٤٧ كما جاء في مقدمة الملحمة ولم يستطع الشاعر في ملحمته ان يخضع خضوعا تاما لقانون الملاحم ذلك ان الملاحم تعتمد على الاساطير اما " عيد الغدير " فهي ملحمة تاريخية " والتاريخ حرام على الخيال حتى في الحوادث المادية فكيف به عندما يستند معظمه الى الاحاديث النبوية " كما يقول الشاعر (٢) والذي تتميز به هذه الملحمة هو بساطة التعبير والبعد عن الغريب وكثرة التهميشات .. وهي تدور حول البيت النبوي الشريف وتسرد اخبارهم والامهم وقد استغرق الشاعر في نظمها " ستة اشهر " ثلاثة منها لدرس الموضوع

---

(١) أعلن الدروز في سوريا الثورة على فرنسا بسبب اختطاف أحدهم خنجر من بيت السلطان باشا الاطرش زعيم الدروز وقتله وكان أحدهم من زعماء الثورة الملامسة على فرنسا (راجع كتب التاريخ التي تحدثت عن الثورة السورية)

(٢) عيد الغدير صـ ٨ .

تاريخيا وثلاثة للنظم تخللها ما قد تخللها من الالم الممض الذى يذهل البصيرة (١)

ويجيب بولس سلامة على من يعترض " ورب معترض قال : مابال هذا المسيحى يتصدى لملحمة اسلامية بحته ؟ اجل اننى مسيحى ولكن التاريخ مشاع للعالمين .. اجل انى مسيحى ينظر من افق رحب لا من كوة ضيقة ... مسيحى ينحنى امام عظمة رجل يهتف باسمه مئات الملايين من الناس فى مشارق الارض ومغاربها خمسا كل يوم رجل ليس فى مواليد حواء اعظم منه شأنا وأبعد اثرا واخلد ذكرا رجل أطل من غياهب الجاهلية فاطلت معه دنيا اظلها بلواء مجيد كتب عليه باحرف من نور : لا اله الا الله الله اكبر . (٢)

اما عن اختياره لعلى وسببه يقول الشاعر " فالملحمة كلها جواب عليه " ثم يعلل قائلا " وسترى فى سياقها بمضرعظمة الرجل الذى يذكره المسلمون فيقولون : رضى الله عنه وكرم الله وجهه وعليه السلام، ويذكره النصارى فيتمثلون حكمه ويخشعون لتقواه ويتمثل به الزهاد فى الصوامع فيزدادون زهدا وقنوتا وينظر اليه المفكر فيستضئ بهذا القطب الوضاء ويتطلع اليه الكاتب الالمعى فيأتم ببيانه ويعتمده الفقيه فيسترشد باحكامه . (٣)

يبدا الشاعر الملحمة بقوله فى مطلع اولى قصائدها :

يا مليك الحياة انزل علينا عزمه منك تبعث الصخر حيا

والقصيدة الثانية وعنوانها " الجاهلية " يصف فيها حال العرب فى جاهليتهم ثم قصيدة عنوانها " قريش " يتحدث فيها عن هذه القبيلة ثم تتلوها قصيدة اخرى عنوانها " هاشم " يتحدث فيها الشاعر عن ميلاد هاشم واخيه عبد شمس وكيف ان الاعراب والكهان زعموا انه ستسفك الدماء بين الاخرين ثم قصيدة " عبد المطلب " وهو جد النبى ثم " صلاة الاستسقاء " التى كان قد استقى بها الناس مرات عديدة بعبد المطلب " ثم تأتى قصيدة أخرى بعنوان " محمد ومطلعها :

---

١) عيد الغدير ص ٩
٢) " ص ١٠
٣) الغدير ص ١٠ ، ١١

من ترى ذلك الصبي الذي اما يدمع فالجو في اعطاء

مبسم من لآلئ الفجر انقس وجبين كالنجمة الزهراء

حدث الصادق الخبير حديثا سطرته اصابع الشلاء

ثم تتلو تلك قصيدة " ابو طالب " ثم " البعثة " ثم " مولد علي "

ثم " فجر الاسلام " وهكذا تتوالى القصائد متمشية مع التسلسل التاريخي

ومطلع الاخيرة :

وتلا زوجة النبي علي بكر من آمنوا وكسر الخلود

اول المسلمين لله طوعا بكره عند حوضه المورود

وأبوه الحامي الرسول من المسد وان وا لبطش والردى والوعيد

وتداعت فريش للفسدر كالمقيان تسطو بالبلبل الفريد

ويختتم الشاعر ملحمته بقوله :

سفر خير الانام من بعد طه ما رأى الكون مثله آدميا

بلسماء المهدي ويا أرض قري واخفضي انني ذكرت عليا

وتبلغ ابيات الملحمة حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت من الشعر .

عفر الظباء

يتضمن قصيدتين للشاعر الشيخ عبد الحسين صادق عنوان الاولى " عفر الظباء "

وعنوان الثانية " الشمس وبنو عبد الشمس " وكلتاهما في مدح الرسول وأهل

بيته ، مطلع الاولى :

ها راتلمت عفر الظباء جيدها ثم فارصها علك أن تصيدها

سانحة تنغم في مضرد من قنوطها الله يا غريدها

تمرح في البان وما البان سوى قد عليه اسدلت برودها

والقصيدة إلهية في مجملها يخلص الشاعر منها الى مدح الرسول على هذا

الشكل :

ذرني وحج نحو شراة نبذت تعظيم رسول الله او تمجيدها

ثم يقول :

ذرني وخض في فئة اقضيت الها دي وارضت ضلة يزيدها (١)

---

(١) عفر الظباء ص ٤٥ .

ثم يستطرد الشاعر مادحا علي بن ابي طالب واولاده مد افما من وجهة نظره في " عاشوراء " وسوف نتحدث عن ذلك فيما بعد :

اما القصيدة الثانية فيأتي فيها " على وصف الشمس وخواصها وآثارها في الكون ثم يأتي على ذكر بني عبد شمس واتباعهم في الجاهلية والاسلام وما جروه على الاسلام والامة الاسلامية من المنكرات والفظائع (١) ومطلعها :

ابنت الصبح كم ار دبت قلبا ... وكم ادهشت في معناك لبا
بقرنك يا غزالة ما نظمت السما ... فقد رت صلماً جدبا
تستبق للظلماء هزيما ... ولا لكواكب الجوزاء سربا (٢)
جبين الشرق منك احمر لطما ... وجيد الغرب منك اصفر رعبا

المضامير

هي قصيدة واحدة للشاعر نفسه بدوية الالفاظ عربية الاسلوب قيدة الديباجة مطلعها :

هي المضامير ان توجف مذاكيها ... فالبالغ الغاية القصوى مجليها
ما كل راكب رأس حائز سبقا ... كلا ولا كل معطي القوس باريها
ارح هجانك من ادماء أيطلها ... ركلا ومن قرع اصوات بهاديها
هبها جرت بمجري النجب عاقدة ... ذوابة الذيل في اقصى نواحيها

وبعد رحلة قصيرة يخلص الشاعر الى مدح علي فيقول متخلصا :

نعم لمن صحب الهادي وصدقه ... فضيلة لا سواء حظ هاويها
بعض بها فرقد والبعض نجم هدى ... والبعض شمس جرت سبحان مجريها
تنقلت في بروج كلها شرف ... من بدء طلعتها حتى تواريها
ما الشمس تلك سوى الحبر الامام ... الحسي السبطين مولى الورى نصا وهاديها (٢)

وتبلغ القصيدة حوالي ثلاثمائة بيت وقد قام بشرحها ولده حسن صادق الذى طبعها بعد وفاة والده .

---

(١) السرب : الطريق .
(٢) المضامير ص ٦ .

مواكب الفـــــداء

هو ديوان للشاعر احمد سليمان ظاهر يتحدث فيه عن فضائل بيت النبوة وطولة علي وأبنائه ثم يتحدث عن مأساة كربلاء واول قصيدة في الديوان عنوانها " الله " ومطلعها :

يا خير من ملأ الوجـــود عطاءه
وأحاط كل العالمين بنصـــــوره

اما الثانية فعنوانها " محمد " ومطلعها :

هل في البرية سيد كمحمـــــد
غمر الوجود بنوره المتوقـــــد
قمر تلألأ من ذؤابة هاشـــــم
ارسى اللواء على رحاب السؤدد (١)

وعلى هذا الاساس فالقصيدة التالية عنوانها " علي " ثم " الحسن " ثم " الحسين " حتى نصل الى محمد بن الحسن وهو المهدي المنتظـــر .

مدائح نبويـــــة أخـــرى

ولم تقف المدائح النبوية عند هذا الحد فقد نظم العامليون قصائد طويلة ومقطعات كثيرة في مدح الرسول واهل بيته بمناسبة وبغير مناسبة فالشاعر العاملي ينتهز اي فرصة لينفس فيها عن حبه وولائه واخلاصه للدوحة النبوية الطاهـــرة فالشاعر احمد سليمان ظاهر ياخذ من رحلة " الحاج " موضوعـــا لديوان كامـــل يطلق عليه اسم " رحاب النور " (٢) حيث يصف الرحلة ابتداء من صعود الطائرة حتى النزول منها في العودة .. فيقول في اولى قصائدة :

اسرعي في المســير عبر الفضــاء نحو ارض الهدى ومهد الضيـــاء
اسرعي في المسير يا طلعة اليمن وازري بالزعزع النكبـــــاء (٣)

---

(١) مواكب الفداء ص ٢٢ .
(٢) طبعة اولى سنة ١٩٦٩ م في مطبعة حايك وكمال - بيروت لبنان .
(٣) رحاب النور ص ٧ - ١٢ .

واهبطي في الحجاز مفخرة الكون وأسمى البقاع في الغبراء

ثم ينتقل الى " البقيع " حيث مراقد الهاشميين فيقف هناك وقفة يقول فيها :

ايا ربع البقيع طويت نسورا تدلّوا في مجالات الوجود

هوت اعطافه اسمى جياد غوالي بل حوت آيات جود

فهم اقمار هاشم هم سراة وهم غوث المعذب والطريد

محمد جدهم خير البرايا سراج الهدي والأمل السعيد (١)

أما " سفينة الحق " للشاعر الشيخ حسن صادق فهو ديوان قسمه الشاعر الى ستة ابواب وابرز باب فيه الباب الاول وهو في " النبي وآله " وصفحات هذا الباب تبلغ اربعين صفحة تتضمن احدى عشرة قصيدة والقصائد قيلت في مناسبات مختلفة ويحاول الشاعر فيها دائما اخذ العبرة من الماضي (٢) .

اما كامل سليمان فله ديوان اسمه " اشراق " (٣) معظم قصائده في مدح الرسول الاعظم وكذلك فله ارجوزة اسماها " زمام الاحرار " وهي " ملحمة تعالج الاحداث التاريخية منذ عهد الخليفة الثالث الى نهاية واقعة كربلاء مع موازنة بين صلح الحسن وثورة اخيه الحسين " (٤)

وكذلك فللشاعرة زهرة الحر في ديوانها " قصائد منسية " شعر كثير في مدح الرسول (٥)

---

(١) رحاب النور ص ٥٢ .

(٢) سفينة الحق صدر عن مكتبة الحياة بيروت لبنان ١٩٦٦ .

(٣) اشراق : منشورات مكتبة العرفان — بيروت ١٩٦٠ ط ١ .

(٤) اشراق ص ١٦٠ .

(٥) ديوان صادر عن دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٧٠ .

ولم يقتصر مدح الرسول على الشعراء المسلمين من العامليين بل تعداهم الى الشعراء المسيحيين ومن هؤلاء الشاعر نسيم نصر الذى نظم قصيدة بمناسبة عيد المولد مطلعها :

حلم الكون بالنبوة دهـــرا   تتهادى اليه عبر الليالــي
في اسرار من الملاحة فيــه   ملهم الخلق في اهاب الكمـال

وجاء فيها :

يا صباح النبي اسعد صباحا   ما ترى اليوم حالنا في النضـال
اين سيف السماء يدفع حيفـا   ما روت مثله سطور الخيـال
قد جعلت الجهاد درب خلود   ووسام الكفاح حد النصـال (١)

ثم نكتفي هنا بالاشارة الى بعض ما قيل في مدح النبى ومراجعها :

١ ـ ديوان " البشير " للشيخ بشير مصطفى محمود وهو ديوان صغير لا تزيد صفحاته عن ستين صفحة كلها في مدح الرسول وآله (٢) .

٢ ـ قصيدة طويله للشيخ عبد اللطيف فضل الله عنوانها : " في مديح فاطمة الزهراء " مطلعها :

هتف البيان بمولد الزهـراء   سر الوجود وشمس كل سماء (٣)

٣ ـ قصائد كثيرة للشاعر محمد علي الحوماني احداها بعنوان : " يا رسول الله " ومطلعها :

مهبط الوحي صلاة وسلامـا   حرم الدهر ولم تبرح غلامـا
يا قديما لم تزل جدتـــه   قبلة الكائن بدءا وختامـا
كلما ذاق امالية فــم   عبقرى ملء الكون ابتسامـا

نظم الشاعر هذه القصيدة وهو في مصر الجديدة عام ١٩٥٦ م . (٤)

---

(١) العرفان م ٣٨ جـ ٢ صـ ١٢٨ سنة ١٩٥١ .
(٢) ولد الشاعر فى شوكين ـ النبطية ـ عام ١٣٢٤ وتوفى فيها ١٣٦٤ هـ وهو من خريجى النجف ولم يشر الى المطبعة التى اخرجت ديوانه الا ان تاريخ صدوره عام ١٩٤٦ .
(٣) دائرة المعارف الاسلامية الشيعية جـ ٢ صـ ١٢ بيروت ١٩٧٢ السيد حسن الامين .
(٤) العرفان جـ ٢ تشرين الثانى ١٩٥٦ صـ ١٢٨ .

٤ ـ قصيدة للشاعر محمد حسين فضل الله القاطن بمدينة "سوق الشيوخ" في العراق بمناسبة عيد المولد النبوي عام ١٣٧٤ هـ ومطلعها :

يا رسول الحياة نضر قصيدي — بنثار من فجرك المنشود
علني استمد لمحة ذكرات — لجيل يحيا حياة الشريد
واغنية كيف تمت وكانت — بسمة الفتح في فم المولود (١)

٥ ـ قصائد كثيرة متفرقة للمجتهد الأكبر العلامة السيد محسن الامين يوجد قسم منها في الجزء السادس والخمسين من أعيان الشيعة .

هذا ولا نستطيع حصر ما قاله الشعراء العامليون في مدح النبي وآله ولا بد لأي شاعر من تزيين شعره بمدائح من هذا القبيل حتى ينال استحسان الشيوخ واطراءهم وتشجيعهم او يرضي ما في قلبه ووجدانه من لواعج الحب للنبي وآله تدينا وورعا .

ـ ٣ ـ الشعر الديني عامة

اذا كان ما سبق وذكرناه من شعر في مدح النبي واهل بيته الغر الميامين يعتبر شعرا دينيا فهناك شعر ديني من نوع آخر خاض فيه شعراء جبل عامل الا وهو الشعر الديني الخالص كالالهيات والابتهالات والدعاء والشعر الصوفي وما الى ذلك من شعر ديني فلسفي وابرز من برعوا في هذا الميدان الشيخ سليمان ظاهر والسيد محسن الامين والشيخ محمد سليمان جواد وكامل سليمان والشيخ عبد الحسين صادق وزهرة الحر وغيرهم .

نظم الشيخ سليمان ظاهر ستا وثلاثين قصيدة جمعها في ديوان اطلق عليه اسم "الالهيات" وكل هذه القصائد تتحدث عن وحدانية الخالق والبعث والنشور وتدحض حجج المشككين والملحدين ويستدل الشاعر على ذلك بكثير من الادلة القاطعة والبراهين القوية مستعينا بالقرآن حينا والسنة حينا آخر وبالظواهر الطبيعية التي يعيدها الى قدرة الله احيانا أخرى وذلك كالثلج والمطر والممالك الحيوانية والنباتية والموت والحياة ... ومن هذه القصائد

---

(١) العرفان م ٤٤ ج ٢ ص ١٧٦ سنة ١٩٥٦ .

" القصيدة الثامنة عشرة " التي قدم لها بقوله : " من آيات وجوده تعالى طموح الانسان للتغلب على ما يهد من المعجزات ومنها الصعود الى القمر بالاسباب الدالة على المسبب الذي اليه تنتهي " وقد نظمها في ذي القعدة الحرام سنة ١٣٦٧ هـ ايلول ١٩٤٨ . ومطلعها :(١)

هل الطريق الى علياك مختصر | فيرتقي لك راق ايها القمر
وهل تدنس من قدسي مجد لقفي | سماك ما دنست من ارضها البشر
وهل بصاروخهم يدنون من حرم | مقدس لك عنه الفكر ينحسر
ام سوف يرجع منهم ناكصين على الا* | عقاب من دون ما قد خيلوا البشر

الى ان يقول :

من أين يدرك سر الله من بعدوا | عن الاله وفي آلائه تفسروا
ولم يزل سره من الشاعر لسو | عاجوا اليه وردتهم له العبر

والغريب ان الشاعر يتحدث عن محاولات العلماء الصعود الى القمر ومن ثم ينفي قدرتهم على ذلك ما داموا لم يؤمنوا بالله وكأنه يربط بين الايمان والقدرة على اختراق حجب الغيب .

وله من قصيدة اخرى في نفس الديوان يبتهل فيها الى الله قائلاً :

يا رب : اني قد عصيتك عامدا | فلأنت تعلم ما عصيتك جاحدا
اني ومل‌ء جوانحي وضمائري | عرفان ذاتك سرمديا واحدا(٢)

وللسيد محسن الأمين شعر كثير في الالهيات وله في الابتهال :

الهي انت ذو من وطول | نفرج يا اله العرش كربي
دعوتك حين لا أحد يرجى | وحسبي انت دون الناس حسبي
فان أك يا الهي مستحقا | لحرمان الرضى بعظيم ذنبي
فاني عائذ بك من ذنوبي | فسامحني بها وادن بقرب(٣)

---

(١) الالهيات ص ٧٥ .
(٢) " ص ٨٧
(٣) الاعيان جـ ٤٠ ص ١٤٠ .

اما الشاعر الحاج علي الزين (١٢٧٠ ـ ١٣٤٩ هـ) فيناجي ربه قائلا :

الهي عبدك العاصي	مقر أنه الجاني
كبير الجرم اوصلني	الى هلك وخذلان
وأبعدني عن الحسنى	هوى نفسي وشيطاني

ومن الشعر العرفاني الصوفي ما قال الشيخ عبدالكريم شرارة بن الشيخ موسى شرارة العاملي . (١)

سناء جبينك أعشى البصر	فما تملك العين منه الا النظر
تحجب عن ناظري واستتر	وعن خاطري قط لا يحجب

ومنه :

خفيت ولكن بسر اختفاك	ظهرت ألا ضل من لا يراك
وقد شع بالافق واري سناك	أضاء به الشرق والمغرب (٢)

وهكذا نرى ان الالهيات في الشعر العاملي وما فيها من شعر صوفي وابتهال ودعاء لا تختلف بشيء عما ورد من جنسها في الشعر العربي عامة وان كان العامليون قد اضافوا الى البعض منها ملح طعامهم وحلية مجالسهم في ذكر اهل البيت وقد اختصوا به دون سواهم صحيح ان المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يدينون بالحب والولاء لاهل البيت الا انهم قصروا في ذلك عن الشيعة الذين منهم العامليون وجاء مدح أهل البيت عرضيا في شعرهم ...

وأخيرا نحن ما عرضنا الا نماذج قليلة من الشعر الديني عند العامليين واكتفينا به دون المزيد الذي لا ينتهي .

---

(١) ولد في النجف ١٢٩٧ هـ وعاد الى لبنان بعد وفاة والده وعمره اثنتا عشرة سنة فدرس في شقرا ثم في عيناتا ثم التحق بالنجف ١٣١٩ هـ وعاد من العراق بعد عشر سنوات ١٣٢٩ هـ وتوفي في بنت جبيل ١٣٣٢ وهو في ريعان شبابه .

(٢) الأعيان ج ٣٨ ص ٨٧ .

الهجاء فى الشعر العاملى

الهجاء من الاغراض القديمة فى الشعر العربى عالجه شعراء العرب على اختلاف نزعاتهم وتفاوت نبوغهم وشهرتهم ومنهم من برع فيه كالحطيئة الذى بلغ به الامر ان هجا نفسه بعد ان هجا امه،وابن الرومى والبحترى والمتنبى وبشار ... ومنهم من تعفف وصان شعره عن الهجاء كالشريف الرضى وابن الفارض ..

وكان المتكسبون بالشعر يجعلون من الهجاء سلاحا يهددون به الاغنياء والزعماء ويشهرونه فى وجوه اعدائهم فيبادر هؤلاء الى شراء اعراضهم بالمال .

والهجاء تجسيد لعيوب الناس واظهار لها بشكل مضخم ومشوه احيانا وهو كلام بذىء ينطق به الشاعر اذلالا للخصم وامتهانا لنزاهته وهو على العموم تصوير لما يختلج فى نفس الشاعر وتنفيس عنه وهو كذلك تعبير عما يكمن فى النفس من ثورة حاقدة غاضبة عاتية .. ولا يشترط ان تكون الاسباب او الدوافع لتلك الثورة شريفة او غير شريفة والمهم انها سلاح فى يد الشاعر الشرير .

وقد بقى هذا الغرض على حالة ذاتيا دون ان يتطور حتى عصرنا هذا حيث اخذ نجمه فى الافول اذ صدئت شفاره وشرعتاره وشاخ جواده .. ولم تعد له تلك الاهمية فى عالم الادب واخذ فى الاختفاء تدريجيا ليحل محله نوع اخر من الهجاء وذلك ما يعرف بالهجاء السياسى التحريضى او الهجاء الاجتماعى الاصلاحى ... وبمعنى أصح حل محل الهجاء التقليدى نقد سياسى وآخر اجتماعى غايته الاصلاح والبناء .

وقد شهدت الخمسينيات هذا التطور فى الشعر عند العامليين فلم يعد هم الشاعر ان يهجو زعيما او اميرا او رئيسا او ملكا .. لا تهديدا ولا تلويحا او تهويلا بقصد الابتزاز .

ان الهجاء فى واقع الحال موجود غير ان الغاية هى التى انقلبت وتبدلت فى المعنى والمبنى فلم يعد نهشا لاعراض الناس او استدرارا لاموالهم بل اصبح ثورة جامحة مزمجرة مهددة تدعو الى الثورة والتغيير الذى يبنى على اساس هدم الماضى لاعادة البناء من جديد .. فالهجاء اذن قد اصبح قوميا وطنيا اجتماعيا لا يخاف منه

الا العابثون بمصالح الناس وامنهم ومستقبلهم .. انه هجاء يبتعد كثيرا عن حدود التراث ليلتصق بالجماهير .. فتوجه الى العادات الاجتماعية السيئة والتقاليد البالية ...

هذا وقد تعددت صور الهجاء في عصرنا فمنه الثائر الساخر الموجه الى اعداء الشعوب ... ومنه المبطن الذي يعتمد على الكناية والتعريض والتلميح ومنه الساخر وهو مايسمى بالكاريكاتوري .. وهذا الاخير احد انواع الهجاء واكثرها فعالية في الهدم والبناء على حد سواء واكثرها تأثيرا وتلاعبا بعقول الناس ... ذلك انه يدخل القلوب بلا استئذان فتأنس به النفس وتقبله ثم لاتلبث ان تفهمه على حقيقته بعدما يستقر في قرارتها ويختمر في جنباتها فيظهر على حقيقته بعد ما يخلع القناع بلطف وتؤدة .

وجميع هذه الاشكال عالجها العامليون بانامل ساحرة وروح ثائرة وعقول مستنيرة ونفوس متمردة .. فمن هجاء الافراد الى هجاء النظام والدعوة للانقضاض عليه ... ومن التهكم على الزعماء المحليين الى التهكم على العادات والتقاليد لمسحها من الوجود وسوف نكتفي هنا بالتلميح الى نماذج من شعر العامليين عالجوا فيها تلك الفنون في الهجاء حيث ننتقل من الدوافع الفردية الذاتية الى الدوافع والغايات الاجتماعية الشاملة .

ولابد من المحافظة على التسلسل التاريخي عند استعراضنا لاي فن من فنون الشعر ونبدأ بشبيب باشا الاسعد الذي يمثل الشعر العاملي في فجر القرن العشرين . كان بين شبيب باشا الاسعد وبني عمومته احن واحقاد وكان شبيب شاعرا وله شعراء يذودون عنه وكذلك كان لبني عمومته وعلى رأسهم تامر الاسعد شعراء .. وجرى تبادل الهجاء بين القوم وقد عثرنا في ديوان شبيب باشا الاسعد على قصائد كثيرة في الهجاء الا انه لايذكر الاسماء ويكتفي بالتعريض . وقد سار في هجائه على طريقة القدماء في الشتيمة والقاء التهم ومن ذلك قوله :

اقل وفاء منه في الخلق لم يكن .. واتبى ودا منه مانظرت عيني
تراه نطوقا من لسانين كاذبا .. وتراه من فرط النفاق بوجهين (١)

---

(١) ديوان شبيب ص ٣٠٧

وكما انقسمت عائلة الاسعد الى فريقين سياسيين فقد انقسم معهما شاعران مناسرة واحدة من آل شمس الدين فكان الشيخ محمد حسين شمس الدين من شعراء شبيب اما الشيخ على مهدى شمس الدين فمن شعراء كامل الاسعد • وينظم شبيب قصيدة يعرض فيها بابن عمه كامل الاسعد فينبرى الشيخ على مهدى للرد بقصيد تخلس لسان كامل وقد اقذع فى قصيدته وهنا يأتى دور محمد حسين شمس الدين فمن عساه يهجو ؟ فهل يهجو كامل وهو يخشى فى ذلك انينال هجاءه شبيب لان الرجلين من شجرة واحدة ؟ أم يصمت وفى ذلك قعود عن نصرة سيده ؟ ثم يفضل اخيراً الرد ولكن على ابن عمه فيهجوه قائلا له من قصيدة :

اذا ما التقى الليثان فى ساحة الوغى ... وكل على كل جرى مشبح

فمن سفه ان ينبح الكلب ضيغما ... وينطح ذا روق لدى الروع اقرع (١)

وكان الشيخ على اقرع الرأس • وهو يلومه ويؤنبه على دخوله بين الاهل والانداد •

ويتقدم بنا الزمن قليلا فيشهد جبل عامل احداثا جسيمة ابتداء من الحرب الاولى وما جرته على الجنوب ومرورا بثورة العشرين على الفرنسيين ثم " حكاية " الاستقلال فتحكم الزعماء المشبوهين وما شابه ذلك ويشهد جبل عامل مع هذه الاحداث مجموعة من الشعراء الثائرين على رأسهم الجوهانى وعبد الحسين عبد الله وموسى الزين شراره وكان هذا الثالوث من اشهر شعراء الهجاء وقد ركزوا جميعهم على الزعماء والرؤساء — فعروهم تعرية تامة امام الجماهير وكشفوا تواطؤهم وتعاونهم مع الدخلاء الا ان الذى نأسف له اشد الاسف ان احد هؤلاء وهو موسى الزين شراره لم يطبع نتاجه ولم يجمعه برغم انه قد نشر معظمه فى الصحف والمجلات فى كل من مصر ودمشق وبغداد وبيروت وقد ألقى معظمه فى مناسبات مختلفة وقد استلمت منه شخصيا نتاجه مخطوطا • اما عبد الحسين عبد الله فقد حذف من ديوانه " حصاد الاشواك " معظم هجائه بعد ما تركه على ألسنة الناس فى جبل عامل يتناشدونه فى جلساتهم الخاصة والعامة • أما الحوماني وهو اجرؤهم على الاطلاق فقد تجرأ وطبع ديوانه " فلان " فدان جزاؤه الطرد بعد ما حكم عليه رياض الصلح بالاعدام ثم خفف هذا الحكم •

وسنستعرض باختصار نماذج من هجاء هؤلاء • فعبد الحسين عبد الله المنحدر من عائلة اقطاعية يشهر سيفه في وجه الاقطاع ويتمنطح للهجوم على احمد الاسعد فيهجوه ومر الهجاء • وتسقط فلسطين عام ١٩٤٨ م ويسقط معها الشريط اللبناني المحاذي لها • فتثور ثائرة الشاعر ويتهم احمد الاسعد باعتباره احد كبار المسؤولين بلبنان يتهمه بالتخاذل والنفاق ويشمت به عندما يهدم الصهاينة بيته في الطيبة ويهدمون ضريح والده الذي بلغهم احدى مزارعه " المنارة " فيقول له :

يا قائد العشرين ألف مجاهد — نسفوا مقرك يا جناب القائد
ما للاشاوس عندما ناديتهم — للذود عنها ما ظفرت بواحد
ليست رجالك للحروب وللوغى — فهم رجال ولائم وموائد (١)
قد فر جندك واليهود وراءهم — " حولت " جنودك من عيون الحاسد

غير ان الناس تحفظ وتروي من القصيدة هذين البيتين على هذا الشكل فتقول :

يا قائد العشرين الف مجاهد — نسفوا ديارك مع ضريح الوالد
زعموا بانك كنت اكبر خائن — كذبوا وبيع الارض اكبر شاهد

وفي ذلك اشارة واضحة الى ان احمد الاسعد وابوه قد باع المنارة لليهود ونرى الشاعر العبد الله يهجو كثيرا من الزعماء على هذا النمط • أما موسى الزين شرارة فلا يختلف عنه في نقمته على الزعماء وكما قلنا سابقا كانا مع الحرماني يشكلون مدرسة واحدة في الشعر • ولما كان من الصعب ان نعتمد على المطبوع من شعر شرارة فاننا سنكتفي بالاشارة الى المخطوط منه • فشرارة لا يترك فرصة الا ويسخرها للهجوم على زعماء الاقطاع في الجنوب • هاجم " رجال الاستقلال " وهاجم الانتداب ومعه الاذناب • • سجن وشرد من اجل تلك الجرأة والشجاعة • شن الصهاينة هجوما على بلدة حولا اللبنانية عام ١٩٤٨ ودمروها تدميرا كاملا بعد ان قتلوا كل من وجدوه فيها من الشباب والاطفال وتمر المأساة على مسامع وعقول المسؤولين مرور الكرام فيغضب الشاعر غضبة مضرية ويصرخ باعلى صوته :

---

(١) حصاد الاشواك ص ٩٥ •

دع ذكر أشلاء الشباب بحـولا ... وانس الايامى والدم المطلولا
وانس فلسطين الذبيحة والـذى ... عنها وعن آلامها مسـؤولا

وعدان يتحدث عن جبل عامل واهله ومايعانونه من بوءس وشقاء وحرمان ينـدد برجال الاقطاع فيقـول :

يسقى اخو الاقطاع رشح جباهـم ... نبت الكروم ويشربون وحـولا
واسأل زغيما للذين تحـدروا ... من كل شهم فى الوجود سليـلا
من كاد يصبح كالمسيح مخلصـا ... اوهاديا لمحمـد ورسـولا

الى ان يقـول :

رب وان باع اليهود ديارهـم ... اوبات للمستعمرين عميـلا
ان داس فوق الارض خروا سجدا ... كى يوسعوا اقدامه تقبيـلا
واذا تكرم مرة بزيـارة ... تلقاه فوق روءوسهم محمـولا
وترى سوامـا خلفه وامامـه ... او قل طبولا يقرعون طبـولا
تنسيهم منه ابتسامة كـاذب ... حرمانـه والجور والتنكيـلا
سله اذا ماكان يعلم بالـذى ... يلقون من عدوان اسرائيـلا
أم انه مازال فى " ناطـوره " ... عنهم وفى مختاره مشغولا؟ (١)

والقصيدة كما ترى عدا كونها هجاء للزغيم الاسعد فهى تحريض للجماهير ودعـوة لها للانقضاض على قادة لا يعرفون الا مصالحهم الشخصية ولا يلتفتون الى مصالـح الجماهير وما اكثر قصائد شرارة التى هى على هذا الشاكلـة •

اما الحومانى فهو بحق فريد قرنـه •• فهو شاعر ثائر حاول الاصـلاح الا انه فشل فشلا ذريعا فكلامه لا يسمع مادام لا ينتمى الى العائلات المتنفذة الـتى سارت فى ركاب السلطة ورجال الاقطاع على حساب الشعب • وقد اتخذ لنفسـه مبادىء سار عليها ووضع خطة للاصلاح كان على قناعة بها وتتلخص فى الاتى :

١ــ كان يرى ان فى التقاليد المتبعة فى عاشوراء خروجا عن الدين ولكن لمـا كان هذا الخروج وسيلة لجمع الثروة غير الشرعية لآل صادق الذين شجعـوا

---

(١) مخطوطة للشاعر موجودة بحوزتـى •

هذه البدعة فان ثورة الشاعر تعني التصدي لهذه العائلة التي تعتمد على نفوذها الواسع .

٢- الحوماني كان مثقفا واعيا وكانت السلطة تلجأ الى تعيين الاجلاف الاميين من الازلام في مناصب حساسة وكان المفروض فيها ان تختار منهم على شاكلة الحوماني ولما كانت لا تفعل فهي تريد من ذلك قهر الشعب اولا ، وقهر الحوماني والشعراء بشخصه ثانيا . اما الذين يفوزون بهذه المناصب فهم اولئك الذين كانوا يتكالبون في الارتماء باحضان الزعماء والدخلاء . اما الحوماني فليمت هو وامثاله من الجوع . والحقيقة انه لم يمت من جوعه بل كاد يموت قهرا على شعبه .

٣- لم يستطع الحوماني الصمت على ما كان يراه من العادات والتقاليد البالية المتفشية في جبل عامل . تلك التي تركها الوجهاء والاعيان وبعض العلماء تستشري في المجتمع وتهدد كيانه .

ويضاف الى ذلك كله ما كان يراه الحوماني من انحراف السلطة وارتمائها في احضان الفرنسيين مع جيش من العملاء والجواسيس والمرتزقة كان همة تمزيق الشعب ، كل هذه العوامل شحنت الحوماني بالثورة والغضب والتمرد ودفعته لاعلان ثورته بديوانيه : "فلان" و "نقد السائس والمسوس" .

أما "فلان" فكان يقصد به الشاعر رجلا اسمه " رياض الصلح " نصبه الفرنسيون رئيسا للوزراء في معاونة بشارة الخوري رئيس الجمهورية لارساء دعائم المؤسسة اللبنانية على اساس العمالة للفرنسيين والفساد . ولسوء الحظ فقد كان رياض الصلح عامليا من الجنوب وكانت تربطه بالشاعر صداقة قديمة وكان الشاعر يتصور ان رياضا وقد اصبح رئيسا للوزراء سوف يستعين بالرجال الاكفاء لمساعدته في الحكم وكان المثقفون في جبل عامل في ذلك الوقت قلائل ولذلك كانت احلام الحوماني تتعزز بعد ان فاته ان رياض الصلح ليس الا حجرا شطرنجيا يلعب به الفرنسيون وينصبونه عليها الاتيان بغير الدمى .. ولما اكتشف الشاعر ذلك خاب امله وتحطمت احلامه واماني وايقن ان رياضا غير رياض لن يخرج عن " قانون " العائلات .. وهو الذي كان على احمد الاسعد زعيم جبل عامل الاوحد ولم يكن ليفوز بمقعده النيابي مالم يكن في

لاسحة الاسعد .. ولذلك كان من الطبيعى ان يسير الصلح اسيرا لهذه العوامل ولم يكن الاسعد ليرضى بوجاهة لمثقف كالحومانى :

لذلك طبع الشاعر ديوانه " فلان " وما ان وصل للصلح حتى ثارت ثائرته وقامت قيامته فصادر الكتاب ولفق تهمة للشاعر حاكمه بموجبها وقال بانه حكم عليه بالاعدام ولدى توسط العلماء والوجهاء خفف الحكم الى النفى فنفى الشاعر الى اربد فى الاردن وعاش هناك فترة من الزمن اتجه بعدها الى مصر حيث عاش هناك فترة طويلة فى مصر الجديدة .

" فـــــــلان "

تتجلى فلسفة الحومانى فى كلمة قصيرة صدر بها الديوان قال فيها :

" الى روح ابى العلاء حكيم المعرة . ايها الاعمى البصـــير :
لقد كانت نقمتك شديدة على الناس ولما تجز بلدك الا الى بلد قريب منه ثم لم تتحسس المجتمع الا بقلبك اما انا فقد جبت العالم كله وتحسسته بكل جوارحى فما زادنى ذلك الا نقمة عليه وشقاء فيه ثم لم اجد روحا آتآسى بها فيما شعرت غير روحك فاليك اذن اقدم كتابـــى " (١) .

أما قوله "نقمة عليه وشقاء فيه " فيكشف عن فلسفة الشاعر وانسانيته .

ما ذا جاء فى فـــــــلان ؟

نوجز فى السطور القليلة القادمة ما جاء فى " فلان " فمن هو فلان هذا ؟ فالذين كانوا على صلة بالشاعر وكانوا على علم بما جرى بينه وبين رياض الصلح وعلى معرفة ببواطن الامور يؤكدون ان المقصود هــو الصلح .. وكذلك الذين قرأوا " فلان " لم يبق عندهم مجال للشك فى ان الصلح هو المقصود . وفى المقدمة يحاول الشاعر ابعاد الشبهة فيؤكدها من حيث يدرى او لا يدرى فهو ينفى انه يقصد بفلان شخصا معينـا

---

(١) فلان مقدمة الديوان طبعة ١٩٤٥ — لبنان — بيروت .

ويرى ان فلانا الذى اتهم نفسه بانه المقصود " مهما سما فى ذاته احقر من ان يكون موضوعا لنظم ديوان من الشعر الخالد مدحا او قدحا " (١) ثم يقول بان "فلان" موجه الى " كل رجل كان قبل ان يحكم موضع احترام الامة وتقديسها ثم ينتهى بالحكم الى المكانة التى ينحدر بها من القمة الى الحضيض " .

وهذا امعان فى الهجاء المر وتأكيد بان المقصود هو الصلح بذاته ولا يستطيع الشاعر تغيير الحقائق من ان المقصود رجل هو رجل آخر لانه هو بذاته لا يريد ذلك ، بل يريد توجيه سهامه الى صدر الرجل لتكون نافذة ولعله يرفض الايحاء بان المقصود هو غير الصلح .

يوجه الشاعر رسالة الى دعبل ثم يتكلم عن " العقل الكاذب " و " مجلس الامة " وفى الاخيرة يقول :

أيها المجلس كم فيك من الابطال عنتر
غلط الشارب منه غلطا الله اكبر
اسد انى اجال الطرف يحتج ويزأر
واذا حمت رفى الفيته اشعث اغبر
يتوارى لا لينقض ولكن يتقهقر
ايها المجلس هل قمت بنا الا لتثأر
اين من حطم اذ شقشق فينا الف منبر
يخلط الايمان ان يخلص حتى يتحجر
ويشب النار فى الامة حتى تتبخر
ولقد اخلص فى اكل الهون حتى تفزر
يدعى الاسلام ان شاء وان شاء تنصر (٢)

وفى تحذير للشعب من السياسيين يقول الشاعر فى مكان آخر :

ايها الشعب تنبه ... وافقه الدجال فينا
ان فى المجلس من يتخذ التدليس دينا

---

(١) مقدمة " فلان "
(٢) فلان ص ١٢ .

ينشر النور على الافق شمالا ويمينـــــــا
ليقول الناس قال الله رب العالمينــــــا
تجد المقرب من صفحته اندى جبينــــــا
ايها الشعب اماتدرى بكيد الخائنينـــــــا (١)

وهذا كما نرى شعر تحريض، بالغ الاهمية ولعل الشاعر اراد ان يرسم طريق الثورة للشعب ثم نراه بعد ذلك يرسم لنا صورة ساخرة لمن يريد ان يتزعم ومن خلالها يصور الزعماء التقليديين بعيوبهم :

أيها الاعزل هل ترغب فى ان تتزعـــــم ؟
قرنب الشارب واقمنس وشنخر وتمـــــرم
واحمل " الفرد " على جنبك و " الفرد " مدمدم
ثم جرد عصبة اعقلها اعمه أبكـــــــم
وابحها حرم الامة والاعراض مغنـــــم
واذا خاشنها رأس من الناس تحطـــــم
ثم زاول بعد ذاك الحكم فينا وتحكـــــم
أيها الاعزل ليس العلم للكرسى سلـــــم
واذا حاولت ان تصعد بالاخلاق تنـــــدم
لقب الاخلاق والعلم على الحكـــم محـــرم (٢)

ولا بد من نموذج اخير امعانا فى توضيح الصورة وعنوانه :

الافيـــــــــون

أيها الافيون والحشاش أصل لك غـــــنى
غنى يا افيون انشودة شعـــب مطمـــئن
غن عشاقك واشجهم بها من كل غصــــن
أنت يا افيون يا ابيض حلو للتجـــنى

---

(١) فــلان ص ٢٠ .
(٢) فــلان ص ٣٥ .

أنت ابدعت على عهد فلان كل لحـــــن
لونك المحبوب انس كل رأس كــــــدن
وتلقى عنه اصحاب المعالى كل فــــــن
كم خطيب غاص فى بحوث من رجس لذقــن
وتجلى الفن فى ظلمته ضاحك ســـــن
ينحت السكر افواها على الافيون تثـــنى

وهكذا كان هجاء الحومانى فهو وان كان برأي البعض نتيجة خلافات شخصية وحزازات فردية الا انه جاء معبرا عن رأى الجماهير فى الحكام ومصورا لهؤلاء الحكام .. فكان نقمة وكان ثورة وكان تمردا ... وباختصار كان سلاحا ماضيا سلطه الشاعر على ظهور الحكام المنحرفين وماكثرهم !.

والحقيقة ان " فلان " قد احدث ثورة بين شعراء جبل عامل وكان له فيهم أثر بالغ فتأثروا به وانعكس ذلك التأثر على نتاجهم الادبى ومن ذلك مابعث به موسى الزين شرارة الى صديقه الحومانى ومنه :

اذا ايقظت شعبك يا " فلان " | وقلت الصدق لا يرضى " فـــلان "
اذن فاصمت فان الصمت أحجى | فكم من ماجد قتل اللســــان
ومالى كل ذى بأس فانــــا | بريح للمعالى فيه شــــان
زمانك يا " فلان " اليوم رغد | عسى يأتى كما نهوى زمـــان
يطأطأ لليراع السيف فيـــه | وتكسر حين تكسره البنـــان (١)

ثم يبعث موسى الزين بقصيدة الى عبد الحسين عبد الله يلمح فيها الى " فلان " ويهاجم العهد فيرد عليه العبد الله بقصيدة جاء فيهـا :

لا تذكر العهد ان العهد ميمون | واحسن الاشهر المحبوب تشرين
أما رأيت "فلانا" تحت قبتـــه | اذا تكلم ماجاراه نيــــرون
وكل سيارة فى البرج سابحـــة | فيها الوزير الى الديوان مشدون (٢)

---

(١) الادب الفكاهى لعلى مروة ص ٢٥٤ .
(٢) حصاد الاشواك ص ١٠٨ .

وماذا يعد قوله " مشحون " من كلام فهو يصور النواب والوزراء على انهم كالمتاع اوالبهائم وهكذا اصبح " فلان " علما لدى العامليين واصبح كل منيريد مهاجمة زعيم معين يطلق عليه اسم " فــلان " •

ثم اتبع العامليون بعد الحوماني طريقة اخرى اكثر فاعلية واشد ايذاء ينالون به من الحكام الا وهي طريقة النقد الساخر بالشعر الفكاهي وكان هذا النوع من الشعر احد على الحكام واخطر ، ذلك انه كان سرعان ماينتشر بين الناس لخفته وساطته كانتشار النار في الهشيم • هذا وقد جمع بعض المهتمين بشؤون الادب العاملي كثيرا من الشعر الفكاهي في كتاب مستقل اطلق عليه اسم " روائع الادب الفكاهي العاملي " (١) وفيها كثير من الشعر السياسي المموه ومنها ماوصف به عبد الحسين آل عبد الله الحكام بالقرود حين قال :

قرود على كرسي الشريعة تجلس   واقزام اقوام علينا تــــرأس (٢)

ثم يهاجم الشاعر نفسه الجيش بقصيدة جاء فيهــا :

على صدر الجنود ارى بريقــا   واوسمة فما فعل الجنــود
اهل خدموا باخلاص وصــدق   وبالتهريب تزدحم الحــدود (٣)

ولنجيب مروة قصيدة جاء فيهــا :

قد شاع فيك الذكا يا ايها الوطــن   وشاع فيك الاديب الحاذق الفطــن
ان " الثنيل " وان ذمت تجارتــه   له بارضك سعر جيد حســن (٤)
وليس للشعر سعر فيك عند فتى   من ساكنيك ولا قدر ولا ثمــن

وكان الشاعر قد نظم تلك القصيدة عندما زار احد البخلاء واساء استقباله ولم يكرمه ثم جاء فيهــا :

مدحت ذا ثروة ثم انطلقت الــى   ربوعه لا سقت اطلالها المــزن
فاقبل البعض من ابناء اسرتــه   وقد رأوني نزيلا عنده طعنـــوا

---

(١) روائع الادب الفكاهي العاملي لعلي مروة ط ١ ١٩٧٢ بيروت مطابع الامان دعون لبنــان •
(٢) الروائع ص ٣١١ وحصاد الاشواك ص ٥٩ •
(٣) الروائع ص ٢٩٥ •
(٤) الثنيل : روث البقر والمواشي •

واعرضوا كلهم عنى كأنهم   لما تأملت فى اعراضهم أثن
وقادرونى بذات الحى منفردا   حتى كأنى اسير فيه مرتهن (١)

ولا يخفى ما فى هذا الهجاء من ذاتية انطلق منها الشاعر مقلدا القدماء فى هجاء من لا يجدون عنده ما يريدون • ونجيب مروة كان فقيرا وقد دفعه فقره الى التكسب بالشعر (٢) •

وسنجد فيما بعد وفى باب آخر ان الشعراء العامليين نظموا قصائد فى الهجاء الخفيف بقصد مداعبة البعض ونجد ذلك فى " روائع من الادب الفكاهى العاملى " •

هجاء المشايخ

كان رجال الدين فى جبل عامل يتمتعون بنفوذ قوى وسلطات واسعة لا يناقسهم عليها الا رجال الاقطاع • وقد بسطوا بموجب هذا النفوذ سيطرتهم على الناس • • وكان علماء الدين يتراوحون بين السلب والايجاب فمنهم المحسن ومنهم المسئ • وكان ضرره المسئ منهم اكثر من احسان المحسن اذ ان للمسئ اعوانه فى السلطة وهذا ما زاد فى الطين بلة أما المحسنون فليس لهم من الحول والصول الا الجرأة والشجاعة اللتان كانتا تتعرضان لشتى الضغوط • الا ان هذا لم يكن ليمنع المظلومين من الناس من الالتجاء اليهم والاحتماء بهم عندما تدعو الحاجة • وللاسف لم يكن رجال الدين جميعهم كمحسن الامين او عبد الحسين شرف الدين او احمد عارف الزين وسليمان ظاهر او على محمود الامين الذين رفضوا اعلى المناصب التى عرضت عليهم من السلطات الفرنسية الاستعمارية •

كان من العلماء من تسكع على ابواب السلطان وتبعوه بصغار وحقار واقفين الى جانب الاقطاع العباسى • كما كان منهم من وقف الى جانب الاحرار والثوار من الفقراء والشرفاء •

---

(١) الروائع ص ٩٨ •

(٢) ولد الشاعر عام ١٨٧٩ م وستأتى ترجمته •

كل هذا جعل هوة عميقة بين رجال الدين والشعراء كتلك الهوة التي بينهم وبين الشعب وكما قلنا فان التزمت كان يغلب على رجال الدين اما المحسنون منهم فلقلتهم للاسباب التي ذكرناها كانوا يهربون كما فعل السيد محسن الامين الذي اتخذ دمشق مقرا له . وهذا ما اعطى صورة سيئة لرجال الدين انطبعت في اذهان الناس ماكان ليمحوها نفوذ او سلطان فهم الذين يملأون بطونهم ويحافظون على مصالحهم ويتركون الشعب يتخبط فيما يتخبط فيه وهذا مايخالف الشرع ويجافي الخلق واذا كان باستطاعة رجال الدين خداع رعاع الناس ودهمائهم فانهم ماكانوا ليستطيعوا خداع الشعراء وهم الطبقة المثقفة المستنيرة من الشعب عدا كونهم لا يستطيعون خداع بعض زملائهم من العلماء الذين تخرجوا معهم من النجف كمحسن الامين وعلي الزين وشرف الدين والحوماني ومحمد نجيب مروة ... وغيرهم .

هذا الذي جعل ألسنة الشعراء تتوجه الى العمائم ولحى العلماء فلم تترك منها شعرة الا ونتفتها يقول عبد الحسين عبد الله :

بين العمائم واللحى	ابليس يبحث عن جحا
قد القحوها فتنة	دارت بنا دور الرحى
سكر بغير افاقة	يارب سكران صحا (١)

ولعل في ذلك اشارة واضحة لما صنعه عبد الحسين صادق عندما هاجم محسن الامين وكفره لاعتراضه على طريقة عاشوراء ومايتبع فيها من اساليب تضليلية للناس .

وللشاعر نفسه صورة اخرى عن العلماء الذين تكسو رؤوسهم العمائم البيضاء غير ان أفئدتهم سوداء :

حرمون ياشيخ الجبال اغفتني	لما لبست برأسك الاكليلا
فحسبت شيخا من مشايخ عامل	لبس العمامة يبتغي التدجيلا (٢)

وحرمون هو الجبل المعروف في الجنوب الشرقي لجبل عامل . ثم يعلم الشاعر نفسه ان الفرنسيين قلدوا احد العلماء وساما فيثور ويسأل عن اي حق يمنح بموجبه هذا الشيخ ذلك الوسام وماعساها تكون خدماته للفرنسيين واني كان للشيخ ان يحمل وساما

---

(١) حصاد الاشواك ص ٣٦ .

(٢) " " ص ٥٤ .

ويتباهى به ، اذا كان الاحرى به ان يحمل وسام الاسلام وهو القرآن ؟ :

ما للوسام وما للشيخ يحمله — الشيخ أسمى واعلى منكم رتبا
حملتم شيخنا نيشانكم وعلى — ظهور أبنائه حملتم الحطبا
ماذا جنى الشيخ حتى نال عطفكم — ياليتني كنت يوما اعرف السببا (١)

وتحت هذا التساؤل الا خير ماتحته . وهذا السيد على حسن ابراهيم وهو من العلماء يعلن ثورته على زملائه الا انها ثورة ثقيلة الدم لا يستوحى منها غير الخلافات الشخصية فيقول :

رب شخص كالثور فيها سوى أ — ن على رأسه ترف العمامة
واذا مابلوته عند خطب — تبصر الجهل خلفه وامامه (٢)

اما الشيخ محمد حسين شمس الدين فهو من العلماء ايضا الا انه كان يتحسس آلام الناس كما يتحسس اخطاء زملائه الذين انصرفوا الى الدنيا وزخرفها وشغلهم جمع المال عن امور دينهم فيقول :

من كان همته الدنيا وزخرفها — ولم يكن عاملا للعلم في الدين
فانما هو شيطان وعمته — احبولة الصيد من مال المساكين
يشكو الى الناس فقرا لا يفارقه — وفي خزائنه اموال قارون

ولم يكن هناك من هو اقسى من الحوماني في هجائه ونقده للعلماء ذلك انه خرج من سربهم وعرف سلكهم وانحراف بعضهم عن الدين فاسمعه يقول عن بعضهم :

وذي عمة كورت فوقه — يد الغي لا شرقا بل شرك
يغرك منه فم عفه — تراث جناه بقلب أفك

* *

يقول لك احذر عذاب الجحيم — واذكر عناك اذ تبعث
هو المال ان لم تصدق به — خبيث وكانزه أخبث

---

(١) حصاد الاشواك ص ١٦٣ .

(٢) العرفان عدد الاول من نيسان ١٩١١ والاول من ربيع الاول ١٣٢٩ هـ ص ٢٥١ — ٢٥٠ .

وفى داره خلسة وابنــــــــة   تلخانه او يفيض السلــــــب (١)
تذبذب اذناها رعشـــــــة   من الماس فى شذرة من ذهب

*   *

احب العمائم تطوى علــــــى   نهى راجح يذبلا او شمــــاما

واما اذا كورت = والرؤوس بغير نهـــى = فاقروها السلامـــــا (٢)

وتلفت العامليون الى الصحافة فوجدوها لا تعبر عن آمال الجماهـــــير ولا تحمل رسالة شريفة ، ورجالها معظمهم من المأجورين والمرتشين فهم يبيعـــون انفسهم للاغنى ومن يكون الاغنى ياتـــرى ؟

ليس الاغنى الا اللصوص والمستعمرون فهم اذن عبيد لهؤلاء فكتـــب بعضـــهم بتوقيع " شاعر متألـــم " قصيدة نشرتها " العرفـــان " .. يقول فيهـــا :

بليتنا صحافيى مرائـــــــى   يدا جينا ومالى مرابـــــــى
وصحف لست ادعوها تصحـــف   فما هى بالقشور ولا اللبـــاب
فان تشكو من الشعراء عابـــا   فللقراء منها ألف عـــــاب
أرى اثارها فأظـــن مــــاء   كذاك العين تخدع بالسراب (٣)

وما ان يتقدم بنا الزمن قليلا حتى نجد انفسنا امام نوع جديد مـــن الهجاء لا يختلف من حيث الجوهر عن سابقه الا انه يلبس ثوبا رمزيا شفافــــا رقيقا ويظهر هازلا ساخرا كذلك الذى نراه فى ديوان الياس لحود الذى اطلق عليه " فكاهيات بلباس الميدان " وهذا الديوان مجموعة من القصائد المتخصصة فى التهكم على الساسة اللبنانيين والعرب ويتجلى ذلك فى "الصفحة الرابعة من مذكرات حمار " يقول الشاعر فى هذه "المذكرات " :

---

(١) تلخانه : تلطمانـــــه .
(٢) نقد السائس والمسوس ص ٧٥ ــ ٧٨ .
(٣) العرفان م ٢٨ ج ٧ تشرين ٢ ٩٣٨ ص ٧١٥ .

المشب دمارا لفريســـــــــــــــــــة
والمخلاة جناح للبحر وتاج الملح على رأس الطحـــــــــان
خراب في الصفحـــــــــات الافنجيـــــــــة
في الكلمـــات المطاطيــــة ••• في الاحـــــــرف
تنهار الكلمات •• غذاؤك من اجران المشـــــــــب
ومن اصـــــــــداف القنـــــــــــب
وعلى انقاض العاطفـــــة الحربيـــــــــــــة
تقفز كالســـنور وتدخل في ثقـــب البـــــــــاب (١)

وبدأنا نلمح ان هذه المذكرات ليست مذكرات حمار على الحقيقة على انهما من باب الترف الذهني كما اننا لا نستطيع تعريف هذا الحمار على انه كحمير توفيق الحكيم بل لابد انه من حمير البشر ومن عساه يكون ذلك الحمار ياترى ؟ لاشك ان القارئ يستخلص المعنى ويفسر اللغز كما تقتضي الاحوال والظـــروف المحيطة بالانسان العربي • والا فما معنى قول الشاعر على لسان حماره :

" مخلاتك في اسطبل الثورة وشعيرك في است الطحـــان ؟
وأجمل مايشغل بالك
ان يتدندل منك الشرف لبضع دقائـــق "

وبالطبع فما من شرف عربي يتدندل الا شرف شيوخ النفط من العرب ولعل الشاعر يقصد ذلك وله ان يقصد غير ذلــك •

وبهذه الروح وبهذه الطريقة اخذ شعراء جبل عامل يسلطون نار هجائهم على خصومهم والاسباب غالبا سياسية وقومية واجتماعية ولا مجال للهجاء الشخصي في قاموس شعراء جبل عامل المحدثـين •

ونموذج اخر من نماذج الهجاء العاملـــي الحديث ما قاله حبيـــب صـــادق عن احد الزعمـــاء :

---

(١) فكاهيات بلباس الميدان ص ١٨ •

ثم في "البريستول" الاشم
واهنأ فديتك يا علم
من عاش مثلك للملمى ؟
ولمن تساقت القمم ؟
ثم في انسكاب الضوء —
والاطياب وافترش النغم
النسرعين الشمس
ملمبه وللبوم الظلم
ثم فالميون قريرة
والشعب تغمره النعم
الماء دفاق
والرية
السنابل في خضم
لا زهرة تذوي ولا
غصن تلوى من سقم

وحتى الان لم تتضح الرؤيا فماذا يريد الشاعر من هذه السخرية الخفية ؟ ولعل المقطع الثالث اكثر وضوحا اذ يقول فيه الشاعر :

ثم شارد العينين .. نم
ثم في "البريستول" الاشم
الناس شادوا سوره المالس
وقد شاد والهرم
هل تذكر الامس البعيد ؟
ومن قضى ومن سلم ؟
فرعون ذاك العهد —
رب الناس والدنيا حرم
النجم موطئ نعله والنيل
فضن أو كرم

والكادحون على الصياط
تناثروا لحما ودم ..
وصحا الورى فالذئب مرعوب
تنمرت الغنم (١)

وعندما " تتنمر الغنم " نفهم قصد الشاعر دون حاجة لاكمال القصيدة ...

وغاية القول ان الهجاء العاملي قد مر بمراحل ثلاث :

١ـ المرحلة التقليدية : وهى التى كان الشاعر يثور فيها الاغراض شخصية ناتجة من تكسبه بشعره فيهجو البخلاء على طريقة القدماء او يهجو خصومه الشخصيين وينال من اعراضهم . وهذه المرحلة لم تدم طويلا .

٢ـ مرحلة الهجاء السياسى للزعماء والحكام وهذه المرحلة اطول من سابقتها عمرا .. وفيها نفس الشعراء العامليون عما فى صدورهم من حقد على الانظمة المتعفنة العميلة ... وكان ذلك الهجاء سافرا واضحا تكشفت فيه خيانة الحكام اللبنانيين اولا والعرب ثانيا .

٣ـ المرحلة الاخيرة وهى المرحلة التى تبلدت فيها مشاعر الحكام وعجز معها الشعراء فلجأوا الى اساليب اخرى يشبعون معها احاسيسهم الشعبية من جهة ويلبون نداء اذ إقهم الفنية المتطورة من جهة اخرى . ولما كان الحكام فى هذه المرحلة قد اصبحوا اشد خبثا واكثر مكرا وانحطاطا فقد حاذرهم الشعراء حفاظا على مصالحهم ولم يتورع الحكام عن تهديد الناس بلقمة عيشهم وقطع ارزاقهم .. لما كان الامر كذلك فقد لجأ الشعراء الى الرمز الشفاف اولا ثم "المحجر" ثانيا ثم الى السخرية والتهكم والتصوير الكاريكاتورى اخيرا ليبقوا بمنجاة من اسواط الجلادين .

---

(١) فصول لم تتم ص ١٥٠ ـ ١٥٥ .

وعلى العموم نرى الهجاء فى الشعر العاملى قد تحول الى سيف فى يد الشعب لا الا فراد يشهرونه فى وجه الظلم والحكام لا فى وجوه الخصوم الشخصيين .

وسيبقى الهجاء ، هكذا ثورة ملتهبة واغنية مرة ساخرة فى افواه الناس يخيفون الحاكم من كل كلمة حتى يجعلوه يرتجف خوفا وجزعا لدى اى هفوة وسيصبح هذا الهجاء شعاعا يتسلط من جميع الجهات وفى كل الاتجاهات حتى لا ينجو من سيفه مستبد ..

وهكذا يتحول الهجاء من كلام بذيء يخدش الحياء والضمير ويجافى الدين والخلق الى كلام ثائر يرضى الله والضمير وسيف مسلول يعاقب الجلادين ويحلو فى شفاه المعذبين والمكدودين والضعفاء والمساكين ويصبح اغنية بل انشودة يصدح بها الابطال الثائرون ويرددها التقاة المتدينون .

الرثـــــــــــــاء
فى الشــــــعر العاملـــــى

يتسم الرثاء عادة بانه شعر وجداني يغلب عليه الصدق وتغلفــــه العاطفة وهو قديم ـ كالهجاء ـ قدم الشعر نفسه واذا كان الهجاء وليد الكراهية والاحقاد والاحن فان الرثاء وليد الحب والعواطف المتأججــة والوفاء واللوعة والاسى وهو متحرك يختلف من موقف الى اخر ومن شخـــص لشخص فالذى يرثى ولده او اخاه كما فعل ابن الرومى ومتمم بن نويـــره غير الذى يرثى ملكا او اميرا كما فعل البحترى وابو تمام .. والذى يرثـــى امه غير الذى يرثى ام سواه كما فعل المتنبى عند ما رثى ام سيف الدولة والذى يرثى فقيدا لا علاقة له به غير الذى يرثى صديقا حبيبا .. والذى يرثى زميلا غير الذى يرثى رجلا بعيدا عن مهنته . نعم ان الرثاء عواطف وبكاء ولكن العواطف الوان والبكاء كذلك الوان .. فهناك بكاء صـــارخ وآخر صامت وهناك دموع تترقرق فى العين واخرى تتجمد فى المآقـــى ولا تنحدر وهناك من لا يستطيع على البكاء برغم شده وجده وجزعــــه وهناك من يكون اقل منه حزنا واسفا الا ان دموعه تنهمر بغزارة .. وعلى كل حال فالبكاء يشفى ويعزى كما يقولون .

الرثاء الوان مختلفة . واذا كان الهجاء قد خضع لسنة التطــور لعلاقته بالاخلاق ومجافاته لها ووجود القوانين والاعراف التى تمنــع القدح والذم فان الرثاء لم يخضع لمثل هذه السنة لارتباطه بالعواطـــف الانسانية الثابتة والمتشابهة عند جميع الشعوب والاجناس وبالتالـــى فان الرثاء يطلق على سجيته دون ان يجد من يعارضه بعكس الهجـــاء الذى يصطدم بكثير من العقبات الاجتماعية كما ذكرنـــا .

ويبدو من كلامنا انه لا جديد فى الرثاء من النواحى الفنية والعاطفية أما من حيث الموضوع فله ميزاته فى الشعر العاملى ومن تلك المميـــزات والخصائص انه يزخر برثاء اهل البيت بل ان رثاء اهل البيت كان مدخـــلا

لاى رثاء آخر وهذا مالانجده فى الشعر العربى عامة اذا ما استثنينا شعراء العراق وعلى هذا الاساس نستطيع تقسيم الرثاء فى الشعر العاملى الى ثلاثة أقسام :

١ـ رثاء اهل البيت .
٢ـ رثاء الاهل والاقارب .
٣ـ الرثاء عامة ويتضمن رثاء الاصدقاء والاعلام والشهداء ورثاء الوطن احيانا .

— ١ —

ورثاء اهل البيت يتسم بانه رثاء عقدى ولذلك يقترب شيئا فشيئا وعلى اقدار متفاوتة من الحماسة التى تأخذ طابع التحريض المنطلق من اعماق النفوس الحزينة المتألمة الشاكية الباكية ويتفاعل فيها الشاعر مع وجدانه وفكره وتلتهب ازاءها مشاعره واحاسيسه وتتجدد احزانه مع الذكرى .

ان مواسم عاشوراء من كل عام ومدتها عشرة ايام تبدأ من غرة المحرم الحرام حيث تستعاد ذكريات اهل البيت ويتحدث الخطباء والشعراء عن مناقب اهل بيت رسول الله .. ويقرأ المقرئون القرآن الكريم وقصة مصرع الحسين .. وحمل رأسه الى دمشق ليوضع بين اقدام يزيد بن معاوية بن هند اكلة الاكباد ثم يركز على احاديث الرسول (ص) عن حفيديه فيهما سيدا شباب اهل الجنة وريحانتا هذه الامة و " حسين منى وانا من حسين " ولا يمكن لاحد ان ينكر مدى تعلق الرسول بحفيديه وحبه لهما وكيف كان يداعبهما وهما صغيران ... ثم بعد ذلك تستفز المشاعر عندما تلمس شغافها قصة . قطع رأس الحسين .. كل هذه الصور المأساوية الكربلائية عاشها العامليون كما عاشها المسلمون عامة والشيعة خاصة فكانت كربلاء عبقر شعراء جبل عامل ومصدر الهامهم ولو حاولنا احصاء ماقيل من شعر فى رثاء اهل البيت لما وسعته المجلدات . فمن النادر ان نجد شاعرا عامليا واحدا مسيحيا كان ذلك الشاعر ام مسلما ولم يقل شعرا فى رثاء اهل بيت رسول الله .

وكل واحد من الشعراء كان يصور المأساة من زاويته الخاصة تمشيا مع مدى وعيه وتفهمه للامور . واصدق من يصور مشاعر الشيعة تجاه اهل البيت في شهر المحرم الشاعر " عبد الباقي افندي الفاروقي الموصلي " حيث قال :

في كل يوم عويـــل على الحسين ومأتـــم

حزني عليه طويـــل اتم عمـــرى ماتـــم

ومنهـــا :

نحن اناس اذا مـــا قد هل شهر المحـــرم

فلا شيء علينـــا سوى البكاء محـــرم (١)

وهكذا كان العامليون يستقبلون شهر المحرم . ويؤكد هذه الصـــورة شبيب باشا الاسعد اذ يقول في احدى مراثيـــه :

هل المحرم فاستهلت ادمعـــى وغدوت ذا قلب كئيب موجـــع

شهر به شهر البلاء بكربـــلا ضربا اطال على الحسين توجعـــى

شهر ملائكة السما فيه بكـــت حيث ابن خير المرسلين به نعـــى

شهر به الدين القويم تهدمـــت اركانه وغدا ترعرع بلقـــع (٢)

والقصيدة طويلة يسرد فيها الشاعر مأساة اهل البيت ويتوجع فيها لمـــا اصابهم ورأى الشيعة ان يزيد بفعلته الشنيعة بالحسين واصحابه انما كان يقتص من رسول الله ذاته بعد ما قتل اجداده من النبي من رسول الله . يقول الشاعر الشيخ حسن صادق العاملي في ذكرى عاشوراء موجها خطابه لاهل بيت محمد :

انى فطرت على محبتكم وقـــد شابت بحمد الله فيه قرونـــى

ما ان ذكرت مصابكـــم و ذكرت تنصاب التراب على ربى حـــيرون

وترنم الباغي يزيد وقولـــه فلقيه قضيت من النبي ديونـــى

الا تخطنى الاسى وتقرحـــت منى العيـــون وجن فيه جنونـــى (٣)

---

(١) ديوان شبيب باشا الاسعد ص ٢٤٠ .

(٢) " " " " ص ٣٤١ / ٣٤٢ .

(٣) سفينة الحق لحسن صادق ص ٤٩ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٦ .

ولا ينسى العامليون ذكرى الحسين ويوم استشهاده فهو خالد على مر الايام يقول كامل سليمان :

كل شىء يفنى ويفنى ويبلى — ثم يمحى ذكرا وعينا واصلا
غير يوم الحسين فهو جديد — خالد يشغل المكان الا جملا

ويركز العامليون على منزلة الحسين من رسول الله فهو سبطه وحبيبه وحفيده :

ابدا تومىء الحسام يومىء المجد — الى السيف وحده ليس الا
نبي يهدط فجده سيد الخلق — الذى كان قدوة فتدلى

ثم نراهم يشيرون الى فعلة يزيد وتسلمه زمام امور المسلمين باسم جده على بعده عنه :

رفع المسلمون للعرش ستيرا زنيما — يتيه زهوا وبهلا
قام باسم النبى يحكم شعبا — مسلما ما رعى لاحمد الا (١)

ولم يخرج العامليون قبل الخمسينيات فى رثائهم لاهل البيت عن هذا الخط فيران الصورة قد تغيرت فيما بعد واخذوا يجعلون من استشهاد الحسين مثلا يحتذى ، خاصة بعد ان سقطت فلسطين فى يد الصهاينة . واخذوا يقفون على بطولة الحسين واستشهاده اكثيرا ستثارة للهمم واشعالا لنار الحماس فى صدور المسلمين .. وقد تجلى موسى الزين شرارة وجماعة مدرسته فى هذا المجال فيلقى شرارة قصيدة فى نادى الاصلاح ببيروت عام ١٩٢٧م وذلك بمناسبة عاشوراء يجسد فيها المعانى الجديدة مستنكرا البكاء على الحسين داعيا الى الاقتداء به وببطولته ومطلع القصيدة :

فى مثل هذا اليوم شاد لنا الدم — مجدا به ثغر العلى يترنم
فى مثل هذا اليوم قام حسيننا — يملى الخلود على الحياة فترسم

---

(١) اشراق للشاعر كامل سليمان ص ١١٥ منشورات مكتبة العرفان بيروت ١٩٦٠ .

وبعد ان يتحدث الشاعر عن مآثر الحسين وصلابة عقيدته واستشهاده من اجل الحق يتساءل عن سبب بكاء الناس عليه دون ان يحاولوا تقليده بشيء كالذود عن الدين وحياض الوطن ويرى ان البكاء تقليد جاهلي :

يا من ينوح وكل عام داره ... فيها لمقتول الشهامة مأتم
اعلمت من تبكي ام لغت مقلد ... تبكي كما يبكي ابوك وتلطم

وقد درج بعض البسطاء في ذكرى عاشوراء على ترديد حديثا يقول : " ان من بكى او تباكى على الحسين فله على الله الجنة " وكنا كثيرا ما نسمع هذا الحديث ونحن صغار . ينتقد الشاعر هذه المقالة فيقول :

لا جاهل يبكي ليعطى جنة ... ثمن البكاء كما يقول معمم
يخشى جهنم في غد وحياته ... لو كان يعرف ما الحياة جهنم

ويرى ان الابطال الذين على شاكلة الحسين لا يبكى عليهم بل الاحسن ان تقلدهم في بطولتهم ثم يقول عندما نسكت على اذلال الوطن نكون كيزيد :

هذا هو الوطن المعذب مثلما ... يهوى الدخيل مجزء ومقسم
احراره فينا الحسين وكلنا ... عند الحقيقة من يزيد الأم (١)

ويسافر الشاعر شرازه الى افريقيا وهناك يلقي قصيدة بمدينة "افريتون" عام ١٩٤٢ م وذلك في حفل اقامته الجمعية اللبنانية بمناسبة عاشوراء فاذا به يكرر نفس المعاني فيحرض اللبنانيين في مهاجرهم على حكامهم كاشفا حقيقة امرهم فيقول من قصيدته تلك :

عجبت لقوم كل عام ديارهم ... بها لشهيد العز والمجد مأتم
وجلهم "شمر" اذا قام مصلح ... يسعر حربا ما رآها المحرم (٢)
فلا تغترر فيمن يذيل دموعه ... رياء ولا فيمن ينوح ويلطم
فكلهم يذري دموع مقلد ... فما هو محزون ولا متألم

---

(١) عن مخطوطة للشاعر موجودة في حوزتي .

(٢) الشمر بن الجوشن احد قتلة الحسين .

ثم يبتكي الشاعر على الوطن ويوضح حالهم الفرنسيين وحال زعمائه مع الدخيل ويستنكر على المسلمين السكوت على المعتدى ويحمل المسؤولية للزعماء ورجال الدين :

فيا ايها الشعب الحبيب الى متى　　تضام ليهنا الشيخ والمتزعم
يذيب فؤادى ان اراك معذبا　　طعامك زقوم شرابك علقم
وفيك على رغم الاباة عصابة　　حوت كل معدوم الحيا تتحكم

وليس امام الشباب الا العلم ولابد من قوة تحمى بسها العلم والعلماء .
يقول الشاعر :

شباب بلادى عصركم عصر قوة　　وعصر علوم فاعملوا وتعلموا (١)

وهكذا اتجه العامليون فى رثائهم لاهل بيت رسول الله وقد اتخذوا من ذلك طريقا للتعريض بزعمائهم والمتقاعسين منهم عن نصرة المظلوم والعمل من اجل رفعة الوطن والمواطن . ولم يكن عبد الحسين عبد الله ولا الحومانى يختلفان عن موسى الزين شرارة ولعلهما اشد منه تطرفا واكثر حماسة وعلى الاخص الشيخ محمد على الحومانى .

اما المحافظون فلهم طريقة اخرى فهذا الشيخ عبد الحسين صادق يرثى اهل البيت ويبكى عليهم بكاء مرا ولكنة يتزمت فى ذلك ولا يتعدى عصر المأساة وما يحيط به ذلك انه يرى ان الحسين قد قتل فى يومه بعكس شرارة واضرابه الذين يرون ان الحسين يقتل فى كل عصر والشيخ صادق يتألم لما اصاب الحسين على يدى الامويين والذى يزيد من مرارته انه مايزال يجد بعض الناس حتى عصرنا هذا " يترضون " على بنى امية ويعتبرونهم فى عداد المسلمين واوائلهم يبدأ الشاعر مراثيه فى الجزء الثانى من ديوانه برثاء فاطمة الزهراء بقصيدة مطلعها :

أنا ثحة مثلى على العرصة القفرا　　تعالى اقاسمك به النوح والذكرى

---

(١) عن مخطوطة للشاعر .

حديث الجوى يأورق يرويه كليفا عن العبرة الوطفاء والكبد الحرا (١)

" وقال رحمه الله يرثى ابا الائمة الاطهار سيد الشهداء مولانا ابا عبد الله الحسين بن على عليهما الصلاة من الله والسلام وهى من العراقيات :

اهاشم هل للبيض سلة ثائـــــر وهل للدان السمر هزة واتــــر
فلا هدأت منك النواظر عــن دم له قلقلت جفدا نصول البواتر (٢)

وله قصيدة اخرى " وهى من العامليــات " :

سل كربلا والوغى والبيض والاسلا مستحفيا عن ابى الضيم ما فعلا (٣)
احلقت نفسه الكبرى بقاد مـــتى ابائه ام على حكم العدى نـــزلا

ثم يرى أن الحسين باستشهاده قد احيا الامم وعلمها طرق النضال :

احيا ابن فاطمة فى قتله امـــــا لولا شهادته كانت رميم بــــلا
تنبهت عن سبات الجهل عالمــة ضلال كل امرئ عن نهجه عدلا (٤)

والخلاصة اننا نجد الشعراء العامليين قد انقسموا فى رثائهم لاهـل البيت الى فريقيـــن :

فريق يرثى اهل البيت ويبكيهم بكاء مرا مهاجما اليد الاثيمة التى امتدت الى العترة النبوية مندد ا بالامويين معددا مناقب اهل البيت التى لا تخفى على احد اذ هى كالشمس الساطعة فى رائعة النهار ... وهذا الفريق لا يميـــل الى اخذ العبرة فى عصرنا ولا يهمه ان يقارن بين ظلم الامويين وظلم الحكـــام الحاليين وان مال الى المقارنة فهو يمس الموضوع مسا خفيفا رفيقا من باب المواعظ والنصح .. وهذا الفريق هو فريق المقلدين وعلى رأسهم عبد الحسين صادق .

---

(١) عرف الولاء ص١٠٢ . (٢) عرف الولاء ص١٠٤ .
(٣) مستحفيا : مستخبرا . (٤) " " ص١١٠ .

أما الفريق الثاني فهو فريق المجددين وهو فريق كبير تزعمه السيد محسن الامين وسار في ركابه الشعراء السادة محمد علي الحوماني وموسى الزين شرارة وعبد الحسين عبد الله والشيخ علي الزين ثم الشباب ومنهم حبيب صادق وخليل احمد خليل ومحمد علي شمس الدين وسواهم •

وهؤلاء يحللون مأساة كربلاء واسبابها وينظرون الى بني امية على انهم يمثلون نظاما لا افرادا • أما الحسين فانه يمثل ثورة تحررية جماهيرية قادها ضد ذلك النظام وهكذا نجد معاوية وولده يزيد يمثلان عينة من المستبدين القساة موجودة في كل عصر وكل مكان •

اذن فالحسين يمثل الخير ويزيد يمثل الشر •• وكل خائن في عصرنا او منحرف هو يزيد او معاوية وكل مؤمن شريف حر مناضل هو الحسين او احد جند الحسين •

ووقفة مع حبيب " عبد الحسين صادق " الذي يمثل النقيض لوالده فحبيب يمثل الشباب المتحرر ووالده يمثل المحافظين •• من وقفة معه نجد انه يستغل اي مناسبة ليحشر فيها مأساة كربلاء فيحالفه التوفيق احيانا واحيانا يخونه ولكنه على كل حال يجتهد للاستفادة من دروس التاريخ • وتقوم مظاهرات في القدس وعمان مطالبة بالانسحاب من الاحلاف العسكرية والعدوانية المشبوهة التي حاول الملك حسين زج الاردن بها وطرد الجنرال غلوب من الاردن ويسقط بعض الشهداء ومنهم الفتاة الشابة رجاء حسن ابو عماش عام ١٩٥٦ م وبعد سنة من استشهادها يرثيها الشاعر حبيب بقصيدة عنوانها " كربلائية " يقول فيها :

لا بد ان يثب الحسام المغمد

فله كتاب في الحمية يشهد

وله من البذل السخي حكاية

تروى

وفصل في الزمان مخلد

بأنت

ما القادسية والرماح توهج
فيها وغابات الزنود توقد
الا الحياة
يشق درب صباحها
ركب بألوية الضياء ممجد
هو مطلع الدنيا الجديدة شمسها
دمها الوليد
سبيلها والمورد .

ثم يقول فيها :
يا سيد الشهداء كل شهادة
في ارضنا
رجع لتلك مردد
أتدمت والنقع الدمي أحمر
ترغى بانياب الوحوش وتزبد

فانه يرى كما لاحظنا ان كل شهادة ما هي الا ترديد لاصداء شهادة الحسين وصوت الحسين مازال يدوي بآذان الثائرين :
يا سيد الشهداء
صوتك لم يزل
يدوي بسمع الثائرين ويرعد (١)

وهكذا تختلف الصورة بين القديم والحديث والمقارنة بين عبد الحسين صادق رجل الدين الملتزم المحافظ ـ وولده حبيب ـ المتحرر التقدمي الذي يمثل روح العصر ـ ان المقارنة بينهما هي في واقع الحال مقارنة بين جيلين وتيارين وعلى ضوء تلك المقارنة ندرك مدى التفاوت بين جيلين من شعراء جبل عامل كما ندرك اتجاه كل فريق وافكاره .

---

(١) فصول لم تتم لحبيب صادق دار الادب بيروت ط ١ ١٩٦٦ ص ١٣٤ .

ـ ٢ ـ

الرثاء في الواقـع بكاء ونشيج وبث للواعج القلب على الفقيد ودموع ينثرها الشاعر على الميت وأصدق مايكون الرثاء على ذوي القربى وهو بطبيعته بكاء على النفس وتحسر على الذات بالمعنى الادق فالمرء عندما يبكي على خل قضى وصديق مضى يبكي نفسه في واقع الامر على نفسه وهذا شعور عام عند الناس فالحي يبكي الميت ظاهرا وفي الباطن يبكي على نفسه عندما يتصور مصيره المحتوم في تلك اللحظة تتضافر مشاعره الخاصه والعامه وتضطرم نيران قلبه وتلتهب مآقيه بدموع حراء وتبعث شاربنه دررا ينظمها سلك الجوى والحنين والحزن في قصائد باكيـة .

والرثاء منازل فلفقد كل من الصديق والقريب لهفة ولوعه ولكن مشاعر المرء نحو صديقه تختلف عنها تجاه قريبه والاقارب منازل فالاخ غير الابن والابن غير الاب أو الام والخال غير العم ... وهكذا نظرنا الله فعواطفنا تتقلب وتختلف من واحد لاخر والحب يتفاوت بين الناس والثابت هو تلك العواطف الانسانيه التي لايخلو منها انسان مهما كان انما احجام تلك العواطف وأشكالها هي التي تختلف وكذلك فالتعبير عنها يختلف من واحد لآخر .

ولاخلاف بين النقاد عند المقارنه بين مارثى به ابن الرومي ولده ومارثى به غيره من الناس ولا بين مارثى به متمم بن نويره أخاه مالكا ومارثى به سواه وأي مرتبة تفوق مرتبة مالك بن الريب التميمي لنفسه ، فاذا كذب المرء على كل الناس ونافقهم فانه لايمكن أن يكذب نفسه وفي مثل هذه الحاله فهو صادق معها .

وللشعراء العامليين منبر لامثيل له في أي مكان وهذا المنبر قد أشرنا اليه في غير الموضع وهو منبر القبور فللقبور العامليه منابر يتبارى عليها الشعراء كما كانوا يتبارون في المربد وعكاظ فأي فقيد في جبل عامل لابد من تأبينه على قبره كبر ذلك الفقيد أم صغر فالفقيد يصبح عظيما بعد موته وفي الاونه الاخيره أخذ الشعراء يتسابقون لتأبين الفقراء اظهارا منهم لمدى التصاقهم بالطبقات الشعبيه لخطب ودها ويتهربون من رثاء الاعيان لئلا يتهموا بالنفاق والتزلف .

ومن عادة أهل الفقيد في جبل عامل دعوة الشعراء لتأبين موتاهم والشعراء يتسارعون لتلبية الدعوه • وعلى القبر أو في الحسينيه أو المسجد حيث يجتمع الناس يتثنون على الشاعر الذي يطرب لاطرائهم وقد فطر الشعراء قديما وحديثا على حب الاطراء بكلمات مألوفة مثل " أحسنت •• أعد •• لافض فوك •• " واذا كان الشاعر قديما قد قال : " والغواني يغرهن الثناء " فان هذا ينطبق على الشعراء • ومن رثاء الاهل مارثى به شبيب باشا الاسعد شقيقه نجيبا حيث يقول :

مصاب بسمع الوجد قد أودع الوقرا ... وأذكى بأحشائي وقد اضرمت جمرا
وسل سيوف الفتك من كل جانب ... وجيش رزاياه على مهجتي كسرا

وللوهلة الاولى عند قراءة هذا الرثاء ندرك مدى اعتزاز الشاعر بنفسه وأسرته فالمجد والعز والقوة والمنعة •• تنسينا أننا في مجال الرثاء ومن القصيده •

ود اهية دهها فوت كبدي بها ... ومنها اصطباري والفؤاد معا فرا
لقد قصمت ظهري وأوهمت تجلدي ... وحق لها تالله أن تقصم الظهرا

ومنها :

وزعزعت الاركان والارض زلزلت ... وعرضت الدنيا لما طوت النشرا
أخي ياجناحي كيف في حال غربتي ... رماك الردى سهما فما جلك الكسرا
وغادرتني لم استطع بك نهضة ... ولست لهذا الكسر فيك أرى صبرا (١)

وان ذلك الشعراء من آثار الماضي وله علاقة قويه به فهو صوره وثيقة الصلة بالشعر التقليدي والشعراء التقليديين ، وشبيب باشا جدير بأن يدرس على أنه من شعراء القرن التاسع عشر وهو وان أدرك القرن العشرين ومات في أوائله يمثل الماضي وهذا الكلام ينسحب على الشعراء والسادة محمد سليمان جواد وزينب فواز •

ومن رثاء الاقارب رثاء الام ومن الذين رثوا أمهاتهم الشاعر وديع ذيب في أكثر من قصيدة ومن ذلك :

---

(١) ديوان شبيب باشا ٢٢١ ـ ٢٢٤

ذكرتك بلسما يشفي جراحي
وريشا ناعما يكسو جناحي
وعدت اليك بالذكرى وليدا
كأن لم يمح سفر الامس ماحي
أقل من السرير على نعيم
ندي الظل يرفل بالاقاح (١)

وأبناؤنا أكبادنا تمشي على الارض فهم فلذات أكبادنا وخلاصة عواطفنا والابن هو المهجة وهو الحشاشة وهو الحب وقده مر فهو ينزع الرثاء من القلب المتفطر والاحشاء الملتهبة ولن يكون هناك أصدق من رثاء الاب لابنه .

يقول الحوماني في رثاء ولده " عاطف " الذي تخطفه الردى اثناء اقامة الشاعر في الكاظميه بالعراق أيام هجرته لطلب العلم :

يرق بقلب أبيك بعدك خاطف ... فارحم أباك به حبيبي عاطف
كلم بني أباك راحم زفرة ... ضعفت عليك وعبرة تتضاعف
أو كلما حنت اليك جوانحي ... هتفت بدمعي للوكوف هواتف
حتى اذا نسمت عليه صبا الصبا ... عصفت به للنائبات عواصف
وبمهجتي يا غصن منك شمائل ... عبثت بهن يد الردى ومعاطف
في الكاظمية لي بقايا مهجة ... تلفت ولبث حشاى منها التالف
ريم لو ان الريم شاهد حسنه ... لسبته منه لواحظ وسوالف
أبني مالابيك تكسى رأسه ... وعليه من وشي الخضوع مطارف
ماخلف أن الحتف يقدم ناشبا ... يك ظفره وأبوك فوقك عاكف
أحنو عليك ولي زفير صاعد ... رف الظلام له وقلب واجف
هذي حقوق أبيك عن دم قلبه ... اذ جف ماء شؤونهن رواعف

ثم يختم القصيده يقول :

فوددت لو أني ببردك هاجع ... رمت المنية بي وأنت الواقف (٢)

---

(١) غيوم ظامئه للشاعر ص ٢٨
(٢) الديوان ص ١١٦

وماكان أحزننا يذكر تلك الزفرات الحراء كامله لولا خوف الاطالة فانها آهـــات مكلوم وزفرات ثاكل تذكرنا برثـاء ابن الرومي لولده محمـــد .

وفي رثاء الابناء ملقاله الشاعر الشهيد السيد جواد الامين (١) في طفلة لـــه في عمر الزهـــور اسمها " هند " ونقطف منها الاتـــي :

من رأى الزهر في الحقول طروبــا باسما والحيـاة فيـــة تجـــول
من رأى الاقحوان في السهل يبـدو كالمذ ارى بها الغرام يميـــل
من رأى الورد والخزامى تهـاوت د اعبتها من النسيـــم الشمـــول
من رأى وردة هنــاك تلاشــت بعد لأي وقد عراها نحـــول
هذه زهرتي وكانت جمـــالا وأريجـا على الورود تطـــول

وبعد هذه الصرخـــة يقـــول :

جف ماء الحياة منها ولمـــا ينجلي برعم عليهـــا ظليـــل
ايبست غصنها الرياح سمومـــا باليبـــس به الرياح تميـــل
قد بكتها النجوم طلا عديـــا ود هي الغمـر د هشـة وذ هـــول (٢)

وبعد رثاء الشقيق والام والابن يأتي رثاء العم ومما قاله الشاعر في الجبـل عبد الـــرؤوف الامين في رثاء عمــه من قصيدة بعنوان : " ذ هب الذين أحبهـــم " .

واظاك منهـــل السحـــاب ففد وت زاهيـــة الجنـــاب
تشقى وتسعد تربـــة كالناس وهـــي من اليبـــاب

---

(١) قتله الصهاينه في حولا ١٩٤٩ م

(٢) عن مخطوطـــه للشاعـــر

يابقعة لي في ترابك خير من فوق التراب
ضرحوا بأرضك للزكي فانزليه على الرحاب
تيهي فخارا بالنزيل وطاولي شم الهضاب

ومنها :

أتبعته ركب الاحبة فاقتفي أثر الركاب
وبقيت بعد الراحلين أسير دمع واكتئاب
ما أد مع المحزون غير عصارة القلب المذاب
ذهب النيسون أحبهم متعاقبين على الذهاب

ومنها :

عماه قد عم الاسى أفقي وقد ضاقت رحابي
عماه أوقفني المصاب على شفير من عذاب (١)

وهذا عبد المطلب الامين يرثي كذلك عمه السيد حسن محمود الامين (٢) بقصيدة جاء فيها :

مهيج مرن على الاسى وعلى الصدى قم عز فاطمة وعز محمدا
قم عز هاشم والحسين وزينبا وعلي بالحسن الزكي وبالندى
ذكر الدواطم يوم غبت بكربلا جثمان جدك باللواء ووسدا
فبكين واستعبرت هذي سنة قد شاءها التاريخ أن تتوسدا
تبغي الحسين بكل عصر ظامئا ويزيد يحكم في الرقاب مسودا (٣)

ونبقى في رحلتنا برثاء الاعمام وننتقل الى آل شراره فالشيخ علي شراره يرثي عمه الشيخ عبد الكريم شراره بقصيدة مطلعها :

---

(١) العرفان م ٣٦ جـ ٦ حزيران سنة ١٩٤٩ صـ ٦١٢

(٢) عاش مابين (١٢٩٩ — ١٣٦٨ هـ) .

(٣) الاعيان م ٣٢ صـ ٤٦٨ .

طيبك وماقد ارسلت عبراتهـــــــا　　شؤوني عســى يطفئ البكا حـــرانا (١)

وقبل أن يموت الشاعر الشاب حسين علي صعب ١٩٧٣ بمــدة وجـيزة رثى ابن عــــم له كان طالبا بقسم الدراسات العليا باحدى جامعات واشنطن وداهمه الموت وهو فـــى ريعـان شبابه • رثاه صعب بقصيدة جـــاء فيها (٢)

بكت عيني وهل يجدي بكائـــي　　ومن أرثيه في الدنيا رجائـــي

هجرت الشعر حتى كان بينــي　　سقى الالفاظ من خمــر الشقــاء

لموتك قد نذرت الشعر شـــدوا　　ولم أنذره ندبا للرثـــــاء (٣)

وهكذا كان رثاء الشعراء لاقاربهم ••• وهكذا كانت عواطفهم كلها ألم ممض وبكـاء وعويل وتشنج •• ومهما يكن من أمر فنحن لانستطيع احصاء ماقاله العامليون في رثـاء أقاربهم وقد كثر رثاء الاقارب خاصة في العائلات ذلك أن العائلات العامليه المعروفـه كآلا الامين والصبير الله وشراره والزين وشرف الدين وسليمان وصادق ومروه وشمس الدين •• كانت تحتكر الشعراء لنفسها لان معظم الشعراء العامليين كانوا منها وكل شاعر من هـذه العائـلات كان يبكـي ابنـاء عمومـته •

---

(١) الاعيان م ٤٦ صـ ٢٣٥ والشيخ على شراره عاش مابين (١٢٠٢ ـ ١٢٧٥ هـ)

(٢) ولد الشاعر صعب ١٩٣٧ وتوفى ١٩٧٣ •

(٣) عن مخطوطـه للشاعـر بحوزتـي •

أما المرحله الثالثـه والاخيره من رحلتنا في شعر الرثاء فهي أطـول من سابقيتها ذلك انهاتشتمل على رثاء الشهداء - وهم كثر - الاصدقـاء والاعلام وفي الغالب كان الرثاء في مثل هذه المواقف يأتي تلقائيا وعفويـا نابعا من عقيده ومودة واهتمام فالشهيد يرثى دون أن يكون الشاعر ملزمـا بالقاء رثائه له على القبر أو في احتفال معين اذ قد ينشر ذلك الرثـاء أو يحفظ وكذلك الاعلام وشهداء جبل عامل منذ ابتداء سنوات الكفاح ضـد الاستعمار الفرنسي ومرورا بالكفاح ضد الصهيونيه حتى يومنا هذا حيـث يحتدم الصراع الدموي الرهيب بين أطراف متعدده والرئيسة منها تلعـب من وراء الستار ويسقط الشهداء بالالوف ... ويقف الشعراء في هذه المناسبات فيعتصرون قرائحهم دموعا ودما وليس من الضروري أن يكون باستطاعتهم تقديـم شيء فهم كالمـرأه الثكلى التي لايسعها الا الولوله والبكـاء .

وكذلك الاعلام في جبل عامل سواء أكانوا زعماء أم علماء فهم كثر كالمخترع حسن كامل الصباح وزعماء آل الاسعد والعبد الله وسواهم وهولاء كان الشعـراء العامليون يقومون برثائهم اما ارضاء لضمائرهم أو ارضاء لمطامعهم حيـث يتزلفون الى كبراء القـوم ويجعلون من الرثاء قنطـرة لمدحهم والعبور اليهـم وليس ذلك غريبا لا في عالم الشعر ولا في عالم العـرب والعامليون في ذلك كاخوانهم العـرب ... اما الاصدقاء فأمرهم جلي واضح ولانرى في رثائهم شيئـا جديدا يسترعي الانتباه .. والمهم في الامر أن الرثاء في هذه المرحلـه كان في غالبه فوق العواطف فهو سياسي ينتزع من اعماق الاحزان والالام حتـى يطفو على سطح الواقع المعاش وسنضع بعض العناوين الصغيره لتلك المراثي حتـى نستطيع التمييز والتخصيص ونبـدأ كالاتـي :

حولا وشهداؤها

حولا بلدة لبنانية تقع في الجنوب الشرقي للبنان بمحاذاة فلسطين المحتله ولم يكن يزيد عدد سكانها عام ١٩٤٨ عن الفي نسمه الا قليلا اندفع شبابها للانضمام لما يسمى بجيش الانقاذ تلبية لنداء عواطفهم الساذجه بعد ماخدعهم سراب الحكام العرب من أن هذا الجيش سوف يحرر فلسطين ويلحق الهزيمة بالصهاينه ولما كانوا يرون بأم أعينهم كيف كان جنود الصهاينه يهربون أمامهم كالاغنام والهزائم تلحق بهم في كل المعارك رأوا أن الحاق الهزيمه باليهود الصهاينه ممكن جدا .. ذلك صحيح لو لم تكن الخيانه هي السلاح الاوحد الذي شهره الصهاينه في وجه العرب من أيدي العرب أنفسهم ولما تمت عمليه تسليم فلسطين للصهاينه قرر هولاء تصفيه حساباتهم مع الذين ذاقوا على أيديهم المر ... وتم غزو حولا واحتلالها وتدميرها تدميرا تاما وقتل اليهود كلا من وجدوه في تلك البلده وكان عدد القتلى يزيد عن ثمانين شابا وشيخا .

وفي الحقيقه ان هذه المأساه لم تهز الكثيرين لان أحدا لم يعلم بها الا المقربون وذوو القربى وعلى رأس هولاء شعراء جبل عامل فبكوا المصاب حولا والمهم فنظموا في رثاء الشهداء أروع قصائدهم وان كانت معظم هذه القصائد مازالت طي الكراريس الخاصه الا أن البعض منها قد شهد النور بالنشر أو لالقاء في مناسبات الاحتفالات بذكرى هولاء الشهداء ومن هذه المراثي قصيدة للشاعر الشيخ سليمان ظاهر وعنوانها " نكبة حولا " جاء فيها :

أما لفلسطين يرى من مسارع	يلبي نداها ودموك المسامع
عليها تمادى من بين التيه اذؤب	الى أكلها من كل دان وشاسع
وقد لفظتهم كل ارض وبلدة	وماذ احب منها اليها بواجع

وبعد أن يتحدث عن مأساة فلسطين وسكوت العرب عنها يستنهض الهمم ويستنجد بالقوم لشحذ العزائم .. يتحدث عن حولا فيقول :

أعاملة تشقى ولبنان ناظــــر ... ومامن كبي عن حماها يدافــــع
كأن لم تكن منه كمقلة ناظـــر ... ولم يك فيها القلب بين الاضـــالع
يجوس العدا منها الخلال كأنها ... رياض مشت فيها ذيول الزعـــازع
كأن لم تحركه مصارع فتيـــة ... (لحولا) فلم يثأر لتلك المصـــارع
أهان عليهم أن يصولوا بخمســة ... وسبعين فيها من فتى ويافـــع (١)

أما الشيخ حسن صادق فقد نظم قصيدتين في المناسبه أولاهما عنوانهـــا : " العلم " وثانيتهما عنوانها : " من وحـــي النكبـــه " مطلع الاولى :

ياعلما فوق البـــلاد رفرفـــا ... عهدك ما راق لنا ولاصفـــا

وفيهـــا :

لهفي على (صلحتها) وأشتهي ... عليك يا (حوله) أقضـــي لهفـــا
شبابك الفـــواح زهرا فتقـــت ... أكمامه الدهر بهم قد عصفـــا (٢)

أما الثانيـــه فمطلعهـــا :

قماري الوادي أي منكم الشادي ... مندداً في نوادي العرب انشـــادي
مرققا نغـــم الالحان على بســـه ... شمـــل القلـــوب تدانى بعد ابعاد

ثم يتحـــدث عن حولا وديرياسين فيقـــول :

(ماديرها) مشبه (حولا) بنكبتها ... وان هما أذكيا قلبي بايقـــاد (٣)

أما موسى الزين شراره فقد ألقى في حولا قصيده بالمناسبـــه جاء فيها :

دع ذكر اشـــلاء الشباب بحـــولا ... وأنس الاياس والدم المطلـــولا

---

(١) الفلسطينيات ج (١) المطبعه العصريه صيدا سنة ١٩٥٤ م وقوله خمسه وسبعيـــن " اشارة الى عدد القتلـــى

(٢) سفينة الحـق ص ٣٩ / العرفان م ٣٨ ج ٢ ص ١٣١ / ١٩٥١ وصلحـة بلدة لبنانيه أصابها ما أصاب حولا الا انها بقيت تحت الاحتلال الصهيوني بعد مـــا طرد أهلهـــا .

(٣) سفينة الحـــق ص ٥٣ .

" وبليدة " دعها ولا نذكر بها — متشردا من أهلها وقتيلا
" وميس " الا تذكر ديارا غودرت — بيد اليهود المجرمين طلولا
وانس فلسطين الذبيحة — عنها وعن آلامها مسؤولا

أما " بليدة وميس " فهما قريتان على الحدود قريبتان من حولا صنع بهما اليهود ماصنعوا الا أنه لم يلحقهما من القتل مالحق بحولا (١) ويقف السيد محمد غالب الامين (وهو شاعر مقل) في مسجد حولا مؤبنا شهداءها عام ١٩٤٩ — فيقول :

رسم الشباب على الشباب — في القفر نهب للذئاب
عن كل مقعد ام أبي — لا يلين لدى الصعاب
عافت جسومهم القبور — وآثرت شم الهضاب

ويهاجم حكام العرب بقوله :

قم وابك ماحاكت لنا — أيد الملوك من الخراب
تخذوا النفاق ذريعة — في قومهم عند الحساب

ويشير الى الشاعر الشهيد جواد الامين فيقول :

شهداء حولا فيكم — لي شاعر غض الاهاب
زين الشباب أبو فراس — لم يتمتع بالشباب (٢)

أما حبيب صادق فينظم قصيدة عن حولا بعنوان " العالم الهائم على وجهه " وذلك على طريقة الشعراء الحديث ومطلعها :

ظلا يتبعها .
يعد و معها منزلها الطيني بقايا منزلها الطيني رماد
عريشتها مسكبة التبغ السوداء .

---

(١) القصيده مخطوطه بحوزتي استخلصت عليها من الشاعر نفسه .
(٢) " " " وأبو فراس هو جواد الامين .

تتبعها الاشلاء
الرأس المقطوع ، الصوت ، الصوره .
والساحة المبتورة .

ثم يذكر حولا فيقول :

كل الطرقات تسوق النار الى (حولا)
(حولا) جسدي قلبي السكين .
في الليل تشد الريح على حولا يشتد
المطر المالح يتأى الوطن الوالد
في الليل يفسر الوطن الوالد
يتوارى الملسم الشاهد
لايبقى الا حولا والجلاد
ملعون من يسكن حولا يولد فيها أو
يحمل وشما ضمها

ملعون من يلفظ حرفا من صورتها ملعون
انت انسا
من هولا يبتدىء الاثم الدهري تسراوح
فيها أيام السخط الاولى .. (١)

وهكذا أصبحت حولا أغنية الشعراء ولحن الثوار الشجي وقدس الاقداس يحج اليها الشعراء فيبكون الشباب ويرثون للجريمة البشعة وينوحون المجد الضائع في ربى فلسطين .. ومن الشعراء الذين نظموا شعرا في حولا : معروف سويد ـ محمد سليمان يونس ـ محسن الامين ـ حسن الامين ـ عبد المطلب الامين .... وغيرهم .

---

(١) في زمن القهر والغضب " للشاعر . صادر من مطبعة دار العودة بيروت ١٧٢ ص ٩ ـ ١٧ .

" الشـهداء "

ومن شهداء حولا الى شهداء كل قضيه : شهداء فلسطين شهـــداء العروبه .. شهداء الاوطان .. وماأكثر الشهداء فى بلادى وانما كثرتهـــم تدل على كثرة الظلم اللاحق بامتنا .. يرقص الشاعر امين شوارة احـــد شهداء فلسطين عام ١٩٤٨ بقصيدة عنوانها : " الشهيد " مطلعها :

بين برق الظبى ورعد الحديـــد   وانلاع الظى وخفض البنـــود
ورحى الحرب فى الوغى تلقم الخلود   وتزين بالفـــارس الصنديـــد
وأزيز الرصاص فى مسمع الجـوزاء   لحن جهنمى النشيـــــد
كبر الفارس المصابى للموت   فشق الطريـق نحو الـخلـــود

والشهيد بنى مجد العرب لانه سقط على ثرى فلسطين التى مزقها العـــرب قبل أعدائهم بتراخيهـم عن نصرتها وبوضعهم للحدود الزائفـه .

ياشهيد البلاد ياعلم الاحـــرار   ياصفحـة الجهاد المجيـــد
قل لمن خط بالبلاد حـــدودا   نحن أدرى منه بوضع الحـــدود

وفيهـــا :

لن ينام الشرق الابى على الضيم   ويرضى عن خطة التبديـــد
أن أرضا نثور للذود عنهـــا   لم تزل فى الزمان أرض الجـــدود
خط فيها النبى من بعد عيسى   حرم الطهور والتقى والجـــود
سوف نفديه بالنفوس الغوالى   ونحامى عن قدسه المعبود (١)

وتلك المشاعر مزيج من الروح القوميه والدينيه فى آن واحد ... انها الـــروح الثائرة المتمرده المتوثبه لم يحد عنها أحد من شعراء عامـــلة .

---

(١) العرفان م ٣٥ ج ٨ ص ١٢٢٠

وعندما يموت الشيخ صالح العلي قائد الثوره العلويه ضد الفرنسيين في سوريا يرثيه الشاعر محمد علي الحومانـي بقصيدة عنوانها

أيها الصالح العلي • وقد جاء فيها :

الالى عززوا مضوا وبقينا ننشد العز من رفات أبينا
ويل تلك الاباء فيما تقاسيه على الدهر من عقوق البنينا (١)

وان كانت روح الحوماني تتميز عن روح غيره من الشعراء الا أنها على كل الاحوال الروح القوميه المغلفه بغلاف الثورة المتمرده التي تسيطر على جو القصيده التي يهاجم فيها الفرنسيين وعملاءهم وعلى رأسهم غورو •

ويؤبن الشاعر عبد الحسين عبد الله أحد الشهداء الذين سقطوا على ارض فلسطين وذلك في بنت جبيل فيردد نفس المعاني الثوريه في قصيده قصيره عنوانها :
" الشهيد في بنت جبيل " ومطلعها :

دمك الحر في يدينا كتاب صفحتاه الثناء والاعجاب (٢)

وتعلوا شعارات الوحده العربيه والثوره والتحرر في سماء جبل عامله يرفعها الشعراء من كل اتجاه فيكتب الشاعر حبيب صادق قصيده عن الشهداء عنوانها " رسم في كهون ثائر " يقول فيها :

على السلاح قبضتي الحديد
وحول جنبيها تطوف الثانيه (٣)

وسبق أن أشرنا الى قصيدته في رثاء الشهيده رجاء حسن أبو عماش وتكاد تكون دواوين الشعراء في جبل عامل كلها أصداء لما ذكرناه • فهي حديث عن الشهداء وتمجيد لهم

---

(١) العرفان م ٣٨ ج ١ سنة ١٩٥٠ ص ٢٠
(٢) حصاد الاشواك ص ٢١١
(٣) في زمن القهر والغضب ص ٢٢

ودعوه للنضال واستمراره من أجل الحريه والعداله تجد ذلك في دواوين الشعراء الشباب محمد وعبد الكريم شمس الدين وياسر بدر الدين وشوقي بزيع وحسن العبد الله وحسين علي صعب وعبد المطلب الامين وسكنه العبد الله والياس لحود ومحمد سليمان يونس وكامل مصباح فرحات وابراهيم فران وابراهيم شراره ... كما نراها تسيطر على دواوين شيوخ الشعراء وبنفس الروح الحية المتوثبه الهادره مثل موسى الزين شراره ـ وعبد الحسين عبد الله والحوماني وسليمان ظاهر وعلي الزين وحسين مروة ... وغيرهم .

ولم ينس الشعراء العامليون شهداء الامة العربيه البارزين الذين سقطوا في ميدان الشرف والفداء وهم يناضلون من أجل العروبه ويكافحون أعداءها من الفرنسيين والانجليز والامريكان والصهاينه في سوريا ومصر والجزائر وغيرها ثم امتد نظرهم بعيدا الى العالم الخارجي ليمجدوا شهداء الحريه في العالم أجمع كما في فيتنام وغيرها .

قال الحوماني في قصيدة يرثي بها يوسف العظمة عنوانها : " على قبر يوسف العظمه " :

وقد شيدته العلى فانهدم ... ومجد عهشنا بأركانه
ففي كبد المجد منها ألم ... ألمت به نكبات الخطوب

ومنها :

وأبكي فأمزج دمعا بدم ... وقفت أناشد أطلاله
ومجرى الكتائب والمزدحم ... أسائلها عن مصب الليوث
حشا كلمته الصبا فانكلم ... دعوني أذب فوق هذا الضريح
وتحنانه بين هذي الرجم ... عرفت الهوى بين تلك الرسوم
وبدر هوى فوقها وهو تم ... فكم كوكب خر من أفقه

ويسقط الشهيد سعيد العاص الحمصي عام ١٩٣٦ قتيلا على أرض فلسطين وتقام في جبل عامل حفله تابين له يدعى لها شعراء جبل عامل ومنهم الشيخ سليمان ظاهر الذى القى قصيده تربو ابياتها على المائه ومطلعها :

كل يوم لنا دم من شهيـــــد سائغ فى لاة كل صعيـــــد
سطر المجـد آية الفتح فيـــه وهو كالحمد فى الكتاب المجيـد

ويتساءل الشاعر بعد ذلك عن سر سكوت الامة العربيـة التى هزت العالـم بالامس وقعود ها عن نصره الشعب الفلسطينـــى ،

وقد عاش الشاعر حتى أدرك الجواب على تساؤلاته ولسنا بحاجـة الان لذكـر الجواب مجددا ! يقـول الشاعـــر •

اتراها وهي التي هزت الد نيا وقالت للارض تحتي ميـــــدي
ترتضي أن تداس أرض فلسطين وتمسي ملكـا لشعب اليهـــود (١)

اما عبد الكريم شمس الدين فيحمـل كثيره من الشعراء الشباب خشيـــة الفداء بعد الستينيات وتمثلها قصائده وبروح الثوره والاشاده بـــــأرواح الشهداء وتمجيـد البطولاتهم ويقول الشاعر في إحدى قصائـــده :

يانقطـة من دم حمراء قانيـــة
تشرب الكون منها فهو احـــراز
يارعشـة في ضمير الدهر راجفـة
الله •• الله •• اعصار وتيـــار

ومنهـــا :

فى تربـة الحق منهم ألف ملحمـة
شهاده انهم ثأر وثـــــوار
نسـج الحياه بأيديهم وماعد مـــت
اكفهم والردى ناب واظفاره (٢)

والقصيده تتسم بالروح التحريضيه على الانظمـه العربيـــه •

---

(١) الفلسطينيات صـــ ١٥ ـ ٢٠
(٢) الفجر المدى للشاعر ص ٩٣ مطبعه حايك وكمال ط ٩٦٩ •

هذا وقد وسع الشعراء العامليون دائرة اهتمامهم وخرجوا الـــى العالم ليفلقوا شعرهم بغلاف انسانى شامل فتطلعوا الى الشعوب المناضـلـه ضد الاستعمار والرازحـة تحت نير التسلط والارهاب فى شتى بقاع العالـــم بصرف النظـر عن اللون والعرق والدين ••• والشعب الذى شد اهتمــام العالم لاطول فترة بعد الحرب العالميه الثانيه هو بلا شك الشعب الفيتنامـى الذى خاض حربا طويلة ضد أمريكـا وحلفائها •• وتحسس العامليون بالام هذا الشعب المكافح وكما يقال " أن الغريب الى الغريب قريب " فمعاناتنا مـع الصهيونيـه وآلامنا فى فلسطين تجعلنا نتلفت الى اخواننا فى الالم والكفـاح وينظم الشاعر حبيب صادق قصيدة بعنوان " لغة الملاحم " ويصدرها بقـوله : الى الرماح المشتعله فى الفيتنـام • ويقـول :

عاجلتهم فتفـور التـزار
وتقلصت من ذعرها الاظفـار
وتبرأت من نابها وتـواد عـت
تلك السباع كأنها أبقـار
وعى الشعوب علوت كل حقيقـة
أنت النهى والصـارم البتـار
حين انحدرت على الظلام تمزقـت
غاباتـه وتبـدد الاعصـار
فاذا البوادى الموحشـات توقد
واذا الكهوف الضائمـات أوار
تلك الزنود السمر أجج نارهـا
عزم وكثـف حجمها استنفـار
طالب الفدا واستعذب الايثـار
واستصرخ الجرح الابى الثـار
فتسارع الثوار يزحم بعضهـم
بعضا فأجفـل منهـم المضمـار

الارض تأبـــى أن يلوث ظهرهـــــــا
باغ مجرح كبرها جبـــــــــار
والنا مريين اثنين اماميكـــــــل
بال واســـا فيصـــل مغـوار (١)

ولا شك أن للشعراء الشباب طريقا آخر ولونا يختلف فهم الثـــورة المتأججـــة والحركـة الدائبـة التي تميزهم وهذا طبع الشبـــاب في كل عصر وفي كل قطر .. وهذا شأن الشباب من شعراء عامـلـه فالوطن كله في اعتقادهم شهيد لعبت به الايادي الاثمه ومزقتـه شر ممزق وهو لذلك يستحق الرثـاء .

" رثـــاء الاعـــلام "

من الاعلام العامليين الذين قضـوا في قرننـا الحالي ورثاهم الشعـراء وسواء أكان لهم ماثر خالدات تستحق أن يسجلها الشعراء أم لم يكـن والمهم أن لهـم من النفـوذ الذي ورثـه منهم أولادهم مايجعـل بعض الشعراء يتهافتون على رثائهم والتزلف الى ورثـة زعاماتهم ومـن هولاء : كامل الاسعد (الاول) وخليل الاسعد وعبداللطيـف الاسعد وزعماء آل العبد الله من السياسيين وآل الامين وآل شـراره

ومن الزعماء الروحيين : محسن الامين سليمان ظاهر واحمـد عارف الدين وعبد الحسين شرف الدين .. ومن رجال العلم والاختـراع حسن كامل الصباح .. كل هولاء وجدنا من يرثيهـم ولو استثنينـا آل الاسعد الذين لم ينبغ منهم الا شبيب باشا كشاعر لوجدنا معظـم المذكورين كانوا من الشعراء وبالمعنى الادق فان لكل عائله من العائـلات التي ذكرناها شعراءها وقد لاحظنا ذلك من قبـل فعبد الحسين عبدالله

---

(١) فصول لم تتم ص ٨٦ ـ ٨٨ دار الاداب ط ١ / ١٩٦٩ .

يرثـــى أبناء عمومتـه ومن ذلك واحده فى رثاء ابن عمـــه المرحوم خنجر عبد اللـــه " وكان من وجهاء آل العبد الله وعنوانها " فاتنى الركب " ومطلعهـــا :

أقفر الربع فالمعانى طلـــول وانطوى فى الذرى الحسام الصقيـــل
وهوى الفارس المجل عن السرج فريع الحمى وساد الذهـــــول
تتهاوى المنى على جانبيـــه فصريعان متخن وجديـــــل
روع المرج فالعيون دمـــوع والاماليد همد لاتميــــل (١)

وفى البيت الاخير تورية لطيفة يشير فيها الشاعر الى " مرجعيـــون " ويقـــول الشاعر نفسه فى رثاء عمه الاقطاعى المعروف والمرابى الكبير الحاج مصطفى عبد اللـــه من قصيدة بعنوان : الدمعـــة الباقيـــة .

أى المصائب من زمانك أذكـــر يامرج حياك السحاب الممطــــر
أرنو الى الماضى فتكبر قيمـــة عندى وأنظرك الغداة فتصغـــر (٢)

وفى رثـــاء سعيد عسيران يقول الشاعر من قصيدة عنوانها : " عمر الـــــورود "

لف المنون بجانحية سعيـــدا أملا يرق على البـــلاد ورودا
وطوى من الخلق النبيل صحيفة بيضاء رددها الزمان نشيـــدا (٣)

وتعود الشاعر أن يهجـــو آل الاسعد دون أن يرثى موتاهم وعلى غير عادتـــه يرثى عبد اللطيف الاسعد بعد أن هجـاه فى حياته حيث القى قصيده بمناسبـــة مرور اسبوع على وفاته عام ١٩٣٦ م وذلك بحضور المستشار الفرنسى بيتشكـــــوف وممثلى السلطـه ويبرر الشاعر موقفـه ذلك بقوله أنه القـــى هـــــذه

---

(١) حصاد الاشواك ص ١٨٤
(٢) " " ص ١٨٧
(٣) " " ص ١٩٣

القصيده في الذكرى الاسبوعيه لوفاة المرحوم عبد اللطيف الاسعد " بعد موقفه الوطني الاخير عام ١٩٣٦ " وعنوان القصيده " هدأ الليث " ومطلعها :

هدأ الليث بعد طول النضال آمنا من متاعب الاهوال
تاركا من جهاده الحر صوتا داويا في مسامع الاجيال (١)

اما عبد الحسين صادق فله في " سقط المتاع " اثنتا عشر قصيده في رثاء الزعماء والوجهاء منها واحده في رثاء " زعيم العشيره الصعبيه المرحوم محمود بك الفضل المتوفي ١٣٤٥ هـ ويأتي على ذكر فقيد عامله وعميدها المرحوم كامل بك الاسعد يشركه في هذا التأبين حيث لم يطل العهد اذ ذاك على وفاته " عنوانها " جرى القدر (٢) ومطلعها " :

أرقها من الاماق دامية حمرا وسقها من الاحشاء دامية جمرا
هي النفس ودعها ودعها غنيمة لمبرتك الوطفا وزفرتك الحرا (٣)

وللشاعر قصيده في رثاء النضل نفسه وقصيدتان في رثاء " خالنا الحاج محمد افندي العبد الله (٤) وله قصيده في رثاء " المرجع الديني الاعلى المرحوم المبرور السيد ميرزا حسن الشيرازي " مطلعها " :

بخطبك اذ هلت الورى فهي هجس واخرستها حتى نعيك اخرس
وغادرتها من دمعها وزفيرها تساقط أحداق وتصعد أنفس

---

(١) حصاد الاشواك ص ١٩٩
(٢) سقط المتاع ص ٢٠٦
(٣) ـــــــــــ ص ٢١٩
(٤) ـــــــــــ ص ٢٢٦

وقال في رثاء " فخر العرب وسيدها المغفور له الملك فيصل الاول ملك العراق وكان قد اقام له حفلة تابينيه في النادي الحسيني في النبطيه "

هنا وعزا للعرب طيلة دهرها ... بتتويج غازيها وتكفين فيصل
مليكان قال العرش ياسيدي ارتقي ... لذا ولهذا قال ياسيدي انزل (١)

ولو كنا هنا في مجال النقد لقلنا رأينا في هذا المطلع السيء الردي" وله في رثاء " زعيم عامله الاوحد المرحوم كامل الاسعد " قصيده مطلعها :

نزلت فضاق بخطبها الدهر ... والاوسمان البر والبحر (٢)

وله في رثاء خليل بك الاسعد المتوفى ١٣١٥ هـ قصيده عنوانها " علم يطوى" ومطلعها :

من لف عن ربع الاعزه ... علما يرف عصلا وعزة
من جف البحر الخضم ... واخمد النار الموؤزة (٣)
من زلزل الطود الاشم ... وعن قرارته استفزة
من كهم العضب الجراز ... وحطم الصعب المهزه (٤)

وللشاعر قصيده في رثاء المرحوم " نعيم بك الفضل الصعبي " (٥) وآخرى في رثاء الشاعر العراقي جعفر الحلي مطلعها :

على مثل وحز السمر أو حزه المدى ... طويت ضلوعي يوم أودى بك الردى
اذيل على نار الجوانح أو معي ... لتطفي نما تزداد الا توقدا
ظي كلما قد عن ذكرك زفرة ... تضاد رشمل القلب شلوا مبددا

اما الشاعر ، كامل سليمان فغالب رثائه للعلماء الاجلاء وهو يبتعد عن رثاء الزعماء وله في رثاء الشيخ يوسف الفقيه رئيس المحكمه الجعفريه العليا المتوفى عام ١٩٥٧ م قصيده مطلعها :

---

(١) المتهيجه
(٢) ص ٢٣٥
(٣) ص ٢٣٨
(٤) ص ٢٥٣
(٥) اشراق ص ١٤٠

فالدمع جامد في المقـــــل   بعد رزء للمصـــــال جـــلل
جلجلت أصداؤه في عامـــــل   وأصابت منه قلب الجبـــــل
فالورى كف على القلب ارتــوى   ويد قد اصدقت بالمحمـــل (١)

ويقول في رثـاء العلامه السيد عبد الحسين شرف الدين المتوفى عام ١٩٥٨ مـــن قصيـــدة :

قد عهدت القريض ملك يديـــا   والقوافي كالسيل تهمي عليـــا
أرسل الشعر لا تكلف فيــــه   فيجيئ الكلام سهلا قويـــا
وأنا الان ابتغيه فيأتي اللفـظ   نضوا .. بل مجهدا عاديـــا
فاعرني مولاي نطقا فصيحـــا   منك استلهم الكــلام العصيا (٢)

وفي سفينـة الحق للشيخ حسن عبد الحسين صادق رثاء للعلامة الشيخ احمـــد رضا عنوانها " في وداع " ومطلعهـــا :

ما الامس أول توديعي ولا الثاني   ظعن الاحبة عن ذا العالم الفانـــي
فكم تجرعت صابا من حـــرائره   وكم مريش سهمي منه اصمانـــي
منى لقلبي لو واكبت ركبهـــم   لو أن ما أتمناه بامكانـــي (٣)

وله في رثاء الملك فيصل المتوفى عام ١٩٣٣ م قصيدة عنوانها " اليوم الأجل " مطلعهـــا :

ما لمع البارق حتى استهـــل   لكن سحاب أدمع من مقـــل
قد حركت من " برن " اسلاكـه   فكان تحريك منـار المـــلل
واستعرض الشرق بايماضـــه   فكهرب الجـو به فاشتمـــل

---

(١) ص ٢٢٨
(٢) سفينه الحـــق ص ١٥٣
(٣) " " " ١٠٧ وكان فيصل قد مات في برن .

نض جناحيه بموارة الارض ... أو نسافة للقلل
اجل أبا الغازى فما يومك ... الانكد فى الايام الا أجل (١)

ثم يرثى الشاعر نفسه الملك غازى فى قصيدة عنوانها " الامل المخضب " مطلعها :

قد عقدنا الامال فيك فساحا ... ياعراق العرب استمرت كفاحا
لا يلن منك للخطوب جماح ... بل النهى شيكمة وجناحا
وأحتقب نفثه بصدرك غصت ... لهوات الفضا بها أتراحا (٢)

ويقول الشاعر نفسه فى " رثاء حجة الاسلام الشيخ احمد آل كاشف الغطاء النجفى رحمه الله " من قصيدة مطلعها :

تمجلت مذ أفنيت شخصك فى الالى ... له راغبا أخرى بلغت بها السولا
أصات بك الناعى فاكبرت معظما ... وحاولت لو أسطيع للامر تأويلا (٣)

وله فى رثاء " زعيم جبل عامله المرحوم كامل الاسعد " قصيدة عنوانها " الصدى المريع " وجاء فيها :

أطال ليلى وأقض مضجعى ... صدى لمنماك أصم مسمعى
لم يصب الحزن فؤادى وحده ... بل أصاب الناس كلهم معى (٤)

وله فى رثاء الزعيم العاملى المرحوم الحاج محمد عبد الله من قصيدة مطلعها :

لاتراعى للريح من ساكينة ... انما أنت حاجتى كنت فيه
سوف أجتازه كحنان رعد ... مربزجى عشاره يسقيه (٥)

---

(١) سفينه الحق ص ١١١
(٢) " " " ١١٤
(٣) ص ١١٩
(٤) ص ١٢٢
(٥) ص ١٢٤

وفى رثاء " الزعيم العاملى المرحوم فضل الفضل " يقول :

كان نزول القضا والقدر	عليك ابن صعب غدا مبتكر (١)

هذا وكان يودنا أن نضع رثاءه لابيه فى موضعه من رثاء الاهل والاقارب لكننا أثرنا وضع هذا الرثاء واثباته هنا لاختفاء العاطفه الابويه منه حيث بالغ الشاعر فجاءت مبالغته جافه فيقول فى رثاء الشيخ عبدالحسين صادق :

فجع المسلمون والاسلام	باء والدين قد عراه انفصام
أية الله أنت فى محكم الذكر	واحكام شرعه علام
مستقل بعبئها هكذا كان	نبى الهدى وكان الامام
نسخة منهما طبعت وقد قمت	بأمر الاله من حيث قاموا (٢)

والحقيقة أن عبدالحسين صادق لم يكن كما ذكر ولده وعذر الشاعر فى تلك المبالغه واضح • ويتضح لنا من هذا الاستعراض السريع مدى الفرق بين رثاء الاهل والاقارب والشهداء والزعماء من حيث العاطفه وصدق المشاعر وأكثر مايكون الرثاء كاذبا متلكفا عندما يقال فى الزعماء تملقا وتزلفا ويأتى الصدق فيه فى المنزله الاخيره فقل أن يرثى هولاء رثاء صادقا • أما رثاء العلماء ورجال الدين فأمره يختلف اذ يعبر عن اعجاب الشاعر بهولاء وأسفه لفقدهم فى وقت تكون فيه الامة بحاجة الى أمثالهم ومن هذا القبيل ماقيل فى محسن الامين الذى كان مصلحا اجتماعيا ومفكرا مسلما عمل مافى وسعه لرأب الصدع ولم الشمل بين المسلمين واقام فى دمشق فى الوقت الذى كان يتخوف فيه الشيعه من مجرد الاعلان عن مذهبهم هناك وقوى مركزه فى العاصمه الامويه والتقى بفضلائها وعلمائها فأحبوه وأنزلوه المنزله التى يستحقها •• وقد أثنى عليه الذين أبنوه بعد وفاته •

---

(١) ص ١٢٨

(٢) ص ١٢٤

هاجم السيد محسن الخرافات والاضاليل وحارب البدع عند الشيعة وغيرهم كما تصدى لال صادق في النبطية الذين ارتزقوا من عاشوراء ودون أن يقيموا وزنا للمثل ولمستقبل العلاقات بين السنة والشيعة وقد عانى من جراء ذلك ما عاناه فالتفت حوله الجماهير في دمشق وبيروت .. واضافة الى ذلك حارب الفرنسيين بقوة المسلم المؤمن وعان منهم الكثير وقد رفض الكثير من المناصب الزائفة التي كان يتهافت عليها ضعفاء النفوس ومرضى القلوب ..

كان السيد محسن قائدا دينيا وجماهيريا شعبيا أحبه المسلمون من كل جوارحهم .. وهو العالم الوحيد الذي لا نستطيع أن نطلق عليه اسم " سني أو شيعي " لانه كان مسلما بكل ما في هذه الكلمه من معاني ساميه .

رثاه الشعراء فصدقوه الحب والوفاء وكانوا صادقين في مشاعرهم وعواطفهم نحوه لانهم أحبوه من جوارحهم وكثير من عفاته تنطبق على رفاقه في النضال مثل احمد عارف الزين وسليمان ظاهر واحمد رضا وان كان هناك بعض التفاوت النسبي بين هولاء الرجال الافذاذ الا أن الشيء الذي يشتركون فيه هو اخلاصهم للناس واخلاص الناس لهم .

وفي رثاء السيد محسن الامين قال محمد كامل شعيب العاملي قصيدة طويلة جاء فيها :

أخنت على الشرف الرفيع عواد	وهوت بمحور أمة وبلاد
حتف النعي وماحسبتك من نعى	لولا الاسى وتفطر الاكباد
أيحن بالبوصاء دوني من به	شط المزار وأنت طي فؤادي
ماذا وهي الدنيا فلم أر هودجا	للركب غير مجلل بسواد
جبل من الاجبال طاح من الرد	في الشرق أم طود من الاطواد
أوصى احمد من أمالوا في الثرى	والسبط من حملوا على الاعواد (١)

---

(١) الاعيان جـ ٤٠ صـ ٢٩٧ ـ ٢٩٩ المستدركات .

وتبدو ملامح الاسى واضحه فى هذه الابيات القليله كما يبدو الصدق فى الرثـــاء

أما الشاعر الشيخ احمد عارف الزين فقد رثا الشاعر ابراهيم شراره بقصيدة مطلعها :

ويا أحمد العرفان أى مجـلة — تقرب أطماح الرجال الى المـلا
كتاب حواشيه الرضا وسطـوره — نمير اذا الظمآن يمم منــزلا
تزاحمت الاجيال حول ضفافـة — عطاش الى صرف ترقـرق جدولا (١)

وقال عبد المطلب الامين فى رثاء عارف الزيـن :

قبر يطوس الى جنب الرضا ولـه — عين الرضا والهدى والحق تبتسـم
العارف الله عرفان الوصى لـه — ومن له بهدى خطواته أمـم (٢)

والشيخ عارف الزين مدفون فى طوس بايران .. اما الشاعر بولس سلامه فقال فى رثـاء صاحب العرفان من قصيـدة :

أزف الليل يا شهيد الجهـاد — فتنعم ببهجة الابـاد
ساهر القلب كنت الف المعالى — أسد الوجه فى ظلام الاعـادى
دائم الهم والعزيمة جياشـا — سنى الاهواء نابى الوسـاد
العليون حجة وذكـاء — لا يوارون عسرهم فى الرقـاد
هم كما النور طبعه من صفـاء — ومعانى سنانه لا متـداد
لو تعرى الزمان منهم لبـات — المصر اخلى من مجدبات البوادى (٣)

ثم لنقف مع الشاعر محمد كامل شعيب بعض الوقت فى رثائه لعارف الزين حيث يقـول :

---

(١) العرفان غلاف العدد الثانى شباط ٩٧٥ المجلد ٦٣
(٢) " العـــدد الثالث آذار ٩٧٣ المجلد ٦١
(٣) " ك ٢ شباط ٩٦١ صـ ٤٣٨

حمل البريد من العزاء النائـــى   نبأ العزاء ولات حين عـــزاء
ومشى الهوينا وهو يعصب رأســه   كمليحة تمشى على استحيــاء
أترى جناح البرق أخطأ قصـده   أم ناء تحت بواهظ الاعبـــاء
لولا معالجة المنون لطبقـــت   أنباء نعيك سائر الارجـــاء
ولرب رزء للبرية فـــــادح   هانت لديه فداحــة الارزاء
فجـع الحفيظة فاجع فى ربهـــا   وهى البيان بنكبة دهيــاء (١)

ولكامل شعيب نفسه فى رثاء الشيخ سليمان ظاهــــر :

بكت أمى الكتاب المحكمـــات   وغيضت العلوم الزاخـــرات
وخبئت اللآلـــى كالغوائـــى   فهن عن العيـــون محجبات
أخا التسمين وهى بكـل داج   كآراد الشموس مشمشمـــات
هطلن بحامل مزنا تقـــالا   كما تهمى الفؤاد ى لهاطلات
وقلدن البيان من اللآلـــى   عقود الدر وهى مرصعـــات
صحائف وهى ناصعة بياضـا   باكاليل الجهاد مكـــللات (٢)

هذا ويمثل القوة التى كرم فيها الشعراء العامليون علماء هم الافزاذ من رجـــال الدين كرموا رجال العلم والاختراع والذين يتطلعون الى آفاق العلم الحديـــث وقد نبغ من العامليين غير واحد فى العلوم التطبيقيه فى الوقت الذى خلت فيـــه الساحه من هولاء • ومن هذا المنطلق كرم الشعراء المخترع العظيم حســـن كامل الصباح الذى مات فى امريكا بظروف مشبوهـه ونظموا فيه روائع دررهـــم وقصائدهم التى تفيض حبا وتقديرا ومن هولاء : الشاعر عبد الحسين عبد اللـــه الذى القى قصيده بمناسبـــة ذكرى المخترع التى اقيمت فى مسقط رأســه النبيطيــه ومما جـاء فى هذه القصيده قول الشاعـــر :

ماجئتكم لاحبى الجاه والزعمـــا   بل جئتكم لاحى العلم والعلمـــا

---

(١) العرفان ك ١٩٦٠ صـــ ٣٢٥
(٢) " أذار ٩٦١ صـــ ٦٣٨

الشعر لم يغره بيت ولا نسب ... ولا أجاد على أوتاره النغما
يقدس الكوخ بالفلاح متضمخا ... ويزدرى القصر بالنواب مزدحما
ما المقواقي وأشباح على سرر ... تطاولت كبرا واستعرضت شمما
أعيذ ها من تماثيل مزخرفة ... صارت عمالقة واستوزرت قزما (١)

ويلقى الشاعر موسى الزين شرارة قصيده فى ذكرى الصباح (٢) جاء فيها :

قال قوم ما بال شعبك أمسى ... لايبالى بقاصمات الظهور
راضيا بالهوان والذل عيشا ... لا شقاء يشكو لاثقل نير
جامد الدمع أن يمت كل يوم ... ألف فذ منه وألف كبير
قلت مات الشعور منه فحاشا ... يرتجى الناس من عديم الشعور
أنا أخشى أن لايلبى اذا ما ... نبهه الله خلقه للنشور
لاثقل عق شعبة فقريض ... لو تدبرت نفثه المصدور
ان شعبا يرى التمدن عارا ... ويداوى عليله بالنذور
ويرى العلم والفنون فسادا ... لهو أولى الورى بسكنى القبور
آه لو كنت جرول الشعر أولو ... كان لى بالهجا بيان جرير
لشفيت الفؤاد مما يلاقى ... بهجا لاذع ونقد مرير (٣)

ونلاحظ ملامح الثوره فى شعر شراره وكأنه نسى المقام الذى هو فيه

(١) حصاد الاشواك ص ١٢٤

(٢) "جاء فى " الحركه الفكريه والادبيه فى جبل عامل " للدكتور محمد كاظم ص ١٩٧ مايلى فى ترجمة حسن كامل الصباح : " حسن كامل الصباح معجزه لبنان باختراعاته اتصل بالعرب طالبا فى الجامعه الامريكيه فى بيروت أولا ثم فى امريكا أخيرا فقدم للعلم وافرا من الاختراعات فى الكهرباء والطاقه والبخار " وفى الهامش جاء مايلى : " ولد حسن كامل الصباح فى النبطيه ودرس فى مدارس عديده أولا فى الجامعه الامريكيه وتخرج منها سنة ١٩١٨ ثم هاجر الى الولايات المتحده الامريكيه ومنحته جامعتها شهاده استاذ فى العلوم وقد بدأ بعدها باختراعات مدهشه تاركا منها مايزيد على الاربعين وتوفى سنة ١٩٣٥ م .

(٣) العرفان م ٢٧ ج ٥ ص ٣٨٤ .

فثار على شعبـــه الذى لايكرم العلماء الافذاذ وهاجمه لانه لايتحرك لطلـــب العلم ٠ أما وديع ذيب فانه يؤبـــن الصباح معتدلا فيتحدث عن العلم والعلمـــاء وخســـارة العالم وجبل عامل بفقده حسن كامل الصبـــاح وقد جاء بقصيدتـــه :

موطن المجد كل أرضــك " عامــل " تنبت الصيد والغزاة البواســـل
أى صقع فى الكون مالك فيـــه شرف السبق من تليد وأثـــل
الجوالى التى بعثت بعيـــدا لم تزل تطلب البعيد جوائـــل
أوشكت تبلغ النجوم وتجلـــو غيهب الليـــل عن مناكب آفـــل
من كصباحها ربيب علاهـــا يوم تشتد حالكات النـــوازل
كاد لو يسعف الزمان قليـــلا يجمــع الشمس فى أنامل سائـــل (١)
انما العقل فى سنائك فيـــض عفوك الله كيف يجحـــد عاقـل

ثم يقول الشاعر فى ختام القصيـــدة :

لست فى موقف الرثاء ولكـــن يذكر الحر بالذى هو فاعـــل
لن يؤدى البيـــان حقك مهمـــا قال فى حلبة المحامد قائـــل (٢)

وهذا قليـــل مما رثى به الشعراء حسن كامل الصبـــاح ٠

---

(١) مات الصباح وهو فى ريعان شبابه وقد اشيع أنه كان يفكر باستخـــدام الطاقـــه الشمسيـــه فى الاناره والى ذلك يشير الشاعـــر ٠

(٢) العرفـــان م ٥٠ ج ١٠ نوار ١٩٦٣ صـــــ ٩٤٦ ٠

رثاء الـــذات

أما رثاء الذات فهو نوع من الشعر الفلسفي الوجداني الذي يخلو فيه المرء الى نفسه فيتذكر مصيرها شعورا منه بدنو أجله فيبكي على نفسه متعظا حينا وزاهدا حينا آخر وهذا الرثاء يتسم بالرقه والهدوء فهو كالدمعة المترقرقة في العين .. بكاء صامت .. ونحيب خافت ... وتأمل حزين .. وممن رثوا أنفسهم السيد محسن الامين يقول ولده السيد حسن انه عندما شعر بدنو أجله وهو في مرضه الذي مات فيه " دمعت عيناه وطلب قلما وورقه وكتب فيها " .

وما بكيت لفقد دنيـــا	افارقها ولا لخل اليـــف
ولكني بكيت على كتــاب	تصنفه يداي الى صنوف
سيمضي بعد فقداني ضياعا	كما يمضي شتاء بالخريف
أسفت له وكان لذاك حزني	ولست بعد ذلك بالاسيف
أخاف أن تفاجئني المنايا	ولم يكمل بتهذيب منيف
ولي أمل بفضل الله رب الـ	خلائق واسع الكرم اللطيف
بأن يعطي الرغائب فهو لما	يزل ملجاي في الامر المخوف (١)

وهو كما رأينا لايبكي خوفا من الموت وانما يبكي خوفا على كتبه من أن تموت معه ولحسن الحظ فان ولده حسن الامين كان وفيا لذكرى أبيه وقطع شوطا واسعا في تصنيف كتب والده وقد نفخ فيها الروح مجددا وأعطاها من فكره وعقله فكان بالفعل مكملا لرحلة أبيه الخالد .

أما الشهيد عبدالحسين سليمان فكان بلبل المجالس يشتهي أصدقاؤه الجلوس معه والتحدث اليه والاستماع اليه ولما أصيب بمرض الجذام قبل استشهاده خشي القوم منه على أنفسهم من انتشار العدوى وتحاموه وابتعدوا عنه . فحز ذلك في نفسه وآلمه أشد الالم .

---

(١) الاعيان جـ ٤٠ صـ ١٣٤ المستدركات .

ولا يخفى مافى ذلك من جو لكبرياء الرجل وشعوره فمارض قصيده مالك بن الريب التميمى فى رثاء نفسه وقصان :

مرضت وصحبى أعرضوا عن عيادتى مخافة أن يسرى لهم بعض دائيا
وقد نفروا منى على غير عاده نفور الافاعى والوحوش الضواريا
لقد كنت قد ماأنف العيش بينهم فقد اصبحوا هم بالقعون فراقيا
وأصبحت مذموما ذميما بعينهم وقد كنت قبلا لم يرلى قط ثانيا

ومنها :

سأوصى بأن لا يتبعن جنازتى من الناس غير النائحات البواكيا
سأوصى بأن لا أدفنن بتربة لئلا الى الموتى يسىء جواريا
ولكن سأوصى أن اوارى بقفره من البيد بين الباسقات النوائيا
هنا لك لا من قط يزعج وحدتى ولا بعد عشر يث رجون رفاتيا
تذكرت من يبكى على فلم اجده اذا مت انسانا من الحى باكيا
سوى ابنى طبعا وابنتاى كلاهما وسباكيه اخرى تهيج البواكيا
ووالدة مفجوعه بوحيدها فقد أصبحت شنا من الهم باليا
لها الله من مثكولة شفها الاسى وكان لها قلب من الهم خاليا
كأنى بها لما أتاها صبيحة رسول المنايا مخبرا عن وفاتيا
تصدت وقالت لا لنعى الا اتئد رويدك مهلا قد صدعت فؤاديا

وهكذا تسهو القصيده بهذا البكاء المر الاليم والتفجع والحسره حتى نهايتها وقد تحقق للفقيد نصف ماأراد حيث قتله اليهود وهو مريض فلم يجدوا من يبكى عليه حيث بقيت جثته تحت الانقاض قرابه العام دون أن يدفن لان الناس كانت قد هربت من الاحتلال الصهيونى اما النصف الثانى فلم يتحقق وذلك عندما ابدى رغبته بأن يبكيه ولداه فلم يبكيه الا واحد منهما لان الصهاينه قتلوا الاخر قبل أبيه وهكذا تمر المأساه وتنتهى فصولها .

---

(١) مخطوطه موجوده بحوزتى .

تعقيـــــــــــب

رأينا كيف أن العواطف فى الرثاء تختلف من شاعر الى شاعر ومن حال الى حال فليس كل الرثاء سواء وفى تقسيمنا للرثاء الى ثلاثة أقسام اتضح لنا بما لايدع مجالا للشك أن رثاء الاهل والاقارب ينبع من أعماق الفؤاد .. أما رثاء الشهداء فانه ينبع من العواطف الوطنية والعقل والاحساس القومى وفيه من الصدق مايقترب به من رثاء الأهل .. أما رثاء الزعماء فانه من العواطف التى تطفو على السطح يغلفها بريق زائف وظيفته الخداع أما رثاء العلماء فانه قريب من رثاء الشهداء يدفع اليه الاحساس الوطنى أيضا وهكذا نستطيع ترتيب الرثاء من حيث الصدق كالآتى :

رثاء الاهل يأتى فى الخرتيبة الاولى ثم يليه رثاء الشهداء فرثاء العلماء ثم رثاء الزعماء فالاول من الاعماق والأخير يطفو على السطح .

هذا ومن الناحية الفنية فقد رأينا أن البعض من الشعراء العامليين مقلدون للقدامى من حيث الأسلوب والمعانى والبعض الاخر قد سلك مسلكا آخر .. والبعض قد تخصص فى رثاء الاعيان والوجهاء كعبد الحسين صادق وولده حسن ومحمد كامل شعيب والبعض قد تخصص فى رثاء الشهداء الوطنيين كموسى الزين شرارة والحومانى وعبد الحسين العبد الله .. أما البعض الاخر فقد تخصص فى رثاء أهل البيت . وهناك من تخصص فى رثاء العلماء مثل كامل سليمان ..

ومهما يكن من أمر فالرقة تكاد تسيطر على معظم الرثاء العاملى أما العواطف فهى على أقدار متفاوتة من حيث الصدق . ولا شك أن الرثاء فى الشعر العاملى يشكل نسبة كبيرة جدا من مجموع مانظمه العامليون وما ذلك الا لكثرة مناسبات الرثاء وتزاحم الشعراء على منابر القبور .

الأغراض الدينية في الشعر العاملي

ويندرج تحتها ماياتي :

١) المدائح النبوية .
٢) مدح ورثاء أهل البيت .
٣) مأساة كربلاء وذكرى عاشوراء وما قيل فيهما .
٤) الالهيات والزهد والابتهال والوعظ .
٥) التسامح الديني .

تحدثنا فيما مضى عن المدائح الدينية وكربلاء ولكننا ألبسنا ذلك الحديث ثوبا آخر غير ذلك الثوب الذى نزمع الباسه لحديثنا الآن ففى الاول تحدثنا عن المدائح بصفتها مدحا وعن الرثاء لأهل البيت كرثاء . أما الآن فاننا نتحدث عن الجانب الدينى الخالص فى ذلك الشعر .

والمناسبات التى كان العامليون يتحدثون فيها فى الدين شعرا كانت كثيرة فمنها على سبيل المثال : المولد النبوى — الهجرة — مولد الامام على ووفاته — ليلة القدر — الاسراء والمعراج — المواقع الاسلامية (بدر — أحد — خيبر) — تأبين رجال الدين بالاضافة الى مولد الائمة الاطهار من آل بيت النبى ..

ولما كنا قد تحدثنا فى ذلك سابقا عن الجوانب التى ألمحنا اليها فان حديثنا هنا سيكون مختصرا .

(١) المدائح النبوية

من الذين ركزوا على الشعر الدينى عبد الحسين صادق ومحمد على الحومانى وسليمان ظاهر وكامل سليمان ومحسن الامين وبشير مصطفى محمود ومحمد حسين فضل الله وعبد الحسين عبد الله واحمد رضا وغيرهم ومنهم من اقتصر على

قصائد ومقطعات نثرها هنا وهناك ومنهم من وضع الدواوين الكاملة في ذلك ومن هؤلاء عبد الحسين صادق الذى سوف نعود للوقوف معه قليلا في كتابه :

عرف الولاء

هذا الكتاب هو الجزء الثاني من ديوان الشاعر وقد جاء في اهدائه قوله الذى ذكرنا بعضه فيما مضى : " الى ابنة سيد المرسلين وخاتم سفراء الله الى عباده محمد (ص) الى حليلة الامام ابن عم الرسول مولانا أمير المؤمنين على بن ابى طالب (ع) ... "

والقصيدة الاولى في هذا الديوان في المدائح النبوية يسميها الشاعر " الاوهام البرقية والحقائق البراقية " ... وصف فيها البرق في فصول متعددة كل فصل تحت عنوان خاص ثم أتى على سيرته (ص) فجعلها على قسمين : روحية وجسمية ووصفها بقسميها .. " ويبدو أنه سقط من القصيدة بعض أجزائها يقول حسن صادق (محقق الديوان) : " بيد أنني ما استطعت أن استخلص من مسوداتها غير الذى أثبته اذ أنه وهو مشغول بها أصابه ذلك العارض المشؤوم فحال دون مراجعتها " (١) وعنوان الاولى : وهم البرق مرود من حديد ومطلعها :

هاهو البرق مرود من حديد	بين جفنين من سما وصعيد
مر في محجرى نهار وليل	بين أهداب زين بيض وسود

ثم بعد أن يتخلص الى مدح الرسول وينتقد مذهب دارون يقول :

هل بنا يا هديت ننتجع الحق	ولكن من بارق لا زرود
شع فيه جبين فاران نورا	كالذى فوقه ابن عمران نودى
ان أشبه سينا وساعير فيه	فهو خزب من المجاز البعيد
مذ خلا الكون من أناس هداة	بعثوا من لدن عزيز حميد (٢)

(١) المقدمة ص ٥ .
(٢) الديوان ص ٩ .

ثم يتحدث عن الرسول فيقول :

خاتم المرسلين بدء الوجود ... سيد العالمين بيض وسود
هو للمعجزات صيغة جمع ... كل فرد منها نسيج وحيد
وحد الله والمحيط محيط الشر م ... ك أودى الاعداء للتوحيد
بين أهل ومعشر ولدات ... كلهم مشركون فى المعبود
واقفا فى قبالة الكل ثبتا ... لم يزلزله عاصف التقليد (١)

أما قصيدته الاخرى التى الحنا اليها ومطلعها :

هى القلاص المراسيم المراسيل ... أم الرئال المذاعير المجافيل (٢)

فهى خالصة فى مدح الرسول (ص) ثم تليها القصيدة الثالثة وهى فى مدح الامام على ومطلعها :

هى المضامير ان توجف مذاكيها ... فالبالغ الغاية القصوى مجليها
ماكل راكب رأس حائز سبقا ... كلا ولا كل ممطى القوس باريها

ويدافع فيها عن أبى طالب والد الامام على دافعا عنه تهمة الكفر فيقول :

لذا أبو طالب ماكان غير حنيفى ... ويظهر دين الشرك تمويها

ويشير بعد ذلك الى ولادة المرتضى :

ولادة المرتضى لم يحوها احد ... سواه فى غابر الدنيا وماضيها
طافت به أمه حملا فقاجاءها ... المخاض فانشق ركن البيت يؤويها

اما القصيدة الكبرى فهى فى مدح فاطمة الزهراء ومطلعها :

بنت النبوة اخت الذكر أم هداة ... الخلق جدة أزكى السادة النجب

وفى هذه القصيدة حوار هادئ يخوضه الشاعر مع الخلفاء الذين آذوا فاطمة واختلفوا معها والقصيدة تسير فى هذا الاتجاه :

---

(١) ص ١٢ .
(٢) ص ٢٦ .

١ ـ خطاب الناظم مع السيد الفاروق عمر بن الخطاب ٠
٢ ـ خطابه مع السيد الصديق أبو بكر ٠
٣ ـ خطابه مع ذى النورين عثمان ٠
٤ ـ خطابه مع الصحابة ٠

ومما رأينا يتضح أن الشاعر يناقش الجميع ويطيل نقاشه مع أبى بكر الذى انتزع " فدك " من فاطمة ويقول :

يا أول الناس للاسلام مرتبة ... الا خديجة ذات الفضل والحسب
أما على فداع كالنبى له ... لم ينسبق فيه أو يسبق الى القصب

ثم يقول :

ان زاغت الناس أبصارا وأفئدة ... عنهم فقلبك ثبت غير منقلب

وبعد نقاش طويل يتحدث عن " فدك " فيقول :

هب فاطما لم تكن ملكا لهـا فدك ... ولا لها من ختام المرسلين حبى
خصص به فاطما فهى الحرية بالتخصيص للعلم للاعواز بالنسب
هذا ابن عبد العزيز السيد الأموى ... أعادها بعد حين مر للمعقب
أجاهل عمر الثانى شريعته ... وهو الضليع بمفروض ومنتدب ؟
أظالم وهو رد اد المظالم للمظلوم ... لم يثنه عنه ابناء أبى
تفقه الاموى للخير وانخذل التيمى وذا لم يكن حسبان محتسب (١)

وبقية الديوان جاءت فى مدح أهل البيت وطرح آراء الشيعة فى الخلافة وغيرها ٠

ومهما يكن من أمر فان اسلوب الشاعر سواء بالحوار او العرض قد جاء رصينا هادئا مهذبا فلا عصبية ولا تجريح ٠٠ فهو يفتتح كلامه الى أبى بكر قائلا بأن أبا بكر من أوائل المسلمين وثانى اثنين اذ هما فى الغار وصاحب الرسول وصديقه وهو لذلك أولى الناس باحقاق الحق والعدل والانصاف ثم يقول له مفترضا أن الرسول لم يوصى بفدك لفاطمة أما كان

---
(١) ص ٩١ ٠

أولى بأبى بكر ان يعطيها اياها لأولويتها وقرابتها وعلمها وفقرها ؟ ثم يعود للقول حول الموضوع مادامت فدك ليست من حق فاطمة فلماذا أعادها عمر بن عبد العزيز لأبنائها وهو الأموى العادل المعروف بعدله وورعه وتقواه ؟ أكان لعمر بن عبد العزيز أن يحيد عن الحق وهو أزهد الناس فى الدنيا وأبعدهم عن الظلم بشهادة الجميع ؟

هكذا كان شعر العامليين الدينى يدور فى حلقة أهل البيت وحولها .. مدافعا عن الاسلام ذائدا عنه وفى الوقت نفسه يدافع عن آراء ومعتقدات الشيعة الامامية .

أما السيد حسن محمود الامين (١) فانه يمدح النبى مدحا خالصا دون أن يخوض فى خلافات المسلمين فيقول فى قصيدة :

طلبوا شأوه فعادوا حيارى ... وسكارى وماهم بسكارى

ثم يقول :

للنبى الأمى أسرار فضل ... أظهرت باحتجابها الاسرارا
لو زففنا اليه شمس المعالى ... وجعلنا شهب السماء نثارا
وأصبنا بمدحه كل مرمى ... ما أصبنا من مدحه المعشارا (٢)

وينظم الشاعر كامل سليمان قصيدة بمناسبة عيد المولد ويقول فيها :

الارض نشوى من صدى هنج ... فى كل واد منه ترديد
والطيب يعبق من شذى أرج ... فى مكة جنت به الغيد

ويتكلم بعد ذلك عن الاصنام التى حطمها الرسول فيقول :

و"اللات" تشكو فى الفؤاد صدى ... اماؤها عافوا معانيها
و"مناة" و"العزى" غدت قددا ... أهواؤها تنعى أمانيها
الجاهلية أنكرت ضدا ... ذاك الذى يمحو دياجيها (٣)

---

(١) من مواليد شقرا (١٢٩٩ هـ وتوفى ١٣٦٨ هـ)
(٢) الاعيان ج ٢٢ ص ٤١٧ .
(٣) العرفان م ٣٤ ج ٤ ص ٤٩٤ سنة ١٩٤٨ .

ثم نعود ثانية الى الحوار الشعرى والاحتجاج للمذهب وعرض الآراء ـ فلتقى الشاعر بشير مصطفى محمود (١) الذى أصدر ديوانا صغيرا فى مدح المصطفى وآل بيته وقد اقتبس فيها الكثير من الحديث والسنة والتاريخ الاسلامى يقول الشاعر :

ان شئت فى مدح تجد وتطنب ... والنظم يسمو بالمديح ويعذب
ويصاغ عقدا فى نحور كواعب ... من نور طلعتها استهل الكوكب
وتصير مبيض الصحيفة رابحا ... من تجارته تسروج وتكسب
وتكون فى يوم القيامة آمنا ... من كل هول مذهل لاترهب

وبعد أن يقطع شوطا طويلا فى مدح النبى وآله يطرح آراءه ويدافع عن التشيع لأهل البيت ويقول :

هل حب آل المصطفى ذنب وهل ... قلب الذى يهوى الهداة يؤنب
ان كان حب المرتضى ذنبا فلا ... يمطى كتاب الأمن الا المذنب
ان تفرضوا أن الجحيم بحبه ... فرضيت أنى فى الجحيم أعذب (٢)

وهذا رد على من يأخذ على الشيعة حبهم لعلى وأهل البيت •
هذا اتجاه فى مدح النبى وآله ثم ننتقل الى اتجاه آخر ولون جديد يتمثل فى الشعراء الذين اتخذوا من الرسول والرسالة نقطة هداية وخطا مستقيما عبر التاريخ ثم نظروا الى المنحرفين والمشوهين لهذا الخط نظرة عداء وتصدوا لهم ودافعوا عن الطريق الصحيح وهؤلاء هم المصلحون الدينيون ومن هؤلاء محمد الامين وكامل سليمان وحسن صادق والحومانى وعلى الزين وسليمان ظاهر وغيرهم •

يقول كامل سليمان من قصيدة بعنوان " مولد دين " :

فى باحة البيت العتيق ... وجيرة البيت العتيق
جرس خفيف نم عن حرب ... وعن صوت رقيق (٣)

---

(١) ولد فى شوكين ـ النبطية ١٣٢٤ هـ وتوفى عام ١٣٦٤ هـ
(٢) ديوان الشاعر " البشير " ص ١٧ ـ ٢١ ولم يذكر تاريخ الطبع ولا اسم المطبعة
(٣) اشراق ص ٩٥

ينطلق الشاعر بعد ذلك مدافعا عن الدين مهاجما الخارجين عليه والمتطاولين على قيمه والمنحرفين والمشعوذين . وللشيخ حسن صادق في " سفينة الحق " قصائد كثيرة في هذا المعنى جمعها في باب واحد أطلق عليه اسم " في النبي وآله " وتبلغ صفحات هذا الباب اربعين صفحة القيت في مناسبات المولد في الأعوام ٤٢ / ٤٣ / ٤٥ / ٤٦ / ٤٧ ٤٩ وفي كل قصيدة كان يسجل هزائم ومصائب العالم الذى قيلت فيه ويناشد العرب والمسلمين لرص الصفوف والاستفادة من الماضي داعيا الى التمسك بمبادئ الدين الذى بشر به محمد (ص) .

يقول الشاعر في قصيدة القاها عام ١٩١٢ ابان الحرب العالمية الثانية

لاتبتئس حيث القسي تحطم ماضي الكنانة مايروقك أسهم

ثم يخفف عن الناس همومهم وآلامهم ويبعث في نفوسهم الامل والتفاؤل ثم يقول :

يـ ايوم ميلاد الرسول تشرفت بك مكة وصفا الحطيم وزمزم

وفي قصيدة أخرى القاها عام ١٩٤٣ وهو عام استقلال لبنان يسجل بها هذه الذكرى تسجيلا قلقا فهو لايتفاءل بالاستقلال لعدم صفائه ولأن الشبهات تحوم حول معلنيه فيقول :

لانعلم اليوم أين الغد مرسانا لكن نسير وباسم الله مسرانا

ويشير الى مولد النبي فيقول :

هذا خيالك حيانا فأحيانا فكيف لو شخصت مرآك عينانا

ثم يدعو الى الوحدة العربية ويقول :

ياعاهل الشرق والذخر المعد له وحده بوركت انجيلا وقرآنا
لايصلح الجمع ان ثنيت واحده هل يسبق اثنين في الاعداد وحدانا
ذا يوم مولده الميمون طالعه قد استنارت به آفاق دنيانا
نور من اللـه وضاء تحدر في صلب الاطاهر بطنانا وظهرانا

والجديد في القصيدة أن الشيخ حسن يشير الى الصحابة بلهجة المعتدل فيقول :

ياسيد الرسل ماللرسل مثلك من صحب رجاح مقاديرا وأوزانا
فما لعيسى حواريون مثلهم أشاوس حلقت للمجد عقبانا
وفاتح بغرار السيف مغلقة الامصار فاروقنا أعظم بـه شانا
وما أقول بعثمان وقد علموا بأنه كان ذو النورين عثمانا
أما الامام علي فهو أفضلهم طرا وأسبقهم بالله ايمانا (١)
لولاه ماقام للاسلام قائمة ولا سمعت به دينا وديانا

وهذا هو في الواقع رأي الشيعة فلكل الصحابة منازلهم ومكانتهم وسبقهم وفضلهم غير أن عليا فوقهم جميعا لاعتبارات معروفة .

ويقول الشاعر من قصيدة أخرى نظمها عام ١٩٤٥ م :

نجيدات مشحوذ الغرار أبقى وأحمى للذمار
ومثقف ينساب مرتعشا كصل من وجار
نفذار جامعة العروبة من حبائلهم نذار

ثم يتحدث بعد ذلك عن العروبة :

العرب سابقة الشعوب بكل فضل مستثار
وتمد من سبب اليه تناط أسباب الفخار
في جاهليتها وفي الاسلام حامية الذمار
من كان منهم أحمد الهادي فمن منهم مجاري

ثم يخاطب الرسول :

حيي وقرب يوم مولدك المكلل بالفخار
أمحطم الاصنام للرهط الجحود وجود بارى
أمخلف الثقلين ذكر الله والآل الخيار (٢)

---

(١) سفينة الحق ص ١١ — ٥٠
(٢) نفس المصدر ص ٢١

وما من فرصة الا ويستغلها الشاعر لابداء آرائه السياسية مستخلصة من آرائه الدينية ، فهو مصلح ديني واجتماعي وسياسي ، وقد رأينا كيف أنه ينافح عن العروبة حتى أنه دافع عنها في الجاهلية والاسلام ، وهذا يؤكد صفائه القومي وصفائه الديني ، فهو لم يمدح العرب في جاهليتهم على كفرهم بل مدحهم على نخوتهم ومروءتهم وصفاتهم الحميدة ، التي أشار اليها الرسول في بعض أحاديثه الشريفة . ويرى الشاعر كغيره من العامليين أن الايمان بالدين أساس لاستعادة أمجادنا ، وأن الايمان بالعروبة كذلك مساعد على استعادة تلك الأمجاد وغسل العار في فلسطين وغيرها .. والشيخ حسن يشكل الوسطية بين والده وشقيقه حبيب وقد رأينا من يمثل كل من الاثنين .

أما عبد الحسين عبد الله فانه يستنهض الامة في ذكرى الرسول (ص) ويدعوها الى اليقظة والحذر فيقول من قصيدة بعنوان " محمد " :

أشرق بطالع وجهك الوضاح	يامنعش الاجسام والارواح
لمحتك من خلف السنين عيوننا	مأخوذة بسنائك اللماح
قالوا محمد بالسلاح أراعها	روعت معظمها بغير سلاح
يافاتح الدنيا كتابك لم يزل	يملي سماع الدهر بالاصداح
تركت شعوبك يامحمد دينها	هذى الحقائق أدمع التمساح
لايغررنك الاحتفال فانه	نغم الهنا بمجالس الاتراح (١)

وهذه هي سنة الشعراء في عاملة .. يأخذون العبرة من الاحداث ، ويستنهضون الهمم مستفيدين من التاريخ آخذين الدروس من الرسول وصحابته في حروبهم مع الكفار والمشركين .. والذي يميز تلك المدائح العاملية هي أنها دائما تشرك عليا وأهل بيته بالمدائح النبوية وترى أن عليا وأهل بيته فروع أساسية من الدوحة النبوية الشريفة ، وعلى كل حال فهذه هي المدائح النبوية نظمها شعراء عاملة في رسول الله واهل بيته .

---

(١) حصاد الاشواك صفحة ١٤٠ .

مـــدح ورثـــاء أهـــل البيـت

ان الذي أخشاه هنا هو التكرار ذلك اننا أكثرنا الحديث عن رثاء أهل البيت وأعيد الى الأذهان أن التغيير هو في الشكل لا في المضمون فقد تحدثنا فيما سبق عن الرثاء على أنه رثاء عامة أما الآن فاننا نخص الحديث برثاء اهل البيت وشيء من الاختصار .

والرثاء هنا كان يتركز حول مأساة كربلاء وما أصاب أهل البيت فيها من كرب وبلاء ووقوف المسلمين من الحسين موقف المتفرج والشامت أحيانا .. ونحن نعرف أن عقيدة الشيعة الامامية تتلخص فى أن الرسول رأس النبع ، وماؤه العذب السلسبيل هو أهل بيته : (علي وفاطمة وأولادهما وأحفادهما) وبكاؤهم على أهل البيت هو في الواقع بكاء على الرسول . وأهل البيت يبدأون بعلي وينتهون (بالمهدي المنتظر) .. ثم يصل الامر بالشيعة الامامية الى اعتبار كل من ينحدر من تلك السلالة الشريفة موضع احترام واجلال حتى ولو لم يكن على مذهب التشيع ومن هنا جاءت موالاتهم لفيصل والشريف حسين والملك حسين وملوك المغرب العربي من الادارسة .. وعلى هذا الاساس نظم العامليون مئات القصائد فى رثاء اهل البيت ومدحهم وقد رأينا فى " عرف الولاء " لعبد الحسين صادق وقصائده العراقيات والعامليات ، ولسنا بحاجة للعودة اليها و " زمام الاحرار " لكامل سليمان [1] ثم اننا نرى طريقة المد العكسي متبعة لدى العامليين فاذا مدحوا " شريفا " فانهم يمسكون به على أنه طرف خيط أما الطرف الآخر فهو متصل بأهل البيت .. رسول الله (ص) كما رأينا فى مدح شبيب باشا الاسعد للسيد احمد الرفاعي الحسيني وعبد القادر الجزائري [2] ومدح محمد سليمان جواد لآل الامين [3] ورثاء كامل شعيب لمحسن الأمين [4] .

---

(١) اشراق ص ١٥٣

(٢) ديوان شبيب باشا ص ٢٢٥ ، ص ٢٩٣

(٣) الاعيان ج ٤٥ ص ١٨٢ ـ ٢١١

(٤) الاعيان ج ٤٠ ص ٢٩٧

عيــــد الغديــــر

يرى الشيعة أن رسول الله قد أوصى بالخلافة لعلي تصريحا وتلميحا اعتمادا على قوله (ص) في يوم غدير ((ألا من كنت مولاه فعلي مولاه)) وقوله : " علي مني كهارون من موسى من والاه والاني ومن عاداه عاداني فمن كنت مولاه فهذا مولاه (يعني عليا) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " وقوله : " أنا مدينة العلم وعلي بابها " ولسنا هنا في صدد الاثبات أو النفي والاعتراض فهذه هي عقيدة القوم ونحن نستعرضها وقد مضى عليها بضعة عشر قرنا من الزمان .. وقد نظم الشعراء العامليون القصائد الكثيرة في ذلك وتمد اهم الأمر الى الشعراء المسيحيين من العامليين كفؤاد جرداق وبولس سلامة وديع ذيب وغيرهم ونشير هنا الى ملحمة " الغدير " لبولس سلامة لأهميتها ، وقد سبقت الاشارة اليها فقد ذكرنا الأسباب التي دفعت الشاعر لنظم هذه الملحمة والمبررات وكيف دافع عن نفسه عندما سئل ، والمصادر التي اعتمدها في أدابها لعقلاء السنة ومعتدلي الشيعة وبولس سلامة وان كان في عرف البعض شيعيا من الناحية السياسية الا أنه بنظري مؤرخ محايد ومعتدل نزيه قد تجرد عن مسيحيته وهو يكتب منصتا لصوت التاريخ ملبيا نداء الحق وجلجلة الضمير في أعماق فؤاده الحي مستلهما من جراحاته والامه معنى الألم مدركا مايحيط بالمأساة من الزخم الانساني .

قسم الشاعر الملحمة على الشكل الآتي :

١ - مقدمة نثرية .
٢ - صلاة شعرية .
٣ - الجاهلية ٤ - قريش ٥ - هاشم ٦ - عبد المطلب
٧ - صلاة الاستسقاء ٨ - مولد محمد ٩ - أبو طالب ١٠ - البعثة
١١ - مولد علي ١٢ - فجر الاسلام ١٣ - هجرة الرسول ١٤ - هجرة علي
١٥ - علي في يثرب ١٦ - حلم عاتكة ١٧ - بدر ١٨ - زواج علي ١٩ - أحد
٢٠ - الخندق ٢١ - خيبر ٢٢ - وادي الرمل والطائف وزبيد ٢٣ - حنين
٢٤ - أهل البيت ٢٥ - يوم الغدير ٢٦ - وفاة الرسول ٢٧ - عثمان بن عفان
٢٨ - أبو ذر الغفاري ٢٩ - خلافة علي ٣٠ - يوم الجمل ٣١ - صفين
٣٢ - التحكيم والخوارج ٣٣ - الحلم الاخير ٣٤ - رثاء أمير المؤمنين ٣٥ - معاوية

يقول الشاعر فى مطلع " الصلاه " :

يامليك الحياة أنزل طيبا عزمة منك تبعث الصخر حيا

وفى نهايتها يقول :

ياسماء اشهدي وياأرض قري واخشعي انني أردت عليا

ومنها فى الاشارة الى غدير (خم) يقول الشاعر :

جاء جبريل قائلا : " يانبي الله بلغ كلام رب مجير " " أنت فى عصمة من الناس
فانشر بينات السماء للجمهور وأذعها رسالة الله وحيا سرمديا وحجة للعصور " (١) .

ثم يشير الشاعر الى تلك الرسالة فيقول :

" أيها الناس قال : أوشك أن أدعى وانى لكم لنشور
وكلانا يجيب هل تشهدون الحق انى بلغت أمر القدير ؟

والجواب :

اننا شاهدون قالوا جزاك الله خيرا من ناصح ومشير
" أولا تشهدون أن لا اله غير رب فرد رحيم غفور
وبأنى عبد له ورسول لم يقصر فى النصح والتبشير

ويجيبون ثانية :

فاجابوا بلى فقال " الهى أنت فاشهد لعبدك المأمور
أيها الناس انما الله مولاكم ومولاى ناصرى ومجيرى
ثم انى وليكم منذ كان الدهر طفلا حتى زوال الدهور
ياالهى من كنت مولاه حقا فعلى مولاه غير نكير
ياالهى وال الذين يوالون ابن عمى وانصر حليف نصيرى
كن عدوا لمن يعاديه واخذل كل نكس وخاذل شرير

---

(١) الغدير ص ١٠٦

قالها آخذا بضبع علي رافعا ساعد الهمـــــام الهصور (٢)

وهكذا تحدث بولس سلامة فى ملحمةعن علي وعيد غدير ومثله تحدث العامليون المسلمون وتحدث جورج جرداق فى كتابه " الامام على صوت العدالة الانسانية " وفؤاد جرداق بقصائده والشاعر بشير مصطفى محمود فى ديوان " البشير " (٣) .

كربــــلاء ... عاشــوراء

كانت ومازالت عاشوراء موسما للشعراء فى جبل عامل وكل منهم يستغل هذه المناسبة حسب مايشتهى ويسخرها فى خدمة أفكاره وآرائه . فالتقليديون يقتصرون فى قصائدهم على رثاء أهل البيت والاشادة بمناقبهم والتنويه عن مآثرهم الخالدات وبطولاتهم وتضحياتهم فى سبيل الحق مادحين رسول الله دون أن يتوسعوا فى ذلك الا الى حدود لاتتســع الا بقـــدر .

أما شعراء الوسط وهم الرافضون التقليديون الذين عاشوا وأذكوا نارها من الاربعينيات حتى الستينيات فهم الى جانب بكائهم على الحسين وآله يتصورون الامويين فى أشخـــاص الحكام الحاليين والمستعمرين فالحاكم المنحرف هو زيد بن معاوية وعصابات المارقين تمثل بنى أميـة .. أما أولئك الذين لايملكون الا البكاء على الحسين فهم كخاذليه بالأمس فاذا فعلوا اليوم ليرفعوا الظلم عن الناس .. ؟

أما الشعراء الشباب فهم ينظمون القصائد فى رثاء أهل البيت على طريقتهم الخاصة كذلك .. وهؤلاء يمثلون شعراء المرحلة الثالثة والاخيرة من شعراء عاملة قد وسعوا مداركهم العقلية وذهبوا الى أبعد مما ذهب اليه أسلافهم فالفيتنام والجزائر والكونغو كل منها تمثل كربلاء العصر وجونسون يمثل يزيد العالم وفرج الله الحلو وهو زعيم شيوعي اختطف الى سورية أثناء الوحدة السورية المصرية وقتل هناك فهو يمثل الحسين بنظـــر رفاقه وعبد الناصر يمثل " يزيدا " فى تلك الفترة ، وهكذا جمعت المتناقضــــات فى عاشوراء .. قد تغيرت الصورة كما تغيرت الحياة بل تغير الدرس المستفاد مــــن عاشوراء وكربلاء .

---

(١) الغدير ص ١٠٩-١١١

(٢) البشير ص ٢٦

لقد أصبحت مأساة كربلاء محورا يدور حوله شعراء عاملة ود رسا يحطونــه التفســيرات التي تناسب ميولهــم وآراءهم .

لقد تطرف المحافظون حتى جعلوا غيرهم ينظت ويتطرف الى الجهة الاخــرى ثـــم ساعدت السلطات الحاكمة على ضياع صرخات المصلحين أمثال محسن الامين وعبد الحسين شرف الدين ومحمد علي الحوماني وعلي الزين وغيرهم .

ان آل صادق في النبطية وعلى رأسهم عبد الحسين صادق وولده محمــد تقــي قـــد أعطوا عاشوراء طابعا تجاريا خاصا استغلــوه لجمع المال .. فشجعوا اللطــم والتمثيــل مما أثار حفيظة المتنوريــن من علماء الدين كالحوماني وعلى الزين ومحسن الامين وعبـــد الحسين شرف الدين فحميت المعارك الكلامية بين الفريقين وتطورت المشادات بينهمـــا واحتدم الصراع . ولكل شعراؤه وأخذ كل فريق يدافع عن وجهة نظره فيقول عبد الحسين صادق أن الرسول امر بالبكاء على الحسين ثم يــزعم أن الرسول كذلك أمر باللطــم ثــم نراه بعد ذلك يستشهد على ذلك ببعض المواقف والاحاديث كقوله أن الارسول نفسه قـــد بكى على الحسين كما بكى على عمه ابي طالب وحمزة وزوجتــه شهرا كاملا " حتى سمــي ذلك العام علم الاحزان " (١) .

وعلى كل حال فالبكاء والحزن شيء واللطم شيء آخر .. فالبكاء أمر عاطفي لايمكـــن مقاومته وكذلك الحزن فلا يمكن حبس الدموع وقت الحزن والجزع يقول عبد الحسين صـــادق مدافعا عن رأيــه :

ذر ذي وخض في فئة أغضبت الهـا	نفى وأرضـت ضلـة يزيدهـــا
علـى مقيمى مأتـم السبط انـبرت	لوامـــة مفظعـــة تفنيدهـــا
تـرى اقامـة العـزاء بدعـــــة	جديدة يأبـى الهدى تجديدها
أما دوت أن النـــبى سنهـــا	لعمـــــه مستحسنا مزيدهـــا
ألـم تـرد بـه صحـــاح جمـــة	لايجهـــل ابـن سنـة ترديدها

---

(١) عقر الظبــاء : ص ٤٥

ثم يقـول :

من قاصمات الظهـر منسج اللطـم ... للصـد ر واد ماء الـورى جلود هـا
وعلى مـن اللـه أبكى السمـا ... د ما وأوصى للـذى ميد هـا (١)

اذ ن فعبد الحسين صادق يدافع عن وجهة نظره فى اقامة المآتم على الحسين فى عاشوراء على الطريقة التى أسلفنا الذكر عنها • ويقول السيد حسن محمود الامين فى أنصار الحسن يوم الطف :

وردوا على الهيجـا ورود الهيم ... ورأوا عظيم الخطب غير عظيم
وتنازعوا كأس المنيـة بينهم ... فـى غير ما لهـو ولا تأثيم
يتسابقون الى الهجوم كأنهم ... خلقـوا ليـوم تسابق وهجوم

ثـم يقـول :

وكأنما بيض الظبا بيض الدمى ... لاقتهم برحيقها المختوم
تروى حديث الموت عن عزماتهم ... بيـن الصفاح على القضا المحتوم
وتقدموا للمـوت قبـل أمامهم ... ولقـد يجوز تقـدم المأموم (٢)

أما كامل سليمان فانه يأخذ العبرة من استشهاد الحسين فيقول :

علم الناس يا حسين ازدراء الظلم ... والطعـن فـى جبين الظالم
علم الناقمين كيف يثورون ... ويأبـون عيـش ذ ل جاثم
علم الحر كيف يحيا أبي الضيم ... فـى حكـم مستبـد غاشم
أنت رمز الاباء رمز العطاء ... الفذ •• علمهم ضروب المكارم
شهد اللـه قد جعلت البطولات ... علـى الناس مثل ضريبـة لازم

فهم اذ ن يستمدون القوة من الحسين ويتخذون من قتله منطلقا للقتال والاستبسال من أجل الحق ويريدون أن يتعلم الناس البطولة والفداء والثورة من الحسين •

ويصف الشاعر بشير مصطفى محمود لقاء انصار الحسين للسيوف بقوله :

---

(١) عقر الظباء ص ٤٥
(٢) اشراق ص ٦٢

فخاضوا الوغى والخيل تعثر بالقنا   وتفطر بيض الهند مثل العمائم
وقد عانقوا بيض الصفاح كأنها   بأعينهم بيض الحسان النواعم

ثم يقول :

لئن سفكت منهم دماء زكية   قد سفكت دون العلا والمكارم
لئن رفعت منهم رؤوس على القنا   قد رفعوا للحق أسمى الدعائم (١)

اما الشاعر الحوماني فيقارن بين وقعة كربلاء ووقعة ميسلون مع الفرنسيين فيقول :

وقفت ركابي على ميسلون   وكم وقفة لي بكربلا
سخيت بعلق دمي فيهما   ونهنهت جفني أن يبخلا

ثم يقول :

رأت أعيني في المرلق الطغاه   وأبصرت في الشام طغيانها
فأشغلتها بين تلك الرسوم   وطهرت بالدمع أجفانها

أما الدكتور عبد المسيح محفوظ فيسكب دموعه حزنا وأسى على الحسين فيقول :

ضجت الارض من عجيج الضوافر   والتظى الافق من وميض البواتر
واعترى الشمس كسفة فاذا الجو   قتام وحاجب الضوء حائر
جحفل أزعج الفضاء بمسراه   وأدمى الثرى بصدم الحوافر
أي جيش يخشون ملقاه حتى   غصت البيد بالرماح الشواجر
لم تقلل جموعهم همة الليث   فخاض الوغى وفل المناسر (٢)
ضعضع الجيش بالبراز وروّى عاطش   الارض من دماء القساور

---

(١) ديوان البشير ط ١٩٤٦ ص ٣٠
(٢) السائس والمسوس ص ٣١
(٣) المناسر ج منسر قطعة من الجيش تتقدم أمام الجيش الكبير .

ثم يصف سقوط الحسين فيقول :

جرح الليث أى جمع يدانيه ويدنو حماه والليث زائر

واذا كل ضربة يسمع الدهر صداها عبر العصور الغوابر

يالجيش جيش غدر وجيش من غليل فى داخل القلب ثائر

يابن حامي الاسلام يوم تداعت عمد الدين واستبته المخاطر

ثم يصف نساء هاشم وهن سبايا فى أيدي الامويين :

حرم البيت والرسول سبايا بالجسوم تهتز منه السرائر

ثم يصف قطع رأس الحسين :

أي رأس اقصوه عن جسمك الطهر وساروا به على كل ضامر

بين هرج الحداة فى نشوة النصر وخفق الظباء وهرج العساكر

المقارنة بين علي ومعاوية

وفي عاشوراء يشتد الجدل بين الشيعة من العامليين أنفسهم ففريق يرى في نبش التاريخ خطيئة كما يترتب عنه من اثارة الحساسيات بين المسلمين ، وفريق آخر يرى أنه لابد من أن يحاسب كل امرئ على ماصنع ولا بد من تصوير معاوية في ظلمه وانحرافه .. وعلي في عدله واستقامته فلكل زمانه معاومة ولكل زمان علي .. وهنا يكمن الدرس ، وهنا تكمن العبرة . فكتب الشعراء العامليون قصائد كثيرة في المقارنة بين الامام علي ومعاوية بن أبي سفيان فالعلامة الشيخ سليمان ظاهر يقارن بين الرجلين راد ا على الذين يتهمون عليا بالضعف :

قالوا علي ضعيف في سياسته ... بئس المقال الذى قالوا وما اقترفوا
قالوا ولو كان ذا رأي لما انصرفت ... عنه الوجوه وعنه صحبه انصرفوا

فهو يورد الطعن ثم ينفيه :

كلا ولا فاز في ملك معاوية ... وماله قدم فيها ولا سلف

ويقول الشاعر أن عليا تلميذ الرسول وربيبه فهو الذى أدبه ورباه وأحسن تأديبه وتنشئته وهذا مايبطل ادعاءهم :

أكان من كان خير المرسلين له ... مؤدبا عن هداه قط ينحرف
أو غير مانهج المختار ينهج من ... بحره وهو دون الناس مقترف
لم يعد منهج طه في سياسته ... وهي التي مابها حيف ولا جنف

وبعد أن يفند آراء الخصوم ويحمل المسئولية للطامعين بالدنيا وزخرفها والمنحرفين عن علي يقول :

هيهات نذهب من دنيا معاوية ... أخرى علي وعنها الناس قد صدفوا
ماالذنب ذنب علي في سياسته ... بل ذنبهم اذ هم عن نهجها انحرفوا (١)

---

(١) الاعيان ج ٥٢ ص ١٢٧

وثمة شاعر آخر يقارن بين الرجلين فيرى أن معاوية لنفاقه فاز بالملك . أما علي فقد رفض ذلك رافضا معه الخلافة فيقول الحوماني :

ألم تر ما حل بالمرتضى ... علي وما قيل في شأنه
أبى أن ينافق عصر النفاق ... ففاز ابن هند بسلطانه (١)

وهكذا كانت مأساة كربلاء " مجشر " و " شياطين " شعراء عاملة فابدعوا في الحديث عنها غاية الابداع .

****

(١) الديوان ص ٢٩

اغـــــراض دينيــة اخـــرى

وتتضمن الابتهالات والدعاء والزهد والتوحيد والوعظ والتصوف وما شابه ذلك وسوف نكتفي بايراد الامثلة الدالة والشواهد القصيرة كنماذج على هذه الاغراض .

ففي الالهيات نظم الشاعر سليمان ظاهر مجموعة كبيرة من القصائد حملها اسم الالهيات وقد أشرنا اليه سابقا ثم تبعه الشيخ عبد الحسين صادق وكلا الشيخين قد تحدث عن الدين والبعث والحساب والايمان والتوحيد وماشابه ذلك والشعراء العامليون كغيرهم فى ذلك يتجهون الى الله فى ساعات الشدة ويلجأون اليه مستعينين به وهم لاينسونه فى ساعات الرخاء ومن هذا القبيل ماجاء على لسان السيد محسن الامين فى الدعاء اذ يقول :

الهي أنت ذو منّ وطول ... ففرج يااله العرش كربي
دعوتك حين لا أحد يرجى ... وحسبي أنت دون الناس حسبي

ومنها :

الهي انني بك مستجير ... فآمن ياالــه الخلق سربي
ولولا ان [illegible] كبيرا ... بفضل منك لي لقضيت نحبي (١)

والصلاة الشعرية والابتهال كثيرا ما نجدهما فى دواوين الشعراء العامليين وربما اتجه بهما الشاعر اتجاها فلسفيا وجدانيا ففى " صلاة " تقول الشاعرة زهرة الحر:

كيف ترنو الى السماء رغابي ... وأنا فى الحضيض بنت التراب
قدمي فى الوحول تغرق يوما ... بعد يوم وجبهتي فى السحاب
احفر الارض فى يد وبأخرى ... أتلهى فى قنص بعض السراب (٢)

وللشاعرة نفسها مقارنة " بين الخير والشر " فى دعاء لها فتقول فيه :

يارب أنت خلقتني ... وخلقت بي خيرا وشرا
ضدان يقتتلان بين جوانحي ... سرا وجهرا
ضيعت بينهما الحياة ... وضقت يارباه صدرا

---

(١) الاعيان ج ٤٠ ص ١٤٠
(٢) قصائد منسية ص ٩

ويكيت عجزا وكالحلم الكذوب وراح هدرا (١)

ونعود مرة أخرى للسيد محسن الامين الذى يقول فى توحيد الله :

كل شيء فيه أمر شاهد ان رب الكون رب واحد
كيف يمنى بالجحود الجاحد وله للحق عقل قائد

xxxx

ظلك دان وشمس تطلع وظلام وضياء يسطع
أبحر تطمو وسحب تهمع خاب من بالعقل لايمقع (٢)

ويكون الزهد أحيانا من دلائل اليأس عند الشاعر عندما يفشل فى تحقيق امنياته دون أن تكون تلك الامنيات رغائب شخصية ونزوات عابرة فقد يفشل المرء فى تحقيق أماني شعبية ووطنية فترتسم علائم اليأس على جبينه ويلجأ للزهد فى الدنيا عند ماينفض يديه منها كما فعل الشاعر الحوماني الذي يقول من قصيدة له عنوانها " الزهد فى الحياة " :

أراني أخطر فى مشيتي كأني أطاول شمس السما
فان المت قدمي عثرة جرى ناظري قبل رجلي دما

****

أكل حياتك تشقى بها لتسعد فى دارك الظانية
ألم تتعظ بصروف الزمان فتعمل للنشأة الثانية
أرى أن دنياك دار ستنقل عما قريب الى غيرها
فشر مالك من شرها وخير مالك من خيرها (٣)

الى آخر القصيدة .. ومن الشعر الصوفي العرفاني قول الشاعر عبد الكريم شرارة (٤)

سناء جبينك أعشى البصر فما تملك العين منه الا البصر
تحجب عن ناظري واستتر وعن خاطري قط لايحجب

---

(١) قصائد منسية ص ١٨
(٢) معادن الجواهر ج ٣ ص ٤٨٣
(٣) السائس والمسوس ص ١٤٤
(٤) ولد الشاعر ببنت جبيل عام ١٢٩٧ هـ ومات فى ريعان شبابه عام ١٣٣٢ هـ

ومنــــه :

خفيت ولكــن بســر اختفــاك ظهــرت .. ألا ضل من لا يراك
ومذ شـع بالافق واري سنــاك أضاء بــه الشـرق والمغــرب

ومنــه :

هــل مــن فـتى ماجد يصاحبني يصدقــنى حبــه وأصدقــه
تخالــه فـى الود اد يعشقـني ومــن ود ادي أخــال أعشقــه
والمــرء بالــبرود مفخــرة كالعضــد لا بالنضارورنقــه
من لم يكــن فائــق الفعال فــلا يزيــده رفعــه تفوقــه (١)

وللشاعر نفسه شعر كثير فى الزهد والتصوف وقد كان معروفا بتصوفه حتى قال فــى رثائــه الشيخ محمد حسين شمس الدين :

يا صفــوة الابد ال مالك فى الورى بد ل وللرشد بعــد ك مظهــر
أشبهت زين العابدين ففت فى العــزاء مثلك فى المسرة تشكــر
ما افتر عن ذكر الالــه وشكــره لك مقــول أبدا يســر ويجهــر
مستغرقا فى الحــب لا متالمــا لأذى ألمّ ولا بنفسك تشعــر (٢)

---

(١) الاعيــان جـ ٣٧ ص ٨٤
(٢) الاعيــان جـ ٤٠ ص ٢١١

التسامح الديــني

من حق هذا أن يكون ضمن الاغراض الاجتماعية الا أننا رأينا أن نختم به الجوانب الدينيـة لنستكمل به الصورة عن العامليين فى حياتهم الدينية •

كان العامليون ومايزالون متمسكين بدينهم وهم فى نفس الوقت متمسكون بمذهبهم الجعفرى الا أنهم لم يكونوا أبدا من المتعصبين أو المتزمتين •• وبالرغم من كل ما أصابهم على يد المتعصبين من السنيين فى العهد التركي والمسيحيين فى العهد الفرنسى ظلت يدهم مبسوطة للجميع تحت سماء الوطن الواحد والدين الواحد بالنسبة لاخوانهم المسلمين •• فدعوا الى التسامح ونبذ التفرقة الدينية والمذهبية اذ كانوا يدركون بنظرتهم أن التعصب لايقود الا للدمار والخراب •• أما التسامح فانه يقود الى نبذ الأضغان والأحقاد ويعمل على تحقيق أواصر الألفة والمحبة بين الناس والحوار يكون مجديا فى جو من التسامح والحب ولكنه يتحول الى صراع وقتال فى الاجواء المضطربة القلقة •

كان العلامة الأكبر السيد محسن الامين مقيما فى دمشق حيث لاوجود يذكر للشيعة •• وجعل من بيته منتدى لرجال الفكر والدين وعامة السنة فأحبه الجميع واستطاعوا أن يتجاوزوا الحواجز النفسية ويحطموها بينهم وبين اخوانهم الشيعيين فتنوروا وفهموا ماذا يعنى التشيع وما هو •

قال الشيخ الدكتور مصطفى السباعى مراقب عام الاخوان المسلمين فى خطابه التأبيني للفقيد محسن الامين : " ان رجلا جاءه وقال له: أريد أن أكون جعفريا وبعد مابين (الامين) عدم الفرق بين السنى والشيعى فلم يقتنع قال له : قل لا اله الا الله محمد رسول الله • فقالها قال له : أصبحت جعفريا فبهت الرجل " (١)

---

(١) الاعيان جـ ٤٠ ص ٢١١ المستدركات

وذم العامليون التعصب الديني قال الحوماني :

درست الشرائع من أسها ومحصتها محصفا مصحفا
فلم أر شرعا أتاه المسيح خلاف الذى شرع المصطفى

****

اذا كنت مثلي من آدم وغايتنا الجدث المظلم
ففيم اليهودي والصائبي وفيم المسيحي والمسلم

****

ولست بمقصي أخا لم يكن تنصر أو لم يكن مسلما
أخي من وثقت بأخلاقه تنصر أو هاد أو أسلما

****

ينزه (مريم) فرقاننا ويرميه بالكذب الجاحد
اذا كان مبلغه كاذبا فقد صح مارجم الهائد (١)

***

غير أن التسامح شيء والعمالة للاستعمار شيء آخر والدين شيء والممارسة شيء آخر؛ فقد كان بعض وجهاء المسيحيين في لبنان يتباهون بتقربهم من السلطات الفرنسية خيانة للوطن ويتفاخرون بعمالتهم للاجنبي وتسكعهم على أبواب المستشار الفرنسي • قال الحوماني يذم تلك الظاهرة :

فكم خاننا من رجال المسيح من كنت تحسبه مسلما
يفاخر ان صافح المستشار فى داره البكر والأيما

****

بعيني رأيت فتى رشحوه لأن يتعبدهم نائبا
أباح لهم ضلة أزهقت حشاها ودققت الحاجبا

---

(١) السائس والمسوس ص ١٠٨

هذا وقد تنبه العامليون مبكرا لخطــر المبشرين الذين ليسوا في الواقع الا عملاء وجواسيس للاستعمار الفرنسي يقول الحوماني :

أفي كل عصر لكم مستشـــار يراقبنـــا وعيــون تجســـس
وما يشمر القس والجاثليـــق الا بكم لا بـــروح القـــدس

***

فدير وجامعـــة كـــذا مصاهـــد شيدت لتبشيرنـــا
اذا محصت بأن لــم تقـــم لاحيائنــا بـــل لتدميرنـــا (١)

وقد صدق حدس الشاعر وأثبتت الايام صحة ماقالـه .

هذا وقد أكثر الشعراء العامليون المسلمون من مدح السيد المسيح وكأنهم في ذلك يردون " الجميل " لبولس سلامة وجورج جرداق وفؤاد جرداق وعبد المسيح محفوظ وغيرهم ففي " قصائد منسية " لزهرة الحـر قصيدة بعنوان " المسيح " مطلعهـا

عيسى بن مريـم في صميم جناتـى نـور اليقيـن وشعلـة الايمـان
عيسى بن مريم والنبـوة رفعـة تذر الملائكـة الكرام دوانـــي (٢)

وفي سنة ١٩٦٤ تقيم الحركة الاجتماعية في بلدة " شقرا " العاملية المسلمـة وهي مسقط رأس السيد محسن الامين ، حفلا بمناسبة " انتقال العذراء " وهـو احتفال لاصلة له بالاسلام ولكنه من تقاليـد المسيحيين .. والحقيقـة فأنـا لاأدري بل لا أرى مبررا لاقامة مثل هذا الاحتفال خاصة وان المنطقة كلها ، لاشقرا وحدها ، تكاد تخلو من المسيحيين .. الا أنها روح المجاملة والتسامح فيلقـي الشاعر العلامة السيد محمد حسن الامين قصيدة طويلة بالمناسبة عنوانها " عيـد السمح " وجاء في مطلعهـا :

من حناياك رغم كـر العصـور ألـق الفجـر يستفـز شعـوري
ينثر النـور في المـدى الذاهـل الرحـب فيصحو على هتـاف النـور (٣)

---

(١) السائس والمسوس ص ٤٥
(٢) قصائد منسية ص ٧١
(٣) العرفان م ٥٢ ج ٣ ص ٢٥٦ سنة ١٩٦٤

وهكذا تتجلى روح التسامح الدينى والمذهبى لدى العاطيين جميعا وهذا يدل على رسوخ قدمهم فى الدين وتفهمهم الواعى العاقل للدين الاسلامى الحنيف الذى نبذ التفرقة والتعصب وقد جاء فى محكم آياته قال تعالى :

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن (١)"

و " لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى " (٢)

وهكذا فهم العاطيون دين الاسلام الحنيف وعملوا به .

---

(١) النحل

(٢) البقرة

الوصــــف
فـى الشعـــر العاملـى

توسع شعراء عاملة فى وصف ماوقعت عليه حواسهم واجادوا تصوير المدركات الحسية فوصفوا الريف العاملى والطبيعة العاملية الخلابة بجبالها ووهادها وبيوتها المتواضعة وقلاعها الشامخة وسهولها المنبسطة وفراشاتها الحالمة وطيورها المزقزقة المغـــردة ثم وصفوا ماجد فى هذا العصر من صناعات حديثة كالسيارة والقطار والباخرة والطائرة والصا والصاروخ وما شابه ذلك .. وقد جاء وصفهم معبرا صافيا حاكى جمال الطبيعـــة وبساطتها كما سنرى .

(١)

الريـــف العاملـى

يطلق اللبنانيون على القرية اسم " الضيعة " وقد اكتسبت هذه الكلمة من المعانى الجديدة ماجعلها تعني البساطة والبراءة والجمال والذكاء الفطري وهذا مايتمتع بــه الفلاحون البسطاء الذين يحيون حياة تتسم بالبراءة وتعتمد على التقشف والخشونـــة .

وأهل الضيعة أهل فصاحة ولسن وتدين وعفاف ومروءة وشهامة .. ويقترب أهـــل البادية فى سائر انحاء الوطن العربى من أهل الريف الشامى والمصرى لولا أن أهـــل الريف أقرب الى الحضارة وأهل البوادى أكثر خشونة والكل يشتركون ببعض الخصائـص كالشجاعة والكرم والطموح والقناعة والمغامرة .. والذى ينبغ فى الريف والباديــــة لايقنع بما دون النجوم وأحلامه واسعـــة عريضة وآماله كبيرة وقد جاءت بطون الصحـارى والارياف بكثير من أفذاذ التاريخ . فالريفى بطبيعته متفائل قلّ أن يضيق صـــدره بالحياة وآلامها وقد تعود أن يدفن أحلامه وآماله فى الارض فتنمو وتترعرع بسرعة فيتمتع ناظريه برؤيتها خضــراء يانعـــة فى الربيع المشرق وتغطي الارض ببسط سندسيـــة خضراء مايلبث لونها أن يميل الى صفوة الذهب مع نهاية الربيع . وفى بداية الصيـــف تتحول تلك الى أرغفـة شهية طيبـة .. وهكذا تكون الحلقة التى يدور فى مجالهـــا الريفى عملا ونشاطـــا وأملا متجددا ونماء ثم خيراوعطـــاء .. كل ذلك فى مواســـم معروفـة ثابتـة .. وهذا مايجدد فى نفسه الآمال ويبعث العزيمة والحيوية والنشــاط .

ان الريفي كثير التطلع الى السماء يرقب الغيث وفي السحب الدكناء " بورصة " أسهم الفلاح وعلى تلك السحب يعلق آماله وكلما اشتدت دكنة السماء بالغيوم المتلبدة كلما اشتدت ثقة الفلاح بالله باعث الغيث ، وتجددت آماله بالموسم المقبل ، وتلهف شوقا الى رؤية ذلك الموسم على البيدر وازداد تعلقا بالارض وما في بطنها وعلى سطحها وفوق سماها .

وبعد ! أرأيت انسانا يفرح للبرد المضني ويتهلل بالبشر لدكنة السماء كالفلاح ؟ وكما قلنا ان كثرة التطلع الى السماء وتعليق الآمال عليها دافع قوي من دوافع الايمان العفوي القوي الذي لايتزعزع ... ولا غرو فالعاملي مؤمن بطبيعته .. وشدة التعلق بالارض مؤصل الوطنية وحب الوطن والفلاح العاملي كذلك مؤمن بوطنه محب له يفديه بالمال والروح ، وقد حارب من أجل ذلك ببسالة منقطعة النظير شهد لها الاعداء قبل الاصدقاء .

ولا يخفى أن الريفي بطبيعته متحرر الفكر واسع الخيال يألف الحرية ويكره القيود والتعقيدات الاجتماعية والطبقية ... وعند المقارنة بين أهل المدن وأهل القرى نجد البون شاسعا بين الفريقين ، فأهل المدن همهم الوحيد يتركز في جمع الثروة التي لاتأتي من السماء ولا تعتمد على التعب والجهد والعناء بقدر ماتعتمد على " الشطارة " وسرعة التحرك ... وابن المدينة يأتيه رزقه من جهات أربع لاخامس لها : الوظيفة ، الحرفة ، التجارة ، ثم السياحة وفنونها وما ادراك ما السياحة وفنونها ! وهذه حقائق علمية لاجدال فيها ولسنا بحاجة لتفصيلها والكل يعرفها ويدركها . وتفكير ابن المدينة محدود ضيق .. وقد شغلته حديثا أخبار الخيالة (السينما) والازياء والجنس وما شابه ذلك وهذا ما زاد الطين بلة وساعد على انهيار الخلق .

والعامليون أبناء أرياف وليس لهم من المدن الا القليل وتلك المدن لم تصبح مدنا بالمعنى الحديث الا بعد الخمسينيات باستثناء صيدا وأشهر المدن في جبل عامل : صور - صيدا - النبطية - بنت جبيل - الخيام - مرجعيون - جزين .. وهذه المدن قد اقترب سكانها مما ذكرناه ولكنهم لم يقعوا به كلية لأن ذلك يتطلب وقتا طويلا حتى يتأصل في النفس فعلى العموم مازال العامليون حتى اليوم أقرب الى

حياة الريف منهم الى حياة المدن فهم مازالوا ريفيين .. حتى المدن العاملية المذكورة فلا يزيد عدد سكان كبراها عن الخمسين ألفا .. والجميع مازالوا يعيشون على بَرَكة القرية .

واذا ماذكرنا الريف العاملي فاننا نذكر معه المواسم والليالي الملاح و " العين " والجرار والاعراس والحب البريء والمختار والحنين والمناظر الطبيعية الجميلة وكوانين الشتاء وسهراته و " عنترياته " شيوخه وشبابه ..

وقد طرق الشعراء العامليون هذه الابواب جميعا فسجلوها في قصائدهم وأثبتوا الذكريات في كراريسهم وحفروا حروفها ووقائعها في قلوبهم .. فعن المواسم نراهم يتحدثون عن الزرع والحصاد والعنب والتين وشتلة التبغ وما شابه ذلك ومن شعراء المواسم تلك محمد علي مقلد وابراهيم شرارة والياس لحود وعبد الحسين عبد الله والشيخ علي مهدي شمس الدين ومحمد نجيب مروة والحوماني وعبد الكريم شمس الدين وابراهيم بري وابراهيم حاوي وعبد اللطيف بري ومحمد حسين شمس الدين والسيد علي محمود الامين وحبيب صادق وغيرهم .

وكان حديث هؤلاء عن الريف العاملي يتراوح بين المرارة واليأس والتفاؤل والامل فمنهم من كان يرسم لوحاته على الطبيعة فيرى في البساطة سعادة وفي الفقر رضا وقناعة وزهدا وفي التعب والكد جلدا وأنفة وكبرياء .. ومنهم من كان يضيف الى تلك الصور مايراه مناسبا من عندياته فيمزجها بمشاعره فيضفي عليها التأفف والضجر لأن الفلاح ماخلق ليرضى بالكفاف والذل والهوان والحياة لم تعد كما كانت عليه في الماضي فلها متطلباتها .. ثم ينظر الى الحرمان الذي يعاني منه الفلاح العاملي ولا يأخذه بهذه البساطة فهو نتيجة الظلم والجور والعسف الواقع على الجماهير من الحكام كما يرى في الفقر المدقع جريمة يتحمل مسئوليتها النظام ورجال الاقطاع وفي التخلف مرضا اجتماعيا ينبغي معالجته بسرعة .. ومن ثم نراه يدعو للثورة والتمرد للتحرر .. وهذا ماكان لأنه يمثل رأي الأكثرية من الشعراء وخاصة الشعراء الشباب .. وثمة فريق كان يختلس بعض الجوانب ليصور فيها المتعة العابرة فيصور منظر شارب الشاي على البيدر ومتعة ذلك المشروب الحلال أو يصور الصبايا والشباب وهم على

العين .. أو منشر الدخان أو الدبكة أو مسطاح التين وما شابه ذلك .. بعيدا عن المشاكل والتعقيدات والمنغصات أو المنبهات .. ومنهم من كان يصور المختار أو الناطور .. في خيلائه وسذاجته .

يصف الشاعر محمد علي مقلد مشهدا ريفيا فيقول فيه :

فاذكر " المنشر " تكوم خاطري والذي غطاه ليلا و " كمر "
اذكر المنشر مع سماره والذي قام عليه وسهر
والقناديل حواليه كمن طاف بالبيت العتيق واعتمر
و " المشاكيك " مسجاة على ذات ألواح طوال ودسر
انظر " الصندل " كالثعلب اذ ذيله جد ولكن لم يفر

ثم يأتي الشاعر بعد ذلك على ذكر الدوالي والطراريح والكراسي وكاسات الشاي والسماور والاركيلة والغليون وخوابي الزيت ثم يتحدث عن البيت العاملي فيقول :

اذكر " الجاروش " بالخير فما يجحد التنور فضلا للحجر
هو لا يعمر لولاهما ولم يكن " الصاج " أخوه يذكر
اطحني يا ربة البيت النوى واعجني قد عض جوع دخور
اسرعي رقي لنا مقدما " بقعة " انا لهونا بالكسر
لست استطيبها ان لم تكن الا نصل العشر بها ذات أثر
هي كالبدر اذا ما ادورت واذا ماقسمت فهي قمر
" الطعيها " ودعيها تنتفخ ثم تحمر فحلو للنظر
وانهضي قبل أذان الفجر كي تخبزي رنا العجين واختمر
بعد اذ خضي بخضاضيها لبنا يشرب منه من حضر
واجمعي الزبدة في " برينية " واحكي السدة من جيئة ذر
واكبسي ماجفف الصيف من التين طرا فهو خير مدخر
فاذا جاء الشتا لا تجزعي مؤنة البيت استتمت بقدر
دونك السدة هاتيد رزحت بالذي تحمل فالخير طمر

دونك " الخشة " هاقد ملئت — حطبا لاترهبى بردا وقر
والخوابى طفحت من كل ما — دبر الكرام صيفا وعصر
خفف النار انتهت طبختنا — عشت يا " رجال " من ليت مكر
دمت لى عونا ودامت هذه — الطلعة الغراء والوجه الاغر
ياضيا بيتى ومولى نعمتى — وغنى ولدى اذا الدهر غدر (١)

وقد جاء فى هذه القصيدة الكثير من الكلمات والمصطلحات العاملية واليك شرح بعضها :

المنشر : المكان الذى ينشر فيه الدخان حتى يجف وكمر : بمعنى غطى

المشاكيك : ابر من حديد تشك فيها اوراق التبغ وتفرغ فى الخيط عن طريق تلك المشاكيك •

الصندل : مجموعة خيطان من التبغ مابين ثلاثة وخمسة يربط الى بعضها البعض الآخر وتعلق فيى مكان معد لذلك •

الجاروش : هى الرحى – والصاج : صفيحة معدنية مقعرة توضع على الموقد ويوضع العجين المرقوق فوقها فينضج ويصبح خبزا شهيا •

البقعة : هى الطلسة •

الطعيها : ضعيها فوق الصاج حتى تنضج •

البرنية : نوع من القصاع الفخارية العميقة •

الخشة : هى خيمة من الحطب توضع فيها بعض الحاجات وتنصب على الخيمة على مقربة من المنزل •

يارجال : بتشديد الجيم يارجل •

فهذه القصيدة خير تصوير للقرية العاملية فهى من البيئة معنى ومبنى شكلا ومضمونا وهى تصور لنا البيت العاملى كخلية النحل حياة ونشاطا فى جميع المواسم كما تصور لنا استعداد العاملى لاستقبال فصل الشتاء حيث يعد له التين المجفف والمربيات والحطب •

---

(١) ديوان الشاعر محمد على مقلد ط ١٩٥٠ ص ٥٠ وليس فى الديوان مايشير الى اسم المطبعة •

ويقارن الشاعر ابراهيم حاوى بين المرأة الريفية وأختها بالمدينة وبطبيعة الحال هو يميل للاولى حيث العفة والشرف والانتاج لانها تشارك زوجها فى عمله وتقف الى جانبه ولذلك نرى الشاعر الحاوى يحب الريفية :

أحبك والغبار عليك يعلو ... يمثل واضحا رمز الحياة
معفرة الجبين وفى يديك ... أداة الحرث أعظم بالأداة

وهى تستيقظ مبكرة :

تقوم الفجر ناشطة وتمضى ... سحابة يومها فى العاملات
مجاهدة مساعدة فتاها ... مثال الامهات الساحرات

أما فتاة المدينة فانها :

تود الليل لو يبقى عليها ... مقيما سرمدا طول الحياة

والمدنيات قد :

تعرين من الاخلاق حتى ... غدون الكاسيات العاريات
درسن الجنس باسم العلم طورا ... وباسم أصالة المتطورات (١)

ولا شك أنها نفثة المصدور وصرخة الرجل المحافظ الذى يخشى من تهتك فتياتنا وفتياننا .

وهناك مشهد آخر من مشاهد القرية وهو المختار فى غروره وصلفه وجهله وجلافته يقول أحدهم فى المختار :

مشى بقريته المختار يختال ... من حوله نفر الانصار أبطال
ينهى ويأمر فى أبناء ضيعته ... كأنه حاكم والقوم عمال

وهو عدا ذلك يزرع الفتن بين الناس :

كم راح يزرع بين الناس تفرقة ... والويل للناس ان ضجوا وان قالوا
لولاه فى القرية الخربان ماقتتلا ... ماكان لولاه ضراب وقتال (٢)

---

(١) العرفان م ٦٠ ص ١٣٨٢ عام ٩٧٢
(٢) العرفان م ٢٨ جـ ٧ ص ٧٤٦ ت ٢ ١٩٣٨

وليست تلك الصورة هي الصورة المميزة للمختار من المختارين من يكون غير ذلك ؟

وهناك صورة عاملية أخرى تصور اهتمام أهل الريف في جبيل عامل بالشعر والشعراء فيروى لنا محمد يوسف مقلد عن الشيخ على مهدى شمس الدين وقد نال جائزة من أحد وجهاء تبنين عبارة عن " ثلاثة أمداد وعدس ومدين حمص ودبكن وقطارة عسل " وذلك على قصيدة نظمها الشاعر ويعلق محمد يوسف مقلد على هذه الجائزة بقوله :

" ما أرخص هذه الجائزة ماديا وما أغلاها معنويا عند من يعرفون أوضاع جبل عامل الاجتماعية يومئذ منذ عشرون سنة تقريبا " (١) .

والقصيدة ليست في مدح الوجيه ولكنها في وصف تبنين وجاء فيها :

على العين من عيثا قفوا حيث تلتقى ظباء حسان حولها وجآذر (١)

وكان الشعراء السادة عبد الحسين عبد الله وموسى الزين شرارة والشاعر شمس الدين قد تنافسوا على وصف تلك العين .

أما الشاعر الفكاهي محمد نجيب مروة فيعطينا صورة أخرى عن الريف العاملي وقد جاءت تلك الصورة في ثنايا قصيدة ينكر فيها على من لا يقدرونه حق قدره ويهجوهم هجاء مرا وهو وان جلس " في قصيدته " على ربوة عالية والناس كلهم كالرعاع من حوله لا يرقى اليه منهم أحد الا انه يصور لنا بعض العادات الريفية في جبل عامل يقول الشاعر :

أبى الدهر الا أن يكون محرما على بلوغ المجد طول حياتى
فألزم شخصى بالاقامة فى قرى أرى أهلها للضيم غير أباة
أحاديثهم في كل وقت يدينهم وزرعهم والحرث والبقرات

وهم كذلك يقضون لياليهم في قراءة قصص الزير وعنترة أو في " الدق " على " الأرغول " وهو " المجوز " وهم الى ذلك فقراء والغنى فيهم هو الذى لا يموت من الجوع :

---

(١) العرفان م ٤٣ جـ ١٠ ص ١٠٥٤ تموز ١٩٥٦

ويـروون بالزيـر فى سهراتهـم — وعنـترة العبسي من غـزوات
وكم فـى الليالـى يطربون بدقهم — علـى الأرغـل المشهور والقصبات

أما أكلهـم فهو لايتجاوز البرغل والعـدس والفـول :

وطبخهم المعدود للأكل برغـل — مضـاف الى الفولات والعدسـات

أما بيوتهـم فهـى مأوى للفـئران والحشرات :

واما تسلـنى عن صفات بيوتهـم — فتلـك لعمـرى مجمع الحشـرات
ترى الفار فيها لايزال معشقـا — لـه عائـلات غير منحصـرات (١)
وحيطانها بالزعفران تخالهـا — ملطخـة من كثـرة الدخنـات
والبس نسيج العنكبوت سقوفهـا — رداء يوارى سائـر الخشبـات

ان الشاعر فى واقع الحال ثائر على هذا الوضع ثائر على اخوانه العامليين الذين لايعملون على تغيير أوضاعهم ويتهمهم بالخمول والكسل والقعود والا فما بالهـم لايتعلمـون المهن التى تدر عليهـم الكثير من الارباح ؟

واصبح تعليـم الصنائع عندهـم — حرامـا على الفتيـان والفتيـات

انهم لاهـون فى " الكـورة " و " الفـدان " :

فهـذا مع الفـدان يذهب عمره — وذاك مـع العنزات والغنمـات
وآخر يقضـى عنوان شبابـه — ولوعـا بطابـات له وكـرات

أما النسـاء فهن مع الحرات فى الحقل واما يجلسن الماء عـن العين واما فـى الاسطبل للكنس ونقـل " الزبـل " :

وهذى مع الجيرات تصلح حرثـه — وتلـك لجلـب الماء والحطبـات
وهاتيك للاسطبل فى كل بكـرة — أعـدت لكنس الزبـل والقـذرات (٢)

---

(١) روائع الادب الفكاهى العاملى ص ١٨

(٢) الاعيان جـ ٤٤ ص ١٧١ ٠

وكان من عادات العامليين الرحيل في الربيع حيث يخيمون على ضفاف الأنهار والبرك والينابيع فيقضون الربيع والصيف هناك مع الطبيعة الساحرة وجمالها الخلاب بعيدا عن المشكلات وعناء العمل . وأكثر من كان يرتحل مثل هذه الرحلات ميسورو الحال .

خيم السيد محمد بن محمود الأمين (١) عند بركة " النقيبة " في شقرا في حين خيم أخوه السيد علي في تلة " دوبية " وتراسل الأخوان شعرا وكل منهما يصف الطبيعة فقال الاول من قصيدة طويلة :

أربوع بركتنا النقيبة	حيتك وطفاء رويه
تفشى رياضك بكرة	ولدى الاصائل والعشية (٢)

ومما وصف العامليون من مشاهد الريف والطبيعة مجالس الشاي والسماور وكان للشاي مجالس خاصة حتى أن احدى القرى العاملية قد اشتهرت بشرب الشاي والاهتمام بمجالسه والتحضير لها ومما قيل في الشاي ماقاله السيد علي محمود الامين (٣) المذكور قبل قليل وكان يشرب الشاي مع بعض الأصدقاء والشعراء :

مابين ورد وجلنار	شربت أشهى من العقار
صهباء راقت فخلت منها	في الكأس أضحى لهيب نار

ثم قال للحاضرين : أجيزوا فقال الشيخ محمد شمس الدين :

طفا عليها حباب در	يفوق حسنا على الدراري (٤)

واشترك الحاضرون جميعا في النظم ...

وللشاعر ابراهيم بري حديث شعري عن القرية العاملية فيه الكثير من المعاني السامية عن حياة الريفيين وبراءتهم وسذاجتهم وتسمع فيه خرير السواقي وزقزقة العصافير مع الفجر الذي ترى اطلالته بين خمائل المروج وأزاهيرها المتفتحة

---

(١) ولد في شقرا سنة ١٢٧٤ هـ وتوفي عام ١٣٤٤ هـ
(٢) الاعيان جـ ٤٧ ص ٩
(٣) ١٢٧٦ هـ ١٣٢٨ هـ
(٤) الاعيان جـ ٤٢ ص ١٤٤

وثمارها اليانعــة (١) .

كما يحدثنا الشيخ عبد اللطيف برى عن " أيام الضيعة " وكروم العنب والتــين فيها والجلوس حول الكانون أيام أيام كانون يقول الشاعر :

" تنام على خرير الماء تصحو فى الثلوج اللازوردية
وتضطــرم الجمــار على مواقدها الشتائيــــة
وتشوى الخبز والبلوط فى نار الكوانين
وتحمــر القلوب الكستنائيــة "

ثم يحدثنا الشاعر بعد قليل عن الجدة وهى تجلس مع الأحفاد لتحكى لهـــم الحكايــا المختلفـة فيقــول :

وتحكى جدتى أخبارها الحلوة
ويزهو وجهها خلف الدخان كوجــه حوريــة (٢)

أما الحومانى فانه يعرض علينا صورة للريفى الكادح المكافح والذى يكد صيفا وشتـــاء دون أن يذوق طعم الراحة الا أن جناه لسواه ويستوحى الحومانى تلك الصورة مـــن معاناة العامليين وبؤسهم وشقائهم فى قراهم .. ويمهد فى تلك الصورة المشـــورة (؟) الملتهبة العاملية التى دأب الحومانى على اذكاء نارها والدعوة اليها وقد مات وفى قلبــه حسرة وفى صــدره غصــة .. لأنه لم يــر الثورة ولهيبها فى عينه الطموحة فبقيـــت تختلج فى صدره حتى قضت عليه يقول الحومانى :

اذا مابكــت أعين المشفقــين	فتبكــيــك للـــزارع المشفــق
يصيــف ليجمـــع أكداســـه	ويشتــو ليضـــرب بالممـــزق

ثم يقـــول :

تــرى الزارع الغر يطوى الشتاء	حريصـــا على شبــــع اولاده
فــيزرع حنطتـــه جاهـــدا	ويحصـــد لكــن لأسيــاده

(١) القصيدة فى العرفان م ٥٠ ج ٥ ص ٥٢٦ ك ٩٦٣
(٢) العرفان م ٦٢ ج ٤ نيسان ٩٧٤ ص ٤٣٥

ثم يقــول :

قضى عمره حامدا شاكـــرا ... على أكلـة الخبـز والسمـترا

ومولاه يأكـل ماقـد جنــاه ... بخيـلا ويأنـف أن يشكـرا

وهو يأكل الشمير وغيره يأكل السبر :

قضـوا بالشعـير لـه مأكـلا ... وبالتـبن علفـا لأبقـاره

له المعشـر ممـا جـنى كاسبـا ... وللبيـك تسعـة أعشـاره (١)

أما الصورة التى يرسمها حبيب صادق فهى لاتختلف من حيث الجوهر عن صـورة الحومانى الا انها تأخـذ شكلا آخر وطريقـا آخـر • والحومانى أصدق مـن " صـادق " وأكثـر تجربـة منـه وحبيب صادق وان كان مخلصا فى وطنيتـه الا أن صورتـه التى رسمها للقرية تبقـى سطحيـة وينقصها الصدق الادبى لأن الروح التى تسيطر على حبيب هى روح البورجوازيـة الثائـرة وليست الروح الشعبيـة الثائرة ولا شك أن الفـرق يكمن فى المعاناة • ففى " فصول لم تتم " يصـف لنـا مشهدا ريفيـا بسيطا هو مشهد راعى الغنـم وهو يقـود قطيعـه فالصورة خياليـة قد يقصد منها المتعة الفنية فهى لوحـة ريفيـة يزين بها الشاعر جدار فكـره يقول الشاعـر :

" وانساب فى الأعماق تسآل وديع
هذى الخراف لمن ؟
لمن القطيـع
لى ؟
ليس لى منها سوى جهد الصنيع .
وعصا أهش بها .
ومزمـار مطيع .
أغذوه من كبدى .
وأسقيه النجيـع .
وحدى :
مع الاحزان واللحن الوجيع .

---

(١) السائس والمسوس ص ٧١

وحدى ..

مع الآهات أغنى .. (١)

ولوحة أخرى يرسمها عبد الكريم شمس الدين فى " مواسم " بريشة ساحرة - تلتقط كل مشاهد الريف مضيفا اليها الشاعر من عواطفه الشيء الكثير وكتابه كله عن الريف ومواسم الريف وقد ذيل عنوان تلك المجموعة بما يأتى : " حب وريف وحكايات مجد " فيروى لنا من ذلك قصته : الكرمة :

قصة الكرمة قد ألقت بها
فى ذرانا يد فلاح حبها
أرضنا كل حنان غامر
وجلاد أبدا ماتعبا (٢)

وفى قصيدة " دعاء " يتحدث الشاعر عن السواعد والمعاول والسنابل والمناجل والمواسم والبيادر والغلال فيقول :

سواعدنا ... والبذار يكال
معاولنا ... والتراب يهال
سنابلنا ... والمروج ظلال
مناجلنا ... والحصاد اكتمال
مواسمنا ... وافترار السلال
بيادرنا ... والغلال تلال
مغانمنا ... والشفاه ابتهال
اله العطاء
اله الجمال
يدرنا السهول
غرسنا الجبال
فما نعرف اليوم معنى المحال

---

(١) فصول لم تتم ص ١٤٦
(٢) مواسم ص ٢٢

على كل قمــة
توثــب أمــة
وفي كل صبح
لدى كل سفح
تمزق ظلمــة
تمرد همـــة (١)

ومجموعة الشاعر شمس الدين كلها حديث عن الريف واعتزاز بــه وبأهلــه ودعــوة الى التمــرد والثــورة على الواقع الاليــم الذى يحيــاه الفــلاح العاملــى ويعيــش في أجوائــه وذلك يدل على أصالـــة الشاعر ووعيــه .

وصــــف الطبيعـــة

والانتقال من الريف وجوه الى الطبيعة وسحرها أمر مألوف ففي الريف يخلو المرء الى نفسه والخلو الى النفس مدعاة الى التأمل والتأمل نظرة صافية ثاقبة يرسلهـــا الانسان الى ماحولــه فتلتصق بالنجوم وبالشمس بالقمــر ثم تنعكس على صفحات المـــاء المنساب في الجداول الرقراقة بين الاعشاب الخضراء والاشجار الباسقة حيث زقزقـــة العصافير ومزامير الرعاة الهائمين مع الطبيعة في الأودية وعلى سفوح الجبال ... والفلاحون وهم يلقمون حبوبهم للارض شتاء فتتحول الى سنابل تترنح بحبوبها الثقيلة صيفا .. الريف يمنى الطبيعة بمناظرها الخلابة الساحرة .. وجبل عامل عريـــق بتاريخه المجيـد وتنتشر القلاع على قمم جباله الشماء والنظرة الى القلاع تعنى النظرة الى التاريخ وفي النظرة الى التاريخ مافيها من غوص الى أعمـاق الماضــــى .. وسبر لأبعـــاده .

نظر الشعراء العامليون الى الطبيعة ورسم كل منهم لوحة تناص مارسمه الاخـــر

(١) مواسم ص ٤٢

في مفاتن جبل عامل وتحركت أناملهم فصاغت الحانا عذبة ترنمت بجمال ماحولها .

وصف الشعراء أودية جبل عامل الكثيرة " كالسلوقي " و " الحجير " ثم وصفوا القلاع كقلعة الشقيف ودوبيه وتبنين وهونين وتحدثوا عن المتنزهات كمنتزهات الميذنة وجبع والليطاني والزهراني .. وغير ذلك من الأماكن التي كان يرتادها الشعراء والمترفون .. وسنستعرض فيما يلي بعض تلك اللوحات :

وادي السلوقي

هو واد سحيق عند ميس الجبل جنوبا حتى وادي الحجير شمالا حيث يلتقي الليطاني ويبلغ طوله قرابة العشرين كيلو مترا ويمر من أسفل الجبل الذي تقع عليه قلعة دوبية وتحيط به الاحراج على طول جانبيه الشرقي والغربي وتتفجر من أرضه الينابيع التي تسيل في قعره طيلة فصل الربيع وهذا ماجعله قبلة المتنزهين وهواة السباحة .. وكان الشعراء ممن يترددون على هذا الوادي لقضاء أوقات فراغهم .

وصف وادي السلوقي السيد علي محمود الامين بقصيدة طويلة جاء فيها :

طرزت غرة السحاب الدفوق ... بصنوف الازهار وادي السلوقي
وجرت كاللجين فيه مياه ... راق سلسالها بلا راو وتقي
فوق حصباء كالدراري تزهو ... ببريق يفوق لمع البروق
كم ترى من بنفسج واقاح ... في رباه ونرجس وشقيق
وعلى ضفتيه أثل ورند ... وعن البان كل غصن وريق (١)

وقد عارض بعض الشعراء هذه القصيدة بقوله :

لست أنسى مسيل وادي السلوقي ... بين آس ونرجس وشقيق
واقاح وياسمين وسيم ... وغرار بكسل حسن عريق (٢)
والخزام والورد يحكي الندامى ... بضروب المنظور والمنشوق

هذا وفي وادي السلوقي شعر كثير متفرق ومازال الشعراء ينظمون فيه غرر قصائدهم .

---

(١) و (٢) الاعيان ج ٤٢ ص ١٤٤

وادى الحجـير

عند منتهى وادى السلوقى يقع وادى الحجير وهو متـنزه آخـر من متنزهات جبل عامل وهو جدول يصب فيه وادى السلوقى ثم يصـب بدوره فى نهـر الليطانى ، تحيط به البساتين ومساقط المياه وتكثر فيه المطاحن المائيـة • وقد ارتبط هـذا الوادى بتاريخ جبل عامل السياسى وبحركة التحرر الوطنى التى خاضها العامليـون ضد الفرنسيين حيث عقد فيه المؤتمر المشهور فى العشرينيات والـذى حضـره عشرات الالوف من المواطنين الذين قرروا متابعـة الكفاح ضد فرنسـا والانضمـام الى سوريـا •

تناول الشعراء ذلك الوادى بالوصف ومن أبرز الذين وصفوه محسـن الامـين وله فيه ذكريات كثيرة أبرزها المؤتمر المذكور حيث كان رئيسا للوفد المنبثق عنـه لزيـارة دمشق ومبايعـة الملك فيصل • قال فى وصف وادى الحجير :

وادى الحجير سقاك وكاف الحيا ... كـم فيك للابصـار من مستمتـع
وقد أظهـرت فيك الطبيعة رونقـا ... يبـدو فيفضـح شيمـة المتطبـع
جمعت من الاشجار فيك بواسـق ... أمثالها بسواك لـم تتجمـع
والطـير تشدو فى ذرى أغصانـه ... باللحـن بـين مردد ومرجـع
الروض زاه أيها الأطيـار ... والاغصان مائسة فغنى واسجعى
والماء صاف فاشربى والريـح طلـق فانشقـى والنبت غض فارتعـى (١)

وللشاعر أديب التقى (٢) وقد مر فى ذلك الوادى ه قصيدة جاء فيها :

حيا الحيـا شجرات ذاك الوادى ... وروى معاهـده الغمام الغادى
والروض خلـف مسيلـه وأمامـه ... غض تراوحـه الصبا وتغـادى
نسجت له أيدى الربيع مطارفـا ... موشية بالعشـب والاوراد
يفتر عوسجـه على حافاتـه ... والشيـح فـواح علـى الأسياد
وتفتحت من نوره أكمامـه ... فرحـا على الاغـوار والانجـاد

(١) الاعيان ج ٤٠ ص ١٣٤
(٢) اديب التقى من اصل عراقى ولد فى شبعا سنة ١٣١٢ وتوفى ١٣٦٥ هـ وكـان مقيمـا فى دمشـق •

وتغنت الأطيار فى أدواحه وتجاوبت باللحن والانشاد
فخال ثمة كل شيء معبدا يحيى الغناء وكل شيئ شادى (١)

قلعتا الشقيف وتبنين
ومتنزه الميذنة

نظم شعراء عاملة فى هذه الاماكن قصائد كثيرة ومما قيل فى قلعة تبنين مما قالته الشاعرة الكاتبة زينب فواز وذلك عندما كانت تقيم فى مصر ؟

ياأيها الصرح ان الدمع منهمل فهل تعيد لنا يادهر من رحلوا
وهل بقى منك من ينعى معى قصة هم المقاديم فى يوم الوغى الاول
قد كنت للدهر نورا يستضاء به أخنى عليك البلا يا أيها الطلل
كم زينتك قدود الغيد راطة بالعز تسمو ووجه الدهر مقتبل
أبكيك ياصرح كالورقاء نادبة شوقا اليهم الى أن ينتهى الأجل

ومنها :

تبنين قد كنت فى بعدى على حزن فعند قربى الحشا بالوجد يشتعل
أعلى " هيوسنت " أبراجا لها عجبا تقارع الدهر لاضعف ولا ملل (٢)

أما قلعة الشقيف قد نظم الشعراء فيها الكثير من القصائد ، تحدثوا فيها عن تاريخ تلك القلعة وصمودها على مر الايام وأبرز من نظموا فى قلعة الشقيف شعرا الشيخ سليمان ظاهر ، وتجد ذلك منتشرا فى دواوينه ، أما منتزه الميذنة ، فكان شعراء منطقة النبطية يقضون فيه أوقات فراغهم ومنهم: سليمان ظاهر ، احمد رضا ، الحومانى ، على الزين ، وأسد الله صفا وغيرهم .

---

(١) الاعيان ج ٥٥ ص ٥٢

(٢) الاعيان ج ٣٢ ص ١٧٧ وهيوسنت الصليبى هو صاحب طبرية وبانى قلعة تبنين وقد اتخذها مقرا له عندما أراد غزو صور .

صور أخرى في وصف الطبيعة

ومن الصور التي رسمتها أنامل الشعراء العامليين للطبيعة الانهار والربيع والفراشة والطيور • ومنظر النهر وهو يسيل في بطن الوادي وقد احتضنها كالأم الرؤوم ثم انحداره البطيء السريع في آن واحد ثم ماتصنعه على سطحه لمنظر يثير شاعرية الشعراء ويحرك قرائحهم •

وممن وصفوا ذلك المشهد الشاعر الشيخ علي حسين عز الدين المولود عام ١٢٨١هـ حيث يقول :

انظري النهر وتجعيد الرياح ماؤه الصافي بعين صافية
جنة تجري بها الانهار في حيث لاتسمع فيها لاغية
فارقصي تيها وميسي طربا واصغي للاطيار أذنا واعية
واسمعي تغريدها فوق الغصون بلبل شادي وقمري صافر
تشكر الصانع في تغريدها وغناها لذة للسامعين
وانظري الشمس تجلت في السما وتراءت لعيون الناظرين
سنة الله بكل كوكب ظلم عنا سناك تحجبين ؟(١)

وممن وصفوا الربيع بشكل عام السيد حسن محمود الامين وقد قارن بين الربيع والشباب فقال من قصيدة :

هذا الربيع بمنفوان شبابه يختال كالحسناء في جلبابه
يفتر ثغر الاقحوان اذا بكت في روضه الزاهي عيون سحابه
والورد سيد زهره فتى بدا سجدت ملوك الزهر في أعتابه (٢)

---

(١) الاعيان ج ٤٢ص ٣٦٢
(٢) الاعيان ج ٣٢ص ٤١٥

وصف الفراشة والزهور والفرس

وقد وجدت الفراشة على ضآلة حجمها وقلة شأنها من يعطف عليها من الشعراء العامليين وكأنهم تمثلوا فيها الضعف الانساني وبراءة الطفولة فحدبوا عليها واستلهموا منها كثيرا من القصائد وكأنها كانت رفيقتهم في البراري والحقول ورفيقة أسفارهم في منتزهاتهم ومن هؤلاء الشعراء عبد اللطيف شرارة والحوماني واحمد سليمان ظاهر .. فالحوماني يتأمل الفراشات وهن يتنقلن في الروض من زهرة الى زهرة وكأنهن يفاخرن بألوانهن الزاهية ويتباهين بجمالهن فيرفق بهن ويخاطبهن قائلا :

ماتمرين بآمالي ... في الروض حيارى
يترامين على الزهر ... كبارا وصغارا
ويساجلن دواليك ... على الدوح الهزارا
ويعانقن متى شئن ... شقيقا وبهارا
واذا ألبسها من لونه ... الزهر ازارا
وسقاها من سقيط الطل شهدا وعقارا
فبدت ألوانها الزهر ... لجينا ونضارا
ومضت تختال من غصن ... الى غصن سكارى
تتبدى فوقه طورا ... وطورا تتوارى
خلتها في أفق الروض فراشا يتبارى (١)

أما عبد اللطيف شرارة فيتخذ منها وسيلة ليتجه بها نحو مظاهر الحياة المادية والروحية كما يقول على الزين (٢) فيقول الشاعر :

خلقت كما تهوين في عالم شعرى ... أنيق المعاني رائق النظم والنثر
حواليك من آلاء نيسان جنة ... كستك وشاحا من غلائلها الخضر
لك الروض عذبا مترعا من بشاشته ... يجلله فيض من النور والعطر

---

(١) جولة في الشعر العربي المعاصر - ابراهيم العريض - طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٢ صفحة ٣٥ .

(٢) أوراق أديب لعلي الزين ص ١٢٤ .

لك النهــر يجري سائغا متدفقــا | تمتعــت من نعماه فــى نهر يجري
لك الـطير تشدو فى الصباح وفى المسا | فتغشاك من أنغامها نشوة السحــر

هذا هو الاتجاه المادي الذي يتصور الفراشة " وماتتصل به من جمال الطبيعــــة "
أما الاتجاه الروحي الذي " يتجلى عن أسفه وتمنيه فى أواخرها حيث تفيض اللوعــــة
من قولـه " :

فأية حسنى تزد هيــنى لاغتــــدى | نضيرك فى الدنيا وأوها مهــا أزرى
وهذى الامانى فى لجة النور أفرغــت | فلــم ألفها الا خيالا من السحـــــر
وهذا الهوى سر الوجود ومجـــــده | يطيل بنا الايام فى ألم الفكـــــــر
وهذا الصبا روض الحياة تعطلـــت | آغانيــه مابين الاسى والشجى المــر (١)

أما احمد سليمان طاهر فانه يبكى لمشهد احتضار الفراشة فينظم قصيدة طويلـــــة بعنوان " مصرع فراشة " نجتزىء منها هذا المقطع :

رفت كأجنحة الملائك فوق أزهار الوجود
وتلألأت كأشعة تضفى الجمال على الوجود
طورا تحط على الزهور وتارة تعلو صعــود
.. ..
فى هيبة ألقى عليها الحسن اشعاع الخلود
فكأنها طيف تألق وارتد تأبهـــــى بورود
وكأنها أمل يرفرف مشرقا زاه سعيـــــد
وكأنها من أسرها انطلقت وحطمت القيــود
يا مهجة طمئت فرفت كالظلال على الصعيد
وتراقصت فوق المياه كبسمة فى ثغر عيـــد
نفحاتها همس النسيم وراحها عبق الــورود
وطلابها الفجر الضحوك ونغمة الطير الشريد (٢)

---

(١) أوراق أديب ص ١٣٥

(٢) مجلة هنا لندن ١٦ ك١ ١٩٦١ عدد ٤٥ السنة الثانية ص ١٧

ويصف السيد حسن محمود الامين بلبلا كان يغرد على بعض الاغصان فيقول :

لحنت لكن على الاوتار والعود ... شعري وقلت لايام الصبا عودي
ما الشعر غير أناشيد ملحنة ... وما الحياة سوى تلك الاناشيد
يا بلبل الدوح هل غنيت في فنن ... كما أغني وهل غردت تغريدي
يا بلبل الدوح ما في الدوح مأمنة ... قد ينصب الفخ بين الاغصن الغيد
ما في ارتفاعك منجاة ولو بلغت ... عليك عليا سليمان بن داوود
صوب وصعد فريح الموت ان عصفت ... ليست ترد بتصويب وتصعيد (١)

وهكذا جعل العامليون من الفراشة والبلبل والطيور الاخرى مواضيع لشعرهم يوقعون عليها أعذب الالحان ومن يدري ؟ فلعل أحمد سليمان ظاهر والسيد حسن محمود الامين يرمزان بالفراشة والبلبل للانسان الضعيف المتهالك على نفسه في هذا الكون !

وفي وصف الفرس قال محمد حسين شمس الدين وهو يرثي فرسا كانت عنده :

كان لي مما أقلته الثرى ... جرداء تختال من الطير علف
تنشر ما لفت ومن اسراعها ... تخالها تنصاع من نشر ولف
تسبق للغاية كالسهم انبرى ... من كبد القوس الى قلب الهدف
تبدو وتخفى بين وهد وربى ... ايماضة البرق يفي وينخطف (٢)

وصف السيارة والطيارة والقطار

وقف العامليون كغيرهم من الشعوب وقفة تأمل واعجاب أمام ما أدخله العلم والاختراع في هذا العالم من صناعات حديثة ومبتكرات عظيمة وقد أذهلهم ما شهده العصر من أنواع الآليات التي سخرت لخدمة الانسان ومنها السيارة والباخرة ثم الطائرة التي أسهمت بنقل العامليين من عصر الناقة والفرس الى العصر الجديد ومع هذا الانتقال المفاجىء ارتحل الفنان العاملي بريشته وقلمه مع المرتحلين مسايرا

(١) الاعيان ج ٣٢ ص ٤٣٧
(٢) العرفان م ٥٠ ج ١٠ ص ٩٧٢ آيار ١٩٦٣ م

الركب معبرا عن البيئة الجديدة بما تساعده عليه القريحة وتمينه به من معطيات العصر .. ومن الذين شعروا بهذا التحول مباشرة أولئك الذين اتيحت لهم فرصة الاستفادة من هذه المخترعات عن طريق استعمالها وكان فى مقدمة هؤلاء الشيخ عبد الحسين صادق حيث كان يقضى وقته متنقلا بين العراق وجبل عامل لانه كان طالب علم فى النجف وطبيعة ظروفه تحتم عليه الانتقال .. وقف الشاعر امام السيارة حائرا فى تفسير تلك الظاهرة العلمية الحديثة فاذا به يشعر بما هو أعظم من السيارة وكان للشاعر ما أراد يقول الشاعر :

مالنا سائق الرواحل قدم ... فركبناه زائرا زار ضيغم
فمضى فانطوى الفضاء سجلا ... فحططنا الرحال فالركب خيم

ومنها قوله :

مر ينساب فى المهامه صلا ... مطرق الرأس أبتر الذيل أرقم
مقلتاه ليلا سراجا مليط ... أو شهابا يرجمان المقدم
فيقتح من مقلتيه وغمض ... تجد الكون أقمر اللون أقتم
ظهره غرفة النعيم ولكن ... بطنه فى السعير وادى جهنم
هب والطرف يجريان ولكن ... طامح الطرف طالما عنه أحجم
عاقدا من ورائه يم نقع ... وهو فلك النجاة فى ساحل اليم
قائما قاعدا مكرا مفرا ... مقبلا مدبرا علوا مقوم
وبكل سراه أهدى سبيلا ... من قطاة الى التى هى أسلم
كم بشق النفوس كنا نجوب البيد ... امسا بمخطم أو بملجم
قد عنانا المسير حتى قسى ... وبرتنا يد السرى برى مرقم
لكأنا أسنة من رماح ... أو سهام سهم بسهم منظم
نعمة كان عاطلا من حلاها ... حيز هذا الوجود فيما تقدم
حبذا أيها الجنى ولكن ... سبط هذا الارى الجني بعلقم
كيف هذى النفوس تفرخ روعا ... وهو فى قبضة الظلوم المحكم
كم أناخ الردى على راكبيه ... وعليه فحطموا أو تحطم
فعلى مالك الجحيم سلام فهو ... أندى منه فؤادا وأرحم

وفى وصف الباخرة يقول الشاعر نفسه :

روت الفلك فى متون البحار | نبأ البرق عن صحيح البخارى
وتلت سورة الدخان ففشت | بلثام الظلام وجه النهار
كلما زجها بجذب ودفع | مارج فى فؤادها من نار
فتحت للخضم عينا وصرت | بين أجفانها خيالا سارى
تمخر اليم فى جناجن صدر | فترى الماء حولها كالسوار
كلما أتلعت مناحر موج | نحرتها بكلكل بتار
تتخطى مناكب اللجج الشم | على طولها بأيد قصار
هى عجزا قطا وعنقا نعام | وجناحا قبج وصوتا قمارى (١)

ومنها فى وصف القطار وقد تناوله بالنقد أكثر من واحد وأثار ضجة أدبية سوف نأتى على ذكرها فيما بعد قال الشاعر :

مشقت للحديد خيطين وانسابت | فخاطت صحاصحا بصحارى
نزعتها رماتها أى سهم | مريغلى مفوق الاوتار
مارقا فى حشاشة البيد تكبو | ظلعا عنه لمحة الابصار
بنت بر لا فارض وعوان | هى بكر من أعظم الابكار
نشأت ذات صبوة وغرام | بعناق الفلا ووصل القفار
واستشاطت تغيظا وزفيرا | برعيد تصك سحب بخار
كم لها شهقة ونفثة صدر | وسمت بالصدى فضا الاقطار
كلما ثوب النفير لها النفخة | فى صورها أمام القطار
برزت عن لداتها كعروس | أو كملك فى فيلق جرار
تتمادى خيولها مالها من | رهج ساطع ونقع مثار
كلما آختها النئية عنها | أزلفتها لها يد الاسفار
حادتا عن تعانق ووصال | ليمين هذى وذى ليسار (١)

(١) سقط المتاع ص ١٢ — ١٣
(٢) سقط المتاع ص ١٧

ولا يخفى مافى هذه الصور الرائعة من علاقة واضحة مع البادية فالشاعر لا يستطيع التخلص والانفلات من آثار الماضى ومافيه من نوق وخيول وبادية ولا عجب فهو لم يزل فى ذلك الوقت واقعا تحت تأثير عهد لم ننفض غباره بعد وهو كذلك لم يزل قريبا من الاسفار التقليدية التى تعتمد النوق والخيل والحمير ...

أما الحومانى فله وصف آخر للقطار جاء فيه :

سرت فيه حتى كأنك مابين ... دراريه كوكب سيار
أنفت أن تروم الا كذ دنيا ... تصطفيه الشموس والاقمار
خضت فيه حتى كأنك فى الاجواء ... فلك مخر وهى بحار
أترى الشهب تلك أم هن أنفاس ... تصاعدن منك فهى شرار
وغمام هذا الذى ألبس الشمس ... قناعا أم ذاك منك بخار
ونجوم حفتك أم أنت فيها ... ملك وهى عسكر جرار (١)

ونكتفى الآن من هذه القصيدة بهذا القدر لاننا سنعود اليها عند اجراء بعض المقارنات وللحومانى أيضا وصف للسيارة يقول فيه :

لست أدرى وقد جرت بى فى البيد كما يقدم الهشيم مسيل

أحزونا يلف بى أم سهولا ... وصعودا يجرى بى أم نزول
فكأن الجبال أسفار كتب ... يجتليهن والصدا ترتيل
واذا ضاقت الفجاج به مر ... كما مر فى المحاجر ميل
كاد يجرى النسيم مجراه لولا ... انه صح والنسيم عليل (٢)

وتظهر الطائرات الحربية فى سماء عاملة خلال الحربين الاولى والثانية ويسجل هذه الظاهرة الشاعر احمد سليمان ظاهر فيقول :

أصاعقة من حولها النفس تصعق ... وترعد بالموت الزؤام وتبرق
وطائرة تزهى على النسر فى الفضا ... وتسمو على نسر السما وتحلق

---

(١) ديوان الحومانى ص ٨٧
(٢) ديوان الحومانى ص ١١٥

اذا ماجرت والبرق قصر جريهـــا ‏ مداه بآبـت وهى للبرق تسبق
وبين جناحيهـا حياة لأمـــة ‏ وموت لأخرى فى الزمان محقق
تصعد أنفاسا يكاد شواظهـا ‏ الى كل من فوق البسيطة يحرق
وتمطر أحيانا سلاما وراحــة ‏ يكاد بها يعمر البسيطة يورق
تخط سطورا فى السماء ومالها ‏ سوى صفحة الافق النقية مهرق
ومن عجب وهى الحمام وانهـا ‏ تنوح كما ناح الحمام المطوق (١)

وفى وصف الطيارة والحرب يقول السيد حسن محمود الامين من قصيدة :

ورد عليه تزاحـم وخصـام ‏ تطوى وتنشـر حوله الاعلام
تجرى الدماء على ضفاف غديـره ‏ ويشام فيه على الحسام حسام
نهـز الغواة بد لوهـم وتوهموا ‏ فيه الحيـاة اذا الحياة حمـام

ومنهـا :

هوت النسور وانها من صنفهـم ‏ كالصاديات وما بهـن اوام
وأشد ماعلمت النسور كأنهـا ‏ فى الجو من فوق الغمام غمـام
طلعت على شرق البلاد وغربها ‏ نـوب صغـار خطوبهن جسـام
هدرت شقاشقها وهن مدافـع ‏ ودجت غياهبها وهـن قتـام (٢)

وهكذا وصف شعراء عاملة الطائرة والسيارة والباخرة والقطار وصفا دقيقـا صبغوه بعواطفهم وأحاسيسهم وجعلوا الصور تتحرك وتتألم وتتبسم كأنها مخلوقات آدمية وذلك من أروع ماتجـود به قرائح الشعراء من صور بلاغية ناجحة .

---

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٥ وهى ما زالت مخطوطة بحوزتى .
(٢) الاعيان ج ٣٢ ص ٤٣٣ .

الاغـراض الاجتماعية
فـى
الشعـر العاملـى

ان كل مايتناول العلاقات بين الناس ويتحدث عنها هو فى واقع الحال اجتماعـى وكذلك الشعر فالشعـر الذى يتناول بالنقد والتحليل تلك العلائـق ويعرضها بعيوبهـا وحسناتها هو شعر اجتماعى وعلى هذا الاساس فالمدح والهجاء والحوار الشعـرى وما شابـه ذلك هو شعـر اجتماعى ولما كنا قد تناولنا بعض هذه الجوانب واعتبرنا بعضـا من الجوانب القوميـة وبعضها لآخـر من الجوانب الدينيـة لما فى هذه الاغراض مايميزهـا ويجعلها تلتصق بالجوانب التى ذكرنا فقد بقى لدينا من الموضوعات الاجتماعية الخالصـة ماهى جديـرة بأن تـدرج تحت الاغراض الاجتماعية . علما بأننا لانستطيع أن نفصـل المجتمـع عن الاغـراض السابقـة لان المجتمع يحتضـن كل شيء وهو رأس جميع الاغراض واذا كانت بعض الاغراض تتناول بعض الخصوصيات فى المجتمـع . تختـص بطبقة معينـة من المجتمع كالمدح والهجاء والحوار وهـذا مادعانا لادراجها تحت الجوانب الاخـرى فان من الاغراض مايعم هدفـه ويشمل جميع طبقات المجتمع كالغزل والحنين والاحتفالات الدينيـة والزواج والموت وما بينهما من فـرح وتـرح والاعياد والمواسم ونقـد العـادات الاجتماعية والاخوانيات والمرأة وما يختص بتحريرها وأخلاقها ، والفقر والفقـراء ، والغنى والاغنياء ، والتحرر الاجتماعى .

هذا ومن الاغراض ماهو أكثر التصاقا بالنفس الانسانيـة وعلوقـا بشغاف القلـب كالحديث عن الحـب والفـرح والحـزن ، ومنها مايختلف فى ذلك ويتفاوت من مجتمـع لآخـر ، ومن انسان لآخـر . وذلك لان هذه العواطف ذاتيـة خالصـة وأصـدق مايقولـه الشاعر هو مايتعلق بذاتـه ولـه علاقـة بشخصـه ، ففيـه استجابة لهواه واحاسيسه وكلمـا كان الكلام من هذا القبيل كان أكثر صدقا فهو ناتج عن تجربـة ، والغزل من هذا النوع ... فالجنس غريزة انسانيـة والحب هو الطريق الى اشباع تلك الغريـزة ، والعطش الجنسى أشد مرارة من العطش المادى ، وحاجة الانسان الملحة الى الجنس فطريـة وهـى كحاجتـه للماء والهـواء ، ولما كان الماء والهواء بمتناول اليـد ، فان الشغف بالجنس

واللهفة اليه أشد وأقوى فالرغبة اليه أكيدة ، والعمل من أجله وارد ، والسعى اليه حثيث . والشاعر انسان والعاشق شاعر والشاعر انسان عاشق ، وهكذا كان ويكون منذ بدء الخليقة وحتى نهايتها ... يعزف الشاعر على شبابة قلبه وأوتار نفسه ، فتتجاوب الاصداء ، واذا بالتعبير عن تلك الرغبة وذلك الحب لا يتناول فوات الشعراء فحسب بل يتجاوزهم الى عموم الناس ، ولذلك كان الغزل أكثر صدقا وأوسع انتشارا وأشد علوقا بنياط القلوب وذاكرة المغرمين والعشاق ومن منا لم يعشق ؟ !

ويأتى بعد الغزل من حيث الصدق الرثاء لانه تعبير عن الالم والخوف والحزن والجزع ، والرثاء كما سبق وذكرنا ، يبكى الشاعر فيه نفسه ، ويندب حظه انتظارا لساعة الموت المحققة ، حيث تثور فى نفسه لواعج الحزن والاسى فيبكى ويبكى على نفسه بعمق ، دون أن يشعر به الآخرون ... ولن نطيل فى الحديث عن الرثاء والمدح والهجاء لأننا تحدثنا عن ذلك ونتحدث الآن عن الغزل فى الشعر العاملى .

****

« الغـــــزل »

كان معظم شعراء عاملة حتى الخمسينيات من رجال الدين الذين تخرجوا من جامعة النجف الأشرف ، وهم تبعا لذلك من التقليديين المحافظين في غزلهم ، غير أن الأمر بعد ذلك الزمن يختلف كثيرا كما سنرى .

وغزل العامليين على وجه العموم رقيق سلس متزن يحاكي الأقدمين فهو لا يخدش الحياء ولا يجافي الضمير والأخلاق .. غير أن الشعراء الشباب قد حاولوا الانحراف به بعد ذلك ، الا أن الأحداث السياسية التي عصفت بمنطقة الشرق الأوسط والتزام معظم شعراء عاملة بها قد وضعت حدا سريعا للانحدار وارتفعت بالشعراء الى الأعلى فلم يكد ذلك الغزل الماجن المتحلل المتهتك أن يرى النور ... وبالطبع لا يعني هذا أن شعراء جبل عامل ظاهرة جديدة غريبة في تاريخ الشعر العربي .. فهم كسواهم يخضعون لسنة الحياة ويماشون التطور ويسايرون روح العصر المتحضرة .

والذي حدا بالعامليين الى الوقوف هذا الموقف في شعرهم ، هو ما ذكرناه من التزامهم بقضايا شعوبهم .

واذا كنا قد ارتضينا لأنفسنا اعتبار شعراء عاملة فريقين كما ذكرنا ، فلا بد من المقارنة بين هذين الفريقين واستعراض غزلهم جميعا استعراضا مجملا .

فالذين يمثلون فريق المحافظين " شبيب باشا الأسعد ومحمد سليمان جواد ومحسن الأمين وعبد الحسين صادق وعبد الحسين عبد الله والحوماني وموسى الزين شرارة .

أما الذين يمثلون الفريق الآخر فيهم " محمد علي شمس الدين ، ياسر بدر الدين ، الياس لحود عبد الكريم شمس الدين ، شوقي بزيع .

ولكل شاعر ظروفه وخصائصه التي تميزه عن الآخرين ، فشبيب باشا الشاعر الاقطاعي يختلف عن محمد سليمان جواد الشاعر الفقير المسحوق .

نستعرض ديوان الأسعد ونجد غزله مبثوثا بين قصائده ولكننا لا نكاد نحس بتلك المرارة وذلك الجوى والعذاب الذي يحس به المحروم من المحبين ولا لهفة المكبوت .. فبنات الهوى من الروميات في استنبول التي كان يتردد عليها كثيرا ملك يديه والكثيرات من العامليات اللواتي يتوددن اليه ويتمنين أن يكن زوجات له أو عشيقات . غير أن الجنس تيار جارف وناره لا تنطفئ جذوتها والرغبة الى حواء متجددة مع الأيام

واذا نضب ماء الشباب فان الرغبة تتحول الى لهفة وتحسر وبكاء على الماضى وتبكيت .. للشيخوخة ، ومهما يكن من أمر ، فاننا عندما نقرأ غزل الأسعد ، نشعر معه بالبعد عن الروح فى الهوى ونقترب من المادة . فغزله حسى يغلب عليه التكلف ، ثم الغرور الذى كان يسيطر على الشاعر وهذه بعض النماذج من غزله حتى تبين لنا من يكون الشاعر ، وتكشف لنا عن بعض جوانب شخصيته ، يقول الشاعر ...

نصحتك دع عنك حب الحسان ... وكن به من عنساء مستريح
فكم ذاهل فيه عن عقلــــــه ... وقلب جريح بجسم طريــح
بهـن المـودة قد حرمــت ... سلوك الوفـاء بوجه صريـــح
فبينـا تراهـا كمـاء علـت ... واذ أصبحت كرماد بريـح

وهو لذلك يكره أو يتظاهر بكره الحسان .

كرهت الملاح وانسـى علـى ... سخائى ترانى بهـن الشحيح

ثم يعلل تلك الكراهية فيقــول

وما الكره الا لانســى أغــار ... عليهن مـن قرب وجه قبيـح

فهو اذن ينفس على غيره ان يحظى ببعضهن وكأنه لا يريدهن الا لنفسه فيقـــــــول ..

فبئس الملاح وبئـس الصباح ... اذا ما القبيح تولى المليح
فليت الحسان بحد الحسام ... وحد الصبيح بمتن الصفيح(١)

ثم أن الشاعر ، وقد أحس بالشيخوخة تغزوه يبكى الشباب ،فيقول ...

فضح الشيب عارضى باتضــاح ... فبدا منه للغوانى افتضـاحى
وتولى مع الشباب ســـــرورى ... وغدا يا هزيم نهب الريـــاح

ومن غزله على طريقة القدمـــــاء ...

سلت من الجفن بتارا تصول به ... وقلبى المبتلى فى حبها شطرت
فقرطقت بالثريا وهى شمس ضحى ... وتحت جنح دياجى فرعها استترت
وقد طوت قمرا وسط الجبين بدا ... مذ للذوائب عن فرق لها نشرت

---

١ العقد المنضد لشبيب باشا الأسعد ص١٧ صادر عن دار الطباعة العامرة باستنبول ١٣٠٩هـ
٢ " " " ص١٧٠

ولا شك أن تلك الصور هى من وحى غزل القدماء ، ثم انظر الى الشاعر كيف يسمح لنفسه بصياغة " فقرطقت " من القرط ، ثم انظر اليه وقد أعطى حبيبته صورة الظبية ...

سبت من الظبية الوسناء لفتتها ... وجيدها ثم فرت خشية وسرت (١)

ثم انظر اليه وهو يتغزل " برومية " ...

وظبية رومية قد صوى ... لحظ لها ساح بديع أسوار
تحكي ظبا تجد بأوصافها ... لكنها فاقت بفرط النفار
وافتر الجفن يناجى الندى ... يدنو لقيا ة الفرار القرار (٢)

وهكذا كانت تأتى الصور الغزلية فى سائر غزل الأسعد حسية تقليدية لا جديد فيها .

أما الشيخ محمد سليمان جواد وهو من شعراء الرعيل الأول المعاصرين لشبيب باشا الأسعد ، فقد كان رقيق الشاعر متقد العاطفة . وبالنظر للفوارق الاجتماعية بينه وبين الأسعد فان الصورة تختلف من حيث العاطفة واتقادها لشدة الحرمان وكثرة المعاناة .

ونحن لا نجد للشاعر غزلا متخصصا وانما نلمحه فى ثنايا مدائحه لآل الأسعد وغيرهم ، وقد نجد له بعض المقطعات الغزلية المتخصصة . الا أنها قليلة . ومن غزله ، قوله ...

شربت بالمذهب حتى انتشى ... مذهبة الهم جلوب المراح
من كف هيفاء الحشا طفلة ... ناعمة الجيد كعوب رداح
مريضة الأجفان لكنها ... تحسن فتكا بالقلوب الصحاح

ونراه بعد ذلك يصف الخلخال وهذا ما لم نجده فى غزل الأسعد .
ذلك أن الأسعد يصف الروميات ويتغزل بهن . أما محمد سليمان جواد (٣)

---

١ العقد المنضد لشبيب باشا الأسعد ص٢٠٩
٢ " " " ص٢١٢
٣ جاء فى الأعيان ج٤٥ ص١٨٦ عن الشاعر أنه " فاضل أديب وشاعر مجيد يتوقد ذكاء وفطنة نظم فأجاد ثم عاقه عن طلب العلم طلب المعاش ثم عرض له مرض فلقى منه حمامه وهو فى ريعان شبابه أصل جده من قرب الساحل ثم سكن قرية حولا من قرى جبل هونين فى جبل عامل "

فانه يتغزل بالعربيات اسمعه يقول ...

قد بالغ الخلخال فى متمها　　وانما نم عليهما الوشاح
ونازع القرط دما ليجهما　　فأخفت المعصم والقرط صاح
لهنا بطى الخسذرعن حيها　　سترومن نشر المبيرا ذتضاح

والقرط صائح أما الدماليج فهو صامت :

خرس الدماليج منهما　　ولسان القرط صاح
أيهما العاشق مهلا　　ان فى الصبر نجاح (١)

ويختلس النظرالى معشوقته ، غير أن الواشين يعكرون عليه صفو شرابه :

محضتك الام الصبابة كلها　　وسقتك وابلها الغديق وطلها
ليت النوى رميت بمعصم حادث　　ألوى على كف النوى فأشلها
كم تكرم الواشى يريد ضلالها　　وتهين ، ولسى قد تغفها ظلها

وبعد أن يشكو شاعرنا مر الهجر والحرمان ، يرسم لنا تلك الصورة الرائعة فيقول ...

لما أصبت من الفؤاد صميمه　　ونزعت حبته حللت محلها

أما الشيخ محمود مغنية (٢) فانه يمزج القديم بالجديد فى غزله أو أنه على الاقل يحاول ذلك فيشبه الفاتيات بالارآم . أما روائحهن الذكية وجمالهن الساحر ، فانه كالازاهير ...

حسبي براسة أراما وغزلانا　　سوانحا يرتعين الرند والبانا
النافرات من الحمران عن أنف　　والاخذات روابى السبراوطانا
قد رحن يجنين من نبت الانهم ما　　عن فائح المنبر الدارى أغنانا
فمالها وجنى الزهر تقطفه　　وهن أعطر أنفاسا وأردانا

١　الاعيان ج ٤٥ ص١٩٦
٢
٣　من مواليد ١٢٨٩ هـ وتوفى ١٣٣٤ هـ فى قضاء صور بلبنان الجنوبى

ويتأثر بصور القدماء فيقـــول ...

أن التي قتلتنا في لواحظهـــــا بلفها لو تشا أحيـــاء قتلانـــا (١)

وذلك مأخوذ من قول الشاعر القديم (ولعله "جرير" ...

ان العيون التي في طرفها حـــور قتلننـــا ثم لم يحيـــين قتلانـــا

أما الشيخ علي شرارة • فيقصد محبوبته ليلا فتصده خوف الرقباء ولعله ينظـــر في ذلك الى ما كان يفعله عمر بن أبي ربيعة • فيقـــول ...

وغيداء قد زرتها والرقيـــــب يميـــل الكرى طرفـــه مئطـــرف

فحييت اذ جئت قالـــــت ألا تراعي الوشاة ولمـــا تخـــف (٢)

والشيخ علي حسين عز الدين يتمنتر في غزله فيشبه نفسه بالأسد • ومع هذا فان حبيبته الضامرة الهيفاء قد رمته بسهمها وصرعته :

عجبا لظبي يشتكي ضعف الحشـــا ويصيد أفئدة الليـــوث الصيـــد (٣)

أما الشيخ عبد الكريم الزين • فانه يبيت مع عشيقته وهو هادئ مطمئن في الفلاة :

كم ليلة بتنا وترمقنـــــــــا عين الأقـــاح وأعـــين الشهـــب

والليل كالفرعين منســــــدل والنجم كالقرطين في وجـــــب

ثم انظر الى تلك الصورة الرائعة • فالحياء قد غلب على تلك المعشوقة فاحمرت وجنتاها وأصبحت كاللهب وليت شعري ما هو الحياء الذي يتبقى عند فتاة تبيت مـــع عشيقها ؟ ولعـــل ذلك كله من قبيل الخيال :

فأعجب لو جنته وقد ملكـــت ماء الحياة يموج فـــي لهـــب

يعطيك من يـــده أيا لهـــب ويصد عنك ببـــارد الشنـــب (٤)

ويتكلف السيد حسن محمود الأمين (١٢٩٩ ــ ١٣٦٨ هـ) كتم الصبابة حرصـــا على مكانته فتحترق الأنفاس في صدره :

---

١ الأعيان ج ٤٨ ص ١٩

٢ الأعيان ج ٤٦ ص ٢٣١ ــ ٢٣٦ والشيخ علي شرارة ولد عام ١٣٠٢ هـ وتوفى ١٣٧٥ هـ في بنت جبيل •

٣ الأعيان ج ٤٢ ص ٣٦٢ ولد الشيخ في دير قانون النهر عام ١٢٨١ هـ

٤ ولد الشيخ عبد الكريم في جبشيت عام ١٢٨٤ وتوفى ١٣٦٠ هـ ــ الأعيان ــ ٣٨ ص ٧٢ •

يكلفني كتم الصبابة منصبي ويطفي الهوى في مهجتي وأبوح
حكت شجني ورق الحمام فكلما تغني أغني أو تنوح أنوح (١)

وننتقل الى سرب آخر من أسراب الشعراء الى سرب الشباب • ونقف مع تحسين شرارة الذي يهيم في حب الحسان دون تمييز ، فليس له محبوبة واحدة بعينها يمنحها قلبه ويوقفه عليها ويكتفي بذلك انما قلبه لكل مليحة :

في أضلعي قلب يفيض جوى مضوع بالحب سكران
لا يستقيم على هوى فله في حب كل مليحة شأن
يهوى الجمال ويرتمي دنفا أني تراءت منه ألوان

ولعل الرغبة هي التي تحرك الشاعر • فلا شكوى ولا صبابة لديه :

في كل لحظ منه بارقة وبكل نهد منه نيران (٢)

وتلك النيران التي تصور النهود على أنها كالبراكين تنطلق منها الحمم فتقذفها على العشاق تقودنا الى شاعر آخر جدير بأن يلقب بشاعر النهد ، بالرغم مما يعرف عنه من تعفف وذلك الشاعر هو كامل سليمان • فكم فتنه النهد وكم أثاره واستفزه ؟ والشيء الغريب في افتتان الشاعر بالنهود وتسليطه الأضواء عليها هو ما نعرفه عن ذلك الشاعر من التدين والعفاف • وكان بودنا دراسته على أنه ظاهرة جديرة بالدراسة • الا أننا لسنا في موقف يسمح لنا بذلك الآن ••• ولولا أن المقام لا يسمح لكشفنا السر الذي فجر ذلك اللهب من قلب الشاعر وفتح تلك العبقرية لتتربع فوق حلمة النهد البارز وتجتر الامها وأحزانها • بل قل آمالها •• فما هو ياترى سر ذلك الهيام بالنهد ؟ • فلعله الحرمان والشوق الملتهب ولعله غير ذلك ولعله ، ولعله •••

فتفحص ديوان الشاعر " اشراق " نجد أن الشهوة تتأجج في جوانب صدره ثم يطفي لهيبها وقار طاغ وتدين أصيل وبين الأمرين أمور ونزعات شتى تجعله يتخبط في أتون عواطفه ويغالب أحاسيسه ويصارع شهواته ولا ندري من المنتصر في النهاية • الا أن الشاعر في جميع الأحوال ينفس عن كوامن نفسه بحرية تامة فيأتينا بصور جمالية رائعة أشبه ما تكون بطبق من المقبلات يضعه على مائدة العشاق ورواد الجمال وتلك الصور حرية بها

---

١ الأعيان ج ٣٢ ص ٤١٤
٢ العرفان ج ٥ م ٣٢ ص ٥١٥ / سنة ١٩٤٧ •

ريشة رسام بارع . ولعل العقل الباطن هو الذى يملى هذه الأحاسيس والمشاعر على شاعرنا ومن يدرى فلعل الشاعر كان سيخلق فنانـــا ؟.

وسنذكر الآن نماذج من ذلك الغزل لشاعرنا كامل سليمان من قصائد مختلفة .

وللشاعر غزل يحمى المذهب وفى شعره سهولة تفصح عن رغباته المكبوتة ....

انه باختصار متيم بالصـــدر . وللصدر مكانته لدينا جميعا وهو الذى جعلنا نشتق منه الصدارة والتصدر وما شابه ذلك مما يتهالك عليها الناس فى المجتمعات البشرية منذ القدم . ولننتقل الآن لنعيش مع الشاعر قليلا فى غزله .

يقول من قصيدة بعنوان "مراهقـــة" ...

قامت لتخلـع ثوبها الشفاف والآهات تـــترى
مرتاعــة مما تغير فى طبائعها .. وقـــــرا
وجبينها اللالاء ملتمع تسوى عنه ســـــترا
وعلى محياها تراءت بسمة المكدود ذعـــرا
قالت : بلغت.. تدفقا ثديى احساسا وشعرا(١)
وتناولت مرآتها وتأملت صدرا ممـــــرا
وكأنها من قبل لم تره فتاهت فيه كـــبرا(٢)

وللشاعر قصيدة أخرى عنوانها "عرفت كيف تنتقم . نقطف منها ومن سواها مـــا يختص بالصدر . يقول الشاعـــر ...

أبـــرزت غـــير مـــــرة ما توارى وما انكـــــتم
من نهود شـذيــــــة خلت حلمانهـــا العـــتم(٣)

وفى قصيدة بعنوان "أفاقت" يقـــول ...

قد كشحت دثارهـــــا عن صدرهـــا الوثـــير
وقد بدا مؤتلقـــــا ككوكـــب مــــن نـــور
وثديها قـــــارورة الأطيـــــاب والعطـــور(٤)

---

١ اشراق ص١١ وقوله : بلغت من بلوغ الفتاة سن المراهقة .
٢ اشراق ص١١
٣ " ص١٣
٤ " ص١٧

ومن قصيدة " لحظـــة " يقول ...

يا لها من غادة ناهـــــــدة　　تيمتنـــى جل من أبدعهـــــا

هَيَفا تمشى فينزو ثديهــــــا　　نزوة يهتز قلـــبى معهـــا (ص ٢٠)

ومن قصيدة " دنيا الهوى " يقـــول ...

فيها الصبايـا ناهـدات خـرد غيـد حســان

يوم النهود البارزات لها انخفاض وارتفــــاع (ص ٢٦)

وفى قصيدة " مستحمة " يقول ...

وعلى الصدر كومة لســـــت أدرى　　هى نهد شده أم رمانــــــة (ص ٢٩)

ومن قصيدة " مصادفة " يقول ...

جاءت الى رمانة فهفـــــت　　أثمارها وتضوع الرنـــــــد

أمسكت بالرمان أجذبــــه　　قصد القطاف وإذ بــه نهــد

حولته نحـــوى أداعبـــه　　مترسلا ما ساقنى العمــــد (ص ٤٢)

ويقول الشاعر فى قصيدة عنوانها " من عذيرى " ...

من عذيرى فى الهوى من العيون　　ومن السحر بها أو فى الجفــون

أو من النهد من حلمتـــــه　　فيها يستتر الســـر المصـــون (ص ٤٤)

وهذا هو الغزل فى شعر كامل سليمان . وكان بودنا الاكتفاء بهذا القدر من غزل التقليديين . لولا أن السيد حسن الأمين و هو القاضى النزيه والشاعر النبيه استوقفنا وهو الذى لم يتزوج . ولم يعرف عنه أنه بحث " عنها " فهو ناسك زاهد مستقيم .. لكن غزله الاتى يدعونا الى الدهشــة ...

عودى الى فصوت الحب يدعونـــا　　ونغمة الشعر والتيه تناديـنـــا

تهوى الرياض على شوق تواعدنـــا　　ويشتهى السفح والوادى تلاقينـــا

سنملأ الكون شعرا من صبابتنـــا　　ونترع الدهر عطرا من تناجينـــا

عودى الى فلم أبرح كما علمـــت　　هزى النجوم محبا فيك مفتونـــا

الفى الجمال على عينيك مزدهـــرا　　وفى جبينك استجلى التحاسينا (١)

ولعل ما فى هذه القصيدة (وهى طويلة) من تكلف وتصنع يجيبنا على تساؤلاتنا ثم ننتقل بعد ذلك الى صورة غزلية أخرى للشاعر وديع ذبب . يناشد فيها الفتاة ألا

---

١ العرفان - ١٠ م ٣٧ ص ١١٢/ ١١٣ سنة ١٩٥٠

تسرع بخطاها نحو العشرين . ففى هذا السن تختم قصة الحب . وما أجمـــل الحـــب :

أحب مجانى الحب جيد ومبسم — وأشهى معانيه الربيع المبرعم
فيا طفلة العشرين لا تعجلى الخطى — اليها ففيها قصة الحب تختم
فما بعدها وجد ولا بعدها رؤى — وما بعدها الا الأسى والتبرم (١)

أما المرأة العاملية فلم تجرؤ على البوح بحبها الا مؤخرا وهى بالتالى ما تغزلت بحبيبها وبقيت أسيرة العادات والتقاليد العربية ... وهى وان تجرأت على البوح .. بمكنونات فؤادها مؤخرا فانها قد سقطت ضحية لذلك البوح .

وهذه أميرة الحومانى ابنة الشاعر الكبير محمد على الحومانى تبوح بحبها ولكن بخفر وحياء ومع هذا حكم عليها المجتمع حكما لا يخلو من القسوة واسمعها تقول :

أما تدرى ؟ أما تدرى أمير أحبتى السمـــر
أما تدرى ؟ وقد وليت كم يقتات من عمـــرى
وجفن صبى جفنى شلالا من السحـــــر
وفى جنبي يا جنبي جمرا أيما جمـــــر

وهي لم تبح بسرها لو لم يكن الأمر متمكنا منها وقد بلغ غايته :

وداع هواي من صدر من زهر ومن شـــــو
وداع وداع انى بات منك الحكم فى أمـــرى
وتخذلنى ؟ خذلت هواي .. كيف أتيت بالعذر ؟

لقد براها الشوق وأضناها الوجد :

كأنى ما يرانى الشوق فى مد وفى جـــزر (٢)

وتدور القصيدة كلها فى هذا الاطار دون أن نعثر فيها على ما يشير مـــن قريب أو بعيد الى استثارة الحب فى صدرها ودون أن تشير الى ما يمكن أن يثير المرأة فى الرجل فمشاعرها تائهة . وتبقى المرأة تدور وتدور فى فلك العادات والتقاليد .

---

١ الأديب اللبنانية آذار ١٩٧٤ ص ١٥

٢ مجلة الأديب تشرين ١٩٧٤ عدد ١٠ ص ٣٥

ونبحث عن الغزل عند شاعرة عاملية أخرى هي سكنة العبد الله ٠ فنجده من نوع آخر وفيه من الجرأة ما يكفي لخروجها من سرب أخواتها العامليات ٠ تقـــول الشاعـــــرة ...

يراودني اليك الآن حلم الأمس والسفــــر
وحـــب واجـــم يلتــــاع بسين
اليــــــوم والحــــــذر
يراودني اليك الآن لحن جامـــح الوتــــر
ومحذور علــــى الحـــــب
محـــــذور على البــــــوح
لا أدرى ؟ (١)

وكأن الشاعرة تتراجع احساسا بالذنب ... أليس غزلا نسويا في مجتمع عربـــي ؟!

وكذلك للشاعرة مآساتها الخاصة وحكايتها الخاصة ومشاعرها الخاصة ... ٠

فهي قد انفصلت عن زوجها بالطلاق ... ولعلها تبكي حظها العاثر وتنوح ماضيهـــا وتتحدث بلسان مرتجف أحيانا عن قلب يحترق بالنار ولسان كالنار ... وكنا نؤثر عـــدم الخوض في حياتها الخاصة لولا أن خصوصيات الشاعر ليست ملكا له ٠ اسمعها تقول من قصيدة "الحلم الرمـــادي" :

ما أترفت في رياض العمر غنـــــاء
ولا استحمت بوادي الطيب أفيـــاء
ولا استجمت عيوني في سنـــا حلـم
لي فيه فوق الرؤى
نجـــوى واســـراء
ولا استطاب فؤادي بوح أغنيـــــة
نشـــوى
بها من هوانا البكـــر أبنـــــاء
الا تضورت كالأفعى على مضـــض
ونازعتني أمـــــان
فيك خرســـــاء

---

١ نهاية الصدى للشاعرة صادر عن دار الكتاب اللبناني جـ ١ ص ٣٠

ثم ، لا نلبث أن نرى الشاعرة تنفجر بعد قليل ، فتقول :

ليت الربـــى ،
ما سقاها الغيث في زمـــن
وليتها قفـــرة
صحراء جــرداء
يستيقظ الفجــر
لا زهر ولا عبـــق
ولا حفيف ولا ظـــل ولا مـــاء
ولا أناس لهـــا في الحب أغنيـــة
صوفيـــــــة
من أغاني الهند عـــــذراء

ثم ، ما هذا الندم الشديد الذي يجول في ضمير الشاعـــرة ؟

قد كنت يوم اصطفاك القلب قاصرة
غريـــــرة
أوقعتني فيك أسمـــــاء
طلاسم من ذوات السحر كنفـــني
من نفثها القادر الجبار ايحـــاء
غصن رطيب كثيف الظل طوقـــني
ومقلــــة
غضــة الأهـــداب نجـــلاء
ومبسم من شقيق الروض مخملـــه
ومن أقاح الندى
سحر واغـــراء
وطلعــــــة
جدول في الريف تغمـــــره
لشوائية من غواني الحور سمـــراء (١)

---

١ نهاية الصدى ص ٤٢

وعلى الرغم من الركة الواضحة فى هذا الشعر المهلهل . رأينا أنفسنا نورد منه ما يزيد عن الحاجة ... ومهما يكن فليس القصد هنا تحليليا نقديا بقدر ما هو مقصود منه المعنى .

وللشاعرة أكثر من صرخة تائهة فى عالم الحب الضائع والأمل اليائس ان صح هذا التعبير .

أما زهرة الحر . فانها من الجيل الماضى محافظة فى كل شيء وظروفها الاجتماعية تختلف عن ظروف سابقتها سكنة . فهى ربة بيت مستقرة فى بيتها وحبها وعملها أيضا . اذ هى "قابلة" ولذلك فنحن نراها فى شعرها رتيبة الخطوات والنغم ، عربية الأفكار ، عربية الديباجة .. انها ككل أنثى تحب . ولكن حبها خافت لانسمع له صراخ الأنثى ولا نشتم منه الجنس . فالجنس فيه دفين بين ثنايا الحياء النسوى العائلى . فالسيدة زهرة محافظة كما قلنا . وان كان الشعر أحيانا يشق حجب الحياء ويخرج سافرا . الا أن شاعرتنا تعالج الموقف برفق وتؤدة . اسمعها وهى تعبر عن مشاعرها بعد تلقيها رسالة من عشيقها ولعله خطيبها ...

وهفا فمى شوقا الى تقبيلها ... فأبى الاباء وحال دون مناه
أأصده ولقد تفجر فى دمى ... بركان حب ما عرفت مداه(1)

ثم اسمعها وهى تعبر عن غيرتها الصارخة مخاطبة من تظن أنها تنافسها على حبيبها ...

انى رأيتك فى عيون حبيبى ... تتألقين كزهرة التوليب
وقرأت اسمك خط فوق شفاهه ... بحروف نار فى مداد طبوب

ولكن ماذا يكون موقف الشاعر من ضرتها ؟

ان لم تكونى فى عيون معذبى ... لسكبت فى عينيك كل وجيبى

ثم تدفعها الحيرة المرة لأن تقول ..

ماذا أرانى كنت أفعل يا ترى ... لو لم تكونى فى عيون حبيبى(2)

ثم نرى الشاعرة فى قصيدة أخرى وهى تريد التمتع بالهوى قبل المغيب :

---

1 قصائد منسية للشاعرة ص٣٨ ط ١ ١٩٧٠
2 " " ص ٤١

قم بنا نلهو على تلك الربى — فالهوى أحلى أماني الصبا
يا حبيبي قبل أن يلهو بنا — قدر ما خلت منه مهربا

فلا غنى لها عن حبيبها :

نحن حب وعطاء ومنى — يا حبيبي ليس لي عنك غنى

ثم تقول ثانية :

قم نغرد مثل هذا العندليب — تحت نور الشمس في الحقل القريب
ونغني بعض ألحان الهوى — قبل أن تأتي دياجير المغيب (١)

وفي قصيدة أخرى يتحدى فيها الفنا :

أغني وأحبائي وما حولنا — لكن حبي يتحدى الفنا (٢)

وتتلاحق الصور الغزلية في الشعر العاملي متباينة من حيث الشكل والمضمون وهدفها المرأة والجنس . وهذا دأب الغزل . والمرأة كالماء تأخذ شكل القالب فيتلون الغزل بلون القالب فهذا يغلفه الحياء وذاك يسفر بلا غطاء وذلك متوسط بين الحالين والشعراء العامليون كسائر الشعراء يختلفون في مآكلهم ومشاربهم ونزعاتهم الداخلية وهم في ذلك يخضعون لسنة الحياة ويسايرون ركب الحضارة وهذا ما نلاحظه عليهم جميعا . فشعراء الرعيل الأول وبالتحديد شعراء ما قبل الخمسينيات ، أي شعراء النصف الأول من القرن العشرين يختلفون عن شعراء النصف الثاني منه . وتبعا لذلك يوجد غزل حسي صارخ مكشوف وغزل رقيق عفيف . والأول يحاكي غزل عمر بن أبي ربيعة سابقا ونزار قباني لاحقا كما لاحظنا في غزل كامل سليمان . والآخر يحاكي القدماء المحافظين كما لاحظنا في غزل زهرة الحر ... وغزل مرتجف خائف تائه كغزل سكنة العبد لله وأميو الحوماني .

وقبل أن ننهي حديثنا عن الغزل . لا بد من ايراد بعض النماذج للشعراء الشباب . فهذا ياسر بدر الدين يتحدث عن الحب ومعاناة الحبيب بلغة شباب اليوم — كما يقولون — ويتحدث عن النشوة أو الأثر الذي يتركه الحب في نفس المحب دون الخوض في النتائج . فهو يتحدث عن المعاناة لا عن الجنس . وان كان قلبه يعتمر بحب الأنثى . اسمعه يقول في قصيدة " جبل الأحزان " ...

---

١ ص ٤١

٢ ص ٥٢

ناداني الحـــب

فارتعشت في جسدي الروح

وتململ خفق مذبوح

في قعر القلـــب

وغمام الذكرى أمطر أحزانـا

قذفتني سيلا حطبا أحجارا

في وادي الرعـــب

وخلال هدير السيل

انساب صراخ الخفقـــات

لم تبرأ بعد جراحاتـــي

لم ينشف حبر المأســــاة

لكني يا آسرة .. يا قادر

سأظـــل أحـــب

وسأعشـــق آلاف المسرات

وأعقل الآف المســــرات

وأبحث في بحر اللهفـــات

فـــي زورق حـــب

ما أحلى أن أحيا للحـــب

ما أروع أن أفنى في الحـــب (1)

انه جديد في الغزل هو حديث روحي عن الحب يختلف عما ألفناه . الا أنه من لون الغزل . كان القدماء من العامليين وغيرهم في حديثهم عن المرأة يتحدثون عـــن الخلخال والدملج والخصر والعنق والخد والقوام . ولكنهم اليوم يتحدثون عن الشال وعقد الماس والسوار والعيون الزرق وخفة الدم والعذاب في الحب والخصومة فيه أو الفرق فيه وهذا الغالب .

أما وديع ذيب . فهو شاعر يرى العمر لحظة . وما علينا الا أن نغتنم تلـــك اللحظة في اشباع شهوتنا من الحب والشراب . ويرى الحياة رحلة ألم .

---

1 كتابة على حاشية الجرح ص ٤٥ ط ٣ ١٩٧٣ بيروت

حبيبتي ما الحب الا روى — فلهو بها فى يومنا العابـــــر (١)

ثم ، يخاطب راقصة ، فيقول ...

فاشرب وغرد ما استطعت فانما — شر الشباب فتى أضيع شبابـــه

ما العمر الا العيش فى كنف الهوى — وسوى هواك من الوجود سرابـــه (٢)

ثم ننتقل الى شاعر آخر هو الياس لحود .. الذى يلبس غزله ثوبا آخر ، وهو ثوب الثورة ، فلا تكاد تعرف أغزلا هذا أم شعرا سياسيا فيلفه بالغموض والرمـــز ؛ فالحبيبة قد تكون البندقية ، وقد تكون الوطن ، وقد تكون الثورة ، وقد تكون كل شيئ الا المرأة ، ولكنها فى ظاهر الأمر محسوبة على المرأة عند بسطاء القراء ... ومـــن يدرى ؟ لعلها هـــى .

ومن يتصفح ديوان الشاعر الموسوم " على دروب الخريف " يلمس هذا الواقـــع ويدرك ذلك الضياع وعلى الأخص فى قصيدة " أطياف فولا " ص ٩٦ ، " حيـــث تسكنين " ص ٨٥ . والحب فى عصرنا مباح كما هو معروف وأكثر من مباح . وقـــد تتجاوز الاباحة الى ما لا يجوز ، وعلى هذا يختلف الغزل الآن . فالشاعر ينتقل من زهرة الى زهرة ... وغزله اذن ذكريات وشوق وحنين . استمع الى عبد الكريم شمس الدين فى قصيدته " لينـــا " حيث يقول ...

وماذا بعـــد يا لينـــا — ترى فنيـــت أمـــانينـــــا

وعهد الحب أين غـــدا — وأين غدت ليالينـــــــــا

ثم نرى الشاعر وقد رشف من فم " لينا " خمر القبلات ، يقول ...

ففاتن ثغرك الـــوردى — خمر من خوابينـــــــــا

فمن عساها تكون " لينا " تلك . الا يحتمل أن تكون قرية الشاعر أو وطنه ؟ ثم انظر معى الى ختام قصيدته فلعل فى ذلك مصداقا لما نقول أو توكيـــدا لـــــه :

ويا قسما من الأمجـــاد — لا ينســـاك واديـنــــــا

ويا ترنيمة عـــــذراء — فى مزمـــار راعينـــــــا (٣)

---

١ قلب يغنى ص ٣٨

٢ " " ص ٥٦

٣ مواسم ص ١٠٤ مطبعة حايك وكمال بيروت ١٩٦٥

هل بقي شك في أن المقصود هنا من المحبوبة شيئ آخر غير الوطن المصلوب ...؟

وهكذا أصبح الغزل يميل الى اتجاه آخر وكان الشعراء العامليين قد سئموا من الحديث عن مفاتن المرأة ومحاسنها والتعبير عن حبهم لها فجنحوا الى حب بلادهم التي شغلتهم بما أصابها على يد المستعمرين والعملاء عن كل شيئ آخر ... ولعل ذلك عائدا الى أن الطبيعة والظروف الاجتماعية التي كانت تملي الغزل على الشعراء كالحرمان وفراق الحبيب وعناده وصعوبة الوصول اليه ... قد انقضت وحل محلها الاختلاط والسفور والتحلل الذي قضى على الحرمان . وأصبح للحب نكهة أخرى غير تلك التي كان يشوبها القدماء ... وهذا هو الذي جعل الغزل المعاصر تافهاً لا قيمة له لأنه لا يمس غير الجسد ولا يلامس الروح ... وكان بودنا أن نحلل الأمور ونعيده الى أسبابه وعوامله الحقيقية . غير أننا لسنا بصدد كتابة دراسة اجتماعية أو بحث في علم النفس .

ويبقى الحوماني يغرد في سرب القدماء بالرغم من تحرره وتجديده في المعاني والأساليب ... فهو يصف المرأة من الخارج .. مظهرها ، أناقتها ، طولها ، شعرها خدودها ، قدها .

أجمل بها حاسرة خمارها ... زفت اليك سحرا عقارها

مرسلة وراءها ذوائبها ... كيما تعفي ان مشت آثارها

ذوائب لو قابلت شمس الضحى ... بها لغشى ليلها نهارها

الكشح والمعصم هذا مخطف ... منها وهذا قائم سوارها

...... (1)

وللشاعر غزل عمري وآخر غير معقول وهذا ما يؤكد أن الشاعر لم يكن ليشغل نفسه بالمرأة عن مطامحه الكبار .

ونجد شعراء عامليين غزليين آخرين كثيرين ... فما من شاعر عاملي الا وقد أطال باعه في الغزل كالشيخ محمد علي نعمة (٢) وعبد الحسين عبد الله وموسى الزين شرارة ومحسن الأمين وسليمان ظاهر وعلي مهدي شمس الدين وغيرهم ..

وفي ختام رحلتنا مع الغزل العاملي ، نقول باختصار: الشعراء العامليون ... يتفاوتون في الجودة والرداءة ويسيرون مع الزمن ويغردون في اسراب الشعراء فيسفرون

---

١ ديوان الحوماني ص ١٣٩

٢ (١٢٩٩ ـ ١٣٨١ هـ)

معهم عن مشاعرهم ويكبتون كذلك معهم ... غير أن الذى يميزهم عن غيرهم هو كونهم انشغلوا فيما بعد الخمسينيات عن الغزل بالشعر الوطنى والسياسة وخلطوا بين الأمرين فصار غزلهم مشوبا بالوطنيات وهذا هو الشيء الوحيد تقريبا الذى يتميز به الشعر العاملى عن سواه . فقد أصبحت الحبيبة بندقية والمعشوق وطنا والأرض هى التى تشغل بال الشاعر ... كما أشرنا سابقا والشعراء الذين صنعوا هذا هم اليا س لحود ومحمد على شمس الدين وحسن عبد الله حبيب صادق وخليل أحمد خليل ، ولكننا نجد بكاء على الأطلال وليست هذه الأطلال أو الرسوم من آثار الحبيب ولكنها أطلال الوطن الذى أخذت تسرح فى سهوله ووهادة وقممه ذئاب البشر ...

٥ المرأة فى الشعر العاملـــــى ٥

ونبقى مع المرأة . فنصحبها فى رحلة أخرى وهى هنا ليست تلك التى يتهافت عليها الرجل متوددا مترددا لنعومتها وجمالها وخفتها ورشاقتها فيجعلها هدفـــا لنباله ومرمى لسهامه ... ولكننا هنا مع المرأة فى وجهها الآخر . معها كأم وأخت وابنة وربة بيت أو سيدة مجتمع لها شأنها فى تكوين الأسرة وبناء المجتمع وتنشئـــــة الأجيال معها فى دورها الاجتماعى ، وموقف الرجل والمجتمع منها .

اننا هنا معها فى رحلة الشقاء لتخلفها ... مع رحلة الصراع الذى تخوضـــه من أجل التحرر والانطلاق للتخلص من رواسب الماضى وآثاره . فما هو شأنها وما هـــو دورها فى مجتمعنا العامـــــلى؟ ؟ . وكيف نظر لها الشعراء من هذه الزاويـــــة ؟ وماذا صنعوا من أجلها بعيدا عن النزوات والشهوات ؟ .

لا شك أن المرأة كانت تتصدر قائمة المشكلات الاجتماعية فى جبل عامل منـــذ مطلع القرن الحالى . وهى فى ذلك ليست الوحيدة فى الشرق العربى ولكنها كانـــت تعانى نفس ما تعانى منه المرأة الشرقية عموما .

والحقيقة أن القرن العشرين قد أطل على البشرية لتشهد فيه مرحلة خطـــيرة بالنسبة للانسان ... فالقرون التى سبقته كانت مليئة بالتخلف والجهل والمرض .. غير أن هذا القرن يبدو وكأنه قد أخذ على عاتقه تبعة نفض غبار الماضى والانتقال بالانسان الى ما هو أفضل ... وفيه احتدم الصراع بين الماضى والحاضر .. وقد اتسم ذلـــك الصراع بادىء الأمر بالصلابة والتطرف والخطورة ... وكأنه صراع بين رجلين كل منهما يريد الحياة والبقاء والتشبث بأسباب ذلك مهما كانت النتائج . فلا الماضى يعتـــدل ولا الحاضر يعتدل . ورفض كل منهما ما عند الآخر . مما أدى الى الخروج عـــن المألوف من العادات والتقاليد والأعراف بل والدين والقيم أحيانا .

أطل القرن العشرون على جبل عامل وهو مشحون بالأحداث ومحمل بالأثقـــال والمخلفات .. حكم تركى هرم وحرب ضروس وصراع رهيب من أجل البقاء بين القوميات ، والأقليات والشعوب والحكام ... فالجيل ممدود وطرفاه مشدودان تتجاذبهما الأيدى ، والمتناقضات تملأ الساحة والأمراض مستعصية والاساة قلائل . فمن أين نبدأ وعلـــى أى الأســـس ؟ .

كل هذه الاسئلة وغيرها لم تجد الجواب الكافى • فالأجوبة مختلفة والمشكلة واحدة ••• وفى هذا الخضم المتلاطم برزت المرأة كمشكلة اجتماعية خطيرة • فهنا ك من يريد النهوض بها مسرعا وهناك من يريد التأنى ••• غير أن التأنى وتحت تأثير ضربات الأول سرعان ما ينجرف بتيار التطرف الذى يتسمها لجمود والتزمت !

والمرأة عموما • اما أن تكون متحررة تحررا كليا • وهذا بحد ذاته مشكلة قد تدفع بالمجتمع كله الى الهاوية حيث التحلل والفسق والانهيار الخلقى وهجر العفة والشرف واما أن تكون متزمتة جاهلة أشبه ما تكون بالآلة الصماء يسيرها الرجل أو بقطعة أثرية أو متاع من أمتعة البيت لها دورها المحدود • وفى ذلك ما فيه من الخطر على تربية النشئ وتوجيهه • فأين كان موقع المرأة العاملية من هذا كله ؟ •

لا شك أن المرأة العاملية كانت تقف وراء الحجاب كالمرأة العربية وترزح تحت نير التخلف والجهل • وهى على هذا الأساس من الضرب الثانى •

ومرة أخرى يطرح السؤال • وكيف وعلى أى أساس نبدأ فى تحريك المرأة ما دمنا متفقين على أن فى المرأة ما فيها من الجاذبية الحضارية سلفا وايجابا ولها مكانتها الخطيرة فى المجتمع ؟ •

كان المصلحون كثرا والمتزمتون كثرا والوسطيون كذلك كثر • وكل يشد الحبل ناحيته • وهذا يؤكد احتدام الصراع ••• أما المرأة فهى سائرة وكأنها لا تكترث بما يجرى حولها لأنها سوف تقع تحت تأثيرات العصر ومغرياته وكأن أحدا لا يؤثر بها •

وكان من الشعراء طبقة لا تنظر الى المرأة الا النظرة التقليدية ••• تشبيب بها ووصف لمفاتنها واغراق فى حبها • وهم لا يختلفون فى ذلك عن شعراء العصور الخوالى ومن هؤلاء شبيب باشا الأسعد وعبد الحسين صادق وكامل شعيب العاملى ومحمد سليمان جواد ••• وهؤلاء هم التقليديون بكل ما فى هذه الكلمة من معنى •• أما الاصلاحيون فمنهم زينب فواز وزينب الأسعد وفاطمة الأسعد وزهرة الحر وسكنة العبد الله وسلوى الحومانى وشقيقتها أميو الحومانى • وغيرهم من النساء ومحسن الأمين وسليمان ظاهر وأحمد رضا والحومانى وموسى الزين شرارة وعبد الحسين شرف الدين وغيرهم من الرجال •• أما فى النصف الثانى من القرن العشرين فالصورة تختلف وللشعراء الشباب موقف آخر • فقد استقر الوضع الاجتماعى ليس فى جبل عامل فقط بل فى العالم كله وأخذ كل يغزل على منواله وانطلقت المرأة توجه نفسها

دون الخضوع لاهواف أحد • ولا شك أن بداية الصراع الآتى فى دوامة التاريخ ما زال الآن فى بدايته مع السبعينيات • وسيبرز هذا الصراع مسلمات جديدة وقوانين وأعراف اجتماعية أخرى ما زلنا فى انتظارها لا تمنيهـــا •

وبالنسبة للمرأة العاملية • ماذا كان موقف الاصلاحيين من الشعراء منها ؟

فالشاعرات لهن موقف والشعراء لهم موقف والمرأة تحمل قضيتها بنفسها ولذلك أهميته فزينب فواز الشاعرة الأديبة المعروفة كانت تقف الى جانب الحجاب فى الوقت الذى تدعو فيه الى تحرير المرأة وتعليمها ••• تحريرها من قيود الجهل المركب وتعليمها حتى تتمكن من تربية الأبناء وفهم الحياة على حقيقتها • وبرغم أن شاعرتنا قد عاشت فـــى مصر وعاصرت الدعوات المتطرفة الى تحرير المرأة • الا أنها بقيت محافظة ومعتدلـة • فقد سألتها رئيسة القسم النسائى لمعرض شيكاغو عن عدم حضورها اليهم فشرحت لهـا رأيها فى تحريم الدين مخالطة الرجال متبنية فى ذلك رأى الفقهاء " لأن " الشروح المختصة بأمر الحجاب كثيرة والعادات جمة • فقد اكتفيت منها بهذا القليل أيتهـا العزيزة الفاضلة "[1] ولم أعثر لها على شعر تدعو فيه لكل هذا ويظهر أنها اكتفـت فى ذلك بالنثر ومن شعرها فى دعوة " رجال الشرق " الى اليقظة العامة الذى تأسف فيه على فشل الأبناء :

يا حسرتا الآباء فى أجداثهـــم   ان أخجلتم خيبة الأبناء[2]

ويمر الزمن ، وتبقى المرأة العاملية أسيرة دينها وعفافها وعاداتها وتقاليدها •• وما أن تطل علينا الخمسينيات وتحاول المرأة العاملية التفلت من الحجاب حتى نسمع صرخة عالية تبعثها امرأة عاملية مثقفة شاعرة من على صفحات " العرفان " فتنشر لهـــا قصيدة عنوانهـــا •••

" ان الحجاب لعمرى تـاج مفرقنـا "

ثم تخاطب الفتاة العربية بقولهـــا •••

يا بنت يعرب مدى الطرف ناظرة   أنحاء بيتك لا أنحاء ذى سلم

ثم تصر الشاعرة على أن البيت فقط للمرأة • فلا الوظيفة ولا الزعامة مـــن شأنهـــا :

---

١ مكى ص ١٨٧ نقلا عن الرسائل الزينبية ص ٧٤

٢ العرفان م ١ ج ٦ جمادى الآخرة ١٣٢٧ هـ ١٩ حزيران ١٩٠٩ ص ٢٨١ـ٢٨٢

بش المناية في تربيته ودهس ذكر الوهامة والتوظيف واحتشمس

ثم تحثها على الاهتمام بتربية صغارها والاهتمام بزوجها ولا بأس على المرأة العاملة من مضاهاة المرأة الغربية بالعلم والمعرفة •

ان شئت ضاهي نساء الغرب معرفة بالعلم نسمو الى العليا فاقتحمي

نحن النساء نساء العرب شيمتنا صون التعفف والاخلاق والشيم

ان الحجاب لعمري تاج مفرقنا وهو السبيل لنا في هامة النجم (١)

ونبقى مع المرأة العاملية المثقفة الشاعرة لنتعرف على نظرتها الى نفسها والى أختها فنستطلع رأى الشاعرة زهرة الحر في قصائدها فاذا بها — وقد سفرت — لا تهتم بالحجاب ولا بتعلم المرأة وتتجاوزها • ولعل ذلك عائد لكونها لم تعان من ذلك شيئا الا أنها — وقد تزوجت — تتحرك الغيرة في صدرها والأنانية في رأسها فتسلط كل سهامها على من يحاول تكدير عيشها من النسوة فهي تريد زوجها لها وحدها وتكره أن تنافسها عليه امرأة أخرى • وهي تحب زوجها • ولذلك تكره الطلاق ومن هنا جاءت قصائدها معبرة عن تلك الغريزة النسوية • فهي تتحدث عن تعدد الزوجات والطلاق • ونرى في عدد من قصائدها أشعارا يشير الى ذلك دون أن نكون بحاجة لقراءة المضمون • فلها قصيدة بعنوان "الى مزاحمة" في ديوانها "قصائد منسية" ص ٣٩ وأخرى بعنوان "الزوجة الاخرى" ص ٩٢ • وأخرى بعنوان "مذكرات مطلقة" ص ١٠٠ • وكأن الشاعرة تنطلق من ذاتها وأنانيتها فهي تحافظ على زوجها وتغار عليه • بل وتضن به • ولعلها تخاف على نفسها منه ومن نزواته فربما حدثته نفسه (والنفس أمارة بالسوء) بالزواج ثانية أو طلاق الاولى وهي لذلك تتصور هذه الهموم وتتحدث عنها على أنها مصلحة اجتماعية فتقول عن الزوجة الاخرى :

هذا الظلام يلف نفسي بالهوان المفزع

وأظل جامدة أمام الباب أمسح أدمعي

حيرى تفيض العبرة العمياء ويحك مضجعي

وأطل من بعض الثقوب عليكما في المخدع

فأراك في أحضان زوجي يا غريمة موضعي

---

(١) العرفان م ٤٢ ج ٤ ص ٤٥٦ شباط سنة ١٩٥٥

ووسادتي وطنافسي طرزتها بأصابعـــــــي
وأحس عطرك جمرة تكوى حنايا أضلعـــــــي
ورنين قبلته العميقة كالرصاص بمسمعـــــــي
فأتيه في ليل من الحقد الشديد ولا أعـــي

وان أبغض الحلال عند الله الطلاق ... والطلاق أجراء وقائي أخير لا يلجأ اليه المسلم الا في الضرورة القصوى . ولم يكن العامليون عموما ليتنظروا هذه الضرورة بل كان الطلاق يقع مزاجيا وعبثا عند البعض وفي " ذكريات مطلقة " للشاعرة نفسها تقول بأنه تزوجهـا على فقر مشترك وعاشا بسعادة غامرة الا أنه عندما أصبح غنيا تـاه بنفسه عليها ثم طلقها ليتزوج امرأة أخرى بعدما أنجب منها أولادا فالمطلقة تقول عن زواجهـا الفاشـــــل العاثـــــر :

وتزوجنـا وعشنـا في آمـان وصفـــاء
لم يعكر عشنا الهادئ هم أو عنـــاء
ورزقنا أبنة كالبدر حسنا ورواء ..
وبنينا تملاء البيت حياة وهنـــــاء

والبيت الذي أسسته الأولى استملكته الثانية وعلى هذا فزواجه الثاني غدر وخيانة ..

عندما أصبحت حقا في مصاف الأغنياء
لم يعد للزوجة المثلى جمال وبهـاء

وبعد ذلك تصف حالها وحال أولادها وما يعانونه من جراء الطلاق من تشـــرد وهوان ... وتذكر أنها بعد كل ما بذلته أمام زوجها ..

واذا المأذون يأتيني بأوراق الطـلاق (1)

على كل حال سوف يبقى الطلاق مشكلة اجتماعية يقع بلاؤها الأكبر على المرأة والشاعرة هنا تدافع عن بنات جنسها اللائي يعانين من هذه المشكلات في جميع المجتمعات العربية .

هذا ما أدلت به امرأة شاعرة من آراء حول بنات جنسها ولكن ما رأي الشعراء الرجال ؟ وكيف ينظرون الى هذه المشكلات وماذا يلفت انتباههم من مشاكل المرأة ؟ .

لنا لقاء قصير مع الشاعر الشيخ حسن حوماني لنرى أنه يدعو الى تعليم المرأة بشكل عام دون أن يحدد المرأة العاملية .

---

1 قصائد منسية ص ٩٢

ويقـــــول ..

فحتام يا حرة المشـــرق سوى الجهل بودك لم يعلـــق

كأنك للعلم لم تخلقـــى ولم تدر ما النسوة العالمــات (١)

أما الحومانى الكبير فيدعو الى تعليمها الفنون الرفيعة لا الرقص على خشبات المســـارح :

علموها الفنون فنا ففنـــا هى أولى بالعلم منكم ومـــنى

لا اختيالا فى مسرح اللهو تخطو وبكفى خليلها تتثـــــــنى

ثم يقـــــول ..

انما الأمهات دار فنـــون بين أفنائها بنـــات وابنـــا

ثم يتحدث الحومانى بعد ذلك عن تعدد الزوجات والطلاق ثم يقحم الشـــرع فى ذلك فيحكمه فى الأمر ويرى أن التعدد مأساة فى حد ذاته :

شقيت وواحدة زوجـــتى فكيف اذا كنت ذا زوجتـــين

ولم أك لو كنت ذا أربـــع لأسعد أو أملك الوافديـــن (١)

ثم يقـــــول ..

نروم تعدد أزواجنـــــا ونفضى عن القصد فى المعشر

وان كثر النسل حل البلاء بنا أو نفىء الى المهجـــــر

ويفضل كثرة النسل المترتب عن التعدد وبشرط العدل :

اذا أنت صوبت تعدادها أصبت اذا أنت لم تظلـــم

ويا حبذا النسل أن ترتقى فتاك والا ففى الميقـــــم (٣)

أما عبد الرؤوف الأمين الملقب بفتى الجبل ، فانه يدعو الى تثقيف المـــرأة والمساواة بينها وبين الرجل فيقول ..

ما ارتقت أمة من النــاس الا يوم ساوت بين الفتى والفتــاة

ان للأم فى الحياة مقامـــا فهى سر الرقي فى ذى الحياة

هذبوا الأمهات كى يرتقى النشئ ففضل الأبنـــــاء للأمهات

ثم نراده بعد قليل يدعـــو الى خلع الحجاب ثائرا على الذين منعوها من التعليم غاضبا صارخـــا :

يا ابنة الشرق لا تنى عن طلاب العلم فالعلم عم كل الجهـــات

---

١ = مقدمة ديوان محمد على الحومانى ص هـ (٢) الديوان ص ٧٣

٣ ـ الساشرو المسوس ص ١٢٩

أبصر النور المضئ سناه   حيث يمحو غياهب الظلمات
تركبين الظلال بحرا خضما   ان هذا من أعظم السيئات ؟
منعوا المسلمات عن طلب العلم   وقدما أبيح للمسلمات
فبولادة وبنت طريف   ونساء النبى والمسلمات
حجة تقحم المعارض زورا   وتصيب الجمود والجامدات (١)

....

٥ السفور ٥

....

ويبدو أن المرأة العاملية قد تمادت فى تحررها شأنها فى ذلك شأن المرأة عموما فظهرت عيوب لم تكن ظاهرة فى الماضى • وعمت موجة من الفجور والانحلال • مما دعا بعض الشعراء والمصلحين الى التردد والتغيير من آرائهم ••• تخوفا وحرصا على سمعة المرأة العربية وعلى رأس هؤلاء الحومانى الذى رفع عقيرته عاليا مستصرخا هاتفا بأعلى صوته مستنكرا ظهور المرأة بمظهر الرجل والعكس :

اذا مسخت بالفنون الاناث   ذكورا وأنت من ذكرا
فجنب بناتك دار الفنون   واختر لها البلد المقفرا

ثم يستنكر تهتك الفتيات وابتذال أنفسهن فى المراقص :

فتاتك خفت الى خفها   لتشهد مرقص أترابها
فهلا خففت الى زجرها   وخففت من نجز آرابها

وظاهرة أخرى جديرة بالملاحظة هى تبرج المرأة أمام الأجانب فى حين أن الشرع يطلب منها التزين لزوجها فقط وتلك الظاهرة غريبة على المجتمع العاملى ••• وقد عالجها الحومانى بقوله ••

ألا لا أرى أثرا للجمال   على زوجتى وهى فى جانبى
فان طرقت باب أترابها   قرأت الجمال على الحاجب

• • • • • • • •

أقاذورة هى فى بيتها   وحوراء فى بيت أترابها
اذن فحياتى بعد الزواج   حياة بمثت لأشقى بها (٢)

---

١ مكى ص ٢٥ / العرفان م ١٣ ص ٦٧٨
٢ نقد السائر والمسوس ص ٦٨

وتبقى المرأة العضو الحساس في المجتمعات الشرقية وهي كالزجاج سريعة العطب سرعان ما تسقط لأدنى انحراف وتتحطم وقد تكون مظلومة الا أنها في الغالب تتجاوز الأعراف والقيم والأصول الاجتماعية المتبعة ٠٠٠ فللمرأة حقوق وعليها واجبات وباستطاعتها الجمع بين هذين فوظيفتها خطيرة في البيت ولها أهميتها وأبعادها ولا يمكن للسيدة التي تقوم بواجباتها البيتية كاملة أن تشعر بالفراغ فهي التي تربي النشئ وهي التي تحسن في ذلك أو تسيء ويظهر انعكاس ذلك في المجتمع ٠٠٠٠ أما أولئك الذين يبالغون في المطالبة باعطاء المرأة حقوقها فهم واهمون ٠ وأي حقوق تلك ، ثم ألا نرى أن الظلم الذي لحق بالمرأة لم يكن الا بسبب الظلم الذي لحق بالرجل ؟ فالظلم قد عم الجميع ٠ واذا كنا نطالب بتعليم المرأة و نصر على ذلك فليس هذا من حقها فحسب و انما هو في الواقع من حق المجتمع عامة ٠٠٠ واذا كانت المرأة قد تأخرت عن الرجل في الماضي فان ذلك يعود الى الموازين الخاطئة التي كانت تسود المجتمع ٠ فالمرأة تتزوج مبكرا وكذلك الرجل وكانا لذلك يتحملان تبعة مشتركة قبل الأوان فيتخبطان ويلهثان طويلا ويسقطان أخيرا حيث يسقط معهما المجتمع ٠ واذا كانت المرأة جاهلة فالرجل كان كذلك جاهلا ٠ والحق أن نطالب بانصاف المجتمع وتعميم العدالة الاجتماعية وتوفير أسباب السعادة والرخاء للجميع والمرأة جزء من هذا المجتمع واذا ارتقت ارتقى معها المجتمع ولا يمكن أن ترتقي المرأة في مجتمع جاهل متخلف ٠ وكذلك لا ترتقي المرأة الا عندما تكون في ظل رجل متفهم واع ٠ والا فكيف يكون الرقي من طرف واحد والرجل والمرأة طرفان لخيط اجتماعي واحد ؟ ٠

ومن هنا نجد أغلب الدعوات والصيحات التي كنا وما زلنا نسمعها وهي تطالب باعطاء المرأة حقها جاءت خاطئة وكذلك كانت نتائجها خاطئة لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار البنية الاجتماعية المتكاملة للمجتمع وانما أخذته من زاوية واحدة وهذا هو عين النقص ٠

وعلى هذا بقي الكثيرون ينظرون الى اعطاء المرأة حقوقها وحريتها يتمثل في سفورها وتفلتها وانحدارها الى مهاوي الرذيلة والفساد واقتلاعها عن المثل والقيم والعادات والتقاليد واباحة الجنس أمامها ظنا منهم أن الرجل يتمتع بالحرية الجنسية وهذا خطأ كبير ٠٠٠ فدعا هؤلاء الى خروج المرأة وسفورها رافضين الوسطية ٠٠٠

ناسين أو متناسين ما أصاب المجتمعات الغربية من تحلل وفساد ودمار عندما تركوا نساؤهم ينطلقن على هواهن •

وهذا الصراع الرهيب قد انعكس على المجتمع العاملى وأوشكت المرأة أن تضيع بين تلك التيارات المتصارعة • الا أن القيم الدينية ما زالت تفرض سيطرتها • ومن الصعب أن تنفلت المرأة العاملية من تلك القيود واللائى ينفصلتن من تلك القيود هن مجموعة العوانس والفاشلات وهن اللواتى يعملن على تخريب المجتمع فى كل مكان لفشلهن فى اختيار الزوج أو الحصول عليه • وهذا ما يجعلهن يعملن على ملء الفراغ فى نفوسهن بالطريقة التى تناسب أمزجتهن دون أن يشترط مناسبتها لأى قيم •

أجل لقد تحررت المرأة العاملية • ودخلت المدارس ثم أوشكت أن تدخل الوظائف الكبرى وتعمل فى الصحافة والاذاعة وما شابه ذلك من الأجهزة الاعلامية والتعليمية والطبية ••• ويبقى المجتمع العاملى والمرأة العاملية كأى مجتمع عربى تتجاذبه التيارات المختلفة والمتناقضة ولا شيء يميز ذلك المجتمع عن سواه • الا طبيعته الريفية •

٥ النقـــد الاجتماعـــي ٥

نشط الشعراء العامليون في نقد العادات الاجتماعية وعملوا على توجيه الشباب الوجهة السليمة • وحذروا من العادات السيئة الفاشية في مجتمعاتنا العربية • تلك العادات التي لم تعد لتناسب روح العصر ولا نعني بذلك جميع العادات • بل نعني الجانب السيئ منها ••• ولا شك أن ترك العادات القديمة ونفض اليد منها ليس بالأمر اليسير ولا بد دون ذلك من الصراع الطويل والمر أحيانا •

وكانت تنتشر في جبل عامل عادات قديمة كثيرة ومنها على سبيل المثال زيارة القبور والأولياء وما أكثر "الأولياء" • ففي المالكية وهي في الجنوب الغربي لجبل عامل يقع ضريح بني الله يوشع وعلى مقربة منه "نبي" آخر هو "محيبيب" وفي جبل الريحان "نبي" "الله" "صافي" في سجد وفي كفركلا "نبي" في العويضة • والخلاصة أن "الأولياء" ينتشرون في معظم قرى ومدن جبل عامل ولعلها ظاهرة تدل على كثرة العلماء الفطاحل الذين يصبحون بعد موتهم "أولياء" ومن يدري ؟ وهذه الظاهرة موجودة في مصر وليبيا وبلاد المغرب والسودان والعراق ••• فهي ليست قصرا على جبل عامل •

والعامليون أوفياء لهؤلاء "الأولياء" يزورونهم كل عام في مواسم معينة • وأشهر نبي هو يوشع • ولعله "شيخ الأنبياء" لأنه معروف لدى جميع المسلمين واليهود أما الباقون فهم عالة عليه وفيهم خلاف • وليس في زيارة يوشع والايمان به خلاف • وكان من عادة العامليين أن "يزوروا" مقام يوشع في النصف الأول من شعبان كل عام ويقيموا هناك الرقصات والدبكة اناثا وذكورا • ولم يكن الشيخ محمد حسين شمس الدين ليرضى بذلك وهو النجفي المتعصب فقال مخاطبا زوار يوشع ••

بئس الزيارة أيها السفهاء ... رقص وفعل فواحش وغناء
لا دين يمنعكم ولا شرف ولا ... لكم اذا ذكر الحياء حياء
أصبحتم بين الطوائف سبة ... فعليكم وعلى العقول عفاء
جئتم لحضوة يوشع زواره •• ... ان الزيارة خشية وبكاء
لو كان يوشع حاضرا ما بينكم ... لا ستأصلتكم غارة شعواء

لا دينكم يرضى بفعلكم ولا ... ترضى به العلماء والعقلاء
يا جند ابليس الخبيث رويدكم ... سيصيبكم من ربكم أســواء
قل للذين " تمجوزا " و " تدففوا " ... منكم جميع الأنبياء بــراء
فترى الرجال مع النساء ففرحة ... فى كف ديك والديوك رعـاء
أبدلتم الشرف الرفيع " بجوقة " ... أفهكذا أوصتكم الأنبياء(١)

و " التمجوز " هو العزف على ناى مزدوج يقال له مجوز وهو الأرغول فى مصر وغيرها ، أما "التدفف " فهو الضرب على الدفوف وهو معروف .

ويبقى موسى الزين شرارة حاملا لواء الثورة الاجتماعية ، مثلما حمل لـــواء الثورة السياسية . فهو يستنكر كل مظهر اجتماعى يتسم بالتخلف فيوم جيئ بجثمان المخترع العاملى اللبنانى حسن كامل الصباح من أمريكا تخلف بعض "كبار " القوم عن حضور الجنازة فلم يتهجم عليهم فحسب بل تهجم على الشعب الذى ما زال يؤمن بزعامتهم ويسير خلفهم خانعا ذليلا . ثم يدعو للانقضاض على هؤلاء الزعماء :

قال قوم ما بال شعبك أمسى ... لا يبالى بقاصمات الظهـــور
راضيا بالهوان والذل عيشـــا ... لا شقاء يشكو ولا ثقل نـــير

ثم يقــــول ..

وضعتنى الأقدار ما بين قوم ... لا يراعون ذمة للضمــــــير
يعبدون القوى لا لخـــلال ... ساميات ولا لعلم وفـــــير
قمت أبكى لما رأيت بـــلادى ... جنة الخلد مرتعا للشـــرور
فاستشاطوا غيظا وقالوا مضل ... ورمونى بالبغى والتزويـــــر
فاحتملت الأذى وقلت لنفسى ... حصنك الحق لا تراعى وتورى(٢)

وأسهم كل من على الزين ومحسن الأمين وأنجاله جعفر وحسن وعبد المطلب وعبد الحسين عبد الله .. أسهم هؤلاء فى نقد العادات الاجتماعية . الا أن الحومانى يبقى الأطول باعا من الجميع والأحد سنانا فى هذا الميدان . وبالعودة الى ديوانه " نقد السائر والمسوس " ندرك هذا الأمر جيدا . ذلك أنه قسم الديوان الى قسمين كما يبدو من اسمه . فنقد المسوس هو نقد للعـــــادات

---

١ الأعيان جـ ٤٤ ص ١٨٧
٢ مكى ص ٢٦٢

والتقاليد السيئة ومن نقده (لخرافات العوام) :

أ آن رجفت مقلتي بشـــرت بوصل الأحبة بعد الجفـــا
وان نعقت في رؤوس الجبال أغربة م آذنـــت بالعفــــا
وكم قائل حك يسرى اليديـــن يبشر صاحبها بالغـــنى
فقلت اليسار تجر اليســـــار اذا هي مجلبة للعنــــا (١)

وانتقد الى جانب نقده للعادات القديمة بعض العادات المستجدة كشـــرب الخمر وتهتك الفتيات وترجلهن وتأنث الرجال وتخنثهم ومن نقده في ذلك قصيـــدة (رقي الفتى والفتاة) :

رقيك يا شرق أخفى الشباب عليك وهم عبد الغـــنج
وما كنت أحسب انا نجـــوز نفيس الحياة الى البهـــج

....

رجالك لم تنتهز فرصـــة الى العز في الزمن المفــرص
نوادي العلوم خلت منهـم وغصت بهم ردهة المرقـــص

....

لقد شخصوا فيه للعاهرات شخوصهم قبل للواعـــظ
يقدن بمارق تحت الشفوف اذا هن أخفقن باللاحـــظ

....

فان رقي الفتى والفتـــاة فنون تلقن في المرقـــص
ولست ببالغ أوج الرقـــي اذا ما بلغت ولم نرقـــص (٢)

....

وفي " نقد السائر والمسوس " للشاعر • نجد قصائد بنقد العـــادات الاجتماعية نكتفي بذكر عناوينها • منها " التجدد الفارغ " ص٨٦ • وتقرأ مـــن عنوانها • وكذلك " رقي الفتاة المزعوم " وهي قصة نسوية قصيرة تحكي حكاية امرأة كانت تتخذ من الكلب " خليلا " لها وسنأتي على ذكرها وتلخيصها عندما نتحـــدث عن القصة في الشعر العاملي • وكذلك للشاعر قصيدة عنوانها " دار التقليد " ص٩٤ • ولعل في العودة الى ذلك الديوان ما يغني عن استعراضـــه ففيه الكفاية من نقـــد العادات والتقاليد • فالشاعر لم يترك عادة الا وأعمل ريشته في نقدها •

١ السائر والمسوس ص١٩٦
٢ ص٧١ (من المرجع السابق)

ولم يقصر شعراء عاملة عموما فى نقد ومحاربة العادات الضارة والعمل على النهوض بالمجتمع العاملى الى ما هو أحسن .

....

٥ الفقـــــر ٥

وجد الفقر بين العامليين عامة فيما قبل الخمسينيات . فلم تكن لتجد فـى جبل عامل من أقصاه الى أقصاه الغنى الميسور الذى تنطبق عليه كلمة "غنى" بمعانيها المعروفة الا الأسر الاقطاعية ... فالسواد الأعظم من الناس كان يعيش عيشـة متواضعة فى ظل الفقر والحرمان .. أحس الشعراء بهذا الواقع الأليم ، ومن أولى منهم بذلك ؟ طالما أنهم عاشوا هذا الواقع بأنفسهم وأدركوه ولمسوه عن كثب ... يقول الحومانى فى مقدمة ديوانه عن حياته عام ١٩١٧م فى أواخر الحرب الأولـى "فجـزت تلك السنة تحت ستار الغيب ما يدفع البؤس عن عائلتى حتى لفظنى العام الثانى طفلا . قد عركنى الفقر وحشى دماغى بصرا بالدهر وحدمت الأيام صدرى حنقا على شعبى البائس الذى تمثل لدى أساكا فى شبك العمائم والزعامات (١)

هذا الحومانى شيخ شعراء جبل عامل وهذا ما عاناه من الفقر وقد ظهرت آثار ذلك فى شعره الذى سيطر عليه الطابع الانسانى واتسم بالصدق وتميز بالثورة والتمرد ... ونجد هذه الروح وأمر منها فى شعر محمد نجيب مروة ، وعلى مهدى شمس الدين وعبد الحسين سليمان والبلاغى وجرداق وغيرهم ... وقد ضاق صدرهم بالفقر وعانوا منه .

هذا وقد تمثل لهم الفقر فى عدة ظواهر اجتماعية ... تمثل لهم فى اليتيم والشريد .. والعجز فى الشيخوخة ... فى بلد لاضمانة فيه للشيخوخة .. تمثل لهم فى المتسول واللاجئ واللاجئة .. وقد شهد جبل عامل ما عاناه اللاجئـون اللبنانيون والفلسطينيون عام ١٩٤٨م . اذ كثر اللاجئون وهاموا على وجوههم ... لايجدون مأوى ولا مأكلا ولا مشربا ... وقد ذاقوا فى تشردهم الأمرين .. تمثل الفقر للعامليين فى الأرملة والمطلقة . تمثل فى العمال والفلاحين الذين يكدحـون ليل نهار ، صيف شتاء ، ولا يجنون من تعبهم غير الحسرة والألم والحرمان ...

---

١ ص هـ من مقدمة الديوان

كل هذا جعل شعراءنا يثورون ويتمردون ويحملون لواء الرفض والثورة ... وتكونت لديهم نظرة جديدة فى السياسة والمجتمع وأخذوا يتساءلون عن مصادر أموال الأغنياء الذين أخذوا يظهرون على خشبة المسرح بعد الخمسينيات ومعظمهم كانت ثرواتهم مشبوهة وغير مشروعة ... وأخذت تتكون طبقة جديدة فى جبل عامل لم يألفها الناس من قبل هى طبقة الأغنياء من التجار والموظفين والمغتربين ... فمن أين جاء هؤلاء بأموالهم ؟ ... وأخذ هذا السؤال يرتسم على شفاههم بالحاح بعد أن ينطبع فى صدورهم فى محاولات يائسة للاجابة عليه ... وكانت تتهافت الأجوبة المختلفة وأبرزها أنها لا شك من أموال الفقراء .

ويضاف الى هذه الحيرة والموقف الرهيب ذلك الموقف الأرعن الذى وقفته الدولة من المشكلات الاجتماعية المستعصية وعدم اكتراثها بالفقراء واستهتارها الدائم بمصالح الجماهير ... وهذا ما دفع بشبابنا الى الطرق الثورية واعتناق المبادىء السياسية الثورية التى تنادى بالعدالة الاجتماعية والمساواة بين المواطنين ونشأت الأحزاب اليسارية وتغلغلت فى أوساط الجماهير وما زالت .

** موقف الشعراء من الفقر ونظراتهم الانسانية **

يفلسف الشاعر العاملى وديع ذيب الفقر ويوسع دائرته . ويرى أن الفقير يتيم . فاليتم هو الفقر بنظره وليس الذى يفقد أبويه ما داما قد تركا له من المال ما يكفيه . وانما اليتيم هو ذلك الفقير البائس :

ما اليتم فقد الوالدين وانما هو فقدك للمأوى وفقدك للحمى
اليتم أن تشكو وأن تتظلما والأرض لا تصغى اليك ولا السما
فاربأ بنفسك أن تبيت يتيما
اليتم حرمان الصغير هناه اليتم أن يغشى الشقا دنياه
وسواه ينزل روضة ونعيما (1)

ثم يراه بعد ذلك فى بائع البسكوت الصغير الذى لا يعرف طعم ما يبيعه :

---

1 قلب يغنى للشاعر ص ٥٢

يا بائع البسكوت ما طعمه ؟
هلا كفاك العيش يا بائع
لمن تنادى الحلو يا مشترى
وأنت موهون القوى جائع
يا طفل من ألقاك فى عالم
لا وازع فيه ولا رادع ..
ففيه من تخمة يشتكى
وجاره فى فاقة يرتع (١)

ويقول الشاعر أنه استوحى قصيدته هذه من مشهد لاجئ صغير حافى القدمين يلبس ثيابا بالية كان يبيع البسكوت ...

ونفس الشاعر يرى صورة الفقير فى بناء عجوز أكله الدهر وهد من حيله ، وأخذت نضارته عمارات الاغنياء التى بناها فى شبابه .. وكم كان له فى ميدان الجد والنشاط من صولات وجولات أيام كان شابا قويا . الا أنه اليوم وبعد أن أكله المجتمع واستنزفه فى بناء القصور الشامخة وناطحات السحاب أصبح الآن فقيرا مشردا معدما :

رب قصر شمخت أحجاره
أخذت من روقة معنى الجلال
كل عبء خف عن كاهله
غير عبء العيش فى ذل السؤال
أين من يرثى لهم عاجز
شارد فى الأرض يكسى كل بال (٢)

ويراه الشاعر أحيانا أخرى فى شخص الخادم (٣) . وتقارن زهرة الحسر بين الفقراء والاغنياء وتستنكر على الغنى زهوه وتيهه وخيلاءه على الفقير مع أنهما من طينة واحدة وتقول بلسان الفقير :

لماذا نرى للغنى كل الأسباب فى هذه الدنيا أما الفقير فليس له منها شيء ..

---

١ غيوم طامغة ص ٤٠
٢ " " ص ٤٩
٣ " " ص ١٢

ولماذا ليس لي منها سوى قرص الشعير
وبقايا الكوخ والأسمال فوق الحصير
أنت يا ظالم تستأثر بالرزق الوفير
تجمع المال على المال احتكارا وغرور (١)

وللشاعرة نفسها قصيدة أخرى تتحدث فيها عن " الجوع الكافر " (٢) .

أما الشاعر كامل سليمان فانه يتحدث عن الفقر في اسلوب قصصي آخاذ عن " لاجئة " و " المتسول الصغير " فيرسم لوحة يعجز عن تصويرها أمهر الفنانين . فاللاجئة ضحية الحرب والمتسول ضحية المجتمع (٣) .

أما الشاعر نجيب مروة فله أسلوب آخر في الحديث عن الفقر حيث يخاطب الأغنياء بقوله ...

معاشر أهل المال حتام نشتكي اليكم بهذا الدهر فقرا واعوازا
ونسألكم اسعافنا فنراكم تولوننا منكم ظهورا وأعجازا

ويسترسل بعد ذلك في وصف حالة الفقراء والأغنياء واحتقار المجتمع للفقراء وتعظيمه للأغنياء (٤)

واذا أردنا الاطلاع على حياة الفقراء في الريف العاملي فلنقرأ قصيدة الشاعر نفسه التي مطلعها :

أجيل بهذا الكون طرفي فلا أرى كحالة أهل الحرث في غالب القرى (٥)

وهي طويلة تصور الوضع الاجتماعي لأهل الريف العاملي والحقيقة أن الشاعر قد أكثر من الحديث عن الفقر والفقراء والغنى والأغنياء . وليس ذلك الا لشدة ما أصابه من الفقر ، وقد قرر :

ان التباعد بين المال والأدب أعيا أولي العلم من عجم ومن عرب (٦)

---

١ قصائد منسية ص٧٦
٢ " " ص٧٨
٣ اشراق ص٥٥ — ٦٠
٤ علي مروة الفكاهي ص٣٢
٥ الفكاهي ص٢٠
٦ " ص٧٩

ويفاخر الشاعر شميد فياض بأنه فقير وينكر على من يعيره بالفقر قائلا ...

يعيرني بالفقر قوم بلوتهم ... فلم أر فيهم غير حس مبلد (١)

وبنفس الاسلوب الانساني الذي عالج فيه كامل سليمان قضية الفقر في قصيدة " لاجئة " و " المتسول الصغير " يعالج هاشم محسن الأمين نفس الموضوع في قصيدته القصصية " الشريد " واذا كنا قد أجلنا الحديث عن قصيدتي كامل سليمان فاننا كذلك لن نطيل الوقوف عند قصيدة " الشريد " لأننا سنتحدث عنها جميعا في موضوع " القصة في الشعر العاملي . هذا وقد حكى هاشم الأمين في قصيدة " الشريد " حكاية الانسان المعذب مع الطبيعة والمجتمع .. قصة المعذبين والبائسين في الأرض ... قصة الذين يبحثون عن اللقمة فلا يجدونها الا مغموسة بالدم وعن شربة الماء فلا يجدونها الا من بين الوحول . وفي القصيدة تزهيد في الحياة . وهذا مطلعها :

أطاف البلاد وجاب القفار ... ولا مستغاث ولا مستقر

كسكران تاه على ظلمة ... تقاذف في الوبى والحفر

فلا السمع سمع على أذنه ... ولا نظر الزيغ منه نظر

ثم نراه بعد ذلك يصف جسم هذا الشريد الذي ظهرت عليه آثار الضعف والهزال :

تكاد تضعضع أضلاعه ... اذا أن من حسرة أو زفر

كأن تصاريف أعضائه ... تمطله من سمعه والبصر

ومهما تطور الانسان في علومه واكتشافاته فانه ما لم يكفكف دموع الفقراء ويمسح العناء عن جباههم ويساعد على تخفيف الآمهم . فان تطوره يبقى مبتورا :

لئن ركبوا الجو واستنسروا ... وراضوا الهواء وراضوا القمر

وطالوا الطبيعة في خدرها ... يبيحون عن كنهها ما استتر

فهل كفكفوا غرب بكائة ... تزود الدموع وتشكو السهر

وهل بردوا من حيارى النفوس ... عليلا على جانبيها استقر ؟ (٢)

---

١ المرفان م ٣٤ ج ٦ ص ٦٦٦ نيسان ١٩٥٣ م

٢ مكي ص ٢٦٥ وأطروحة نوار الأمين (الأدب العاملي في النصف الأول من القرن العشرين ص ٧١ سنة ١٩٦٢ .

وتلك هى اللوحة الانسانية التى رسمها الشعراء العامليون للفقر والفقراء فى بلادهم وتحس من خلالها أنهم انما ينطقون بلسان حالهم شخصيا أذ أن جل الشعراء الذين تكلموا عن الفقر كانوا من عائلته فهم فقراء فلا زيف ولا رياء ولا تصنع فى كلامهم فهو نابع من القلب ومن أعماق النفس الانسانية المتطلعة نحو الأفضل ..

والنهايـــــة .. ؟ .

لم يكتف الشعراء العامليون فى النهاية بتصوير مشكلاتهم الاجتماعية وعرض الصورة المأساوية لهم ، ولم يكتفوا بالبكاء أو الطرح الرومانسى ولكنهم تجاوزا ذلك الى التحليل ثم التهديد والتهويل باعلان الثورة على النظام بأكمله . وعلـــى الاغنياء ومن ثم الارتماء بأحضان الأفكار والمبادىء اليسارية حتى ولو كانت تلـــك الأفكار هى الشيوعية بعينها . وهذا ما كان كما سيأتى ..

فى قصيدة "بائع البسكوت" التى مرت بنا يقول وديع ذيب ..

غنيه من تخمة يشتكـــى

وجاره فى فاقة راتـــع

ولكن من يكون المسئول عن هذا غير النظام ؟ والجائع فى ذلك كالشعب المضطهد :

يا جائعا والزاد فى كفـــه

شبيه شعب خانه الطالـــع

حكامه لاهون عن أمـــــره

وكلهم فى عرشه طامــــع (١)

فلا بد من الثورة ولا بد أن يأتى اليوم الذى يثأر فيه الفقراء لكرامتهـــم يقول وديع ذيب نفسه فى قصيدة أخرى ..

قل للأُل سلبوا اليتيم حقوقه   ومضوا وكل يدعيه صديقـــه

سيجيء يوم حين ينفخ بوقـــه   ويشق للحق الصراح طريقـــه

هلا حذرتم عاصفا محموما (٢)

اذن فالفقر ليس "عطية" من الطبيعة ولكنه مفتعل من النظام ، والأيتـــام ليسوا فقراء ، ولكن هناك من جعلهم يصبحون فى عداد الفقراء عن طريقة سرقـــة

---

١ ـ غيوم ظامئة ص ٤١

٢ قلب يغنى ص ٥٣

أموالهم كما يقول فؤاد جرداق ..

لم يجبني الغنى من أين جاء المـ ال هذا اليه والأرزاق
قلت هذا عيش الفقير الممـــنى سلبته يداك يا سراق (١)

ويحذر الشيخ نجيب مروة الأغنياء من مغبة استرسالهم في اهمال الفقـراء ويتذرهم فالقوم أصبحوا على وشك الانخراط في صفوف الشيوعيين (البلشفيـين) ومن ثم اعلان الثورة :

ألا فأعدلوا أهل الفلوس فصفنا الى نحو حزب البلشفيك قد انحازا
ولا تأمنوا الغارات عنا فنهبكم بمذهب أهل الصعافة قد جــازا (٢)

وكذلك نرى زهرة الحر تهدد بلسان الفقير محذرة من أن ذلك الفقير سوف يتحول الى سوط يلهب ظهور الظالمين :

سوف أغدو أيها الظالم نارا وسعـــير
تحرق الأخضر واليابس في يوم هجـــير

ولا تعتبر الشاعرة أن ما يطلبه الفقير حسنة أوصدقة وانما هو حق مـــن حقوقه الشرعية :

أنا لا أطلب احسانا واحسانا مريـــر
انما أطلب حقا من حقوقي في المصير
حجتي القرآن والانجيل فيه والضمـير
أنا لي حق بأموالك ياصاح يســـير (٣)

ولا مهرب من الثورة وكل الشعراء يبشرون بها وكلهم يدعون اليها ويحرضون الناس على اشعالها لأن الفقر انتشر وأخذ يشكل ظاهرة من أخطر الظواهـــر الاجتماعية . ويبشر الشاعر خليل أحمد خليل بتلك الثورة العارمة لا في جبــل عامل فحسب بل في الشرق عامة ، فيقول ...

---

١ العرفان م ٤٣ ج ١ ص ٣٦ ت ٤ ١٩٥٥
٢ الشعر الفكاهي لعلي مروة ص ٣٣
٣ قصائد منسية ص ٧٧

هناك ليل راقص على جسد الشرق
ويجرع من عظامنا النخاع والدماء
فما العمل أيها الفقراء في جحيم الشرق ؟
هل بقيت حاجة الى الحياة أو الموت
دون قيام الثورة ؟
الحق يا فقراء الشرق
أنكم ستأكلون خبزكم بالبنادق
وبهذه البنادق
ستحفظون الى الأبد
روم العمال (1)

أما الحوماني وقد علمنا من هو الحوماني ، فثورته لها معنى آخر ووقع أشد . فهو الخبير بالدين والخبير بالدنيا وهو المجرب لجميع الأمور حلوها ومرها ... وهو يرى أنه لو أعطى الغني ما فرضه الله عليه للفقير ، وأدى فريضة الخمس والزكاة لما كان هناك فقير ولما كان غني :

فلو وهب المدقع ابن الرياش ... ما فرض الله في ماله
لما أثمت اذ خبت كف ذاك ... منية ذا تحت أسماله

....

أرى العقل يقضي بذا قبل أن ... يقوم بتنفيذه الشارع
متى جدت بالخمس أو بالزكاة ... ونازعك النعمة الواكع

....

قبيح بنا أن يبيت الغني ... فتوذى عوارضه النمرق
ويطوى الفقير أديم الدجى ... طوى ووسادته المرفق

ولما أدرك الحوماني بثاقب فكره أن الأغنياء لا يلتفتون الى الدين ولا يعيرونه أدنى اهتمام ... فلا خمس ولا زكاة ولا رعاية للفقراء رأى أنه لا بد من اللجوء الى المبادئ الأخرى كالشيوعية حتى يحتمي فيها الفقراء وهذا أشبه ما

---

1 بير السلاسل ص٤٦

يكون بالانذار وهو أقرب الى ذلك منه الى الدعوة للشيوعية :

وقلت شيوعية الثائريـــــن قضاء فقالوا على العالم

فقلت قضاء على المستبـــد قضاء على المالك الظالم (١)

وهكذا ندرك أن انحراف الحكام والأغنياء عن الدين دفع بالفقراء وهـــم السواد الأعظم من الناس الى اعتناق الشيوعية وغيرها من المبادئ الحديثة وتلك هي الدعوة الى الاشتراكية •

٥ من المظالم الاجتماعيـــة ٥

٥ المرابـــون والمشـــارون ٥

ان التركيبة الاجتماعية لسكان جبل عامل ، كأي تركيبة اجتماعية عربيـة أخرى فهي متناقضة لا توازن فيها • وهذا يعني أن الطبقات الاجتماعية متفاوتة من حيث النمو والاكتفاء ••• وهذه النوعية من المجتمعات تحمل في طياتهـــا الكثير من الغبن والظلم والتسلط ••• ولا بد من ايراد بعض المفاهيم التحليلية والتي تفيد أنه كلما اشتد فقر الناس اشتد غنى طبقة أخرى صغيرة في المجتمـــع والطبقة الدنيا هي التي تحتاج الى الطبقة العليا وهذا باب التسلط ومدخـــل الظلم والفساد واذلال الآخرين •

ولا شك أن الفقر رأس الأدواء الاجتماعية ومنه تنبع جميع العلل وعنه تصدر جميع الأمراض ••• وكان العامليون في مجملهم يشكلون طبقة واحدة متجانسة هـي طبقة الفقراء وهي الأوسع انتشارا وتليها طبقة متوسطي الحال ، وهذه لا تبعـد كثيرا عن الأولى • فهي ملاصقة لها وسرعان ما كان يسقط متوسط الحال ويستقـر في طبقة الفقراء • أما الطبقة الأخرى والصغرى لهي طبقة الأغنياء وهذه الطبقة تتشكل من رجال الاقطاع الذين ينتمون الى عائلات لا يتجاوز عددها أصابع اليـد تعاملت مع الدخلاء والمستعمرين وأمدها الأسياد بما تحتاج اليه وملكها لأعنـاق العباد وهذه العائلات معروفة حتى الآن •

---

١ السائر والمسوس ص ١٢٤

وما دامت الحال كما ذكرنا . فالحاجة ملحة والفقر سيف مسلط فوق رقاب السواد — الأعظم من العامليين . وقد شهد جبل عامل الكثير من أوقات الضنك والضيق التي نشأت عن ظروف الحرب والاستعمار ولم يكن يملك العامليون من أسباب المقاومة لهذه الظروف الا مواسمهم فهم فلاحون فى معظمهم ولكن هذه المواسم لم تكن لتصفو للفلاح الكادح . فالأرض فى غالب الأحيان ليست ملكه ولكنه يكدح بها كالأجير ولا يجنى من وراء تعبه الا القليل وليس هذا الواقع غريبا على فلاحى مصر والشام والعراق ... ويضاف الى ذلك أن تلك الأرض كانت تستغل بالطرق البدائية وكثيرا ما كانت تتعرض لكوارث طبيعية فيضا ب الموسم بالقحط والجفاف ... ومع هذا كان الموسم هو الذى يربط الفلاح بحبال واهية من الأمل السقيم فيعلق عليها كل ما يستطيعه من آمال وتفاؤل ... وهذه المواسم لا تكفى فيكد سعليها ما يستطيع من الديون التى يأخذها من الأغنياء بشروط قاسية جدا وكثير من الأراضى الشاسعة فى جبل عامل قد آلت الى الأغنياء عن هذا الطريق .

وتعاونت هذه الظروف على العامليين . فهناك المشارون وهم أصحاب الأرض والمرابون وهم الأغنياء ثم جباة الدولة وهم غالبا ما يكونون من ذوى الهمم الدنيئة ثم الغشاشون والمرتشون ... ومن ينجو من هذه يقع فى تلك ... أما أهل الحول والصول والجاه والسلطان فهم فى بروجهم المشيدة .

هكذا كان العاملى مرهقا بأنواع الظلم وكان شعراؤه يسجلون هذا الواقع بأقلام دامية ويرنون اليه بعيون دامعة فيغنون مآسيهم بأغان شجية يرد صداها الناس فى كل مكان . يقول العلامة الشيخ عباس البلاغى :

طغت سفهاء عامل فى البلاد — وفيها أظهروا كل الفساد
لقد ظلموا العباد ولم يخافوا — من الرحمن فى ظلم العباد
اذا (المشار) وافى نحو قوم — تراهم هائمين بكل وادى
و "عاملة" بها عاثوا فسادا — كأنهم بقايا قوم عاد
كأنهم بأموال البرايا — رياح عاصفات فى رماد
من " التقدير " أهل الملك أضحت — تحيى بالسلام على الجراد
وان بكة الأرامل واليتامى — له لان الأصم من الجماد
فكم نادت بذل واستجارت — (ولكن لا حياة لمن تنادى)(١)

(١) الأعيان — ٣٧ ص ٣٧

وهكذا نقل البلاغى لنا هذه الصورة التى تمثل ظلم المشارين وهرب الناس منهم عند اقبالهم فهم كالجراد يأكلون الأخضر واليابس وقلوبهم لا تلين ولا ترحم . ثم يترجم لنا الشاعر فؤاد جرداق فى رباعياته التى كان ينشرها فى العرفان حال الفقراء مع الأغنياء فيقول ...

لم يجبنى الغنى من أين جاء المـ ال هذا .... (١)

أما وديع ذيب فيصف لنا حال المرابى فيقول ...

يعيش للسحت لا يرثى لذى وصب
ولا يبالى بغير الغنم من أرب
يعطيك قرشا ويبغى ضعفه بدلا
كأنه عائش للسلب والحرب
كحالب الشاة يمرى ضرعها نهما
و " طفلها " قربها يثغو من السغب
يهش للجار اذ يلقاه مكتئبا
فليس يرضيه الا وجه مكتئب
فى وجهه ألف لون من تلونه
شبيه حرباء يدنو من يد العطب
هيهات يجثو لغير الفلس مبتهلا
كأنما ربه عجل من الذهب
لو شام فى السحب خيرا واستطاع له
منعا لحاول أن يمحو ندى السحب (٢)

فالمرابى يهش عندما يرى وجه جاره متجهما لأن ذلك التجهم علامة الضيق الذى سوف يرمى به بين مخالبه وكذلك فهو يسر عندما ينحبس المطر فى السماء لأن ذلك يدل على جدب وقحط مرتقبين وهذا ما سوف يدفع بالفلاحين للوقوف فى بابه .... أما الشيخ على مهدى شمس الدين فهو يصور طبقة الفقراء ومعاناتها على يد المرابين من الداخل لا من الخارج فهو واقع فى الشرك ومرتبط بالواقع لأنه فقير

---

١ سبق الاشارة اليه

٢ غيوم ظامئة ص ٣٥

مسحوق وطالما وقف على أبواب المرابين وعاش بين المحتاجين وهو مدرك عن كثب حال هؤلاء وأولئك .

والمشارون هم الذين كانوا يلتزمون القرى من الحكومة التركية التى كانت تلتزم الحصة المصرية لكل قرية بالمزاد العلنى ... وكان الملتزم يتحكم بالمزارعين عند استيفاء العشر بما يضمن مصلحته ولهؤلاء المشارين سماسرة وعملاء وكلهم ينهشون جلود الفقراء ويمتصون دماء الفلاحين يقول الشاعر شمس الدين ..

الناس ما بين سمسار وعشار	يا للفضيحة عند الناس والعار
مدوا حبائلهم فى كل ناحية	كانما أرسلت عن كف سمسار
وأضرموا بالقرى نارا مسعرة	فأهلكت فى البرايا كل ديار
اذا أتى زمن التعشير خلتهم	قطاط مسغبة جنت الى فار
ترى كبيرهم يسعى ببهتته	على الكفالة من دار الى دار
حتى اذا وقعت فى الكف هام بها	لنفعه غير هياب من العار
هذا الى نفعه يسعى وذلك الى	سواه ساع بحزم الضيغم الضارى
شادوا بناهم بتخريب البلاد على	علم بأن أبا الأحرار للنار
لا در در أناس كلما نظروا	لبصقة حسبوها وجه دينار (١)

ويهاجم الشيخ أحمد رضا أحد المرابين الفجرة . فيقول ...

تحارب أبناء النبى ضلالة	وما اجترحوا اثما ولا اقترفوا ذنبا
وتخشى ملام الناس لا الله فيهم	وما كنت يوما تختشى فى فعلك الربا
فتطلقها فى الناس أيمان فاجر	وترسلها ما شئت مشحونة كذبا (٢)

ثم يأتى بعد ذلك دور جباة الدولة .

---

١ روائع الأدب الفكاهى ص ١٤١

٢ الأعيان جـ ٤٥ ص ١١

() الجبـــاة ()

وهم الذين كانوا يقولون جمع الضرائب من الناس على الطريقة التركية ولا يهمهم اكان الرجل معسرا أم موسرا وكثيرا ما كانوا يتركون الاغنياء ويتسلطون على الفقـراء الذين لايملكون من حطام الدنيا شيئا . وقد اشتهر أحد هؤلاء واسمه عيسى سيفا وكان جابيا في بعض قرى جبل عامل وكان الناس يتقون شره ويخشون بأسه وأحيانـا يهربون منه ونجد في الشعر العاملي الكثير مـن القصائد التي تتحدث عن ذلـك الجابي الصلف وأبرز الهاجين لذلك الرجل الشيخ نجيب مروة ومن أطرف مـا دار حول عيسى هذا ما يعرف " بدعاء المعهد " للشاعر الشهيد الشيخ عبد الحسـين سليمان جواد المتوفى ١٩٤٩ وهذا نصه " رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالقـرآن كتابا وبعلي اماما ووليا وبالفقر صاحبا وبعيسى راكبا " ويبدو أن ذلك الدعاء قـد بلغ عيسى فتوعد الشاعر وضايقه أشد المضايقة فبعث بقصيدة للسيد محسن الامين يستجيره فيها ويشرح له وضعه وقد جاء في هذه القصيدة :

سيدي أنت المرجى للـــورى ... وغياث الناس ان عز المــزاء
جئت من جور ابن سيفا هاربـا ... راجيا من فضلكم كل الرجـاء
أن تواسونا وتقضوا بيننـــا ... فلقد جار وفي الحكم أسـاء
ان "عيسى" هد ركني واعتـلى ... فوق ظهري ورماني بالبـلاء
كنس البيت ولم يبـــق بـه ... غير نوح وعويل وبكـــاء
فاذا ماحل أضـــياف بـه ... ماعدا الفخار لايلفـى اناء
ولهذا اوثـر الموت علـــى ... عيش ذل وحياة بالشــقاء
لي أولاد صـــغار كلهـم ... ليس فيهم من يرجى للبقـاء
قلت يا "عيسى" الا رفقا بهـم ... فلقد ضاق بهم رحب الفضـاء
خلني وأذهب لغيري فغـدا ... ناظرا نحوي بعين الازدراء
قائلا ها ان سيفي مصلـــت ... دائما فوق رؤوس الفقهـاء
أنتم ليســت لكم من همـــم ... انما أنتم أنـاس جبنـاء
فلعمري ما لديكم عمـــل ... غير شرب الشاي صبحا ومساء
واذا مامدت الايدي الـــى ... (منسف الزاد) فأنتم أقويـاء
حيث قد سجلتموه عندكـــم ... يوم الفتم كتاب الظرفـاء

ما جرى يا قوم حتى قلتـــه ليت انى لم أقله ذاك الدعـــاء
أنا لا أرضى بعيسى راكبــا لا ولا أرضى بفقـر وعنـــــاء
. . . .
وختام القول أنى لـــم أزل رافعا نحو السما كف الدعـــاء
راجيا منه تعالـى حفظكـــم فى حبور وسرور وهنــــــاء(١)

ومن نوادر عيسى بل ومن مصائبه على الناس أنه كان يدخل بيت الفقير لجباية الضريبة فاذا قال له صاحب البيت بأنه لا يملك شيئا من المال دخل عيسى المنزل وجال فى أطرافه ويأخذ من الأوانى والحبوب ما يجده . ولا يفوت موسى الزين شرارة مآسى الجباة فيقول فى ذلك ...

أصبحت عيني منذ عرفـــت داء جيبى ورأتنى مفلســــــا
كلما لاح أمامى شبـــــح من بعيد حسبتـــه " بطرسـا "
وكذا قلبى ان قال امــرؤ حضر الجابى يدق الجرســـا
لا تقل غالى فلو أبصرتـــه لرأيت الشاة والمفترســـــا (٢)

والجابى هذه المرة اسمه بطرس وليس عيسى ...

. . . .

٥ الغـــش ٥

ظهرت فى الوطن العربى طبقة جديدة فى أواخر النصف الأول من القـــرن العشرين قوامها الأطباء والمهندسون والمحامون . ذلك أنهم ظهروا فى أعقاب حقبة من التخلف والجهل فركبهم الغرور والصلف . بعد ما أعطتهم الأمة فوق ما يستحقون من الاحترام والتقدير وهؤلاء كان لهم يد فى السلطة فشرعوا لأنفسهم عن طريق الدولة من القوانين ما يؤمن لهم المزيد من الامتيازات دون اهتمام بمصالح الجماعة ، وعملوا على ضرب القطاع العام فى المرافق التى تخصهم ، فحاربوا فكرة اقامة المستوصفات ، والمستشفيات الحكومية ، كما استطاع المحامون استغلال نفوذهم للايقاع بـــين المتخاصمين وعملوا على نشر الرشوة وتسخير الضمائر وحرمت الدولة على كل مواطـــن أن يبنى ولو جدارا واحدا ما لم يكن قد تحصل على خريطة من مهندس .. وهكذا .. ضاعت مصالح الجماهير فى بحر من المصالح الذاتية لأصحاب النفوذ ... والأطبـــاء

---

١. معادن الجواهر لمحسن الأمين ج ٣ ص٣٠٥

٢ مخطوطة بحوزتى وهى منشورة

كانوا أكثر احتكاكا بالجماهير . الا أنهم كالسحرة والمشعوذين استغلوا ثقة المرضى بهم وطاعتهم العمياء لهم فعرفوا كيف يستغلون سذاجة الفقراء والبسطاء ويعملون على ابتزاز أموالهم عن طريق المراجعات والتجارب ... فالطبيب لا يكتفي بمعالجة المريض في المرة الأولى بكشف واحد بل لا بد من اعادته اليه ثانية لكشف آخر ولا شك أن الأجرة ستدفع ثانية ... وهكذا ... والطبيب في لبنان حتى وقت قريب كالبقال الذي يضع في دكانه ما هب ودب دون تخصص . فهو يعالج المرضى دون تخصص في جميع الأمراض الباطنية والجلدية والعظام والنساء والأطفال ..... وهو في الوقت ذاته طبيب عام ولا يرضى بتحويل المريض الى طبيب اخصائي الا بعد لأي شديد ...

وقد سجل أحد شعراء جبل عامل هذه الظاهرة بقصيدة طويلة جاء فيها ...

رب طبيب عاش دهرا في ضعة — شهر في مدح الدعاة موضعه
له فنون في الخداع مبدعة — ومغريات للمريض مطمعة
يشجي المريض ويقض مضجعه — خصائص المهنة أن يفزعه
يدخله عند اللقاء مخدعه — يتلو عليه قصصا مروعه
حتى اذا ما حط فيه اصبعه — قام يمنيه الشفا كي يطمعه

الى آخر القصيدة التي نظمها شاعر عاملي مغترب في السنغال هو (ابن السوادي) (1) .

....

0 الوظيفة ..

في العصر العاملي 0

نظر العامليون الى الوظيفة نظرة خاصة تحت وطأة الخضوع لسيطرة رجال الدين الذين كانوا ينظرون الى الوظيفة نظرة لا تخلو من التزمت فهي مكروهة ولعلها محرمة .. وربما كانت هذه النظرة من الناحية الانسانية والأخلاقية صحيحة وما دامت كذلك فهي من الناحية الدينية صحيحة أيضا لأن الدين يتوافق مع كل نظرية انسانية تراعي الأخلاق والقيم ... فالحكومة لم تكن عادلة والموظف لم يكن أمينا مخلصا وجباية الضرائب التي كانت تعتبر الشريان الرئيسي للدولة لم تكن لتراعي دينا أو ذمة وكانت

---

1 العرفان م ٤٠ ج ١ ص ١١٠ / ١٩٥٢ وهو أحمد حجازي

تثقل كاهل الفقراء لأنها تجبى من الناس على قدر ضعفهم لا قدر غناهم • فكلما كان المرء غنيا ابتعد عنه الجباة وهذه القاعدة التنازلية كانت سائدة في تلك الأيام فكان جنود الدولة يستولون على الرغيف من الفقير ويأكلونه في بيت الغني ثم يتحدثون عن كرم الأخير ••• وأن مال الدولة الذي يجمع بهذه الطريقة لا شك أنه مال حرام • ومن هنا جاءت نظرة الفقهاء الشيعة للوظيفة فعزفوا عنها في لبنان كما عزفوا عنها في العراق وايران •••

وبالاضافة الى هذا كان هناك سبب آخر يمنع العامليين من ارتياد الوظيفة والاقبال عليها ذلك القيد الذي تشد به الوظيفة صاحبها وقد فطر العامليون على الحرية في قراهم وأريافهم وهكذا فان ابتعاد العامليين عن الوظيفة ونفورهم منها كان لسببين مهمين رئيسيين ، أولهما : ديني والآخر نفسي ••• ومع هذا لم ينج من شرها بعض الشعراء الذين قيدتهم أغلالها كما سنرى هذا فيما قبل الخمسينيات أما بعد ذلك فقد تغيرت الموازين تبعا للتغير الحضاري الذي غزا المنطقة العاملية كما غزا المنطقة العربية بأسرها ومع هذا كان اتجاه العامليين للوظيفة بطيئا لعوامل أخرى غير التي أسلفنا ذكرها • فالتوازن الطائفي والاستقرار الوظيفي في لبنان الذي استقر في أيدي أبناء الطوائف الأخرى واضطهاد الطائفة الشيعية بالذات ، كل ذلك جعل دخول العامليين الى سلك الوظيفة صعبا ومحدودا ، ثم لا ننسى أن الدولة اللبنانية بتركيبتها الحالية كانت مؤسسة فرنسية مئة بالمئة ولذلك سلمت فرنسا الوظائف القيادية الى عملائها وحاملي بيارقها • أما العامليون فقد كانوا معها في حرب طاحنة لم تزل آثارها ماثلة للعيان • ومع هذا حاولت فرنسا التأثير على بعض الزعماء الروحيين بأن عرضت عليهم وظائف عالية ، الا أن هؤلاء الزعماء رفضوها بانفة واباء وشمم •••

ومن ذلك ما عرض على السيد محسن الأمين والسيد عبدالحسين شرف الدين اذ عرض على كل منهما أن يعين بمنصب رئيس الطائفة الشيعية ، فرفض كل منهما ذلك المنصب كما سنرى فيما بعد •

واكتفى العامليون بارتياد الأعمال الحرة كالتجارة والتدريس ثم الهجرة فيما بعد •

يقول موسى الزين شرارة عن الوظيفة :

قالوا توظف فالوظيفة نعمـــة ... فيها الغنى والجاه والعنـوان
فأجبتهم كيف السبيل لوصلها ... وأنا أديب شاعر فنـــــان
قالوا تظاهر بالولاء لنافـــذ ... المجد طبخ عنده وخــوان
واهتف له بين الجموع وقل لهم ... ابــاؤه خير الأبوة كانـــوا

اذن فطريـق الوظيفة هو التزلف أما ثمنها فهو ..

مهر الوظيفة من أراد وظيفــة ... شرف اباء ذمة وجـــــدان

ثم هي بعد ذلك باب للسلب والنهب وهذا طريق النيابة والحكم :

فاذا ظفرت بها وبت موظفـــا ... وحواك مع أبنائها الديـــوان
ومددت يدك قابضا من ذا وذا ... سلبا وأتخم جيبك الرنــــــان
وغدا لك المال الوفير وشاهـق ... فوق الهضاب كأنه رغـــــدان
ساوم على كرسي النيابة نافذا ... صفت من الخصيان والعبـدان
ان النيابة سلعة لا تستحـي ... بشرائها والنافذ الدكـــــان

وهذا تعريف واضح بالزعماء لما كانوا يقبضون من أموال طائلة من المستنوبين الأغنياء الذين يرغبون في الوصول الى مجلس النواب عن طريق ضمهم الى لوائـح هؤلاء الزعماء التي " ينتخبها " الشعب" والمعروف أن الذي يخوض المعركـة الانتخابية كان يدفع ما يوازي جميع مرتباته على مدى الأربع سنوات ، وهي مـدة المجلس النيابي ، عشرات المرات ، ولكنه سرعان ما يستعيد " رأسماله " بعد ما ينجح وذلك عن طريــــق السمسرة و " البلغ " و " الرشاوى " ..

فاذا وصلت وصرت تدعى نائبـا ... في بابك الأنصار والأعــوان
سمسر وهوب لا يرعك ضجيجنـا ... وصراخنا فحجارنـــا رمــــان
وابلع فظهرك بالعفي ظهـره ... " القبضاي " والقانون والسلطان (1)

أما الشيخ سليمان ظاهر فقد وقع ـ برغم حذره ـ أسيرا للوظيفة فتقلب فيها وشغل عدة مناصب في القضاء ، الا أنه كان متبرما من ذلك وقد قبلها لضيــق ذات يده ... ولم تكن الوظيفة لتنسجم مع تطلعاته السياسية وطموحاته ولذلك فقد نفر منها وضاق منها وكثيرا ما كان يستقيل أو يقال " لتعاطيه " السياسـة

1 ـ العرفان م ٣٩ ج ١٠ أيلول ١٩٥٢ ص ١١٧

ولما بلغ الخمسين قال في الوظيفة :

أبعد خمسين من عمري ومعظمها   أنفقته في طلاب العلم والعمـــل
أسعى الى الرزق عن طرق القضاء وما   قضيت من أربيفيه ومـــن أمـــل

ثم يبدى زهده بالوظيفة والمال ويسلم أمره لله ، ذلك لأن الوظيفة لا يأمن صاحبها من الزلل :

حسبي بأني فيه قد وقفت على   شفا وما آمنت نفسي من الزلـــل (1)

والقصيدة طويلة يشكو فيها الشاعر مر العيش والأيام ويفاخر فيها باستقامته .

أما السيد حسن محمود الأمين فقد صدر مرسوم بتقليده وظيفة القضاء فما كان منه الا أن رفض ذلك باباء وشمم لأن التعيين صدر من الفرنسيين ، فقال ...

عرش لبنان لست أرضاه عرشـــا   لا وعلياك وهو يرجى ويخشـــى
لا أرى شهبة الطوالع شهبـــا   لا ولا رقشه اللواسع رقشـــا
حيث قد أبصروه بالوهـم حيـا   ورأو نعشه فخالـــوه عرشـــا

ثم يعلق على الوظيفة قائلا ..

قد لبست الدنيا بكف نزيـــه   لم تؤثر به الحوادث خدشـــا
قيل لي خصك الوزير بأمـــر   رد من رامه بمقلة أعشـــى
قلت رام الوزير نصحا فلمـــا   لم يصادف محله عاد غشـــا

وقبول الوظيفة في ذلك العهد يعتبره الشاعر العالمة ضلالا :

أو يغشاني الضلال وفجـــري   بالهدى ساطع اذا الليل يغشى
أنا بيت القصيد في كل معنى   وبمدحي آياته الغر تنشـــا (2)

ثم يلومه البعض على ذلك الرفض فيرد عليهم بقوله ..

ألام وفي م تنشر صحف عتـــب   ونطوي العمر هجرانا وبعـــدا
ونعرض عن أمور لو نظرنـــا   نظرنا عندها الخطب الأشـــدا (3)

أما عبد الحسين عبد الله فهو ينظر الى الوظيفة نظرة أخرى فيرى أن الانســـان

---

1   الأعيان جـ ٢ ٥ ص ١٢٤
٢   الأعيان جـ ٣٢ ص ٤٣٦
٣   " " ص ٤٣٧

فيها يعد عمره بالأيـــام :

اذا ما أطل الشهر أبغى زواله   لكى أتقاضى راتبى آخر الشهـــر
كأنى أبيع العمر فيما أنا لـــه   فيا بؤس عيش بعت من أجله عمرى (1)

وهكذا نظر العامليون الى الوظيفة أما الشعراء الشباب فلهم نظرة تختلـف باختلاف العصر فهم يتهافتون عليها ويخطبون ودها وهم فى جلهم اما واقع فـى أشراكها أو متودد اليها وساع للوصول الى عرشها وكلهم بها عاشق ولودهـا خاطب وللظروف الاجتماعية الراهنة والضيق الاقتصادى أثر فى ذلك •

....

0 العيساويـــات 0

لعـل المجد الذى حظى به عيسى سيفا وهو أحد صفار جلاوزة الدولة فى العهد الفرنسى لم يحظ به من هو أعظم منه شأنا ذلك أن حسن حظه قد رمـاه بين ألسنة شعراء جبل عاملة الذين لحقهم من ظلمه واستبداده الشيء الكثير ولـم يكن يملك هؤلاء الشعراء ما يمنع عنهم ظلمه الا ألسنتهم فنفسوا عن الكرب الذى أصابهم منه بقصائد من الشعر الخفيف فى هجاء الرجل ما يناسب المقام •••

ومن أخبار عيسى المذكور وقد أشرنا اليه سابقا أنه ما تسلط على رجل قـط الا وأفقره ومن ظلمه واستبداده أنه كان يستولى على الطناجر والأوانى واللحـف والبطاطين من البيوت التى لم يكن أصحابها يملكون من المال ما يدفعونه له عـن الضرائب المتراكمة حتى لو كان ذلك فى منتصف الشتاء حيث البرد القارس الذى لا يرحم وقد أوكل الناس أمرهم مع عيسى هذا الله وقد ذكرنا فى أحد الفصول السابقـة " دعاء العهد " للشيخ عبد الحسين سليمان •

---

1   حصاد الأشواك ص١٠

٥ المنــــام العيســوى ٥

ومن شدة خوف الناس من ذلك المظالم أنه كان يتخايل لهم فى نومهم ومن ذلك أن الشاعر الظريف الشيخ نجيب مروة والذى كان بينه وبين صاحبنا مطاردات وملاحقات .. أنه رآه فى منامه وقد تخيل له على شاطىء البحر حيث جرى بينهما نقاش وملاسنة وفى الصباح استيقظ الشاعر لينظم قصيدة فى الموضوع جاء فيهـا ..

خليلى ما أبقيت عندى وسيلة ... ولا حيلة الا أجلت بها فكرى
فلم أستطع تحويل عيسى كأنما ... بجلدة فخذيه غدا لاصقا ظهرى
لعمرى انى فى المنام رأيته ... بصورة صياد على شاطىء البحر
ومن حوله الأشباك للصيد ألقيت ... وقد زادت الأمواج فى المد والجزر
وأبصرت فى كلتا يديه أظافرا ... محددة أمضى من البيض والسمر
وفى الماء أسماك هناك كثيرة ... تجل عن الاحصاء والعد والحصر
مشكلة الألوان لكن صيده ... هناك لقد أضحى من (البيض والخضر)

والمقصود من البيض والخضر العمائم . ومنهـا :

فلما رآنى ثار وانقض مسرعا ... على انقضاضا كالعقاب أو الصقر
وهم باعدامى وعيناه صارتا ... من الغيظ حمراوين تقدح كالجمر
فقلت لماذا تستحل محارمى ... وما لك عندى فى الحقيقة من وزر
ألم يكفنى ما قد لقيت من الأذى ... بحلمك دون الناس من أول العمر
فقال لماذا أنت فى كل محفل ... من الناس لا تنفك فى ذكرى
عداك الغنى واليسر دع عنك كلما ... تخاطبنى فيه من النظم والنثر
فانى عن كتفيك لست بنازل ... مدى العمر حتى ينزلوك الى القبر
ألا قل لأصحاب العمائم كلهم ... أقيموا على يأس من البيض والصفر
فصاحبكم أضحى مدى الدهر حاكما ... عليكم جميعا بالخصاصة والفقر
لماذا على الطرز القديم يراكم ... مقيمين فى حال المذلة والأسر
يقضى الفتى فى صفكم نصف عمره ... بتحصيل علم النحو من باطن القطر
فيعرف منه جاء زيد ونحوه ... وأن حذام فيه تبنى على الكسر (١)

---

١ على مروة ص ٦٢

وهو يشير فى البيتين الأخيرين الى طريقة العلماء فى تعلم وتعليم النحو من كتاب " قطر الندى وبل الصدى " والمبنى والمعرب ثم ضرب مثالا على ذلك " حذام " التي تبنى على الكسر . ونحن نلاحظ فى ثنايا تلك القصيدة الساخرة لمحات ثورة عارمة متأججة تلبس ثيابا رقيقة مموهة .

. . . .

٥ الشعر الاخوانى ٥

ومن الأغراض الاجتماعية الشعر الاخوانى الذى يصور نوعا من العلاقات بين الأصدقاء الذين تربطهم علائق معينة وتجمعهم خصائص موحدة كالشعراء . ويزدهر ذلك النوع من الشعر فى المجتمعات المثقفة أو بالمعنى الأصح والأدق فى المجتمعات الأكثر اهتماما بالشعر والشعراء ... واذا كنا لا نجد هذا الشعر مزدهرا فى مجتمعات أكبر من محيط البيئة العاملية ازدهاره فى جبل عامل فانما ذلك يعود الى كثرة العلماء والشعراء وهذا بحد ذاته يعد ظاهرة جديرة بالتسجيل والملاحظة .

وعلى هذا كثر الشعر الاخوانى حيث تراسل الادباء والشعراء نظما وتبادلوا الآراء والأفكار والنوادر ... مما دفع البعض لتصنيف المؤلفات فى ذلك كما فعل كل من الشيخ على الزين وعلى مروة وكاظم مكى ... وكما نرى فى دواوين الشعراء العامليين وان هذا يؤكد ذكاء العامليين الفطرى وصفاء سلائقهم ونقاءها واهتمامهم بالأدب ولم يكن الشعر الاخوانى وقفا على مشاهير الشعراء بل تعداهم الى أناس لم يعدوا أنفسهم ليكونوا شعراء وانما كانوا ينظمون الشعر للتسلية فقط دون الاحتراف .

وفى جبل عامل مجموعة كبيرة من المثقفين الذين لا ينشرون شعرهم ولم يحاولوا طبعه ولكن كيف وصل الينا شعرهم ما داموا هم أنفسهم لم يعملوا على نشره ؟ . .

وللاجابة على هذا التساؤل نشير الى أن الباحثين هم الذين سعوا وراء ذلك وتحصلوا على مجموعات من نتاج هؤلاء الشعراء دون أن يكون لبعضهم رغبة فى ذلك ... ومن أبرز هؤلاء الشعراء جعفر الأمين ــ محمد فلحة ــ نور الدين بدر الدين

عبد الله كحيل — محمد حسن مكي — جميل بري — توفيق البلاغي — علي شرارة — عباس البلاغي — عبد الله البلاغي — نجيب فضل الله — محمد رضا الزين — نور الدين فحص .. وهؤلاء لم يظهروا على مسرح الادب العاملي ولم يطبعوا أشعارهم .. وثمة شعراء اشتهروا الا أنهم لم يصدروا الدواوين وباعهم طويل جدا في الشعر وشهرتهم ذائعة في الاخوانيات وغيرها ومن هؤلاء : محمد نجيب مروة — علي مهدي شمس الدين — محمود حسين شمس الدين — موسى الزين شرارة — عبد الحسين سليمان حسن حوماني ... أما محسن الامين وسليمان ظاهر وأحمد رضا وعبد الحسين عبد الله وعلي الزين وكامل شعيب ومحمد علي الحوماني وابراهيم شرارة فدواوينهم مطبوعة معروفة ومؤلفاتهم تملأ رفوف المكتبات .

ولجميع هؤلاء شعر اخواني ومراسلات شعرية فيما بينهم ومن ذلك ما بعثه السيد حسن محمود الامين من النجف الى ابن عمه السيد محسن الامين معاتبا :

عذلت فما الغيث للعذل موضعا وعفت من أمسى بحبك مولعا

فأجابه السيد محسن الامين بقوله :

عذلتك اذ لم ألق للعذل موضعا وأوشك حبل الصبر أن يتقطعا (١)

ولما كنا لا نعتبر الرسائل الشعرية التي كانت ترد من طرف واحد دون أن تجد الرد عليها شعرا اخوانيا فاننا نهمل قسما كبيرا منها كتلك التي كتبها الشاعر سليمان ظاهر ردا على رسالة نثرية للسيد محسن الامين (٢) وتلك القصائد التي بعث بها محمد علي الحوماني للشيخ فهمي هاشم (٣) وغيرها .

---

(١) الاعيان ج ٣٢ ص ٤٣٠
(٢) الاعيان ج ٤٠ ص ١٤
(٣) العرفان تموز ٩٥٧ ص ١٠٥٠

ونقتصر فى حديثنا الآن على الرسائل المتبادلة شعرا ومن ذلك مابعث به محمد على مقلد على قصيدة للشاعرة زهرة الحر ولم نعثر على قصيدة زهرة :

تحيات تنوء بها المهاجر — وشكران الوفاء من المهاجر
اليك فان شعرك قد سقانا — مدامتنا على الذكر الغوابر
حنانك أختنا هذا البيان — الموكل منك فى هز المشاعر
له فى النفس سلطان حبيب — ورب حبيب نفس كان جائر
الا ياأخت ماأحلى وأشهى — حديثك أنه فرح المهاجر (١)

وكتب محمد رمضان الى زهرة الحر يقول :

زهرة الحر أى زهرة حسن — أنت يا فتنة النساء الحرة
أنت لو أنصف الورى كنت حقا — فى جبين الاخلاق والفضل غرة (٢)

ومن الشعر الاخوانى ماكتبه السيد محمد حسن مكى الى السيد نورالدين فحص يذكره فيه بأيام الصبا وقد فارقه :

غادرت روض العلم لما أينعت — أثماره وزهت كأزهار الربى
وهجرتنا لم ترع عهد ودادنا — ومضيت عنا معرضا متجنبا
أنسيت منتزه "الجزائر" والطبلة — تخذت بهاتيك المسارح ملعبا
خلفت قلبك حائما حول الحمى — وذهبت والآمال قد طارت هبا
فاسلم عليك تحية من صاحب — يصبو لذكرك كلما هب الصبا

والجزائر علم على مكان فى ضواحى النبطية • وأجابه نور الدين فحص بقصيدة جاء فيها :

هيجت وجدى يامحمد عندما — ذكرتنى عهد الجزائر والربى
ماكان ظنى أن تجدد فرحتى — بعد القنوط من المنازل والظبى

---

(١) ديوان محمد على مقلد ص ١٠٢

(٢) مكى ص ٢٥٥

انى على عهد الاخاء مثابـــر　　وغـرار عزمى فى المحبة مانبا
غادرت روض العلم أهوى ريعه　　لكــن دهرى لم ينلــنى المأربا (٢)

ومن الشعر الاخوانى مابعث به الشيخ محمد رضا الزين الى ابن عمـــه الشيخ على الزين يدعـوه فيـه الى مأدبــة غـداء على نبع " الميذنــــة " دعى اليهـا أيضـا كل من أحمـد رضـا وسليمان ظاهر ومحمد الحســـن وعبد الله كحيل .. قال :

أدعوك للأنس فى أرجاء "ميذنة"　　مع عصبة فى علاها الدهر يفتخر
فان أتيت فشمل الانس مجتمـع　　وان أبيت فذاك الشمل منتـشر
وان أبيت ولم تخفـف لدعوتنـا　　فأنت من عصبة يا .. قد كفروا

ولم يستطع الشيخ على تلبيــة هذه الدعـوة لمـرض ألم بـه فبعث لـــه القـوم بقصيـدة أخـرى ولعلها من الشعـر المشترك يقولون فيها :

قـل لعلى الزيـن ماصـــده　　عن دعوة للانس فى الميذنـــة
فهـل تراه كان فـى غفلـــة　　عن هذه الدعوة لم فى سنـــة
أم جانـب الفضل وأربابـــه　　فلم يصب من رأيـه أحســـنه

فأجابهم الشيخ بقصيدة طويلـة جاء فيهـا :

مااللهوى والأنـس والميجنـــة　　عنـد بقايـا كبـد مثخنـــة
جار عليها الحب واستأصلـت　　باقـى رجاها غير الأزمنـــة
ولم تزل من عسف أيامهـــا　　فى قلق النافـرة المذعنـــة
الجد يستأثـر فى حلمهـــا　　والهزل يستعصم (بالولدنة)

*****

ياعصبة للفضل قـد أحـرزت　　من كل فـن رائـع أحسنـــه
ماهذه اللهجة أو ماعســـى　　يسطيع من باعـد تم مسكنـــه
ولم يغـادر شوءمـه حيلـــة　　تدنيـه منكم أو من الميذنـه (١)

---

(١) مع الادب العاملى لعلى الزين ص ٢٤٥

ومن الشعر الاخوانى مابعث به السيد نور الدين بدر الدين الى زميله المدرس جعفر الامين بعد أن تواعدا على القيام برحلة مدرسية وأخلف الثانى الموعد يقول السيد نور الدين :

لم لم تف فيما وعدت وتحضر ... وتحيد عن سنن الوفا ياجعفر
هل خفت من حر الهجير ولفحه ... حتى انثنيت عن الوفا ياأسمر
أم هل خشيت على التلاميذ المنا ... فضيت فى سوء المصير تفكر
فاركب ودعهم يركضوا بمركابهم ... (ولأجركم) ان شوبوا أو هوجروا
فقد انتظرتك للغروب وقد وهى ... جلدى ولم أبرح لنحوك أنظر

فرد عليه جعفر بقصيدة جاء فيها :

ماكنت كذابا ولا أنا أزعر ... تنفى الحقيقة ماتقول وتنكر
تأبى لى السوءات نفسى عفة ... وسريرة بيضاء وقلب أطهر
لو كان يدرى الناس بعض فضائل ... لغدوت أرقى عندهم وأبخر
ولو اننى قد عشت فى زمن مضى ... .
ولكان لافوق البسيطة منبر ... أرقى اليه وفى القيامة منبر (١)

وهكذا سار الشعر الاخوانى فى هذا الاتجاه .

الشعر المشترك

ـ•ـ•ـ•ـ

وهو أن يشترك أكثر من واحد في نظم قصيدة سواء كان ذلك على طريقة الاجازة أم غير ذلك كأن ينظم الواحد بيتا وينظم الثاني آخر على نفس الوزن والقافية حتى تكمل القصيدة وهكذا ... وكانت تحلو هذه الطريقة للشعراء العامليين في جلسات الانس والسمر وخاصة أثناء رحلاتهم ونزهاتهم التي كانوا يقومون بها الى الحقول والمنتزهات والعيون والأنهار .

ومن هذا النوع ماصنعت السيد على محمود الامين (١٢٧٦ـ١٣٢٨هـ) عندما كان يشرب الشاي مع رفاقه له وقد التفت الى ماحوله ففتنه منظر زهور الرمان المتفتحة الحمراء وبعض الورود التي تحيط بالمكان الذي يجلس عليه مع رفاقه فقال :

مابين ورد وجلنار ... شربت أشهى من العقار
صهباء راقت فخلت منها ... في الكأس أضحى لهيب نار

وقال للحاضرين أجيزوا : فأجاز الشيخ محمد شمس الدين وقال :

طفا عليها حباب در ... يفوق حسنا على الدراري

فقال السيد على :

يجلو لنا كأسها أغن ... خلعت في حبه عذاري
سكرت من خمر مقلتيه ... وقد تهادى بلا خمار

فقال شمس الدين

حديث وجدي به قديم ... رواه دمعي من النجار

فقال السيد على :

ياريح سلع أسلت دمعي ... الم ولو لوث الازار
مالي سواه وبي فداه ... وبي هواه مضى اصطباري
أطال هجري فضاق صدري ... وعاد مثل الدجى نهاري
شكوت مابي من التصابي ... الى سراب والقلب داري

الى آخر ما اجازه الرجاذن .. ثم يشارك بها غير من ذكرنا ومن النــوع الاخــر الذي يشترك فيه أكثر من اثنــين في نظـم قصيــدة واحــدة ما اشــترك فيــه كل من الحومانـى وظاهــر ورضــا وعارف الزيــن عندما اجتمعوا في رحلة بدعــوة من الشاعر المعروف حليم دمسوس وذلك في آب سنة ١٩٢٦ ومنه :

قال ظاهر وقد لاحــظ على الحومانـى تغـيير وجهه عندمــا مرت أحــدى الحســـــناوات :

احفظـــ فــؤادك أيها الحومانـى	لاتصرعنــك أعـــين الغزلا ن
رضا : كم صد ن أصيد كان أمنع جانبــا	فغــدا أسير محاسن وحسان
حوماني : هل مر في وادي العرائش مسلم	يوما فسمــوه صريــع غوانـــى
الزين : وادي العرائش جنة محفوفـــة	جنباتها بالورد والريحـــان
ظاهــر : هو جنة الخلد التي رضوانهـــا	يروى حديث الخلق عن رضوان
تتظلل الحور الحسان بحورهــا	كتظلل الاطيــار في الاغصان
حوماني : فكأن واديها خواطر شاعـــــر	مرت بــه وكأنهــن أمانــــى
أبصرت في أجياد هن لآلئـــــا	فحسبتهن مثالثــا ومثانـــى

ويستمر الحوماني وبعده يشترك الجميع بهذه الابيــات :

وادي العرائش أنت أجمل بقعة	تختال فيك أوانس وغوانـــى
من كوثر الخلود وس ماؤك قد جرى	سلســالــه أم عن ربى لبنـــان (١)

والقصيــدة طويلــة نكتفـى منهـــا بما ذكرنــاه علـى أنــه نمـوذج مـــن الشعــر المشـــترك .

---

(١) ديـــوان الحوماني ص ١٢٠

الشعر الفكاهي

اذا كان الناس يطلقون الفكاهة لمجرد التسلية والترفيه ويعمدون الى السخرية تقريعا وتجريحا فان العامليين لم يطلقوها على هذا الأساس الا في مجالسهم الخاصة أما مادبجته أقلامهم فالوضع فيه يختلف تماما فقد عاد العامليون بالنكتة الى أصلها فهي - في اعتقادي - من هذا القبيل ثورة مبطنة - وجد مغلف بالهزل .. هي نقد لاذع مر يحمي نفسه بخفته وبثيابه المموهة حيث يأسر المشاعر فيمنعها عن الانتقام المباشر ولكنه عندما يختمر في النفس ويستقر في الداخل فيصبح لكل حادث حديث . وهو يؤدي غرضه الاجتماعي والسياسي في آن واحد دون اثارة وجلبة وصخب .

ان الفكاهة أو النكتة او الكلام الساخر فلسفة عميقة يلجأ اليها الذين يشعرون بالضعف ولا يأنسون في أنفسهم القوة على مقاومة مايحيط بهم من ظلم وانحراف فينفسون عما في أنفسهم بهذا النوع من الكلام الساخر وليس ببعيد عن هذا ماصنعه ابن المقفع وغيره ممن وضعوا قصصهم ونقدهم على ألسنة الحيوانات حيث كانت تبعث الراحة والطمأنينة في النفوس وتقبل عليها الناس دون ملل على أن المقصود منها حسب الظاهر الترفيه عن النفوس المكدودة والعقول المجهودة ... ولم يكن في الواقع هذا المقصود ..

ان سنة الحياة تقتضي أن يكون لكل مخلوق سلاحه وقد وهب الله للانسان عقلا جبارا وجسما يختلف من واحد لآخر فالذي يستطيع الاعراب عما في نفسه ويقدر على الافصاح بحرية عما يختلج في صدره من ثورة عارمة أو رأي معين يلجأ الى الخطابة والحوار والخطابة دليل للقوة والحوار دليل الحرية والشعراء في ذلك يمثلون الناس بطبائعهم المختلفة المتناقضة فالمتنبي لجأ الى الشعر الحماسي الممتلئ قوة وادعاء .. أما ابو نواس فقد سلك طريقا آخر وابن المقفع نهج نهجا مباينا .

وهكذا فالذين لايأنسون بأنفسهم القوة للتعبير عن آرائهم فانهم يراقبون الاوضاع من بعيد ويلجأون الى طرق مختلفة متباينة كضرب الامثال والتهكم والسخرية ٠٠ ولا ننسى أن من الناس من يلجأ الى الاعتصام فى الجبال لاعلان الثورة والتمرد كما حصل قديما مع الزنج والقرامطة وسواهم وكما يحصل اليوم مع الذين يحتنقون مبادئ تناقض تلك التى تسير مجتمعاتهم على أساسها ٠

لقد كان للعامليين أسلحة مختلفة للتعبير عن نقمتهم أو المقاومة السلبية والفكاهة واحدة من هذه الاسلحة الرهيبة الفتاكة ٠٠ وهم فى ذلك لايقصدون الدعابة البريئة أو المرح الناعم بل كان الحقد ينساب من بين الحروف كانسياب الافعى بين الحشائش والثورة تتفجر من بين الكلمات كتفجر البراكين فى قمم الجبال ٠٠

كانت سخريتهم ضاحكة وباكية فى وقت واحد ساخرة ثائرة فى قالب واحد ٠٠ وهكذا تجتمع الاضداد كما يجتمع الشتاء والصيف على مسطح واحد وهذا من المجائب ٠

ومازال عهدنا قريبا (بالميساويات) وقد اهتم النقاد بالشعر الفكاهى فى جبل عامل فجمع السيد على مروة عددا كبيرا من القصائد الفكاهية فى كتاب أسماه " من روائع الادب الفكاهى العاملى " كما وأصدر الشاعر الياس لحود ديوانا أسماه " فكاهيات بلياس الميدان " أما الحومانى وشرارة والعبد الله قد لمسنا الروح الساخرة المتهكمة فى شعرهم الكثير الذى استعرضناه ونكتفى هنا بنماذج نختارها من ديوان الياس لحود — المذكور ومن كتاب على مروة ٠

يقول الياس لحود من قصيدة عنوانها " الصفحة الثانية " من مذكرات حمارة

فى السادس من تشرين صباحا
سقطت أذنى الواحدة اليمنى

تقلص ممول فكى وقصرت
كل عظم الوجه حلقت الذقن
بسيف الانفاس المصقولة • أنكرت المخلات الفكرية
أشبعت الاسطبل شتائم
أتخمت الايلم لبيطا
وجع البطن تمدد في السنوات السبع
عادت أمي تحمل أقراص الرأس من النافذة
و نام الباب على التبانة لم تعرفني أمي
لمست رجلي وبعض مؤخرتي المشدودة
لم تعرفني رغم تذكرها
للحافر والمسمار
ودقات البيطار
وقفت تنهق حبا وتنادى •• نام الباب
على التبانة لم يفصل بينهما الماء
خرجت قبيل الظهر من الايلم الاسطبلية
لم أرع الكلمات ولا عشب الحرية
لم أمشق ورق الاغصان القبلية
وعلى شوك حزيران غمرت حماره سائسنا
قبلت زوايا شفتيها انهلت عليها حبا
وظهرت في تلفزيون المقهى بعد دعاية غاسلات الهوفر
سرت على أصابعي ،فرحت أصابعي وتناست
دقت أنفاسي طبلا تفاحيا
خلف الظهر بسبعة أعوام عوراء رفست الماضي
أكتب للذكرى والتاريخ الهارب من القاء القبض
في اليوم السابع من تشرين
أسافر في أشواق الرعشات المضغوطة

وفي الثامن والتاسع ...
مازلت أسافر والمخلاة وأسطبل الذكرى .
متعمدا أن من الذاكرة
أودع باقي الصفحة في قاموس الأمس الغاضب
وأسجل قبل نهاية هذا الحزن التاسع - اني
أرفض حسرتي الموروثة ... (١)

وهكذا فالحمار يتكلم ويتذكر ويكتب في السادس من تشرين بالذات ... والحقيقة أن الرمز يلمع بدورا بارزا في كل قصائد الشاعر لحود ونحن بحاجة لقراءة فكاهياته مثنى وثلاثا حتى نتمكن من ادراك مايريد ومع هذا فاننا نفهم للوهلة الاولى أن الشاعر يتهكم على العرب في تخاذلهم مع العدو الصهيوني وتبقى مذكرات حمار الشاعر لحود ترنو الى حمار بل حمير توفيق الحكيم ولا ندري الى من يرمز كل منهما في حماره فالحكيم يرمز بحماره الى الصبر والجلد أما لحود فهو يرمز به الى البلادة والغباء ... هذا بحسب الظاهر . ومن حمار لحود الى حمارة نجيب مروة الذي " كان عنده حمارة سوداء أسماها الكحلا فركبها في بعض السنين قاصدا " بصرى اسكي شلم " من أعمال حوران وفي أثناء سيره ماتت فرثاها بهذه الابيات:

خرجت قبيل الصبح من أرض "عامل" الى جهة فيها على الدهر أنصر
وفي القلب من داء الخصاصة جذوة من النار في طي الحشا تتسعر
ورحت أجد السير فوق حمارة عن الخيل في البيداء لاتتأخر
وقلت اله العرش كن لي حافظا فأنت بأحوالي من الخلق أبصر
الا فاحمني من جور عيسى (٢) وظلمه فاني لمثله خائف متحذر
الهي أجرني من أذاه فانني على حكمه ياذا العلا لست أصبر
الى أن أتينا بانياس عشية فبت وفي أمر الطريق أفكر

---

(١) فكاهيات بلباس الحيد أن ص ٣٠
(٢) عيسى الذي سبقت الاشارة اليه في (الميساويات) .

ولما تبدى الصبح عزجت صاعدا ... الى "جب آتا" والحمارة تشخر
فقلت أتي عيسى ولا مرحبا به ... وانى على ارجاعه لست أقدر
فسرنا على مهل ومازال عزمها ... بتلك الروابى يضمحل ويقصر
وحيث أتينا "عرطوز" جاءها القضا ... ء الذى عنه وقته لايؤخر
فقامت على وجه الصعيد وقد غدت ... تجيل بعينيها الى وتنظر
ولما تدانى الظهر ماتت وأودعت ... هموما بقلبى بعد مالا تقدر
فعزيت نفسى والفتى رغم أنفه ... يبعض الرزايا قد يثاب ويؤجر
وأبقيتها للطير والوحش عشوة ... وقلبى على فقد انها يتحسر
وحملت "خرجى" فوق كتفى كأننى ... طبيب بهاتيك القرى أو مطهر
وكان فؤادى حين ماتت غريبة ... لتذكارها بعد النوى يتفطر
ظبيت بنيها يوم أودى بها الردى ... وأرحامها من أرض "حبوش" حضر (١)
سيبعثها الرحمن من بعد موتها ... وأركبها بين الورى يوم أحشر

وهكذا نرى أنه فى رثائه للكحلا رثى نفسه أيضا ومن الشعر الفكاهى الخالص ماكان يتراسل به كل من نور الدين بدر الدين وجعفر الأمين ومحمد فلحة وعلى الزين وغيرهم ونكتفى هنا بالاشارة اليه فقط •

الأمومة والطفولة فى الشعر العاملى

ومن الشعر الاجتماعى مايقال فى الام والطفولة ولم يهمل الشعراء العامليون هذا الجانب الهام من حياة الاسرة وذلك أن عاطفة الامومة والطفولة لدى الانسان فطرية وهى لذلك تتشابه بل توشك أن تكون واحدة عند جميع الشعوب مهما تباينت المجتمعات البشرية من حيث الحضارة والتطور •• بل ان تلك العواطف تتعدى الانسان للحيوانات العجفاء •• فكل والد يحدب على ولده وكل مولود يتعلق بأهله والحب فى ذلك هو العاطفة المقدسة

(١) على مسروة ص ٤٩

الصادقة الخالصة من الشوائب .. واذا كان كل حب يجمع بين الناس يعتبر عابرا أو زائلا فان حب الامومة والابوة والبنوة ثابت فى معاييره وصادق فى تعابيره لاغبار عليه ولا شك فيه والتعبير عن ذلك الحب يختلف من واحد لآخر الا أنه فى مجملة تعبير شاعرى حتى ولو كان من غير الشعراء فأنت عندما تلاعب ولدك فانك تلاعبه على نغمات وتيرة وكأنك تغنى أعذب سيمفونية وأنت تحسن الغناء .. وكذلك أنت عندما تنادى أمك فانك كما يقول الله فى كتابه العزيز تخفض لها جناح الذل من الرحمة وتمحضها الحب الخالص والولاء المطلق .. انها الام ولم يكن الشعراء الماليون الا من هذا القبيل حيث أنشدوا لاطفالهم أحلى الأناشيد ورتلوا لامهاتهم أعذب الألحان . يقول كامل سليمان :

ما الأم الا ملتقى العطف ومأوى المغفرة
تحوطنى عاطفة ظاهرة مستترة
فكم قطعت نومها فى ساعة مبكرة
فبت بجانبى ساهرة محيرة
فكم لها من منن فى عنقى مسطرة
وفضلها يعجزنى وكيف لى أن أشكره (١)

وهى التى لايزول حنانها من القلب كما يقول وديع ذيب :

حنانك كيفما أمساه يرجى
لقاء المكرهين على انتزاح
ولولا طيفك الغالى لضاقت
الى الدنيا على رحب البطاح (٢)

---

(١) اشراق ص ١٥
(٢) غيوم ظلمئة ص ٢٨

ويراها محمد سليمان ظاهر كاشراقة الشمس عند الصباح :

اذا ما اشرقت شمس الصباح
وفاح الطيب من صدر الأقاح
تلألأ مشرقا فوق البطاح
محيا الأم في هذا الوجود (١)

ويسأل فؤاد جرداق عن سر تكوينه مشككا فيجيبه العقل بلهجة الحازم سل الأم :

لقد سألت النهى عن سر تكويني ... وبالشكوك سهام الروح تكويني
أجابني العقل لاتنسى الامومة أن ... ذهبت تبحث عن سر وتبيين
فقلت لاشيء في ذا الكون يصرفني ... عن الظنون سوى أم توءاسيني (٢)
لو لم تكن في الورى مخلوقة لغدت ... الهة انها بعض البراهين

ثم ينظر اليها وديع ذيب مرة اخرى فيراها صورة ترتسم في حنايا القلب وكلمة كأحلى ماحوى الكلام :

لفظ على السمع أشهى ماحوى الكلم ... وصورة في حنايا القلب ترتسم
أقول امي فيصفي الكون في شغف ... وكل ساطعة في الافق تبتسم
لو أدرك الناس ماقاسته والدة ... ماقام في الارض حرب أو أبيح دم
كأنها رحمة البارى ورأفته ... فلا انتقام ولا من ولا برم
ياجنة الله في الدنيا وراحته ... يابلسم القلب أمامه السقم (٣)

ويفتقدها عبد المطلب الامين فيدفنها في قلبه كما دفنت في الرمس ويقول :

أقبرك أم قلبي بسرود اودوحة ... لأنت على الرمسين وقفة أنوار
بكيتك يا أمي كمسبرة تاكل ... فقطى على الاشعار مدمعي الجاري

---

(١) أجنحة ص ٩٥
(٢) العرفان م ٤٤ ج ١٠ تموز ١٩٥٧ ص ١٠٢٣
(٣) العرفان م ٦٠ تموز ١٩٧٢

ثم يستيقظ الشاعر فجأة ويرى أنه كان عاقا لها فيقول :

عقوقي ياأماه مثقل أوزاري ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وملزمني صمتي وملبسي عاري
سماحك ياأماه ان ند عن فمي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ سوى اسمك الحلو النزيه عن العار (١)

هذا أما عاطفة الام نحو ابنها فانها أقوى من عاطفة الابناء نحوها الا أننا لانعثر عليها شعرا لقلة الشاعرات من النساء العامليات لكن زينب بنت علي بك الاسعد المتوفية ١٣٢١ هـ تكشف لنا عن بعض تلك المشاعر في أبيات بعثت بها لولدها محمد بك سهيل وهو في المكتب السلطاني ببيروت :

بني رعاك الله قلبي في لظى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ غلت لم تسكن حرها ادمع سجم
واصبو لريح هب من نحو أرضكم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وأرقب نجما فوق مصركم يسمو

ثم تقول في قصيدة أخرى :

شوقي لقبلة عارضيك شديد ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ والعيش لايحلو وأنت بعيد
يامن رمى قلبي بالسهم بعد ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ رحماك شوق بأد معي أخدود
ان كنت تنكر مابقلبي من أسى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فنحول جسمي والدموع شهود

ولها في ولدها :

فياغائبا عني وفي القلب شخصه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ترفق بأحشاء نواك يضيرها
أتت منك يامن جاور القلب شقة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أزيلت بتسكاب الدموع سطورها (٢)

ونبحث عن الطفولة وما تركته من آثار في شعر العامليين فلا نعثر لها على أثر الا نادرا ولعل ذلك عائد لكون العامليين لم يدرجوا حتى الخمسينيات على الاحتفال بأعياد الميلاد لأطفالهم اذ أن تلك المناسبات عادة ماتحرك القرائح لقول شيء ما . أما أن يترك الأمر للطفرات العاطفية فان ذلك قل أن يأتي بشيء وقد تكون أميرة الحوماني الوحيدة التي وضعت

(١) ديوان عبد المطلب الامين ص ٦٧
(٢) الاعيان ج ٣٣ ص ٣٧٢

بعض القصائد للاطفال وقد جاءت عواطفها مشوشة مصطنعة وهي في ذلك كما قال الشاعر الآخر :

لايدرك الشوق الا من يكابدها   ولا الصبابة الا من يعانيها

ذلك أن الشاعرة لم تعرف طعم الامومة ولم تنجب أطفالا . وصفت الشاعرة مولد طفلة بقصيدة عنوانها " لارا " تقول فيها :

لارا ...
وهللت في الافق البعيد كوكبا سارا
حفت به زهر النجوم لديه سمارا
يرنو الى الدرب القديمة كيفما دارا
هو ذا اهتدى .. أضحى لنا في حينا جارا
قمرا تواكبه النجوم يفوق أقمارا .. لارا
وهللت في أعماقنا نغما وقيثارا
وقصيدة حار الخيال بنسجها جارا
يابسمة للفجر أفعم نورها الدارا
لازلت بسمة فجرها للدار انوارا (١)
وتبارك الخلاق ياقمراً .. يا   لارا

الشيب و الشباب

يلتصق ذكر الشيب والشباب بالنفس التصاقا مباشرا فذكر الشيب في الشباب يؤرقها وذكر الشباب في الشيب يؤلمها وكلنا يتنازعه هذا الشعور الدقيق ، وكل انسان يتمنى أن يصفو له الدهر وليس الدهر بصاف ، فلا يبقى أمامه بكاء الايام وبكاء الايام كالبكاء على الأطلال والشباب طلل في عهد المشيب .. يقول أبو فراس الحمداني :

(١) العرفان م ٦٢ ج ٤ ص ٤٧٤ نيسان ٩٧٤

سيذكرني قومي اذا جد جدهم | وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

أجل لايفتقد البدر الا في الليالي المظلمة وهذا أمر طبيعي جدا والشباب في عهد الشيخوخة كالبدر الآفل وتمعن دائما أيام الشباب ولياليه على بال الشيوخ فيرثونها رثاء مرا .. والشعراء العامليون كغيرهم كانوا ومازالوا يودعون الشباب ويحنون لأيامه ويذكرونه كثيرا في الوقت الذي يتحدثون فيه عن الشيخوخة قليلا ولعل من نافلة القول أن نقول أن الشيوخ هم الذين يتحدثون عن الشباب بهذه اللهجة الرومانطيقية الحزينة الباكية الشاكية ومن هؤلاء الشيوخ احمد عارف الزين وسليمان ظاهر ومحسن الامين .. وغيرهم ، وقد أكثر السيد محسن الامين من الحديث عن الحديث عن الشيب ومما قاله :

باتت تعيرني بالشيب حين بدا | قلت هيهات مابالشيب من عار
ماشاب حلمي ولا عزمي ولا نقصت | ياس بالشيب لذاتي وأوطاري (١)

ثم نراه في قصيدة أخرى يفلسف العلاقة بين المرأة والرجل على أساس القوة والمال فالمرأة تهوى الرجل شابا غنيا وتقليه فقيرا كبيرا :

والغيد الف للشبيبة والغنى | وضرائر للشيب والافلاس

ويقول :

أفمذ ما اشتمل المشيب براسي | والان صرف الحادثات مراسي
أرجو من البيض الحسان مودة | هيهات ، الجراح شيب آسي (٢)

وله من قصيدة أخرى :

أفمذ مابيض القذال وشابا | ترجو لوصل الغانيات ايابا
هيهات ذاتك ماطلبت وقطعت | بيض الكواعب دونك الأسبابا
كانت وأوجهها اليك بواسم | فاليوم يصرفن الوجوه غضابا

---

(١) معادن الجواهر ج ٣ ص ٢٧٩
(٢) معادن الجواهر ج ٣ ص ٢٨١

والشيب ذنب ماله من توبة ولربما اعتذر المسئ وتابا
لهفى على عصر الشباب مضى ومن لى بالجمامة أن تعود غرابا (١)

ويقول :

لئن كان قد ولى الشباب وعصره وناف على الستين لى سنتان
فما شاب لى عزم ولا فل ساعد ولا حل لى ركب بدا رهوان (٢)

ثم نراه يقف على شرفة الثمانين فيذكرنا بزهير بن أبى سلمى ويقول :

تلك الثمانون لو مرت على حجر لصدع الحجر القاسى أو انشعبا
ليس الشباب الذى ولى بمرتجع فمن يعود شباب بعد ما ذهبا
لكنما همتى بعد المشيب كما كانت وأبعد فى شأو العلا طلبا (٣)

وثمة شاعر آخر يودع الشباب وأيامه وهو فى الخمسين من عمره وهو السيد محمد الحسين محمود الامين المتوفى عام ١٣٦١ هـ فيقول :

ودعت شرخ شبيبتى وغرامى وأرقت من بعد الدموع مدامى
ومن السفاهة أن أضيع خمرتى حتى الثمالة ثم أضغط جامى
خمسون عاما كلها مرت ولم أبصر بعزتها مسرة عام
مستسلما للدهر طوع صروفه وصروفه تطغى على استسلامى (٤)

وكثيرون أولئك الذين تكلموا عن الشيب والشباب من شعراء جبل عامل ولكننا نكتفى بهذا العرض الموجز مما قيل فى ذلك الشأن .

ـــــــــــــــ

(١) معادن الجواهر جـ ٣ ص ٢٨١
(٢) الاعيان جـ ٤٠ ص ١٢٦
(٣) الاعيان جـ ٤٠ ص ١٢٣
(٤) الاعيان جـ ٣٧ ص ٩٥

الحنين .. في الشعر العاملي

الحنين بكاء على الماضي وتطلع الى ماخلفته الذكريات على صفحات النفس الانسانية المتلهفة ... وكلما تذكر الانسان الماضي وأحس بالهوة السحيقة مابينه وبين الحاضر أحس بدنو أجله وتفاهة الحياة . وهذا هو الذى يجعل الانسان يحس بحلاوة الماضي . وكأنه يلجأ اليه هاربا من الواقع محتميا من الايلام وجورها .. ولعل حلاوة الماضي نسبية فالمرء يحس بها حلوة ولو كانت مرة كالعلقم فهي حلوة مادامت قد مضت بسلام أما الآتي فالله يعلم بعدده ونتائجه ولذلك لايرتاح الانسان اليه ولا يطمئن لعواقبه . بل يتحسر على الماضي وكلما كانت الذكريات التى يختزنها العقل جميلة كلما كان الشوق اليها جارفا والحنين لمعاودتها قويا .. فالحنين شعور انساني سحبه الانسان على الحيوانات التى ترافقه فى حله وترحاله كالناقة والفرس والكلب وما شابه ذلك قيل " حنين كحنين الابل الى أعطانها" اشارة الى قوة الحنين قال الشاعر :

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى وانى وإياها لمختلفان

والهوى هنا الحنين الذى يكون لالف أو ابن أو أب أو أم أو صديق أو حبيب .. وأهل القرى والاريا ف والبوادى أقدر حنينا وأصدق عاطفة من أهل الدساكر والحواضر .. والتنقل والترحال يرافقهما حنين قوى والعامليون كما ذكرنا سابقا أهل قرى وأصحاب هجرة وارتحال والذى تتصف به حياته بعدم الاستقرار يتصف معها برهافة المشاعر والاحاسيس وشدة الحنين والشوق المشوب باللهفة الى الربع والعشيرة والوطن .. فالمرء يحن الى مرتع طفولته والشيخ يحن الى مرابع شبابه والمهاجر الى وطنه ومسقط رأسه واذا عاد فانه يعاوده الحنين الى مكان آخر هو مكان هجرته السابق وهكذا تدور دائرة الانسان في فراغ دائم ولا يعرف لها طرفا .. وقد انتشر العامليون بعد الخمسينيات في أرجاء المعمورة فاضطربت عواطفهم واضطرمت أشواقهم واتقدت

مشاعرهم بالحنين الذهب .. وكانت الهجرة عاملا جعل الشعر العاملي يمتلئ بالحنين .. فهم يحنون الى القرى التى انحدروا منها والى العراق حيث جامعة النجف التى خرجت العديد من علمائهم وشعرائهم والى دمشق حيث كانت طريقهم الى العراق وكانوا يترددون اليها بين الحين والآخر وكذلك حنوا الى مصر حيث طرقوا بابها مرارا .

ولما كان شعر الحنين يغرى بالاسهاب والاسهاب مطية السأم والضجر فاننا نختصر الطريق ونكتفى بعرض بعض المطالع والابيات التى قيلت فى هذا الغرض ففى ذلك من الدلالة مايكفى .

ولا شك اننا سوف نراعى التسلسل الزمنى فى عرض الشعراء ففى مطلع القرن العشرين شهد جبل عامل ولمدة لاتزيد عن خمسة عشر عاما ثلاثة من الشعراء الذين وصلوا الينا من القرن التاسع عشر وهم شبيب باشا الاسعد ومحمد سليمان جواد وزينب فواز ، وهؤلاء الثلاثة غادروا أوطانهم لأسباب متباينة فشبيب باشا كان يبحث عن المجد والامارة أما محمد سليمان جواد فقد هاجر الى مصر برحلة علمية لطبع كتاب " مفتاح الكرامة " أما زينب فقد هاجرت الى مصر مع زوجها ، وكما نرى فان أسباب هجرة الثلاثة متباينة وبالتالى فان الحنين سوف يختلف من واحد لآخر من حيث الصدق والمواطف فشبيب باشا يحن الى حماه حيث الحبيب والاهل والاصدقاء فينحب ويبكى ويلبس من السقم والبلا أثوابا ويخلع للسرور أثوابه عندما يغادر الوطن فيتطلع الى أحبابه قائلا :

وقد جددوا أثواب سقمى ولوعتى ۝ وثوب سرورى ساعة النأى أخلقوا

ثم يتشوق نحو دياره :

ولى نحو هاتيك الديار تشوق ۝ وللقلب للا حساب فيها تشوق

وحنينه كحنين الظليم لالفه ونوحه كنوح الحمام :

حنينى كما حن الظليم لالفه ۝ ونوحى كما ناح الحمام المطوق (١)

ديوان شبيب ص ٢٥٦

وفي مكان آخر نراه يضيق ببلاد الروم حيث كان يقيم لمقابلة السلطان :

وضقت بأرض الروم ذرعا واظلمت　　مغاربها في ناظري والمشارق
وأرق اجفاني اغترابي كأنما　　بهما أغمدت دون الجفون البوارق (١)

اما زينب فواز فحنينها الى ربوع جبل عامل رقيق كرقة طبع المرأة ناعم كنعومة ملمسها حزين كحزن التأمل .. واستمع اليها وهي تبكي شوقا الى وطنها وهي تخاطب قلعة تبنين :

ابكيك ياصرح كالورقاء نادبة　　شوقا اليهم الى أن ينتهي الأجل
قد كنت مسقط راسي في ربى وطني　　ان الدموع على الاوطان تنهمل
"تبنين" ان كنت في بعدي على حزني　　فعند قربي الحشا بالوجد يشتعل
وقفت وقفة مشتاق بها شغف　　على آرى أثرا يحيا به الأمل (٢)

اما محمد سليمان جواد فيحن الى وطنه حنينا غريبا فهو لايحتمل الغربة وقد فعلت به فعلتها فأقضت مضجعه وحرمته النوم والهناء ونراه يعد الايام شهرا شهرا ويوما يوما فيستطيلها فاليوم شهر والشهر دهر . استمع اليه في حنينه وقد بعث به الى والده عام ١٣١٠ للهجرة عندما كان في مصر :

مضى ربيع وجماد وعاد　　وحاجتي تنفك ملء الفؤاد
متى أرى ربع المنى ممرعا　　وزرع آمالي قريب الحصاد
وكم الاقي رغبتي شائلا　　مهزولة السقب وعامي جماد (٣)

ثم انظر اليه في قصيدة أخرى يظهر فيها الحنين القاتل والشوق اللاهب حيث يقول :

اذا عد يوما أشهر العام سائني　　جماد على تكراره وربيع

---

(١) ديوان شبيب ص ٢٦٠
(٢) الاعيان ج ٣٣ ص ١٧٧
(٣) الاعيان ج ٤٥ ص ١٩٦

وفيها يقول :

الى الله انى للفراق جزوع | وان فؤادى للقاء نزوع
وانى على حكم البعاد لصابر | الى حين يقضى للغريب رجوع
ولى كبد مأسورة بيد النوى | ومطلق جفن أغرقته دموع
ومهجة مشتاق طويل زفيرها | وأحشاء صب ملئهن صدوع
وانى لأستنشق النسيم لأنه | يخالط ريا أرضكم فيضوع

ثم يحن في قصيدة أخرى فيقول :

هذه دارهم فحى الرسوما | واقرها الدمع ان قرتك الهموما
وتنشق ريا النسيم برباها | فما أطيب الشذا والنسيما (١)

هذا حنين العامليين الى وطنهم من تركيا وأرض الكنانة وكما رأينا فانه جاء من مصر حارا محرقا ومن تركيا باردا مصنوعا ، وذلك أن هجرة العامليين الى مصر كانت محدودة ضيقة في ذلك الوقت ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان نفسية الشاعر هى التى تحدد مدى العواطف وأبعادها فشبيب باشا عندما يذهب الى تركيا انما يسافر الى هناك لفترة محدودة وله فيها معارفه وأصدقاؤه ، أما الآخران فقد سافرا الى مصر وأقاما فيها مددا طويلة دون أن يكون لهما فيها الف وعلى الأخص الشاعر محمد سليمان جواد •

أما حنين العامليين الى العراق فان وضعه مختلف تماما فالعراق مقر دائم للعامليين لم ينقطعوا عنه أبدا فهم يطلبون العلم من النجف وقد يستقرون هناك أو يعودون اليه •• ولذلك عندما يذهب العاملى الى العراق يجد فيه من الاهل والاصدقاء مايتسلى بهم فيعيش بينهم ويجد بهم المعين على الغربة •

---

(١) العرفان م ٥٢ ج ٣ سنة ١٩٦٤ ص ٣١٢

ولما كان الذاهبون الى العراق هم من طلاب العلم الديني فانه من الطبيعي أن يكون شعرهم تقليديا في الحنين وغيره ومن هؤلاء عبد الحسين صادق وعلي الزين وحسين مروة وهاشم محسن الامين ومحمد شرارة وعبد اللطيف شرارة والشعراء من آل فضل الله وغيرهم •

وهذا عبد الحسين صادق يجسد تلك الصورة التقليدية من صور الحنين فلا بكاء بها ولا دموع وكأني به وقد أراد أن ينظم في الحنين فنظم دون أن يكون قد أحس بحرارة الشوق • اسمعه يقول :

مابارق موهنا من عامل ومضا ... الا وأودع قلبي حسرة ومضى
ولا تنشقت مجتاز النسيم بها ... الا وصار فؤادي للجوى غرضا
ولا ذكرت بسفح المرج معهدنا ... الا وذكراه أهدت للحشا مرضا(١)

وهكذا •• ثم ننتقل الى الحوماني فلعلنا نجد الفرق بين حنينه وحنين الاول •• والفرق واضح لأن الحوماني مناضل وقد أبعد عن وطنه قسرا أما عبد الحسين صادق فليس كذلك فاهتمامه بالقضايا الوطنية مخملي الملمس بحيث لايؤدي ولا يؤذي وتبعا لذلك يكون الحنين • انظر معي فيما قاله الحوماني في منفاه :

في روضة لا العيش غض الجنى
فيها ولا الظل لديها ظليل
يطربني البلبل في دوحها
شدوا ويشجيني النسيم العليل

أضعاف ما أنشر من مقلتي ... تنشر فوق زهرة الياسمين
أبكي وتبكين فهل بايمت ... دمعك يازهرة فرط الحنين
ياليل قصرت شبابي فما ... أطول نجواك على الوالهين
لا البدر في عيني منير ولا ... فجرك ياشرق أغر الجبين

---

(١) سقط المتاع ص ١٩٦٤

وهاتفات فوق أغصانهـا يرجحن بالنوح كما يغتدين
اندب أوطاني فتبكي دما عيناي يا ورق فمن تندبين

ثم يخاطب بعد قليل تلك الورق بقوله :

ياجارتا جار علينا الردى فاعتبري أن الليالي عبر
ذكرتني من لا أرى للكرى في ناظري بعدهم مستقر
تعبث بي ذكراهم مثلما يعبث بالروض نسيم السحر (١)

ويوزع السيد محسن الامين قلبه بين دمشق مقر اقامته وجبل عامل مسقط رأسه ومرتع صباه فهو في دمشق يحن لعاملة وفي عاملة يحن الى دمشق وهكذا ...

حيا الحيا الهامي معاهد جلق وسقى ربوع النيربين بمغدق
وهمت بأرض الغوطتين سحائب تروى الرياض بمائها المتدفق
هل "قاسيون" كعهدنا أم هل جرى بردى بماء بالرحيق مصفق

ويحن الى جبل عامل فيقول :

هجرت جبال عاملة وآلت بي الأخرى الى سكنى دمشق
وما أوطنتها لرغيد عيش بها قد نلته ووسيع رزق
ولكن طاب لي فيها انزوائي عن الدنيا ومن وفيها وعتقي (٢)

وفي الحنين الى العراق يقول الشيخ محمد رضا الزين :

نأيت وقلبي للعراق تدانيه وزند اشتياقي في الحشاشة واريه
أحن اليه لا الى الغيد والمهى وأهوى مغاني قطره لا غوانيه
وأصبو الى مغناه أطلب مهجتي ومذ بنت عن "بغداد" ابقيتها فيه
سأبكيه بالدمع المذاب من الحشا وان قل هذا قلت بالنفس افديه (٣)

اما عندما يكون العاملي في " باريس " فان حنينه الى وطنه يأخذ طابعا آخر

---

(١) الديوان ص ٤١
(٢) الاعيان ج ٤٠ صفحة ١٣٧ـ ١٣٨
(٣) الاعيان ج ٤٥ صفحة ١٢٣

فالذكريات التي تختلج في صدره ترسم صورا ذهنية لا مثيل لها في فرنسا وهذا مايؤكده حسن الامين الذي يقول وهو في باريس :

شوق على "باريس" روعه البعد　　　　واورث حناياه الكآبة والوجد
اذا ضحك السمار هاجت شجونه　　　　وان شدت الاوتار يبكيه مايشدو
يحن الى الاحباب شطت ديارهم　　　　ويهفو الى الاوطان غيبها البعد (١)

ونختم حديثنا عن الحنين بقصيدة للشيخ سليمان ظاهر تتجلى فيها الرقة والعاطفة :

أعامل والجزيرة لـي بـلاد　　　　ولي في أهلها أهـل وصحب
لها حب بقلبي غير ان الـذي لـك فيه لـم يشبهه حب
لئن صاحبت غير بنيك قوما　　　　فكم مستصحب من لـم يحب
وعيشا كنت اقطعه وثوبا　　　　بأرضك ليت اني منه أصبو
وما وطني سوى جسدي وروحي　　　　ومنه غذاهما جسود وتـرب
سأقضي ماحييت له حقوقا　　　　الى أن ينقضي أجل ونحب (٢)

وهكذا كانت عاطفة الحنين تتأجج في صدور شعراء عاملة فينبعث عنها شعر رقيق يجسد المشاعر الصادقة والعواطف الجياشة بحب الاهل والوطن والاخلاص في ذلك ، كما يتجلى في حنينهم حبهم لاقطار العروبة أينما كانت ، وقد اتضح ذلك في الحنين لمصر والعراق وسوريا ...

****

---

(١) العرفان م ٤٣ ج ٧ ص ٧٢٣ نيسان ١٩٥٦
(٢) مكس ص ٢٣٩

التأمــل و الفلسفة
فــى
الشعــر العاملى

ــــــــ

التأمل هو التفكير بظواهر الطبيعة والكون ، والاتجاه الى محاكاتها فى العمق ، ومحاولة الخوض الى أسرار الوجود ، أما الفلسفة فهى وصف تلك الظواهر واستخلاص العبر منها واعطاء الحكم والمواعظ للناس ، وهذا هو التفسير الموضوعى لهذا الجانب الفكرى العميق الذى عالجه شعراء جبل عاملة بنفس الروح التى عالجه فيها الفلاسفة ، والانسان فيلسوف بطبيعته ـ ولعل أحد الحكماء أشار الى هذه الناحية ـ حتى ذلك الفلاح الأمى الذى يتابع محراثه وهو يجسر بقراته وينتظر مواسمه ويعيش على الآمال التى تخيب مرة وتصيب أخرى هو فيلسوف ، لأنه يقبل الفلسفة ، أو ينطق بها فى أبسط مظاهرها وأسمى معانيها ، لأنه يتأمل فى الكون ويسرح خياله الخصب فى آفاق السماء والارض فيطرق خاشعا ومن ثم يخر ساجدا أمام عظمة الله ... ولكل انسان الحق فى أن يفسر ظواهر الطبيعة على قدر ما لديه من طاقات فكرية وعقلية .

ولم يقصر العامليون فى هذا الاتجاه بل كانوا يدرسون كل ما تقع عليه حواسهم وتدركه هواجسهم بكل دقة وامعان وعمق ، فيحاولون الدخول الى أسرار الطبيعة للاستفادة وأخذ العبر ، وقد كان لاتصال العامليين بمصادر الفكر العالمى الحديث والاطلاع على التراث الانسانى أثر بارز فى توجيه أفكارهم وتحديث آرائهم ومعتقداتهم . فقط اطلعوا على الفلسفة اليونانية والفارسية والرومانية والهندية القديمة بنفس الروح التى أكبوا فيها على دراسة الفكر الحديث والنظريات الجديدة كالوجودية والاشتراكية والماركسية وفلسفة داروين ونيتشة ... وكان منهم من انجرف فى تيار بعض هذه الافكار واعتنقها ، ومثالنا على ذلك عبد المطلب الامين الذى آمن بالاشتراكية العلمية واعتنق الشيوعية ... وكذلك صنع عدد كبير من الشعراء الشباب فمنهم من اعتنق الفكر الماركسى ومنهم من استقل

بفكره أو أطلق له العنان على أساس تقدمي غير ملتزم بحزب كحسن الامين وهاشم الامين والحوماني وشرارة وعبد الحسين عبد الله وغيرهم • وعلى رأسهم جميعا محسن الامين •••

هذا ومن العامليين من التزم بفكره الجانب الديني كعبد الحسين صادق وولده حسن • وان كان الثاني قد تحرر نسبيا وحاول الدفاع عن مصالح الجماهير • ومحمد كامل شعيب العاملي الذي ارتضى لنفسه أن يكون شاعرا يسلك طريق القدماء • ثم الشيخ أحمد رضا وعبد الكريم شرارة وبولس سلامة وعبد المسيح محفوظ • وهذان الاخيران مسيحيان ارتضيا لنفسيهما التزام الناحية الدينية التقليدية في الشعر • وقد سبق لنا القول بأنهما متأثران جدا بالفكر الاسلامي ونحن لانميزهما عن الشعراء المسلمين من النواحي الفكرية • ثم عبد الحسين محمود الامين وشبيب باشا الاسعد ومحمد سليمان جواد وزهرة الحر وسواهم •••

ومن الشعراء من عمد الى الشعر الفكاهي ينفس به عن افكاره ويعبر عن ثورته على طريقة التهكم الساخر الثائر • وهؤلاء باستثناء الياس لحود لم يتعمقوا في سبرهم لأعماق فلسفة معينة • الا أنهم كانوا يصدرون في ثورتهم عن معاناتهم الذاتية فجاءت عفوية صادقة نهجوا عن طريقها نهج المصلحين العاجزين لخوفهم من قول الحق وهذه الطريقة في التعبير تعتبر نوعا من الفلسفة الشعبية • ومن هؤلاء نور الدين بدر الدين جعفر الأمين وعبد الحسين سليمان وتوفيق البلاغي ومصباح رمضان ومحمد نجيب مروة وعلي مهدي شمس الدين وعلي الزين وأمين شرارة وسواهم •••

وعلى هذا الأساس فاننا نقسم شعراء عاملة من حيث التفكير الفلسفي العقدي الى الفئات الآتية :

١) فئة التزمت الفكر الماركسي •
٢) فئة التزمت الفكر التقدمي عامة دون الانضمام الى الاحزاب •
٣) فئة محافظة غلب عليها الطابع الديني على تفاوت •
٤) فئة ساخرة جعلت من السخرية وسيلة لنقد الاوضاع واتخذت منها فلسفة خاصة بها •

ومهما يكن من أمر فانه لم يكن من الشعراء العامليين شاعر هامشي منسق بل كانوا جميعا كخلية النحل من حيث الحيوية والحركة والنشاط في أي اتجاه يختاره الواحد منهم . هذا من حيث المعتقد أما من حيث الاثر وهو التعبير الفلسفي أو الشعر الفلسفي فلا بد لنا من التساؤل قبل الخوض في الموضوع : ماهو الشعر الفلسفي أو ماهي الفلسفة ؟ فهل نكتفي بالتفسير التقليدي أم أن لنا تفسيرا جديدا قد لايرضي البعض ؟ وعلى العموم لا مهرب من الخضوع لسنة الحياة من حيث تقليد القدماء لأن آراء هؤلاء ماكانت الا نتيجة تجارب ودراسات وملاحظات ومقارنات مختلفة ... ولكن اذا شعرنا أننا أمام الجديد الذي يرضي ويقنع فما علينا الا أخذه بعين الاعتبار . فهل الفلسفة هي الحكمة والموعظة الحسنة أم هي التخطيط الحضاري الحديث ؟ أم هما معا ؟

فالفلسفة الماركسية تخطط للمجتمع والفلسفة الوجودية واليونانية تخططان للفرد ككائن حي توجهانه دون الزام . أما الفلسفة الاسلامية ـ ان صحت هذه التسمية ـ فانها تخطط للفرد والمجتمع في وقت واحد ولكنها تلزم ولا تنظم ولعلها كانت تتجه هذا الاتجاه أو تريده على الاقل ، الا أن توالي الاحداث وتعاقب الحكام المنحرفين عن الدين ، جعلها في حل من هذا التنظيم أو أبعدها عنه . وتتشعب الفلسفة فهي اجتماعية سياسية اقتصادية روحانية مادية اخلاقية تعليمية ولكل منها اتجاهات معينة وايديولوجيات مختلفة . فهل اتجه الشعراء العامليون للتعبير عن معتقداتهم الفلسفية بشكل منظم أو عفوي ؟

في الواقع ان الفلسفة الملزمة المنظمة لم تدخل حياة العامليين الا بعد الخمسينيات على يد الشباب منهم ، أما فيما سبق فقد غلبت عليهم العفوية في الزهد والحكم والمواعظ التي تصدر عن العلماء والفقهاء ، والتأمل في الحياة والتدبر في الطبيعة على يد الآخرين .

والشاعر الحوماني يعطينا الصورة الصادقة عن الانسان الحر الذي لايخضع لغير مقاييس دينه وعقله وضميره ولا ينطلق الا عن اقتناع فقد حذر

من الشيوعية تحقيق العاقل وطالما نادى بالعدالة الاجتماعية وضرورة التزام الحاكم بالعدل والانصاف بين الناس وطالما حذر المسؤولين من مغبة ارتمائهم في أحضان الشهوات والملذات وتهالكهم في الذات الا أنه لم يجد غير آذان صماء أو عيون عمياء بلهاء أعمتها الأنانية وقلوب قد ختم عليها الجشع والطمع وران عليها الجهل والغباء .. في هذا الجو المشحون بالاحقاد التي تمتمر بها صدور العمال والفلاحين حيث اتسعت الهوة وزاد عمقها بين الحاكم المستبد المتغطرس وبين المحكوم المظلوم والمغلوب على أمره .. أمام هذا رأينا الشيخ محمد علي الحوماني يسخر ويتهكم على الحكام لمهاجمتهم الشيوعية لأنه يرى فيها شفاء لغليله وتنفيسا لأحقاده على النظام فهو يتوقع أن تنقض تلك الشيوعية على الحكام المجرمين وياحبذا ... ولتكن الشيوعية اذا أرادت انصاف الناس كما يقول الحوماني وقضت على رأس الظلم المتمثل بالحكام يقول الحوماني :

وقلت : شيوعية الثائرين   قضاء قالوا : على العالم
قلت : قضاء على المستبد   قضاء على الملك الظالم (١)

والذي يقرأ شعر الحوماني ويستوحي تاريخ حياته لا يستغرب منه تلك الدعوة خاصة وأن الحوماني لم يكن شيوعيا ولا محبذا للشيوعية ولعله على خلاف كامل معها ولكنه يرى فيها الثورة على الظلم والحكام ولتكن صيحته صيحة شمشونية الطابع كما قد يكون أراد .

هذا .. والظلم الصارخ والفساد المستشري والاضطهاد الطاغي وقد عانت ومازالت تعاني منه شعوبنا لم يكن له من دواء الا الشيوعية كما يرى الشاعر .

ويأتي عبد المطلب محسن الامين بعد الحوماني فيعتنق الفكر الماركسي ويدافع عنه وهو ابن السيد محسن الامين المصلح الديني الاجتماعي العظيم ومع هذا نراه قد اعتنق الشيوعية ، وهو لم يكن فقيرا ولم يكن كذلك محروما أو مضطهدا ولكنه تقلب في مناصب عالية : اشتغل محاميا ثم مستشارا

---

(١) السائس والمسوس ص ١٢٤

بوزارة الخارجية السورية ثم قائما بأعمال سفارة سوريا بموسكو ثم قاضيا في لبنان ثم صحافيا ثم مترجما من الروسية والفرنسية ... ومع هذا كان يؤثر حياة الفقر والتقشف تمرد على الحكام أولا وعلى الوظيفة ثانيا ولم يكن ليكتم ثورته شأن الضعفاء والجبناء ... واختار الشيوعية ودربها الملىء بالاشواك والمعثرات وهذا الاختيار بحد ذاته فلسفة فطريق الماركسي في ذلك الوقت يقود الى السجون والمعتقلات ... ولكن الأمين اختار ذلك الطريق دون أن يكون بحاجة اليه وهو المنحدر من عائلة عريقة الاقطاع والزعماء وأستطيع القول بأن عبد المطلب اضطهد السلطة ولم تضطهده السلطة لأنه احتقرها ، وقد مدح الثورة الشيوعية في روسيا وقائدها " لينين " وله في ذلك شعر كثير لا نرى حاجة للخوض فيه وانما نكتفي بالاشارة اليه فقط .(١)

وثمة أفكار وفلسفات انتقدها العامليون كنظرية النشوء والارتقاء "لداروين" فتصدى لها كثيرون وعلى رأسهم الحوماني الذي يسخر منها ويتهكم على قائلها بقوله :

أتتخذ القرد لي والدا	وأنكر أن أبي آدم
وما ضر "داروين" اذ قيل أن	يضل بما سطر العالم
لمل النبيه من الصامتات	وبعض الغباءة في الناطق
دعاه لتسطير مالا يراه	سواه قياسا مع الفارق

******

ولو فاز ذا العقل في الناطقين	من ذي الغرائز في الصامت
لما جهل البدء عن الأخير	فجاء بمذهبه الناكت

******

أرى عمنا القرد لم يؤته	ترقي الفريزة بعض الرقي (٢)
فما لأبيك (وأنت ابنه)	ترقى وعمك لم يرتقي ؟

---

(١) راجع ديوان عبد المطلب صادر عن المطبعة العاملية ١٣٩٦ هـ ١٣٧٦ هـ ص ٥٨ـ٦١

(٢) السائس والمسوس ص ١٢٠ .

وفى ذلك رد مقنع على الفلسفة الداروينية لالبس فيه ولا غموض فمادام الانسان متحدرا عن القرد وقد ارتقى الى ماهو عليه الآن فما بال القرد الذى مايزال قردا حتى عصرنا هذا وهو " عم " داروين لم يتطور ولم يرتق رغم مرور السنين ؟

ويغوص الشعراء العامليون الى أعماق الوجود لسبر أغواره وادراك أسراره بحثا عن الحقائق التى يتخبط الانسان فى البحث عنها دون أن يصل الى مايريد ويبقى فى صحراء الحياة المترامية • ولكن ليس المهم فى الأمر أن نبحث عن هذه الأهداف انما المهم هو العثور عليها وهذا هو المستحيل حتى اليوم كما يقول الشاعر كامل صباح فرحات :

ماكنت أفتن فى غير الخمور وفى ... سوى غنا بلبل يشدو على فنن
لكنما اليوم همى فى الوصول الى ... سر الحياة وما فيها من السنن
فرحت أبحث عن نور الحقائق فى ... دنيا حكى الوهم فيها حالك الدمن
فالخلق هاموا بليل الوهم ويحهم ... قالوا دجى الوهم قمرا رائع الحسن
لكل شعب تقاليد يقدسها ... ان التقاليد والعادات كالوثن (١)

أما كامل شعيب فانه يخاطب الدهر متسائلا عن كنهه :

نروم صفاء العيش مما يشوبه ... وغارب صرف الدهر صعب ركوبه
وما الدهر بالمعطى المقادة كفه ... ولكنه مورى الزناد صليبه
خليق كبالى الطمر باطنه وده ... وظاهره غض الاهاب قشيبه
ويا طالما أعيا الورى سبر غوره ... فبائله فى حيرة وشعوبه
وكم قد جنينا منه كالحلم لذة ... وجادت بأشتات المسرة كوبه (٢)
ظم نستفق الا وقد خاب ظننا ... وفاضت أسى أرزاؤه وخطوبه

أما فؤاد جرداق فانه يجنح فى رباعياته الى الفلسفة والتأمل العميق فيبحث عن أسرار الكون والوجود والحياة ويفلسف ظواهر الكون فيقول :

---

(١) العرفان م ٣٥ جـ ١٠ سنة ١٩٤٨ ص ١٤٨٣ •

(٢) العرفان م ٣٤ جـ ٤ سنة ١٩٤٨ ص ٥٨٤ •

أتيت الى الوجود بلا اختيار … وأتركه غدا دون اختيار
وأحيا فى الوجود ولست أدرى … بأنى فى وجودى غير دارى

ولا يقتنع الجردى بان الحياة لاتتجاوز الأرض الى سائر الكواكب الاخرى ومن يدرى ؟ فلعل العلم يحقق نبوءة الشاعر عندما يكتشف أثرا للحياة فى المريخ وغيره :

من يقول الحياة فى الارض هذى … وحدها قد خلت بدون رفيق
وتخلت عن النجوم الزواهى … والسهى والمريخ والعيوق

وثمة رأى يتعارض مع الدين الا أن الجردى يقول به .

ان الحياة من العناصر صورة … والعقل فيض فى الجواهر مدرك
والكائنات قديمة بذاتها … حسب الطبيعة وحدها تتحرك

وللجردى فى رباعياته الكثير من التأوهات الفلسفية والكثير من التأمل فى الوجود والحكم وقد أدركه التشكيك وسقط فى بحر الحيرة ولكنه لم يغرق فبقى يتخبط وهذا شأن التائهين فى أفكارهم ...

أما الشيخ سليمان ظاهر فانه من طينة تختلف فلسفته هادئة مستقرة كلها تدور حول الاسلام ولا يحيد فيها عما حدده الاسلام كمنهج ارتضاه للناس . وقد نظم ستا وثلاثين قصيدة جمعها فى ديوان أسماه " الالهيات" ضمنها أراوءه التى يدافع فيها عن فلسفة الاسلام ويهاجم سائر الفلسفات الدخيلة الأخرى التى يحكم بفشلها لأنها لاتوءدى الى طرق النجاة :

ماغناء الاقوام من فلسفات … لم تبلغهم طريق النجاة
ركبوا بحرها على غير سفن … من أواذى موجه منجيات
لم تكن سوى حقود نفوس … تضمر اليوءس للورى ماخسوات

أما أولئك الذين عرفوا الله ثم أنكروه فهم سادرون فى غيهم وضلالتهم :

عرفوه لكنهم جهلوه … بالذى قد جنوه من موبقات

وإذا الفلسفات قد حجبتهم عنه عمدا لا أم للفلسفات (١)

ثم يعرض الشاعر بفلسفة ابن سينا قائلا " الرئيس ابن سينا أعرف برسمه فى وجد انه منه ببرهانه ومثله من خاض فى محيط الكون من الفلاسفة " يقول فى القصيدة العشرين :

من مؤد الوكة لابن سينا وهو فى ضيق من الحفرات
أراى فى الشفا شفاء سقام ونجاة من دهره بالنجاة
والاشارات هل أرته جليا ماتعالى عليه من غامضات
وجلا علمه الالهى معنى وسمته زخارف الكلمات
وبقانونه هل اسطاع طبا حاسم الداء عن ذوى العاهات
وابن يقظان هل به أيقظ الوسنى فعادوا للصحو بعد السبات (٢)

ويستمر الشاعر على هذا النسق فيرد على الملاحدة من الفلاسفة ولا يترك برهانا على وجود الله الا وينظم فيه شعرا .

ولعل عمق التفكير يتجلى فى أولئك البائسين من المرضى الذين قضوا معظم حياتهم طريحى الفراش ومات بعضهم فى عنفوان شبابه مثل كامل مصباح فرحات القصد المشلول والذى مات شابا وهو فى الثلاثين من عمره وعبد الحسين سليمان الذى طرحه الجذام ومحمد سعيد يونس الذى تناوشته عدة أمراض وعانى منها سنوات عديدة حتى تمكنت منه وقضت عليه وهو كذلك فى الثلاثين من عمره . أما أبرز هؤلاء على الاطلاق وأهمهم بلا جدال هو بولس سلامة أيوب عصره وسطيحه وقد عاش حتى الخامسة والثلاثين من عمره سليما معافى وكان صيادا ماهرا مقول الساعدين فارسا كأقوى مايكون عليه الفرسان يركب الخيل ويشمخ بأنفه مستزا بشبابه وعافيته حتى فاجأه المرض ورماه وهو مازال يعانى منه حتى الآن بعد ما أشله وأقعده وقد لعبت به مباضع الجراحين طويلا ...

---

(١) الالهيات ص ٧١

(٢) الالهيات ص ٨٤ وفى ذلك اشارة لكتب ابن سينا : الشفاء والاشارات والتنبيهات والقانون فى الطب وحى بن يقظان .

هؤلاء وأمثالهم تيلور أفكارهم فيسيطر عليها الحزن والأسى وتغلفها الكآبة ويتميزون بالتأمل العميق والاطراق اليائس والنظرة السقيمة الى الحياة ويصبح همهم الأوحد التفكير فى الكون والبدء والنهاية والموت والبعث ... الا ترى أن عاهة العمى قد جعلت من أبى العلاء فيلسوفا خالدا ثاقب الرأى عميق الفكر كثير التململ من الحياة والزهد فى الدنيا ؟

وآلام بولس سلامة وزفراته نحسها فى كتابيه " مذكرات جريح " و " حكاية عمر " ومن قصائده الباكية الشاكية " ألم " وقد قسمها الى أقسام : ألم ، جريح ، ألدكتور بدر ، ماضى سحيق ، الشاعر والخطيئة ، أصحابى وأعدائى ، وقصيدة أخرى بعنوان : " وحدة " يشتاق فى الأولى للموت فيقول :

يا موت يا حلم الخيال النائى ... يا صبح آمالى وحلو رجائى

شوقى اليك أشد من غصص الهوى ... وأشد من ولع الهجير بماء

ويتساءل عن سر الوجود فى " الشاعر والخطيئة " فيقول :

يارب ماهذا الوجود تحيطه ... الأسرار مغلقة على الحكماء

ما آدم الا جناح بعوضة ... متقلب فى صرصر هوجاء

أوهى من الخيط الضعيف خلقته ... ونفحته برفيقة بلهاء(١)

ويقول فى " وحدة " :

سوط العذاب أطال سهده ... فرشت لأنته المخدة

أناته الحمراء جارية ... مع الانفاس وقده

ومنها :

ياساجيا أكل الفراش ... ضلوعه وامتص جلده(٢)

---

(١) مذكرات جريح ص ١٥٤ .

هذا وتجد فلسفة النواسى والخيام طريقهما الى شعر الجواهري ، وعبد المطلب الامين وهذان يعتبران بحق شهيدي الخمرة حيث عاقراهما حتى الثمالة وخالفا أوامر الاطباء بعد ما خالفا أوامر الشرع حتى قضت عليهما وهما فى شوق لها ولهفة عليها والغريب فى أمر الرجلين أن الأول مسيحى متشيع لعلى وأهل بيته وقد غلبت عليه السمات الاسلامية والثانى لم يتخل عن اسلامه بالرغم من اعتناقه الشيوعية وقد صدر فى كثير من شعره عن روح اسلامية .

وهكذا نصل الى نهاية المطاف فى رحلتنا مع الفكر الفلسفى لدى شعراء عاملة دون الادعاء باننا وفينا الموضوع حقه .

فى

العتاب والاعتذار

ـــــ

بين العتاب والاعتذار صلة وثيقة وهما يصدران عن نفس مجبة مخلصة آسفة ، وعادة مايكون هذا النوع من الشعر ذاتيا وشخصيا محدود الأثر بين الأحبة والأصدقاء ، فالذى يعتب يحس بتقصير صاحبه معه ، أو تخليه عنه ، أما الذى يعتذر فانه غالبا مايحس بذنب ما ارتكبه بحق من يحب ، وهو غير متعمد للاساءة ، وقد يكون خائفا من عواقب هذا الذنب فيسارع للاعتذار وايراد الحجج والمبررات ، وقل أن يخلو أدب قوم من هذا النوع ، الا أنه يختلف من حيث الوفرة والقلة .. والشعر العاملى وهو صادر عن بيئة تربطها علائق اجتماعية متميزة ببعض الخصائص التى تحدثنا عنها عندما استعرضنا الاغراض الاجتماعية الأكثر التصاقا بالمجتمع لايخلو من العتاب والاعتذار . ومن الذين عتبوا على أقاربهم لظلمهم لحقهم منهم شبيب باشا الأسعد .. وكذلك نجد الاعتذار والعتاب فى آثار شعراء آل الامين وشرارة وغيرهم .

ومما عتب به شبيب باشا على قومه وذوى رحمه قوله وقد التزم بما لا يلزم بأربعة أحرف :

أشتكي قوماً بجور حكموا | بي ورقوا عند هم من هو دوني
كنت في شمل بهم مجتمع | وإذا هم وإذا هم أفردوني
وأضاعوني وفضلي ضائع | وأنا ضيعهم لو جسدوني
قل لأرباب المعالي انني | بين قوم ضائع فلينشدوني
وإذا نادى منادٍ بهم فتى | خير ناد للثريا يجسدوني
اتهموني وأنا المحرق في | ربعهم ماضر لو هم أنجدوني

ثم يقول :

أكره الحاسد والواشي بهم | ويسروا بوشاة حسدوني
لي أنين عند ذكرى لهم | هل دروه اذ هم لم يشهدوني
ولئن هم مذ ركابي قوضت | من حماهم بهوان زودوني (١)

ثم يفخر الشاعر بنفسه ويعلو بها حتى يرقى هام السحاب بعد ذلك العتاب الذي لايخلو من القسوة .

وقد يكون العتاب غرامياً بين الحبيبين وذلك كقول وديع ذيب :

حنانك أي لحن منك عذب | شجا قلبي فخف اليك قلبي
يكاد للوعة يجتاح صدري | وينثر أضلعي في كل درب
كطير زج في قفص ظماً | رأى القضبان حن لكل رطب
فناغاها فما اهتزت لشدو | وعاتبها فما حفلت بمتعب
تبدد حلمه فارتد يشكو | وراح يصول من جنب لجنب
فأدمى جانحيه وحين أوفى | على دنياه خر صريع صب
حنانك حسب هذا القلب وعداً | بساعات اللقاء وانت قربي (٢)

وفي الاعتذار يقول الشاعر ذيب نفسه :

عذرتك في انتحال العذر لما | تلاقينا على غير انتظار
لقد أبصرت في خديك لوناً | يدل على الحياء المستعار

---

(١) الديوان ص ٣١٤
(٢) قلب يغني ص ٦٤

بلغت من التلون كل شأو | فكدت أشك فى لون النهار
بوسك هل ذكرت الأمس ليلى | وقولك لست أملسك بالنظر
حسبتك حمرة النزعات حتى | رأيت الزند كبل بالسوار
عذرتك فاعذرى قلبا رحيما | يحاذر أن يراك من الجوارى
فكم من حلقة للذن رمز | واسورة تشير الى الاسار

وكان علينا أن ندرج هذين الشاهدين الاخيرين فى باب الغزل الا أننا حرصنا على التفريق بين الغزل وكل من العتاب والاعتذار ولو كان ذلك من المختص بالنسيب •

الفخر و الحماس

وهما من الاغراض القديمة فى الادب العربى وبالنسبة للفخر قد تلاشى اليوم الا أنه عاش فى الادب العاملىّ حتى نهاية النصف الاول من القرن الحالى أما الحماس فانه بالعكس قد تغير شكله غير أن جوهره لم يزل لأن الحماس فى الاصل شعر أو حداء يقال زمن الحرب وهو تحريض من الدرجة الأولى وكما نعلم فالحروب لم تتوقف على الأخص فى الوطن العربى ولم تعد الحروب كالسابق حروب مواجهة بين فريقين كل فريق منهما يمثل بلدا أو دولة وانما أصبحت الحروب تتسم بالطابع النضالى والكفاحى بين شعوب مغلوبة ودول قوية مستبدة مستعمرة فالحرب قومية خاصة فى بلادنا •

وقد شهد وطننا عدة هجمات وغزوات استعمارية صهيونية شرسة فاحتلت أراضى وطردت شعوب من منازلها وهذا مازاد شعر الحماس حدة واضطراما •

ثم نعود للتفصيل فنقول بأن الفخر الذى استطاع الصمود حتى نهاية النصف الاول من القرن الحالى قد انحصر فى أبناء العائلات الاقطاعية ثم امتد قليلا ليتصل بالعائلات التى حاولت الصعود على سلم الاقطاع ولكنها سرعان

ماهو ت كال الامين والعبد الله وشرارة ومروة وصادق وغيرهم ومن الفخر ماشراه في شعر شبيب باشا الأسعد كقوله :

ولي نفس حر في الأثير محلها وقد ضربت فوق المجرة خيمتي
ولولا حظوظ قسمت كان بالعلى على الكوكب السيار سيرمطيتي
ولو لم أكن والفضل والرأي والحجى ومنهج آباء كرام سجيتي
اذا ما ارتدى عارا أناس فانها أبت وأبي ماخول العار شيمتي
وهل من كريم طاب أصلا ومنصرا وأعراقه طابت ترى من دنية
وهل من لئيم يرتجي لمكارم اذا كان فيه غير ذات كريمة
واني امرؤ ماحدت يوما عن الوفا ولا عن طريق المجد حادت طريقتي
أجل لو يعاديني اللئيم تعمدا وعوملت منه بالجفا والقطيعة (١)

فهو كما نرى اعتزاز بالذات من حيث الاصل والفرع ومكارم الاخلاق وترفع عن الانداد وغلو في التحدي وربي للخصوم والآخرين بالهوان والضعة .

ومنه ماقاله محسن الامين في من عاب شعره :

وعائب عاب شعري عن غير علم وخبر
لو كان بالشعر يدري ماضاق من ذاك صدري
أو كان يعرف وزن الشعر من أي بحر
أو كان يفرق فيه مابين تبين وتبر
بل جاهل ليس يدري بأنه ليس يدري

ثم يضيف مفتخرا بنفسه قائلا :

أنا الذي في جميع الافاق قد طار ذكري
ففي عراق وشام وفي حجاز ومصر
وماتعودت الا الحق في كل أمر
ولا ابتهمت نفاقا للناس سري وجهري
أنا الذي في طلاب العلم أفنيت عمري

---

(١) الديوان ص ٦٣ .

وليس لي من جليس الا دواتي وسفري
وفي يميني يراع في الطرس مازال يجري
يمج شهدا وصابا تراه في لون حبر

أما شعر الحماس وغالبه مايقال أيام الحرب لاثارة الهمم وشحذ العزائم وبعث الشجاعة للاغارة على الاعداء والانتقام منهم وكما قلنا قبل قليل تقد تطور هذا الشعر واتسعت دائرته حتى شمل اكبر دائرة ممكنة كالوطن والامة والعالم أجمع فأصبح شعرا قوميا غالبا ثوريا ، ومنه ماجمعه محمد كامل شعيب العاملي من شعره في الإشادة بالامة العربية وأبطالها في سوريا ومصر والعراق ولبنان والعالم الإسلامي ، وأطلق عليه اسم "الحماسيات في النهضة العربية" ومنه ماقاله وهو في الاحتفال بصيدا بتاريخ ١٦ كانون الاول سنة ١٩٢٤ ميلادية :

الى كم أعض بنان الأسف وأصفق للهول كفا بكف
اقاسي الهموم واشكو الزمان ببادي الغياهب والمنكشف
لدهر به التبر تحت الثرى دفين وقد راج فيه الخزف
وان الزمان لبحر به تغوص الكنوز وتطفو الجيف
يذوق به الحر طعم العذاب ويقضي الغبي حليف الملف

ومنها :

ويا وطنا قد صبا للكرى وقد أصبح اليوم رهن التلف
يرفرف عليه لواء الهوان وألوية العز لما ترف
الام التواني عن المعليات وعزمك أقطع من ذي رهف
وكنت المجلي لصون الاناة اذا ماغدت عرضة للحيف
ثويت فلا ناصر يرتجى "كزغلول" مصر بنا قد عرف
فينهض كالصيد ان أقلعت عن الضيم والليث اما زحف

ومنه كذلك ماقاله في الحسين بن علي :

هذي الأسود أسود الله من مضر وافت تحييك من بدو ومن حضر
طلت لك الهبوات السود وانقشعت دجى الهموم وولى طائف الكدر
والقوم آنئذ من كل مبتهج شوقا الى سيد البطحاء مبتدر

قد اقبلوا من أقاصى الشرق ليس لهم الاك مـن ملجـأ يوما ومفتخـر
وانت كالاسد الضرغام متشحـا بـبردة الحزم فوق الوشى والحبر (١)

ومنه ماقالـه فى " حمـاة العلى " :

حماة العلى وثبا لمعترك الحرب فهبوا لها أو طأطئوا الهام للخطب
وشدوا عرى أصلاحكم بمهنـد من الرأى مشدود برابطـة الحب
وقوموا بها شمم الانوف نواهضا تصـونوا كيان الشرق من صولة الغرب
فان دمتم رهن الخمول هبطتم على فدفد خال من الماء والعشب
كفى الشرق جهلا أن يطول هجوعه وقد عجت الاصوات بحا من النعب
فحتى متى بالذل نستبدل العلى كأن احتمال الذل فرض من الـرب
سلوا صحف التاريخ عما ارتقت بـه جدودكم الاخيار فى سالف الحقـب
كرام تحلوا فى الفضيلة فارتقـوا سماء العلى و توطنوا مرتقى الشهب
فكم سطر التاريخ جم وقائـع لهم ملأت قلب الحسود من الرعب (٢)

أما الشعر الحديث فكلـه فى الوطنيـات وهو متقـد حماسـا ويمتلئ ثـورة
واى ديـوان من الشعر طالعنـا صحائفـه نجـده زاخرا بالشعر الحماسـى بـل
لانغالى اذا قلنـا بأن الشعراء الشباب فـى جبـل عامـل ماعادوا يكتبون شيئـا
فـى غـير الحمـاس وقد اطلعنـا على جانـب من ذلـك مفصـلا عنـه حديثنـا عن
الشعر القومى فـى جبـل عامـل •

اغـراض أخـرى

• • • • •

ومن الاغراض الفنية فى الشعر التى طـرق ابوابها العامليـون مايختص بالادب
ونوعيتـه كتقريـض الكتـب وقراءتهـا والمكتبـاب والتاريخ الشعرى والاهتمام باللغـة
العربيـة والدفاع عنها ثم الاهتمام بالشعراء القدماء وتخليدهم بقصائـد مدح واشادة
أو معارضتهـم ثم الفنون الشعريـة كالقصـة والملحمـة والمسرحية وما شـابهها •

(١) الحماسيـات ص ٣٣
(٢) الحماسيـات ص ٦١

(١)

التاريـــــــــخ الشمـــــــــرى

ويعتبره البعض " من مظاهـر الصنعـة الادبيـة فى عصـور الانحطـــاط للادب العربى عامة " (١) ولا ارى هذا .. وكل ماقى الامر أن الشعراء وغيرهم كانوا يجدون فى التاريخ الشعـرى نوعـا من الترفيـه من جهـة ثم انـه مـن الناحيـة الذهنيـة قابـل لأن تعيـه الذاكـرة وتستوعبه مـن جهـة أخـــرى بعكس الأرقـام ... وعلى كل حـال فقـد أهتـم الشعراء بهذا الضـرب مـن التاريخ ليس فى " جبل عامل " فحسـب وانما فـى سائـر انحـاء الوطن العربى وقد استمر العامليون بالسير على نهـج الاقدمين فى ذلك حتى نهاية الخمسينيات فأرخوا لموتاهـم على القبـور وأرخـوا لبنـاء مساجدهـم ومنازلهم ومنشآتهـم العامـة والخاصـة كما أرخـوا لوقعاتهـم مـع أعدائهم من المستعمرين وغيرهم .

والتاريخ الشعـرى معتمـد على اصطـلاح معـروف قوامـه على الأحـــرف الأبجديـة " فأبجـد وهـوز وحطـى " وعدد حروفها عشـرة يأخـذ كل حرف منها رقمـا مسلسلا من واحـد لعشرة على التوالى فالالف رقم واحد والباء اثنــان .. وهكذا . وعندما نصـل الى كلمـــن فالصورة تختلف حيث ترمـز الكاف الــى العشريــن واللام الى الثلاثيـن وهكذا حتى المائـة . وعندما نصل الى المائـــة تبـدأ بالمائتيـن وهكذا حتى الألـف .

ومن تاريخ الحوادث ما أرخ بـه الشيخ عبد الحسين صادق دخول الجنرال غورو قائـد القوات الفرنسيـة الغازيـة الى لبنـان عام ١٩٢٠ حيث قال :

غورو وقطـع يـد ورجل كلهمـــا قد جمعـت أرخ (بهذا غــورد) (٢)

ولا يخفى مافى ذلك من توريـة لطيفـة فغورد كان أعـورا أقطع اليد والرجل معا .

---

(١) مكى ص ١٧٩

(٢) العرفـان تموز ١٩٥٧ ص ١١٠٠

ومن تاريخ القبور مانقش على ضريح السيدة فاطمة زوجة السيد عبد الحسين شرف الدين التي توفيت عام ١٩٥٧م :

وهي في الخلد روى تاريخها   للهنا ضاحكة مستبشرة (١)
١٩٥٧

وقد أرخ لوفاتها أكثر من شاعر . وتوقفت مجلة العرفان عن الصدور بأمر من السلطات عام ١٩٤٥م فأرخ لذلك أحد الشعراء العامليين بقوله :

حجب "العرفان" روحا فخبا   في سماوات النهى مشعل نور
عاملا والشرق أرخ شاعرا   عود عرفانك بشرى للصدور (٢)
١٩٤٥

كما ارخوا لوفاة الشيخ احمد عارف الزين فيقول عبد الرحمن المجذوب :

بوفاة احمد عارف الزين انطوى   علم الفصاحة والبلاغة والبيان
وانهد ركن للعروبة عامر   بنيانه فيه تسامى المشرقان
والمشهد الرضوي أرضنا علا   بدخول احمد عارف الزين الجنان
١٣٨٠ هـ (٣)

ومن ذلك تاريخهم للولادة أيضا فأرخ الشيخ حسين مغنية لولادة الشيخ عبد الكريم بن الشيخ محمود مغنية بقوله :

قالوا اذا بزغ الصباح فلا تجد   من كوكب الا رأيت مغربا (٤)
كذبتهم نورا وقلت مؤرخا   بزغ بن محمود صباحا كوكبا

أما كامل بك الاسعد فقد أرخ لدخول الجنرال غورو النبطية عام ١٩٢٠ فقال :

ويوم كله ظلم   نأى عن وجهه النور (٥)
به للشؤم تاريخ   كيوم جاءهم غورو (١٩٢٠)

والغريب أن كامل الاسعد كان في استقبال غورو يوم دخوله النبطية :

وهكذا صنع الشعراء العامليون حيث اهتموا بتاريخ حوادثهم شعرا . ولا نرى حاجة للاستفاضة في الحديث عن ذلك لان النماذج التي أوردناها تكفي للتدليل على مايمكن أن يقال في هذا الشأن .

(١) العرفان م ٤٤ جـ ٨ ص ٨٥٦ آيار ١٩٥٧
(٢) العرفان م ٣٢ جـ ٦ ص ٥٥٦ آيار ١٩٤٦
(٣) العرفان ك ٢ شباط ١٩٦١ ص ٥٦٩
(٤) العرفان ٤٣ جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٥) العرفان آذار ١٩٦١ من قمال لمحمد يوسف مقلد ص ٦٧٣ .

(٢)

تقريظ الكتـــب ونقد هـــا

نظـر العامليون عموما الى الكتـاب نظـرة اجلال وتقديـر وتعود تلـك النظـرة الى الماضي السحيق فكمـا انهـم يفاخـرون بالفروسيـة والشجاعة فهـم يفاخـرون باقتنـاء الكتب وقراءتهـا ولا شك أن لتلـك النظـرة جذورهـا الدينيـة والمذهبية فامـامهم على بن أبى طالـب سيـد السيف والقلـم فهـو " داحى " خيـبر و " بـاب مدينـة علـم رسول اللـه " وقـد درجـوا علـى حـب الكتـاب وتقديـر مؤلفـه حتى انـك تجـد فـى بيـوت الأميين من العامليـين كتبـا يحتفظون بها لتقـرأ عليهـم فـى ساعـات معينـة مـن ليالـى الشتـاء وهـم متحلقـون حـول الموقـد أو ليالـى الصيـف وهـم حـول مناشـر الدخـان أو علـى البيادر حيـث تمـر سهـراتهـم علـى وقـع أنغـام ورنـين كاسـات الشاى الحمـراء المعتقـة على الطريقـة العامليـة •

وقـد اعتـاد العلمـاء والشعـراء علـى تبـادل الاطـراء لنتـاج كل منهـم وكان الاديـب يزيـن صـدر صفحـات كتابـه بتقريـظ الشعـراء لـه • ومـن هـذا القبيـل ماوجدنـاه فـى صـدر ديوان شبيب باشـا الاسعـد وقـد جـاء فـى ديوانـه تقريظـا لغـيره قولـه :

" وقلت مقرضا ماطبعه من التسميط الذى سمطـه الحافظ الاديب الفاضل ملاحاجى عثمان افندى الموصلى وذلك على القصيدة البائيـة الشهيرة بالباقيات الصالحـات للمرحوم المـبرور البليـغ المشهور الذى شعره على الشعرى فاق • واشتهـر ذكره فى الآفـاق • عبد الباقـى افندى الفاروقـى الموصلى " :

للـه تسميط حاويـه ازدهـى بائيـة العمـرى عبـد الباقــى
ذاك الذى بلـغ المدى ببلاغـة مضـروبـة الأمثـال بالآفـاق (١)

والقصيدة طويلة تبلغ حوالى أربعين بيتـا وللشاعر أيضـا تقريـض لكتـاب الفـــه اسكندر بك ابكاريوس البيروتـى واسمه " ريحانـة الافكار فى أخبار الملك شهرآيار " :

---

(١) ديوان شبيب ص ٢٦١ •

(١)
لله درك من كتاب قد حوى ... حكما وموعظة لكل لبيب

ومما ذكرناه حول تصدير الكتب أو تذييلها بمدح وتقريض الآخرين ماوجدناه في آخر ديوان الاسعد من قصائد التقريض والثناء التي نظمها البعض في تقريض الديوان ومنها واحدة باللغة التركية " للعالم الجليل حضرة صاحب المطوفة السيد علي وصفي افندي رأس كتاب شورى الدولة بالعاصمة المحمية " (٢) وأخرى باللغة العربية للشاعر : " صاحب السعادة احمد عزت باشا فاروقي زادة " ومطلعها :

عقد المنضد من يراع شبيب ... علي به أفكار كل أديب

وهي طويلة وأخرى " للفاضل الاجل ذو الفضيلة احمد عزت افندي العمري مفتي آلاي الصنايع بدار الخلافة العلية " ومطلعها :

حبذا العقد المنضد ... أنصح القوم وأنشد

وأخرى للفاضل الوس زادة السيد علي علاء الدين افندي " ومطلعها :

هذا هو العقد المنضد ... جيد القريض به تقلد

وأخرى " للفطن النبيه الوجيه مصباح افندي رمضان مأمور رسومات صور " ومطلعها :

على باب ديوان المكارم والندى ... وقفت وقوف الزهر يستمطر الندى

وقرضه آخرون نكتفي بذكر أسمائهم وهم " الفاضل هجرس افندي " و " الفاضل الحافظ عثمان افندي الموصلي " و " صاحب العزة أبو النصر يحيى أفندي السلاوي " احد اعضاء مجلس تفتيش المعارف العمومية " و " سليل أمراء آل ارسلان في جبل لبنان النجيب الحسيب والالمعي اللبيب شكيب بك " (٣) .

أما العلامة السيد محسن الامين فهو أشهر من ألف الكتب في " جبل عامل " وغير جبل عامل وقد قرضه الكثيرون وأثنوا عليه وعلى صنعه ومن ذلك ماقاله السيد حسن بن محمود الامين في كتاب " روض الأريض لمحسن الامين "

---

(١) (٢) (٣) تجد كل ذلك من ص ٣٦٣ وما فوق في الديوان

سبرت الفقه بابا ثم بابا ومـيزت الصحيح من المريض
فما وقعت يداى على كتاب يعلم الفقه كالروض الأريض (١)

أما زينب فواز فقد قدمت لكتاب " الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور " بهذين البيتين :

كتابى تبدى جنة فى قصورها تروح روح الفكر حور التراجم
خدمت به جنسى اللطيف وانه لاكرم مايهدى لمعز الكرائم

وكتبت عائشة التيمورية مقرضة الكتاب نفسه :

هنوا ذوات الخدور بالفوز الذى يعلو على هام السهى ويطول
ولقد علت طبقاتهن وزانها بالفخر من بعد الخمول قبول

وكذلك قرض الكتاب السيد حسن حسنى باشا الطورانى صاحب جريدة النيل المصرية بأبيات مطلعها :

بدا درها المنثور بالفضل زينب فياحبذا الدر النثير المرتب

كما قرضه عبد الله فريسح بأبيات مطلعها :

الشرق لاتعجبوا ان عمر النسور الشرق بالنور منذ الدهر مشهور (٢)

وجاء شعر كثير فى تقريض الكتب ومنها ماورد فى مقدمة كتاب الحماسيات فى الشعر العاملى وديوان الحومانى وغيرها ..

ومما جاء فى نقد بعض الكتب شعرا ماقاله الحومانى فى كتاب خطط جبل عامل لمحسن الامين وهذا مافهمناه من سياق الابيات فالشاعر لايوضح المقصود ولكن الارجح ماذهبنا اليه لان خطط جبل عامل كان حديث الساعة فى جبل عامل يوم نظم الشاعر نقده الذى يقول فيه :

ومن عجيب الدهر أن يستطيل مساوى فيه ويشقى على
كذا هو فى البدء والمنتهى طيث وضيع " وقرد على "

*****

---

(١) الاعيان ج ٣٢ ص ٤١٨
(٢) الاعيان ج ٣٣ ص ١٧٦

اذا ماخططت فكن حاذقا … بصيرا بما خط تكف الشطط
فكم واضح خططا لم يسر … بها ذا سداد فكانت خطط

****

نزلت به فبسطت العتاب … لمفتحنح ثم امتخبط
وقال لكل امرىء رأيه … وقد كان خيرا له لو غفط

****

توخى الشقاق بها ناهجا … على غير ماكان من نهجه
كذا الخب يطريك مانال منك … فان "تخو" عاد الى دوجه
(الزند لايخرج منه نار)
اراد التفرق فى المسلمين … وآزره فيه من نازرا
فهل يتقدم شعب يوم .. … مناجذ تجرى بها القهقرى

*****

وهبك بزعمك كنت المحق … اليس من الحق أن يجتنب (١)
ارى الحق (مالم يفد) باطلا … فكيف اذا بث فينا المطب

وهكذا فان الشاعر ينتقد المؤلف فى كتابه ويناقشه مناقشة موضوعية مبديا وجهة نظره .

---

(١) السائس والمسوس ص ١٠١

القـــــراءة والمكتبـــات

وكما أن العامليين يفاخـرون باقتناء الكتب يفاخرون بقراءتهـا والانكبـاب علـى ذلك ومن هؤلاء السيد محسن الامين الذى انصرف طوال حياته للقـراءة والتاليـف ولم يكن أحـد أجلـد منه على القـراءة والكتابـة ، فالكتابة لديـه كالغانيـة للعاشق والقـراءة تشبيب بتلـك الغانية وما خلوه مع الكتاب الا كذلك :

كغانيـة يخلـو بها متشـــوق ... اذا ماخلـت نفسى لدرس كتـاب
أرى لذة الدنيا جميعا تحو طنى ... فأحسب فيها الوقت سكـر شـراب
أحن الى الليل الطويـل كوالـه ... لأحظـى بآمال لديـه عـذاب
وأفتح أبوابا من العلـم غلقـت ... وأدخل فـى ساح لها ورحـاب (١)

ويرى السيد محسن أن العزلـة اذا كانت مع الكتاب فهى نعمة من الله والكتاب خـير جليس كما يقول الجاحـظ :

رضيت من الدنيا جميعا بوحدتى ... وكم وحدة جرت على المرء أنعما
نديمى كتاب صامـــت متكلـم ... وما أن رأينـا صامتـا متكلمـا
يحدثـنى عن كل ما أنا سائـل ... ولـم يعطه البارى لسانا ولا فما
ولى قلم فى جريـه قلمـا حـدا ... مرادى وأمرى حين أجريه قلمـا (٢)
يفل الحسام الهند وانـى حـده ... وان كان مصقول الغرارين مخذما

وله أيضا وصف مكتبتـه :

مكتبـة فـى غرفـة مربعـــة ... ضيقـة ولم تكـن متسعـــة (٣)

هذا وفى تقريض الكتب ونقدها والحث على القراءة ووصف المكتبات شعـر كثير تجـده فى دواوين وقصائد الشعراء العامليـين ٠

---

(١) الاعيان جـ ٥٥ ص ٩٦
(٢) (٣) الاعيان جـ ٤٠ ص ١٤٠

(٤)

اللغــــة العربيـــــة
والشعراء العامليــين

عــرف العاملیون قدیما وحدیثا بأصالتهم وصفاء عروبتهم ونقاء لهجتهم عن الدخیـل ، وكان لذلـك أثـر بارز فـی جعلهـم ینـأون عـن الدعوات الاقلیمیة فما هزتهـم فینیقیـة المتفطرسـین مـن غـلاة اللبنانیـین ولا تركـت فیهـم الموجة الاقلیمیـة الضیقـة أی أثـر ، وقـد انتشـرت فـی بعـض الاقطـار العربیـة بایعـاز وتوجیـه مـن عمـلاء المخابـرات الامریكیـة وأولئـك الذیـن یتربصـون الشـر بالاسـلام والمسلمـین عن طریـق تمزیـق الأمـة العربیـة باعتبارهـا رأس الحربـة الاسلامیـة فبثـوا عملاءهـم الذیـن نادوا بالفرعونیـة فـی مصـر والآشوریـة فـی العـراق والبربریـة فـی المغـرب ، والفینیقیـة فـی سواحل الشام ...

والاثـر الذی تركتـه هـذه الموجـة المحمومـة فـی نفـوس وضمائـر العاملیـین هـو أن ازدادوا تمسكـا بعروبتهـم وتقالیدهـم وتعمـق الایمـان بدینهـم مما حفزهم للدفاع عن العروبـة بكل غـال ونفیـس .. واعتـبر العاملیون أن وراء الاكمـة ما وراءها ووجهـوا أصابـع الاتهـام الی الاعـداء والمستعمریـن وأولئـك الذیـن لبسـوا القمصـان البراقـة الخداعـة من مرضـی النفـوس فـی الوطـن العربـی وأدانوا مـن یقـف وراء ومـع هذه الدعوات الفاجـرة وانـبروا للدفـاع عـن عروبتهـم بكل ما یملكون مـن وسائـل ولمـا كشـر الاعـداء عن أنیابهـم ووجهـوا سهامهـم الی رمـز العروبة وعنوانها ومركـز ثقلهـا واشعاعهـا الی اللغـة العربیـة وشككوا فی قوتها وفعالیتها وقدرتهـا علی مسایـرة الزمـن انطلـق العاملیون مـن قماقمهـم شعـراء وأدبـاء وانـبروا للدفـاع عـن تلـك اللغـة الخالـدة خلـود القـرآن الكریـم معربـین عن اعتزازهـم بهـا منافحـین عنهـا ... ثـم انضمـوا الی مجامـع اللغـة فـی كـل من دمشق وبغـداد وكان مـن أعضـاء المجمـع العلمـی العربـی بدمشـق كل من سلیمان ظاهـر ومحسـن الامـین واحمـد رضـا وهذا الاخیر كلفـه المجمـع المذكـور بالعمل " علی اعداد معجـم مطـول یجمـع ما تناثـر من جواهر العربیـة فـی بطون المطولات اللغویـة القدیمـة والحاق ما استحدث مـن الالفـاظ والمصطلحـات بـه " (١) .

---

(١) معجم متن اللغـة ج ١ ص ٦

وقد استمر العلامة رضا فى اعداد معجمه هذا مايزيد عن تسع سنوات حيث بدأ العمل منذ عام ١٩٣٠م وانتهى عام ١٩٣٩ وخصصت له الحكومة السورية ميزانية خاصة لطبعه الا أن الظروف حالت دون ذلك فلم يطبع الا بعد وفاة العلامة رضا مابين عامى (١٩٥٨ــ١٩٦١) على مطابع دار الحياة فى بيروت ويقع فى ستة أجزاء تبلغ عدد صفحاتها مايقرب من ٣٥٠٠ صفحة • أما الشاعر محمد على الحومانى فقد وضع منظومة فى ٥٠٠ بيت جمع فيها المفردات المذكورة فى مغنى اللبيب لابن هشام (٢) •

هذا أما الابحاث والرسائل التى وضعها كل من محسن الامين والشيخ سليمان ظاهر والشيخ احمد عارف الزين الذى سخر مجلة العرفان لخدمة لغة الضاد أكثر من أن تعد وتحصى •

وفى بغداد اختير عدد من العلماء العامليين فى المجمع العلمى العراقى وعلى رأسهم الدكتور شريف عسيران • كما رشح عدد آخر من العلماء العامليين لدخول المجمع العلمى العربى بدمشق الا أن الظروف السياسية حالت دون اعتمادهم أعضاء عامليين ذلك لأن العقلية المهيمنة على المؤسسات العلمية فى ذلك الوقت كانت تسيرها عناصر معينة ولا تأخذ ــ أحيانا ــ الكفاءة العلمية بعين الاعتبار والا فما الذى حال دون اختيار محمد على الحومانى فى المجمع الدمشقى وهو المؤهل لذلك ؟ ولعل ذلك الذى دفع الحومانى للهجوم على المجمع المذكور بقوله :

اذا جئت مجمع علم الشآم — فكن مسلما ثم مستعلما
وان أنت عارضت قول الرئيس — خرجت وخلفك شهب السما

*****

اذا شئت كونك عضوا به — فمالىء ذويه ولو بالملق
وما لم تحز لقب (البيك) لا — تكنه ولو كنت رب الفلق

*****

---

(١) مكى ص ٢٢٣ •
(٢) السائس والمسوس ص ٥٧ •

وان جئت مجمع لبناننـــا ... وقد ضم بطرسا وأحمـدا
فخذ بالرقى من رجال التقى ... وحي الكنيسة والمسجدا

*****

فلانس قد خفقت حولهـا ... عمائم تدعم بنيانهـا (١)
فقل للمؤلف وهو الرئيس ... أصيبت من الموت انسانهـا

وفي ذلك اشارة الى أن رجال الدين كانوا يسيطرون على المجامع العلمية دون أن يرتجى منهم نفع .

هذا ولما اشتدت الدعوة للقضاء على اللغة العربية والاسلام من بعدها قال محسن الامين :

قالوا بأن الحر ليس مقيـدا ... أوليس بـه التحطيم للأقيـاد
كذبوا فقد أمسوا عبيد هواهـم ... وغدوا من الشهوات في استعباد
ان الجواد اذا خلا عن رائض ... عند السباق يكون غير جـواد
عجبا لقوم نابذوا الاسلام عن ... جهل وفرط تعصب وعنـاد

ثم يقول عن اللغة العربية :

قادتكم العربية الفصحى الى الـ ... حسنى لدى الاصدار والايراد
منها الغنى أمسى لفقر لغاتكم ... وكأهلها كانت من الاجواد
بكمالها اتممتم نقص اللغى ... وبها لكم كنز بغير نفاد
وبمالها من رقة ورشاقة ... أبدلتم المستعص المتمادى
وسددتم عجز اللغات ببحرها ... الطامى فكان بذاك خير سداد (٢)

أما الشيخ محسن شرارة (١٣٠٩ ـ ١٣٦٥ هـ/١٩٤٦م) فله في مدح اللغة العربية قصيدة طويلة مطلعها :

أم البيان روى فصيح نـداك ... سرا ليعرب رائما بصـداك

ومنهـا :

الله أظهر في النفوس جماله ... فحوى اللغات جميعها وحواك
يا ربة اللسن الفصاح وذوقها ... لك في الفنون مهارة الحباك

---

(١) السائس والمسوس ص ٥٧ .
(٢) الاعيان جـ ٤٠ ص ١٢٧ .

مشت الحضارة فى ظلالك وانتشت   تنشى عقول شموسها كفاك
فى ريشة الفنان منك براعة   عكس الخيال بها بهى سناك
نطقت به الشعراء فى ترنيمه   وبدا على تسبيحة النساك

ومنها :

لغة العواطف كل شعب ناهض   لم يبن صرح نهوضه الاك
تغنى رواتك فى الشعوب جميعها   والضاد خالدة بها ابناك

ثم يشير الى انها لغة الشعر :

فاتى المهلهل حاملا بقصيدة   للناس من آثارها أسماك
وتلفت "الكندى" فانبجست له   لما تنقل ثورة عيناك

أما روعتها العظمى فتتمثل فى كونها لغة القرآن المجيد :

والروعة الكبرى تمشت فى ذرى   جرداء ناطقة بسر هداك
درجت مع الاسلام فى آياته   فتفتحت فيها عيون ذكاك
هموا بأن يحكوك فى قرآنه   فاخرس من عى لسان الحاكى

ومنها :

هذا العراق وتلك مصر شجية   والشام عاكفة على ذكراك
وعامل كم من شعور ناضج   شهدت له الافئدة من أسراك
ديباجة الشعر المروق للألى   حفظوا بروعة سبكها مسراك

ثم يشير الى المشككين بقوله :

بلغ الذين مشوا ثمار جهودهم   وتثاقلت فينا خطا الشكاك
فتشت فى عصرى زمانى كله   فوجدت نعمى دهره نعماك (١)

وكذلك فقد تصدى الشيخ سليمان ظاهر بقوة وحزم للحملة التشكيكية على اللغة العربية والتى قادها دعاة الحرف اللاتينى ومما قاله من قصيدة طويلة :

---

(١) الاعيان ج ٤٨ ص ٢٠ .

لغـة عذبـة البيـان كـأن　　السحـر مأثـور شعرها والرحيقا

ومنهـا :

لاتقل لفظها عتيـق فاذكـى　　الراح ماكان فى الدنـان عتيقـا

وهى سامية وما أدركت أبنـاء　　سام عرامـا سحيقـا

هى أذكى على الأنوف أريجـا　　من شذا المسك حين يذكو سحيقا (٢)

وهكذا تصدى علماء وشعراء جبل عامل للحملة المشبوهة على اللغة العربية ودافعوا عنها بكل قوة وأثبتوا جدارتها وقداستها ونددوا بما يصنعه أعداؤها تلبية لرغبات الاسياد أعداء الامة العربية والاسلامية ... وكانوا لها نعم الجنود البواسل ونعم الابناء المخلصون الأوفياء ... وبقيت اللغة العربية شامخة الرأس راسخة فى القلوب كجبال عاملة وجبال لبنان وبقيت عروبة جبل عامل برغم كل ماصنعه الفرنسيون وخلفاؤهم وتحطمت آمال وأحلام الاعداء على صخرة العروبة الصامدة فى جبل عامل .

(٥)

شعراء عاملة
وتأثرهم بشعراء العروبة
قديما وحديثا

كان اهتمام شعراء عاملة بشعراء العروبة قديما وحديثا بارزا من حيث التأثر والتفاعل والدراسة المستفيضة فاحتفلوا بهم وعارضوهم وشطروا قصائدهم وأخذوا عنهم ... وأكثر اهتمامهم كان يتركز بالشريف الرضى وأبى تمام والمتنبى والفرزدق ثم بأبى نواس وبشار بن برد ودعبل والكميت وغيرهم ومن الشعراء المعاصرين اهتموا بشوقى ومطران والزهاوى والرصافى ومحمد مهدى الجواهرى والشابى ، أما شعراء الطفرة المعاصرة فقد اهتموا بهم وتأثروا بنتاجهم ومن هؤلاء عبد الوهاب البياتى ونزار القبانى وبدر شاكر السياب وغيرهم .

---

(١) العرفان ج ٥ آذار ١٩٤٨ ص ٦٥٣ .

والتشطير مظهر بارز من مظاهر هذا الاهتمام فلم يبق شاعر الا وشطر شيئا من شعر القدماء والمعاصرين ومن ذلك مانجده في ديوان شبيب الأسعد وقصائد محسن الامين وقد أشرنا الى كثير منها في غير هذا الموضع .

والمعارضة مظهر آخر من مظاهر التأثر وقد عارض العامليون شعراء العرب قديما وحديثا ومن ذلك ماعارض به نزار الحر قصيدة الحصري " ياليل الصب متى غده " :

يهواك الصبوتجحده ... ويريد الوصل وتطرده
طافت نجواه بأمته ... ويكى لا الدمع يبدده
والنار تشب بأضلعه ... فتذيب القلب وتوقده
وتهادى الحلم بنغمته ... ورضاب شفاهك مقصده
قد ناغى الليل وأنشده ... شعرا والشوق مسهده
ياليل فتاك متى غده ... أيظل بحضنك ينشده

ومعارضة السيد محمد جواد فضل الله لرائية الشابي وقد جاء فيها :

دمى ثورة من صميم الحياة ... تصعد بركانها وانفجر
تزلزل للمرجفين الطغاة ... عروشا تقيح منها المدر
وأرض على جانبيها الظلام ... رواسيه وارتاح فيه المقر
وأريد منها الربيع الضحوك ... وجف الرحيق وجف الثمر (١)

ومن ذلك ماعارض به عبد المطلب الامين قصيدة أحمد شوقي الشهيرة التي مطلعها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا ... مشت على الرسم أحداث وأزمان

فقال على أثر هزيمة ١٩٦٧ م :

نم وانس جلق واندب حظ من هانوا ... على الارائك أطفال وغلمان .
على الحدود تلاميذ ومدرسة ... وفي السرايات ضباط وأركان
مع العدو وعاديد وأقفية ... مع الرفاق منافيخ وشجعان (٢)

---

(١) العرفان م ٤٥ ج ٤ ك ٢ ١٩٥٨م ص ٣١٣ .

(٢) ديوان الشاعر ص ٥١ .

ومنه ماقيل فى تكريم الشعراء المعاصرين لما قاموا به من أعمال جليلة فى حقل الوطنية وغيرها كالذى قيل فى تكريم الشاعر بولس سلامة على عمله الجليل " ملحمة عيد الغدير " ومن ذلك ماقاله الشاعر الشيخ حسن صادق ، بهذه المناسبة :

الشعر ماغذيت منه عقولا — وشحذت منه للخطوب نصولا
ومثلته مثلا شرودا يتقى — من أمة مجدا ويطبع جيلا
لم يغننا منه جمال رائع — ان كان لم يسد اليك جميلا
وشايع الحق المبين شعاعه — قد راح فى الليل البهيم دليلا
يا شعر لم يمثك بولس للورى — الا لتهدى أو تنير سبيلا (١)

ومن ذلك ماقاله الشاعر كاظم حطيط فى تحية الشاعر محمد مهدى الجواهرى الذى لوحق واضطهد كثيرا بسبب آرائه وأفكاره التقدمية من قصيدة بعنوان " الى محمد مهدى الجواهرى " :

سر الى دنيا الضياء ولا تخف جمر الكفاح
واجل الذئاب عن الربوع عن الحرين المستباح
ودع الشكاية فى الحياة من الاسار من الجراح
واغسل جناحك من غبار الذل من ليل النواح (٢)

هذا وقد احتفل العامليون بالذكرى الألفية لكل من الشريف الرضى والمتنبى وأبى العلاء وقد تبارى الشعراء فى هذه المناسبات ومما قيل فى الحفل التذكارى الألفى للشريف الرضى الذى أقيم بدعوة من الأديب الشاعر حسن الامين فى شقرا قصيدة للشاعر الراحل عبد المطلب الامين جاء فيها :

ألف مضين وجرحك الهدار — شرف رضى شامخ معطار
نهج البلاغة ورده ومعينه — ومصبه الصابى أو مهيار
شطآنه الشمم الشموخ ورفده — قلم أقل عطائه الأشعار
برد الخلافة ان تكن جردته — ماأنت عار منه بل هو عار

---

(١) سفينة الحق ص ٨٢
(٢) العرفان م ٤٤ ج ١٠ تموز ١٩٥٧ ص ١٠٥٦ .

وما بعثه الشاعر ويخف يب الى السيد حسن الامين بهذه المناسبة ومنه :

أبعد الألف تلتمس الجوابا — وتسأل أيهم أصفى شرابا
ذر النقاد في عمه وغي — فان الدهر أصدقهم حسابا
ومن غير "الرضي" اذا تناهت — أساطين البلاغة واستجابا
بيان محكم كالوحي سبكا — تنزه أن يخطئا أو يعابا
وأخلاق على شرف تسامت — فكان لها "الشريف" المستتابا
ربيب الأكرمين من البرايا — ومن رفعوا بساحتها القبابا(١)

أما المتنبي فقد احتفل العامليون بذكراه الالفية على نطاق واسع فوضع الشيخ سليمان ظاهر قصيدة طويلة بالمناسبة تزيد أبياتها عن مائة وثمانين بيتا ومما جاء فيها :

أمن النجوم نظمتهن قصائدا — يفنى الزمان وما برحن خوالدا
ان الذي يهب الخلود قريضه — لهو الجدير بأن يكون الخالدا
سيرتهن وأي جيد عاطل — ماكن فيه زينة وقلائدا

ثم يدفع عن الشاعر ادعاء النبوة قائلا :

قالوا ادعيت نبوة ولكم على — دعوى النبوة زوروا لك شاهدا
جملا ملفقة يسرون عوارها — لو أن فيهم للجواهر ناقدا
واذا ادعيت نبوة فلقد نسخت — بها القريض وما نسخت عقائدا(٢)

وكذلك احتفلوا بالذكرى الالفية للمعري ومما قيل في هذه المناسبة قصيدة للشاعر كامل مصباح فرحات زفر فيها معاناته وآلامه ومما قاله في هذه القصيدة :

الليالي تمر اثر الليالي — و"المعري" بوحدة واعتزال
هجر العالم الذي ساد فيه — كل من تاه في طريق الضلال
ومضى يدرس الوجود بحذق — فرآه يسير لا اضمحلال
أي شيء يافيلسوف البرايا — يتراءى خلف السنين الخوالي

---

(١) العرفان م ٦٠ د ٩ س ١٩٧٢ ص ١٣٧٦ .
(٢) العرفان م ٤٤ ج ١٠ تموز ١٩٥٧ ص ١٠٥٦ .

هل تراءت ذى الارض والليل داج مد لهم والريح فى اعوال
هل تراءى الانسان وحشا غليظا قاطنا فى الكهوف والأدغال (١)
حافيا يقنص الوحوش فقد مس قدميه الأشواك بدون النعال ؟

وكذلك فقد كرم شعراء عاملة الشعراء العرب المعاصرين ومنهم خليل مطران شاعر القطرين ومما قالته الشاعرة زهرة الحر فى هذه المناسبة من قصيدة :

أنصت الروض حين هز الأزاهر بلبل يشدو شاديا كل طائر
يبعث اللحن شيقا يأسر الروح ويطغى على النهى والخواطر
ويغنى ملاحم الحب دنيا من جمال مهفهف ومشاعر
وقفت دونه الطيور حيارى ذاهلات أبصارها والبصائر
والعناقيد حولها شفها الوجد فسالت دماؤها دون عاصر
والروابى تلفتت ونسيم الروض ما زال كالمتيم حائر
يتهادى هنيهة ثم يمضى و للسواقى يزفهن البشائر (٢)

وهكذا غرد شعراء عاملة فى كل روض ورشفوا من كل زهرة شذاها فمطروا الاجواء وما وقفوا عند حد أقليم معين فملأوا الرحاب وتوغلوا فى أعماق التاريخ فنهلوا من مورده العذب وصدحوا مع بلابله وشدوا مع أطياره فوصلوا الماضى بالحاضر وجعلوا من لغة العرب حديقة غناء ملأوا جنباتها بالازاهير الزاهية وملأوا الأرجاء بالروائح العطرة ....

وهكذا يكون الشعراء والا فكيف يكونون ؟ وكيف تصح تسميتهم بالشعراء ؟

....
....

(١) الاعيان ج ٤٥ ص ٣٤٨ .
(٢) قصائد منسية ص ٣٢ .

الملحمة والقصة والمسرحية في الشعر العاملي

(١) الملحمة

يميل الكثيرون من نقاد الادب ومؤرخيه الى الاعتقاد بخلو الشعر العربي من الملحمة والقصة. ولو ان وسائل التدوين في العصور الخالية كانت ملائمة أو ميسورة لما تعزز هذا الشك. فالذين يقولون بوجود هذين الفنين في الشعر العربي يرون أن صعوبة التدوين بالنسبة للاثار الطويلة قد عرضتها للتلف والضياع وثمة اراء أخرى تقول بأنه لما كانت الملحمة تجنح في معظم حوادثها الى الخرافة والخيال المجنح والاعمال البطولية الخارقة ، والاسلام لا يتلاءم بشكل أو بآخر مع خيال الملحمة المذكورة ، فان العرب قد عزفوا عنها الى غيرها خاصة وأن العرب لم يدركوا التدوين الا في عصر الاسلام .

ونحن هنا لا نؤرخ للملحمة العربية حتى نبحث عن جذورها ولكننا نتحدث عنها في الشعر العاملي لانها وجدت فيه وليس بوسعنا الاسهاب في الحديث عنها الا في حدود ضيقة .

ومهما يكن من أمر فان خلو الشعر العربي من الملحمة لا ينقص من أهميته كما أن وجودها فيه لا يكسبه فخرا كبيرا ، فالملحمة شعر ذو نفس طويل وقد يوجد صاحب هذا النفس وقد لا يوجد .

وعلى العموم فان فن الملحمة يعتمد على العقلية البدائية ـ مالم يتطور مع الزمن ويخضع لسنة التجديد ـ وعلى هذا الاساس " يلوح أنه قد انقرض بانقراض العقلية البدائية والمرحلة الحضارية التي اتسعت له " كما يقول الدكتور محمد مندور . ولا بد لنا من تعريف الملحمة ولن نجد لذلك أوجز مما كتبه الدكتور مندور في هذا الصدد اذ يقول : " هي قصة شعرية بطولية قومية تقوم على خوارق الأمور وتختلط فيها الحقائق بالأساطير

وتتغلغل العقائد الدينية والروحية فى حناياها "(١) .

أما أنيس المقدسي فانه بعد أن عرفها كما عرفها الدكتور مندور وهي " التي تصف لنا البطولة فى سيرة شخص أو تاريخ أمة " يقول " ... وقلما تجد لهما أثرا يذكر فى الادب العربي القديم ، أما الادب الحديث فقد أخذ يتوجه فى هذا السبيل " وذلك " ناجم عن يقظة العرب القومية منذ بدء هذا القرن والتفاتهم الى أمجادهم السالفة وليست أكثر الملاحم البطولية التى ظهرت حتى الآن الا محاولات لم تستكمل نضجها بالنسبة الى ما عند الافرنج من ذلك . على أن أفضل ما يمثل الملحمة الحقيقية فى أدبنا الحديث كتاب " عيد الغدير " لبولس سلامة وهو قصائد شتى تقع فى ما يقرب من ٣٥٠٠ بيت من البحر الخفيف ومداره على اهل البيت العلوي فى أهم ما تتصل بهم منذ الجاهلية حتى مأساة كربلاء " وحول هذه الملحمة يستطرد المقدسي قائلا : " ومهما تكن معتقداته فى العلويين والامويين فمما لا شك فيه أنه قد أجاد فى نظمها برغم طولها اجادة تحله المحل الاول بين ناظمي الملاحم العربية وترفع ملحمته الى مصاف الحسان من الملاحم الافرنجية "(٢) .

ويتحدث الدكتور فوزي عطوي عن بولس سلامة وملحمته فيقول : " نعتبر أن رائد الشعر الملحمي بمعناه الفني هو الشاعر بولس سلامة صاحب ملحمتي " عيد الغدير " و " عيد الرياض " نظرا لاستكمالهما جميع عناصر الملحمة الشعرية كما عرفها اليونان والفرس والهنود والقدامى فى الالياذة والانياذة والشاهنامة والمهابراتا "(٣) .

أما الاديب الناقد مارون عبود فيتحدث طويلا عن رائد الملحمة العربية بولس سلامة وآلامه فيقول : " ولكن الآلام التى أغنت الادب العربي المعاصر لآلا مطهرة والعبقرية بنت النار المقدسة التى تصهر ولا تحرق " .. " ومن مثل تلك الايوبية انبثقت ملحمة بولس سلامة الجديدة التى لم يأت بمثلها شاعر من

---

(١) الادب وفنونه ص ٤٥
(٢) الاتجاهات الجديدة فى الادب العربي الحديث للمقدسي ص ٣٩٥
(٣) خليل مطران لفوزي عطوي ص ٣٤ صادر عن دار الهلال والاديب ص ٥٨ نيسان ١٩٧٤

المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين " ثم يقول : " انه بلا منازع أطول شعراء الضاد نفسا وأصحهم لغة وأنقاهم عبارة وأشردهم قافية ضمن هذا البحر دنيا العرب قديمة وحديثة حتى صح أن نقول فيه ما قاله البحترى فى ايوان كسرى :

مغلق بابه على جبل القبق الى دارتى خلاط ومكس

ثم يتحدث شعبود عن ملحمة عيد الرياض فيقول بأنها " كلاسيكية أولا وان ضمت بين دفتيها جميع الالوان والمدارس فقد أطلت علينا بعثة موجة كما قال هو وهذا ليس بكثير على شاعر يخرج فى خلال أشهر قصيدة مؤلفة من زهاء ثمانية آلاف بيت . وقد صدق حين شبهها بالقلعة المنيفة والغانية البكر والمسجد الرحب فاذا فاتها شئ من الجمال المخصب فقد أدركت الكثير من أبهة الرجولة وجلالها " .

ثم ينهى مارون عبود حديثه معرضا بسعيد عقل مستشهدا بقول أحد أئمة العلماء " من يشأ أن يؤلف فى النحو بعد سيبويه فليستح " ويقول " أجل فليستح أولئك الذين يسمون كراريسهم ملاحم " وهو يقصد بذلك سعيد عقل (١)

أما بولس سلامة فانه عندما يحصر بيان فى ملحمتيه " عيد الغدير " و " عيد الرياض " يحضر الخروج عن المألوف والمعارف فى الملاحم وهو ما يتعلق بالبطولات الخارقة والخرافات يعتذر عن ذلك ويقول فى مقدمة " عيد الغدير " " ومع الانطلاق الشعرى الذى حاولته فلقد بقيت مغلول الجناحين لا أستطيع أن أخلع على الواقعات من الفن الا بمقدار . وذلك أن الملاحم تدور على الاساطير حيث يسبح الشاعر ولا رقيب عليه الا ذوقه وكتابى هذا محوره التاريخ والتاريخ حرام على الخيال حتى فى الحوادث العادية فكيف به عندما يستند معظمه الى الاحاديث النبوية ؟ " (٢) . وهو يستهدف فى ملحمته تلك اثارة الهمم والتمثل بأبطالنا الغابرين " فالعروبة المستيقظة اليوم فى صدور أبنائها ... لأحوج ماتكون الى التمثل بأبطالها الغابرين وهم كثر على أنه لم يجتمع لواحد منهم ما اجتمع لعلى من البطولة والعلم والصلاح ولم يقم فى وجه الظالمين أشجع من الحسين

(١) نقدات عابرة بمارون عبود عن دار الثقافة بيروت ١٩٥٩ ص ١٦٠ — ١٦٣
(٢) عيد الغدير ص ٨ .

فقد عاش الاب للحق وجرد سيفه للنباد عنه منذ يوم بدر واستشهد الابن في سبيل الحرية يوم كربلاء — ولا غرو فالاول ربيب محمد والثاني فلذة منه ". (١)

ونفهم مما تقدم أن أول ملحمة في العربية هي " عيد الغدير " والثانية " عيد الرياض " وهما للشاعر العاملي بولس سلامة وان لم تكونا الاوليين من حيث النشأة فهما الأوليين من الناحية الفنية • أما الاولى منهما فتتحدث عن علي والحسين والحرب والعبقرية الفذة مايؤهله لأن يكون بطلا لاي ملحمة يضاف الى ذلك ماصادفه في حياته من محن وكروب وفتن وحروب أشعلها ضده المخربون والمنافقون كما أن في ولده الحسين من البطولات والفداء ما لا يقل عن والده يضاف الى ذلك النهاية المأساوية التي انتهت بها حياته • وكل ذلك يتناسب مع روح الملحمة كما وكيفا ومن أراد الاطلاع على هاتين الملحمتين فليرجع اليهما •

وخلاصة القول أن الملحمة الشعرية قد دخلت الادب العربي الاول مرة في التاريخ من نافذة عاملية ويكفي ذلك جبل عامل فخرا •

أبيات مختارة من ملحمة " عيد الغدير "

يا مليك الحياة أنزل عليا	عزمة منك تبعث الصخر حيا
جود كفيك أن تشأ يملأ الـ	عيش نماء ويفرش الجدب فيا
يوقظ الورد فالربيع على التـ	ـل ضحوك الالوان طلق المحيا
كلما افتر برعم داعبته	كف ريح تقول للطيب هيا

ومنها :

باسم زين العصور بعد نبي	نور الشرق كوكبا هاشميا
باسم ليث الحجاز نسر البوادي	خير من هز في الوغى سمهريا
خير من جلل الميادين غارا	وانطوى زاهدا او مات أبيا

---

(١) عيد الغدير ص ٨

(٢) عيد الغدير ص ١٤

كان رب الكلام من بعد طه — وأخاه وصهره والوصيا
بطل السيف والتقى والسجايا — ما رأت مثله الرماح كميا
يا سماء اشهدي ويا أرض قري — واخشعي انني أردت عليا (١)

وهذا مقطع من " خيبر " يقول فيه الشاعر :

قلعة السهل يامطل الغمائم — ومقر الخنى وكهف المآثم
ترمقيه الحجاز نظرة كبر — خطرة الزهر في أسارير غاشم
وتمدين في الظلام شراكا — للنبيل الكريم والند قاسم
هاكه جاء فاتحا فاتقيه — وا تركي الدس واعمدي للصوارم
اذ يقول النبي للصحب هبوا — لجهاد فالدين فوق الغنائم
ان تعيشوا فالقادر الحي راض — أو تموتوا فالقادر الحي دائم
واستماذ اليهود بالحصن شمخا — جاور القيم والنسور الحوائم
تستحم النجوم فيه سكارى — كالغواني تبرجت للحواسم
والمغيرون لا حصون تقيهم — غير بيض الظبى وسمر اللهاذم
ويهود ترميهم بصخور — صاعقات تنقض من كسف راجم
أعجز المسلمين خصم عنيد — انه في السحاب في حصن (ناعم)
كل يوم يعطي اللواء عقيد — فيعود المساء والوجه ساهم
قائد تلو قائد يتولى — واللواء الحزين كالقبر جاهم
كان ملء العيون في يوم بدر — وهو في " خيبر " ذليل راغم (٢)

عيد الرياض

وهذا مقطع من ملحمة " عيد الرياض " يقول فيه الشاعر :

غلغل الليل واستطال الشقاء — وادلهمت في المشرق الارجاء
أين أيام يعرب وحضارات — ومجد زهت به الاسماء
كسل أوهد الجزيرة حتى — شمسها في سمائها شلاء

(١) عيد الغدير ص ١٤
(٢) عيد الغدير ص ٨٣

فالسبات المديد هـد قواهـا — فعلى مجدها التليد العفاء
والظباء الخفاف قد بتن فيها — نائمات الصحى ومانـاب داء
وكثير من الرقـاد عيـاء — دونـه فى الرزيـة الاعيـاء
الحياة الحياة أخـف ورد — فاذا ماجلت أقام الفنـاء (١)

وفيما خلا ذلك فليس فى الشعر العاملى من الملاحم مايقارب ملحمتى بولس سلامة أو يدانيهما من حيث الطول والسرد والتكامل الفنى الملحمى . غير أن هناك بعض المطولات التى تصل الى ثلاثمائة بيت أو تزيد عن ذلك قليلا كما هو الحال فى قصيدة " الشمس وبنو عبد شمس " لعبد الحسين صادق (٢) وقصائد سليمان ظاهر فى الالهيات وغيرها ومطولات كامل شعيب العاملى وكامل سليمان وبعض الألفيات التعليمية من الاراجيز .

(٢) القصـة

أما القصة فى الشعر فهى وان كانت رفيقة الملحمة من حيث خلو الادب العربى منها فهى رفيقتها أيضا من حيث التشكيك فى صحة هذا الزعم .

ومهما يكن فان خطب القصة يسير ذلك أن روحها كانت تسيطر على الكثير من القصائد العربية قديما وحديثا وقد استهوت شعرائنا فى العصر الحديث فنظموا الكثير من القصص الشعرية ، كثرت تلك القصص أم قلت وكبرت قصائدها من حيث الطول أم قصرت — وشأن الشعر العاملى فى ذلك شأن الشعر العربى عامة . ولما كانت القصة نثرا وشعرا تحكى الوقائع الاجتماعية وتترجم سرائر النفوس وأحاسيس الناس دون اشتراط الطول أو القصر ، الخرافة أم الواقع ، الأساطير أم غير ذلك ، البطولة الخارقة أم الجبن المفرط ... لما كان وضع القصة كذلك فانه كان من السهل على الشاعر أن يتحدث عن أى خاطرة تعرض له بأسلوب قصصى ساحر جذاب يتلاءم مع عبقريته ويتصرف به على هواه .

والمجتمع العاملى مجتمع تسلطت عليه الامراض الاجتماعية الفتاكة كالجهل والمرض

---

(١) عيد الرياض ص ٥١
(٢) سقط المتاع — القسم الاول .

والفقر يضاف الى ذلك مرض الاصراض وهو السلطة وتعسفها وقهرها لجماهير العامليين بعد أن تحالفت مع رجال الاقطاع ••• وفوق هذا أصيب " جبل عامل " بعدة كوارث عسكرية على يد الجزار في القرن الثامن عشر والاتراك ثم الفرنسيين في العقد الثاني من القرن العشرين ثم الصهاينة بعد ذلك بالاضافة الى ما أصاب جبل عامل أثناء الحربين العظميين الاولى والثانية •••

كل ذلك كان له الكثير من الرواسب والآثار حيث خلف وراءه العديد من المآسي الاجتماعية كاليتم والتشرد والترمل والخرافات وما شابه ذلك ••• وهذه هي مواضيع خصبة للقصة سواء لدى شعراء عاملة أم سواهم نثرا وشعرا •• أما قصص الحب والغرام فهي لاتكاد توجد وان وجدت فهي قلة لانها من مظاهر المجتمع المتمدين المرفه وما أبعدنا في جبل عامل عن ذلك حتى مرحلة متأخرة زد الى ذلك أنها من مظاهر التفسخ والانحلال والقوم بعيدون عن ذلك في جبل عامل لتمكن القيم الدينية والخلقية من نفوس القوم فمجتمعنا مجتمع محافظ •

ومن ذلك نفهم أن مواضيع القصة في الشعر العاملي محدودة ضيقة ولعل مأساة كربلاء قد رست البذور الاولى للقصة التي تأخذ الطابع الدرامي الحزين •

ولما كان هذا هو حيز القصة العاملية نجد كثيرا من التشابه بين القصص المختلفة من حيث المواضيع فالتشرد والنزوح وما يثيرانه في النفس من شفقة وتأثر ••فالتشرد ينتج من الفقر واليتم ••• أما النزوح فهو اما أن يكون اختياريا كنزوح القرويين الى المدينة واما أن يكون قسرا وهو ماينتج عن الاحتلال والطرد كما حصل للفلسطينيين وبعض العامليين ••• وقد خلف هذا كما لا يخفى العديد من المشاكل الاجتماعية والمآسي • ومن ذلك نجد قصتين شعريتين بعنوان " الشريد " احداهما لهاشم محسن الامين والاخرى لعبد المطلب محسن الامين ولا ندري سر هذا التشابه بين الشقيقين ••• كما نجد عدة قصائد قصصية بعنوان " لاجئة " منها واحدة لعبد الحسين عبد الله وأخرى لكامل سليمان •• كما نجد كثيرا من القصص الشعرية عن المتسول والبغي كما نجد عددا من القصائد القصصية من الخرافات وغيرها لمحمد مقلد •

ثم نستعرض بعض هذه القصص ونبدأ بالشريد فقصيدة عبد المطلب نستطيع القول عنها بأنها من نوع " حكاية الحال " فالشاعر يتكلم عن نفسه وحياته أما قصيدة هاشم فتغلب عليها روح المأساة فى قالب قصصى متكامل مترابط فهى تحكى حكاية شريد حقيقى مغلفة بغلاف فلسفى تأملى حكمى . فالشريد التائه فى الدنيا لا يقر له قرار فى مكان فكان لا يذوق طعم الراحة والهناء . ويتساءل فى القصيدة عن مغزى الغنى للاغنياء وعن مغزى غزو الفضاء بالنسبة للدول الغنية الكبرى ومعنى أن يصعدوا الى القمر وهناك جائع على سطح الارض ؟

وهذا مقطع من "الشريد" لعبد المطلب :

في أى صقع أستقر وأسكن ولأى ظل أستريح وأركن
ألف السرى قدمى فما يحلو له الا التشرد فهو أشرس أرعن
من كل أرض فى نعالى غبرة ولكل ريح فى ثيابى مسكن
الليل بيدائى على ظلمائه تاهت خطاى وضاع ما أتبين
أهوى الظلام وعمقه وسكونه ورواءه لا تزهو ولا تتلون
سوداء حالكة ولو ناجيتها لفتنت منها بالذى لا يفتن
حجبت مفاتنها فلم يطلع على دنيا الورى الا سراب أدكن
حفت به الاشباح ناشزة المنى مجنونة صخابة لا تذعن
ياسائلى حلم الشريد تشرد ونصير رحلته ضلال بين
طال السرى فيه وذى قدمى وهت وتلكأ الجرح القديم المزمن (١)

وهذا مقطع من قصيدة "الشريد" لهاشم :

أطاف البلاد وجاب القفار ولا مستغاث ولا مستقر
كسكران تاه على ظلمة تقاذف فى الريح والحفر
فلا السمع سمع على اذنه ولا نظر الزيغ منه النظر
وساوت لديه الضيا والظلام أسى خالط العيش حتى اعتكر
تكاد تضعضع أضلاعه اذا أن من جدة أو زفر
كأن تصاريف أعضائه تعطلن من سمعه والبصر

---

(١) الديوان ص ٣١

يمضمضهن صوت حسرة ... أرنت على رغبة تحتضر
بدا للمناصر تقتادهم ... ففى جسمه من غناها أثر
فما يتقى لسمات الهجير ... ولا يحتمى من دفوق المطر
أيا ابن الوحول ويا ابن التراب ... ويا ابن الزقاق ويا ابن القذر
تساوت على البؤس أقدارنا ... فلا من عظيم ولا محتقر

ثم يسترسل الشاعر بعد ذلك فى نقد لاذع للمجتمع ويقول :

لئن ركبوا الجو فاستنسروا ... وراضوا الهواء وراموا القمر
وطالوا الطبيعة فى خدرها ... ينحون من كنهها ما استتر
فهل كفكفوا عزب بكساءة ... تذول الدموع وتشكو السهر
وهل بردوا من حيارى النفوس ... عليلا على جانبيها استقر (١)

وهنا تتضح فلسفة الشاعر التى ألمحنا اليها ، ولو كنا فى معرض المقارنة لنقارن بين الشريدين لصنعنا الا أننا نسجل بعض الملاحظات فقط فشريد عبد المطلب مشرد هائم على وجهه لا يدرى أين المستقر وهو كما قلنا من باب حكاية الحال أما شريد هاشم فهو وإن كان من هذا القبيل الا أن صاحبه يستنتج منه العبرة ويخلص الى فلسفة معينة لا يصل اليها شقيقه . أما التشابه الواقع بين الشريدين فلعله عائد الى أن الشريد لا يكون الا كما وصف الشاعرين . ومن الشريد ننتقل الى :

اللاجئة

وكذلك نجد " لاجئتين " واحدة لعبد الحسين عبد الله وأخرى لكامل سليمان أما الاولى فهى تروى قصة امرأة مشردة تحمل على يديها طفلا هزيلا وهى تبحث عن مأوى دون أن تجد ضالتها وكلما طرقت بابا أقفلوا أصحابه فى وجهها الى أن رآها الشاعر فسألها عن حالها فروت له قصتها ثم بادلها الشكوى فيتمه صغيرا وأهله كثر الا أنه طلب اليها أن تتبعه حتى وصلت ورحب بها أهله فأنست بهم وكفكفت دموعها . يقول الشاعر :

حملت فى الظلام طفلا هزيلا ... باكيا يملأ الفضاء عويلا
وعيون السماء تهمى عليها ... مالئات عرض الطريق سيولا

تتمسر الطفل بالجنان وتلقى ... فوق عينيه شوقها المهسولا
كلما شاهدت على البعد دارا ... أسرعت نحوها تروم الدخولا
ثم عادت حيرى فقد أوصدوا الباب من دونها وسدوا السبيلا

ولما سألها عن حالها وقصت له قصتها قال لها :

أتبعيني لعلني عند أهلي ... لنضام الصغير ألقى سبيلا

ولما تبعته ووصلت الى بيته :

جئت أهلي بها ويافرحة القلب ... وقد أجزلوا لها التأهيلا
غمر الطفل من بناتي حنان ... علم الأمهات عطفا جميلا

ثم يختم الشاعر قصته ببيت نستشف منه الحكمة فيقول :

والذى لم يذق من البؤس كاسا ... لا يحس فى الحياة الا قليلا(1)

أما " لاجئة " كامل سليمان فهى فلسطينية يقول الشاعر : " هكذا رأيتها يوم شردت من فلسطين عام ١٩٤٨ " رآها تلبس أسمالا بالية وتجر بيدها طفلين هزيلين هدهما وإياها الجوع ولما سألها الشاعر عن حالها قالت بأنها هربت بهذين الطفلين وقد تركت فى الارض المحتلة رضيعا وطفلة أخرى أما زوجها فقد أصيب وتركته هناك وصرعه رماه اليهود برصاصهم ويكفكف الشاعر من دموعها ولا يقول لنا الشاعر عما اذا كان قد أخذ بيدها أم لا ، ولكنه يكتفى بسماع القصة من فمها ويقف فيها خطيبا قائلا لها : " بأنك ضحية الحرب ولا بد من يوم تطلع فيه شمس الحرية " يقول الشاعر :

تمشى مع لبيبة بالهم والسقم ... والذل لفمها للرأس والقدم
تشد أسمالها كيلا يرى أحد ... رداء قد برته شدة السقم
تجر طفلين مهزولين شمتهما ... فخلت أنهما من صورة العدم
أرقتها سائلا من أين فاعتصرت ... عينين لم تهملا بالدمع بل بدم
انى هربت بطفلى الذين ترى ... مذعورة واليكم ساقنى قدمى
وقد نسيت رضيعى باكيا هلما ... وضعت عن طفلة فى وابل الحمم

يعلى أصيب وقد غادرته فرقسا | من اليهود وهى با لرصاص رمس
واحر قلباه واثكاله أين همسو | منى وأين أنا ؟ ياثرسة بغسس
ثم ارتمت لاتعى ولهى يوجعها | وهج المصاب ومات نبرة الكلسم
ياجارتا أنتم للمرب تضحية الانانيسات واذن المسرب فى صمسم
لسوف يأتى نهار بعد حالكة | ويبزغ الفجر ضاء من الظلم (١)

ومازلنا ننتظر هذا الفجر منذ مايزيد عن ثلاثين عاما !!

وقصة " المتسول الصغير للشاعر نفسه مأساة اجتماعيسة خلاصتها أن الزوج مات عن زوجسة وطفل صغير وبعد مدة تقع الام الأرملسة فى حبال جارها الذى يدعى أنه راغب فى انقاذ الطفل وتعليمه ولما تزوجهسا ثقل الطفل عليهما فطرداه ليتسكع فى الشوارع متسولا يستجدى أكف المحسنين حيث التقى بالشاعر وروى له قصته .(٢)

أما " بائع البسكويت "لوديع ذيب فهى كذلك قصة لاجئ صغير يبيسع البسكويت ولا يعرف طعمه .(٣)

وتغلب على الحوماني الروح القصصية فى معالجة القضايا والمشاكل الاجتماعية. يتضح ذلك فى نقده الاجتماعى المركظاهرة تقليد بعض نساء الاغنياء للاجانب فى معاشرة الكلاب .. ويروى قصة امرأة كانت تصنع هذا ثم انتقلت هذه العادة منها لابنتها الصغيرة - مريم - التى لم تقوعلى احتمال الكلب فماتت ضحية لذلك التقليد الماجن .(٤)

وتحكى لنا الشاعرة زهرة الحر حكاية " بغى تحتضر " وهى فتاة اسمها "تمارا " كانت تعمل فى بيت أحد الاقطاعيين الذى دفعها الى الرذيلة دفعا حيث أجبرها على معاشرته وعندما افتضح أمرها لتصبح لعبة بين أيدى الرجال المنحرفين ثم تبرئ الشاعرة ساحة هذه " البغى " متهمة المجتمع مشيرة اليه بأصابع الاتهام.(٥)

---

(١) اشراق ص ٥٥
(٢) اشراق ص ٦١
(٣) غيوم طامثة ص ٤٠
(٤) نقد البائس والمسوس ص ٦٠ .
(٥) قصائد منسية ص ٩٥ .

أما الشاعر ابرا هيم حاوى فانه يحكى لنا حكاية " اليهودية والرغيف"
ليصور لنا مدى تكالب اليهود على القرش وتخليهم فى سبيل ذلك عن جميع القيم :

قالت يهودية لابن لها امتثلا	وكان فى كل ما تملى له مثلا
اذهب بمنى وجئ حالا بأربعة	خبزا وحاذر طماما يابنى غسلا
أنا .. أبوك .. أخوك انت رابعنا	لكل منا رغيف لا تقل جدلا
وبعد ما أرسلته جاءها خبر	ان الحبيب المفدى زوجها قتلا
فهومت حاسرا تجرى مولولة	وراء مرسلها تستهدف السبلا
حتى اذا شا رفته بادرته بما	دعاه فيما دهاها خائفا وجلا
أبوك مات فلا تضمف مصيبتنا	والغ رغيفا وجئنا مسرعا عجلا (١)

وهذه القصة على طرافتها وقصرها تتكامل فيها عناصر القصة الفنية من مقدمة وعقدة وحل . ولها هدف سياسى واضح .

ويتناول الشاعر سعيد فياض حياة فقير بائس فيرسم ملامحها بأسلوب قصصى مشوق (٢) ونجد أيضا فى الشعر العاملى قصصا اجتماعية هادفة تحلل حياة الفقراء والبائسين والمرضى والمكدودين كقصة " المسلول " للسيد على مهدى الامين المتوفى (١٣٨٠ هـ) حيث يصف المسلول وصفا دقيقا بعد أن أخذ منه المرض مأخذا فلم يبق منه الا الجلد والعظم أما الشفاه فقد اصفرت وذبلت وغدت كالجادى ثم يصف بعد ذلك حال زوجته وأولاده ومنها قوله :

وذى بنية لو للنسيم تعرضت	لأوهى قواها ليس يبقى لها عزما
تملك فى أحشائه السل ماضيا	لبشر محياه وقد شوه الرسما (٣)

هذا وقد استوحى الشعراء العامليون من مأساة كربلاء قصصا شعرية كثيرة كما نرى فى قصيدة للشاعر بشير حمود (٤) .

---

(١) العرفان م ٥١ جـ ٥ رجب وتشرين ١٩٦٣ / ١٣٨٣هـ ص ٤٩٨
(٢) " " " " ص ٤٤٨
(٣) الاعيان جـ ٥٥ ص ٩٤
(٤) ديوان البشير ص ٣٠ ط ١٩٤٦ .

أما محمد على مقلد فكان يميل الى السرد القصصى فى شعره على الأخص عند معالجته للقضايا الاجتماعية • ومن ذلك ما رواه لنا عن أمه التى كانت "تخوفه" من الغول فتقول :

كانت تخوفنى أمى اذا غضبت بالغول مذ كنت طفلا حين أغضبها
فأحسب الغول ثورا ثائرا بشعا وأشره يأكل الدنيا وما فيها
وكنت أوصى رفاقى قائلا لهمو لا تغضبوا الام ان الغول يحبوها
حتى اذا صرت تلميذا حكيت الى معلمى قصتى فاسمع حواشيها
قال المعلم من تخشاه مفتقد فى الارض أمك مذ قالته تمويها
المستحيلات هذا كان ثالثها خرافة تلك لا تحفل براويها
ثم انجلى التهاس الامر عن بصرى ! وانجاب ما شوه الافهام تشويها
اذا الزعيم المفدى فى حقيقته غولسه يوءلهه الاشياع تأليها
اذا مشى التف من أذنابه نفر من حوله ومشوا فى ظله تيها
فهم واياه غيلان البلاد فان عز الفدا أكلونا فى تواليها
فالله ماكذبت أمى بقولتها حقيقة كانت الاوهام تخفيها
واحسرتاه علينا فالزعيم اذا قالوا أتى صاحت النسوان آويها (١)

والخلاصة أن القصة الشعرية قد غزت الادب العاملى دون أن تثقله وفيت خفيفة هادفة استوحاها الشعراء من البيئة والواقع واستهدفوا من خلالها نقد الاوضاع الاجتماعية ثم تمادوا الى نقد الاوضاع السياسية فأحسنوا أحيانا كثيرة وقصروا فى بعض الاحيان الاخرى •

---

(١) ديوان مقلد ط ١٩٥٠ ص ١٠١ •

(٣)

المســـــرحيـــــة

وبالرغم من أن مؤسس فن التمثيل في العربية كان من جبل عامل وهو مـــارون النقاش الذي نقل للعربية مسرحية البخيل لموليير ولعب دورا بارزا على خشبة المسرح العربي الا أن الشعر العاملي لم تبرز فيه المسرحية بشكل واضح بالرغم من وجود بعض التمثيليات الشعرية القصيرة وبالرغم من أن الشيعة في جبل عامــل قد مثلوا مأساة كربلاء تمثيلا حيا ودرجوا على عرضها سنويا في ذكرى عاشـــــوراء وفيها ما فيها من الاغراءات الكثيرة على التأليف المسرحي بالرغم من هذا بقي المسرح الشعري العاملي متخلفا ولا أظن أنه سيشهد تحولا أو تحركا يدفعه للأمام وكأن الناس لم تقبل على هذا الفن ولا تستسيغه شعرا فتوقفت الآذان عن قبوله وان قبلته فبحدود كما توقفت القرائح عن انتاجه وان انتجته فكذلك ضمن حدود ضيقة .

ومهما يكن من أمر فقد انتج الشعراء العامليون بعض التمثيليات الشعرية القصيرة والمسرحيات التي مايزال بعضها تحت الطبع ومنها ما شهد النــــور كمسرحية " بنت يفتاح " لبولس سلامة و " طهخة حمصي " لكامل سليمـــان وغيرهما وبعد وأن ذلك التقصير المسرحي يتمشى بشكل عام مع تخلف المسرح الشعري العربي بشكل عام .

أما وديع ذيب فله مسرحية شعرية باسم " نساء وأفاعي " من ثلاثة فصول رجع بها الى قصص الخليقة كما وردت في التوراة وكما جاءت في سفر التكويــن والقرآن الكريم .(١)

---

(١) تاريخ الشعر العربي الحديث لاحمد قبش ص ٧٢٧ .

أغـــراض متفرقـــة

هذا وثمة أغراض أخرى طرق أبوابها الشعراء العامليون كالحديث عن الآلام . وهذا غرض محدود يدخل في "حكاية الحال" أو الشعر الوجداني وقد طرق بابه الذين عانوا من الآلام الحادة والمزمنة ومنهم من صمد لتلك الآلام . ومنهم من قضى تحت وطأتها ومن الذين صمدوا بولس سلامة وهو أيوب هذا العصر وسطيحه ومن الذين قضوا في ريعان الشباب محمد سليمان يونس وكامل مصباح فرحات ... وهؤلاء جميعا تحدثوا عن آلامهم ومعاناتهم الشخصية .

وجملة ما في الامر أن العامليين ما تركوا بابا الا وولجوه ولا غرضا الا ونظموا فيه الشعر فكانوا مرآة صادقة جلية صافية عكست مجتمعهم وصورت ما فيه من المآسي والمشكلات وعبروا عن كل خلجة من خلجات نفوس مواطنيهم .. رفضوا مع الرافضين .. وثاروا مع الثائرين .. ووجهوا مع المصلحين والمؤملين .. استنكروا الظلم وآزروا الحق ووسعوا دائرة آفاقهم فالتفتوا حولهم فغنوا للعروبة أعذب وأشجى الالحان وهتفوا للوحدة القومية العربية وسكبوا دموعهم على تراب فلسطين قبل دماء مواطنيهم .. فلم يكن الشعراء العامليون ملكا لجبل عامل ولا ملكا للبنان فحسب وانما كانوا ملكا للعروبة ومددا للانسانية لانهم كانوا يصدرون عن عقل ثاقب وفكر انساني سديد ومشاعر انسانية جياشة بالحب والعاطفة وكأنهم كانوا يغترفون من معين الانسانية جمعاء . وهذا المعين لا ينضب أبدا لانه نبع التاريخ المتجدد مع الايام وعلى مدى الدهر.

نمـــوذج للحديث عن الآلام
لمحمد سليمان يونس

وقد قدمها بقوله :

" يوجهها كل عاملي مغبون الى الذين أوثقوه بالقيود والاصفاد وحكموا في رقبته نير العبودية النكراء .. أنفث هذه الحمم "

أنف القضاء تضرعى وتألمى ... وشكا الزمان صدى زفيرك يانفسى
وسهرت نفسى ضمن بوتقة الاسى ... ظلوا غريقا بالدموع وبالدم
ولكم جرعت من الشقاوة أكؤسا ... شتان بين مذاقها والعلقم
وقضيت عمرى بالتعلل والمنى ... فمتى أفوز من الحياة بمغنم
قد قوضت هوج الرياح وزفرتى ... كوخا مريما مثل قبر مظلم
كم أنشب الجوع المرير براثنا ... بحشاشتى فى هيكلى المتهدم
كم هزنى السقم المنيف وجال فى ... جسدى الكلوم وصال صولة ضيغم
وطغت على عقلى الجهالة والهوى ... وغدوت أطيش من ظليم أعجمى
متقهقرا وكتائب العليا سمت ... بالعلم قد وطئت متون الأنجم

****

رحماك يا ربى أجرنى واصرفن ... عنى التعاسة والأسى وترحم
أنا ما جنيت وما ارتكبت جرائرا ... أما جنيت ولست أول مجرم
أشركت منبوذا لانى معدم ... مع اننى فى كونه لم أعدم
ولعفتى ومروءتى ونقاوتى ... وتهافتى نحو الطريق الاقوم
وتنسمى ريح المعارف والهوى ... وسالتى وتحررى وتقدمى
ان كان ذا جرحى فياعدل السما ... زدنى بحق محمد ومريم
رباه ان الشعب فى غفلاته ... يكبو وعن طرق الهداية قد عمى
والدين بشر بالنشور وعدله ... وقصوره ونعيمه وجهنم
فاذا النشور لدى الطغاة مهازل ... ليس النشور سوى سخيف توهم
فلذا انبروا ليحققوا أهواءهم ... مستذئبين أحلوا كل محرم
داسوا الفضيلة واشرأبوا نشوة ... متلذذين لوقع صوت الدرهم
كم مترف مترفه متغطرس ... بجوارأطها رجياع صوم
رباه حتى م تموت معاشر ... ومعاشر بتلذذ وتنعم؟
أعجوبة حار الانام بحلها ... من لوذعى عبقرى ملهم

من قبة كنظام غاب موحش　　كالمندليب يرى بقبضة قشعم
يتحطم النسرين فى عنق الصبا　　ويدون الورقاء سم الارقم
ان الحياة عجائب ومهازل　　عرس يقوم على فظاعة مأتم (١)

ولا ندرى ماذا نسمى هذا الاسلوب للشاعر فهو الذى أوهمنا أو لعله اوهم نفسه أنه يتكلم عن آلامه فاذا به يتكلم عن آلام الآخرين والظلم الاجتماعى فى بلده .. أنسميه ضياعا أو نسميه تحسسا بآلام الاخرين وذوبانا بهم ؟ على كل حال هذا هو نتاج الشاعر وهذه هى عصارة عقله وهو يعانى من المرض .

ــــــــــ

(١) العرفان م ٤١ ج ٤١ ج ٨ حزيران ٩٥٥ ص ٩٣٨

الفصـــــل الثانـــــى

الشعـــر العاملــى
صـــوره وأشكالـــه ومبلغـــه من الجـــودة

قبل ان نتكلم عن الصورة والاشكال فى الشعر العاملى لابد من تعريف وجيز للصورة الادبية فالصورة فلا تكون حسية وقد تكون خيالية . وعلى كل حال هى ليست تلك الصورة الفوتوغرافية التى يتفنن فى اظهارها المصور وليست تلك اللوحة التى تكلف الفنان جهدا كبيرا حتى تبدو كأحسن ماتكون عليه .. واذا كانت الصورة الثانية قريبة من الصورة الادبية اوجزء منها فانها تختلف عن الصورة التى يرسمها الشاعر بريشته الوهمية الساحرة التى تعتمد على الخيال الخصب المتحرك الذى يزود الشاعر بالمداد وعلى الفكر اليقظ الذى يمده بالالوان والحركات تلك هى صور الشاعر التى تعتمد على التشبيه وفنون البلاغة التى نعرفها ... انها صورة لا تعلق على الجدار بقصد الزينة ولكنها تحفر او تطبع على جوانب الفكر الانسانى ويحتكرها العقل لنفسه فيتمتع بها على مقادير متفاوته .

والشعراء العامليون كغيرهم من الشعراء يختلفون فى تناول الاشياء ويبدعون - على تفاوت فيما بينهم - فى رسم الصور واللوحات الشعرية الجميلة .

ونحن وان كنا نؤمن بالنظرية القائلة ان لا جديد تحت الشمس ولا جديد فى الادب والشعر وصوره معادة ومكررة لا سرقة ولا تقليد وانما ذلك عائد لان الصور بنت الطبيعة والمجتمع . والطبيعة لم تتغير الا بقدر والمجتمعات البشرية لم تتغير من حيث الجوهر . ولكنها تغيرت من حيث الشكل . ولما كانت الصور تحاكى هذه الاشياء فان الجديد فيها قد خضع لهذا الواقع . ولا نقول بالسرقة ولا التقليد فان هذه الاحكام مرتجلة وليست سليمة ... فالاديب لا يسرق .. والشاعر انسان حساس دقيق الحس . مرهف المشاعر . ينظر الى الطبيعة . ويلاحظ ظواهرها ويتأمل فى عظمتها ثم يحرك ريشته فترسم ما تراه . فلو وجد الشاعر نفسه - فى ايامنا هذه - وسط الصحراء المترامية الاطراف يحيا فيها حياة اهل البادية ولا يرى الا الخيم والنوق والظباء والرسوم والاطلال والنجوم والوحوش ...

لجاء شعره محاكيا لشعر الاقدمين ان لم يكن صورة عنه ، ذلك ان هـــذا ماكان يراه الاقدمون .. ولكن الشاعرالمهموم غيره بالامس ، فهو يعيش بين المصانع ويسمع ضجيج الاتها ، وتبهره منتوجاتها ويرى الطائرة والباخرة والسيارة ثم الصاروخ والاقمارالصناعية ... وهوعندما يصف هذه الاشيـــاء لا يصفها بدافع التجديد ، وانمابدافع المحاكاة ، وهو انما يحاكى مايـــراه وكما قلنا فالشعر محاكاة ... اماالشكل فهو الذى وضع ليكون اطارا للشعـــر ولابد من الوقوف عنده وكل حركة مغايرة لذلك تعتبر رجعة الى الوراء ، ولهـــذا السبب نرى الشعـــر الحديث وقد اصيب بعدة نكسات ، واحتمالات نجاحه باتـــت قليلة وضعيفة ... لان التجديد فى المعقول معقول ، اما التجديد فى غـــير المعقول فهو ضياع وخداع للنفـــس ، ذلك ان الشعر الذى وصلنا عن القدمـــاء لو لم يكن فى قالبه وشكله الذى عرفناه فانه ماكان ليصل الينا ، فبحور الشعر المعروفة التى هى قوالب الشعر وقلاعه التى احتمى بها فحافظت عليه ودفعت عنه الغارات المتكررة المتجددة مع الايام فكانت له كالوعاء الامين الذى لا يعلوه صدأ ولا يتسرب اليه الفساد ولولا ذلك لما وصلنا منه شىء .. الا نرى النثر وهو ماهو عليه من جمال وقوة ومتانة سبك ورصانة واهمية وقد ضاع معظمه ولم يصلنا الا اقله لان قالبه يختلف عن قالب الشعـــر ؟ .

واقول ان كل اثر لا يوضع فى قوالب جديدة غير قابلة للصدأ والضيـــاع لن يكتب له البقاء ناهيك عن الخلود ... وان الوقت الذى يكتشف فيه شعرا ؤنا المعاصرون والمجددون - منهم - هذه الحقيقة ، ليس ببعيد وسوف نراهـــم وقد عادوا الى قواعدهم سالمين ، وهم يعضون على نواجذهم ندما واسفا علـــى ما اضاعوه من وقت فى التسلق على جدار الجديد ... وهم ينظمون الافكار الشاعريـــة فى جمل نثرية ، وهم فى ذلك كمن يضع عقود الماس والحجارة الكريمة والياقـــوت والمرجان فى اكياس من الخيش الخشن مع البصل والبطاطا ... فجاءت مهزوزة يائسة ترقص رقصة مرتجفة خائفة ... وهى مهما بلغت افكارها من السمو تبقـــى ترنو بعيون من العجز والقصور الى ماهو دونها من الافكار التى وضعت فى قالـــب موسيقى سليم .

والشعراء العامليون حافظوا على القوالب التقليدية للشعر حتى بداية الخمسينات وبعد ذلك اختلف الوضع وانقسموا الى قسمين و استطاع قسم المجددين ان يجرف الغالبية فى تياره فتفلتوا من البحور وموسيقى الشعر .. وبذلك اختلفت الصور الادبية بين العامليين . وقبل الاسترسال فى الحديث نمهد لتعريف الصورة الادبية بنظر البعض من النقاد .

يقول الشاعر الفرنسي " بول ريفيردى " :
" الصورة ابداع ذهنى صرف (١) وهى " تلك التى تقدم تركيبة عقلية وعاطفية فى لحظة من الزمن " كما يقول " عذرا بوند " (٢) والصورة الشعرية هى " حلم الشاعر " كما يقول " فسلر " (٣) ويوضح ذلك عزالدين اسماعيل فيقول : " يمتزج الرمز فى الصورة الشعرية بالحقيقة حتى اننا لا نعرف فى كثير من الحالات ماهو رمز وما هو حقيقة " (٤) .

ثم يقول عز الدين اسماعيل : " ومن الحقائق التى قررناها كذلك بشأن الصورة الشعرية انه ينبغى التفريق بين التفكير الحسى والرؤية البصرية للشىء . صحيح ان الرؤيا ضرب من الحس وصحيح ان الصورة المرئية تتمثل للعيان لكن التفكير الحسى اكثر ايغالا فى صميم الاشياء من مجرد الوقوف عند سطوحها واشكالها المرئية . " (٥) واذا كانت الصورة الشعرية ابداعا ذهنيا وحلما من احلام الشعراء ومزيجا من العاطفة والعقل والرمز والحقيقة ... فماذا يكون حظ الصورة الشعرية عند الشعراء العامليين ؟ .

وقبل الاجابة على هذا التساؤل لابد من تساؤل اخر هو : هل كان الشعراء العامليون يمثلون ظاهرة جديدة فى تاريخ الشعر العربى ؟ وهل يختلفون فى صورهم عن غيرهم من الشعراء ؟ بالتأكيد لا فانهم كغيرهم وكانت صورهم تعبيرا عن هذا الواقع المذكور وتجسيدا له فتارة يحالفهم الحظ وتارة يجانبهم .. فهم مقلدون احيانا ومجددون احيانا اخرى .. عفويون فى بعض الاحايين فالذين تخرجوا من المدرسة النجفية نراهم يحاكون القدماء .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) الشعر العربى المعاصر لعزالدين اسماعيل ـ دار العودة ودار الثقافة بيروت ١٩٧٣ ط٢ ص١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٥٠ .

فى صورهم وهذه قطعة من شعر الشيخ محمد حسين شمس الدين يقول فيها :

على الدار من سلمى بذى الاثل وسلموا	وهل تنطق العجماء اوتتكلم
قفوا بمحانيها قليلا لعلني	اداوى الحشى من زفرة تتضرم
دعونى اجيل الطرف فى عرصاتها	خذيا وفى اياتها اتوسم
اناشدها عنهم متى عنك قوضوا	وفى اى واد بعدك اليوم خيموا
وشمت على الاكوار خمص من الطوى	سروا يخبطون السير والليل مبهم
خفاف على الاقتاب الا حلومهم	وان وقذتهم نعسة السير هوموا
ينصون فى الليل البهيم قلائصا	لها من ذميل العيير ورد ومطعم
اذا ركبوا طارت بهم عزماتهم	وان قارعوا فالحمد كسب ومغنم
مذاويد لاتهفو لروع حلومهم	وان عزموا يوما على الروع صمموا
وكل له فى ذروة النجم غاية	على انهم فى ظلمة الليل انجم
يمسح عن اجفانه سنة الكرى	ويمضى على الحادث والناس نوم (١)

فانت تحس حين وانت تقرأ هذه القصيدة بان الشاعر ينقلنا الى الماضى البعيد فنسمع جلبة القوم وهم يرتحلون على عيسهم طلبا للكلأ والماء ثم تذكرنا وقفة الشاعر بوقفة امرئ القيس وغيره من شعراء الجاهلية :

" قفا نبكى من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوا بين الدخول فحومل "

فالصورة اذن بدوية بشكلها ولونها ، بدوية فى الفاظها ومعانيها ، وانظر معى متأملا تلك الكلمات : " الاثل - العجماء - المحانى - العرصات - الوادى - خيموا - شمت - الاكوار - يخبطون - خفاف على الاقتاب - وقذتهم - القلائص - ذميل - مذاويد " فما الذى يميزها عن كلمات القدماء ؟ اليست محاكاة لهم ؟ ثم اننا لو لم نذكر اسم الشاعر وترجمته هل كنا نعرف انه شاعر عاملى يعيش فى القرن العشرين ؟ لاشك اننا لو لم نذكر اسمه لظننا انه امرؤ القيس او زهير او الحطيئة او واحد من هؤلاء واضرابهم

---

(١) مع الادب العاملى لعلى الزين ص ٢٠ .

ثم ننتقل الى صورة اخرى من الصور التقليدية التى رسمها الشعراء العامليون فى قرننا الحالى للشاعر الشيخ عبد الحسين صادق يصف فيها الباخرة ومازلنا على عهد قريب بها ونعيد الى الذهن بعضا من ابياتها :

روت الفلك فى متون البحـــار | نبأ البرق عن صحيح البخـــارى
وتلت صورة الدخان فغشـــت | بلثام الظلام وجه النهـــار
كلما زجها بجذب ودفـــع | مارج فى قواء دها من نـــار
.... | ... الخ

هذا وصفه للباخرة ، واول مايطالعنا به انه اقحم صحيح البخارى كنوع من التورية ثم اضاف تورية اخرى من سورة الدخان فى القرآن الكريم وكل ذلك ليقول لنا بان هذه السفينة تسير بقوة البخار وينطلق البخار منها فيغطى السماء وفى قوله : اتلعت مناخير ... يذكرنا باتلاع الناقة ثم نراه بعد ذلك يذكر القطا والنعام وكل ذلك من الصور التقليدية القديمة والاهم من ذلك وصفه للقطار اذ يقول :

تتجارى والفكر فى أمد المســير | فتجتاز غاية الانكـــــــار
مشقت للحديد خيطـــــين | وانسابت فخاطت صحاصحا بصحارى
نوعتها رماتها اى سهـــم | مر يغلى مفوق الاوتـــــار
...... | ...... الخ (١)

يقول الشيخ على الزين فى تعليقه على هذه الابيات : " فانظر اليها على مابها من قوة السبك ومتانة الاسلوب وصفاء الديباجة هل ترى بعد تجريدها من هذا العنوان او من هذه الجملة (مشقت للحديد خطين " كذا ") غير وصف عام من اوصاف الناقة على ماكان يصفها به المتقدمون من اعراب البادية والضاربين على وتيرتهم من المتأخرين ؟ " (٢) ثم انظر الى تلك الصورة الاخرى التى ترسمها ريشة الشاعر نفسه للسيارة :

مالنا سائق الرواحل قـــدم | فركبنا ه زائرا زئر ضيغـــم

---

(١) ، (٢) راجع القصائد الثلاث فى مكان اخر من هذا البحث وفى سقط المتاع ص ١٢ ، ١٧ ج ١ ونقد الشيخ على الزين لهذه القصائد فى كتابه مع الادب العاملى ص ٦١ .

فمضى فانطوى الفضاء بلحــــظ　　　فحططنا الرحال فاتركب خهــــم

وها منا فى عصر السرعة ونحن فى صدد وصف السيارة فلننتقل فى نفس القصيدة الى احدى صورها التى تقول :

مر ينساب فى المهامه صـــــلا　　　مطرق الرأس ابتر الذيل ارقـــــم

مقلتاه ليلا سراجا سليـــــط　　　او شهابان يرجمان المقـــــدم

فيفتح من مقلتيه فمـــــض　　　تجد الكون اقمر اللون اقتـــــم

ظهره غرفة النعيم ولكـــــن　　　بطنه فى السعير وادى جهنـــــم

هب والطرف يجريان ولكـــــن　　　طامح الطرف ظالما عنه احجـــم

عاقد من وراءه يم نقـــــع　　　وهو فلك النجاة فى ساحل اليـــم

ثم يقول الشـــاعر :

قائما قاعدا مكرا مفـــــرا　　　مقبلا مدبرا ملوا مقـــــوم

وهذا يذكرنا بصورة امرىء القيس السريعة المتلاحقة عندما وصف الفرس وقال :

مكر مفر مقبل مدبر معـــــا　　　كجلمود صخر حطـــه السيل من عل

والشاعر كما رأينا يشبه السيارة بالصــل وهو نوع من الافاعى القصيرة السريعة البتراء . اما عيناها فبسراج الزيت الذى كان يستعمله الرهبان قديما فى اديرتهــم او الشهابين ... ثم انظر الى تلك الصورة السينمائية السريعة التى يعثور فيها الكــون المحيط بالسيارة عندما تفتح عيناها وتغمضهما زه فهى قمراء مظلمة فى وقت واحـــد بين فى وقتين متتابعين بسرعة .. اما ظهر تلك السيارة فهو مريح . ولكن باطنهـا نار جهنم حيث الالة المحركة والمحروقات التى تفجر طاقتها .. ثم ان السيـارة تطلق النظـر الذى يكل عاجزا عن مجاراتها ... ثم ذلك الغبار الذى تثيره السيارة خلفها فهو كالبحر غير ان السيارة هى سفينة النجاة .. ونحن ننظر الى تلك الصـــور الرائعة السريعة المتلاحقة نحس وكاننا فى السيارة فى اول عهدها تسير فى طريق غـــير معبد ندرك ذلك من الغبار الذى اثارته خلفها ثم نشعر مع الشاعر بمتعة ركوبها لاول مـــرة فهى تجمع المتناقضات ... جميعا فى داخل محركها ونعيما ما فوق الاتهـا

التى تسير بواسطة الوقود الملتهب . انها ولاشك من روائع الصور التى رسمها الشاعر فى نهاية الثلاثينيات حيث لم تكن السيارة قد انتشرت بعد فى جميع البلدان ومع ذلك لم يكن بوسع ان امرئ ان يركب السيارة ويعرف ماهى او يدرك منافعها .

وللشاعر صور رائعة كثيرة غير اننا نتركه لننتقل الى صور اخرى مختلفة لشعراء اخرين فنختار صورتين لشاعر اخر هو بولس سلامه نجتزئهما من ملحمة "عيد الرياض" فى مدح السعوديين . الصورة الاولى يصور الشاعر فيها عبد العزيز آل سعود عندما تسلل مع بعض رجاله الى حصن الامير عجلان فى الرياض بقصد اغتياله ونحن لا تهمنا هنا التفاصيل بل الصورة .. كان المهاجمون اربعين رجلا فانظر كيف رسمهم بولس سلامه :

ومشى الاربعون للسور مشى العاشق اللابس الخفساء ردا ء
يتوقى العيون والنسم . الواشى فمن دربه يزيح الهواء
لا سعال ولو تكسر فى الصدر وهد الشغاف والاحشاء
لا عطاس ولو تمزقت الا وداج او شيبت العيون البكاء (١)

أرأيت تلك الصورة الصامتة الناطقة لجماعة يتسللون خلسة وهم يكتمون انفاسهم لكى لا يشعر بهم احد ثم المعاناة الصعبة التى تمنعهم من مجرد السعال والعطاس مهما كانت النتائج ؟ اجل انها صورة رائعة ومثلها صورة الجثث والاشلاء التى تتناثر بعد احدى المعارك بين السعوديين وخصومهم :

كان حصد المنون خمسة الاف شبابا مشى عليها البلاء
الالى قد توشحوا المجد باتوا وعليهم من الذباب رداء
رب انف كان النسيم يداريه علته ذبابة زرقاء
وعيون تغورت ولقد كانت نجوم يشع منها الذكاء
والخدود التى تصعر والاعناق من فرط زهوها صيداء
درج النمل فوقها والجباه الشم عاثت بحسنها خنفساء
وبطون بقيرة لعب الدود عليها وانداحت الامعاء

---

(١) عيد الرياض ص ١٩٩ .

كم قتيل تقسمته الشظايـــــــا فاستطار المرمـــــى والاجـــزاء
كغصون يبيسة مزقتها الريح مـن بعد مـــا بـــراهـا الشتــــــاء (١)

وبعد أرأيت تلك الصورة برهبتها وبشاعتها وماتشع به من اردية الحـزن والذعـر والخوف وما تشعـر به حسرة واسى لتلك الجباه التى كانت شامخة تبحث عن المجد فعفرها الموت بتراب الذل والقى عليها رداءه وسطا عليها الذباب والتهمها الدود وحام حولها البوم والغربان ؟ ثم أرأيت كيف استعمل الشاعر الالوان عندما ذكر لنا لون الذباب الازرق وهذا مايزيد الامر بشاعة قولك ان الذباب الازرق هو النوع السام الذى ينقل الامراض وتعافه النفس لمجرد النظر اليه ؟ ... كل البشاعــة والرعب والخوف والذعر تراه ماثلا فى تلك الصورة الرائعة .. وهكذا تجتمــــع الاضــداد ... انه بولــس سلامـــه ... ولاعجـب .

ويستمد العامليون صورهم فى الغزل من القدماء على الطريقة التقليدية فهم حسيون من حيث تناول المرأة فينظرون الى عيونها وصدرها وأردافها فهى كبقر الوحش والجوذر والظبى أما شعره فهو كالليل اسود فاحـم ....

نقرأ احدى قصائد شبيب باشا الاسعد فى الغزل ثم نقرأ اخرى لكامل سليمان والاول من الشعراء الاوائل فى القرن العشرين أما الثانى فهو من المتأخرين فنجد تشابهاً بين الشاعرين من حيث النظرة الحسية الى المرأة . يقول شبيب من قصيدة :

وبذى جيد بنجد احمــــــــر بلغ الوجد بـه مابلغـــــــا
لحظ ذاك الظبى من فتك الظبـا فى الحشاشات تراه ابلغــــا
قمر يدهش رائيـــه اذا فى دجى ليل بهيـــم بزغـــا
كلما قلت له صل كان من بينـــه صـــل لقلبـــى لدغـــــا
وأراه ما تمـــــدى هجــــره وتمذيبى تمدى وبغــــى
فكأنى رمت قطع الوصـــــل اذ هو للمعنى بقولى ما صغـــا (٢)

---

(١) عيد الرياض ص ٣٨٦ .
(٢) ديوان شبيب باشا الاسعد ص ٢٤٥ .

انه يصف المرأة ثم يذكر ما يمانيه منها من بعاد و جفا متمنيا الوصـــل واللقاء ... وهكذا تجرى قصائد الاسعد فى الغزل .. ثم ننتقل الى الشاعـر كامل سليمان لنقدم نموذجا اخر فنجد انفسنا امام شاعر تتأجج بين ضلوعـه نار الحب المكتوم ويصور لنا مقدار مايمانيه من لوعـة واذا بصوته المخنوق يعلـو ويعلو معه حشرجة العليل الملتاع :

نزلت الى بستانهـــا دعد — فتشوف النسرين والـــورد
واهتزت الاعصان موئسـة — لما تأود قربها القـــد
والزهر غار لحمـرة صبغت — شفتين يحلو منهما الـورد
وارتد فى الاكمام مختبئـا — خجلان يبسم وهو يرتـد
جاءت الى رمانـه فهفـت — اثمارها وتضوع الرنـد
أدنت اليها كفها فهـوى — فسطانها وتألق الزنـد
وامتد للرمان كف فتى — لم يدر كيف اليه يمتـد
امسكت بالرمان اجذبـه — قصد القطاف واذ به نهـد
حولته نحوى اداعبـه — مترسلا ماساقنى المـد (١)

فهل بقى لنزار قبانى شىء ؟ فالشاعر كما رأينا يصور القد ويشبهـه بالاغصان ثم يصور الشفتين الحمراوين اللتين يفارقهما الورد وينتقل بعد ذلك الى النهود رأسا ودون مقدمات فيشبهها بالرمان والشيء الجديد الذى لم نر لـه شيئا عند القدماء هو وصف " الفسطان " وهكذا نرى الصورة الحسية وقد تجلت فى غزل العامليين .

ثم انظر معى الى تلك الصورة الهائجة الثائرة للسيد حسن الامين يصف فيها النخيل فى شموخه وثباته يقول الشاعر من قصيدة بعنوان "ربيع النخيل" :

يعلو على هوج الرياح ويفتلـى — كالثائرين مطامحا ورغابـا

ثم انظر اليه بعد ذلك كيف تهدأ ثورتـه ويرق فيقـول :

ويرق عاطفة ويعذب مبسمـا — ويطيب ظلا وارفا ورحابـا (٢)

---

(١) اشراق ص ٤٢ وعنوان القصيدة " مصادفـة " .

(٢) العرفان م ٣٦ عدد ٦ حزيران ٩٤٩ ص ٦٢٦ .

وفى هذا الاتجاه فسير صور العاملين التقليديين فيما قبل الخمسينيات من حيث الوضوح وطغيان الحس ، كما نرى عند كل من الشعراء السادة محسن الامين وسليمان ظاهر واحمد رضا وموسى الزين شرارة وعبد الحسين عبد الله ومحمد يوسف مقلد ومحمد نجيب مروة ومحمد سليمان جواد واحمد عارف الزين وغيرهم .

وفى الخمسينيات بقيت الصورة الادبية تتأرجح بين القديم والجديد وما أن اطلعت الستينيات حتى رأيناها وقد ارتدت ثيابا جديدة ، فتغيرت تبعا لتغير المفاهيم ، واذا بشعراء جيل عاصيل وعلى الاخص الشباب منهم بالذات أولئك الذين ولدوا فى أواخر الثلاثينيات قد غاصوا الى الاعماق يبحثون عن المعانى البكر يلمسونها ولكن أين توجد تلك المعانى التى لم تر النور بعد ؟ ... واذا ماخاب أملهم فى صناعة الصور الجديدة فى تلك الاعماق نراهم وقد حلقوا فى السماء فتعترضهم السحب الداكنة المتلبدة وتفجأهم الرعود القاصفة والبروق اللامعة ... فتحجبهم للغيوم وتحجب معهم معانيهم وصورهم فيلفها الغموض وتتلون بلونها الشاحب ...

ثم يصعب عليهم بعد ذلك الانفكاك من كابوس السحب ، فتأتى صورهم بهيمة غامضة تسبح فى محيط الخيال .. واذا بالقارئ العادى يحس وكأنه أمام صور غريبة وطلاسم لا يفهم لها معنى ورموز لا يجد لها حلا .. واذا بالظلالات تتحدر الى أعلى واذا بالغيوم تتسرب الى الاعماق والانقباضات تتحول الى عموديات والاسهم المنطلقة تتمزق وهكذا ...

والصور التى تتلون بهذه الالوان كثيرة ولن نستطيع الوقوف عندها ولكننا نضرب لها الامثال ونقف عند بعض الشعراء :

محمد على شمس الدين (١)

فى قصيدة للشاعر عنوانها " نقطة من دم المحارب الحزين " يقتات الشاعر جوعا ويرتدى وبر الابل تحت الخيام ولا أدرى ما الذى منعه من ارتداء الوبر خارج الخيام ؟

" فاطعمته بين قلبـــــي
واهبت غربته
وهشنا معا نأكل الشوك والعشب او
نرتدي ورق البلى تحت الخيام ٠٠٠ " (١)

ولعلك تلاحظ معي العرف " او " وترمه المرتبة بين الاكل واللبس ٠
وفي قصيدة اخرى يجعل الشاعر من الاغاني بديلا للتراب ينهال على القبر:

قتلتـــــني عاشقـــتي ٠٠٠
وهالت فوق تراب القبر ٠٠ اغانيها
فاخضر المعظـــم
وأنبت زنبقتـــــــة
يتفيأ في تربتها الاموات ٠

ثم نرى الشاعر بعد ذلك وقد تحول في نهاية القصيدة مطرا ينزف مـــن
دم الله ثم مطرا يصعد الى اعلى وليس لنا ان نسأل الشاعر عن كيفية كون هذا فهو
حر لانه يركب الموجة الحـــرة :

" وها اندا مطر نازف من دم اللـــــــــه ٠
مطر صاعد باتجاه الغيـــوم ٠٠٠ " (٢)

ثم اليك بعد ذلك بعض الصور التي ننقلها نقلا سريعا دون ان نقف
عليهـــــــا :

" تغور الخطى المستحمات في الرمـــــل "
"فينطفو على الرمل وجهـــــــــــــــي " (٣)

---

(١) مجلة بيروت عدد ٧٨٨ السنة الثالثة ١٥ تموز ١٩٧٦ ٠
(٢) مخطوطة للشاعر ألقاها في احدى المناسبات يوم ١٩٧٦/٧/٦ لم ديوانه
الجديـــــد ٠
(٣) قصيدة (السير على الرمال المتحركة) للشاعر مجلة الاسبوع اللبنانيـــة
٢٠ تمـــوز ١٩٧٢ ٠

وفى قصيدة عنوانها " ايات من كتاب الامام المنتظر " يقول الشاعـــر :

" وجهك الرعــــــد

وقرآنى اجتراح المطــــــر " .

ويقول : " هل لك الان بكأس من نماس ؟ " (١)

واحيانا يجعل الشاعر للماء جذوعـا :

" ومن اين اتيت تنقر جذع المـــاء ؟

وتفتح بابا للقلب المترنح مثـل ناء الدمـــع "

ثم يجعل فى نفس القصيدة – من التاريخ نهرا له شفاف ويجعل للرمان جيوبا :

" خيلهم من شفاف التاريخ تمدو

وتنشق عنها جيوب الرمـــان .. " (٢)

وفى " قصائد مهربة الى حبيبتى اسيا " يجعل الشاعر للحزن عصافير وللماء

عصافـــــير :

" عصافير للحزن تنحسن فى الذاكرة

عصافير للماء تنحســــن فى الهاجـــرة " .

ثم اذا به يجزىء القصيدة فيضع عنوانا لمقطع منها يقول فيه :

" الغيوم تشرب دمعها وترحـــــن "

ثم ان اسيا " تشرب حزنها الدهـــرى ... " .

ثم اذا بها وقد " احترقت خلف الاسوار مدججة ببكارتها " (٣)

والحرس "ينطـــفىء" فى قصيدة اخرى عنوانها : " تجليات الورد والحمى " :

" فى الليل اذا انطفأ الحرس اقتربـــى "

" وزهورك تشربها الحمـــــــــــــــى " (٤)

---

(١) الموقف الادبى السورية عدد ٢ س٢ حزيران ١٩٧٢

(٢) قصيدة "الطوفان " مجلة مواقف عدد ٢٧/٢ ربيع ١٩٧٤

(٣) ديوان الشاعر ص٥٨ /مواقف عدد ٢٧ ربيع ١٩٧٤ .

(٤) ديوان الشاعر ص٦٧ وجريدة الثورة العراقية ٢١/٦/٧٣ وملحق الانوار ١١/٣/٧٣ والانباء اللبنانية ١٦/٣/٧٣ وابلاغ اللبنانية ١٩/٣/٧٣.

ثم انظر معي الى تلك الصورة التي لا تختلف عن صورة المطر وهو يصعد الى اعلى
يقول الشاعر في قصيدة " رماد .. في مخيلة جندي بقي حيا بعد الهزيمة " :

حجر يسقط في بئر عميق
فاذا الماء حريق
واذا البئر غريق في الحجر " (١)

شعراء آخرون

نشر شوقي بزيع في احدى المجلات اللبنانية " شيئا " اسمه "بناويس ، سريعة لوطن مقتول " ولعله يقصد انه شعر ولا اتول انا بهذا والسطر الاول يقول فيه صاحبه :

" كما تتعرى لذاكرة النهر زنبقتا النهر
كالخوف ينسل من حدق الميتين

ويقول :

وكان الطغاة على بعد سنبلة من فم الجائعين
وكنا على بعد قنبلة من عيون الطغاة

ويقول :

واشرعة تستحث البحار
وانت بلادي على طرق الموت
تدخل في جثة وتقاتل ... " (٢)

هذا ما قاله شوقي في " شيئه " ذاك وعلى كل حال فانها صور غريبة وهناك متعجلة ولعلها كانت كذلك لانها سريعة كما قال وهي في عمومها صور حديثة .

اما حبيب صادق فانه يلقي قصيدة في مهرجان الشعر العاشر بدمشق يصدرها بصورة يقول فيها :

" يتهدل لحم الليل يتفسخ
يطاير قطنا محروقا

---

(١) الطريق اللبنانية عدد ١٢ ك ١ ١٩٧١ ص ٨٢ .
(٢) الاخبار اللبنانية ١٠/٧/١٩٧٦ .

وشظايا رمدها قحط السنوات " (١)

فهو اذن يجمع لليل لحما يتهدل ثم ينفسخ ثم يصبح قطنا متطايرا محروقا فشظايا فهو يجمع للشيء المعنوي صورة حسية .

ويلقي الشاعر حسن عبد الله او "المبنا للسه " شيئا اخر يسميه قصيدة في مهرجان المربد عام ٩٧٤ بعنوان " قصائد منقولة بتصرف عن تيمريين الملح " واليك المطلع :

" السريرا والارصفة مبهرت الحروب ظاشواطيء ، المقاهي ، الحقول المقابر في الاماكن صالحة للهو .. (هذا سطر واحد)

والشذاء يوم جميل ، ومن نافل القول ان الحياة قصيرة او انك شيء مهم كأس او البحر ، والارض ارجوحة - كيف اغويك - الارض ارجوحة فارغة .. (وهذا سطر اخر)

" وانظري الان كم انت موغلة في الثياب وفي الحكم البائدة ، وصدرك يومي ء ان يمحي - كيف اقويك - صدري ادعاء رتيب .

اجمل الكلمات التي اخترتها لتنون شاطي المسائي حين افتقدتك بين ذراعي وصدري .

وكم مضحك ان اصارحك الان : هذا جدار وهذي دواة ومنفضة وهذا ذباب وهذا انا ملك المملكة .

كيف اغويك ؟؟؟ هذا جدار وهذا انا ..
كيف اغويك ؟ ؟؟ هذا سرير وهذا انا ..
كيف اغويك ؟؟؟ هذا انا وانا وانا ....اين انت "

اما اخر القصيدة فهو :

وفي كل وقت حرام .
تجيئين .
تترك ملحما على المائدة .

---

(١) الاداب كانون الثاني ٩٧٠ ص ٢٢ .

تفاحة من كـــــلام .. " (١)

هذا كلام الشاعر الذى نتركه دون تعليق لننتقل الى شاعر آخر وصور اخرى مع ياسر بدر الديـــن .. الفزن الرقيس اذ يقول من قصيدة عنوانها : "جبل الاحزان" :

نادانــــى الحب وقــــــــان
يا من تحترف العشق تعـــــــال
سأعمر ليلك احلاما فالحب خيـــال
وسأزرع صمتك انغامــــــــا
فالليــــــل جمــــال
انت الجيـــــــال
والحب جواد عربـــــى
انت الخيـــــــال
نادانــى الحـــــب
وصوت الحب جميل مثل صـــلاة الصبـــح
رقيق مثل شفــــاه الجرح
ومثل حداء سنابل قمــــــح
تماوج فى فمها الاهــــات
وارتعشت حنجرة الخفقـــات
واصاخ القلب لصوت الحب المسحــــور
قلبى المرمى على جبل الاحــــــزان
ككوخ مهجــــــــور
تسكنه الوحشة والاشباح
تحوم عليه طيوف الشــوم
تعشش فيه طيور الحــزن

---

(١) القصيدة منشورة الا انني نقلتها عن مخطوطة للشاعر بحوزتي وذلك بعد ان سلمني اياها الشاعر نفســـه .

وترسم اقدام الغزوات

سقوط البطل المغدور (١)

ومن قصيدة "الصوت والريح" لسنية العبد الله نجتزئ تلك الصورة :

صوتــــــــــي بعيـــــــــد

ربما يوما يصـــــــــــل

في ذات يوم يخسر الصـــــــوت

وتنقله الريـــــــــاح

صاحبتي الريح في يوم شتائــــــي

رمـــادي الملقـــــــاح

كان يومي كله قصـــــائد شتائيـــــا

رمــــادي المطـــــــر

لمجيء الصيـــــــف

لم اقطف بهار الشمـــــــس

كان الصيف ملك الاخريـــــن

كان صيفي ونبع احلامي على الرمـــــال

مواعيد على المنى تهاجـــــــر

ثم تختتم قصيدتها بهذه الصـــورة :

كنت امشي خارج الايـــــــام

خلف الضـــــــــوء

ابعد ، لا اثـــــــــر

غير ظلي ، عدد القتلـــى ، وانـــت

وفصول تنبـــــض القتلـــى

وانـــــــت (٢)

---

(١) كتابة على حاشية الجرح للشاعر ص ٤٣ ط بيروت ٩٧٣ مطبعة حايك وكمال

(٢) نهاية الصـــدى للشاعرة ص ٧٩ ـ ٨٨ .

واخيرا نجتزئ صورتلشاعر حسين علي صحب وقد نقدها الدكتور عز الدين اسماعيل الذي يقول : " والشاعر حسين علي صحب يقول :

" الريح يجلد جبهتي ويمر ملتاع الهبوب "

والشاعر خليل حاوي يقول في قصيدة (السجين) :

هل اخليه ...
شبحا تجلده الريح "

ويعلق الناقد عزالدين اسماعيل على هاتين الصورتين وقبلهما صورة لعبد الوهاب البياتي يقول فيها :

" ياصامتا والسندبان الشاحب المغرور تجلده الرياح "

فيقول مقارنا :

" ولم يضف واحد منهم ارى لنا على الاداة التي استخدمها الريح في عملية الجلد لاننا في غير حاجة الى معرفتها . هذا وان عاد الشاعر"صحب"فافسد الصورة بحديثه الجديد عن مرور الرياح ملتاعة الهبوب . " (١) . وعلى العموم نجد الصورة الادبية في الشعر العاملي قد لفتت انظار النقاد العرب بعد ان غزت الافكار العربية بهذا الشعر المميز وباستقرارها الزمني المتمشي مع روح العصر بصرف النظر عن رأينا الخاص في الشعر الحديث . فالشعراء العامليون لبسوا ثوب التجديد بسلبياته وايجابياته . والذي لابد من الاشارة اليه هو تلك الالفاظ والعبارات التي رددها العامليون واكثروا منها ... فقد اكثروا من ترديد كلمات : " الريح — الرياح — الاعاصير — السفر — المواسم — الانواء الضياع — الاسوار — الهزيمة — الخيبة — الصحراء .. "

ولقد كانت كلمة الرياح ومرادفاتها ومشتقاتها الاكثر حظا وعناية من لدى جميع الشعراء العامليين وخاصة فيما بعد الخمسينيات ولعلها تمثل شيئا جارفا يعصف في كيانهم . وهي تدل على الضياع ولعلها من وحي البيئة حيث تكثر الاعاصير في فصل الخريف . فيستوحي منها الشعراء الكثير من المعاني التي توافق واقعهم فيعبرون بها عن ضياعهم ويرمزون لما يعصف بهم من احداث اليمة موجعة ..

---

(١) في الشعر العربي المعاصر ص ٤ ١٥ صادر عن دار العودة ودار الثقافة بيروت ط ٢ ١٩٧٢ .

ومهما يكن من امر فهي ترمز للكابوس النفسي الرهيب الذي يعانيــه منه العامليــون والعرب جميعــا •

وهكذا استعرضنا بعض النماذج للصور الادبية عند الشعراء العامليين ممن يمثلون تيارين متعارضين التيار المحافظ ويمثله عبد الحسين صادق وشبيب باشا الاسعد والحوماني ومحسن الامين وسليمان ظاهر ومحمد سليمان جــواد وبولس سلامه وفؤاد جردان وعبد المسيح محفوظ وزهــرة الحر وحسن الامين وهاشم الامين ومحمد يوسف مقلد وحسن صــادق وابراهيم فران وعلي الزيــن وعبد الحسين سليمان ومحمد سليمان يونس وابراهيم بري وكامــل سليمــان وابراهيم شراره وعبد اللطيف شراره واحمد رضا ونور الديــن بدر الدين وجعفر الامين ومحمد نجيب مروة وعلي محمود الامين وعلي مهدي شمس الدين ومحمد حسن شمس الديــن •

اما التيار المجدد فيمثله كل من محمد علي شمس الدين والياس لحـود وحسن العبد الله وحمزة عبود وعبد الكريم شمس الدين وسكنة العبد الله وياسر بدر الدين وحبيب صادق وشوقي بزيــع وحسن حمدان وحسين علي صعــب وعبد المطلب الامين وعصام محفوظ واميرة الحوماني وسلوى الحوماني •••

هذا وقد لاحظنا ونحن نستعرض تلك الصور ونورد النمــاذج ان الكلاسيكيــن العامليين قد حافظوا على شكل القصيدة القديمــة ومضمونها فلم يخرجوا على بحور الشعر المعروفة بل انهم اخذوا من القدماء بعض عباراتهم حرفيــا بدأوا بالنسيب والوقوف على الرسوم والاطلال واستوقفوا الصحب ووصفوا الناقة والبيداء والقمر والنجوم ••• كما رأينا في شعر عبد الحسين صادق ومحمــد سليمان جواد وشبيب باشا الاسعد ومحمد حسين شمس الدين ومن سار علــى نهجهم ممن ذكرنا ، قد نظموا في جميع ما عرف من البحور الشعرية عند العــرب واقتبسوا عنهم معانيهم وشطروا وخمسوا و وشحوا وصمموا ••• واهتموا غايــة الاهتمام واعتنوا عناية فائقة بانتقاء الالفاظ الفصيحة ولابد من ايراد بعــض النماذج على ما تقــدم •

المحسنـــــات اللفظيـــــــة

فتن العامليون بالمحسنات اللفظية فاستعملوا الجناس بنوعيه التام والناقص واقتبسوا الكثير من المعاني عن القرآن الكريم وبلغاء العرب اما السجع فهو في نثرهم كثير ومن الجناس قول شبيب باشا الاسعد :

لحظ ذاك الظبي من فتكه الظبـا في الحشاشات تراه ابلغ مـــــا

وقولــــــــــه :

كلما قلت له صل كان مـــــن بينه صل لقلبي لدغـــــــا (١)

فجانس بين الظبي والظبا والاولى بمعنى الغزال اما الثانية فهي جمع ظبة بمعنى طرف السيف ثم جانس بين قوله " صل " فمن امر من الوصال وأنص بمعنى الافعـــــى .

ومنه قول السيد هاشم عباس الموسوي من قصيدة في رثاء السيد حسن بن يوسف الحمني العاملـــــي :

مولى الورى الحسن الزاكي الذي بسنا اثاره الغر وجه الدهر قد حسنا (٢)

فجانس بين العلم المنقول " الحسن " مع التورية لما نقل عنه حيث عرفه بأل وبين الفعل منــــه .

ويقول سليمان ظاهر في رثاء السيد حسن المذكور :

واش الردى اسمها اردى بها الحسنا هيهات تبصروجها بعده حسنـــــا

فجانس بين الردى واردى والحسن وحسن بالاضافة الى ما في البيت من تورية لطيفـــــة (٣) .

ويقول محمد علي الحوماني :

---

(١) الديوان ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) الاعيان ج ٢٤ ص ٢٦٦ .

(٣) الاعيان ج ٢٤ ص ٢٦٦ .

تدلى له فرعها شفقـــــا يقول اجن ماشئت ان تجتنى
فصب على فرعها فرعـــــه كذاك المسيء مع المحسن (١)

ففرع الاولى معناها " الغصن " اما الثانية من فرع اى قطع • وقول الحويـانـــى ايضـــــا :

نصحت اللئيم فكنت الفريسة فيما اسأت وثان الاســـــد
فهلا نصحت كريم النجـــــار فكنت السديد وثان الاسد (٢)

جانس بين الاسد " الحيوان " والاسد افعل من السداد •

امـا الاقتباس فقد اقتبس الشعراء العامليون كثيرا من المعانى والالفاظ من اشعار بلغاء العرب ومن ذلك ما قاله الشيخ محمود مغنية (١٢٨٩-١٣٣٤هـ) متغزلا :

ان التى قتلتنا فى لواحظهـــــا بكفها لو تشا احياء قتلانا (٣)

وهو من قول جريـــــــر :

ان العيون التى فى طرفها حـور قتلننا ثم لم تحيين قتــــلانا

ومنه قول محمد سليمان جــــواد :

تهيت تهجر هجر القول ألسنهم فليس تنطق الا باهر الحكم (٤)

وهو مأخوذ من قول ابى تمـــــــام :

بح صوت المال ممـــــــــا يشكو منه ويصيــــــــــــــح

وقول الشاعر الشيخ بشير مصطفى محمـــــود :

هل حب ال المصطفى ذنب وهــل قلب الذى يهوى الهداة يؤنـــب
ان كان حب المرتضى ذنبا فـــــلا يعطى كتاب الامن الا المذنـــب
ان تفرضوا ان الجحيم بحبـــــه فرضيت انى فى الجحيم اعـذب (٥)

---

(١) نقد الماثور لمسوس ص ١٨٦ •
(٢) " " ص ١٧٦ •
(٣) الاعيان جـ ٤٨ ص ١٩ •
(٤) " جـ ٤٥ ص ١٨٢ •
(٥) ديوان ابن بشير ص ١٧ - ٢١ •

وهو مأخوذ من قول الامام الشافعي :

ان كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان اني رافضي

ومنه قول الحوماني عن النواب :

اقلب طرفي باعمالهم   فلم احظ الا بما اتلفوا
فدعهم يعيشوا باوطاننا   لنا ولهم في غد موقف (١)

ومثله قول الرصافي :

علم ودستور ومجلس امة   كل عن المعنى الصحيح محرف
بالله ياوزراءنا مابالكم   اذ نحن جاد لناكم لم تنصفوا
لابد من يوم يطول عليكم   فيه الحساب كما يطول المرهف

وقول الحوماني ايضا في حنينه الى "ارام حلق" :

من الشام لاجنات عدن اريدها   بعيدة مابين المقبض والنحر (٢)

مأخوذ من قول الشاعر العربي :

كلفت دطا ان لم ارعك بنضرة   بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

ومنه قول الشيخ على شمس الدين :

اذا جن ليلى ضاجعتني ضئيلة   من الهم في جنبي يحلق نابها (٣)

وهو مأخوذ من قول النابغة :

وبت كاني ساورتني ضئيلة   من الرقش في انيابها السم ناقع

ومنه قول الحوماني :

ومن سفه ان ينوح الحمام   على غصنه وهي اسم
وان لا ابيت الدجى ساهرا   وطرف الجهول به نائم (٤)

---

(١) ديوان الحوماني ص ٣٣ .
(٢) " " ص ١٥١ .
(٣) الاعيان ج ٥٦ ص ٤ .
(٤) الديوان ص ١٤٠ .

مأخوذ من قول ابى فراس :

اقول وقد ناحت بقربى حمامة   ايا جارتا لو تعلمين بحالى
ايضحك مأسور وتبكى طليقة   ويطرب محزون ويندب سالى

هذا وقد جمع محمد كامل شعيب العاملى مجموعة مما أسماه " سرقات " قال ان العامليين ارتكبوها ، قال العاملى :

قال فؤاد جرداق :

ولا تك فى سر الغرام مكتما   هو الحب فاشرح ماتسر لمن تهوى

اخذه من قول ابن الفارض :

لاتخف ما فعلت بك الاشواق   واشرح هواك فكلنا عشاق

وقال الجرداق فى رباعياته :

اتيت الى الوجود بلا اختيار   واتركه غدا اختيار

وهو يشير بالصدر من بعيد لقول ابى العلاء المعرى :

هذا ما جناه ابى علي   وما جنيت على احد

والاحسن انه يشير الى قول "ايليا ابو ماضى" :

جئت من حيث لا ادرى   ولكنى اتيت
ولقد ابصرت قدامى طر   يقا فمشيت

وقال الجرداق ايضا فى الرباعيات نفسها :

كن رهيا اذا عشقت الغوانى   فالغوانى تهوى الذى تخشاه

وقد عكس المرحوم احمد شوقى :

خدعوها بقولهم حسناء   والغوانى يغرهن الثناء

وقال السيد محمد حسين فضل الله :

ركضت فوقها السنون ومازالت باجفانها طيوف الخلود

بجاري بالصدر قول شوقي في دمشق من عجز هذا البيت :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا　　　مشت على الرسم احداث وازمان (١)

ونحن لا نتفق مع العاملي في بعض ما ذكر الا انه اصاب في البعض الاخر ، ويعود العاملي ثانية ليحصي على العامليين " سرقاتهم " فيعدد مآخذه عليهم فينشر كتابا عام ١٩٥٦ م بعنوان " المآخذ على الشعراء " وفيما يلي بعض مآخذه على شعراء جبل عامل :

" قال السيد عبد الرؤوف الامين المعروف بـ " فتى الجبل " من قصيدة يرثي بها المرحوم فوزي بك الغزي :

صبر الكريم لوقعهـا　　　صبر العظيم على العظيم

وقد اخذ العجز من قول خير الدين الزركلي بجادلة الملك حسين لما ذهب الى قبرص منفيا واليك مطلع القصيدة :

صبر العظيم على العظيم　　　جبار عزم والحطيم (٢)

وقال السيد محمد سعيد الحبوبي النجفي يرثي السيد حيدر الحلي :

اين لي نجوى ان اطقت بيانـا　　　الست لمد نان فما ولسانـا

وقريب من هذا قول الفقيد العلامة الجليل الشيخ عبد الحسين صادق في رثاء محمود بك الفضل :

وحقك لم يملك لساني بيانـا　　　فعذرا او احلل عقدة من لسانها

وهذا مأخوذ من الاية الكريمة : " واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي " (٣)

وقال الشيخ علي مهدي شمس الدين من قصيدة مطلعها :

العيش خلط وتمويه وعسيرة　　　فان تجد عيشة في غبطة فكن

---

(١) العرفان م ٤٤ جـ ٨ ايار ٩٥٧ ص ٨٤٨ .

(٢) المآخذ على الشعراء جـ ١ ص ١٠ ط ١٩٥٦ صيدا بيروت .

(٣) 〃 〃 ص ٣١ .

وهو يشير من طرف خفى لقول الشيخ فؤاد الخطيب :

طبل وزمر وزند ماشئت ثرثرة　　تصيح فتى الشرق تطبيلا واعلانا

ومن أبيات للشيخ سلمان مروة قوله :

قد استبيح حماهم لا أبا لهم　　فى موقف فيه جيش الموت يزدحم

والعجز مسلوخ من مطلع قصيده للسيد حيدر الحلى حيث يقول :

ان لم أقف حيث جيش الموت يزدحم　　فلا مشت بى فى طرق العلا قدم (١)

وقال فقيد العلم العلامه الفقيه الشهير المرحوم السيد نجيب فضل الله فى رثاء علامة عصره الكبير المرحوم الشيخ موسى شراره مؤسس النهضه العلميه فى الديار العامليه :

هل يعلم الدهر من أودت فوادحه　　او يعلم الرمس من وارت صحائفه

أو تعلم الارض لم مالت جوانبها　　أو يعلم الشرق من تبكى نوائحه

بلى تفطر من أرجائه علم　　من فوقه الطير مارقت جوانحه

والقصيده كلها على هذا النمط من الشعر العربى المخضرم الفتح وقد اخذ صدر البيت الثانى من قول المهلهل المذكور فى رثاء كليب أو من قول الخنساء نابغة الشعر العربى فى الجاهليه فى رثاء أخويها صخر ومعاويه (٢) اما قول المهلهل الذى عناه العاملى فهو :

نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم　　أدكت الارض أم دكت رواسيها

اما قول الخنساء فهو :

دارت بنا الارض أو كادت تدور بنا　　لما بكت قرمها الصيد الصناديد

ضاقت بى الارض وانقضت جوانبها　　حتى تخاشعت الاعلام والبيد

* وقال عدنان مروه بك من قصيده بعنوان " نازح " :

يانازحا والنوى نار مؤججة　　هيهات يغنيك بعد الاهل سلوان

وهو شبيهة من بعض الوجوه بقول المرحوم الحاج محمد أفندى العبد الله الكبير برثاء العلامه المجتهد الكبير السيد حسن يوسف :

(١) المآخذ على الشعراء ص ٥٦　　(٢) المآخذ ص ٥٨

يمينك لم يحمد سلو ولاصبـــــر لاهل فجدها انها الفتكه البكــــر

وهذا المعنى متكرر فى أقوال كثير من الشعراء المتقدمين والمتأخرين لايجـــــوز اضاعـة البحث به وهو من المعانى المبتذله والمتداوله على ألسن الشعراء الى حـد الكــــثره " (١) وقال العلامه المجتهد المرحوم السيد محسن الامين ـــــن قصيدة يرثى بها نفسه عام ١٩٤٤ وقد مرض مرضا شديدا وقد نشرتها مجـــــلة العرفان الزاهــــره :

وما أنا ممن يملك الحب قلبـــه لغانية تختال بين غوانـــــى

وقد أخذ الصدر من هذا البيت من قول أبى الطيب المتنبى :

وما أنا ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشـــق (٢)

" وقال العلامة السيد محسن الامين رحمه الله من القصيده الآنفة الذكر :

ولى من يراعى ان خلوت ودفترى نديمان عن كل الورى شغـــلانى

وهذا شبيه بقول المتنبـــى :

أعز مكان فى الدنا سرج سابـــح وخير جليس فى الانام كتـــــاب (٣)

وللحومانـــــى :

برزوا والحرب ناشبـــــة وجيوش المــــــوت ترتـــحـــم (٤)

ومر بنا قبل قليل بيت لحيدر الحلى وآخر لسلمان مروة مثله وكذلك فللمتنبـــى بيت شبيـــه به فى ميميتـــه المشهوره .

هذا واذا كان كامل شعيب العاملى وسواه يسمون هذا من السرقـــــات فأننا نقول بأنه اقتبـاس ، ولا يخلو أن يكون بعضـه من قبيل الاخذ من الغـــير أو التأثر بهـم أو التقاء الخواطر بصوره عفويـه . اما الشعراء الجدد أولئك الذيـــن سلكوا الطريق الجديد فى النظـم فقد توكأ و كثيرا على سابقيهم واقتبسوا الكثيـــر من العبارات والمعانى من القرآن الكريم " ممن سبقوهم أو عاصروهم وقد جعلوا مـــن بعض الرموز القديمه محورا لقصائدهم كفكره المهدى المنتظر أو صاحب العصر وثـــورة الزنج والقرامطه ومأساة الحلاج والحسين وكربلاء ... وبعض القصص الاندلسيــــه

---

(١) المآخـــذ ، صـــ ٨٢ (٢) ، (٣) المآخـــذ صـ ٨٤ ـ ص ٨٥

(٤) الديوان للحومانى صـ ٢٨ وهى من قصيده بعنوان " هكذا الاساد بارزة "

وغيرها ونرى ذلك فى كثير من قصائد الشاعر محمد على شمس الدين كقوله فى " قصائد مهربة الى حبيبتى آسية" .

انا الملك الضليل أموت

لا فى الخمر ولا فى الامر

لا فى الحروب ولا النسيان

وهذا مأخوذ من القول المنسوب لابى السفيان " لا فى العير ولا فى النفير" ثم فى قوله : " ناشرا لحمه للطيور الابابيل " (١)

مقتبس من قوله تعالى : " الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل "الم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل " (٢)

وكذلك ضمن الشاعر فى قصيدته المذكورة على الشكل الاتى :

اقول احملونى فوق نفس نأتنى أنا الطائر المحكى والاخر الصدى

والشطر الثانى مأخوذ من المتنبى" ثم تضمينه لبيت أبى فراس

اذا الليل أضوانى بسطت يد الهوى وأرسلت دمعا من خلائقه الكبر

وقول عبد الحسين عبد الله فى قصيدة يمدح بها المهاجر :

تعلى يديك خلاص شعب مرهق "ماشئت لاماشاءت الاقدار" (٣)

والعجز لابن هانى الاندلسى :

ثم قول عبد المطلب الامين فى احدى قصائده :

أسد على وفى الحروب نعامة خرقاء يفزعها صدى وعواء (٤)

وهو مأخوذ من قول " غزاله" الخارجيه :

---

١) الديوان صـ ٥ قصيدة " الطوفان"

٢) سورة الفيل

٣) حصاد الاشواك صـ ١٤٨

٤) الديوان صـ ٤٤

أسد على وفي الحروب نعامـــة فتخاء تهرب من صفير الصـــافر

هذا وقد اقتبس السامليون كثيرا من مواضيع قصائدهم من القـــرآن الكريـــم وحوادث تاريخيـــه معينـــه لامجال لذكرها الان وقد أختلط الامر على النقـــاد فمنهم من اعتبره ســـرقة أدبيـــة ومنهم من اعتبره اقتباسا أو تضمينا أو أخـــذا أمينا أو من توارد الخواطــــر ، والناس في ذلك مختلفون .

المحسنات المعنوية

ويدخل ضمنها : التوريه والطباق والمقابله ، والترصيع وتأكيـــد المدح بما يشبه الذم ولزوم مالا يلزم والمشاركه ، والاجـازه ، والتشطير ، والتخميس ، والتقليد ، والمعارضه ، والتصـــريع .

والمماطليون في جميع هذه المحسنات نصيب وافر فقد اكثـــروا مـــن التوريـــة قديما وحديثا والتوريـــه تغرى الشعراء لانها تؤدى الغرض بشـــكل غير مباشر دون اثارة ضجة وجلبـــة الا بعد حين أي بعد ان تســـتقر فلا تكون مدعاه للثـــوره الهوجاء هذا اذا كانت ذمـا وقد تكون في المـــدح فترتاح لها النفـــس وتبعث فيها نشوة لاتعادلها نشوة المديح المباشـــر ومن التوريـــة عند شعراء الرعيـــل الاول قول شبيب باشا الاسعد مخاطبـــا " الاديب الفاضل الحافظ الملا حاجي عثمان أفندى الموصــــلي " .

اسمى ذى النورين لم لقطيعتي جردت ياعثمان عضب المنصـــل
ماكنت احسب أن خالك هاجـرى وأظن أنك قاطعي ياموصـــــلي

ولايخفى مافي البيتين من توريـــة لطيفـــة وفيها قوله أيضـــا :

الا أن ذلي في هواك بعكسه لدى ولاعكس بقولي يلذلـــس
ومهجة واشينا حكى حرها لظى وقد حل فيها وهو في قلب عذلي (١)

---

(١) الديـــوان صـــ ٢٨٠

فلو قلبنا " ذلي " و " يلذ لي " لاصبحت الاولى يلذ والثانية يلذ لي ايضا وهي واصحه •

اما شعراء المرحلة الاخيره فقد كثرت التورية في اشعارهم واقتربت من التلفيز والتعميه فهم لا يذكرون معاويه او يزيد او الشمر قاتل الحسين عليه السلام او ابن ملجم قاتل علي عليه السلام الا ويرمزون بأحدهم الى احد الحكام المعاصرين مدحا او قدحا ويكثر ذلك في دواوين عبد المطلب الامين والياس لحود ومحمد علي شمس الدين وحبيب صادوق وكامل سليمان وغيرهم •وكثر ذلك عند كلامهم عن المهدي المنتظر وسرداب سامرا • فمن التوريه ما قاله الشاعر مصباح رمضان للشاعر العراقي الشبيبي المعروف عندما كان في صيدا :

أعدت شبيبتي بعد المشيب   بصيدا في لقاء رضا الشبيبي
امام الفضل أشعر من حبيب   ومن يبكي على ذكرى حبيب

فرد عليه الشبيبي بقوله :

لقد اهدى لي المصباح شعرا   وقلدني من النظم العجيب
مصابيح العيون لها انطفاء   ولكن انت مصباح القلوب)

ومن الطباق قول الشيخ سليمان ظاهر في رثاء السيد حسن يوسف العاملي :

قد انطقت كل دمع من محاجرنا   اذ أخرست منه ذاك المقول اللسنا (٢)

ومن الترصيع وهو ما يقال له التقسيم احيانا قول بولس سلامه من قصيدة في رثاء احمد عارف الزين :

فائلات المسبان جهم النواصي   قائمات الاعراف عند الطراد (٣)

وقول السيد هاشم عباس الموسوي في الرثاء :

خير الورى نسبا أزكاهم حسبا   اعلاهم رتبا اذكاهم فطنا (٤)

ويكثر الترصيع عند سائر شعراء جبل عامل وعلى الاخص عند بولس سلامة وعبد الحسين صادق وكامل شعيب •

---

(١) روائع الشعر الفكاهي العاملي / ص ٢٢٩
(٢) ، (٤) الاعيان ج ٢٤ ص ٢٢٦
(٣) العرفان ك ٢ ـ شباط سنة ١٩٦١ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩

لزوم مالا يلــــــزم

ومن الشعراء العامليين من التزم مالا يلزم في الشعر على طريقة أبي العلاء مثل حبيب باشا الاسعد في كثير من قصائده ومن ذلك قوله في احدى القصائد :

اشتكي قوما بجور حكموا   بي ورقوا عندهم من هود ونبي
كنت في شمل بهم مجتمع   واذا هم وأذاهم أفرد ونبي
وأضاعوني وفضلي ضائع   وأنا عضبهم لو جرد ونبي (١)

وكما نرى فقد التزم الشاعر في كل القصيده أربعة أحرف . ومثله صنع السيد محمد بن السيد رضا آل فضل الله الحسيني العاملي عندما هنأ السيد ابراهيم الطباطبي في زفاف ولده حسن :

أمعاقر الصهباء ويحك مفهما   مترفا توشيح بالجمال مديرها
رق النسيم وراق كأسك فانتهز   فرصا من الايام عز نظيرها
والطلع عذارك للهوى مسترسلا   فلقد يخف من الرجال وقورها (٢)

وهكذا نرى أن الشعراء العامليين قد تكلفوا لزوم مالا يلزم ولا نجد مبررا لايراد الكثير من الشواهد فالقليل يكفي للدلالة .

---

(١) الديوان ص ٣١٤
(٢) الاعيان ج ٤٥ ص ٦

اشكال الشعر العاملي

حافظ الشعراء العامليون الكلاسيكيون على الاشكال التقليدية للشعر العربي من حيث الاوزان والقوافي ونظموا على البحور المعروفة ولم يخرجوا على عمود الشعر أما المجددون ابتداء من الخمسينيات فقد عمدوا الى التلاعب بالاوزان بعد أن طغت الاساليب الجديده المبتدعة على الشعر والشعراء ولنا مع هؤلاء حديث آخر فيما بعد ان شاء الله ونلقي الآن نظرة على الاشكال وتتضمن :

- ١ - لزوم ما لا يلزم

وقد أشرنا اليها قبل قليل على أنها من المحسنات المعنويه

- ٢ -

المشاركة والاجازه

كثيرا ما كان يلتقي الشعراء العامليون في مجالس انس وسمر وذلك عندما يكونون في رحلات البر حيث جمال الطبيعة الاخاذ وصفاء السماء في الربيع المتألق وخلوا البال من المشاكل وما تشده تلك الازاهير الملونه التي تغطي المروج الخضراء والسهول المنبسطة من فتنة وسحر في نفوس وقرائح الشعراء فتحركها على رنين أقداح الشاي وروائح الزهور فتتحرك الاحاسيس وتتنبه شياطين الشعراء وتصحو من رقادها فيتشارك الشعراء على نظم البيت والبيتين والقصيده الطويلة أحيانا وهاك بعض النماذج •

اجتمع الحوماني وسليمان ظاهر وأحمد رضا وأحمد عارف الزين بدعوة من الشاعر حليم دموس في آب ١٩٢٦ م وكان ذلك في رحلة وفتنتهم مناظر الطبيعة وما يروح ويغدو من الحور العين من فتيات زحلة فقال ظاهر موجها كلامه للحوماني ولعله كان أصغرهم :

احفظ فؤادك أيها الحوماني　　لا تصرعنك أعين الغزلان

فقال رضا :

كم صدن أصيد كان أمنع جانبا　　فغدا أسير محاسن وحسان

فقال الحوماني :

هل مر في وادي العرائش مسلم　　يوما فسموه صريع غواني

ورد الزين بقوله :

وادي العرائش جنة محفوفة　　جنباتها بالورد والريحان

فقال ظاهر :

هو جنة الخلد التي رضوانها　　يروي حديث الخلد عن رضوان
تتظلل الحور الحسان بحورها　　كتظلل الاطيار في الاغصان

وقال الحوماني :

فكأن واديها خواطر شاعر　　مرت به وكأنهن أماني
أبصرت في أجياده من آلئها　　فحسبتهن مثالثا ومثاني

ويستمر الحوماني ثم يشترك الجميع بهذه الابيات :

وادي العرائش أنت أجمل بقعة　　تختال فيك أوانس وغواني
من كوثر الفرد وس ماؤك قد جرى　　سلسالة أم من ربى لبنان

وقال ظاهر :

أشهى الى سمعي خرير مياهه　　ونسيمه من نغمة الميدان

وقال الحوماني :

والكهرباء تلألأت فحسبتها　　في السلك سمط لآلئ وجمان
أنوارها متدليات فهي في　　أسلاكها مثل القطوف دواني

فقال رضا :

ما روضة الشام الا ربضة عنده　　" هو أول وهي المحل الثاني "

فقـــــال ظاهـــر :

رقت خلائق ساكنيه كمائـــه والصركل السرفى السكـــان
من رقـة الصهباء رقة طبعهـم وأكفهم من عـــارض هتــان

وقال الحومانـــى :

لابدع ان لطفوا فمعدن لطفهم صافتسه كف السيد المطـــران (١)

ويقصد به المطران نيفـن سابا الذى دعاهم لتناول طعام الغداء عنـــده ولاندرى لماذا لم يشـارك من الحاضرين الشاعر حليم دموس فى تلك الابيـات ولا المطران نيفـن سـابا وكان الاخير شاعرا ايضـا ...

ومن الاجازه ماقاله كل من السيد عبدالحسين محمود الامين والحومانـى وقد مـرا ببلدة الناعمـة وهما فى طريقهما الى الجنوب عائدين من بيروت حيث شاهدا نسـوه يودعـن عروسـا فترجـلا من السياره وقال الاول :

بناعمـة الدا ورغيـد نواعـم

وقال للحومانى : أجـز : فقـــال

تجـــور على أعطافهـن النسائـم

فقال عبدالحسيــن :

جـلون وقد هب النسيم مباسمـــا

فقال الحومانـــى :

لنا حسن فى أجياد هـــن يتائـــم

وقـــال الاول :

ورضن يحرضـن الخدود كأنهـــا

فقال الثانـــى :

ورود الربـــى تنشق عنها الكمائـــم

---

(١) ديوان الحومانـــى ص ١٢٠

وقال الاول :

لقد أنطقت أجفاننا يوم ودعت

فقال الثاني :

بأسورة قد أخرستها المعاصم

الى آخر القصيده المشتركه ... (١)

— ٣ —

التشطير

وهو أن يعمد الشاعر الى أبيات غيره فيضم الى كل شطر منها شطرا له ومما صنعه العامليون على هذه الطريقه ماقاله السيد محسن الامين فى تشطير لابن العلاء :

(دع الايام تفعل ماتريد) فليس على عجائبها مزيد
كفانى ماعلمت فلا تزدنى (فما أنا فى العجائب مستزيد)
(أليس قريشكم قتلت حسينا) وكلكم بحضرته شهود
وقد كان الوليد لكم اماما (وكان على خلافتكم يزيد)(٢)

ولزينب فواز مشطرة لبعض الشعراء :

(وما من كاتب الا سيبلى ويبلغ بدء غايته انتهاء
وتمحوه الليالى فى سراها (ويبقى الدهر ماكتبت يداه)
(فلا تكتب يمينك غير شىء) به يرضى لك الزلفى الاله
ولا تعمل سوى عمل مفيد (يسرك فى القيامه أن تراه (٣)

وكذلك شطر محسن الامين قصيده طويله للشيخ صالح التميمى الحلى فى مدح الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه على النحو الاتى :

---

(١) ديوان الحومانى ص ١٤٢
(٢) الاعيان ج ٤٠ " ١٣٨
(٣) الاعيان ج ٣٣ " ١٨٤

(غاية المدح فى علاك ابتداء) ومعناك لا يحيط الثناء
خصك الله فى الكتاب بمدح (ليت شعرى ما تصنع الشعراء)
(يا أخا المصطفى وخير ابن عم) ووزيراً تحسب الوزراء
وعماد للمؤمنين وركن (وأميراً ان عدت الامراء (١)

كما شطر شبيب باشا كثيراً من شعر القدماء ومنهم أبو فراس الحمدانى وقيس لبنى وجمال الدين بن نباته والعباس بن الاحنف وآخرون تجد كل ذلك فى الفصل الاخير من ديوانه ومنها تشطيره هذه الابيات لقيس لبنى :

(وما أحببت أرضكم ولكن) أحب شذى زكى بكم وطابا
ومن شوق الفؤاد لساكنيها (أقبل اثر من وطىء الترابا)
(لقد لاقيت من كلفى بلبنى) مصابا لو أصاب صفا لذابا
وجرعنى بها شغفى ووجدى (بلاء ما أسيغ له شرابا (٢)

- ٤ -

التخميس

وهو أن يقدم الشاعر على البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر على قافية الشطر الاول فتصير خمسة ومما خمسه العامليون قول السيد محسن الامين فى الغزل لبعضهم بعد ما شطره واليك التشطير أولا :

(بهواك صيرنى العذول نكالا) وأطلت فى بهجرك العذالا
ان العذول على سفاهة رأيه (وجد السبيل الى المقال فقالا)
(ونهيت نومى عن جفونى فانتهى) حتى غدوت من السقام خيالا

---

(١) ديوان الحومانى ص ١٤٢
(٢) ديوان شبيب ص ٣٣٥

وامرت طرفي بالبكـاء فما ونـى   وامرت ليلى ان يطول فطـالا

وهاك هو التخميس :

كم ذا تطيل تجنيا وملا لا   كم ذا ترى قتل الحرام حـلالا

كم ذا تطيع بهجري العذالا   بهواك صيرني العذول نكـالا

وجد السبيل الى المقال فقـالا

انى بحبك قد غدوت مولهـا   ما ذا عراني في هواك وما وهـى

امسيت فيك مؤرقا ارعى السهى   ونهيت نومي عن جفوني فانتهـى

وامرت ليلى ان يطول فطـالا (١)

ومما خمسه شبيب باشا الاسعد البيتان الاتيان للشيخ جمال الدين بن نباتة :

ايها العاذل الغبي تأمـل   من غدا في صفاته القلب ذائب

وتعجب لطـرة وجبيـن   ان في الليل والنهار عجائب

وهذا هو التخميس :

من عذيري بمن من البدر اكمـل   وهو احلى من الغزال واجمـل

كم فضول من عاذلي احتمـل   (ايها العاذل الغبي تأمـل)

(من غدا في صفاته القلب ذائب)

لم ازل مذ نظرته بانيـن   وحنين مضنى بقلب رهيـن

لا تلمني واخضع لحق مبيـن   (وتعجب لطرة وجبيـن)

(ان في الليل والنهار عجائب) (٢)

---

(١) معادن الجواهر ج ٣ ص ٣٣٠ .

(٢) الديوان ص ٣٣٦ .

م- التذييـــــــل

وهو كما يفهم من ظاهره وكما فهمته من تذييلات شبيب باشا الاسعد الكثيرة ان ياتى الشاعر ببيت او قصيدة لشاعر ســواه ثم يبنى على اساسها قصيدة اخــرى تكون وكأنها امتداد لشعر الاخر ومنه ما قاله شبيب باشا الاسعد مذيلا هذين البيتين لبعضهـــم :

لم يبق فى الدهر انسان يلم بـــه ولا صديق عليه الحر يعتمـــد
ولا فتى ان رأى حرا به مـــرض تراه فى طبذاك الحر يجتهـــد

وهذا التذييـــل :

سوى الذى حسنت اخلاقه وسمى بصالحات اياد مالها عـــدد
فلو ايادى الايادى عند ها وصفت يرى بها قصرا تعلوه منه يـــد
شهم له وثبات فى الفخار ابـــت الا الثبات وفيه البأس والجلـــد
فرد تفـــرد فى جمع الكمال بمـــا له خناصر اهل الفضل تنعقـــد (١)

وقد ذيل الشاعر هذا البيت للوأواء الدمشقى بعد ان شطره وهذا هــو البيت :

سبيل الهوى وعر وحلو الهوى مر وبر الهوى مر ويوم الهوى دهـــر

وهذا تـذييلـــه :

ورشد الهوى غى وسعد الهوى شقا وجى الهوى ميت ونفع الهوى ضـــر
وحلم الهوى طيف وقرب الهوى نوى وعدل الهوى جور وسر الهوى جهـــر

وقد اطال الشاعر فى تذييله لهذا البيـــت (٢) .

---

(١) الـديوان ص ٣٤١ .
(٢) " " ص ٣٤٣ .

التقليــــد والمعارضــــة

عمد الشعراء العامليون المحافظون وبعض المجددين الى تقليد القدماء في معانيهم والفاظهم واوزانهم فنسجوا على منوالهم وعارضوا قصائدهم ومـــا زال حديثنا عن التشطير والتخميس والتسميط والتذييـــل وما شاكله وكله من قبيـــل التأثـــر بالسابقـــين ٠

ومما جاء على الطريقة القديمة لفظا ومعنى ما سبق واشرنا اليه لمحمـــد حسين شمس الدين ومثله قول الحومانـــي من قصيدة عنوانها " قبضت يـــدي " :

اما شغلت منك الدموع معاهـــد ... لاسماء عفاها البلى وطلـــول
وقفت بها تبكي لدمعا راقـــه ... بـــخديك من ورق الحمام هديـــل
نقضت يدي يا ورق من كل صاحـــب ... فهل لي الى خـــل لديك ســـبيل

* *

وحبستكا بالدموع احبـــــة ... لعيني في وادي السلام نـــزول
احباي هل عنكم سرى فاعلـــني ... نسيم الصبا اذ هبوهو عليـــل
فلا مثل شكوى البين ســـرا بثتـــه ... اليكم ولا مثل النسيم رســـول (١)

وهو كما ترى قد وقف واستوقف وبكى اما م الطلول والمعاهد واذا كان فـــي ذلك من رقة فهي رقة متمم بن نويـــرة والخنساء في الرثاء ومثل الحوماني صنـــع عبد الحسين صادق وقد مرت بنا نماذج كثيرة من هذا القبيل نكتفي بالاشارة اليها ٠

ومن المجددين الذين استهوتهم طريقة القدماء من حيث البدايـــة بالنسيب ثم التخلص الى الغرض عبد الكريم شمس الدين في قصيدته " ياندى " حيـــث يبدأ بها على الشكل الاتـــي :

ساءلتني ورأسه نحو صـــدري
ينثني بخفـــة واعتـــداد

---

(١) الديـــوان ص ١٧٧ ٠

اين امسى وعد قطعت وعهـــــد
اين ضاعت د قائق الميعـــاد ؟

فيتخيل القارئ ان الشاعر قد غرق في بحر الغرام والهوى واذا به يحس انه امام مقدمة تمر مسرعة يحط بعدها الشاعر رحالـــه امام واقع افكاره الوطنيـــة فيقـــول :

يا ندى فوغد سينحطم القيـــد
وتعلو الى النجـــوم بـــلادى
فتظل السمـــاء خضر روابينـــا
وتزهو الحياة بالاعـــواد .... (١)

ومن المعارضات على الشعر القديم قصيدة لنزار الحصري يعارض بهـــا قصيدة " ياليل الصب متى غده " وقد سبقت الاشارة اليها (٢) وعارض شبيب باشا قول الشاعر الخارجي المشهور :

برغم شبيب فارق السيف عزمـــه وكانا على الحملات يصطحبـــان
كأن رقاب الناس قالت لسيفـــه رفيقك قيسى وانت يمانـــى

فيعارضها بقصيدة طويلة ويقـــول :

برغم شبيب خالف الصبر قلبـــه وكانا على الاحوال يتفقـــان
كأن هموم الدهر فيه تجمعـــت فاصبح منها دائم الخفقـــان (٣)

وعارض عبد الحسين صادق قصيدة كعب بن زهير في مدح الرسول التـــى عنوانها " بانت سعـــاد " فقـــال :

هى القلاص المراسيم المراسيـــل ام الرئال المذاعير المجافيـــل

---

(١) مواسم ص ١١٨
(٢) العرفان م ٣٩ ج ١٠ ايلول ٩٥٢ ص ١٢٠٥ .
(٣) الديوان ص ٣١٧ .

وما تقاذفت الحصباء ارجلها   طير من الامن ام طيرا بابيــــل (١)

وكذلك سبقت الاشارة اليها وللشاعر نفسه موشح يعارض به موشـــح "جادك الغيث اذا الغيث هما ... " فيقول :

عندليب البشر غنى طربـــا   صادقا يشدو بلحن مؤنـــس (٢)

ومن الشعر الحديث عارض السيد محمد جواد فضل الله قصيدة ارادة الحياة للشابي التي أشرنا اليها سابقـــا (٣) .

وكذلك عارض عبد المطلب الامين قصيدة شوقي "قم ناج جلق " . وقد اشرنا اليهـــا ...

وهكذا كانت المعارضة تأخذ هذا الشكل فهي معارضة للقديم من حيث الشكل ومحاكية للحديث من حيث المعنى وقد يلتقي في المعارضة الشكل والمعنى في وقت واحد . وكان يتحوض العامليون معارضة مشاهير القصائد دون ان يكون ذلك على حساب الفـــن .

---

(١) عز . الـــولاء ص ٢٦ .

(٢) سقط المتاع ص ١١٨ .

(٣) العرفان ك٢ ٩٥٨ جـ٤ م٤٥ ص ٣١٣ .

النظم

وهو وان كان يفتقر الى روح الشعر الا انه يلبس لباسه ويأخذ شكله ولذلك كان على هامش الشعر ولم يكن غاية بذاته وانما كان وسيلة للوصول الى بعض الاغراض التى تتضمنها :

١- المنظومات العلمية والتعليمية .
٢- الالغاز والاحاجى واستعمال الاحرف وهى بقصد الترفيه .
٣- التاريخ الشعرى .
٤- اخضاع المنظومات للمحسنات البديعية .

وسنضرب امثلة على كل نوع من هذه الانواع دون الخوض فى تفاصيلها .

١- المنظومات العلمية والتعليمية

وتتناول نظم التاريخ واحداثه ومنها الاراجيز وقد نظم العامليون فيها النحو والصرف والمواريث والتوحيد وغير ذلك قديما وحديثا وقد اطنب هؤلاء فى الحديث عن رسول الله واهل بيته وحياتهم شعرا فوضع الشاعر احمد سليمان ظاهر ديوانا كاملا نظمه فى حياة الرسول (ص) والائمة الاثنى عشر من ابنائه اسماه : " مواكب الفداء سادة هاشم " ونظم عبد الحسين صادق " المضامير " فى حياة الامام على و " الشمس وبنى عبد شمس " الذى نظم فيه حياة بنى امية فى الجاهلية والاسلام ونظم الشيخ سليمان ظاهر ديوانا كاملا اطلق عليه اسم " الالهيات " ضمنه مبادئ الاسلام ووضع السيد محسن الامين عددا من الاراجيز فى بعض العلوم الفقهية واللغوية ومثله صنع الحومانى وغيره وهذه بعض النماذج :

منظومة الشيخ عبد الحسين صـــــادق
في المواريـــــث

وهي طويلة لم يعثر ولده الشيخ حسن صادق الا على " مقدار مائتيـــن وثلاثين بيتا في اربعة عشر صفحة بدأها بموجبات الارث ، فقـــال :

الارث نص الذكر والسنة والا	اجماع كل واحد عليـــــه دل
وما هناك مقتضى سوى النسب	وان نأى لحمتـــه او السبـــب
فالارث بالهجرة والاســـلام	قد نسخته واولوا الارحـــــام
ما فرق الله من السهـــام	ستة اشياء بلا كـــــلام
الربع والثلث وضعفا ذيـــن	والنصف من كل بغير مـــين
فالربع لاثنين لزوج مع ولــد	وزوجة لامعة من غـــير رد
ونصفه للزوجة بسهم الاقـــل	مع ولد لزوجها وان نـــزل
وضعفه لاربع للبنـــت	والزوج لا مع ولد والاخـــت
للابوين او ابان وجــــدت	واختها للابوين افتقـــــدت
ولم يكن من ذكر في البيـــن	مشتركا في الارث مع هاتيــــن (١)
وان يكن فطبـــق في الله امـــر	من مثل حظ الانثيين للذكـــر

الى اخر المنظومة .. التي يتناول الشاعر فيها جميع احكام الشرع فـــي المواريث والصلاة والصيام والتوحيد وغير ذلك .

هذا وللسيد محسن الامين ارجوزة في الصرف جاء فيها :

وبعده فالصرف في الكـــلام	كالنحو مثل الملح للطعـــام
تراهما للعلم أما وابـــا	فيا له من ولد قد نجبـــا
الصرف علم بالاصول قد علـــم	بها سوى الاعراب احوال الكلـــم

---

(١) سقط المتاع ص ٢٦٢ .

وما لحرفا ولشبهــــه الحــرف عند هم من علقة فى الصـــــرف

هذا ولمحسن الامين فى البيان : حاشية المطول كتبها ايام — اشتغاله به • وله ارجوزة فى علامات المجاز وشرحهـــــا (١) •

ولكامل سليمان ارجوزة " زمام الاحرار " تتناول الاحداث الواقعـــة بين مقتل الخليفة الثالث واستشهاد الحسين بن على مع مقابلـــه بين صـــلح الحسن وثورة اخيـــه الحسين عليهما الســـلام •• " ومطلع هذه الارجوزة :

واقترب الا جمصـــــا ن	فى كفتى مـــــــــيزان
وابتدأ الاغـــــــراء	يتبعه استهـــــــواء
فكان من عبيـــــــد	فحل كلاب الصيـــــــد
لرسلها الصيـــــاد	بمفــــرها الطـــــراد
فالتهمت طريد تــــــه	وحاولت مكيد تـــــــه
واتخذ الليل جمــــــع	يتبعه الفــــا بطـــــل (٢)

وملحمة بولس سلامه فى " عيد الغدير " تعتبر من المنظومـــات التاريخية •••، وكذلك فللشاعر زهرة الحر قصيدة عن تاريخ صـــــور عنوانـــــها " بنت حيرام " وكذلك للشاعر رضا الحومانى ارجوزة الفيـــة فى العلوم وهى غير مطبوعـــة •

٢ــ الالغاز والاهاجى والتلاعب بالا حــــــرف

اما الالغاز والاهاجى فقد قل النظم فيها فى القرن العشرين واختفى فـى النصف الثانى منه ولتحل محله ألغاز وطلسمات اخرى سنتحدث عنها • امـــا استعمال الا حرف فقد نشط به شعراء جبل عامل وملأوا د واوينهم وقصائد هـــم

---

(١) الاعيـــان ج ٠ ٩ ص ٩١ •

(٢) اشـــراق ص ١٥٣ •

منه وقد تفننوا فيه فمنهم من يأتي بقصيدة خالية من بعض الحروف كما فعل عبد الحسين صادق عندما نظم قصيدة في مدح فاطمة الزهراء وكانت خالية من الالف يقول فيها :

خذ في مديحك للبتول خطين من طول وطول
قل للقريحة في مهذب مدحة فيض وسيل
ولفيك قل فه في حديثك غير محسور كليل
قل للبتول عظيم فضل لم يدنس بالفضول
هي قبل كل مكون قند يسل عرش للجليل
هي صفوة للخلق سيدة لنسوة كل جيل
هي للقبيل عقيلة ومليكة هي للعقول
مقرونة في عصمة عن كل مذموم ويل
هي لبوة نبوية محجوبة في خير غيل
سكن لحيدرة وحيدرة حسام للرسول (١)

وفي استعمال الحروف على طريقة الالغاز قال الشاعر نفسه :

عشم الجمال بخدك الزاهي اغتدى في لوح وجهك احرفا مرقوما
فالصين عينا والحواجب نونها والخال نقطتها وثغرك ميما
اطلعت سورة يوسف من عينها صادا قرأت ومن فم حاميما (٢)

وفي نفس الديوان " سقط المتاع " ابجدية الجمال (٣) و "قسما بلحظك " (٤) يستعمل فيهما الشاعر الحروف كما رأينا في الابيات الثلاثة الاخيرة .

---

(١) عرف الولاء ص ٩٦ .
(٢) سقط المتاع ص ١١١ .
(٣) " " ص ١٢١ .
(٤) " " ص ١٣١ .

٣- التاريخ الشعرى

تحدثنا عنه باسهاب فى فصل سابق على انه من اغراض الشعر ولا حاجة لنا بتكرار الحديث الا اننا نثبت هنا تاريخا شعريا للشيخ عبد الحسين صادق أرخ به لبناء النادى الحسينى فى النبطية فقال فيه :

هذه ما الكعبة فى التاريخ قل ... فتحت ابوابها للعاكفين
هذه الفردوس أرخ منشدا ... ادخلوها بسلام آمنين
جنة حين استطالت ارخوا ... فى بناها ازلفت للمتقين (١)

١٣٢٦ هـ .

٤- اخضاع النظم للمحسنات البديعية

ومن ذلك القصائد الموحدة الروى وقد جاء منها قديما قصيدة لابن الفارض مطلعها :

نصبا اكسبنى الشوق كما ... تكسب الافعال نصبا لام كى
ومتى اشكو جراحا بالحشا ... زيد بالشكوى اليها جرح كى
عين حسادى عليها لى كوت ... لا تمداها اليم الكى كى

وعلى غرارها نظم السيد محسن الامين قصيدة من مئة بيت وبيت جعل قافيتها " العجوز " وفى كل بيت تجد للعجوز معنى جديدا جاء فى القصيدة :

اتحمل طول دهرك للعجوز ... ولا تخشى غدا مر العجوز
تروح وتغتدى فى جمع مال ... لديك من النضار او العجوز
وفى تحصيله تطوى الفيافى ... مغذا بالسرى فوق العجوز

---

(١) الاعيان جـ ٤٠ وعرف الولاء للشاعر نفسه ص ١٧٦ .

سنترك ما جمعت لوارثيـــــه غدا من فضة او من عجـــــوز
وحظك عند موتك من جميع البسيطة قيد قيـــدك فى المجـــــوز

ونكتفى من القصيدة وهى تزيد عن مائة بيت بهذا القـــدر (١) ونشرح معنى المجوز وقد تكررت هنا ست مرات فالاولى بمعنى الدنيـــا والثانيـــة جهنـــم والثالثـــة الفضـــة والرابعـــة الناقـــة والخامسة الذهـــب والســـادسة الارض وهكـــذا ....

---

(١) معادن الجواهر ج ٣ ص ٥١٧ ثم راجع كتاب " تاريخ الشعر العربى الحديث " لاحمد قبش ط دمشق ١٩٧١ ص ٥٣ـ٥٤

الالفـــــــــــاظ

عمد العاطيون المحافظون الى البحث والتنقيب عن الالفاظ القديمـــة وقد اغلبوا فى ذلك لدرجة انهم حاكوا امرأ القيس فى الجاهلية والفرزدق فـــى الاسلام واضرا بهما • وقد اهتموا غاية الاهتمام بانتقاء تلك الالفاظ البدوية حتى انك وانت تقرأ لعبد الحســين صادق ومحمـــد حسين شمـــس الدين ومحسن الاميـــــن والحومانـــــى ومحمد سليمـان جـواد وسليمان ظاهر تحـس بانك تقـــرأ فى المعلقات للنابغـــــة وعنتـــرة وطرفـــــة وما ان اطلت علينـــــا الخمسينيـــات وما بعدها حتى احسسنا احســاسا اخر وادركنـــا شهـــور مختلف فاذا الانقلاب يقع على اوسع المجالات واذا بالشـــعراء المجدديـــــن ينقلبـــون رأسا على عقـــب فيخلمـــون القديم وزنـــا ومعنى والفاظـــا واذا بنـــا امام استعارات وتشبيهـــات غريبـــــة ما الفناهـــا من قبـــل ••• واذا كان الكلاسيكيون قد اغربوا فى انتقـــاء الالفـــاظ القديمة وغاصـــــوا الى اعمـــاق التاريـــــخ • فان المجددين قد اغربوا ايضـــا فى الفاظهم فارتفعوا حتى عاموا على السطـــح وتعلقوا بحبال هوائية حاولوا بواسطتهـــا الصعود الى السماء • واذا كنـــا لا نفضل هذا ولا ذاك ولا نميل لان نتحمـــس الى احد الفريقين او ننحـــاز اليه فاننا مع الرأى القائـــل بان الطيران لابد وان ينتهى بصاحبـــه الى الارض كما ان الغوص الى الاعماق لابد وان يعود بصاحبه الى السطح كذلك وهو علـــى احد حالين فهو اما ان يعود باللؤلؤ والمرجان واما ان يكون قد عاد خائبـــا حسيرا ناجيا من الغـــرق والاختنـــاق •••• وتبقى الوسطية المعقولـــة هى الجوهرة وهى المطلوبـــة وسندرك بعد حين من خلال مقارناتنـــا وامثلتنـــا التى سنضربها مدى عمق الهوة بين الفريقين ومغالاة كل منهما •

فقد لاحظنا ونحن نستوحى بعض النماذج التقليدية كيف ان اصحابها حاكـوا القدماء فى المعنى والمبنى كما لاحظنا تلك الالفاظ التى انتزعهـا اصحابهـــا

من بيئات غير بيئاتهم ... فكنا نحس بهم وكأنهم فى البيداء خلف العيس سائرون وعلى الرسوم والاطلال عاكفون وكنت ترى ليلى ولبنى ودعدا والرباب وعزة يطللن عليهم من خلف الاخبية وشجرات الاثل والقيصوم تلون اشعارهم وتضللهم ... ولم يقف المحافظون ـ كما قلنا ـ عند هذا الحد بل لجأوا لنفس الالفاظ واستعملوها فانظر مثلا لعبد الحسن صادق كيف استعمل تلك الالفاظ فى قصيدة يصف فيها القطار وهو فى القرن العشرين : " صحاصح ـ صحارى ـ فوق ـ البيد فالفلا ـ القفار ـ العيس " (١) . ثم انظر الى تلك الالفاظ التى استعملها الشاعر نفسه فى وصف الباخرة : " اليم ـ جناجن ـ اتلعت ـ مناحر نحرتها ـ كلكل ـ بتار ... " (٢) ثم انظر معى الالفاظ التى استعملها الحومانى وهو الذى يعتبر شيخ المجددين عند العامليين : " اجلوذ بمعنى اسرع ـ قذ ـ النبذ ـ اللحز ـ طنف ـ طنفس " فى قوله :

ألم تران هجين الدواب	حرون فاركب اجلوذا (٣)

وقوله :

قذ النبذ اللحز واحذر اذا	رفقت به الغدر الطنفسا
فكم طنف لان وهو المهيص	فلما استوى جابرا طنفسا

والمعنى : قذ : اضربضربا مؤلما ـ النبذ : اللئيم فى حسبه ـ اللحز : البخيل ـ الغدر : الغادر ـ الطنفس : الردئ القبيح ـ الطنف : السوء السريرة ـ طنفس : قسا بعد رقة وخشن بعد لين .

ومن الالفاظ التى استعملها الحومانى : تكأكأت فا فرنقع . الخنزجة : المجرفة ـ الخنزوان الخنز : الخنزير المنتن ـ الرمص : ما اصفر يخرج من العين عند الرمد ـ واشق : من اسماء الكلب وهو علم مرتجل (٤)

---

(١) راجع القصيدة فى ديوان الشاعر " سقط المتاع " ص١٧ وما فوق .

(٢) راجع نقد على الزين للقصيدة فى كتابة " اوراق اديب " ص ١٠٨ .

(٣) الديوان ص ١٨٣ . (٤) الديوان ص ٧٨، ٨٢، ٨٣ .

كرسفه : قيده ـ اكرف : ادلى برأسه ليشتم الروث ـ استأتن الحمار : اصبح انثى ـ كقولهم : استنوق الجمل (١) والفاظ الحوانى تلك اكثر من ان تحصى .

هذه هى الفاظ المحافظين ، اما المجددون فلهم الفاظ وعبارات اخرى فهم وان توكأوا على القديم الا انهم حاولوا اخفاء ذلك ادعاء وظهروا بمظهر الاستقلالية الزائفة لانهم حيثما استقلوا عن القديم تاهوا فى بيداء المعانى وغرقوا فى وحول الجديد فليس للشعر استقلال عن بعضه الا من حيث الخلق والابتكار وابداع الصور البلاغية الجديدة اما المعانى فلا جديد فيها الا من حيث الاطار الذى توضع فيه ، اما الالفاظ فهى كذلك لا جديد فيها الا من حيث التركيب ، وهو ما عرف بالنظم عند الجرجانى وما كان غريبا علينا كان كذلك غريبا على القدماء ... اذن فالفاظ شعرائنا الجدد لا جديد فيها وانما كان اصحابها يحاولون الابتعاد عن الغريب فوقعوا فى الغريب من الصور والعبارات ، انظر معى الى الفاظهم وعباراتهم من خلال بعض النماذج : ز " قصائد دامية الى جدنا النعمان " لالياس لحود ، ومما يقوله فى هذه القصيدة :

مشت على جباهنا سحابة
وكبلت رياحنا
وشربت خيولنا السراب واختفت فى شعب الوادى .

ثم يقول :

ولاحت الاكواخ والخيام واقترينا
وغاب بقصرك المضئ عن وجوهنا
وعندما بدأنا
وكان ليلا هائل السواد

ثم يقول :

من صعلوك يرجع من صحراء التيه

---

(١) الديوان ص ١٧٤ .

من يعرفني غيرك انـــت ؟
انت قتلت بنات ابـــى
وبنات اخى ... رياح اخى وابى
من صعلوك يرجع فى صحراء التية
يبحث عنا وراق ابيه . (١)

والذى نلاحظه فى هذه القصيدة انها احتوت نوعا جديدا وغريبا فى الوقـــت ذاته من العلاقات ، واسناد الافعال الى غير ما تسند اليه فى العادة ... وكذلك نلاحظ ان الشاعر ركز على بعض الكلمات وكان ابرزها : كلمة "الريـــــاح" وهذه الكلمة قل ان ينجو من لسعها شاعر عاملى مجدد فكلهم استعملها وكلهـــم احس بهبوبها وكلهم عصفت به الرياح ... ولن تجد قصيدة واحدة خلت مـــن ترديد هذه الكلمة ... فكل العامليين استعملوها وما من قصيدة الا وتجـــد فيها آثار الرياح والعواصف والانواء ... حتى ان بعض دواوين العامليـــين قد عنونها اصحابهـــا بالريـــاح .. وها نحن نذكر على سبيل المثـــال بعض الاثار التى اخذت اسم الريــــاح او مترادفاتها ، واليك جدولا بها :

العنـــوان	النـــوع	الشـــاعر
١ـ رياح الخريـــف	ديـــوان	زهرة الحـــر
٢ـ الصوت والريـــح	قصيـــدة	سكنة العبد اللـــه
٣ـ صلوات للريـــح	ديـــوان	خليل الخـــوري
٤ـ رياح الخريـــف	قصيـــدة	اليـــاس لحـــود (٢)
٥ـ الرياح المحترقـــة	ز	" "
٦ـ ريـــح وهشـــيم	"	" "
٧ـ اغنية الرياح الطويلة	"	" "
٨ـ اعصـــار	"	" "
٩ـ ريـــاح	"	وديع ذيـــب (٣)
١٠ـ رياح السموم والعنقاء	"	حبيب صـــادق (٤)
١١ـ الام والبيت المشرع للريح والليل	" "	" (٥)

(١) مجلة مواقف عدد ١٧ ، ١٨ ايلول كانون ١٩٧١ .
(٢) على دروب الخريف ص ٣٠ ، ٦٣ ، ٨١ ، ١١٢ ، ١٨ على التوالى

ثم نعود بعد ذلك للشاعر الياس لحود ونلقى نظرة على الكلمات التى استعملها فى قصيدته ثم نضع امام كل كلمـــة عدد المرات التى وردت فيها فى قصيدته المعتدلة الطول . ولعلها طريقة جديدة فى النقد والمقارنة :

سحابـــة (١) ـ رياح (٥) ـ السراب (٣) ـ الاكواخ (١)

الخيام (١) ـ القصر (٤) ـ الليل (٥) ـ الصحراء (٦)

قتـل (٤) ـ صعلوك (٣) ـ التيه (٤) ـ بحث (٣) . ولهـــذه الكلمات انعكاساتها وايحاءاتها واشعاعاتها الخاصة فهى تدخل بنا الى اعمـــاق الشاعر فتدلنا على ما يعانى منه والاجواء التى يتحرك تحت تأثيرها ...

وتقع تحت يدنا قصيـــدة للشاعر محمد على شمس الديـن عنوانهــــا " قصائد مهربـة الى حبيبتى آسيا " التى سبق وذكرناها ونختار منها المقطـــــع التالـــــى :

(لاعشب ينمو فوق هذا القبر)

تسأل نفسها فى الليل آسية

وتشرب حزنها الدهرى تترك فى قرار الكأس شارتها الكئيبة ثم تتصـل

بنبيها (المقتول قبل الفجــــر) فى برية موصولة الفلوات

يركب مهره النارى ثم تضمه السيـــل

هذا سرابك فوق وادى الموت لم يهطل

سرابك غيمة حجرية بيضاء قاسية وتعطش سيدى

ونظل نعطش

ثم نعطش

ثم نعطش

والرياح شهية

والارض ترفع ساعدا كالاه نحو الشمس

تبتهـــل (١)

---

(٣) غيوم ثامنة ص ٧٣ (٤) فصول لم تتم ص ٥٥ (٥) الطريق ٦ تموز ١٩٦٩ ص ٢٨ .

(١) ديوان الشاعـــر ص ٤٨ .

ونفس الذي صنعناه بقصيدة لحود نصنعه بقصيدة زميله شمس الدين فنختار الالفاظ كالاتي :

سحابة (١) ـ ريح (٦) ـ سراب (٢) ـ كوخ (٢) ـ خيمة (١)
قصر (ـ) ـ ليل (٢) ـ صحراء (٤) ـ تيه (٢) ـ قتل (١٥)
صعلوك (ـ) ـ بحث (١) . وكذلك الامر بالنسبة للشاعر شوقي بزيع فان كلمة الرياح تتردد كثيرا في شعره بالاضافة الى الجثث والموت والقبور ثم الجوع وتتردد كثيرا . ثم " الجنوب " التي يشير فيها حينا الى منطقة جبل عامل بشكل مباشر ومرة يطلقها على اساس التورية (١) . وفي شعر حبيب صادق كلمة الرياح والجنوب والسراب والموت والقصر والصحراء والتيه (٢) وذلك ما نراه في شعر كثير من شعرائنا الشباب مثل : حمزة عبود ، حسن عبد الله ، حسن حمدان ، اميرة الزين ، وقد نشرت مجلة "مواقف" قصائد لهؤلاء جميعا في عدد واحد تتسم فيها بتلك الروح التي اشرنا اليها (٣) .

ويبقى شعراؤنا الشباب تائهين في صحراء الواقع تتقاذفهم امواج العصر واعاصيره فتقذفهم حينا الى الزوايا فيستقرون على عجز ، وتعصف بهم احيانا فيصمدون لها ، ثم تهدأ فيتحركون للبحث عنها حتى تعود ثانية وكأنهم الفوا العاصفة وعشقوها شأنهم في ذلك شأن شعرائنا العرب الشباب وشأن جيلنا التائه من المحيط الى الخليج .

---

(١) راجع قصيدة " عناوين سريعة " للشاعر في الاخبار اللبنانية ٧٦/٧/١٠ وقصيدة " الرامي " في مجلة " مواقف " عدد ١٧/ ١٨ ص١١/ ٩٧١

(٢) فصول لم تتم للشاعر .

(٣) مواقف عدد ١٧ ـ ١٨ ١٩٧١ ص ١١ .

الاوزان

سبق ان اشرنا الى ان العاملين قد حافظوا على عمود الشعر العربي محافظة تامة وذهبوا الى ابعد من ذلك حيث قلدوه مدنى بهنس حتى الخمسينيات كما رأينا فى الشعر الذى استعرضناه كشاهد على مانقول ... فقد نظم اصحاب مدرسة القديم على البحور المعروفة فجاءت قصائدهم صورة مكررة عن الشعر القديم من حيث الشكل والمضمون وحسن التخلص والديباجة الرائقة فى جميع فنون الشعر .... غير ان هؤلاء لم يقفوا جامدين متحجرين مما جد على الشعر من بحور وفنون جديدة واذا ساغ لنا ان نقسم التجديد الى نوعين ، ثم نسمح لانفسنا باطلاق اسم التجديد التقليدى على ذلك التجديد الذى تناول المعنى فقط فاننا نسمح لانفسنا ايضا باطلاق اسم التجديد الانقلابى على النوع الاخر من التجديد الذى تناول المعنى والمبنى معا .

ولاشك ان للشعراء العاملين باعا طويلا فى التجديدين معا هذا اما اليوم فان الشعراء الشباب اخذوا يتجهون اتجاها خاصا فى طريق العودة الى القديم من حيث الوزن وهم يحاولون تطعيم نتاجهم بالنغمات الراقصة الموثرة والمثيرة فى آن وذلك لطمعهم ان الموسيقى هى التى تشد الناس وان الشعر الحر لا يشد احدا اليه ولما كانوا فى غالبهم من حملة المبادىء الذين يرغبون باثارة الناس والتأثير بهم فقد اخذوا يعدلون عن طرقهم الحديثة اكتفاء بالجديد فى المعانى .

التجديـــــــــد

لعل من البدهيات القول بأن التجديد غزا كل عصر فلكل عصر تقليديوه . ومجددوه في جميع المجالات ومنها المجال الأدبي . بيد أن الذي يتميز به القرن العشرون حتى عامنا هذا هو أنه شهد موجتين من التجديد : الموجة الأولى هي ما أحب أن أطلق عليها - كما سبق القول - موجة التجديد التقليدي . أما الموجة الثانية فهي تلك التي أطلقت عليها اسم : موجة التجديد الانقلابي ولعل أحدا من النقاد لم يسبقني الى هذا الاصطلاح هذا ان صحت التسمية .

وعلى هذا الأساس نستطيع التفصيل ونبدأ الكلام عن هاتين الموجتين الأدبيتين .

- ١ -

موجة التجديد التقليدي

عندما أعلن أبو نواس ثورته على الشعراء صاح صيحته المشهورة :

قل لمن يبكي على رسم درس   واقفا ما ضر لو كان جلس

كانت تلك الصيحة ايذانا ببدء عهد جديد للشعر لم يلبث أن تابعه عليها غيره من الشعراء فيما بعد وعلى رأسهم أبوتمام ثم مسلم بن الوليد وبشار وغيرهم . وظهرت طبقة المحدثين في الأدب العربي، وحولها ثار جدل طويل لم ينته بسهولة وما زالت آثاره في النقد حتى اليوم ...

وفي الشعر العاملي مع بداية القرن العشرين ظهرت طبقة تقليدية بلغت غاية التزمت في السير على دروب القدماء ولا شك أن لهذه الجماعة ظروفها وأعذارها في ذلك فالمدرسة النجفية من جهة والبيئة العاملية من جهة أخرى فرضت عليها أن تسلك هذا المسلك وكان على رأس هذه الجماعة شبيب باشا الأسعد وعبد الحسين صادق وكامل شميب العاملي ومحمد سليمان جواد ومحمد حسين شمس الدين ومحسن الأمين .

وما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى ظهرت طبقة جديدة من الشعراء الذين أذهلتهم الحرب ونتائجها وما ترتب عنها من هزيمة تركيا واحتلال البلاد العربية من قبل الدول الأوروبية المنتصرة ... وما رافق الاستعمار الفرنسي من

متناقضات تكمن فى الظلم والاستبداد من جهة ودخول اشعاعات فكرية جديدة وتيارات ثقافية قادمة من بلاد الفرنسيين والانكليز من جهة أخرى تأثر العامليون بهذا الجو الجديد الى حد ما وكان الشعراء محمد على الحومانى وبولس سلامة وعبد الحسين عبدالله وموسى الزين شرارة وسليمان ظاهر وفؤاد جرداق ومحمد يوسف مقلـــــد وعلى الزين ... وغيرهم فى ريعان شبابهم فهزتهم الموجة الجديدة دون أن تحدث فيهم انقلابا فكريا كبيرا الا أنهم وقعوا تحت تأثير الأحداث فتبلورت أفكارهم واختمرت فى نفوسهم المعانى الثورية والتحررية وساروا فى ركاب شعبهم وتقدموا الجماهــــير المكافحة وهم ينشدون لها الأناشيد القومية والوطنية ... ومع هذا التجديد بقيت القوالب هى نفسها ولم تهتز . واقتصروا التجديد على المعانى دون الأوزان والقوافى وكأنهم بذلك قد مهدوا لقيام الثورة التجديدية الخطيرة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية والتى ما زلنا نعيش نتائجها ومتناقضاتها حتى اليوم ...

ـ ٢ ـ

موجـــة التجديـــد الانقلابـــى

اذا كانت الحرب الأولى هى الحد الفاصل بين المقلدين والطبقة الأولى من المجددين الذين أطلقنا عليهم اسم التقليديين فان الحرب العالمية الثانية كانت بدورها فاصلا بين المجددين التقليديين والموجة الجديدة من الذين أطلقنا عليهم اسم المجددين الانقلابيين ولكل حرب افرازاتها ولا شك أن الانسان ابن البيئـــة وكذلك الفكر نتاج البيئة . فقد تطورت وسائل الدمار فى الحرب الثانية ومعهـــا تطور الفكر العالمـى ... شهد العالم الملايين من ضحايا الحرب كما شهـــد الدمار المخيف ... فطبعت هذه الآثار فى النفوس المتعبة المكدودة المتألمة ... كما طبعت معها الانات والزفرات المتوثبة الثائرة الناقمة الحاقدة فى آن واحد ... واختمرت فى عقول الناس . وما أن أطلت الخمسينيات على العالم حتى شهدنا موجـــة الرفض والتمرد والثورة عند الشباب على كل ما هو من اثار الماضى ذلك أنهـــــم يعتبرون عقلية الماضى هى التى تسببت بالحرب التى الحقت الموت والدمار بالعالـــم وفى سنوات الحرب كان فى جبل عامل أطفال أذكياء يسجلون على ذاكرتهم ما يرونــــه وما أن بلغوا سن العاشرة حتى أخذوا يقرأون فى المدارس أخبار حربين مدمرتـــين

بشمتين وبين هؤلاء الأطفال كان شعراء المستقبل الذين نقرأ نتاجهم الآن ٠٠٠

ولاشك أن الانفتاح العالمي والثورة الاعلامية وتطور المواصلات على جميع أنواعها التي أعقبت الحرب كان لها أثر بارز في اطلاع العامليين وغيرهم على روائع الفكر العالمي ولا يطير من الفكر عبر العالم الا الجيد منه والصالح فقرأوا شعراء العرب والعالم أجمع وهم ما زالو يحنون الى شعراء العرب الذين درسوهم في المدارس ويحنون كذلك الى مدارسنا الأدبية التقليدية ٠٠٠ وفي غمرة هذه الأحداث وفي غمرة هذه الثورة الفكرية صعق العامليون والعرب جميعا عندما أدركوا أن آثار الحرب في العالم كله قد مسحت وزالت وتجمعت كل نتائجها القذرة لتتحول الى كابوس رهيب يرقد على صدورهم وكأنه جاثم الى الأبد يهددهم ساعة يشاء ويضربهم ساعة يريد ٠٠ عندما جمعت الدول العظمى شذاذ الآفاق من اليهود من جميع أنحاء العالم ورمت بهم في فلسطين بعدما طردت أهلها منها ليكونوا كما هم الآن شرطيا يهدد أمننا وسلامتنا ويمنعنا من التجمع والاتحاد لنبقى شراذم لاحول لنا ولا قوة ٠٠

وهكذا اختلطت الأوراق واشتبك الحابل بالنابل كما يقولون أمام شباب العرب جميعا ومنهم الشباب العاملي ٠٠٠ وهذه الأحداث والمتغيرات العالمية والعربية هي التي صنعت الشاعر العاملي وأوقعته في حيرة من أمره ورمت به في اتون بورة لا ينطفىء لظاها ٠٠٠ وكان التجديد الانقلابي في الشعر العاملي ٠

قرأ شعراء جبل عامل الشباب لعبد الوهاب البياتي في العراق وأحمد عبد المعطي حجازي في مصر والقباني في سوريا كما قرأوا لشعراء السيريالية في أوروبا وامريكا وشعراء الرمز والثورة في كل العالم ٠٠٠ وأرادوا أن يعبروا عن هذه الثورة وعن هذه الأفكار التي اكتسبوها تعبيرا حرا وأن التعبير الحر لاتتسع له القوالب العربية المقيدة فحطموها وكأنهم أرادوا البقاء قربها فحاكوها ببعض الموسيقى الخفيفة الهادئة حينا والناشزة أحيانا ولما رأى البعض منهم أن الموسيقى الشعرية قيد يحد من حريتهم في التعبير حطموا هذا القيد وتفلتوا من الموسيقى وكان الشعر الحر في جبل عامل ٠

هذا وقد سار في مقدمة قافلة الشعراء المجددين هؤلاء كل من محمد علي شمس الدين والياس لحود وحسن عبد الله وشوقي بزيع وعبد الكريم شمس الدين وحبيب صادق وغيرهم من الشعراء الشباب الذين ذكرنا بعضا من أسمائهم فيما سبق ٠

ومهما يكن من أمر فان الذين ركبوا هذه الموجة فانفلتوا نهائيا من قوالب الشعر العربى وانهم يحنون اليها دائما وستتضح الرؤية أمامنا عندما نستعرض بعضا من نتاجهم فيما بعد .

** وقفــــة نقديـــــة **

مع الشعـــــر العاملـــــى

وقد أصبحنا نخشى من تكرار القول فاننا نؤكد ثانية أن الشعر العاملى جزء لا يتجزأ من الشعر العربى عامة فهو من جملة التراث القومى . ذلك أنه خاضع لنفس الظروف والعوامل المؤثرة التى خضع لها الشعر فى وطننا العربى سواء من حيـــث التقليد والمحافظة أو التجديد والابتكار .

واذا كان الشعر تعبيرا عن الأحاسيس وا لمشاعر الانسانية وتصويرا لما يحيط بالانسان من ظروف وعوامل بيئية واجتماعية خارجية قد تدفع المرء لقول الشعر تنفيسا عما يعانيه ويحس به من كرب أو طرب .. واذا كان الشاعر هو ذلك الانسان الرقيق الذى يلتقط الموجات الداخلية التى تموج فى ضمائر الناس ودواخلهم ، فان الشاعر العاملى هو ذلك المصور الانسان ...

ولا خلاف فى أن ظروف القهر والاضطهاد والظلم التى تعرض لها الانســـان العربى عامة قد تعرض لمثلها العاملى أيضا ... والعذاب هو النبع الذى تنهـــل منه العبقرية ويتدفق منه الشعر بأحلامه وآلامه ... والفقر هو تلك الصومعة الـــتى يتعبد فيها الشعراء ويبعثون منها دررهم ... وهذا هو الفيض الشاعرى ... ، ومن هذا القبيل كان الشاعر العاملى فهو معذب أولا ومضطهد ثانيا وفقير ثالثـــا ومعاناته هى معاناة الجماهير .. فجاء صوته معبرا عن آلام قومه وأحلامهم ...

وكما أنه يوجد من الشعراء العرب من عاشوا لأنفسهم وتربعوا فوق عروش من ذهب وفى أبراج عاجية ولم يكونوا ليطلوا منها على جماهير شعبهم فجعلوا مـــن الشعر فنا ذاتى المتعة والغاية منه الترفيه عن الذات فى أضيق حدودها كأحمـــد شوقى وأضرابه ... ومنهم من عاش الآم وآمال شعبه كأحسن وأصدق ما يكون الاحساس كمعروف الرصافى ومحمد مهدى الجواهرى ومحمد صالح بحر العلوم وغيرهم .. فـان

فى الشعر العاملى من يمثل الطائفة الأولى كحبيب باشا وعبد الحسين صادق ..
ومنهم من يمثل الطائفة الثانية كالحومانى وموسى الزين شرارة وعبد الحسين عبد الله
وسائر الشعراء الشباب ...

هذا ومن ناحية أخرى كان من الشعراء العامليين من سار على نهج الأولين معنى ومبنى ومنهم من خرج عنهم فى كل شيء وسلك مسلكا مختلفا وهؤلاء من نسميهم برواد الشعر الحديث ...

وعلى كل حال فلكل فريق أخطاؤه وانحرافاته وتطرفه كما له حسناته وابتكاراته ، ولن نكتفى هنا بسرد رأينا ولكننا سوف نحشد آراء قيمة لنقاد معاصرين فى الشعر العاملى على جميع اتجاهاته قديما وحديثا ... بعد أن نسجل بعض المآخذ والعيوب فى اللفظ والمعنى والوزن التى لاحظناها ونحن نجول فى حدائق شعر العامليين ...

هذا وتجدر الاشارة الى أن الشعراء العامليين يتمتعون بقسط وافر من الثقافة وهم تبعا لذلك ينقسمون الى فرقاء ثلاثة :

١) فريق تلقى علومه اللغوية والأدبية من مدارس تقليدية دينية عريقة فى جبل عامل والنجف الاشرف وهؤلاء لا غبار على ثقافتهم العربية من حيث النضج والعمق والفصاحة وسلامة اللغة وجزالة الألفاظ . وقد جاءت معانيهم تقليدية وأساليبهم بلغت مستوى عاليا فى البلاغة بالرغم من أن بعضهم بالغ فى التقليد حتى بلغ به حد الجمود والتزمت ومنهم من تحرر بقدر فجمع بين القديم والجديد .

٢) فريق تلقى علومه فى المدارس والجامعات اللبنانية وهى على ما هى عليه من اهمال مقصود للغة العربية وجاءت عبقريتهم وسليقتهم الأدبية فوق امكاناتهم وقدراتهم اللغوية ... ونظرا لانطلاقهم الاجتماعى وقد كانت ثقافتهم العامة أقوى وأشمل من ثقافة الفريق الأول .. فلجأ هؤلاء لتبرير ضعفهم اللغوى وضحالة ثقافتهم العربية الى ارتكاب التجاوزات والأخطاء الكثيرة والخروج على قواعد اللغة ثم اعتبروا ذلك ثورة بعد أن شكوا من صعوبة اللغة التى لم يدرسوها أصلا فى مدارسهم كما قلنا .

٣) أما الفريق الثالث فهو ذلك الفريق الذى لم يدخل المدارس ولا الجامعات واكتفى بما تلقاه من علوم ابتدائية فى الكتاتيب الدينية وغيرها . ثم اعتمدوا بعد ذلك على أنفسهم فى التحصيل العلمى وتثقيف أنفسهم فبلغوا بفضل عصاميتهم ـ أعلى المستويات ومن هؤلاء (موسى الزين شرارة ـ ابراهيم شرارة ـ نجيب مروة ـ على مهدى شمس الدين ـ وعبد الحسين عبد الله ـ محمد كامل شعيب وسواهم) وهؤلاء قد جاءت لغتهم ـ الى حد ما ـ أسلم من لغة الفريق الثانى ـ وتجاوزاتهم أقل .

....

(الأخطـــاء والتجـــاوزات)

....

لن نقف طويلا أمام أخطاء وتجاوزات شعراء جبل عامل ولكننا سوف نكتفى بعرض نماذج عنها عرضا سريعا .. وكذلك لن نعمد الى تقسيم الأخطاء تبعا للتقسيم السابق .. فالأخطاء قد ارتكبها الجميع مقلدون ومجددون وان كان نصيب المجددين منها أوفر . وعلى هذا الأساس يبدأ عرضنا للأخطاء وأول ما يقع فى يدنا مجموعة شعرية لالياس لحود وهو من الفريق الثانى ومجموعته تلك اسمها " على دروب الخريف " ومن المآخذ التى سجلناها عليه ما يأتى :

١) أنه كثير الابتداء بهمزة الوصل كقوله ..

يحكى لنا تشرين عن شاعر
يذيبه الولـــوع
فيذرف الدمـــوع
على شباب ريق .. زاهـــر
يحكى لنا تشرين عن شاعر
الحزن والآهات والدمـــوع
وصمت آفاقــــه ..
ونعش أوراقـــه .. (١)

وكذلك قوله فى مطلع قصيدة " الخريـــف " ..

---

١ ـ ص ١٧

الشارع الطويل والأتون والشادون
ولحن سيمفونية كئيبة الايقـــاع (١)

٢) كثرة استعمال الألفاظ العامية كقوله : صراخ المساطيح (٢) والمساطيح جمع مسطاح وهو المكان الذى ينشر القرويون عليه التين تحت الشمس والهواء الطلق حتى يجف • ثم قوله " ودعنا : من الايداع (٣) وقولــه " شقعناها " و " تتمرى " (٤) فالأولى معناها رتبنا أو ضممنا عيدان الحطب بعضها فوق بعض وهذا استعمال العامة لها ، أما الثانية فلم أفهم ماذا يقصد من ورائها الشاعر ولعله يقصد النظر الى المرأة • وقوله " فركت " (٥) والحقلة " (٦) وقوله : " الجواري " فى قوله : " ويقتل فيها رحيل النفوس الجوارى " ولعله يقصد معنى السرو أى الجاريـات والجوارى قل أن تستعمل الا بمعنى جمع جارية أى الخادمة (٧) وقولــه " الشيار " فى قوله " مهمة الريح عبر الشيار (٨) •

وانما هذا نموذج نكتفى به للتدليل على تجاوزات الياس لحود الكثيرة فى تخليه عن الفصحى •

٣) اضطراب الوزن :

لم يعد للأوزان أى قيمة عند الشعراء العامليين الشباب فالواحد منهم يخبط خبط عشواء فان أصاب فذلك من النوافل والا فالمعول عليه هو الموسيقى الداخلية واشعاع الألفاظ ومعانيها ولذلك فالشاعر ليس مضطرا لضبط الأوزان حتى فى تلك القصائد التى ينظمها على الطريقة التقليدية وهذا الياس لحود وهو القادر على تجاوز الأخطاء لما يتمتع به من ملكة وذكاء لا يصنع اهمالا للوزن واستهتارا به وفيما يلى بعض النماذج ما خرج به عن الوزن • المقطع الأول من قصيدة عنوانها : " بعد المطــر " يقول الشاعر فيها :

تسكت الرياح فى الجرود •• والتلال ••
ويعود الفجر فى مواكـــب الصقيـــع

١ــ ص ٢٩ ٢ــ ص ٢٦ ٣ــ ص ٣٢ ٤ــ ص ٣٤ــ ٣٥
٥ــ ص ٣٦ ٦ــ ص ٣٨ ٧ــ ص ٥١ ٨ــ ص ٩٨

أيكما يبســـم للوجود بانفعال
حاملا بين يديه طفله الوضيـــع (١)

والقصيدة من بحر الرمل واليك تقطيعها لتعرف ما دخلها مــــن ضرورات :

فاعلات فلا علا ت فاعلا ت تـــن
فعلا تن فاعلات فاعلات تـــن
فا علاتن فعلات فاعلات تـــ ن
فاعلا تن فعلا تن فاعلات تـــان

وكما ترى دخل من الضرورات والعلل ما يكفى للاخلال فى الوزن كالخبن والكف والشكل والترفيل (٢) والشاعر القادر هو الذى يتلافى دخـول العلل والضرورات •

ومن القصائد ذات الأوزان المضطربة للشاعر لحود "أغنية الربيع" ومنها هذا المقطع :

جـاء الربيـــع يغـــنى
قم نستعيد قوانـــــا
ونعيد عطر شذانـــا
أضحت ورود ربـانـــا
" صورا " هزيلة لحـــن
جـاء الربيـــع يغـــنى (٣)

ولو أعدت قراءة هذا المقطع لأحسست باضطراب الوزن ناهيك عما فيه من أخطاء لغوية كقوله : نستعيد وهى واقعة فى جواب الأمر ومن حقهـــا الجزم ثم قوله " نعيد " وهى معطوفة على نستعيد وينطبق عليها مــا

١ـ على دروب الخريف ص٣٦

٢ـ الخبن هو حذف الثانى الساكن فتصير فاعلاتن الى فعلاتن والكف هو حذف الساكن من السبب الخفيف فتصير فاعلاتن الى فاعلات • أما الشكل فهو الجمع بين الخبن والكف (فعلا ت) أما الترفيل فهو زيادة سبب خفيف تن وهذا لم يقل أحد بدخوله على الخبن •

٣ـ على دروب الخريف ص٥٥

انطبق على أختها ولو قال الشاعر:

جاء الربيع يغني

قم كي نعيد قوانا

هيا وعطر شذانا

أضحت ورود ربانا

رسما بلا أي لحن

جاء الربيع يغني

لاستقام الوزن والمعنى معا ولكن الشاعر لم يتعب نفسه وترك مولوده كما هو حتى استعصى الداء وبقى الوليد مشوها بعد أن كان بحاجة الى عملية تجميل بسيطة •

هذا ومن التجاوزات النحوية والأخطاء اللغوية ما يأتى :

١) قول خليل أحمد خليل فى احدى قصائده التحريضية :

" الحق يا فقراء الشرق

أنكم ستأكلون خبزكم بالبنادق

وبهذه البنادق

ستحفظون الى الأبد

روح العمال (١)

وربما قال قائل أن ذلك خطأ وكان الأصح أن يقول : أرواح العمال • وهو قد أضاف مفردا لجمع •

٢) ومن هذا القبيل قول أحمد سليمان ظاهر فى وصف الفراشة :

" وتراقصت فوق المياه كبسمة فى ثغر غيد (٢)

والغيد جمع غادة والثغر مفرد والأصح أن يقول فى ثغور غيد أو ثغر غادة •

١ـ بيرالسلاسل ص٤٦

٢ـ مجلة " هنا لندن " ١٦ ب ١٩٦١ عدد ٤٥ السنة الثانية ص ١٧

٣) وأحمد سليمان نفسه يقول في نفس القصيدة :

" رفت كأجنحة الملائك فوق أزهار الورود "

والورود هي نفسها الأزهار .

٤) قول سكنة العبد الله :

" ما أترفت في رياض العمر غناء

ولا استحمت بوادى الطيب أفياء

ولا استجمت عيوني في سنا حلم " (١)

حيث قالت استجمت واستحمت دون فك الادغام بغير سبب .

٥) ومن الأخطاء التي تكررت كثيرا عند الشعراء الشباب تصغير ما لا يصغر ومن ذلك قول الياس لحود في قصيدة " خماسية الامتاع والمؤانسة "

" عمرت عشرا فويق السطوح

وعشرا تحيت الجـــــروح (٢)

٦) ومن أخطاء عبد المطلب الأمين قوله في قصيدة " ذكرى الشريـــف الرضـــى "

ما أنت الا من على نطقة كانت أصالتها هدى ومنارا

ثم قوله

قذر على قذر فثم تمانق وتناسل ما أنســل الا قذارا

وقوله قبل ذلك وهو قريب من التعمية :

برد الخلافة ان تكن جردته ما أنت عار منه بل هو عــار (٣)

فالأول خطأ لغوى حيــث أخر خبرا ما على اسمها بعد استثناء .

أما الآخر فأخطاء معنوية .

٧) أما عبد الحسين صادق فقد نادى الفعل المبنى للمجهول في قولـــه بإحدى مدائحه للرسول (ص) :

١ـ نهاية الصدى ص ٤٢

٢ـ الفكر المعاصر عدد ١٠ ـ ١٢ نيسان آيار حزيران ٩٧٥ ص ٢٠

٣ـ الديوان ص ٤١

هل بنا يا هديت نتجع الحـ ق ولكن من بارق لا نرود (١)

وقد نجد من يقول أن قول الشاعر " يا هديت " مخالف لقواعـــد اللغة اذ القصد منه أن يقول : هل بنا يا من هديت ؟ نرلـك على التقديـر .

أما اضطراب الأوزان في الشعر العاطفي فهي كما قلنا مرارا كثيرة ولم ينج منها أحد حتى أولئك الذين ارتضوا لأنفسهم النهج التقليدي ومن ذلك قصيدة " ظلال الأمس للشاعرة زهرة الحر التي تقول فيها :

حدثيني يا ظلال الأمس عن أمسى وعني
قد أمني النفس بالعودة لو يجدي التمني
وأحرص أن تنقذي ما أبقت الأشجان مني
آنة خافتة في آخر اللحــــن الحـــزين (٢)

وتقطيع البيت الأول كالآتي :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فعلاتن فاعلاتن

أما تقطيع البيت الثاني فهو كالآتي :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

وعند البحث عن هذا البحر الثاني نجد أن البحور الثمانية أربعة : وهي (الطويل ـ البسيط ـ المتقارب ـ المتدارك)

أما تفاعيلها فهي كالآتي :

الطويل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن (مرتان)

البسيط مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن (مرتان)

المتقارب فعولن (ثمان مرات)

المتدارك فاعلن (ثمان مرات)

اذن فهو ليس واحدا من هذه البحور الثمانية ولنبحث في البحـــور السداسية فنجد أنه من بحر الرمل وهو كما قلنا سداسي فمن أين جاءت الشاعرة بالتفعيلتين الزائدتين حتى جعلته ثمانيا ؟

---

١ ـ عرف الولاء ص ١ ٢ ـ حصاد الأشواك ص ٧٩

وهكذا فان الشاعرة لم تفطن لهذه الناحية فحملت الدائرة العروضية ما لم تحتمله ولا ندرى كيف لم تنقطع أنفاس الشاعر وهى تقرأ قصيدتها ؟

وأنظر معى هذا البيت للشاعر عبد الحسين عبد الله ثم أعد قراءته اذا استطعت . يقول الشاعر :

أنا لست كالمتشاعرين يغرنى
علم يرف و " كذلك " عداء (١)

وقوله :

نحن سيان عندنا فى مهادينا   نعيم الدنيا وحز الوريد
كم سجنا كم أضطهدنا وغلت   راحتانا بقاسيات الحديد (٢)

ولا أظن أحدا يحس بروح الشعر تدب فيه عندما يقرأ مثل هذه الأبيات بما فيها من علل وزحافات وضرورات وعلى هذا فنحن نترك أمر التعليق له ، وعليه أن يخبرنا عما اذا استمتع بقراءة شعر أو انتفع بقراءة نثر ؟

ثم اقرأ معى هذا المقطع للشاعرة سكنة العبد الله الذى تقول فيه :

نمتطى مهرا من القش
ودرعا من ورق
خلسة نلقى على الباقى بعود من ثقاب
ونغادر
ننهب الأرض ، تثير النقع من حولى
ويعمينى الغبار
وتطير النار من حدى حوافر مهرك الخاوى
ويحصدنى الشرار
موسما لم يبلغ العشرين . (٣)

ألم تحس بعد ذلك معى بالانتقال المفاجئ من وزن الى وزن ومن موسيقى الى موسيقى مختلفة؟ ان الشاعرة كانت حريصة على الوزن ولولا ذلك

١ـ حصاد الأشواك ص ٧٩   ٢ـ حصاد الأشواك ص ٤٩
٣ـ نهاية الصدى ص ٨٢

لما قالت " بعود من ثقاب " بل بعود ثقاب " الا أن ذوقها خانها وربما اضطرابها النفسي لم يتح لها فرصة للتخلي عن الرقص المضطرب لتعدل عنه الى الاستقرار والموسيقى في الشعر : ثم أليس الشعر رقصا رتيبا متناسقا منسجما ؟ .

وهذه هي بعض أخطاء الشعراء العامليين كما رأيناها وعرضناها .

....

٥ الألفاظ ٥

....

أشرنا للألفاظ عند التقليديين وقد توافرت فيها الجزالة والصحة والفخامة الا أنها جنحت للاغراب أحيانا كما هو الحال في شعر كل من عبد الحسين صادق ومحمد علي الحوماني ومحسن الأمين . ونحن نرى أن هذا الاغراب ظاهرة صحية في الأدب . وبه نستدل على التزمت والجمود الذي اتصف به هؤلاء الشعراء . ويقابل هذه الظاهرة عند المجددين التفلت والتحلل من القواعد اللغوية واستعمال ألفاظ وعبارات غريبة عن روح الأدب من حيث خروجها عن المألوف من جميع النواحي . وها نحن أولا نستعرض بعضا منها ونبدأ بحبيب صادق وهو الابن الأصغر لعبد الحسين صادق وفي الأب وابنه اجتمع النقيضان أدبا وسياسة وديانة .

وفي مجموعة حبيب " في زمن القهر والغضب " يقول الشاعر في أولى قصائد هذه المجموعة " العالم الهائم على وجهه " :

" عيناثا " اقترنت بالموت أقامت فيه امرأة مسبية
فجرا يأتيها الموت يعريها يتبول فيها يرمي دمها (١)

ثم يقول في نفس القصيدة

تتسلق في لحمي ريح الزهري تمرغني مجدا مجدا

ثم يقول :

---

١ ـ عيناثا قرية عاملية على الحدود مع فلسطين المحتلة

يأتى وطنى الخصيان يروج اللحم تقام
السوق الحرة
الفارس يرهن لأمته لا تسأل "حولا" (١)

ثم يقول : الحرة باعت ثدييها والعلم الشاهد

ثم يقول :
دعها للموت يعريها يتبول فيها يتدفق نهر الحناء (٢)

ومن التبول والزهرى والخصيان والأثداء ... عند حبيب صادق الى عبد المطلب الأمين فى ثورته السياسية الاجتماعية واللفظية ... واسمعه فى هذه " النطف " و " القمامة " و " القذارة " وما زالت أصداؤها ترن فى آذاننا منذ قليل ، يقول فى قصيدته بذكرى الشريف الرضى :

ما أنت الا من على نطفة كانت أصالتها هدى ومنارا

وفى حديثه عن المناصب الخادعة :
لا من أقام على قمامة رأسه كرسيه يتصيد الأنصارا
قذر على قذر فثم تمانق وتناسل ما أنسل الا قذارا (٣)

واستمع اليه أيضا فى قصيدته " اختلال الموازين "
أم بالبيان العذب تمخط من أنوف الأولياء
أم بالوعود المترفات تزيد اسهال الغلاء

ثم قوله
وصرخت فى وجه الزناة الأشقياء الأدعياء (٤)

وقوله فى قصيدته " نم واتسع حلق "
قم سائل الأكمة التاريخ هل عبرت
مع الحضارة فى مثواه عريان
هل عشعش القمل فى أخيائه وحبا
حتى تضايق أهل ثم جيران (٥)

---

١ ـ حولا : قرية عاملية على الحدود مع فلسطين المحتلة
٢ ـ فى زمن القهر والغضب ص ١٠
٣ ـ ديوان عبد المطلب الأمين ص ١٤
٤ ـ نفس الديوان ص ٦٤
٥ ـ " " ص ٥٢

وهكذا تركنا عبد المطلب رحمة الله عليه تتجول فى حديقته التى زرعها بالمخاط والاسهال والزناة "الأشقياء" والقمل ...

أما فكاهيات بلباس الميدان "لا لياس لحود فانها تغص بالالفاظ الشعبية والسوقية وضعها الشاعر لتشكل شعرا جديدا ومعنى جديدا ولتعطى صورة حية ناطقة عن مهجويه، وعلى الأخص ما جاء فى "الصفحة الرابعة" من مذكرات حمار" و "الصفحة الأولى" من مذكرات حمار" ولكن من يكون ذلك الحمار يا ترى ؟ ولعلنا نعرفه عندما نقرأ مذكراته وليبقى ذلك الحمار مجهولا على هذه الصفحات فحسب على الأقل أما فى خارجها فهو معروف على جميع الأصعدة والمستويات وله ألوان مختلفة والذى يهمنا الآن هو تلك الألفاظ التى استعملها الشاعر كثيره فى تلك المذكرات :

تعلق شعرة ذيلك يوعب ذيلك أنثى الميم
تلحوس جدران الأنف تجر الواء حمــــار

ومنها فى مخاطبة ذلك الحمار :

تربط أذنيك بحبل حمار نورى .. وتستلقى
فوق الهمزة .. تضرب قاعدة بالشاقوف

ومنهـــا

تبحث .. تبحث ..(محلاتك فى اسطبـــل الثورة)
وشعيرك فى است الطحان
وأجمل ما يشغل بالـــك
أن يتدندل منك الشرف الوفيع لبضع دقائـــق ".(١)

أما فى الصفحة الثانية من "مذكرات حمار فيقول الشاعر :

فى السادس من تشرين صباحا
سقطت أذنى الواحدة اليمنى

١ـ فكاهيات ص١٠

تقلص معول فكى وتمسوت
كل عظام الوجه ، حلقت الذقن
بسيف الأنفاس المصقولة أنكرت المخلاة الفكرية
أشبعت الاصطبل شتائم
أتخمت الأيام لبيسط
وجع البطن تمدد فى السنوات السبع (١)

وهذا هو القاموس اللغوى لفكاهيات لحود المرة الحزينة ... أما الفكاهيات الضاحكة فى الشعر العاملى فاننا نطالع منها الكثير من الألفاظ البذيئة لمعنى ولغير معنى ونستعرض معا بعض القصائد فى "روائع الأدب الفكاهى العاملى" ولنستمع أولا لما قاله الشيخ محمد نجيب مروة فى رد على دعوة :

أتى مرقومكم يا ذا المعالى	شريفا لم تدانسه (سخاطه)
رأيت سطوره بالشوق منكم	مطرزة محوكسة (مخاطة)
وحين قرأت ما فى الذيل منه	ضحكت وقلت فورا (الضراطة)
سأتيكم مساء فاستعدوا	لتدبير العشاء على (البساطة) (٢)

ولا يخفى ما فى الكلمات الأخيرة من الأبيات من تورية لطيفة . وللشاعر نفسه وهو فى طريقه الى الهجرة مخاطبا رفاقه هازئا من تغييرهم لملابسهم العربية واستبدالها بالملابس الافرنجية " يقول الشاعر :

أقول للرفقا السائرين معى	من الشباب وأصناف (الزعاطيط)
يا للرجال استعدوا للرحيل غدا	وتوجوا الروس منكم (بالبرانيط)
وطلقوا العبى والعصابات واعتزلوا	عنها وبولوا على تلك (الشراطيط)
وزينوا يا رعاة المعز أرجلكم	بعد البحارى بأنواع (السباييط)
وباعدوا عن بحار السكر أنفسكم	ولا تعوموا بها مثل (البلاعيط)
وجانبوا يا قومى كل مومسة	فأقبح الخلق أنواع ("الشراميط)
ولا تغيبوا وتنسوا أن خلفكم	ولدا صغارا كأمثال (الجلابيط)
وان رزقتم من المولى الكريم غنى	لاتنفقوا منه الا بالقرايط
لكى تعودوا الى الأوطان فى صحة	وسفلتوا بنداكم كل مربوط

١ــ فكاهيات ص ٢٩ ٢ــ فكاهيات ص ٢٩

وتسمعوا فى قراكم من نسائكم عند المافاة أنواع (الزلاعيط)[1]

ولا نرى أننا بحاجة الى ما جاء فى قصيدة الشاعر من ألفاظ شعبية نابية . هذا وفى " الفكاهيات " نفسها قصائد لجعفر الأمين ونوالدين بدر الدين وغيرهما تزخر بالألفاظ النابية التى لايقوى بحثنا على حملها وقد أخفى جامع الفكاهيات الكثير منها لما فيها من مجافاة للحياء وخدش للأخلاق فمن أرادها فليرجع الى الفكاهيات .

هذا واذا كان محمد نجيب مروة قد " بال " متفكها فان محمد على شمس الدين " يبول " ثائرا كما صنع حبيب صادق وظاهرة التبول عند محمد على شمس الدين وأضرابه من دعاة الشعر الحديث باتت واضحة للعيان . يقول الشاعر فى " قصائد مهربة الى حبيبتى اسية " ...

" وجمالك "
سائبة وتبول على الصحراء
خليفتنا يتوضأ قبل الفجر بساقية البترول[2]

....

٥ المخالفات النحوية ٥

....

قلنا أن المحافظين اهتموا باللغة وحرصوا على سلامتها وساعدهم على ذلك ثقافاتهم الدينية ودراساتهم اللغوية الواسعة بخلاف الشعراء الشباب الذين تخرجوا من جامعات قدر لها أن تكون أوكارا للتآمر على العرب ولغتهم والحط من تراثهم كالجامعة اللبنانية واليسوعية والأمريكية فى بيروت وما رافق ذلك من ظهور عدد كبير من عملاء المخابرات الأمريكية والصهيونية والذين تلقوا مبالغ طائلة لانفاقها فى هذا الصدد كسعيد عقل صاحب الجائزة المشبوهة وأضرابه الذين دعوا الى اعتماد العامية فى أقلامنا حتى يسهل القضاء عليها فيما بعد ...
ومن أجل هذا رأيناهم وقد حملوا حملات شنيعة ومكثفة لاظهار اللغة العربية بمظهر العاجز الذى لا يقوى على استيعاب العلوم الحديثة وثم اظهار

١ـ الفكاهيات ص ٤٣ ٢ـ مواقف عدد ٢٧ ربيع ١٩٧٤ م

المتمسك بلغته بمظهر الرجعى الذى يقف ضد التطور وأن التطور يعنى الانحلال والتخلى عن القيم والمثل والتراث .. وقد انجرف فى هذا التيار عدد من شعرائنا الشباب الأغرار والقوا بنتاجهم فى السوق وهو على ما هو عليه من استهتار بالموازنين والقواعد والشىء الثابت أن هؤلاء كلما أدركهم الكبر والنضج العقلى أسرعوا للاقلاع عن غيهم والعودة الى جادة الصواب حيث اللغة السامية والفاظها الجزلة المنتقاة .

وقد سبق أن ألمحنا الى بعض ما وقع فيه بعض الشعراء من الأخطاء ونعود الآن لاستعراض نوعية تلك الأخطاء اذ أن بعضها لغوى والآخر معنوى فحبيب صادق يعتمر " رأسه الأبتر " وبيده " أشيل " الاسم السوى (١) ثم يقول " ماذا لو دخل الواحد منا فى الآخر (٢) ثم يلعلع " السوط فى يده (٣) وحبيب صادق نفسه يكتب هذه العبارة : " تلقى فى الرعب الأشياء " وأبطاله يعودون " بدمالج عظم الأطفال " (٤) ونعود للقول ثانية فى مثل هذه الأساليب والعبارات أنها ربما كانت صحيحة من الناحية اللغوية ولكننا لا نستسيغها وقد نجد كذلك من لا يستسيغها من الناحية الذوقية حيث أضاف جمعا لمفرد . ثم انظر معى الى تلك الصورة " يا فرسا ليست لها قوائم " و " ياقمرا يغرق وهو عائم " (٥) .

ولاندرى كيف أن الفرس بلا قوائم وكيف يغرق القمر وهو عائم ؟ ثم انظر اليه عندما يقول :

مقفرة ديارنا الامن الاطلال
تختال بها ء والخـــدر (٦)

ومتى كانت الاطلال لا تعنى القفر ؟ ثم كيف تختال تلك الاطلال ؟ انه بلا شك خيال الشاعر السقيم . ومن أخطاء الشاعر اللغوية قوله :

ليس الاى مع الوحشة والجرح الدفين
ليس الاى مع الحزن ونيران اشتياقــى (٧)

---

(١) ، (٢) ، (٣) فى زمن القهر والغضب على التوالى ص٤٢ ، ٧١ ، ١١٢
(٤) فصول لم تتم ص١٣ (٥) ، (٦) ، (٧) نفس المرجع على التوالى ص١٩ ، ٦٤ ، ١١٨

والمعروف أن الضمير المتصل لا يقع منفصلا ولا يأتي بعد الا • أما سكينة المبد الله فانها أخطاءها اللغوية تكاد لا تحصى ذلك أن ثقافتها في عواطفها وذكائها فقط يعني أنها شاعرة بالفطرة ولم تعمل على تنمية تلك المواهب بالاطلاع والدراسات اللغوية وربما كان للشاعرة عذرها في ذلك • وقد شجعها على أخطائها سعيد عقل الذي قدم لديوانها دون أن ينبهها الى شيء من أخطائها وذلك يتمشى مع "رسالته" في محاربة لغة العرب وفاقد الشيء لا يعطيه فلعل الشاعر هو نفسه لم يكتشف تلك الأخطاء ومن يدري الا فالذي يقرأ لسعيد عقل كتابه "المعجزة" : "لبنان ان حكي" يدرك جيدا معنى ما ذهبنا اليه •

أما الشاعر عبد الكريم شمس الدين فله تجاوزات الا أن ثقافته تشده وتمنعه من التهافت وراء الأخطاء فتبقى أخطاؤه محصورة ومنها هذه الأخطاء :

يقول في مطلع احدى قصائده :

بالدعاء

بالرجاء

بضراعات الثكالى البؤساء(١)

والصحيح "البائسات" ولو وضع الكلمة الصحيحة محل الأولى لاستقام له الوزن الا أنه آثر الخطأ الشائع على الصحيح •

ثم انظر اليه في قوله :

نصنع النصر أحاجيا

تمائم (٢)

وقوله في مكان آخر :

يا نقطة من دم حمراء قانية

تشرب الكون منها فهو أحرار(٣)

والصحيح أننا لا نستطيع أن نصف الكون وهو مفرد بأنه أحرار بصيغة الجمع

ثم انظر اليه في مكان آخر يقول :

---

(١)، (٢)، (٣) الفجر المدمى على التوالي ص ٦٢، ٦٨، ٩٤

مرشقيه وارميه في أحضاني
يضحك النجم أن يراه بقربي (١)

وأنا لم أسمع بكلمة مرشقيه ثم ألاترى اختلافا لا بين قوله يضحك النجم وقولـــه: ان يراه بقربي ؟

ثم انظر الى قوله :

نحن قوم وضع المجد هوانا
فهوانـــــا (٢)

وتأمل قوله " فهوانا " على ما فيها من عامية مبتذلة • وكذلك فاسمـــع قوله :

أكاد أشيلك في ناظرى
ومن حضن أمك أن أنزعك (٣)

وتأمل معنى كلمة " أشيلك " ألاترى أنها أكثر من عامية ؟

ثم أنظر الى قوله :

أحب في بـــلادى
منجيرة القصـــــب (٤)

" ومنجيرة القصب " هى الشبابة فما كان يضير الشاعر لو استبدل العامى بالفصيح ؟ ألا ترى أن الوزن كان يبقى مستقيما ؟

هذا ولم ينج الشعراء التقليديون من الأخطاء اللغوية أو التجاوزات • وهذه وان كانت قليلة لم تصدر من أولئك الذين لهم مكانتهم في الشعر الاقليلا وانمـــا كانت تصدر بكثرة من الذين ينظمون الشعر في المناسبات ولم يطبعوا دواوينهـــم

•• ومن الأوائل قول شهيب باشا الأسعد :

ان من يصطبر على القرب منه   وأحاديثه فذاك الصبور (٥)

فتسكينه الفعل يصطبر خطأ لأن من هنا ليست شرطية وانما موصولة • ويحسن

---

(١) ، (٢) ، (٣) مواسم ، على التوالي ص٥٧ ، ٧٨ ، ١٠٩

(٤) مواسم ص١٢٤   (٥) الديوان ص٢١١

الاواخر ما قاله الشيخ على حسين عزالدين فى الغزل :

لم يبق حبك من فؤادى موضعا   الا وفيه للصبابة مطرح (١)

فكلمة (مطرح) عامية ولا وجود لها فى الفصحى :

ثم انظر الى مطلع احدى قصائد الشاعر محمد كامل شعيب العاملى وهو من أذكى شعراء جبل عامل وأطولهم باعا فى الشعر اسمعه يقول :

لبنان أنت معاقل الأحرار   فى الشرق أم هزء القضاء الجارى (٢)

والصواب (معقل) فلبنان مفرد ومعاقل جمع ...

ومن أخطاء الشعراء الشباب وتجاوزاتهم ادخالهم " أل " التعريف على الفعل كقول ياسر بدرالدين فى قصيدة بعنوان " واحة " :

كالشفة اليمضها الشتاء

كنبتة مغروسة

فى رئة الصحـــراء (٣)

أما تصغير ما لا يصغر فقد أوردنا عنه نماذج من شعر الياس لحود وغيـــره وعندما ننتقل الى محمد على شمس الدين نرى أنه أباح لنفسه الكثير مما لا تجيـــزه قواعد اللغة ومن ذلك أنه يمسخ أداة النداء فى " أيتها " التى ينادى بهـــا المؤنث " اسمعه يقول فى قصيدته " آيات من كتاب الامام المنتظر "

أطعمينا

يتها الأم التى نعبدهـــا

أطعمينا (٤)

وفى قصيدة بعنوان " دعوة لاغتيال (ميم) وسائر الأسماء الحسنى للملك " يقول الشاعر :

---

(١) الأعيان جـ ٤٢ ص ٣٦٢

(٢) العرفان م ٣٥ جـ ٨ سنة ١٩٤٨م ص ١١٢٧

(٣) كتابة على حاشية الجرح ص ٩٥

(٤) الطريق اللبنانية عدد ١٠ سنة ١٩٧٢ وملحق النهار ١٥ آب سنة ١٩٧٢

يتها الساحة أنى جاهز للمقصلة

يتها الساحة أنى مرسل فى كفنى

ومنها يتها الريح الضئيلة

يتها الريح (وأعنى وطنا)

يتها الريح (اقتلينى)(١)

وهكذا امتدت المقصلة الى رأس " أيتها " قبل أن تصل لرأس الشاعر

ومن أخطائه قوله فى قصيدته " الطوفان "

ثم تكسوه جلدا غريبا كجلد الأفاعى (٢)

وقد يعترض عليه معترض فى اضافة المفرد للجمع .

وكذلك صنع عبد المطلب الأمين الكثير من التجاوزات ولعل ياسر بدر الدين من المتأثرين به عندما أدخل آل التعريف على الأفعال ومن ذلك قوله فى قصيدة " أن نكون أو لا نكون "

سيقال سكير تقاذفه القنانى والعيون

سيقال عربيد متاهته الصراحة والجنون

سيقال .. قد قيل النهاية فاطمئنوا لن يكون

الا بعيض الكان قد يكن " اليكون " (٣)

ونلاحظ أنه قد صغر أيضا ما لا يصغر فى بعض وبعيض .

---

(١) الديوان ص ١١٣ والطريق عدد ١٢ سنة ١٩٧٣

(٢) " ص ٥ ومواقف عدد ٢٧ سنة ١٩٧٤

(٣) " ص ١٩

اراء النقـــاد
فـى الشـــعر العـــاملى

ولاشك ان الشعر العاملى كان ولايزال موضع اهتمام النقاد العرب منذ مطلع القرن العشـــرين حتى يومنا هذا فى كل من مصر والعـــــراق وسوريـــا وهذه الاقطـــار هى مراكز الاشـــعاع الفكرى فى الوطن العربى .. ذلك لانها شهدت نهضة الادب العربى وحثه الفكرى والحضارى ...

ومما قاله النقاد اللبنانيون عن جبل عامل وشعرائه ماقاله الاميـــر شـــكيب ارسلان فى معرض تقريضـــه لديوان شـــبيب باشا الاســـعد يقول ارســـلان : " فرأيتـــه ديوانا محكم المراقبى جامعا لشـــوارد المعانى قد غاص صاحبه ا بحر النظم فاستخرج الدرر النفائس وحلق فكـــرة فى سماء الخيـــال فاســـتدرج الدرارى الكوانس..." (١)

ومما قاله شكيب ارسلان ايضا عن شعر الحويانى : " الشـــعر الذى ارسلت الى با نموذجاته ايهـــا الاديب العربى يكفى فى وصفه أنه مـــن عائلة الشـــعر العاملى ... فتهنا بما اتاك الله من قريحة عامليـــة وفصاحة وائليـــة وشعر عذب رائق وبيان يجمع بين ابدع الخيالات واصـــدق الحقائق مندمجا هذا كله فى لقحة أبيـــة ونزعة عربيـــة ..." (٢)

ومما قاله محب الدين الخطيب " صاحب مجلة الزهراء" عن جبـــل عامل : " هذا الجبل مازال من مواطن البلاغة والشعر منذ عهد طويـــل لان اهله من العرب الخلص بالسنتهم وانسابهم .." (٣)

---

(١) ديوان شبيب باشا صـــ ٣٧٤
(٢) نقد السائس والمسوس صـــ ٦
(٣) " " " صـــ ١٣

ومما قاله لويس شيخو : " الحوماني شاعر عصري يتدفق شعره تحمسا ووطنية" ولما كان شيخو يختلف مع الحوماني في السياسة فانه يقول: " لاننكر عبقريته الشعرية وجودة نظمه في وصف الطبيعة والاخلاق" (١)

ومما قاله الاخطل الصغير عن شعرا لحوماني ايضا : "... فاذا هو قطع رائعة من البيان يشف عن عواطف الشاعر " (٢)

ويقول ارسلان في رسالته السابقة الى الحوماني وقد عثرنا على نصها في " معادن الجواهر " لمحسن الامين : " والله يعلم اني مازلت اقرا شعر العرب في هذا العصر من منجد ومتهم ومعرق ومشئم ومصري ويماني وشنقيطي وقيرواني فلم اجد اصدق من قريض ابناء عاملة صورة للشعر العربي الصميم ولا اخلص منه عرقا في نصب اللغة التي امتازت بها سعد وثقيف وسفلى هوازن وعليا تميم ولقد اراني اشرب ولا ارتوي حتى اذا وقعت في يدي بعض قصائد من نظم العامليين شبعت كبدي ريا وامتلا دماغي بيانا عبقريا وقلت : الان قد وجدت تحت الالفاظ معنى سحريا وكم يخيل لي اني اسبح من ذلك الفصيح في بر فسيح واضرب بين مرابع الارام ومنابت الشيح من رقة تذوب معها الانفس وجزالة تقف لها الشعور في الاروس واسلوب يمثل لك من العرب الماضين صفاء قرائحهم وشفوف البابهم وينفث في روع الحاضرين لغة صبابتهم وفصاحة لبابهم ويذكرنا عنجهية اولئك الفاتحين الذين تحدرنا من اصلابهم .

نعم هو الشعر الذي ينهض أن يبقى في العرب مرفوعا شعاره مضيئا مناره زاهرا نواره مهتزه اوتاره حتى لاتنكر اللغة على اهلها ولايختلط هجينها بفنيقها ونكسها بفحلها ..." (٣)

---

(١) نقد السائس والمسوس صـ ١٤
(٢) صـ ١٣
(٣) معادن الجواهر ج ٣ صـ ٤٧ ـ ٤٨

والمقالة طويلة كلها فى الثناء على شعر العامليين ... ومحمد شكيب ارسلان نلقى نظرة على اراء النقاد المحدثين ومن هؤلاء مارون عبود الذى يصف جبل عامل بقوله : " الذى اسميه انا بحق جبل العلماء "(١) ويقول الناقد اللبنانى البارز رئيف خورى عن الشعر العاملى بانه " ظل على صلة حية بالفطرة السليمة " (٢)

أما الشاعر والناقد والمؤرخ العاملى الشيخ على الزين فهو من جبل عامل كما عرفنا ومع هذا نقطف من اقواله بعض الفقرات وهو فى مجال النقد والمقارنة بين الشاعرين التقليديين عبد الحسين صادق وعبد اللطيف شرارة .

يقول عن الاول وهو ينقد قصيدته فى وصف " القطار" ويصر على ان الغرض من الشعر عند الكثير من العامليين هو التقليد ضاربا القصيدة المذكورة مثلا على ذلك ويقول : " اراد ان يملن براعته فى المواضيع الجديدة وصف القطار فاذا به يصف الناقة :

تتجارى والفكر فى امد السير ... فتجتاز غابة الافكار
مشقت للحديد خطين وانسابت فخاطت صحاصحا بصحارى
نزعتها رماتها اى سهم ... ويخلى مفرق الاوتار
مارقا فى حشاشة البيد تكسو ... ضلما عنه لمحة الابصار
بنت بر لاقارض وعوان ... هى بكر من اعظم الابتكار
نشأت ذات صبوة وغرام ... بمناق الفلا ووصل القفار
واستشاطت تغيظا وزفيرا ... وسمت بالصدى فضا الاقطار

فأنظر اليها على مابها من قوة السبك ومتانة الاسلوب وصفاء الديباجة هل ترى بعد تجريدها من هذا العنوان او من هذه الجملة (مشقت للحديد خطين) غير وصف عام من اوصاف الناقة على ماكان يصفها

---

(١) نقدات عابر لمارون عبود ط ١٩٥٩ بيروت ص ٢٠٩
(٢) مقدمة حصاد الأشواك لعبد الحسين عبد الله ص ٢

به المتقدمون من أعراب البادية والضاربين على وتيرتهم من المتأخرين. (١)
ثم يمضى الشيخ على الزين فى نقده مصرا على فكرته مستشهدا بأبيات اخرى من القصيدة غير اننا لانتجمس مع الناقد فى الوقت الذى لاننكر فيه ان الشاعر مازال متأثرا بوصف الناقة ذلك انه مازال يقف فى ذلك الوقت على عتبة الحديث او انه لم يكن قد تمكن فى ذلك الوقت من الوقوف ، فرجلاه واحده منهما فى القديم واخرى فى الحديث فلم يتمكن منه الثانى ولم يتخل عنه الاول ، ثم مالنا نحاسب الناس على مشاعرهم وتأثراتهم وانفعالاتهم التى يصدرون عنها ؟ ... فهكذا استطاع عبد الحسين صادق ان يصور القطار دون ان يقطع الصلة بينه وبين الناقة ... ثم لماذا لايكون القطار كالناقة فى ان كليهما " بنت بر " ثم الا نذكر قول الشاعر المعرى فى قوله :

ولما قضينا من منى كل حاجة — ومسح بالاعتاب من هو ماسح
وشدت على حدب المطى رحالنا — ولم يعلم الغادى الذى هو رائح
ودارت بأطرافنا الاحاديث بيننا — وسالت باعناق المطى الاباطح

الا نرى انه فى الشطر الاخير وقد وصف بعفوية البدوى النوق وقد اشرأبت اعناقها للامام بحركة منتظمة ... الا ترى ان عبد الحسين صادق يشبه حركة القطار وهو ينساب فى الصحراء وقد لحقت عرباته الواحدة بالاخرى على طريقة النوق عند ما كانت تقرن ببعضها ؟ الدنا ان نقول ان القديم يصف شيئا لم يره وهو القطار ام ان من حق مشاهد القطار والنوق معا ان يتأثر بالمشهدين عندما يصف القطار ؟ ...

---

(١) مع الادب العاملى صـ ٦١

الفراشة الخضراء

لعبد اللطيف شرارة

يقول الشيخ على الزين فى نقده لهذه القصيدة :

" لا سبيل للمتعمق فى اتجاه هذه القصيدة غير الاعتقاد بأن عواطف الشاعر ومطامحه فيها قد كانت متجهة اما نحو مظاهر الحياة المادية كما يتصورها فى وصف الفراشة وماتتصل به من جمال الطبيعة حيث يقول :

خلقت كما تهوين فى عالم شعرى　　انيق المعانى رائق النظم والنثر
حواليك من الاء نيسان جنة　　كستك وشاحا من غلائلها الخضر
لك الروض عذبا مترعا من بشاشة　　يجلله فيض من النور والمطر
لك النهر يجرى سائغا متدفقا　　تمتمت من نعماه فى نهر يجرى
لك الطير تشدو فى الصباح وفى المسا　　فتعبق من انفاسها نشوة السحر
واما نحو الحياة الروحية كما يتجلى من اسفه وتمنيه فى اواخرها حيث تفيض اللوعة من قوله :

فأية حسنى تزدهينى لاقتدى　　نظيرك فى الدنيا واوهامها ازرى . . .
وهذى الامانى لجة النور افرغت　　فلم القها الا خيالا من السحر
وهذا الهوى سر الوجود وجده　　يطيل بنا الايام فى الم الفكر
وهذا الصبا روض الحياة تعطلت　　اغانيه مابين الاسى والشجى المر

اذ لامجال للاعتقاد بصدق عواطف الشاعر اوصدق طموحه وتأثره بكلا الموقفين والناحيتين لتعارضهما او تناقضهما بحكم الوجدان والذوق الفنى الذى يقدر مبلغ الفرق بين حياة الشعور والتفكير ونشوته الروحية وبين حياة الاكل والشرب والراحة من اعباء التفكير والشعور ! ولكن مثل هذه الحياة المادية البعيدة عن نشوة الشعور والتفكير لايمكن ان يكون لها هذا الاثر فى نفس الشاعر ولاهذه القيمة والا لما كان لعواطفه الانسانية هذا الاضطرام وهذه الحدة الماثلة فى قوله :

والا فما قدر ابتسام مزيف لهيب بقلبى وائتلاق على ثغرى
أأضحك والاوهام تملأ عالمى وتهزى بمرآة على وضح الفجر

ولما اعتراه هذا التبرم وهذا التشاؤم لوضح انه ينزع بعواطفه ومطامحه الى مثل تلك الحياة المادية الميسورة له ولكل انسان حين يكتفي منها بما تتا له الفراشة من متع مشاعة لكل معدوم الحس والشعور من الطير والهوام ، اذ لايحتاج المرء في الوصول الى مثل هذه السعادة الا الى شيء يسير من الاقتناع بقطيع من الماعز ! وشبابة من القصب وقد يصبح اسعد حالا من الفراشة ومن كل طائر متى وطن نفسه على مثل هذه الحياة وتحول بقطيعه من واد مريع الى ربوة معشبة واتجه بالحانه من جدول متكسر الى غدير فياض وقام بواجبه من العمل واخذ بحظة من مرح الحرية ومتع الطبيعة لايخشى ختل القناصين ولايشوه عليه جمال الكائنات يرف حوله بينما يلحن الطير من غير ان يشعر بما حوله او يتنقل خائفا من الختل متنكرا من الفتك الى غير ذلك مما يحمل الشاعر الحساس على الاشفاق لاعلى الاغتباط ويدعوه الى الانكار لا الى الاكبار والغيرة ؟ ! كما حمل من صوره في مثل هذه الحال وقال :

حائر كالطائر الخائف قد ضيع وكره
فوقه البازي والاشراك في نجد حفره
فهو ان حط الى الغبراء شك السهم صدره
واذا ماطار لا في قشعم الجو نسره

وعلى كل فان الاستاذ شراره ــ ففي قصيدته هذه ــ انما كان همه في ان يتصور شبحا من الاشباح ليبثه الامه ويناجيه لا لان لهذا الشيخ مكانه الراسخ في عواطفه وقلبه ، والا لتجرد له في بيانه كما تجرد ابو ماضي في مثل هذا الموضوع ــ ولم يند عن مقتضى ذلك في استطراداته والتفاتاته .

ثم هل يظن الاستاذ انه خرج بقصيدته هذه عن تلك الخطة التقليدية التي كان عليها الشعراء المتقدمون من وصف حالة الطير وتصوير نحو من انحاء حياته ليعقبوا على ذلك بوصف شقائهم وتشاؤمهم بتحطيم الفارق

الذى يميزهم عن الطير فى البوس والشقاء كما يتجلى فى قول شاعر الحمدانيين:

أقول وقد ناحت بقربى حمامة   ايا جارتا هل تعلمين بحالى
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى   ولاخطرت منك الهموم ببالى
ايحمل محزون الفؤاد قوادم   على غصن نائى المسافة عالى
ايا جارتا ماانصف الدهر بيننا   تعالى اقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة   تردد فى جسم يعذب بالى
ايضحك مأسور وتبكى طليقة   ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة   ولكن دمعى فى الحوادث غالى

هل يظن انه خرج عن هذه الخطة بغير ان جعل الفراشة فى مكان الطير وافترض لها شيئا من اوصافه وحالاته الشعرية اذ كانت الفراشة قريبة الشجن من الطير فى اكثر شعرونها ؟" (١)

ولا ادرى ماذا اراد الشيخ على الزين من قوله ؟ بل ماذا يريد النقاد الاخرون الذين اول مايطرحون قطعة ادبية للتشريح والتحليل والنقد يتصورون انها اخذت من فلان وفلان وان صاحبها سرق من شاعر سبقه وكأنه وضع النتاج القديم ليبنى على اساسه شيئا جديدا ويقضى بذلك على استقلاليه الشاعر الحديث وهذا لعمرى من اخطر انواع النقد ولعله الهادم الرئيس فى الادب الحديث .

هذا والدكتور حسين مروة وهو شاعر اديب ناقد له رأى بالشعر والشعراء العامليين يتمثل فى تعليقه على ديوان محمد على مقلد العاملى اذ يقول :

" انه ينبثق ابنثاقا من القلب والشعور ليؤدى حاجة فى القلب والشعور وحسبنا هذا دليلا على انه من معدن الشعر لا من بضاعة الكلام

---

(١) مع الادب العاملى ص ٧٩ ـ ٨١

المنظوم" و " ... انه ليس غنيا بجمال الاداء وحلاوة النغم وعمق الفكـــرة او الصورة او الخاطرة كما هو غنى كل الغنى بصدق الشعور ففى الاداء اى فى البيان وطريقة التعبير ضعف ظاهر لعل مصدره ان " محمدا " من شـعراء الفطرة الموهوبين " ثم يشكو حسيو مروة من ان الشاعر " لايجهد نفسه فـى العودة الى شعره بالصقل والتهذيب " ومن حسناته " توثب فكر الشاعر وقلبه الى التحرر والانطـلاق وتبدو ملامح هذا التوثب فى كثير من الابيات " (١)

ونترك النقاد اللبنانيين وآراءهم فى الشعر العاملى والوقوف عندها لايخلو من حرج ... لننتقل الى خارج لبنان فنطلع على آراء كبار النقـاد العرب بما وصلهم من الشعر العاملى وعلى الاخص شعر الشباب المجدديـن كحبيب صادق ومحمد على شمس الدين والياس لحود وغيرهم ... فنرى ان آراء هؤلاء النقاد تتراوح بين الاعجاب والانكار وبين السلب والايجاب :

فمن قصيدة حبيب صادق " للعشق وجه اول " يقول الناقـــد المصرى شــوقى خميس :

" ربما يستطيع هواة حل الكلمات المتقاطعة وحدهم تبين مايريــد الشاعر حبيب صادق قوله فى قصيدته فهو مولع بالغموض والالغاز والتناقـض على طريقة القفز من احساس الى اخر بلا مبرر وهو فى حالة انشراح عجيب لايدرى كيف توصل اليها لانه لايتعطف علينا بذكر المسببات وهو يبث المصطلحات الادونيسيه فى فراغه الخاص فلا يزيده وجودها الا ابهاما .

ولقد تتحمل قراءة القصيدة مرات ومرات ولكنك لن تلمس معنى لتلك التراكيب اللغوية البراقة التى لاتخرج عن كونها نوعا من اللهو اللفظى .. " (٢)

---

(١) مقدمة ديوان محمد على مقلد ط ١٩٥٨

(٢) الاداب شباط ٩٧٥ صـ ٧٨

فهذا اذن اعتراض على الغموض والابهام عند حبيب صادق وهو يمثل الشعراء العامليين الشباب ممن نهجوا هذا النهج وارتضوه لانفسهم ..

وهذا رأى آخر مناقض للاستاذ الناقد مطاع الصفدى فى الشاعر الياس لحود يدور حول ديوانه " فكاهيات باباس الميدان" .. يقول الناقد :

" هذا الديوان العجيب الضائع تحت آلاف من الكتب الصماء البكماء لماذا لايكتب عنه احد ؟ لماذا لايثير اهتمام النقاد ولا اصحاب الاعمدة فى الصحافة ؟ هذا الشاعر الفريد العربى واللغة والاسلوب هذا الياس لحود من يعرفه حقا ؟ من يعرف ماذا فعل فى زحمة الشعراء ؟ ماذا قال وسطر على بضعة اوراق ؟ الياس لحود اول شاعر للمأساة المنقلبة ملهاة للنكتة السوداء الطاحون الضحك والرصاص والتراب والقمح وزهور البرية والصبار كله .. انه الكاتب الذى يبدع لغة شعرية حقيقية كجرم النكتة الصادقة له دوى الرصاص كضحكة الشيطان فوق ركام المعقوليات المعفنة ...

من قرأ هذا الساحر العربيد بالصور الراخزة اللاهثة الشبقة العاصفة فى ان واحد . هذا الشاعر الذى مثل شخصية المسخ والحيوان ... وتقمص الحمار وانقذف الى صيغة الاحمق والغبى والمطرود ..

اول شاعر عربى يعيد الى قاموس اللغة والاحداث نماذج المطرودين جميعا من مخلوقات العالم السفلى ... ذلك لان كل شاعر عندنا ولد طاووسا فى لاصل ... ولم يصبح بشرا .. وأما الياس لحود فقد قام منبعثا من قدر الحمار ليصبح انسانا عند السادس من تشرين .. " (١)

وينقد كل من محمود امين العالم الاديب المفكر ومحى الدين صبحى الشاعر الناقد قصيدة " حكاية الفول والمدينة المحاصرة" لحبيب صادق فيقول

---

(١) بيروت المساء العدد ١٤/٦٢ ـ ٢٠ ك ٩٧٥ بقلم مطاع صفدى .

الاول عنها : " تعبير رمزى عن المأساة بالغ التجريد والتعقيد والشاعر لديـه اقتدار فى التعبير ولكنه يثقله بكابوسية بلون مأساتنا ولكنها لاتفجر فينـا الاحساس الصافى بها ، تعبيرينه الشـعرية تعبيرة عقلانية على رغـم ان قصيدته من الشعر التفعيلى . أنها تصور عقلانى فاجع للمأساة ويستشـرق الامل فى النهاية ولكنه تصور واستشـراق يثير التأمل المجرد واكثر مما يفجـر الانفعال الوجدانى على انها تكشف عن شاعر ذى موهبة " (١)

ثم يقول عن نفس القصيدة ممين بسيسو : " تدور فى فلك صحة الشاعر المحذرة من القول ومناداة لفك الحصار عن المدينة التى افظع مايجـرى فيها من المذابح هى المحارق التى تقام للشعراء والمفكريـن والفلاسـفة وشهود الفول ضد المكارثية القديمة والجديدة ... أبن المقفع القديم وابن المقفـع الجديـد .... " (٢)

ومهما يكن من امر فان تقويمنا للشعر العاملى بنوعيه التقليـدى والجديد لن يخرج عن هذا الاطار الذى رسمه نقاد لبنانيون وعامليون وعـرب مختلفو الميول والاهداف والمذاهب الادبية .

والمهم فى الامر ان الشعر العاملى استطاع بقدراته الفائقة الخلاقـة المجددة ان يخرج من لبنان ليقرأه العرب فى شتى ديارهم ويقولوا فيـه كلمتهم ... وقد وضعوه فى مكانه المناسب بعد ان اخذ حجمه الحقيقى .

---

(١) الاداب شباط ٩٧٢ صـ ٢٤ بقلم محمود امين العالم
(٢) الاداب اللبنانية شباط ٩٧٢ صـ ٢٦ ـ ٢٧/ممين بسيسو

الفصل الثـــالث

الشـــــعر المـــــــاملى

معانيــة / واصيلـــة

قبل الخوض فى معانى وأصيلة الشعر العاملى لابد من قـول كلمـــة فى المعانى فما يقال : انما يعبرعن رأى قائله فانا من المؤمنين بأنه " لاجديد تحت الشمس " فالجوهر لاجديد فيه وانما الحداثة غالبا ماتكون فى الشـــكل والقالب لان المعانى وليدة المشاعر والأحاسيس الانســـانية والانسان اســـير بيئته وغرائزة والغريزة ام الفكر والفكر أبو المعانى ... اذن الانسان يفكـــر مادام موجودا وتفكيره نابع من غرائزه واحاسيسه فما الجديد يأترى فى هـــذه المشاعر والاحاسيس ؟ رب قائل يقول بأننا أوشكلنا الدخول فى الفلســـفة وله ان يقول ذلك كما لنا ان نقول ماقلناه .

ومثال اخر نسوقه عن الانسان الذى خلقه الله على صورته منـــذ الازل وحتى نهاية الكون فما تغير ذلك الانسان الذى هو جوهر الوجـــود ومنذ اوجده الله واوجد معه قوى الطبيعة والصراع قائم بين هذا المخلـوق من جهة وتلك القوى من جهة اخرى فصنع الملابس لنفسه وكانت الغايـــة الاســاسية لذلك اتقاء القر والحر ثم فيما بعد ســتر العورة وبالرغم من ان هذه الغاية مازالت ثابتة فى ذاتها الا ان الملابس هى التى تغيرت فتبدلت الازياء وتعددت حسب الاذواق واختلاف البيئـــات ... وهذا الشئ نفسه نقوله عن الادب ومعانيه .

فالمعانى اذن وجدت مع الانسان وقد كيفها حسب احتياجاته فاذا كان للشـــاعر البدوى ان يعطينا صورة حية عن النوق وهى تجتاح الصحـراء كالسـيل يحسن عليها فالشـــاعر المعاصر قد صور لنا القطار وهو ينهب البيد والفيافى والقفار نهبا كما رأينـــا عند عبد الحسين صادق ثم صور لنــــا السيارة فالطائـــرة وقد يصور لنا الصاروخ والكل وسيلة للنقل السريع المتفاوت

فى سرعته استخدمها الانسان واستفاد منها وكان شعوره معها واحدا عبر العصور فالسعادة التى يشعر بها ممتطى الناقة او الجواد فى العصور الغابرة هى نفسها التى يشعر بها راكب القطار او السيارة فى عصرنا الحالى لان الغاية واحدة والفائدة واحدة ... انتقال ووصول الى الهدف مع الراحة وعدم تكلف العناء والمشقة وعلى هذا ينسحب كثير من الامور ...

فالمعانى اذن باعتقادنا مكررة ومعادة ولكن بقوالب مختلفة فنحن نقلد القدماء فى معانيهم كما نقلدهم فى الفاظهم ونستفيد من معانيهم ولايعنى هذا اننا ندعو للوقوف بالادب وقفة الركود ... ولاشك ان المعنى هو اهم عناصر الادب فلولاه لما وجد الاديب مايكتبه ... ويختلف الشعراء فى تناول المعنى الواحد فمنهم من يلبسه الخز والدمقس ومنهم من يلبسه الاطمار البالية ومنهم من لايسرف فى هذا ولاذاك . ونضرب على ذلك مثلا من تراثنا العربى بالشاعر على بن الجهم الذى مدح الخليفة بقوله :

انت كالكلب فى حفاظك للود   وكالتيس فى قراع الخطوب
انت كالدلو لا عدمناك دلوا   من كثير الخطا قليل الذنوب

والمعنى المقصود واضح غير ان القالب سىء ولذلك انقلب الهجاء على صاحبه فلو قال نفس المعنى فى قالب اخر لجاء الامر سهلا مستساغا وكانت النتائج ايجابية ... فلو استبدل كلمات الكلب والتيس والدلو بكلمات اخرى تواطأ الناس على قبولها لتغيرت الصورة وما تغير المعنى ولكن الشاعر كما قلنا كان ابن بيئة بدوية قاسية املت عليه هذا القالب فتضاربت البيئة البدوية مع البيئة الحضرية .

ولكن كيف تتهافت المعانى على الشعراء دون ان يكون لهم فى ذلك فضل الابتكار والابداع ؟

والجواب ان المعانى تأتى من كثرة الاطلاع والتزود من تجارب الاخرين وقدرة الشاعر فى ان يختزن فى ذاكرته اكبر مجموعة ممكنة من هذه المعانى وهنا تكمن اسرار عبقريته .

يقول الدكتور جميل صليبا : " ان اكثر قصائدنا الحاضرة مطبوعة بالطابع القديم فى الموضوع والاسلوب بل المعانى التى اخترعها كبار شعرائنا المحدثين لم تخرج على منهج الشعر القديم ولاعلى موسيقى اوزانه ولاعلى قوافيه الموحدة الا قليلا " (١)

" والمعانى تتفاوت من حيث ابتذالها وشيوع استعمالها ومن حيث انها تقليد ونقل عن معان سبقتها ومن حيث انها مبتكرة جديدة اما المعانى المبتذلة فهى المألوفة المتداولة بين الخاصة والعامة كقول الشاعر مثلا : والارض فيها الماء والاشجار فهذه من البديهيات المتداولة " (٢)

" أما معانى الشعر الحديث وخيالاته وصوره فمما لاشك فيه أن شعرائنا قد تأثروا بقراءتهم للأدب العربى القديم حتى استقام اسلوبهم وتملكوا ناحية البيان ودعت عقولهم مئات من الصور والمعانى القديمة ارادوا او لم يريدوا حتى ظهر اثر هذا فى شعرهم " (٣)

ويعيب الاستاذ عمر الدسوقى على الشعراء الجدد كسلهم العقلى(٤) لانهم ـ على حد قوله ـ " اكتفوا بعنايتهم الفائقة بأسلوبهم دون افكارهم"

وهكذا فأن المعانى فى غالبها مكررة معادة ولم يضف عليها الشعراء الجدد الا طليسانات العصر الحديث وزركشته وقواليه فقد وصف القدماء

---

١) محاضرات فى الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام ط ١٩٥٨م معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية صـ ١٥٤

٢) فى الادب الحديث لعمر الدسوقى ص ٣١٠ / ط ٧ دار الفكر العربى القاهرة

٣) " " " ص ٣٠٥

٤) " " " ص ٣٠٦

والمحدثون الشمس والبحر والصحراء والسراب والسحاب والنهر والزهر والفراشة والطيور وهذا يشتمل على صور حسية واضحة ومتميزة فى وصف الشجر والزهر .... ونحن لانطلب من ابن الصحراء المترامية الاطراف التى لاشجر فيهما ولا جنائن ان يصف الزهور والرياحين والفراشة ولاشجار ولكننا نطلب منه وصف الناقة والغزلان الشوادن والسراب والشمس والذئاب .. وبالتأكيد ان ابن المدينة لايستسيغ تلك المناظر والاوصاف .. اما الذى يعيش على ضفاف بردى او الليطانى او النيل او الفرات فاننا لاشك سوف نطلب منه وصف الحدائق الغناء والاشجار الوارقة الضلال والثمار والزهور وماشابه ذلك فلكل بيئة معانيها ...

واذا كانت السياسة قد دخلت الشعر فى هذا العصر ثورة وتمردا ودعوة للاصلاح والانفتاح فلا يعنى ان معانى جديدة قد طرأت فالسياسة قديمة والثورة والتمرد قديمان ايضا ومدح السياسيين وهجاؤهم وارد منذ القدم غيرا ن الاساليب هى التى تغيرت ففى اول خلافة ابى بكر ارتد البعض وثاروا على الخليفة وقال الحطيئة :

فقوموا ولاتعطوا اللئام مقادة   فقوموا ولو كان القيام على جمر

وبعد ذلك حرض شعراء الهاشميين الناس على بنى امية لظلمهم وطشهم وانحرافهم .. وبعد ذلك رثا الشاعر البحترى المتوكل لما قتله ولده واعوانه وكان رثاؤه سياسيا . ومدح الفرزدق عليا بن الحسين زين العابدين معرضا ببنى امية وكان مدحه سياسيا والشعر السياسى معروف .... ومعانية كذلك معروفة وقائمة لاتنتهى .

لم يخرج الشعراء العامليون عن مجموعة الشعراء العرب قديما وحديثا فى معانيهم فلم يأتوا بالجديد المذكور ولم يتخلفوا عن الركب ... والشعر العاملى قطعة من الشعر العربى لايختلف عنه الامن حيث الكم فقد نبغ فى جبل عامل شعراء كثيرون وليس فى الاقطار العربية من الشعراء من حيث العدد كما فى جبل عامل الا العراق ومصر ... فمنهم المحافظون

ومنهم المجددون ... ومنهم المثقف البعيد الغور والسطحي الفارغ .. وقد كان لهم السبق في " التمريشي " على اصنام الشعر الحديث ونافسوا في ذلك العراقيين والمصريين فيما بعد .

هذا ومن المعاني التقليدية التي عالجها العامليون ما قاله محمد حسين شمس الدين :

على الدار من سلمى بذي الاثل سلموا وهل تنطق العجماء او تتكلم
قفوا بمحانيها قليلا لعلني اداوى الحشا من زفرة تتضرم
دعوني اجيل الطرف في عرصاتها قديما وفي اياتها اتوسم
اناشدها عنهم متى عنك قوضوا وفي اي واد بعدك اليوم خيموا
وشمت على الاكوار خمص من الطوى سروا يخبطون السير والليل مبهم
خفاف على الاقتاب الا حلومهم وان وقذتهم نعمة السير هوموا
ينضون في الليل البهيم قلائصا لها من ذميل السير ورد مطعم
اذا ركبوا طارت بهم عزماتهم وان قارعوا فالحمد كسب ومغنم
مزاهيد لا تهفو لروع حلومهم وان عزموا يوما على الروع صمموا
وكل له في ذروة النجم غاية على انهم في ظلمة الليل انجم
يمسح من اجفانه سنة الكرى ويمضي على الفلات والناس نوم (١)

وعلى كل حال فأننا مع على الزين نقول " ان شعرائنا المتقدمين قد أدوا رسالتهم محكمة الاصول متنوعة الفروع واخذوا بحظهم الأوفى من احياء الادب العربي القديم والاحتفاظ بمذاهبه واساليبه وجماله البدوي التليد " (٢)

ثم انظر معي الى تلك اللوحة التي تجد فيها معنى قد يكون جديدا على رغم قدمه لان الشعراء القدامى عالجوه ما كان ليهمهم امره ... انه

---

(١) اوراق اديب صـ ٣٤
(٢) مع الادب العاملي صـ ٢٠

تصوير البؤس ... ثم ما رأيك ان تصور حياة الصعلكة قديما هي التي تقابل هذا الموضوع في عصرنا ؟ على كل حال تمالي ممنا لنقرأ هذه القطعة القصيرة لمحمد كامل شعيب العاملي وعنوانها : " المال والجمال " :

وقفت أسأل ماذا الخبر   اذا الوجه باد عليه الكدر
بغانية عيناي ماشاهدت   شبيها لصورتها في الصور
وقد نثر الدمع في خدها   لآلىء تحكي لآلىء الدرر
فقالت اروم رفيق الحياة   وتأبى الخصاصة نيل الوطر
وقد اصبح الكل يهوى الحسان   لما تم للغير من مدخر
فقالت اعندك هذى الكنوز   وعنك تعامى عيون البشر ؟ (١)

وهذه الصورة على مافيها من غموض وتناقض في اخرها تعتبر من الصور الجديدة . ثم اقرأ معي هذه المقتطفات من قصيدة الشاعر محمد علي الحوماني نظمها وهو في ارض الكنانة عام ١٩٥٢ م وقد كتب في مقدمتها : " قد رأيت اليأس على وجه الامة من فساد الحكم فيها وذلك سنة ١٩٥٢ " ولعلها قبل ثورة تموز ـ يوليو المجيدة وعنوانها : " التين والزيتون " يقول الشاعر :

انت اخرجتني وكنت سجينا   تزدهيني الحياة ماء وطينا
كنت أوي الى الكهوف وأبغار   الروابي واقطف الزيتونا
كنت امتص ان ظمئت فم الكو   زواقتات اذا اجوع التينا
لا أرى الكون غير كوني بميني   واعيه البيان والتبيينا
كنت اغدو على الحقول مع الفجر   فأقفي ويوقظ الحسونا
كنت لا أتقه الحياة مع العزلة   الا دعابة ومجونا
ثم اخرجتني بلحظة حسن   تراءتني بسرها مفتونا
فاذا الارض غير ماتبصر العين   فجاجا وانهرا وسفينا
واذا الحب غير مايفقه العمر   ويرويه سره المكنونا

(١) العرفان شباط ٩٧٢ صـ ٢٩١

فوردت الرياض اسبح فى النور   واجلوك مبسما وجبينــــا
قسم الروح بين اسرته الفــن   فكنت الهوى وكنت الهونا
كان فيك الهوى كما كنــت فــى   الروض شفاها وأنملا وعيونـا
عدت استعرض الحياة فمـــــا   ابصر الا الدهان والتكوينا
وأناجى همس الوجـــــود فمـا   اسمع الا الغناء والتلحينا
واذا لفنى الظلام افتــــــر   لى الصبح خاطفى مجنونا (١)

... ...

ثم نلتفت الى الشعراء الشباب فنجد ان معانيهم قد اختلفـــت عن معانى سابقيهم وصورهم قد تغيرت كما تغيرت قوالبهم .. فقد دخلهـــا التحويل ولفها الغموض والابهام واليك هذا النموذج لابرزهم وهو محمد عــلى شمس الدين وعنوانه :

" وكل الجهات التى حددتنى غدت واحدة "

هو القلب ... ام حفنة من دخان القرى ؟
قال لى صاحبى
نشأنا معا
وضحكنا معا
وشربنا معا وحل اقدامنا
فهل انت مثلى غدا ميت فى المدينة ؟
قلت : هذا اتجاهى
من النهر حتى احتراقاته فى الخليج
جنوبـــا
جنوبـــا
جنوبـــا

---

(١) العرفان شباط ٩٥٥ جـ ٤ م ٤٢ صـــ ٣٧٨

وكل الجهات التى حددتنى ••• غدت واحدة
قال لى :
انت لاتعرف الارض والاخريـــن ؟
قلت : أمى نهتنى عن الموت الا على صدرها
قال : خذ رقم قبـــرى
وغاب
ولما التقينـــا •••
بكينا معا فوق صـــدر التراب • (١)

••• •••

وهذا نموذج آخر للشـاعرة زهرة الحرعنوانة "غنى وفقيـر"
تقول الشـــاعرة :

انت مثلى انت انسان على الارض تســير
وانا مثلك انسان مع الارض ادور
انت طين وانا طين فما هذا الغــرور
سوف تغدو مثلما اغدو ترابا فى القبــور
وكلانا يعلم اللهُ له نفس المصيــر
فلماذا انت مولى وأنا عبد حقيـــر ؟
ولماذا انت ذو حول وذو مال كثيـر ؟
وأنا مازلت فوق الارض انسانا فقيـــر ؟
يغرك الجوع بأمعائى شهيقا وزفيـــر
ويغريا أخى الانســان شرا مستطير (٢)
وقلبى ولســانى زمجرات وزئـــير ؟

---

(١) الموقف عدد ٦١ أيار ٩٧٦ صـ ٧٣
(٢) قصائد منسـبة صـ ٧٥

وتذكرنا هذه القصيدة بطينية ايليا ابو ماضي وليس ماذكرناه الا نماذج من بعض المعاني التي كتب فيها الشعراء العامليون .. وقد طرقوا بالاضافة اليها الكثير من المعاني كالحديث عن الهجرة والوصف والحنين والثورة والاشتراكية والتمرد بالاضافة الى مانظموه في الرثاء والفخر والحماس والهجاء وما شابه ذلك .

ونستطيع القول ان من الشعراء العامليين من حاكى القدماء بأغراضهم واساليبهم ومعانيهم فجاء شعرهم جاهلي الشكل والمضمون اسلامي النزعة ومن هؤلاء عبد الحسين صادق ومحمد حسين شمس الدين ومحسن الامين وسليمان ظاهر وغيرهم .

بعض الخصائص

وفي النسيب ووصف المرأة عموما عمد العامليون - أحيانا - الى التشبيهات القديمة فشبهوا المرأة بالظبي وبقر الوحشي والمهاه وشبهوا وجهها بالبدر ولحاظها بالسهام النافذة اما قدها فهو كالغصن يتثنى ..

وحاكى العامليون كذلك شعراء الصنعة فأرضوا كثيرا في اشعارهم واستعملوا المحسنات البديعية كالطباق والجناس بأنواعه كما رأينا فيما سبق .

أما معانيهم فكثير منها قدم كما ذكرنا .. ثم بدأت الجدة والمدانية تدخل الشعر العاملي مع الخمسينيات على ايدي الشباب الذين لونوا ثقافتهم باللون الاوروبي الحديث ... وحاكى العامليون القدماء كذلك في وصف البرق والرعد والسحاب والسراب والفخر والحكمة والزهد والتصوف ...

والجديد في شعرنا العاملي كالجديد في الشعر العربي عامة وهو الوصف التخصصي كأن تكون القصيدة كلها قد جاءت للوصف دون ان يكون الوصف عابرا في ثناياها كوصف الطبيعة ومظاهرها ... والتشبيهات

المنتزعة صورها من البيئة ... ووصف الريف بشئ من التفصيل وكذلك وصف الطائرة والباخرة والسيارة والقطار والصاروخ وسائر المكتشفات الجديدة

ثم الشعر السياسى وقد ألمحنا اليه كالتمرد والثوره على الظلم والطغيان والدعوة الى الاشتراكية .

الاخيلة

الخيال نوع من الاحلام الواعية وتعبير اخر هو الرؤيا غير المنظورة اى الرؤية الداخلية للاشياء التى ليست واقعة تحت البصر ... فالانسان يختزن فى ذاكرته الكثير من المشاهد التى يراها فى حياته ومن ثم يجترها وهذا مايسمى بالتذكر ثم ينظر اليها متأملا وكأنه يراها ويقال عندئذ انه يتخيلها .... وهناك علاقات قد لاتأتى لعالم الحس الا ان الانسان الذكى ينشئها ويتصورها ويبالغ فى تركيبها ونسبتها للواقع ويقال عندئذ ان فلانا واسع الخيال غير انه لايوصف بأى حال من الاحوال بالكذب ولا يوصف كذلك بالصدق وهذا هو الخيال الشاعرى .. وقد امتاز الانسان من الحيوان بالخيال والتذكر ويختلف الخيال من شخص الى شخص ومن بيئة الى بيئة .. لأن من الصور الخيالية ماينتزع من العالم الحسى المدرك كما مثلنا قبل قليل ...

ولا يمكن ان يكون الخيال وهما مطلقا فهو فى الاصل منطلق من الواقع تحت تأثير الادراك الحسى .. فهو اذن تلك العلاقات التى ينشئها الاديب من تلك الموحيات .. ولتداعى المعانى اثره البارز فى صنع الصور الخيالية وعندما يبتعد الخيال بصاحبه عن الواقع المدرك ويكون فيه مبالغة واضحة يقال انه الخيال المجنح الذى يطير به صاحبه الى السماء حيث يهيم بين السحب والكواكب ... " والخيال لايجئ بجديد فى المادة وانما بالجديد فى الصورة " كما يقول عبد الحميد حسن وان الرصيد المختزن فى العقل

من الصور والمناظر والتجارب وانواع المحسوسات من سمعية وبصرية وغيرها كل هذا هو المنبع الذى يستمد منه الخيال وهو المادة الاولية التى ينسج منها صوره وينظم عقوده " (١)

وكلما كانت المعلومات غزيرة والاطلاع واسعا كان الخيال جيدا وكلما كانت الذاكرة يقظة حادة كان الخيال رائعا ...

" واذا نظرنا اليه من ناحية الحواس واثرها فى نوع الخيال ولونه وجدنا :

١ـ الخيال البصرى　　　٢ـ الخيال السمعى

٣ـ الخيال العضلى　　　٤ـ الخيال اللمسى (٢)

ويختلف الناس فى ذلك فقد يغلب على كل منهم خيال معين يختلف عن الاخر .

ولما كانت عناصر الادب الاساسية وهى : الخيال والعاطفة والفكرة والاسلوب مرتبطة ارتباطا عضويا وثيقا ... فان الخيال هو اساس العناصر الثلاثة الباقية " فهو للعاطفة موقظ وللتفكير باعث وموجه وللاسلوب غذاء ، وهو ايضا للشاعر عون من اقوى اعوان الالهام " (٣)

يقول الاستاذ عمر الدسوقى عن الخيال : " هو وضع الاشياء فى علاقات جديدة وهو سمة بارزة من سمات الاسلوب الادبى لانه يصور العاطفة و ينقلها الى السامع او القارئ ويبرز المعانى ويضفى عليها ثوبا زاهيا تخطر فيه فنتقبلها ونفهمها ويلجأ اليها الاديب للايضاح وحسن العرض وقوة الابانة والتصوير ويرى القارئ والسامع الحقائق من ثنايا كل ذلك عن طريق خياله " ثم يضيف الدسوقى قائلا : " والخيال موهبة تنفذ

---

(١) الاصول الفنية للادب لعبد الحميد حسن ص ٩٢ ـ ٩٣ مكتبة الانكلو مصرية ١٩٤٩م .

(٢) الاصول الفنية لعبد الحميد حسن ص ٩٧

(٣) " " ص ٩٨

يروح الاديب الى اسرار الوجود واكتناه الحقائق المستكنة وراء مظاهر الاشياء وتجمله يحلق طليقا فى اجواء وعوالم جديدة مليئة بالرؤى الجذابة والصور الخلابة والموسيقى الساحرة " .

" والخيال نوعان ابتكارى وتصويرى او تفسيرى والاول يظهر فى تاليف مجموعة من العناصر المختزنة فى الذهن فى صورة مبتكرة يتحقق معها كيان خاص لها ... والثانى يظهر فى تصور الاشياء على اساس اضافتها الى اشياء اخرى تقويها وتظهرها ويستعين الاديب على الضرب الثانى بفنون البديع والبيان من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل وما الى ذلك " (١)

ويقسم بعض النقاد الخيال الى فنون هى :

١- تكثير القليل وعكسه .
٢- تكبير الصغير وعكسه .
٣- تخيل ماهو معنوى فى صورة المحسوس كقول احدهم " مررت على المروءة وهى تبكى " .
٤- تخيل المحسوس فى صور المحسوس .
٥- تخيل المعقول فى معنى المعقول .
٦- الحوار والقصص .

هذا ويبقى الشعراء غائبين عن كل ماذهبنا اليه فهم اخر من يعلم هذه التفصيلات والتحليلات ذلك انها من خيال النقاد او تحليلهم ذلك ان الشعراء يندفعون وراء ملكاتهم ومواهبهم التى تتسم بالفيض ويلقون او ينظمون قصائدهم عفو الخاطر ويأتى خيالهم عفويا لانه من صنع العبقرية او من صنع شياطين الشعر كما كانوا يقولون قديما . وقد تأتى العبقرية وتعظم عند خلو الذهن ومن هنا جاء وصفنا للشاعر بأنه يكون احيانا خالى الذهن فلا شئ يشوش خياله أو يتعب ذاكرته فالذاكرة تتعب وترهق والشاعر النابغة هو الذى تكون ذاكرته هادئة مطمئنة .

---

(١) فى الادب الحديث لعمر دسوقى ج ٢ ص ٣١١

ولعل هذا هو الذى يمنع اجتماع العلم والشعر فى رجل واحد الا نادرا فالعلم شىء والشعر شىء آخر فالعلماء يتسمون بالعقل والحكمة أما الشعراء فأنهم يتسمون بالبراءة والعفوية وخلو الذهن واضطرام العواطف المختلفة ورهافة الاحساس ... ولذلك نجد العلماء الشعراء معذبين . أما الشعراء فقط فهم فى راحة تامة . ومثالنا على الشعراء العلماء : المعرى والمتنبى وابو تمام . أما مثالنا على الشعراء فقط فالبحترى والاخطل وجرير ... والفرق بين الفريقين واضح . والخيال عند شعراء جبل عامل من هذا القبيل يتراوح بين الخصوبة والجدب والسعة والضيق حسب نوع الشاعر وثقافته الا ان خيالهم على وجه العموم كان خصبا يستمد غذاءه من الطبيعة الساحرة لجبل عامل بأنهارها وعيونها وينابيعها .. وبحرها وغاباتها وصفاء سمائها وخضرة مروجها واعتدال طقسها ورقها ورعدها شتاء وصخورها الناتئة وجباله الشامخة ووهادها السحيقة وسهولها المنبسطة الفسيحة ... وكانت ثقافة العامليين الواسعة فى الدين والادب واللغة تمد هذا الخيال بمعين لاينضب ولم يبق أمامنا الا ان نستعرض بعض النماذج من الصور الخيالية لبعض الشعراء العامليين . ولنستمع اولا الى الشاعر محمد يوسف مقلد وهو يصف الدبكة العاملية على وقع انغام الشبابة البلدية وزغردات النساء واغانى الشباب ثم ننظر لنعرف مدى سعة خياله وكيف ساعده خياله على رسم تلك الصورة :

أمجوزا ينشد العنان الى النفس وشبابة تهز المشاعر
حلقات تمور محورها الدقاق كسور الوحى وفن ساحر
وحماس يطير فى خلد القوم ويذكى الاوار فى كل ثائر
انها ثورة السرور المصرى من رياء او اصطناع ماكر
بين جذب الى الوراء ودفع راجف تبلغ القلوب الحناجر

* * *

كلما زغردت مهاة فغنت للهوى صدح الهتاف المرائر
صوت هذا الهتاف فى كل اذن ان تكن نائيا فانك حاضر

بشر القرية الوديعة بالعرس | فان الاعراس خير البشائر
وتلطف ياصاحبى للصبايا | فالصبايا روح الشباب الناظر
ماتراهن ايبات عن العين | كسرب من الحمام الطائر
سادرات الشحور مثل الافاعى | عاقفات على الجرار الخناصر
تلك فى صدورها ترجح نهدين وذى خلفها تجر الضفائر (١)

* * *

ثم انظر معى الى ماصاغته أنامل الشاعرة زهرة الحرهى تتكلم عن " قلب الليل " وكيف ساعدها خيالها على رسم تلك الصوره الجميلة لليل المشاق :

لم لا أفرق قلب هذا الليل
بل القى برأسى فوق صدره
فوق الحرق السود ، فوق الاوردة
أصغى الى دقات قلب الليل
فى صمت مديد
بعد انطفاء الموقدة
لانجمة تصغى ، ولانجم يطل .. ولا قمر
الا الظلام يلف اودية السكون
وعيون خفافش تحدق فى الدجنة .. من بعيد وتعود تغمض كالمناكب .
تحت اوراق الشجر
وانا وهذا الليل رأسى فوق صدره
أسقيه من رئتى .. ومن عرقى .. ومن ماء البصر

---

(١) الحركة الفكرية تحكى ص ٢٦٨

واضحة بخيوط اعصابى وأهداب العيون.
لمجاهل الافكار للايماد فى القلب اليباب (١)

....

وهذا خليل أحمد خليل يتحدث عن " شسوك الغربة " فيقول :

أغصانك تجرح موالى
تجرح أنفاس الحجر الماس
فى ماء الوطن الميت
اغصانك هل تسمع صوت النار ؟
وصوت الخشب الماشى
خلف ستار الغربة .
هل أنت وحدك شسوك الغربة ؟
يانارا فى الشـــــرق الاوسط
فى القلب العربى الوادع (٢)

....

وهذا وديع ذيب يرسم فى خياله صورة للنحل فيتخيله وهو يغنس متحدثا عن نفسه وهو يجنى أرى الزهور .. يقول الشاعر من قصيدة قصـيرة عنوانها " اغنية النحل " :

من رحيق الزهر قد أترعت دنى
اعصـــر لاطياب شهدا وأغنى
كل فن جاوز الابداع فنى

---

(١) قصائد مذهبة صـــ ١٠٣
(٢) بير السلاسل صـــ ٧٢

قد عشقت الحسن مذكان الصباح
وشققت الطيب مذرف الجناح
ليس تقصيني عن الروض الرياح

* * *

ما لغير السمو من عيش نصيب
يتساوى الصبح عندى والمغيب
تنطفى الشمس وشمسى لا يهذوب

....

ما ادخرت السم فى قصد التمدى
حمتى ليست لغير المستبد
أنا لولا السم لم أنعم بشهدى (١)

....

وأخيرا مع شاعر الشباب ياسر بدر الدين لنقف مع خياله فى مخاطبة محبوبته لنرى ماذا يقول ؟ :

قولى احبك يبسم القمر
ويطيب فى شرفاته السهر
وتغادر الاحزان اوردتى
وتهون الآمى وتختصر
ويرن بين جوارحى وتر
يبكى ويضحك فى دمى الوتر
وأعيش لاقدر يسير فى
قدرب الهوى انى انا القدر (٢)

---

(١) غيوم ظامئة لوديع ذيب ص ١٦
(٢) كتابة على حاشية الجن ص ٨٦

وهنا تنتهى جولتنا فى رياض الشعر التى غرسها خيال الشعراء العاملين ولاشك أنها جولة مختصرة فالحديقة واسعة والوقت ضيق ولكننا استطعنا الظفر منها بضمة من الأزاهير علها تمتع النفس وترفه عن الخاطر .

* * * * * *

الفصل الرابع

الشعر الماملي
بين التقليد والتجديد

التطلع نحو الجديد غريزة تجري في عروق الانسان وهي نوع من الفضول يدفع بصاحبه لمحاولة اكتشاف مايحيط به من غموض ... وكذلك التمسك بالقديم غريزة يدفع اليها حب الحرص والاحتفاظ فليس من السهل على الانسان ان يتخلى عن قديمه لأنه يعتبره أصلا للحاضر والحاضر امتداد له .... والتمسك بالقديم والحنين اليه هو الاصل لغريزه حب الوطن فأنت تحسب وطنك لطول اقامتك فيه وكثرة ذكرياتك في ربوعه واذا قدر لك أن تغادر وطنك وأنت طفل وأقمت في وطن آخر مدة طويلة فأنت تتمسك بوطنك الجديد وتقل حنينك لوطنك الأول وهكذا ... ولاشك أن الغريزتين تتصارعان في داخل الانسان الواحد ولما كان الجديد صعبا لأنه يعني الخلق والابتكار واعمال الفكر وشحذ الخواطر فأن الميل الى القديم والتمسك به سهل تدفع اليه غرائز حب الدعة والهدوء والتخلص من متاعب الابداع ...

وروح الشباب دائما متمردة تدعو الى التغيير ودم الشباب بقوته الدافعة وغليانه المستمر يحمل بصاحبه الى حب التجديد ... وهكذا انفصلت هاتان الغريزتان حيث تغلبت كل واحدة منهما على فريق من الناس فتبنوها ودافعوا عنها وأصبحت عقيدة في نفوسهم .

ومن الطبيعي ان الشباب هم الذين يندفعون نحو الجديد أما كبار السن فهم يميلون كما قلنا الى السهولة والدعة فيفضلون القديم ويدعمهم في ذلك مالهم من نفوذ وسلطان هو نفوذ وسلطان الاساتذة وهذا يعوضهم في صراعهم عن دماء الشباب .

والصراع ـ كما قلنا ـ قديم قدم الانسان نفسه فى شتى المجالات وأبرز ذلك الصراع هو مايكون عادة بين القديم والجديد ولوعدنا بذا كرتنا قليلا الى الوراء والقينا نظرة على تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى لبها لنا الصراع بين المحدثين من جهة وأنصار القديم من جهة أخرى وقد بلغ من ذلك انه قال احد الرواة " لقد أحسن فلان حتى اوشكت ان أروى له " وابن قتيبة والجاحظ وابن سلام والعسكرى والجرجانى والعلوى خير شاهد على ذلك عندما تعود الى آثارهم النقدية ... وكم اسقط البعض أبا تمام وأبا نواس والمتنبىء . وسلم من قائمة الشعراء وهم ممن علمنا مكانة فى تاريخ الادب العربى :

وعلى مر العصور كان هناك صراع عنيف بين الجديد والقديم .. والجديد يصبح قديما وهكذا .. ويجد كل من يتعصب له ولكل حججه وبراهينه ..

ولم يخرج العامليون عن هذه السنة فى الشعر والشىء المميز أنهم كانوا من السباقين الى الجديد والتجديد ... وقد يدفع الصراع السياسى والاجتماعى الى صراع فكرى فأدبى ... كان هناك فى جبل عامل تياران سياسيان وآخران اجتماعيان ثم تبعهما تياران أدبيان .. ولكل أنصاره ودعاته ومؤيدوه ...

....

ماهو الجديد فى الشعر ؟

لو طرحنا هذا السؤال فى العصور الخوالى وصرا لعباسيين بالذات ومابعده لوجدنا الجديد فى الشعر هو المعنى فى الغالب واذا تقدم بنا الزمن قليلا نرى ان شيئا ماقد جد على الغالب فكانت الموشحات ثم الازجال التى تعتمد اللغة الشعبية ... ثم بعض البحور الدخيلة

التى لاقيمة لها من الناحية الفنية ... الا ان يحور الخلول بقيت السيدة وبقيت لها السيطرة .

أما فى عصرنا الحالى فقد انقلبت المقاييس رأسا على عقب وتغيرت المفاهيم الأدبية من جوهرنا ، وتحرر الشعراء تحررا كاملا من قيود الشعر بأوزانه وبحوره .

لاشك أن القرن العشرين هو عصر اليقظة لا النهضة فحسب فما ان ذر قرنه حتى تململ الناس من رقادهم وأدركتهم اليقظة فتنبهوا والتفتوا حولهم فتأملوا فى الوجود فاذا به ملئ بالعجائب والغرائب فأيقنوا أنهم لابد مقبلون على عصر جديد وعالم جديد ونمت هذه النظرة وسيطرت على عقول الجميع فكانت الثورة الادبية مرافقة للثورة الصناعية والثورة الاجتماعية . ولكن ليست العبرة بالثورة وانما العبرة بنتائجها .. فهل انتصرت تلك الثورات ؟ الحقيقة أن الاجوبة مازالت مشوشة مع أن العقلاء يرون بأن هذه الثورات قدمنيت بانتكاسات خطيرة اذا ما استثنينا الثورة الصناعية تلك الثورة التى كانت بحق من أخلص الثورات لو لم ترافقها ثورة من أجل تطوير الاسلحة الفتاكة التى تهدد الوجود الانسانى بخطر الدمار والزوال وهذا هو عصرنا ... انتكاسات واضطرابات تشل روح الانسان المعاصر بجميع متناقضاته .

وفى أوائل قرننا الحالى " حيث ظهرت دعوات التجديد القائمة على عمود الشعر العربى التقليدى ، والدعوة الى تجديد الشعر العربى لم تقف هذه الدعوة عند تجديد مضمون الشعر فحسب ، بل دعت ايضا الى التجديد فى قالبه الموسيقى ، وان تكن الدعوة الى التجديد فى المضمون كانت الغالبة عند دعاة التجديد بينما ظلت الدعوة الى التجديد فى القالب الموسيقى تزداد بعد ذلك شيئا فشيئا ، وتواكب

الدعوى الى التجديد فى المضمون وتداولها فى الأهمية حتى انتهى الامر بظهور مايعرف اليوم بالشعر الجديد وهو أجرأشعر خرج على القوالب الموسيقية المتوارثة فى شعرنا العربى ، نفى جيل العقاد والمازنى وشكرى مثلا بل أحمد زكى أبو شادى وجماعة أبولو والمهجريين رأيناهم يتحللون أحيانا من القافية الوحدة ليأخذوا بنظام القافية المزدوجة أو المتداخلة او المتعانقة كما رأيناهم يجددون أحيانا فى النسق العام للقصيدة فبدلا من القصيدة الموحدة المرتبة رأيناهم يكتبون أحيانا ماسموه أخذا عن الغربيين بالسوناتا" (١)

ويقول الدكتور محمد مندور فى مكان آخر عن الشعر الحديث :

" الذى يلوح أن شعراء العراق كانوا من رواده الاوائل ، وهو شعر لم يعد يعتبر فيه البيت الوحدة الموسيقية للقصيدة بل تعتبر التفعيلة الواحدة هى تلك الوحدة ولا يلتزم الشاعر بعدد محدد من التفعيلات فى السطر الواحد بل يوزعها بين السطور بأعداد مختلفة قد تصل الى ثلاث تفعيلات وقد يكتفى السطر بواحدة على أساس تجزئة المعنى أو العاطفة وتمام كل جزء منهما واستئناف فكرة أو عاطفة أخرى ويلوح ان هذا النوع من الموسيقى يلائم الموضوعات القصصية أو الدرامية حيث تصبح القصيدة كلها بحكم الضرورة ونتيجة لوحدة موضوعها القصصى أو الدرامى وحدة موسيقية أيضا أى أن الوحدة فيها تتحول الى وحدة فى المضمون أى وحدة عضوية ووحدة فى النسق الموسيقى " (٢)

ثم ماهى القيمة الفنية للشعر الحديث ؟ لقد تعود العربى منذ القدم على سماع كلام موزون مقفى يطرب لسماعه وتهتز له أوتار قلبه

---

١) الادب وفنونه لمحمد مندور ط صـ ٣٥
٢) " " " صـ ٣٦

وتعتريه نشوة تدفعه للرقص على أنغام هذا الكلام الذى ابتداه العربى بالحداء ثم بالرجز هو ما يسميه بالشعر ... فهو اذن كلام موزون مقفى ملحن لـه موسيقى تهز المشاعر ... والعربى قد سمع ولاشك كلاما آخر وتعود على سماعه ومنه مايهزه فعلا الا أنه لم يطلق عليه اسم الشعر ... فهو قد سمع سجع الكهان ولم يسمه شعرا وسمع الخطب العصماء وهى مع مافيها من جرس خاص وسجع منتظم الا أنه لم يطلق عليها اسم الشعر ثم بعد ذلك سمع القرآن الكريم ... وهو ماهو شأنا وبلاغة وفصاحة وفكرا ووقعا فى النفس وأثرا عليها وكذلك لم يسمه شعرا .. اذن فهناك النثر وفنونه والشعر وصوره .. وهذا ما جرى فى دم الانسان العربى منذ القدم فكيف نغيره ؟ أترانا نستطيع الامتناع عن أكل الخبز وقد انتقل الينا عبر الاجيال دما نقيا صافيا تناقلناه عن آبائنا وأجدادنا منذ القدم ؟ اذن نحن الآن نقدر نفسيه العربى عندما يرفض الاستماع الى النثر على أنه شعر ونقدر كذلك موقفه الرافض للابتكارات الجديدة فى الشعر !

ولماذا نلومه فى رفضه للمفاهيم الجديدة فى الشعر ؟ وبتعبير أصح لماذا نقلل من أهمية الثورة الادبية وخطورتها وأبعادها ووقعها على نفسية الانسان العربى ؟

لقد صنف العلماء والأدباء العرب عبر التاريخ فنون الكلام وقالوا : هذا شعر وذلك نثر ثم فرعوا ذلك فقالوا فى الأول هذا بحر الكامل وذلك من بحر البسيط وهذا رجز وذلك موشح أو زجل وهكذا ... ثم فرعوا النثر فقالوا : هذا نثر علمى وذلك أدبى وهذا سجع ... وذلك من المقامات وآخر من الخطب وهكذا ؟ فلماذا نقلب المفاهيم ـ التى تواطأ عليها القدماء فى عصرنا ونقول عن النثر والطلاسم شعرا ؟ .

اذن علينا أن نخفف اللوم على أولئك الذين حافظوا على تقاليدهم .

نحن العامليون على عامود الشعر فى مطلع القرن العشرين فتحرروا من بعض القيود اللفظية والمعنوية ولكن لم يقفوا عند هذا الحد فما أن اشرف النصف الاول من القرن العشرين على الانتهاء حتى رأيناهم وقد شمروا عن سواعدهم ليغرقوا من الشعر الحديث فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ ولم يحالفه الحظ ... وكان من الطبيعى أن يثور عليهم دعاة القديم وعلى الاخص أولئك الشعراء المحافظون فقال عبد الحسين عبد الله فى هجائه للشعر الحديث وأنصاره :

تحدثنى ولم أفهم عليها؛ كأن حديثها الشعر الحديث (١)

وقال الشيخ سليمان ظاهر :

ضل قوم يرون نهج الاولين ... منهجا فى القريض غير سديد
فرموا ماأبقوا لهم من تراث ... خالد بالتنقيص والتفنيد
حسبوا أن بالمولدين ... لغو الرطانات روعة التوليد
ورأوا باقتفائهم سنن ... الاباء فيه قوة التقليد
ماجمال الجديد لولا الذى ... أبقاه من روعة قديم الجدود
وبما قدموه من بهجة الفصحى ... استجيدت صناعة التوليد
لغة لم تزل مصونة قدر ... تحت ظل من العلى ممدود
لم تغير منه الدهور رواء ... لا ولا أخلقت لها من جديد
وهى لج من البيان فهل ... تعجز عن وصف غائب وشهيد
فكأن البيان فيها محيط ... بالخفيات من قضايا الوجود
كل حرف منها يفيض حياة ... هى فى الدهر يعنى اى الخلود
لم تفارق نموها فلماذا ... قدرماها أعداؤها بالجمود
من يعشها بغيرها من لغات ... قاس جهلا شهب السما بالصعيد
ان مابينها وبين نجى النفس ... قرب ماروعت ببعد وصدود

---

(١) هذا البيت هو الذى قاله عبد الحسين عبد الله ولم يقل سواه وهذا ماأثبته لى الشاعر فى مقابلتى له يوم ٧ / ٧ / ٧٨ النبطية فى منزل ابنته .

فكأن الارواح هامت بها من عالم الذريوم أخذ العهود (١)

وعلى هذا المنوال نسج كثير من الشعراء منهم محسن الامين وأولاده حسن وهاشم وجعفر وكذلك صنع كل من الحوماني وابراهيم شراره وموسى الزين شرارة ومحمد يوسف مقلد ونور الدين بدر الدين وعلى الزين وغيرهم ..

ثم انبرى النقاد المحافظون للرد على دعاة الشعر الحديث ومما قاله الشاعر الناقد توفيق ابراهيم :

" عمالقة الشعر الحديث أرخوا لحاهم واستقلوا بشعرهم بعد ان تحرروا من القافية وأوزان الخليل بعد أن لعبوا دور " المهرج " الفاشل على مسرح الشعوذة الأدبية وكانوا بتمثيلهم ذلك الدور الخلاعى المضحك أشبه " بخنافسة " هذا العصر أعجوبة آخر زمان وخليفة الشيطان " ثم يضيف قائلا : " ان شعراء الفراغ خنافسة آخر الزمان مهما حاولوا تغطية عجزهم وفشلهم بعظا هرهم الغير طبيعية ... لايمكنهم مطلقا أن يصلوا الى مستوى الشعر العربى الرفيع لأنهم بعيدون عن جوهر الشعر بعد السماء عن الارض فالشعر دفقة نور تنبع من الاعماق مصدرها القلب وجوهرها الفكر ومداها الخيال والمواهب هى وحدها التى تتكلم وتفرض الشعر فرضا لاعلى الاقطار بل على العالم بأسره " ثم يقول : " لقد بدأت طلائع شعراء الالفاظ تتقهقر وتتراجع وتنهار أمام مواهب العباقرة المبدعين " (٢)

وفى المقابل انبرى مجموعة من النقاد للدفاع عن الشعر الحديث وهؤلاء من الشباب مثل محمد ابراهيم دكروب (٣) ومحمد على شمس الدين وحبيب صادق وهذان الاخيران يتعاملان مع القصيدة نظما ونقدا وكذلك

---

(١) معادن الجواهر لمحسن الامين ج ٣ صـ ٤٦

(٢) العرفان م ٤٨ ج ١٠ / ٩٦١ صـ ٧٦

(٣) راجع مقالة محمد ابراهيم دكروب فى مجلة الطريق اللبنانية عدد ٤ نيسان ٩٧٢ صـ ١٤٨ .

الياس لحود ... ومازالت وستبقى المعركة مستمرة الى أن يسقط أحد الطرفين والأرجح أن الطرف الجديــد سوف يتهاوى ويسقط لانه دخيل على الشعر وقد يكون نوعا من الادب الا أنه بالتأكيــد ليس من الشعر ومما يرجح هــذا القول أن الشعراء الشــباب قلما يلقون شيئا من شعرهم الجديد امــام الجمهور ويحتفظون به للصفحات الملونة المزركشــة فى المجلات .. واذا مادعي أحدهم لاحد المنابــر فأنه يخبئ الجديد فى جيبه ويطلع على الناس بمانظمه على طريقة شعراء الجاهلية .

ـــــــــــ

ظهور الشعر الحديث
في جبل عامل

تحدثنا عن الثورة الفكرية والتطلع الى الجديد وذكرنا التجديد المعنوى الذى ادخله الحومانى وقلده وعبد الحسين عبد الله وموسى الزين شراره وغيرهم على القصيدة العاملية • ولكن متى بدأ الشعراء العامليون بكتابة الشعر الحر وهل كانوا من السباقين ام انهم انتظروا حتى استقر هذا " النوع " من الشعر على صفحات الدواوين الجديدة والصحف والمجلات الادبية وقلدوه ونسجوا على مناويله ؟

الواقع أنهم كانوا من السباقين ولعلنا لانبالغ اذا قلنا على الاقل أنه وضع عليهم ان لم يكن ولد على أيديهم أما كيف كان هذا ؟ فذلك ماستتحدث عنه الآن •

تقول نازك الملائكة " كانت بداية حركة الشعر الحر سنة ١٩٤٧ م فى العراق بل من بغداد نفسها ••• وكانت أول قصيدة حرة الوزن تنشر قصيدتى المعنونة : " الكوليرا " ومنها :

طلع الفجر
اصغ الى وقع خطى الماشين
فى صمت الفجر ، أصغ ، انظر ركب الباكين "
عشرة أموات ، عشرونا •(١)

وتقول نازك أنها : " نظمتها يوم ٢٧ ـ ١٠ ـ ٤٧ وأرسلتها الى بيروت فنشرتها مجلة " العروبة " فى عددها الصادر فى اول كانون الاول ١٩٤٧ " (٢) ومجلة العروبة هى التى أصدرها الحومانى • ثم

---

١) و ٢) قضايا الشعر المعاصر ط ٢ سنة ٩٦٥ منشورات مكتبة النهضة بغداد
ص ٢٣

نتصفح مجلة العرفان العاملية فنجد فى أحد أعدادها قصيدة منشورة بعنوان " ابن الريف " للشاعر العاملى مرتضى شرارة فى المجلد ٣٤ صـ ٤٣٤ لسنة ١٩٤٧ م وهذا المجلد قد صدر قبل التاريخ التى ذكرته نازك الملائكة من نشر قصيدتها فهل يكون مرتضى شرارة أول من نظم ـ أو على الاقل أول من نشر قصيدة حرة ؟

وعندما نعلم أن مرتضى شرارة قد أقام فى العراق فترة من الزمن تزداد علامات الاستفهام وترشح معها علامات التعجب ومن القصيدة نختار مايأتى :

وضع رقبتى فى النير
وشد عليها بحباله الغليظة
ثم ألهب جسمى بالسوط
فعدوت .. حتى وصلت واقتطفت الثمار
وقدمتها له
فأكلها ورمى لى القشور
تناولتها بذل ... ومضغتها على مضض
فقالوا لى لقد أنقذك من الموت جوعا
فقلت والسوط المهتز فوق رأسى
يوحي الى أجل
وبقيت أدور ..... وأدور
كحمار الناعور
فأعيانى السير وكاد يقتلنى الظمأ
العرق يتصبب من جسمى
والمياه تتدفق بين يدى
ولكننى مازلت ظامئا (١)

---

(١) العرفان م ٣٤ صـ ٤٣٤ سنة ٩٤٧

هذا مقطع من قصيدة مرتضى شرارة وفيها من الروح الشاعريـــــــة والمعاناة والألم الشيء الكثيــــر .

ثم يتقدم بنا الزمن قليلا فنجد في العرفان نفسها وفي نفس المجلد والجزء الرابع منه قصـــيدة أخرى للشاعر العاملي أديب الحر عنوانها " انعتـاق" يقول فيها :

افترار صبح فريد
صرخة المنفوان في قلب بكر
موجة من الحداء والتغريد
حداء مواكب تسعى الى عالم جديد
انسهل مواكب الانسانية
(تختلف) بين حنايانا .   (لعلها تختلج)
أطياف من نشوات ينبو القلم دونها
فتبقى حبيســة دمه
والحرية في ضمير الكون تشرب والحق في استخفاء
ولكن الى زمن
وكلما أطل الحق أذاب الظل
ظل العبودية في ظل الشمس
فيظهر الحق ويزهق الباطل
الحرية تختلف من الاضواء
ولكنها دائما في نضال
فلا يحيل عليها معنى عن معنى
بل تبقى في نضالها الدائم
لأنها غاية الطريق وجهاد الطريق شاق
ومن ورائها ألوان وألوان
وإلا فلا تزيد عن كلمة

كلمـــة جوفاء
ليس فيها غير المعنى الفارغ
يتمرغ فى لا شـــىء (١)

ثم نجد بعد ذلك قصيدة أخرى للشاعر يسين سويد نشرها فـــى العرفان عام ١٩٤٩ م يقول فيها :

أيها القدر
لم خلقتنى وحيدا فى دنياى هذه
أطلب الراحة فلا أجدها
وأشقى فى سبيل المجد فلا أحظى به
لم خلقتنى فى دنيا لست من أبنائها
وعالم لست من معاصريه .. وبين أناس
يعبدون المادة ...
أيها القدر خلقتنى روحا ظمأى عطشـة
بين أجساد نهمة
خلقتنى ظلا أعجف تسكنه نفس
طموحـــــة
وخيالا هزيلا تتراءى فيه صورة قلب كبير بين قلوب انثنت ونفـوس تدنســت, احدثهم عن المثل العليا فلا يفهمون منها سوى " القرش " ابــارك أمامهم المجد والرفعة فيباركون " الدرهم " احدثهم عن احلامى وأمالى فيهزأون بى .... (٢)

ونحن لانبحث من الناحية الفنية فى هذه القصائد لنعرض عيوبهـــا وهناتها ولكنها على كل الأحوال من عائلة الشعر الحر ونموذج عنه .. ثـــم

(١) العرفان ٣٤٦ ج ٤ سنة ١٩٤٨ صـــ ٥٥٧
(٢) العرفان م ٣٦ ج ٨ سنة ١٩٤٩ صـــ ٨٧٤

انطلق العامليون بعد ذلك يكتبون من هذا ظنا من بعضهم أن هذا الشعر اسهل من التقليدى .. ثم لم يلبث هذا الفن الأدبى أن سيطر على عقول شبابنا الشعراء والمتشاعرين فنظموا منه دواوين كثيرة الا أنهم مازالوا يحنون الى عمود الشعر .... ولذلك فهم على علاقة وطيدة به فلا تكاد تجد فيهم الذى لاينظم على بحورنا التقليدية فينزينون تاجهم ويشكلونه بين الفينة والفينة بقصائد رائعة .

ومازال الصراع على أشدة بين القديم والحديث ويخيل للبعض ان القديم تلاشى ولا أرى ذلك فانه يستريح الآن الا أنه سوف يبعث قويا عظيما بعد زمن يسير جدا وسوف يقضى تماما على الشعر الحر ... فالشعر الذى لايعتمد الموسيقى أساسا له لايكتب له البقاء فالموسيقى جوهر الشعر واذا مس الجوهر فقد الاساس وانهار البناء على بانيه .

الفصل الخامس
اشهر الشعراء المقلدين وتقويم فنهم الشعرى

ندرك مما سبق أن القرن العشرين قد شهد نهضة فكرية كبرى فى جبل عامل رافقها ظهور عدد كبير من الشعراء مقلدين كانوا أم مجددين ولاشك أن الشعراء التقليديين ظلوا مسيطرين على الحلبة حتى نهاية الأربعينيات ، ومع بداية الخمسينيات أخذت اسهم المجددين بثورتهم وتمردهم فى الارتفاع حتى سيطروا على الحلبة التى انتزعوها من سابقيهم وهم للآن مازالوا مسيطرين على الساحة الادبية وان كنا لانرى دوام سلطانهم طويلا .

وعلى كل حال فقائمة الشعراء المقلدين فى القرن العشرين طويلة تتضمن اسماء لامعة . ولكننا سوف نقتصر على دراسة نماذج من هذه الأسماء نختارها بعد قليل .

ومن الشعراء المقلدين السادة :

- الطائفة الاولى -

١- شبيب باشا الاسعد وهو من زعماء جبل عامل توفى اثناء الحرب العالمية عام ١٩١٧ م وله ديوان مطبوع اعتمدنا عليه كمرجع للشاعر .

٢- محمد سليمان جواد (١٢٨٧ - ١٣٢٨ هـ) شاعر وفقيه عصامى عاش فى بلدة حولا وسافر الى مصر لطبع كتاب " مفتاح الكرامة " للسيد على محمود الأمين واتصل هناك برجال الأدب ومات فى ريعان شبابه نشر شعره السيد محسن الأمين فى أعيان الشيعة .

٣- زينب فواز ولدت فى تبنين ٢ ١٢٦ هـ الموافق لعام ١٨٤٦ وتوفيت فى مصر عام ١٣٣٢ الموافق عام ١٩١٤ م أديبة شاعرة تركت كثيرا من الكتب أشهرها : الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور والرسائل الزينبية وقصته " حسن العواقب " ورواية الملك كورش وديوان شعر وكتب أخرى .

٤ - الشيخ محمد حسين شمس الدين شاعر تقليدى مجيد أحيا سنة الأقدمين فى الشعر ولد فى " مجدل سلم " عام ١٢٨٠ هـ الموافق لعام ١٨٦٢ م وتوفى عام ١٣٤٣ هـ الموافق لعام ١٩٢٤ م (أصيب بكسر فى رجله بدار كامل الاسعد فى الطيبة اثر وقوعه عن الدرج ومات من أثر الوقعة ١٩٢٤) حسب قول عبد الحسين عبد الله .

٥ - العلامة السيد محسن الأمين فقيه ومجتهد أصولى وهو شاعر وكاتب ومن أشهر المصنفين من الشيعة الامامية أقام فى دمشق وأتصل بأعيانها وعلمائها وعمل للتقريب بين المذاهب فأحبه الجميع وكرمته الحكومة السورية فى حياته كما كرمته بعد موته وكان عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق ولد فى شقرا سنة ١٢٨٤ هـ وتوفى فى بيروت عام ١٣٧١ هـ ودفن فى مقام السيدة زينب بدمشق .

٦ - العلامة الشيخ سليمان ظاهر شاعر وأديب ومؤرخ ولد فى النبطية عام ١٢٩٠ هـ وتوفى فيها عام ١٣٨٠ هـ (١٨٧٣ - ١٩٦١ م) كان عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق واشتغل فى القضاء اللبنانى ومن مؤلفاته الشعرية الالهيات الفلسطينيات الجاليات وله مؤلفات تاريخية أخرى .

٧ - الشيخ أحمد عارف الزين رائد الصحافة الأول فى جبل عامل انشأ مجلة العرفان فى العقد الاول للقرن العشرين ومازالت تصدر حتى الآن وهى مجلة أدبية دينية اجتماعية سياسية وله فضل تهيمر على شعراء جبل عامل وهو شاعر مقل توفى سنة ١٩٦١ م ودفن فى طوس بأيران (مشهد)

٨ - الشيخ على الزين نجفى فاضل متحرر ناضل من أجل الوحدة العربية وله آراء سياسية متطورة ولد فى النجف الاشرف عام ١٩٠١ م عاد مع أهله الى جبل عامل وهو طفل ثم رجع الى العراق عام ١٩١٩ للدراسة ومكث هناك حتى عام ١٩٢٨ م ومازال حتى الان مكبا على الدراسة والكتابة أطال الله فى عمره .. من كتبه النقدية أوراق اديب ومع الادب العاملى ، والتاريخية " للبحث عن تاريخنا فى جبل عامل " وله كتاب تحت الطبع من تاريخنا فى الجنوب " .

٩ ـ الشيخ حسن الزين شاعر مقل نشرت له العرفان ولد عام ١٩٢٦ وله بعض الكتب المطبوعة •

١٠ـ هاشم محسن الأمين وهو أحد أنجال السيد محسن الأمين شاعر وأديب تقليدى الاسلوب مجدد فى النزعة والمعانى يعمل الان فى الصحافة بأيران وهو من مواليد ١٩١٤ م •

١١ـ عبد اللطيف شرارة شاعر ناقد أديب ولد فى بنت جبيل عام ١٩١٥ وله الكثير من المؤلفات منها : الحجاج ـ الاخطل الصغير الرصافى " روح العروض" •

١٢ـ محمد شرارة كاتب وشاعر ومؤلف وله كتاب مخطوط عن المتنبى تحت الطبع وله مقالات وقصائد كثيرة وهو من مواليد ١٩١٦ م •

١٣ـ الشيخ محسن شرارة ولد فى بنت جبيل عام ١٣١٩ وتوفى ١٣٦٥ هـ له باع طويل فى الشعر والأدب والفقة له مقالات كثيرة وبعض الكتب المخطوطة •

١٤ـ الشيخ محمد نجيب مروة ولد فى الزبيرية قضاء صور عام ١٢٩٩ هـ (١٨٧٩ م وتوفى فى عيتا الزلط عام ١٣٧٦ هـ وهو شاعر على الفطرة علمته والدته لم يدخل مدرسة قط وميل فى الشعر الى الدعابة والسخرية له شعر كثير منشور فى العرفان وكتاب من " روائع الادب الفكاهى العاملى " •

١٥ـ زهرة الحر من مواليد ١٩٢٥ وهى سيدة فاضلة لها من الشعر " قصائد منسية " وديوان تحت الطبع تعمل قابلة قانونية وثقافتها عالية الا أن مستواها التعليمى فى حدود المتوسط •

١٦ ـ السيد على محمود الأمين ولد عام ١٢٧٦ هـ وتوفى عام ١٣٢٨ هـ درس فى شقرا وحنويه ثم النجف له شعر جيد منشور معظمة فى أعيان الشيعة •

١٧ـ حسن محسن الأمين ولد عام ١٩١٠ وهو شاعر أديب كاتب درس الحقوق ومارس المهنة ثم عمل قاضيا واستقال من القضاء لأن احد كبار المسؤلين حاول حرفه عن الحق وهو الآن عاكف على دراسة

الادب والتاريخ العامليين ويكتب فى عدد كبير من المجلات العربية واللبنانية له " دائرة المعارف الاسلامية الشيعية " وهو شاعر مقل له ديوان شعر مخطوط اسمه " حنين " ومن بلد الى بلد " ٩٧٤ والغزو والمغول " فى التاريخ و " الموسوعة الاسلامية " ٩٧٥ •

١٨ - السيد هاشم عباس الموسوى ولد فى ديرسريان ولانعرف تاريخ ولادته درس فى النجف وتوفى عام ١٣٣٥ فى ديرسريان وشعره منشور فى أعيان الشيعة والعرفان •

١٩ - محمد كامل شعيب العاملى ستأتى على ترجمته •

٢٠ - عبد الحسين سليمان شاعر مجيد الا أنه مقل عاش حياة الفقر الاملاق فى حولا ثم استشهد على يد الصهاينة عندما دمروا البلدة المذكورة عام ١٩٤٩ م وشعره منشور فى الأعيان و " معادن الجواهر " لمحسن الامين •

٢١ - عبد الحسين صادق سوف ترد ترجمته •

٢٢ - حسن صادق وهو ابن عبد الحسين صادق ولد فى العراق ومات فى النبطية ١٩٦٤ م له شعر جيد رائق جمعه فى ديوان " سفينة الحق " •

٢٣ - أحمد سليمان ظاهر وهو ابن الشيخ سليمان ظاهر شاعر مجيد جمع بين القديم والجديد له دواوين شعر مطبوعة أبرزها : مواكب الفداء سادة هاشم ، خفقات ، أجنحة ، ألوان ، واحة ، بلاد الطيب ، ولد حوالى عام ١٩١٥ م •

٢٤ - كامل سليمان شاعر جيد له دواوين مطبوعة منها " اشراق " " سبيل ياعطشان " وهو يعمل فى التدريس •

٢٥ - ابراهيم سليمان عالم وأديب ومؤرخ وشاعر كان رئيسا للمحكمة الشرعية الجعفرية فى الكويت ثم استقال لنفس الاسباب التى استقال من أجلها حسن الامين وعاد الى لبنان وهو الان لاعمل له الا فى الكتب وفى بيته أضخم مكتبة فى لبنان له شعر جيد الا أنه لايعمل على نشره •

٢٦ـ صباح رمضان لم نعثر على تاريخ ميلاده ووفاته ويحتمل ان يكون توفى عام ١٩٢٢ شعره منشور فى العرفان والاعيان " روائـــع الأدب الفكاهى العاجل ...

٢٧ ـ محمد فلحة شاعر مقل وهو مدرس ولد عام ١٩١٨ فى ميس الجبل .

٢٨ـ ابراهيم فران شاعر مجيد وأديب ناقد ولد فى النبطية وهاجـــر الى أفريقيـا وهو مازال حتى الآن يتنقل بين افريقيا ولبنـــان له شعر منشور فى العرفان وبعض الصحف اللبنانية الاخرى ولـــد ١٩١٩ تقريبا .

٢٩ـ أمين شرارة شاعر مقل توفى اثناء الحرب الاولى .

٣٠ـ محمد نجيب فضل الله نقيه وشاعر مقل ولد عام ١٩٠٠ تقريبا .

٣١ـ محمد حسين الأمين شاعر مقل ولد عام ١٩٤٥ فى شقرا ينشـــر شعره فى الصحف والمجلات اللبنانية وهو يعمل الان قاضيا شـرعيـا

٣٢ ـ أحمد حجازى " ابن البادية " توفى ١٩٧٢ تقريبا وكان ينشـــر شعره فى العرفان .

٣٣ ـ على مروة من حداثا توفى ١٣٣٩ هـ درس الفقه واللغه فـــى النجف الاشرف وله ديوان شعر مخطوط لكنه فى " المدح والرثاء "

٣٤ـ محمد جواد فضل الله عالم وشاعر مقل توفى عام ١٩٧٦.

٣٥ـ عبد اللطيف فضل الله شاعر مقل ولد ١٩٠٨

٣٦ـ أديب التقى شـاعر مجيد الا أنه مقل وهو من أصل عراقى ولد فى شيما ١٣١٢ هـ وتوفى عام ١٣٦٥ هـ وقد سيطرت على شعره النزعة العاملية .

٣٧ـ حسن الحوانى ولد عام ١٢٩٠ هـ وتوفى ١٣٣٥ هـ درس فى حاروف مسقط رأسه ثم النبطية الفوقا ثم النبطية التحتا وهو شاعر مقـــل

٣٨ـ الشيخ على شرارة وله فى بنت جبيل عام ١٣٠٢ هـ وتوفى عـــام ١٣٧٥ هـ وهو شاعر مقل له منظومة فى الفقه .

٣٩ـ توفيق البلاغى وهو شاعر مقل كان صهد السمك حرفة له فى صـور وهو من اسرة علمية دينية مشهورة فى العراق وجبل عامل .

٤٠ ـ أبراهيم برى شاعر جيد شعره منشور فى العرفان والاعيان وبعض
المجلات الادبيــة اللبنانيـــة ولد فى تبنين ويعمل فى سلك القضاء
وهو من شعراء المناسبات •

٤١ ـ ابراهيم حـاوى وهـو شـاعر مهجرى عاش فى افريقيا " السنغال"
من مواليد ١٩١٢" •

٤٢ ـ محمد حسين فضل الله وهو شاعر مجيد معظم شعره فى الوعـــظ
والارشاد فى الرثاء ينشر فى العرفان وهو من مواليد ١٩١٠ م •

٤٣ ـ فؤاد جرداق ولد فى مرجعيون عام ١٩١٠ وتوفى عام ٩٦٤ وهـــو
مهندس زراعى ومن خريجى مدرسة السلمية بسوريا وهو شـــاعر
مجيد وناقد ادبى واجتماعى وهو مسيحى الا انه متشيع لملـــى
وأهل بيت رسول الله وله فيهم شعر غزير • وقد صدر له بعـــد
وفاته مجموعـــة شعرية بأسم " الهواجس" جمعها ولده الشـــاعر
وسام جرداق عام ٩٧٤ •

٤٤ ـ عبد المسيح محفوظ طبيب اسنان مرجعيونى وهو شاعر جيد وهـو
كجرداق مسيحى متشيع له فى أهل البيت شعر كثير ولد عام١٩٠٣
تقريبا •

٤٥ ـ له ديوان شعر مخطوط وقد سمى بلبل الجنوب وله قصائد مطبوعة ومواقف
وطنية جريئة •

٤٦ ـ محمد جابر آل صفا ولد ١٢٩٠ هـ الموافق لعام ١٨٧٢م وتوفى
فى نيسان عام ١٩٤٥ هو شـاعر مقل الا أنه مؤرخ جيد لـــه
كتاب " تاريخ جبل عامل" •

٤٧ ـ الشيخ أحمد رضا عالم لغوى شاعر ولد عام ١٢٨٩ هـ وتوفى عام
١٣٧٣ هـ (١٨٧٢ ـ ١٩٥٣م) له معجم متن اللغة وكـــان
عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق وله مجموعة من المؤلفـات
المطبوعة والمخطوطة وهو مؤسس جمعية المقاصد الاسلامية بالنبطية
وهو كعلى الزين من الناحية الوطنية والسياسية •

٤٧ ـ وديع ذيب شاعر مجيد ولد في الخيام وهو استاذ فى الجامعـة الامريكية ومن دواوينه " نساء وأقاحى " و " غيوم ظامئة " من مواليـد سنة ١٩١٥ تقريبا .

٤٨ ـ الشيخ بشير مصطفى حمدو ولد فى شوكية عام ١٣٢٤ هـ وتوفى عام ١٣٦٤ هـ وهو شاعر متوسط له ديوان مطبوع " ديوان البشير " .

٤٩ ـ محمد سليمان يونس شاعر جيد ولد فى حولا عام ١٩٣٧ وأنهى دراسته المتوسطة فى النبطية فقط واشتغل بالتجارة المحدودة داهمة المرض مبكرا ولم يمهلة فقضى عليه فى ريعان شبابه عـام ١٩٦٥ وشعره غير مطبوع ونشر بعضه فى العرفان وبعض الصحـف اللبنانية .

٥٠ ـ عبد الكريم موسى شرارة كان شاعرا مجيدا ولد ١٢٩٧ هـ وتوفى عام ١٣٣٢ هـ (١٨٨٠ ـ ١٩١٤) تلقى دراسته فى النجف .

٥١ ـ عبد الحسين محمود الأمين ولد فى شقرا وتوفى فيها عام ١٩٢٧ م وهو شاعر مجيد شعره منشور فى الاعيان والعرفان .

٥٢ ـ الشيخ محمود مغنية ولد فى طيرديا وأقام فى النجف الاشرف وكان فيها عام ١٩١١ توفى اثناء الحرب العالمية الاولى .

٥٣ ـ عبد الكريم حسين الزين ولد فى جبع عام ١٢٨٤ هـ وتوفى ١٣٦٠هـ (١٨٦٧ ـ ١٩٤١) درس فى مسقط رأسه فى بنت جبيـل ثم هاجر الى النجف الاشرف وتعلم هناك حيث اقام مدة طويـلة رجع بعدها مجتهدا كبيرا وأقام فى جبشيت وله مؤلفات مخطوطة منها ديوان شعر ومجمـوعة قصائد فى مدح اهل البيـت. وله كتاب فى الطب والحكمة .

٥٤ ـ جواد الامين شاعر لايلحق به ولد فى شقرا وأقام فى حولا ودرس فى النجف الاشرف وشعره مخطوط استشهد على يد الصهاينـة عام ١٩٤٩م .

٥٥ ـ محمد على مقلد شاعر مطبوع وليه ديوان متداول ولد عـام ١٩٦٦م .

٥٦ـ نسيم نصر له شعر قليل ومجموعة من المؤلفات التاريخية وهو من بكاسين من مواليد ١٩٢٠ ٠

٥٧ـ كاظم حطيط شاعر لابأس به وله بعض المؤلفات ولد في الدوير عام ١٩٣٤ تقريبا ٠

٥٨ـ دعد محمود الجهمي سيدة برزت في صباها ثم غمرت بعد الزواج وهي من مواليد ١٩٢٢ فقد انصرفت لبيتها ولم يعد لها اهتمامات شعرية ٠

٥٩ ـ علية القبيسي وهي شاعرة مقلة من زبدين ونستطيع القول بأنها كسابقتها الا أنها لم تخبو مرة واحدة وهي من مواليد ١٩٢٥ ٠

٦٠ـ محمد علي صادق وهو شاعر محدود يعمل قاضيا مدنيا وهو من انجال عبد الحسين صادق ٠ ولد عام ١٩١٤م ٠

٦١ـ السيد جواد مرتضى ولد في عيثا الزط عام ١٢٦٦ هـ وتوفي عام ١٣٤١ هـ وجاء في تاريخ محمد جابر آل صفا أنه توفي عام ١٣٤٤ وهو شاعر مقل الا أنه عالم فمال شعره الى شعر الفقهاء ٠

٦٢ـ الشيخ يوسف فقيه الحاريصي ولد عام ١٢٦٧ هـ وتوفي عام ١٣٧٧ وهو شاعر مقل وكان قاضيا وله بعض المؤلفات المطبوعة ٠

٦٣ـ عبد الحسين نور الدين ولد في النبطية الفوقا عام ١٢٩٣ وتوفي عام ١٣٧٠ وهو شاعر مجيد له " الكلمات الثلاث" ٠

٦٤ـ حسين بن علي مغنية من طيردبا ولد في النجف الاشرف عام ١٢٨٠ هـ وتوفي عام ١٣٥٩ هـ وشعره شعر مناسبات معظمه في الرثاء ٠

٦٥ـ امين علي أحمد الحسيني ولد في جناتا وتوفي اثناء الحرب العالمية الثانية وشعره منشور في العرفان ٠

٦٦ـ عبد المطلب مرتضى شاعر محدود من عيثا الزط وهو من اتراب الشيخ علي شرارة توفي اثناء الحرب الكبرى الثانية ٠

٦٧ـ زينب بنت علي [illegible] الاسعد كانت على علاقة بزينب فواز لان الثانية عاشت في بيتها وهي شاعرة مقلة توفيت عام ١٣٣١ هـ ٠

٦٨ـ الحاج علي بن الحاج سليمان الزين ولد فى صيدا عام ١٢٧٠هـ وتوفى عام ١٣٤٩ هـ وهو شاعر مقل وله كتابات نثرية كثيرة وثقافته عاليه •

٦٩ـ على حسين شمس الدين شاعر مقل توفى فى مجدل سلم عام ١٣٢٨ هـ •

٧٠ـ محمد محمود الأمين ولد عام ١٢٧٤ هـ فى بيتحون وتوفى فى شقرا عام ١٣٤٤ هـ درس فى النجف وهو شاعر مقل •

٧١ـ محمد على ناصر و (حداثا) وهو شاعر تقليدى مقل عمل قاضيا ثم مستشارا للمحكمة الشرعية الجعفرية العليا وتوفى ١٩٧٦ م •

٧٢ـ عزيزة فهد يحى (فتاة الجنوب) وشأننا معها كشاننا مع علية القبيسى ودعد الجهى •

٧٣ـ احمد مغنيسة اديب وشاعر مقل له بعض المؤلفات فى الدين والسياسة وله ديوان شعر اسمه "ضمير" ضمنه مجموعة من القصائد السياسية والوجدانية •

٧٤ـ حسن محمود الامين ولد فى عيثرون عام ١٢٩٩ هـ وتوفى فى قرية سلم عام ١٣٦٨ هـ ومن خريجى النجف • وهو شاعر مقل •

٧٥ ـ محمد رضا فضل الله الحسينى العاملى ولد عام ١٢٨١ هـ وتوفى ١٣٣٦ هـ (كان عالما فاضلا أديبا شاعرا منشئا قرأ فى جبل عامل ثم هاجر الى العراق لطلب العلم" • ويقول محسن الامين فى معرض حديثة عنه: "وخرجنا من النجف وبقى هو فيها ثم جاء الى جبل عامل فبقى فى وطنه وسقط رأسه عيناثا مدة ثم انتقل الى قرية قانا عام ١٣٢٥ هـ وتوطنها الى ان توفى بها عن بنت واحدة وقد جمع كثيرا من شعره ونثره فى كتاب بخطه وله رسالة سماها" السمكية" فيها أدب وحكمة" جاء هذا فى الجزء ٤٥ من اعيان الشيعة ص ٦ •

٧٦ـ الشيخ خليل مغنية عالم فاضل وشاعر مقل توفى ١٩٥٨ م •

٧٧ـ امين قميحة ولد عام ١٩٢٢ وتعلم فى مدرسة المقاصد الاسلامية واكمل المرحلة المتوسطة وهو شاعر جيد الا انه مقل يتعاطى اعمال التجارة بالنبطية •

٧٨ـ الشيخ محمد على نعمة ولد فى جبع يوم ٢٨ رمضان ١٢٩٩ هـ وتوفى ودفن فى حبوش يوم ٢٨ ذى القعدة عام ١٣٨١ هـ وله شعر تقليدى فى الغزل والوصف •

٧٩ـ محمد خاتون شاعر مهجرى مقل يعيش فى افريقيا وهو اصلا من جويا •

٨٠ـ على حسين عز الدين ولد عام ١٢٨١ هـ فى ديرقانون النهر درس النحو والصرف فى حناويه ودرس الطب القديم وهو شاعر له وصف وغزل رقيق •

٨١ـ حسن فيصلى شراره شاعر مقل له شعر منشور فى العرفان •

٨٢ـ فاطمة رضا شاعرة مجيدة وهى ابنة الشيخ احمد رضا له ديوان مطبوع اسمه " مواويل طائر الخزامى " توفيت عام ١٩٧٨م •

٨٣ـ اسد الله صفا له كتابات فكرية وشعر فى الحكمة والمواعظ اشتهر بدقة الملاحظة خاصة فى الامور الدينية وشعره منشور فى العرفان والاعيان توفى عام ١٩٣٨م •

٨٤ـ ابراهيم حمام شاعر مقل حسن الاسلوب متين الديباجة توفى اثناء الحرب العالمية الاولى •

٨٥ـ مريم عرب شاعرة مقلة من صور لانعلم من ترجمتها شيئا الا انها تنشر شعرها فى العرفان وبعض الصحف اللبنانية •

٨٦ـ دنيا التامر وهى كسابقتها توفيت عام ١٩٦٠م •

٨٧ـ عبد الرضا صادق شاعر جيد وهو ابن عبد الحسين صادق ينشر شعره فى المجلات والصحف العراقية وهو مقيم فى العراق •

٨٨ـ الشيخ على الزين وهو غير على الزين الذى اشرنا اليه مرارا وهو شاعر يتعاطى تذكى الا انه عاملى النزعة والنتاج والملاقات توفى عام ١٩٦٤م ومن اهم قصائده " الهتلرية " وكان فى بدء حياته زجالا الا انه جنح فى اخر حياته الى كتابة الشعر الاصيل وستظهر له قريبا مجموعة شعرية مازالت تحت الطبع •

٨٩ـ سلام الراسى كاتب شعبى ساخر احيا القصص الشعبى العاملى وله عدة قصائد تتخللها الدعابة والطرافة وهو من مواليد ١٩١٤م ومن كتبه النثرية " لئلا تضيع " و " فى الزوايا خبايا " و " حكى قرايا وحكى سرايا " وأخيرا شيح بريح " وهو مسيحي الا أنه يلقب بأبي علي !

هذا وقد وردت تراجم هؤلاء أو معظمهم فى الكتب الاتية :
أعيان الشيعة – العرفان – تاريخ جبل عامل لمحمد جابر آل صفا – الحركة الفكرية والادبية فى جبل عامل لكاظم مكى . كما واننا ترجمنا للبعض الاخر من الأحياء بناء على معلومات تلقيناها منهم شخصيا .

وسوف نتناول خمسة من هؤلاء الاعلام بالترجمة الموسعة كنماذج عن هذه الطائفة من الشعراء التقليديين وهؤلاء الخمسة هم :
محمد حسين شمس الدين – عبد الحسين صادق – محسن الامين – محمد كامل شعيب العاملى – زهر الحر .

– ١ –

محمد حسين شمس الدين

ولد الشيخ محمد حسين شمس الدين فى بلدة " مجدل سلم " من ابوين فقيرين عام ١٢٨٠ هـ الموافق لعام ١٨٦٢ م . وتلقى علومه الابتدائية فى بلدته ثم رحل عنها الى شقرا وهى تبعد ثلاثة أميال عن المجدل وذلك لمتابعة دراسته هناك حيث كانت توجد فيها مدرسة كبيرة وعلى مستوى عالى .

نظم الشعر وهو دون العشرين من عمره وكان كثير القراءة حتى انه كاد يصاب بالعمى فى اخر ايامه . وهو فى شعره ينتمى الى مدرسة القدماء بروحه وديباجته والفاظه وله فى المدح والرثاء والغزل وفى مواضيع خاصة قصائد كثيرة ، ومن قصائده الخالدات " الغديرية " التى مدح فيها الامام علي بن ابى طالب كرم الله وجهه وسيأتى ذكرها بعد قليل . توفى الشاعر فى مجدل سلم فى شوال فى عام ١٣٤٣ هـ الموافق للثانى من ايار عام ١٩٢٥ م الا ان محمد جابر الصفا يذكر انه توفى عام ١٣٤٩ هـ (١) . وقد ذكرنا قبل قليل انه توفى عام ١٩٢٤ م بناء على رواية عبد الحسين عبد الله .

---

(١) راجع الحركة الفكرية لمكى ص ٢٤١ وتاريخ جبل عامل لصفا ص ٢٩٠

يقول الناقد على الزين : " وعلى أى حال يمكننا ان نقول ان شعراءنا المتقدمين قد أدوا رسالتهم محكمة الاصول متنوعة الفروع وأخذوا بحظهم الاوفى من احياء الادب العربى القديم والاحتفاظ بمذاهبه وأساليبه وجماله البدوى التليد ولعل فى صدى نموذج لأدبهم وشعرهم هذه القطعة من شعر الشيخ محمد حسين شمس الدين :

على الدار من سلمى بذى الاثل سلموا | وهل تنطق العجماء او تتكلم
قفوا بمحانيها قليلا لملتمس | أداوى الحشا من زفرة تتضرم (٢)

الى آخر القصيدة التى سبق ان اثبتناها فى غير هذا الموضع والشاعر-كما رأينا-قد حافظ على القديم بديباجته والفاظه وقوالبه وكأنه بذلك يحتاكى شعراء البادية الاوائل فجاء شعره صورة عن شعرهم حتى ان القارئ يوشك أن يختلط عليه الامر فلا يميز أحديث هذا الشعر أم قديم ؟ هذا وقد طرق الشاعر شمس الدين جميع الاغراض فمدح وهجاء ونسب ورثى ...

اشتد النزاع بين كامل الاسعد وقره الطيبة وشبيب باشا الاسعد وقره تبنين والرعايا فى الغالب هم ضحية النزاع بين اقطاب الاقطاع .. فأرسل الشاعر قصيدة لكامل الاسعد جاء فيها :

يا غيث عامل فى السنين | وأمن عامل فى المخاوف
هذى البلاد على شفا | جرف وسيل الشر جارف
يخشى تدمرها فقد | عصفت بقوتها العواصف
لا تسلمن بها السروءوس | من الرجال ولا الزعانف
ووراء بارقة الشرور | قواصف تحدو قواصف
ولربما صدقت بروق غمامة | واليوم صائف ' .

وفى هذه الابيات - كما هو واضح - مسحة قديمة وتقليدا للقدماء بالمعنى والالفاظ ، ثم انظر معى الى قصيدته الغديرية فى مدح الامام على بن ابى طالب واهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى خماسية من ستين دورا وهاك بعضا منها :

اليوم اكملت فيه دينكم نزلت | ونعمة الله فى الاسلام قد كملت
وألسن الشكر أيات الثناء تلت | اذ حجة المرتضى بالنص قد كملت
يوم الغدير فلنأضحى للورى عيدا

يوم به قد أقام المرتضى علمـــا اذ كان من ذاته العليا يدا وفما
وقال من كنت مولاه فلا جرمـــا فالمرتضى هو مولاة الامين كمـــا
أوحى الي به الرحمن تأييدا

....

سل "هل أتى" هل أتت مدحا بغيرعلى وهل سواه بأوصاف الكمال عليـــى
عمى لأعدائه والنص فيه جلـــى كيف استحبوا العمى عن رشد خيرولى
وكيف عنه على علم لووا جيـــدا
يا يحتمو ونقضتم عقد بيعتــــــه وما رعيتم لطه حق حرمتــــــه
وختمو على علم بحشــــــرتـه هذا أميركم أبان نصـــــرته
أخلفتموه بنى الغـدر المواعيدا

ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن وقعة صفين وما أدراك ماصفين ؟ ورفـع القرائين وحربه مع الخوارج فى النهروان ويدعوا لتأييد أهل البيت وحـــب الرسول واهل بيته فرض على كل مسلم ومسلمه ثم يشير بعد ذلك الى مبيـت علي فى فراش الرسول وتكسيره للاصنام :

من مثله وسط بيت الله قد وضعـا ومن على كتف الهادى قد ارتفعا
ومن بتكسير اصنام محا البدعـــا ومن بمرقد طه لم يبت فزعـــا
والكفر قد جاش ارعادا وتهديدا
أما وعلياه لولا حد صـــــارمـه ما انقض بنيان كفر من دعائمـه
سبحانك الله راميـــه بهادمــه سل التواريخ تبنى عن ملاحمـه
كم خط معترضا بالسيف صنديدا

ثم يذكر الشاعر بدرا واحدا وخيبر ، ويوم اعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم لواء المسلمين فى خيبر حيث قد " مرحب " بطل اليهود بسيفه ويوم برز الى أبي ود فى الخندق وتحديه له عندما انتسب له وعرفه أنه ابن ابى طالب وخيـــره بين العودة بجيشة من حيث اتى أو الاسلام او القتال فأختار عمرو الثالثة :

فقال ياعمرو انى لم أهن جزعـــا فكن لما أتوخى منك مســـتمعا
أرجع بجيشك أوكن للهدى تبعـا فها أنا والهيجا وأنت معـــا
فأنظر بأمرك تصويبا وتصعيدا

ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن المبارزة ونتائجها العسكرية والسياسية ومن شجاعة علي وزواجه من فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين :

والله فى العالم العلوي زوجـــه   بنت النبى وتاج الفخر توجـــه
قد أقام سبيل الرشد منهجـــه   ففاطم كفوء والامر احوجـــه
وكفوء لم يكن لولاه موجودا

من مثله وهو سيف الله جـــرده   على العدا وبروح القدس أيـــده
والمصطفى قال منى حيث سـدده   كمثل هرون من موسى وأشهـده
اسرار علم تفوق النجم تصديدا

أنا المدينة منه قد أتى الخبـــر   والمرتضى بابها وأتوا فما أتمروا
وأنما الثقلان الذكر والنفـــر   وآله بهداهم يهتدى البشـــر
فحبلهم لم يزل للحشر ممـدودا

فالمصطفى وأخوه الطهر وابنتـــه   وابناهم حجة البارى وخيرتـــه
لولاهم والهداة الغر عترتـــه   ماكان ارض ولا كانت خليقتـــه
فيهـا ولاكان شيء قط موجـــودا

فحبهم مذهبى ان ضلت الـــسبل   وليس لى بدل عنهم ولا حـــول
وهل بخير ولاهم يقبل العمـــل   لأمّ شانيهم الويلات والهبـــل
اذ أبرموا أمرهم زورا وتفنيـــدا

هذا اعتقادى لقد اظهرت مضمـره   وصنت عن عرض التشكيك جوهره
غذيت أوله طفـــلا وآخـــره   وفى فؤادي مذ أوجدت سطره
من صير العالم المعدوم موجـــودا

وينهى الشاعر قصيدته بقوله مستغفرا فيقول :

مولاي عفوا فقد افرطت فى الكـــلم   وما اعتمادى به الا على الكـــرم
فأجمل عبيدك يامولاى فى حـــرم   ما اجترأت به من موقات فمـــي
فقد وسعت الورى حلما نهى جودا (١)

---

(١) الاعيان ج ٤٤ صـــ ٢٠٢ ـ ٢٠٨ أما القصيدة السابقة نفـــس العرفان م ٥٠ ج ١٠ نوار ١٩٦٣م صـــ ٩٧٢

وهكذا عزز الشاعر عقيدته فى اهل البيت مدافعا عنهم دفاعا منطقيا مدعوما بالحجج والبراهين التاريخية والعقلية التى ايد فيها نظريته وعقيدته .

وعلى هذا النمط كان يستلهم موضوعات قصائده من التاريخ ثم انظر معى الى هذا النموذج القصير من شعره فى رثاء خليل بك الاسعد :

صدعت ذراك وكنت امنع جانبا نوب الزمان وكم صدعت نوائبا
نزلت بساحتك الخطوب وأنشبت بك ياوحيد بنى الزمان مخالبا
طرقتك أم الحادثات فغادرت حزنا بنى الدنيا عليك لواغبا
نقضت بك الايام هضبة عزها قسرا وجبت للفخار غواربا (١)

وهذا مطلع لقصيدة اخرى فى رثاء عبد الكريم شراره :

لمن المدامع بد فقدك تذخر أم أى رزء بعد رزئك اكبر (٢)

ولم يقف الشاعر موقفا جامدا فى تقليده للقدماء فقد جدد فى بعض المعانى كنقده الاجتماعى ومن ذلك ماقاله فى زيارة يوشع التى كان يقوم بها العامليون فى النصف الاول من شعبان كل عام ومايرافق تلك الزيارة من بعض العادات السيئة . وقد ذكرنا تلك القصيدة فى مكان اخر ونعيد الى الاذهان مطلعها :

بئس الزيارة ايها السفهاء رقص وفعل فواحش وغناء

ونظر الشاعر الى زملائه من رجال الدين فرأى المنحرفين منهم فقال فيهم :

من كان همته الدنيا وزخرفها ولم يكن وعاء للعلم فى الدين

وكذلك فقد سبق لنا ان ذكرنا تلك القصيدة :

هذه نماذج من شعر محمد حسين شمس الدين وما قاله عن بعض النقاد انه " انيق اللفظ متوثب الخيال قال الشعر عفو الخاطر " . (٣)

---

١) الاعيان ج ٤٤ ص ٩٦ ٢) نفس المرجع ص ١٩٨
٣) تاريخ الشعر العربى الحديث لاحمد قبش ص ٥٢

ـ ٢ ـ

عبد الحسين صـــــادق

هو ابن الشاعر ابراهيم بن صادق بن الشاعر ابراهيم بن يحي بن محمد بن نجم المخزومى فأبوه شاعر وجده شاعر وانتماؤه عربى اصيل .

ولد فى النجف الاشرف فى أواخر صفر ١٢٧٩ هـ وفى تلك السـنة قدم والده الى جبل عامل وهناك تمسك به وجهاء واعيان المنطقة علـى ان يبقى بينهم واعظا دينيا ومرشدا اجتماعيا فقبل وأرسل الى العراق من يحضر عائلته من هناك وفى طريقهم الى جبل عامل عرجوا على قرية " فوعا " مـن اعمال حلب التى كان تفشى فيها الوباء ولعله الكوليـرا الذى كان يعـرف بالهوا الاصفر فمات معظم أفراد العائلة وبقى عبد الحسين وشقيقاته الثـلاث وخالته " زوجة ابيه " التى تولته بالعناية والرعاية بعد وفاة والدته ثم مـات بعد ذلك والده وهو فى الخامسة من عمره فتكفل به زوج شقيقته الكبـرى محمد أفندى العبد لله الذى أرسله الى مدرسة مجدل سلم ليتعلم فيهمـا وبعدها أرسله الى عينا ثم كفرا حيث درس فى تلك المدارس الصرف والنحـو والمنطق والمعانى والبيان وكتاب المعالم من أصول الفقه حتى عام ١٣٠٠ هـ وفى رجب من ذلك العام سـافر الى النجف الاشرف حيث درس على كبـار العلماء هناك فنال منهم اجازة الاجتهاد المطلق .... ثم تم تعيينه مرجعـا للشيعة فى جبل عامل من قبل النجف الاشرف بعد ماعاد اليه عام ١٣١٦هـ

آثـــــاره

له تصانيف كثيـرة فى الفقه والاصول والمواريث وفى الشـعر

له :

١ ـ منظومة فى المواريث لم يبق منها الا مائتيـن وثلاثين بيتـا

أ أولها فى موجبات الارث قال :

الارث نص الذكر والسنة والــ اجماع كل واحد عليــــه دل
وماهناك مقتضى سوى النسب وان نأت لحمتــــه أو السبب
فالارث بالهجـرة والاســلام قد نسخته وأولى الأرحــــام

٢ـ منظومة يرد فيها على غلاة الوهابين تناهز الستمائة بيت .
٣ـ " " " القس الحلبى صاحب كتاب " المشرع" .
" وقد بلغت الاهانة بهذا القس أن أهداه اليه وهو يتهجم فيه
على قداسة لاسلام وقرآنه الحكيم ونبيه العظيم" ومنها :

توحيـــد الخالق يرســـمه لوح الايجـــاد ومرقمـــه
عين الوجدان تطالعـــــه ولسان العقل يترجمـــــه
ويرتله أيـــــا أيـــــا اتقان الصنع ومحكمـــــه
لو كان أثنين اذن فســـدت اخطاط الكـــون وأرقمـــه
وعلى بعض بعضـــا وانحـــل لمن يعـــلى مايبرمـــه

٤ـ ديوان " سقط المتاع" وهو أجزاء و " عرب الولاء" و " النظـرات والمناظرات " بالاضـــافة الى العديد من الكتب والقصائد والمقالات"
وتوفى الشاعر عام ١٩٤٥ .

يعتبر عبد الحسين صادق شيخ المقلدين فى الشكل والمضمون والاكثر تزمتا فى المحافظة على القديم والنهج على طريقـة والنسج على منـــــواله لفظا ومعنى ويتحدث الشيخ على الزين عن عبد الحسين صادق ورفاقـــــه من المقلدين قائلا : " ... وان ظل هوء لاء السادة بموجب الثقافــــــة والنشأة الاولى وبحكم الاعتبارات والظروف الاقليمية الضاغطة ـ محافظيـــــن على جانب من اســـاليب التخيل والتفكير والتعبير القديمة لم يســتطيعـــوا أن يتحللوا من أثر المحفوظات وحكم العبارات المأثورة فى عهد الشــباب على ماتداولوه فى نظمهم ونثرهم من موضوعات جديدة وعلى ما اشتغلوا بـــه من ملاحظات وآراء طريفه ـ فهم ما انفكوا فى التعبير عن افكارهم المستوحاة من صميم الحياة العصرية يتوجهون فى تركيز أســـاليبهم وأخيلتهم وفـــى انتزاع تشـــبيهم وأمثلتهم واستعاراتهم الى الماضى البعيد اكثـــر

مما يتوجهون فى ذلك الى الحاضر القريب وربما كان الحومانى فى نزعته الاخيرة أقرب أبناء هذه الطبقة الى الجـدة وأشدهم حرصا على تحقيق أغراضه ونزعته " (١) والشيخ على الزين يضطرب فى حكمه على عبد الحسين صادق فلا هو أخلصه للقدماء ولا أخلصه للمحدثين فى حين أنه أصاب فى حكمه على الحومانى والحقيقة أن عبد الحسين صادق كان مقلدا فى الشكل والمضمون كما قلنا واليك بعض النماذج على ذلك .

النمـوذج الأول

فى قصيدة طويلة قال يمدح " السادات الاعاظم الاعلام آل القزوينى "

لاتسأمى الوخد ياعيدية النجب ... فما خلقت لغير الوخد والخبب
لك الخطام ولى منك السنام ولا ... نام طى الفلا والنشر للمقتضب
لاقربتك النوى من معطن رحب ... أوتطلبى البيد بالتصويب والصبب
ولاصدرت صدور العيس من نهل ... أو تحطى بالخطا صدر الفضا الرحب
ولاقرنت خلال الدار فى قرن ... أو تنزعى من يد الارقال كالطنب
لى عند بدر السما والمشترى أرب ... فلق لهما كى تبلغى أربى
لاحوض أو تروى نهر المجرة بى ... ولا كلا أو تردى زهرة الشهب

... ...

لابد لى أن أدارى النفس من سقم ... بغارة فى العلى شعواء لم تشب
ماذاق عزا حلا من لم يذق زمنا ... مرارة الحنظلين الغيب والنوب
فان ترحلت من عز ركبت له ... ولو على حد أطراف القنا السلب
ان لم أجد بلدا غضا يفيئنى ... ظلاله بنعيم غير مستلب
عدوت عنه على عزم بعيد مدى ... لابالبطئ ولا بالصنامع النقب
لايحمل الضيم الاكل ذى ضعة ... يعنو الى لزبات الازمن الشهب

---

(١) أوراق أديب ص ١٨

اذا التقت حلبات الدهر وانفرجت — لها الخطوب وصرت أنيب النكب
أربح نفس لجأ مشى ماقرعت ؟ — فوادح الخطب الا أبت بالقلب
مالى سوى المجد ان توقت من غرض — ولاسوى سابرى العز من سلب
ولا لصارم فى المواكب من — ضريبة غير نفس العلم والادب
قد قيدت خطوات الذل لى شيح — طلاعة لثنايا العز والرتب
وقصرت خطرات الهم لى همم — لو مثلت شبحا كانت من الهضب
فاى مرهبة الشفرين موحشة — لم أرمها بجنان قط لم يهب

الليل الين عندي فى خشونته — من المبيت على الديباج والزغب
ظم تسربلته والبيد عارية — من الانيس خلا كوماء ترقل بى
مضيقا فيه ملتاث الازار على — عزائم وسعت رحب الفضا الرحب
اهذب الحدو للوجنا فتؤنسنى — من جوها فى السرى بالرقص واللعب
خطارة بالفلا كادت لسرعتها — بالوخد تخرج من نسع ومن لبب
مرقا له كلما أخفافها صفقت — ضد الثرى وانفتها رقصة القشب
شملة ماجرت والفكر فى أحد — الا كهاد ونها للخد والركب
ان أسهلت عقدت مما تسنحه — كثبا وان أحزنت حلت عرى الكثب

وبعد اثنين وأربعين بيتا يصف الشاعر فيها السهول والهضاب ومافيهما من الظباء والزهور وماشابه ذلك يصل الى الممدوح ويخلص الى مدحه فيقول :

فتى ابى الله والحى اللقاح له — الا ارتقاء المعالى يافعا وصبى
له من المجد زفت بنت بجدته — وعن سواه غدت ممنوعة الحجب
خدن الفضائل طلاع ثنيتها — بهمة شمخت انفا على الهضب
مر الحفيظة حلو الطبع تحسبه — من صفو سلسلة ضربا من الضرب (١)

وبعد ذلك يصف الشاعر ممدوحيه بالكرم والسخاء والشجاعة والنخوة ..

(١) سقط المتاع ص ١٧٢

ثم يتحدث عن صبواومهم البتارة وعزماتهم الوثابة ومجدهم وحسبهم ونسبهم ودينهم وتقاهم ...

والقصيدة طويلة نتركها عدا ونأتى الآن على ذكر مافيها من الفاظ بدوية عربية خالصة وصور قديمة تذكرنا بالسليك ابن السلكة والحطيئة وتأبط شرا والفوزوق وسواهم ...

استعمل الشاعر من الصور والالفاظ الاتى :
الوخد ـ الجنسب ـ الخطام ـ الفلا ـ المعاطن ـ البيد ـ الصبب
العيس ـ الاقال ـ المرقالة ـ المجرة ـ الشهب ـ المنضل ـ النيب
القنا ـ الخطوب ـ النفيق ـ السايرى (وهو شعبى رفيق) ـ الصارم
والليل ـ الديباج ـ المدد ـ الوجناء (الناقة) وكلها الفاظ بدوية صريحة .

ولو استعرضنا القصيدة وعدد ابياتها اثنين وثلاثين ومائة لوجدنا أنها صورة حية عن الشعر القديم من حيث البداية والتخلص والنهاية والالفاظ والصور وهى بالتالى أصدق نموذج على تمسك الشاعر بالقديم وتقليده لشعرائنا القدماء ومحافظته على ديباجة الشعر وجزالة الفاظه التى اهتم بها القدماء .

هذا وقد أوردنا للشاعر فى غير هذا الموضع وصفا للسيارة والقطار ورأينا كيف تشدة أوصاب الناقة والصحراء والهاجرة .

وهذا نموذج آخر للشاعر يجسد لنا مدى تأثر الشاعر بالقديم والقدماء وهو عبارة عن قصيدة يعارض بها قصيدة " بانت سعاد " لكعب بن زهير فى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهى أيضا من المدائح النبوية ويقول الشاعر :

هى القلاحى المراسيم المراسيل ... أم الوشال المزاعير المجافيل
وماتقاذفت الحصباء أرجلها ... طير من الأمن أم طير أبابيل

شهدت ماتلك الا اليعملات حذت　　تذف وهى المراقيص المراقيل
من كل مشبوبة بالعزم أغنيتها　　خلال داجية الليل القناديل
قد شفها الوخد حتى مالهيكلها　　ظل وليس له عرض ولا طول
طوت اديم الفلاطى السجل ومن　　اخفاقها نشرت تلك المكاييل
لم تجر يوما وطرف الفكر يتبعها　　الا انثنى عن مداها وهو مكبول
مرت بجانحة البرق الخفوق فلم　　تهجس خلا أنه وهم وتخييل
مابين مبدأ مسراها وغايته　　آن ولو مثل رد الطرف معقول
لا يهد فى سيرها للخافقين كأن الشرق بالغرب معقود وموصول
عليمة بالسرى فى مجهل وعر　　فيه القطا وهو أهدى الطير ضليل
لها الوجيف سمير فى الدجى وضحى　　بها النديمان تقريب وتذميل
كأنما يفعمات الارض أكؤسها　　والسير صرف من الصهباء مشمول
لانجعة الريف والمرعى الوريف لها　　قصد ولا الرى مطلوب ومأمول
ماقلبها بسوى الضربين من ولع　　وروحة قط مشغوف ومشغول
ثرثاح ان وعدت فى قطع كل فلا　　والوعد للعاشق الولهان تعليل

• • •　　• • •

ثم يتخلص الشاعر بعد ذلك على مهل حتى يصل الى مدح النبى الاعظم فيقول :

تهتز من شغف كالجان ان تقل ال　　حداة للركب هذى طيبة ميلوا
وليس بالبدع رقص اليعملات الـتى　　حضيرة ثربها بالقدس مجبول
وروضة حولها الأملاك طائفة　　والكل منها وريق العود مطلول
وبقعة حلقا فى فضل خدمتها　　على الملائك ميكال وجبريل
بها السناء الالهى الذى هو فى　　ذؤابه العرش قبل الخلق مندبل
براه باريه بدءا والوجود به　　عن خطة العدم الاصلى منقول
فلا تقس فيه كل الكائنات علا　　شتان علة ايجاد ومعلول
من بدء فطرته مشكاة عزته　　للعرش تاج وللكرسى اكليل

له مكانة قدس لاتنال وسن | رقيها طائر الاوهام مشكول
ودونه ساعد السبع الطباق علا | قد راح وهو أجب الكف مشلول
أجل علم بها من ليس يعلمها | من الورى سائل عنها ومسؤول
اقامه الله فيها مظهرا لجلاله | الله وهو خفى الكنز مجهول
فكان ثمة يتلو صحف أثنيه | يزينها منه ترجيع وترسيل
تشرى مواكب حمد الله من فمه | لها الجناحان تكبير وتهليل
أمامها خفقت للذكر ألويه | لها على عاشق التقدس تهديل
وتحتها زخرف التمجيد منبسط | وفوقها علم التوحيد محمول
لولاه ماعرفت تسبيح خالقها | حتى الملائك والرسل البهاليل
ولاهوت سجدا أملاك كل سما | لآدم وهو بالصلصال مجبول
ولا تجى فلك نوح واللظى بردت | على الخليل وموسى رده النيل
ولا ابن مريم لِلأطلى رقى ونجا | وراح وهو براح النصر منقول
كلا ولا انست عبد الكليم سنا | من جانب الطور والديجور مسدول
ولابدت يده البيضاء ناصعة | كأنما خمسها سرج مشاعيل
ولا العصا لقفت ماياً تكون ولا | بأيها زهقت تلك الاباطيل
ولابها فلق البحر الخضم وجاز | اليم رهوا وعنه الماء منصول
ولانجا بعد ماحاق العذاب ضحى | بآل فرعون خير القوم حزقيل (١)

... ...

وهكذا يمضى الشاعر فى قصيدته على طريقته فى قصيدته الاولى وكما كان مقلدا فى الاولى فهو كذلك مقلد فى الثانية ولسنا بما فيه للتحليل والتفصيل •

توفى الشاعر فى النهطية سنة ١٣٦٣ هـ الموافق لسنة ١٩٤٥ للميلاد وقال عنه أحمد قبشى فى تاريخ الشعر العربى الحديث " وله شعر تقليدى حسن " (٢)

---

(١) عرف الولاء ص ٢٦ ـ ٣٤
(٢) تاريخ الشعر العربى الحديث ص ٥٤

ـ ٣ ـ

محسن الأمين

هو السيد محسن بن عبد الكريم الامين ولد فى قرية شقرا من قرى جبل عامل سنة ١٢٨٤ هـ الموافق لسنة ١٨٦٧ م .. وتعلم فيها المبادئ الاولية ثم انتقل الى مدرسة عيثا الزط ... فمدرسة جبل حيث درس علوم العربية والمنطق والفقه والاصول وهاجر الى النجف الاشرف سنة ١٣٠٨ هـ واقام هناك فى طلب العلم مدة عشر سنوات وحتى بلغ مرتبة الاجتهاد والفتوى عاد بعدها الى جبل عامل وقد تتلمذ عليه كثير من الطلاب فى جبل عامل والنجف .

اقام فى دمشق وانشأ فيها المدرسة المحسنية للذكور ثم المدرسة اليوسفية للاناث بمساعدة أهل البر والاحسان " وحج أثناءها الى مكة ورحل الى الحجاز ومصر وايران وانتخب عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق وتوفى فى بيروت ودفن بقرية الست من أعمال دمشق " (١) وكان ذلك عام ١٣٧٢ هـ الموافق لعام ١٩٥٢ م فى ٣٠ أذار .

زار الأزهر فى مصر ودعا الى نبذ التفرقة بين السنة والشيعة والوحدة والالفة وذلك فى مقدمته الطويلة لاعيان الشيعة التى استغرقت معظم الجزء الاول من هذه الموسوعة الضخمة .

ومن كتبة الكثيرة : اعيان الشيعة وقد ظهر منه خمسة وخمسون جزءا ـ اقناع اللائم على اقامة المآتم ـ كاشفة القناع عن أحكام الرضاع ـ معادن الجواهر وهو أجزاء ـ نزهة الخواطر فى علوم الأوائل والأواخر ـ ديوان شعر سماه " الرحيق المختوم فى المنثور والمنظوم " فيه نماذج من شعره ونثره .

---

(١) تاريخ الشعر العربى الحديث لاحمد قبش صـ ٥٤

" يمثل شعره نموذج الشعر التقليدي في القرن الماضي فأغلبه مدائح نبوية ومدائح في على بن أبي طالب والحسن والحسين رضوان الله عليهم وبعض القصائد المشطرة لشعر الشريف الرضي .

وخير نموذج لشعره قصيدته في الحكمة والمواعظ والتي جعل قافية كل بيت فيها تنتهي بكلمة عجوز فأورد مائة بيت وبيت وكل كلمة عجوز في آخر البيت لها معنى يختلف عن معناها في البيت السابق" (١)

هذا وقد أشرنا الى هذه القصيدة ومنها مطلعها :

أتحمل طول دهرك للعجوز ... ولاتخشى غدا حر العجوز

... ...

وهذا نموذج آخر .
قال مواسلا بعض أبناء عمه وهو في دمشق :

يادارمية في السرير ... حياك فيض حيا مطير
ولقيت متصل النسا ... ثم في العشية والبكور
دار الاحبة أنت لا ... طرقتك نائبة الدهور
وملاعب الرشأ الأغر ... ومطلع البدر المنير
لله كم أطلعت من ... قمر على غصن نضير
كم ليلة بك قد مضت ... كانت شفاء للصدور (٢)

... ...

فهو يدعو على دار الاحبة بالسقيا - ودوام مرور النسيم عليها في العشية والبكور ثم يخاطب دار الأحبة وملاعب الرشأ الاغر ... على طريقة القدماء ... وله في رثاء الشباب :

---

١) المرجع السابق صـ ٥٤
٢) العرفان ج ١٣م ٣ صـ ٤٩٧ سنة ١٣٢٩ هـ حزيران ١٩١١م

لئن كان قد ولى الشباب وعصره ... وناف على الستين لى سنتان
فما شاب لى عزم ولا قل ساعد ... ولاحل لى ركب بدار هوان
ولا أنا ممن يستهيج فؤاده ... رسوم ديار أقفرت ومغانى
فيوقف فى الربع الركاب مسائلا ... ويفرى دموع العين بالهملان
ولا أنا ممن يتبع الركب طرفه ... اذا هو لج الركب بالوخد ان
ولا أنا ممن يملك الحب قلبه ... لغانية تختال بين غوانى
كفانى تسآل الرسوم التى انمحت ... سؤالى لاسفار العلوم كفانى
وحسبى بحب الغانيات صبابتى ... بكر علا غراء غير عوان
وانى لنزاع الى درك غاية ... هى الغاية القصوى ونيل أمانى
ولست الى خفض من العيش نازعا ... فما مستريح غير من هو عان

ومنها

ولى من يراعى ان خلوت ودفترى ... نديمان عن كل الورى شغلانى
نديمان ماملا حديثى وصحبتى ... وان هى طالت لا ولا جفيانى (١)

...   ...

فهو وان كان قد ثار على طريقة القدماء فى الشعر كما ثار أبو فراس الا أنه لم يخرج عن أساليبهم ... ومجرد الاشارة الى تلك الثورة الفولسية ـ كما رأينا فى القصيدة السابقة ـ هو تقليد شوى قديم .

وله مشطرا على أبى العلاء المعرى :

(دع الايام تفعل ماتريد) ... فليس على عجائبها مزيد
كفانى ماطعمت فلا تزدنى ... (فما أنا فى العجائب مستزيد!)
(أليس قريشكم قتلت حسينا) ... وكلكم بحضرته شهود
وقد كان الوليد لكم اماما ... (وكان على خلافتكم يزيد) (٢)

---

(١) الاعيان جـ ٤٢ صـ ١٢٦
(٢) " " صـ ١٣٨

ومهما يكن من أمر فقد كان محسن الأمين مقلدا فى شعره على رغم ما اتصف به من تجديد فى الفكر والحياة • وقد سبق ان أوردنا له نماذج فـــــى أغراض مختلفـــــة •

- ٤ -

محمد كامل شعيب العـــاملى

ولد محمد كامل شعيب العاملى عام ١٨٨٧ م فى قرية " الشرقية " مـــن قرى النبطية • وتلقى علومه فى المدارس المحلية وكتب الشعر مبكرا ثم تقلـــد بعض الوظائف الصغيرة وكان على علاقة ببعض الزعماء الذين وعدوه بمناصـــب عالية ثم مالبثوا ان تخلوا عن تلك الوعود فى الوقت الذى كانوا قادريـــن على الوفاء بهـــا • ثم عين كاتب عدل فى صيدا • الا أنه بقى متعلقا بحبال واهية من الامـــال الخادعة •••• ولم يكن يدور بخلده وان الوظائــف العليا وقف على أبناء العائلات ومن هم على علائق مشبوهة بالمستعمر وأذنابه •

اتصل العاملى بالزعماء العرب ومدح بعضهم كالشريف حسين وامام اليمـــن وسلاطين الهند من المسلمين • وأمراء الحجاز ونجد وكتب بكبريات الصحـــف والمجلات العربية وعلى رأسها العرفان والاهرام والشورى والمقطم والمنـــــار والمقتطف والهلال والنيل و " الدفاع المصرى " والبلاغ ولسان الشعب التونسيـــة •••• وغيرها ••• وهو يكتب النثر بنفس القوه التى ينظم فيها الشعر •• وقد أشـــاد به العقاد فى أحد أعداد جريدة الاهرام ••• وأتصل بشـــوقى ••

حافظ العاملى على القديم روحا وشكلا وجاء شعره مصقولا صافيا يتسم بطول النفس وحدة الذكاء فأشرقت ديباجته وأشتدت الفاظه ولم يتأثـــر بالجديد وبقى يعيش فى أجواء الشعر التقليدية وله بعض المؤلفـــات النثرية ولم يطبع ديوانه بأستثناء بعض القصائد التى جمعها ببعض الاجزاء كالحماسيات وغيره •••

نظم الشاعر قصيدة مدح فيها الملك فيصل وقال انها " بمناسبة الوفد الذى ترأسه الملك فيصل ونجم عنها معاهدة كليمنصو - فيصل عام ١٩٢٠ م ونشرتها جريدة الشورى فى مصر فى ذلك الحين :

أأساد غيل أم كماة بواسل ... لها الاعوجيات الطوال معاقل
تشذ الحفاظ المرعنها جحافلا ... مضمخة بالطيب منها الشمائل
مشى فس حواشيها النضال مخضبا ... كما خضبت فيه الجدود الاوائل
تواصل فيه الزحف بالزحف للمدى ... وتنقض تحت الدرع فيها المفاصل
مرنحة الاعطاف والشرق أمسل ... على غرة للدهر والضرب واجسل
أثارت لظى الشهباء منها تألقا ... معارك زاك أصلها والخصائل
كأن الثريا بسمة من شفافها ... تشوب السما جندا لها وجحافل
يود هلال الافق رؤية وجهها ... ليشبه بدرا فى السما وهو كامل
فو الضروس دونها حرب داحس ... وماعانت الاهوال بكر ووائل
تنم عن الشم المرانين مثلما ... ينم عن الزهر الشذا والخمائل
وبأس تشب النار من عزماته ... اذا ماغلت فى الروع منه المراجل
تتوق الى الهيجا بخمر معتق ... لبعض الندامى او لساق يناضل
وتشتاق شوق الروض للنيل والندى ... لجمع شتات العرب والروض ذابل
ولما يزل وارى الزناد كأنما ... صفار بجنبيه الحوادث النوازل
وماقصرت منه النجاد زعازعا ... وماأصلحت منه الكوابى غوائل
يذود كآساد والشرى عن عرينه ... ولا مسمف الاحسام وذابل
وللحاصب القذاف فى قبضة المدى ... دوى كقصف الرعد فى الدو هائل
كطير ابابيل بسجيلها غدت ... تصوب للشامات منها القنابل
اذا سألت تثرى وجن جنونها ... تشق مدار الشهب منها الشوائل
وبالجموع الزاحفين أكبة ... وبالقراع الدارعين فمائل
أجل أيها الوفد الذى طال بينه ... حنانيك ماذا أنت والغرب فاعل
أيؤمل حق قد تولاه باطل ... ولا يلتقى الضدان حق وباطل
نصحت فلم يمتح لك النصح غلة ... وشمس الضحى منها عليك دلائل

أفى كل يوم أنت ماشح عبـــرة ... اذا غاب منها وابل فاض وابـــل
وتضوم ثورات على كل معتـــد ... تناطح فيها تارة وتشـــاغل
وتوقد فى كف البراعة صـــاحب ... اذا فزعت عضت عليها الانامـــل
وماضيية الاوطان اذ هى قسمت ... الى دول الادس ومهـــازل
لجوعجسوا طير فى الهواء تنوشـــة ... ذئاب وعقبان الفلاة نواهـــل

... ...

والقصيدة طويلة تزيد عن مئة بيت أملاها على الشاعر بصوته وسجلتها علـى الشـريط .. ولايخفى مافيها من براعة فى اختيار الالفاظ وحسن فـــى التخلص حيث اطال فى المقدمة ثم تخلص بعد حين الى مدح الوفد المصرى وأتى بالصور والتشبيهات القديمة الرائعة ... والالفاظ التى نحتها مـــن القاموس ... وكل ذلك يسير الى الروح التقليدية التى تسيطر على نفــس الشـــاعر .

نمـــوذج آخــر

وهو من قصيدة بعنوان : " الى الزعيم المصرى " وقد كتبها فى شهر ربيع الاول عام ١٣٤١ هـ على أثر نقل " سعد باشا زغلول زعيم الامة المصـــرية الى منفاة فى جبل طارق وقد ساءت صحته وقبض خصومه على أعنة الوزارة فـــى مصر وقامت قيامة الصحف المصرية الوالية لسعد زغلول باشا محتجة بلســان الامة المصرية على نفية وعلى اثر تلك الضجة نظم صاحب الديوان هـــذه القصيدة التى تناقلتها الصحف بتلك الاثناء " .

ان لم يكن لك فى الاقد لم اقـــران ... ففى علاك سنام الفخر يزدان
وان دهتك من الاقد ار داهيـــة ... خفض عليك فأن الدهر خـوان
فمن سمت فيه للعلياء عن كلـــف ... قوادم العزم ما انتابته احـــزان
ومن يكن نفيه للذود عن وطـــن ... به تفاخر قحطان وعدنـــان
والناس شخصان هذا باسل ببطـل ... لم تثنه عن طلاب العز خوصان
وذاك يحكى الافاعى فى تقلبـــه ... تعددت فيه أوصاف وألـــوان

وما المصر على ساكن كذب عسوج ... منه ماجه في الورى افك وبهتان
صبرا ايا سعد ان الصبر يأنفه ... من لم يكن مبتغاه العز والشان
ومن رأى العلا من غير ما نصب ... فمنتهى سعيه عجز وخذلان
أجل نهضت لاعزاز البلاد ولم ... يقم بذهنك تيجان وسلطان
وقد تحملت من كيد العدا نصبا ... ما ليس يحمله رضوى وثهلان
وقمت تطلب نيل الفوز عن ظمأ ... كما يؤوب لورد الماء ظمآن
ولم يكن دونك المنصب الرهيف ولا ... سواك للوطن المصرى معوان
بل قمت ترفض ورد الذل عن شغف ... والشرق من نهلات الذل ريان
وسرت رائس اقيال بك ابتهجت ... ولم يكن لك انصار واعوان
فأعلنت لك مصر الانقياد كما ... انقادت لامرك شجعان وفرسان
بينا الحكومة قد خافتك عن كثب ... وانت كالاسد الضرغام جذلان
ففيك تدرك آمال قد انقرضت ... وفيك تبلغ اوج المجد اوطان
نصحت للقوم فى سر وفى علن ... من حيث لم يجد اسرار واعلان
فما استقاموا على النهج القويم ولا ... سما لهم فوق اوج المجد بنيان
وقد توهمتهم من قبل ان لهم ... تصغى وتبصر ابصار وآذان
فقمت تنفض كف اليأس عن فئة ... ابت وطمحها ذل وخسران
وعاد يرئسها فى عهدها نفر ... لم ينهجوا اثر سعد بل هم خانوا
ففاتهم اوج المعليات لمن ... حدث بهم فى مراقى المجد ركبان
فان نهضت لمصر مثلما نهضت ... فى سابق العهد رومان ويونان
وان عثرت على رغم غداة قضت ... عليك بالنفى احقاد واضغان
فتلك انبا ريب فيك اليوم معجبة ... كذاك مصر وبغداد فعمان
وهذه صحف التاريخ بعد سعد ... تبنى وتخبر عما كنت او كانوا
فانما مصر ما ابصرت عن كثب ... عهد وانت لها نصل وصيوان
بشرى لمينيك لا يحزنك صنعهم ... فانت انسب لعين العرب انسان
نهضت بالقوم اذ أوسعتهم خطبا ... والشرق فى ظلمات الجهل سكران
فان همو حاولوا شيئا خسائك فقد ... عسوا بانهم الاك صبيان
وان تباعدت عن كثبان مصر فكم ... عجت لبعدك امصار وكثبان

فاصبر على الهم أياما وازمنـــة ... وان بنت فيك ايام وازمــــان
وهكذا الحر منصور ومنكســـــر ... من عادة الدهر ارغام واحســـان (١)

....

وهـكذا تسمع فى قصيدة العاملى رنين السيوف وجلبة الخيـــل وتلحظ تصادم الابطال .. على عادة الشعراء العرب القدماء .. ومازال محمد كامل شعيب حتى هذا اليوم يفيض حيوية وشبابا رغم تقدم سنه ومصاعب الحيـــاة ومشاغلها .. وقد اجتمعت اليه فاحسست باننى امام شاب فى الثمانينيات علما أنه قد جاوز التسعين وان ذاكرته الحادة القوية لمعجزة حقا فهو مازال يحفظ الكثير من الحوادث والشعر بدقة وقد قرأ لى من شعره الكثير وقرأ لى من شعر شوقى غير قصيدة .

ومما قاله بعض النقاد ماقاله رامز سركيس صاحب جريدة لسان الحال اللبنانية :
" هو احد رجال دولة الادب العامليين فى ميدانها الفسيح ومن الشعراء المبرزين الذين يشار الى علمهم وفضلهم بالبنان " (٢) وما جاء فى جريدة البرق " التى وصفته بانه " شاعر مجيد له مكانته الشعرية وشهرته الواسعة وادبه الغزير " (٣) وما قالته " المعارف " : " الاستاذ السيد محمد كامل شعيب العاملى ينظـم القصيد بين الضجيج المتواصل وفى عزلة عن الناس وله اسلوب خاص فى شعره شهد له به قراء العربية الذين يطالعون امهات الصحف وقد نشرت اكثرها طرفا مـــن اقواله ومنظوماتــه " (٤) .

وقال عنه الاديب الناقد الشاعر السيد صدر الدين الحسينى :
لا الغوالى أم قواف شـــــوارد ... اضاءت بوجه الدهر فهى فرائـــده
اعد نظرا يارائد الشعر انــــه ... هو الشعر لا ما نمقته الولائـــد

---

(١) الحماسيات فى النهضة العربية طبعة العرفان صيدا عام ١٣٤٣هج١ص٥٧ .
(٢) ، (٣) ، (٤) " " ص ٤ .

فكم زينت فيه المحافل دستهـــا   وكم شهدت فيما اقول المشاهد (١)

وقال عنه الشاعر علي مهدي شمس الدين :

ذي ابحر با لدر قذافـــــــة   يسعد من حاول منها التقـــــاط

منسرح الفكر فيهـــــــارأى   دلائل الاعجاز فيها تنـــــساط (٢)

وقال عنه الشاعر حليم دموس : " ينظم القصيدة بجلسة واحدة وعلى نفس واحـد لا ينقطع اما شعره فملئ المقامع والمجامع وله في عالم الادب مقامة الرفيع المنيــع حتى قال فيه خليل بك مطران انه كاظمي سوريا ولبنان " (٣) اي شاعر العـرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي . وقال عنه جبر ضومط : " نابغة من نوابغ الشعـر يوشك ان يكون ابا تمام هذا العصر " (٤) ، وقال فرح انطون : " شاعـــــــر متين التركيب سريع الخاطر يعد من نوابغ القريض في العصر الحاضـر " (٥) .

وفيه اقوال كثيرة لنقاد وشعراء كثيرين لا تخرج عما ذهب اليه من ذكرنـــا أقوالهـــــم .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) الحماسيات ص ٤ .

٥ - زهــــرة الحـــــر

من مواليد جباع او جبع من جبل عامل سنه ١٩٢٥ وهي من اسـرة عرفت بسمة ثقافتها .. واذا كنا نزعم ان الثقافة ايضا كالجباة والزعامـة تورث فان ذلك يصدق الى حد بعيد على المنطقة فيما قبل الخمسينيات.. أ ما بعد ذلك فالامور تغيرت بانقلاب الامور والمقاييس فكما ان الزعامة لم تعد وقفا على العائلات اذ برزت زعامات شعبية اخرى الى جانب الزعامات التقليدية بنفس القوة وعلى جانب من الخطورة والاهمية .. فقد توجه الفقراء باولادهم الى المدارس في الداخل والخارج .. ومنهم من كان يحرم نفسه ويجد ويكدح في سبيل ذلك الهدف السامي ... ثم اخذت الامور تستقر لصالح الطبقـات الشعبية باتجاه التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وزهرة الحر سليلة احدى الاسر التى كانت تتفاخر بان العلم ينتقـل اليها بالوراثة اما عن أب وهي تنحدر من سلالة الشهيدين الاول والثانـي والسيدة زهرة لاتحمل شهادات عالية ومستواها التعليمي دون الثانوي الا انهـا سهرت على نفسها واجتهدت للتحصيل الحر والرغم من مهنتها التى لا صلة لهـا بالثقافة فقد تمكنت من تثقيف نفيسها .. وربما كان - كما قلنا - للعوامـل الوراثية اثر في ذلك فالمعروف ان آل الحر كانو يتوارثون مكتبات ضخمة عن آبائهم ولعل زهرة من بين الذين ورثوا مكتبة من هذه المكتبات ... ولا شك ان لهـذا اثره البارز في التطلع نحو الثقافة والمعرفة .. وزهرة تحمل " قابلة قانونية ".

نظمت الشاعرة الكثير من القصائد والدواوين ومنها ما طبع ومنها ما يزال مخطوطـا .

وبالرغم من جنوحها الى التجديد اخيرا الا ان معظم نتاجها مازال يحتفظ بالمسحة التقليدية ولعلها لم تستطع التخلص من اثار الماضي .

نمـــاذج مـــن شـــعرها

١ ـ الثـــــــورة

انا فى عثمة الحياة أعاصـــــير ... اباء محمومـــــة الكبريــــــاء
عصفت فى مرابع البلد المرتـــور ... هـوجاء تزدريها الفنـــــاء
تتلظى على سعير من الكبـــــت ... وفيض المدا مع الخرســــاء
صيحتى صيحة البقاء وصوتـــــى ... نفخة العزم فى صميم البقـــاء
لا أنادى الا وتلتفت الاســــــد ... وتمضى الصقور فى الاجـــواء
ويهب الزمان من غفلة العمــــــر ... ويمشى على الحطام ورائـــى
فى ندائى معنى الحياة ولا بــدع ... اذا لبت الحياة ندائـــــى
انا بنت الشقاء والفقر والحرمـــان ... بنت الجهالة العميــــاء
فجرتنى الالام فانحقد باللحقـــــد ... بركان ثورتى فى انحمــــراء
فى يدامسح الدموع بالاخــــرى ... اصب الدماء فوق الدمـــاء
لا أبالى وقد لملع المـــــــوت ... وما لبلاد فيض البــــلاء
ان ارى فى ازحام ابنائى الصيــــد ... كمن الفداء او اعدائـــــى
كل هذا الوجود كن مافيـــــــه ... تمنيت ان يكون فدائــــــى

* *

ولدتنى الشعوب فى ليلة ليـــلاء ... بين العواصف الهوجــــــاء
وسقتنى الدموع والعرق المحمـــوم ... فى أكؤس البغضـــــــاء
منذ وقت فى حداثة ايامـــــى ... مرير السفينة العميـــــاء
ورأيت الفساد والظلم والارهــــاب ... فى كل بقعـــة وفنـــــاء
فتحفزت ثم سددت سهمـــــى ... ضربة العدل ضربة الاقويـــاء
فاذا الحكم للشعوب على الارض ... وللظالمين شر جــــزاء
ساحتى ساحة المروءة فالحـــرب ... اذا قيل من هم أبنائـــــى

بأبي كل يحوي ابـــــــــــي | سار في موكبي وتحت لوائـــــي
من دماء صبغت ألويتي الحمرا | وخضبت مفرقي وردائـــــي
واقتحمت الحصون اشيمها هدما | على رأس خائـــن ومرائـــــي
وانتهكت الحرمات فالقصر والكوخ | سواء في مدلهم قضائـــــي (١)

....

٢ – متمـــــردة

صولي على فلن ابالـــــــي | وتقحمي ابدا قتالــــــي
ايا من عزات بحادثـــــات | الدهر قبلك والليالـــــي
صولي على احلام نفســـي | في الصباح وفي الـــــزوال
وتقحمي حتى طموحـــــي | عبر صحــــــراء الخيـــــال
لن تهزمي ابدا قناتــــي | يا خطوب ولن ابالـــــي
انا لستالا صخـــــــرة | جثمت لتهزأ بالرمـــــال
انا لســــــــت الا ارزة | ربضت على صدر التـــلال
خضراء تشـــرق كالوجــــك | الفضي في دنيا الجمــــال (٢)

هذا وعندما ننتقل من شعر محمد كامل شعيب العاملي الى شعـــر زهرة الحر ندرك الفرق بين شاعر فحـــل وشاعرة رقيقـــة وبين الجزالة والبساطــــة فزهرة شاعرة مقلدة في الشكل مجددة في المضمون سهلة الالفاظ والتعابير فهــي مجددة على طريقة المهجريين اما العاملـــي فهو شاعر مقلد في الالفاظ والاوزان والمعانـــي .

---

(١) قصائد منسيـة ص ١٢٣ .

(٢) " " ص ١٥١ " من الشعر الحديث لابراهيم العريض " ط ١ دار العلم للملايين ١٩٥٨ ص ١٦٦ .

آثـــارهـــا

" قصائد منسية " ـ " رياح الغريف "

الطائفة الثانية

وتضم الشعراء المقلدين في الشكل والمجددين في المعنى والغرض ومنهم من تتلمذ على يد ابناء الطائفة الاولى فهم تلاميذهم الا انهم حاولوا الخروج على طريقتهم وا لتغلب من قيودهم فوضعوا بذور التجديد الا انهم لم يجسروا على الخوض في اعماق التجسير التجديد فبقوا بين بين الا انهم ساعدوا ابناء الطائفة الثالثة والاخيرة على التحرر والتجديد الذى اطلقنا عليه اسم التجديد الانقلابى . ومن ابناء هذه الطائفة الشعراء السادة :

١ـ محمد على الحوماني وستأتى ترجمته .

٢ـ موسى الزين شرارة ولد عام ١٩٠٢ م اشتغل في السياسة وانتخب رئيسا لبلدية بنت جبيل لفترة طويلة ثم تعاطى بعض الاعمال التجارية و لم يطبع ديوانه وانما ينشر قصائده في الصحف والمجلات المنابر اللبنانية .

٣ـ عبد الحسين عبد الله ولد عام ١٩٠٠ وعمل في سلك الوظيفة في المحاكم وله ديوان مطبوع " حصاد الاشواك " ولم يطبع بقية نتاجه فاكلته نيران الحرب الاهلية التى اجتاحت لبنان اخيرا وذلك انه كان قد جمعه استعدادا لطبعه وكان يقيم في عين الرمانة فسرق بيته ونهب على يد الكتائب والاحرار وضاع شعره .

٤ـ عبد المطلب الامين (١٩١٦ ـ ١٩٧٤) ولد في دمشق وتوفى في بيروت ودفن في شقراء . أتم جميع مراحل دراسته في دمشق

وتحصل من جامعتها على ليسانس فى الحقوق وبين مدرسا فى دار المعلمين الوظيفية فى بغداد . عين قائما بأعمال سفارة سوريا بموسكو ، وعين قاضيا مدنيا بلبنان ، وعمل محاميا فى الكويت وقد تركه الاقامة فيها ويجيد اللغات الفرنسية والانجليزية والروسية . وقد أتينا على ذكر نماذج كثيرة من شعره .

٥ـ جعفر الامين وهو ابن العلامة السيد محسن الامين يعني انه شقيق عبد المطلب الامين . شاعر فكاهى مقل ، تختبئ معالم ثورته فى ثنايا السخرية من مواليد ١٩١٤م .

٦ـ نور الدين بدر الدين :
توفى عام ١٩٧٨ وهو من طبقة جعفر الامين وكلاهما قضى عمره فى التدريس .

٧ـ محمد يوسف مقلد شاعر مهجرى رقيق ولد فى تبنين وسافر الى السنغال ومن آثاره ديوان " الانسام " مطبوع عام ١٩٥٠ وهو - بالاضافة الى كونه شاعرا - كاتب مجيد توفى عام ١٩٦٩ م تقريبا .

٨ـ بولس سلامه ولد ١٩٠٢ وستأتى ترجمته .

٩ـ اميرة العوانى وهى ابنة الشاعر العوانى من مواليد عام ١٩٤٠ وقد وضعت الكثير من اغانى الاطفال للاذاعة اللبنانية كما وضعت الحانا كثيرة .

١٠ـ سلوى العوانى وهى كذلك ابنة الشاعر العوانى تعمل فى الصحافة وتنشر قصائدها فى الصحف اللبنانية والعربية .

١١ـ سكنة العبد الله ولدت عام ١٩٣٠ م ومن دواوينها المطبوعة مذكرات لاجئة عام ١٩٦٩ - نهاية التحدى ١٩٧١ .

١٢ـ عبد اللطيف برى وهو عالم فاضل وشاعر مقل مقيم فى تبنين .

١٣ـ عبد الرؤوف الامين (فتى الجبل) له ديوان " المواطف الثائرة " توفى عام ١٩٦٥ م .

١٤ـ على مهدى الامين وهو عالم فاضل وشاعر مقل من خريجى النجف توفى فى شقرا ١٩٦٠ م .

١٥ـ الدكتور حسين مروة شاعر مقل وهو ناقد كبير وكاتب مجيد اشتغل فى السياسة وهو نجفى الا انه عاد فاتجه اتجاهاً يساريا ماركسيا وله فى النقد كتاب نال عليه جائزة اصدقاء الكتاب (عام ١٩٦٤) وله فى النقد الاجتماعى (مع القافلة) .

١٦ـ جون جرداق وهو شقيق فؤاد جرداق شاعر وكاتب سا خر ومؤلف له كتاب (على صوت العدالة الانسانية) من مواليد مرجعيون ١٩٢٠ م .

١٧ـ كامل مصباح فرحات (١٩٢٨ ـ ١٩٥٨) على الارجح وقد سبق وترجمنا له .

١٨ـ نقولا قوبان : شاعر مرجعيونى مجدد ولد عام ١٩٣٤ م وله مجموعتان مطبوعتان هما " نيسان " عام ١٩٥١ و" نشيد الرخام والشمس " سنة ١٩٦٢ م وله عدة كتابات نثرية خصوصا فى مجلة " الرسالة " اللبنانية وله طريقة خاصة فى كتابة الشعر يتبع فيها مبدأ " تدنيس الكلمة " على حد قوله .

هذا ونكتفى بان نأخذ من هذه السائقة نموذجين فقط يمثلانها اصدق تمثيل حيث نورد بعض النماذج من نتاجهما وهما :

١ـ محمد على الحومانى

٢ـ بولس سلامة

وذلك لما لهما من اثر على الادب العاملي خاصة والعربي عامة فالاول قاد ثورة اجتماعية ودينية وسياسية ثم انطلق الى الاقطار العربية فعرف جيدا في كل من مصر وسوريا والاردن والعراق والخليج واخذ مكانته اللائقة في الشعر العربي . أما الثاني فقد ادخل شعر الملاحم الى الادب العربي في عصرنا الحالي . وكلاهما مجدد في المعاني مقلد في الشكل .

١ ـ محمد علي الحوماني

ولد الشاعر في بلدة حاروف في جبل عامل قضاء النبطية عام ١٩٠٠ م بدأ دراسته الابتدائية في النبطية بمدرسة السيد حسن يوسف ثم انتقل الى النجف الاشرف حيث درس اللغة والمنطق والفقه والبيان .. منحته جامعة دمشق شهادة ليسانس فخرية في الادب .

انشأ مجلة (بعد منتصف الليل) ثم أوقفها واصدر بدلا عنهما مجلة (العروبة) سنة ١٩٣٥م (. وهي المجلة التي شهدت ولادة الشعر الحديث وهي التي اظهرته للعالم حيث نشرت فيها اولى قصائده .

انشأ في القاهرة " ندوة الاصفياء " الادبية عام ١٩٥٦م . وفي المهجر أسس جمعية التعاضد الاسلامي في الارجنتين . عين رئيسا فخريا لعدة جمعيات للمغتربين العرب في امريكا اللاتينية والولايات المتحدة الامريكية ونال جائزة المجمع اللغوي في القاهرة للشعر في مسابقة بين الشعراء العرب عام ١٩٥٧ م .

من مؤلفاته

١ ـ ديوان الحوماني طبع ١٩٢٧ .
٢ ـ نقد السائس والمسوس .
٣ ـ القنابل (شعر وطني وسياسي) .

٤ ــ حـواء (شعرعاطفي)
٥ ــ فلان في سياسة لبنان طبع ١٩٤٧ ٠
٦ ــ النخيل طبع ١٩٥٠ ٠
٧ ــ أنت أنت ، مدائح نبوية ط ١٩٥٢ ٠
٨ ــ حـواء الملهمة (شهـر ١٩٤٣)
٩ ــ معلقـات العصر / شعر في الاملم علـى ٠
١٠ ــ الفيـة في الصـرف والنحـو ٠
١١ ــ ديوان المـآسـى ٠

ولـه مؤلفـات نثريـة منهـا ؟

١ ــ بين النهريـن (جزءان سنة ١٩٤٦) ــ ٢ ــ وحي الرافدين (جـزءات سنة ١٩٤٤) ٣ ــ سلـوى (رواية) ــ ٤ ــ المآسـى (روايـــة)
٥ ــ مع الناس (اجتماعـى ١٩٤٩) ٦ ــ من يسمع (اجتماعي سنة ١٩٥٢)
٧ ــ بلاسـم (في الفلسفـة ١٩٤٩) ٨ ــ دين وتمدين (ستة أجزاء ١٩٦٠)
٩ ــ القابـل والماضـى ٠

نمـــاذج مـن شعـره

أوردنا فيما مضى من الفصول نماذج كثيرة للشاعر وذلك في أغراض مختلفـة وهـو يشبه في شعره الى حد ما شعراء المهجـر ٠ وقد غلب على شعره طابع الأســى والحـزن والعذاب وحمـل آلام الفقراء والمعذبين والمحرومين وأحزانهـم على كتفيـه وارتحل بها عبر العالـم كما صنع هاشم محسن الامين وموسى الزين شرارة وعبد الحسين عبد اللـه وفؤاد جرداق وحسين مروة وغيرهم ٠٠ وجاب بها المعمورة وترددت أصداؤها في كل مكان أقام فيـه أو مـر منـه ٠ ولما كنا قد قدمنا الكثير من شعره فيما مضـى فاننا نكتفـي الآن بذكـر القليـل من النماذج ومنها :

السينيـــة

ربما أنضـج التجارب درســى	لثلاثين مـن سـنى وخمــس
ولقد تكشـف الغطـاء ليـومي	عن مآتـي غـيرى بصـيرة أمســى
قد لفظـت الحياة يشقى بها الحر	وترى منهـا يـبدا كل جبـس

أيهذا الاديب صفك صفي ... تحت أحداثها ودرسك درسي
كم أطوف البلاد شرقا وغربا ... فوق ظهرين من سفين وعنس
أى جد يغريه في أى عز ... تترامى اليه أية نفس

ومنها ؟

فاذا القول فيها دارملك ... واذا الفصل ثم دارة فلس
لا يغرنك في الشآم رجال ... موهوا بالرياء وجه الفرنسى
همتى همتى ففيم نواحى ... فى طلاب العلا ونفسى نفسى
أحرقونى بعد الممات اذا لم ... يبن من دارة الكواكب رمسى
أتحدى اصلاح شعبى ولما ... تعد كفاى لعبة المتخسى
لم لم يسمحوا وهم غير صم ... لم لم ينطلقوا وهم غير خرس

ومنها :

فاعجبوا للاديب وهو أديب ... واردا فى حياته ورد خمس
لا ألوم الصديق أن يتناسى ... سالفات العهود كالبعد ينسى
شرمافى الانام نعمى مليك ... هى فى شعبى عصارة بؤسى
قل لمن حاول الزعامة فينا ... بجدا نائل وشدة بأس
أخفقت بعدكم شجاعة عمرو ... وندى حاتم وحكمة قس
أفأستعرض الحياة " بنيورك " ... وفى "لندن "و"غوطة مرسى
ماالذى تبلغ اليراعة فى عد السهى وهى فى أنامل خمس (١)

*****

دموع قيثارة

تتصبانى من الروض الى ... وجهك الفاتن أرض وسماء
الثرى عين وخد وفم ... والسما نور وعطر وشذاء
يستظل الزهر أفياء المنى ... والمنى تطغى عليها الخيلاء
فتحج الشمس فى أعطافها ... حسرة تكرم منها ماتشاء
يتصباني الى عينيك من ... روضة غصن وعصفور وماء

(١) الديوان ص ٣٢ .

يتغنين فيملأن فمـــــي شربـا تغـرف منـه الندمـــاء
يالهـا قيثـارة مـل* يـدى من مآقيها دمــوع ودمـــاء
خفقـت بـين يديهـا كبـدى فجثـت بـين يدى الشعــراء (١)

*** ***

الحـب الشريـف

وعـذراء لـم تحسر لوصم خمارها ولا لعبت يوما بأعطافهـا يـد
خلـوت بها والليل مـرخ سدوله علينـا وشمل الهم عنـا مبـدد
فلما رأت أنـى أسير لحاظهـا غرامـا وانى بالعفـاف مصفـد
جلت لـى عن مثل الجمان مراشفا يظـل لديهـا الناسك المتعبـد
فقلـت لها ؟ تاللـه ماكنت طارقا لفاحشة يومـا وربـى يشهـد
اذا لازكت بالمكرمات أرومـتى ولا طاب لى منهـا نجار ومحتـد
ولا طبق الآفـاق ذكر فضائلـى ولا راق لى من منهل الفضل مورد
ولى من ركوب الفحش نفس أبيـة ويأبـاه لى مجد أثيل وسـؤدد (٢)

****** *****

هذا هو الحومانى الذى قضى حياته مشردا فى سبيل مبادئـه وجرأته ولم يـذق طعم الراحة والاستقرار الا عندما لبى دعوة ربه راضيـا مرضيـا عام ١٩٦٤ ، ونـنهى حديثنـا عنـه برأى لأحـد النقـاد الذى قال عنـه بأنـه ؟ " من أبناء المدرسـة التقليديـة التى تحفـل باللفـظ الجذل وتتأثـر بالاحداث العامة المحيطـة بهـا وقـد عـنى دائمـا بالدعوة الى الايمان بالوطـن العربى والقيم الانسانية والاسـلام والعروبـة " (٣)

---

(١) من مختارات ابراهيم العريض ص ١٥

(٢) الديوان ص ١٤٤ .

(٣) تاريخ الشعر العربى الحديث لاحمد قبش ص ٤٥٣ .

(٢)

بولـــــس سلامـــة

ولد بولس سلامة في قريـة " بتديـن اللقـش " من قرى جزيـن في جبل عامل عام ١٩٠٢ من والدى عنـترى المـزاج قوى العضـلات مفتـول الساعدين ووالــــدة ريفيـة ذكيـة بسيطـة . ودخل المدرسـة في الخامسة من عمـره وكانت " مدرسته " عبـارة عـن " كـوخ ذى باب واحـــد " كما يقولون ، وهي أشبه ماتكـون بالزريبـــة عدا أساليبها البدائيـة ، وفي عام ١٩١٣ دخل مدرسة المريميين فـي صيـــــدا التي تركهـــا بعـــد قليـــل ليعمل وكيلا لاعمال والـــده المتواضعـة وذلـك أثنــــاء الحرب العالميـة الاولى ، ثم دخـــل بعـــد ذلـك مدرسـة الحكمـة ليكون زميـــلا لبشارة الخوري (الاخطل الصغير) ، وشبل الملاط ، وجبران خليل جبران ..... ثـم انتخـب ليكون شيـخ صلـح فـي قريتـه وبعدها دخل الجامعـة الامريكيـــة ودرس الحقوق ثـم عمـل محاميـا فقاضيـا فـي عـدة مناطـق لبنانيـة ، وأحيل على التقاعـد عام ١٩٤٩ ميلاديـة لتبدأ رحلتـه مع العذاب والمرض ، ومازالـت تلـــك الرحلـة مستمرة حتى اليـوم ، فهـو قعيـد الفراش وقد عانى من المرض مالم يعـان منـه سواه . وقد لخـص قصـة حياتـه في كتابيـه : " حكايـة عمر " و " مذكـرات جريـح " حتى عام ١٩٦٠ . ولـه من المؤلفـات الشعرية : " علـى والحسـين " و " فلسطين وأخواتها " ومن النثـر : " الأمـير بشير " و " حديث العشيـــة " و " الصراع في الوجـود " عـدا عشرات المقالات والقصائـد التى كان ومازال ينشرها في كبريـات الصحـف والمجلات . وقد تحدثت عنه الكثير من الصحف في الوطـن العربـي ومنهـا : مجلـة دعوة الحق " المغربيـة ، والشاعر بعد ذلك مسيحـــى متشيع لاهل بيـت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا سابقا .

لقـد ادخل الشاعر الادب العربي الى عصر الملاحم البطوليـة ، فوضـع ثـلاث ملاحـم من أروع ماسطرتـه يراع الشاعر وهذا هو الشيء المميز في حياة الشاعر الادبية ، والملاحـم هـي :

١) ملحمـة عيـد الغدير .
٢) ملحمـة عيـد الريـاض .
٣) ملحمـة فلسطين وأخواتها .

وقد تحدثنا عن الأوليين ، أما الثالثة فيفهم موضوعها من عنوانها .

نماذج من شعر بولس سلامة

ونقطف من ملحمته الاولى " عيد الغدير " بعضا من قصيدته التى يتحدث فيها عن " هجرة على " .

هزه الشوق للنبى فشد العزم ... يهفو الى جماع المآثر
فى رمال الصحراء يسرى وحيدا ... مقفر الكف أعوزته الأباعر
فى الجراب العتيق صاع سويق ... أو قديد أو بعض تمران تامر
صابر فى العذاب والجوع حتى ... عجب الفقر من تقشف صابر
مفرد فى الفلاة ليس يؤاسى ... قلبه فى انبساطها الجهم سامر
يفرح التائه الشريد بصوت ... بعواء الذئاب أو نعب طائر
قد يهب الاعصار فيها فتغدو ... هضبات الرمال قعر حفائر
وتغيض الكثبان فالد و بحر ... مبهم الشط والمسافر حائر
وتعفى الآثار فالعين ظمأى ... تبتغى اثر منسم أو حافر
رب سنار يعلو كثيبا فيهوى ... واهن العزم مغمد الساق غائر
ياشوى الرمضاء أى جحيم ... ذقت فى غمرة السعير الفائر
والهجير اللهاب يكوى السحايا ... والرياح الهوجاء تعمى المحاجر
يالهاة الظمآن تحلم بالآبار بالنبع بالسحاب الهامر
عيدها أن ترى السراب فتهفو ... ولو أن السراب خدع النواظر
فهجير الصحراء للظامىء الغرثان موت فيا انتزاع الحناجر (١)

* * * * * * * * * * *

رثاء أمير المؤمنين

غاب ضوء النهار قبل انقضائه ... هات ياشعر أدمعا لرثائه
واذكر النسر عاليا لم يدنس ... فالاثير الطهور فى أجوائه
يكسف الشمس بالجناح مريضا ... ويسير الفضاء رحب فضائه
همه فى النجم لم يلق طرفا ... فى الثرى حالما بخصب نمائه

---

(١) عيد الغدير ص ٤٦

سابح فى العلاء فد الخوافى — فى جب بين الشعاع فى لألائه
فى خضم من الضياء رحيب — صب فيه الآله فيض بهائه

*** ***

زوج بنت الرسول خلقك أسمى — من مناط العيوق فى اسرائه
شيمة النور أن يظل نقيا — لا يمس الغبار كنه صفائه
وغنى الاخلاق ليس فقيرا — انما مجده بكبر شقائه
يكتم الجرح داميا ويوارى — ماتكن العيون من رقبائه

*** ***

يربض الليث فى العرين أبيا — والدنايا بعيدة عن هوائه
ويرى الارض كلها لا تساوى — أنة من أساه أو من عيائه
قد رأيت الدنيا الغرور عجوزا — هام فيها مغفل من عمائه
خدر الجهل عينه فرآها — نجمة الصبح لألأت فى خبائه
قد يطول الحلم المزور يوما — ويمد السكران فى اغفائه
واذا أقبل الصباح صدوقا — جرف الليل حلمه برداائه
فاذا صدره على صدر أفعى — واذا ثغره على رقطائه (١)

*** ***

وحدة

صوت العذاب أطال سهده — فرنت لأنته المخده
أناته الحمراء جارية — مع الانفاس وقده
لسنم الوسادة عمره — ما أطول الاعوام رقده

*** ***

ألم

ياموت يا ملك الحنان ظلمتنى — وأدرت سمعك عن جريح ندائى
أشرى بروقك أن أعيش معذبا — جسدى تمزقه نيوب عيائى
داء تخلل فى العظام فردها — فلذا وأشلاء على اشلائى
سالت على حد المضاجع مهجتى — فشفارها مصبوغة بدمائى (٢)

---

(١) الغدير ص ١٨٣ .

(٢) مذكرات جريح ص ١٨٤ .

الفصـــل السادس

المجـــددون ومناحـــي تجديدهم

عندما قسمنا الشعراء في جبل عامل الى ثلاثة طوائف على أن الاولى منهما تضم المقلدين المحافظين ، والثانية تضم المقلديـن المقتصدين في التجديد ، الا أنهم طرقوا بابه الذى فتح أمامهم على مصراع واحد ، كما ندرك أن تلـك الطائفة هي القنطرة التي عبر عليها الشعراء الشباب الى صحراء الجديـد بعدما فتحوا المصراع الثاني لباب الادب الحديث في هذا العصر ، وعلـى كل حال فمن المجددين من حالفه الحظ ، ومنهم من تعثر وسقط ، ونحن الآن لانقوم أدبا ، وانما نستعرض ونؤرخ ونترك التقويم لنطرق بابه في ثنايا حديثنا الآتي بعد قليل .

ونجد الطائفة الثالثة وهي طائفة المجددين تجديدا مطلقا بالمعنى المألوف المعاصر تضم الشعراء الشباب الذين أطلقنا عليهم اسم المجددين الانقلابيين الذين أحدثوا تغييرا في الشكل والمضمون ، وهؤلاء هم دعاة الشعر الحر وطائفتهم تضم الشعراء الآتية أسماؤهم :

١) الياس لحـود .. ستأتي ترجمته .

٢) محمد علي شمس الدين .. ستأتي ترجمته .

٣) حبيب صادق .. ستأتي ترجمته .

٤) ياسر بدر الدين .. ولد في النبطية عام ١٩٤١ وله كتابة على حاشية الجرح طبعة ١٩٧٣ ، و " طيور بعد الطوفان " طبعه سنة ١٩٧٨ .

٥) عبد الكريم شمس الدين .. من مواليد سنة ١٩٢٨ م ـ مجدل سلم ـ وله عدة دواوين مطبوعة منها " الجرح الدمي " و " مواسم " .

٦) الدكتور خليل احمد خليل .. من مواليد " بير السلاسل " عام ١٩٣٧ درس في لبنان وأكمل دراسته في فرنسا ـ له بعض الاثار المطبوعة منها " بير السلاسل "

٧) حسن عبد الله .. ولد في الخيام عام ١٩٤٢ ودرس الآداب في الجامعة اللبنانية ـ ينشر نتاجه بالصحف والمجلات الادبية اللبنانية وطبع أخيرا مجموعة بلمسم " أذكر أنني أحببت " عن دار العودة .

٨) محمد عبد الله .. شاعر ناشئ جيد واسع الثقافة ولد عام ١٩٤٥ في الخيام — له مجموعة قصائد منشورة بالصحف والمجلات .

٩) حسين علي صعب .. شاعر جيد ، ولد عام ١٩٣٢ في بنت جبيل لم يمهله الموت فقضى عليه في ريعان شبابه عام ١٩٧٢ بعد ما ترك ديوانا مخطوطا وقصائد كثيرة منشورة في مختلف الصحف والمجلات .

١٠) هاني فحص .. شاعر شاب ولد عام ١٩٤٨ وتلقى دراساته في النجف الاشرف في العراق وهو شاعر مقل قضى على شاعريته بالتمائه السياسي الثوري وانصرافه للكفاح المسلح في صفوف الثورة الفلسطينية .

١١) عصام محفوظ .. ولد في مرجعيون عام ١٩٣٨ وهو شاعر جيد أصدر " أشياء ميتة " عام ١٩٥٩ عن مجلة " شعر " ، و " أعشاب الصيف " و" السيف وبرج العذراء " وله مسرحيات مقتبسة .

١٢) حمزة عبود .. من الشعراء الشباب المقلين ، وله نتاج شعري وأدبي وشعره في غالبه نثري .

١٣) حسن حمدان .. هو كهاني فحص الا أنه كاتب جيد وله أسماء حركية منها : " مهدي عامر " و" ربيع بن زيتون " وهو أستاذ في الجامعة اللبنانية وهو من مواليد عام ١٩٣٥ في حاروف .

١٤) شوقي بزيع .. يكاد يكون من أصغر الشعراء الشباب سنا الا أنه من أجودهم نظما لولا انجرافه أحيانا في اللاوعي ، ولد في زبقين عام ١٩٤٩ ، أصدر أخيرا عن دار الآداب " عناوين سريعة لوطن مقتول " .

١٥) ياسين سويد .. من العرقوب ، ولد عام ١٩٢٠ وهو شاعر مقل .

١٦) أديب الحر .. شاعر مقل ينشر شعره في المجلات والصحف .

١٧) نزار الحر .. وهو كسابقه شاعر مقل ولد عام ١٩٢٧ .

١٨) موسى شعيب .. ولد في " الشرقية " عام ١٩٤٣ . وهو من أضراب هاني فحص ، نشر مجموعة صغير باسم " هيفاء تنتظر الباص على مفرق تل الزعتر "

١٩) أميرة الزين .. شاعرة جيدة لا بأس بشعرها الا أنها لم تصدر ديوانا بعد وتكتفي بنشر قصائدها في المجلات .

ونأخذ ثلاثة من هؤلاء نعتبرهم رواد الشعر الحديث في " جبل عامل " وأغزرهم نتاجا كنماذج للشعراء المجددين مع تقويمهم على أساس آراء النقاد بهم والتي تقدم بعضا منها ثم نعرض في ثنايا حديثنا آراءنا الخاصة من خلال اجتهادنا الشخصي وهؤلاء الثلاثة هم :

١) الياس لحود .

٢) محمد علي شمس الدين .

٣) حبيب صادق .

الياس لحـــود

ولد الياس لحود في مرجعيون سنة ١٩٤٢ وتعلم هناك ثم انتقل الى صيدا فبيروت وعمل في التدريس والصحافة ، وربما كان هذا الشاعر من أحسن النماذج لشعراء جبل عامل المجددين وذلك لسعة ثقافته وحدة ذكائه وقوة شاعريته وتدفق الهامه الذي يصدر عن احساس صادق ومشاعر مرهفة رقيقة تجعله يتدفق حماسا بأناشيده التي تحكي قصة شعبه المكافح ، وتروي غليل المعذبين في الارض حيث تصور وتجسد آلامهم وأحزانهم .

والياس لحود متناقض مع نفسه متناقض في شعره ، ففي الوقت الذي تراه متشائما كابن الرومي تراه ساخرا كأبي نواس ، زاهدا كأبي العتاهية ، ثائرا كالحلاج ، ومع هذا فهو يمتلك قلبا كبيرا ، وحنانا دافقا وبديهة حاضرة .

كتبوا عنه كثيرا ومنهم من ظلمه كزميله الشاعر محمد علي شمس الدين ومنهم من أنصفه ، والجديد في شعر لحود أنه استطاع أن يحول المأساة الى طهاة وجعلنا نطل على أحزاننا من شرفة شعره الساخر الضاحك ونتلهى بالآلام ... فكان أن صنع ما يسمى بالبسمة المرة ترتسم على وجوه المكدودين والمعذبين واستطاع ان يتلاعب بالالفاظ فحول الصرخة الى قهقهة عالية نستشعر منها الالم الممض وحول الحسرة الى بسمة ساخرة تطفو على سطح الحزن والالم ... هو ثورة باطنية مموهة بالبسمة الكاذبة ... وهذا هو الشاعر الحق .. يعيش مع شعبه .. يلتصق بجماهيره .. يرسل جذوره في أرض أهله فتنمو وتمتد فروعه منبسطة فوق ثرى الوطن يتظلل بأوراقها المتعبون ... انه الياس لحود الانسان الذي خلع طائفيته

يم غلى سعر الطائفية الرخيص — أصلا — فى لبنان ويم شوه المتعصبون طوائفهم ولبس الشاعر سماحة الدين المسيحى وأصالة العروبة الشامخة وجمل من الانسان شعارا له •

وهاك نموذجا من شعر الياس لحود ويليه نقد لشوقى خميس ؟

رقص الحصاد

حين يلفحك النور والمقل اللولبية
تهوى على القمة العابقة
منجل الافق يرتج
تطفئك الريح تذرى رماد اخضرارك
تطوى يداك المناجل شمس
تعيدك حجرا نديا وأغنية شاهقة
ويوقظك الفرح النازف ترهق ساقيك
خنجر الطين ينفذ فى تربة الخارج
فى تربة الداخل تجهض الحفرة
هذا مخاض المواسم
فارفع دماءك وارقص دماء الينابيع
جفت على قدم الشمس ••• ينكسر الغيم
والدفء همس ندى
حروف المشاعر تنبض هذا مخاض السنابل
طوق بكفك غمرا جريحا
وآخر فى هبة عاشقة

*** ***

تنشد والاجواء على سفن شمسية
تتبعثر فى الميناء
كسرب نسور عابقة بالنار
تظهر فى سحب المزمار

بعد غياب الازمنة الذهبية
تنشد والايام تحرك أرجلها الخلفية
فى كفيك التاريخ المتصدع
والآلام الصدئة
الأفق العربى يذوب على اللهب الدموى
جنوبى هذا الزمن المتهدم
يرتفع اللحن
وجنوبى هذا التعب الخائف
يصدر هذا الجفن
ومتى صدن الأزمنة المهترئة
ندفنها فى الموت الضاحك
نرجع قبل الحزن

*** ***

تأمرنى أشواقك أن أحصد أشواقى
شدت أغصار السنوات التعبة
وعلى الحرات العربى دموع من أطياف الموسم
بحر الذهب السائل
يتقيأ فى الوطن الذابل
بثر التار حبال من أوردة النار
كرم تجهض أشرعة تتلوى
بعد ليال يطبق جبل مقصوص الافكار
وبعد تلال تورق أمسه
ريحك بحر من أجراس القمح
وأشرعتى تتلبد بالفرح الجورى
ومزمار الصوان يردد أياما مرتفعة
بعد جبال يطبق جيل مقصوع الافكار
بحر من أنفاس القمح
وداعا أيتها القبلية أيتها القبلية

حين يقصد الشوق سأبدأ جسدى
موسمك الجسدى يكون خرير النضج (١)

*** ***

نقد القصيدة ..

بقلم : شوقي خميس

نادرة أناشيد الفرح فى حياتنا وفى شعرنا الحديث ، وقصيدة " رقص الحصاد " واحدة من هذا النوع النادر ، فامكانية روية مايفرح فى عالمنا تتطلب قدرة خاصة لتقييم فلسفة بنائية تدعم روح المقاومة والتشبث بالحياة عند الناس . وهى فى النهاية موقف ايجابى من الشاعر خصوصا أنه يستنبت نشيد فرحته من تراب أرضنا العربية وترابها الحى ، وهى لا يسير فى طريق ممهد اذ لا يلجأ الى تمجيد الابطال والتفاؤل الساذج والنهايات السعيدة لكنه يشق طريقه فى الصخر واللهب ويعبر الاسلاك والحدود المصطنعة ، قويا بعشقه العظيم الذى يتحدى الذبول والموت أشبه بالكاهن الآمن الذى يحفظ طقوس الخير والحب للاجيال القادمة بحوريس الذى كان يصارع فرس النهر القادم من الصحراء ليأكل زرع الفقراء وهو مزود بسيفه الشجاع وبأغاني الفلاحين الذين يغذون في قلبه الحماس ، والقصيدة اذن ليست قصيدة فرح عادية وانما فرح يتخلق كالابداع من خلال الصراع المميت بين قوى الحياة والموت . والدراما فهى هذه القصيدة ليست دراما الزمن الممتد وانما دراما اللحظة الواحدة التى تموت فيها الأشياء لتولد فى نفس الوقت أشياء أفضل . وموقف هذا الشاعر ليس معلنا على نحو مباشر وان كان واضحا من البيوت الاولى .... انه يسبح ضد التيار ، وهذا بالضبط ماعلينا أن نفعله الان وما يفعله الاحرار فى كل زمان عندما يقف العالم ضدهم لكن السباحة شاقة ولكن هل من بديل الا الجمود والموت ؟

هذا مخاض المواسم
فارفع دماءك وارقص

الشاعر هنا يتخذ موقفا واضحا ليس ضد الاستسلام الرومانسى فحسب بل ضد الواقع الدموى أيضا ليؤكد حقه فى الحياة وهو عندما يحرر نفسه من الرضوخ يحرر الجميع أو على الاقل يضعهم أمام حريتهم (١)

---

(١) الآداب اللبنانية عدد (٢) شباط ١٩٧٥ ص ٧٩ .

ونحن نرى أن الموسيقى تنعدم فى هذه القصيدة التى خرج فيها الشاعر علـى الاوزان المعروفة ، ولكن الموسيقى الداخليـة متدفقة والروح الشاعرية متوفـرة فالصـور رائعـة والخيال خصب ... كلها تصلح للشعر بل خلقت لتكون شعرا ... الا أنها لم تنتظم فى عقد فجاءت شعرا بروحها نثرا بشكلها . استمع معـى الى قول الشاعر :

تطوى يداك المناجل شمس

تعيدك جمرا نديا وأغنية شاهقة

ومتى يكون الجمر نديـا ؟ اللهم الا اذا دخل خيال الشاعر ، وعندئذ يكيفه كما يريـد فجعلـه كذلك ليثير فى نفوسنا شعورا خاصا ويستفز أحاسيسنا علنا نتلمس الواقع المر فى هذه الحياة ... ثم تأمل هذه الصور :

مخاض المواسـم ، قدم الشمس ، سحب المزمار والازمنة الذهبيـة التاريخ المتصدع ، الآلام الصدئـة ، واللهـب الدموى ...

ويأبى الشاعر الا أن يضعنا وجها لوجه أمام ثورته الساخرة وسمته المرة الـتى رأيناها فى ديوانـه " فكاهيات بلباس الميدان " ف :

بحر الذهب السائل ،

يتقيأ فى الوطن الذابـل

وأخيرا فالشاعر صاحب موهبة نادرة ، الا أنه قد سلك طريقا ملتويا باتباعـه طريق الشعر الذى يموت فى شبابه فلو أنه صاغ تلك الصور الفذة الرائعة فى قالب شعرى راقص جذاب كتلك التى قرأناها له فى غير موضع لكان أروع وكان أعظم ...

آثـــار الشاعـــر

ـ على دروب الخريف " صادر عن دار الروائع ببيروت ١٩٦٢ ـ والسد بنينـاه صادر عن دار الكتاب اللبنانى عام ١٩٦٧ ـ " فكاهيات بلباس الميدان " ـ ركاميات .

::::::::

(٢)

محمد علي شمس الدين

ونعود ثانية للأسر العاملية التي توارثت الشعر فشاعرنا من الأسرة التي أنجبت الكثير من الشعراء ذكرنا عددا منهم فيما سبق • ولد الشاعر في مجدل سلم عام ١٩٤٢م وينتمي الى مدرسة الجيل الجديد من حيث الثقافة ونبذ التقليد والموقف من التراث ، دخل المدرسة الحكومية التي عرفت بمحاربتها للغة العربية والتقليل من أهميتها وهي الفلسفة التي رسمت على أساسها سياسة الدولة في حين أولت اهتماما زائدا للغات الاجنبية وعلى رأسها اللغة الفرنسية لغة الاسياد ، نشأ الشاعر في هذا الوسط فهو يميل اذن الى الفكر الاجنبي تربية والى الفكر العربي عاطفة ودما • واستطاعت التيارات السياسية التي أحاطت بالشاعر أن تؤثر فيه وتبعث فيه الروح القومية الا أنها كانت تلك الروح مشوهة مازالت بحاجة الى الكثير من عمليات التهذيب والصقل • وقد اكتسب عن طريق تلك الاجواء ثقافة واسعة دفعته الى البحث عنها روح المنافسة والمفاخرة أحيانا وبذلك عبدت أمامه طريق الثقافة الشرقية ، وهكذا استطاعت العواطف الشرقية أن تتغلب عليه فكرا ومعنى الا أنه صاغ تلك العواطف في قوالب غريبة بعيدة عن القوالب الشرقية الا نادرا •

حطم شمس الدين بحور الشعر ، وخرج على تقاليدها ، وسار مع قافلة الشعر الجديد بسلبياته وايجابياته ••• الا أنه كثيرا ماكان يعود الى التقليد ، عندما تدعوه الحاجة الى ذلك ، أي عندما يقف على أحد المنابر ليخاطب الجمهور فانه كان يستدر عواطفهم بما ورثوه عن أجدادهم من حب للموسيقى الساحرة الاخاذة التي صار يصبها الشاعر في أوزان الخليل لأن الجماهير لا يثيرها الشعر الخالي من الايقاعات الموسيقية على الاطلاق ••• الا أن الشاعر كان سرعان مايعود في صالونات الرفاق والاصدقاء حيث يحلو لهم التهكم على كل ماهو قديم ، الى الكلام الباهت الشاحب الذي يرصفه بسطور عوجاء شوهاء يطلق عليها اسم الشعر الحديث فيتلوه أمام رهط ممن لا يعجبهم شيء فيتظاهرون بالاعجاب بما يقوله الشاعر لهم فيشبعون غرورهم وغرور الشاعر معا •

تأثر الشاعر باعترافه - بشعراء عرب كثيرين ممن ينتمون الى مدارس التجديد بسيد ، كبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ومحمد الماغوط وأدونيس وغيرهم . وسار باتجاههم ونسج على منوالهم ، وقد كتب عنه عدد من النقاد العرب مثل شوقي خميس ومحمد ابراهيم أبو سنة وغيرهم .

ومن ثم فان شمس الدين شاعر حديث بالمعنى الذى ذكرناه وهو بانتمائه لمدرسة الشعر الحديث يقرر أن هذا الشعر غربي النشأة . يقول لصحيفة ليبية : " منشأ الشعر العربي الحديث هو منشأ غربي من حيث الشكل" ومن رأيه فى الشعر يقول " أعتقد أن الشعر خاصة والفن عامة هو فعالية ذهنية ونفسية فى اطار لغوى وتكون شريحة مايسمى بالبناء الفوقى فى المجتمع وهى متأثرة بشكل مباشر بالبناء التحتي فى المجتمع وهو ليس تأثرا آليا بمعنى أن الشاعر يبدأ باطلاق القصائد مثلا عندما يبدأ اطلاق النار ولكن هذه العلاقة هي جدلية معقدة وبالتالى فانه ليس هناك فن معلق فى الهواء " ثم يقول الشاعر " اننى لازلت أتلمس طريقى عبر هذه التوازنات وأقصى ماأتمنى الوصول اليه هو كتابة القصيدة السياسية بالمعنى الشمولى والتى تصل بصفة متحركة الى أوسع مساحة جماهيرية مع المحافظة على عناصرها الفنية الاساسية التى تعصمها عن الصراخ أو الوقوع فى التبشيرية أو الخطابية " (١) .

هذا هو رأى الشاعر بالشعر الحديث الا أنه يبقى متأرجحا فى قصائده بين التفلت من الاوزان وبين العودة اليها عودة العاجز المنهزم كما سيتضح لنا من خلال نماذجه التى سوف نعرضها أما ماقيل عن الشاعر فمنه ماقاله الشاعر الناقد المصرى محمد ابراهيم ابو سنة عند نقده لاحدى قصائد شمس الدين ، يقول أبو سنة : " قليلون هم الشعراء الذين ينجحون فى المغامرة حيث يتصورون أن يتجاوزوا نطاق ماهو شائع ومألوف وهؤلاء القليلون يعرفون أن مغامرتهم محفوفة بالاخطار لكنهم يقدمون والشعر العربي فى حاجة ملحة للمخاطر والمحاولات والابداع والابتعاد عن المتكرر بحثا عن الجديد والمدهش " ثم يقول الناقد : " ان قصيدة " البحث عن غرناطة " غنية بالشعر الجيد بالدلالات المتخمة بالمعانى بالرغبة القادرة على نحت شكل خاص ولغة خاصة لان الشاعر يؤمن بأنه يملك عالما خاصا وقد نجح الشاعر فى أن يدخلنا الى عالم جديد برغم أن التكنيك الذى يستعمله قد أصبح شائعا الا أن السيطرة التى أظهرها

---

(١) جريدة الفجر الليبية عدد ٥٢٠ - ١٨ آيار مايو ١٩٧٤

على هذا الشكل تستحق الاعجاب . هل تتحول " غرناطة " لى القصيدة الى مستحيل أم الى ممكن ؟ ان الاحتمالات التى يقدمها الشاعر غنية جدا ... انها حقا قصيدة طيبـة » (١) .

وقبل أن نضع القصيدة المذكورة كنموذج للشاعر لابد من القول أننا سنبقى حائرين فيما يريده النقاد والشعراء المحدثين من الجديد والابداع والبحث عن "المتكرر" الذى أشار اليه الناقد ، كما أننا نبقى فى حيرة من أمرنا ازاء مايطلقه الناقد من صيحة عن المغامرة والحاجة الملحة اليها فى شعرنا الحديث ، كما نبقى فى حيرة أيضـــا امام تلك العبارات المقعرة المبهمة والمصطلحات التائهـة فى بيداء النقد الحديث .

اما شاعرنـا فهو على الرغم من ذكائـه وعمق ثقافتـه يبقى فى كثير من قصائـده سطحيا ويتوكأ فى بعضها الآخر على سابقيـه ومعاصريه فى آن واحد مستعينا بتراثنـا العربى أحيانا أخرى ، ومهما يكن من أمر فانه بالرغم من كل محاولاته اليائسة يبقـى كغيره بعيدا عن الابداع والابتكار فليست الصور التى ادعـى هو وغيره جدتهـا الا مسخا لصور قديمة اللهم الا ماقاله عن سقوط المطر الى أعلى فى بعض قصائده .(٢)

واليك بعضا من القصيدة التى تحدثنا عنها :

البحث عن غرناطـة

عنق النخيل يصل فى أجراسه (بردى) ويشربه الخليج يدق نافذة
بذكرتى ويفتح ثغرة فى الرأس توصلنى ويفجأنى النحاس
لغتى مدمرة وأعلم أننى لاملك لى
مازلت أقرأ طالع الابراج أقذف نجمة كالنرد فوق رمالك الملكيـة
الصفراء ثم أعيدها
وتدور بى قدمـاك تسقط مثل برج الماء قبة تهدك النبوى (لاأبكى)
وأسقط حين تبتدئين فلبتدئى
من خلف نافذتين للغرباء ، مثقلة بماء النطفة الاولى مكثفة بسحر
زمانك المفقود فى " غرناطة " الجسد
لاتلتقى فى البحر غير أصابع الاطفال (أجنحة يخبئها الخليج) وتنزلين

(١) الاداب ع ١٠ سنة ١٩٧٣ صفحة ٧٢
(٢) راجع قصيدة الشاعر "موت مطر لازم " فى ديوانه الجديد .

في مرآته الزرقاء تتكشف الخديعة لي . (كلاب البحر والقرصان) تنشطرين
في الزبـد
قدمي بوجه الماء ترسم ظل آلهــة مشردة على الشطآن أرصفها
كآنيــة على قدميك ثم أبيدها
وأبيد ذاكرتي ، وذاكرة النخيل أقول : اني آخر الموتى ووجهك أول (١)

******

هذا هو المقطع الاول من القصيدة والجديد فيها تلك العبارات والصور ، فللنخيل عنق ، والخليج يشرب ، والنهد نبوى ، وماء النطفة الاولى ، ثم ذاكـــرة النخيل ... وهى كما نرى صور مفتعلة ومركبــة . أما ماء النطفة الاولى فانه يذكرنا بالشاعر القديم الذى قال للظريفة :"وتخــافك النطف التى لم تولــد " قالها أبونواس آنذاك وكان متهيبــا ، أما الشاعر اليوم فانه يقول ماهو أقبح منها ولا يخشى ،ويقول: " النهد النبوى " مثلا ولا ندرى أى معنى لذلك النهد الا أن يتكم الشاعــر ذات يوم ويشرحه لنا ولعله لن يفعل ...

أما الوزن فاننا نحس بالموسيقى تسرى بين الجمل والعبارات دون تناغم ويكاد المرء يلهث وهو يجرى وراء الموسيقى فالتفعيلات قد زادت عن الحد المقبول وهى مـــن البحر الكامل الذى لا تزيد تفعيلاته بحال من الاحوال عن ست وهى " متفاعلـــن " الا أننا رأينا فى السطرين اثنتى عشر تفعيلــة ، فى السطر الاول سبع تفعيلات زائـد " فعلن " موصولة " مع السطر الثانى (مدورة) لتكمل التفعيلة .

والمسئول عن هذا الطول هو الطبيعة المتدفقة للشعر الحر كما تقول نازك الملائكة (٢)
ومهما يكن من أمر فان للشعر الحر مزالق كثيرة لا يمكن للشاعر أن ينجو منها أو يتجنبها

---

(١) الديوان ص ١٦ ــ الاداب عدد ٨ سنة ١٩٧٣م
(٢) قضايا الشعر المعاصر ص ٣٣

(٣)

حبيب صادق

هو ابن الشيخ عبد الحسين صادق والرجلان يمثلان تيارين مختلفين ولو اكتفينا بدراستهما فقط لتحصلنا على صورة واضحة عن الشعر العاملى بتزمته المطلق وتحرره المطلق ... فالأب محافظ والابن مجدد ، والاول يحافظ على الوزن والقافية أما الثانى فيضعهما فى الدرجة الثانية ، الاب ينتقى الالفاظ بعناية فائقة ، والابن لا يتعب نفسه بها ولا مانع لديه من زج أى كلمة مهما كانت نابية وذلك مثل " يبول " و " يتقيأ " كما رأينا .

فى بيت عاملى واحد اجتمع الضدان فى الفن والفكر وكل منهما يمثل جيلا كاملا فالأب رجل دين والابن ماركسى .

ولد حبيب فى ظلال تلك الاسرة المتدينة ، ولكنه خرج عليها فى كل شىء واختلف معها فى كل شىء حتى فى السياسة وحبيب رجل ذكى وشاعر مجيد لولا أنه انصرف الى السياسة التى افقدته بريق الشعر ولمعانه ... انه قادر على العطاء ولكنه لم يستطع توزيع قدراته فكان اهتمامه السياسى على حساب شاعريته التى أوشكت أن يعلوها الصدأ مالم يسارع بصقلها من جديد وهو القادر على بعثها حية قوية شابة ... ولد الشاعر فى النبطية عام ١٩٣٢م ، أتم دراسته فى لبنان فى الجامعة اللبنانية وتولى بعض المناصب فى الدولة .

ومن آثاره المطبوعة : " فصول لم تتم " طبعة دار الاداب سنة ١٩٦٩م — " فى زمن القهر والغضب " طبعة دار العودة عام ١٩٧٣ بالاضافة الى عشرات القصائد والمقالات النقدية الموزعة هنا وهناك على صفحات المجلات الادبية والصحف المحلية والعربية . ويعتبر حبيب صادق ناقدا أكثر منه شاعرا ذلك أن الشعر فى حاجة الى الصفاء الذهنى وهذا مايفتقر اليه الشاعر لممارساته السياسية المعقدة والتى تتلاءم مع النقد والكتابات النثرية أكثر من الشعر ، وكلما غلب العقل على العاطفة كلما رجحت كفة النقد وبالعكس .

ونورد فيما يلى شيئا من نتاج الشاعر حبيب صادق :

(١) حلـم ليلـة صيـف

على ضفاف النيل الازرق
جاءنى فى آخر الليل
على جـرح تييس
جاءنى والصمت
لم ينطق بحـرف
كان أخرس
وحدها عيناه قالت :
لم أكن أحلم
كان الليل من حولى
وبابى كان موصد
كنت وحدى أذرع الغرفة
أحصى خطواتى
مئـة .. الفا وألفا
ثم أبدأ
أجمع الوقع بصدرى من جديد
وأعيـد
مئـة ألفا وألفـا
قال : اقرأ ...
وحدها عيناه قالت ...
كان أخرس ،
جاءنى ، فى آخر الليل
على جرح تييس
كنت فى الغرفة وحدى
كنت مجهد
حاسر العينين أحصى خطواتى

لم أكن أحلم
كان الليل من حولى
وكان الباب موصد
انما كنت على جمر توقد
لا أرى فى صفحة العتمة الا نظراتى
تتهاوى عند سفح الحائط المشدوف حولى
كنت أحصى خطواتى
مئة ، ألفا وألفا
أى جرح حول هذا العنق القائم فى عرض الجدار ؟!
أثر التقبيل من حبل ؟
أجبنى ... أين صوتك ؟
قهقهت عيناه فى صمت
تلمست جبينى
وتقفيت الأثر
أنا لا أحلم
لكن عيونى

** ***

عدت أحصى خطواتى
مئة ... الجرح فى عرض الجدار
ها أنا أمسك بالحبل
أناديك أجبنى
أعطنيه ، الطرف الآخر ،
لن ألمس جرحك
نزف الحائط ، حزت رقبة الصمت ،
وصار الليل من حولى أحمر
صار نهرا
سمك القرش ، يغطى ماءه
يحمى الضفافا
التماسيح الغلاظ القلب حف:
أكل الطير فراخه ...

التماسيح الغلاظ القلب جفت
أكل الطير فراخه (١)

*** ***

في هذا الجزء من القصيدة تتجلى روح الشعر الحر بموسيقاه العذبة كما وضعتها نازك الملائكة وكما أرادها البعض من النقاد والادباء ... فالموسيقى تنساب مع القصيدة وتتغلغل في جملها وعباراتها بشكل واضح وهذا مايدل على أن في عروق الشاعر دماء عربية خليلية ليس من السهل أن يتخلى عنها وتلك الروح هي التي تضفي الجمال على قصيدته وتجعلها مقبولة في الاذن وليته صنع مثل هذا في كل قصائده .(٢)



(١) مجلة الطريق اللبنانية - كانون الاول عدد ١٢ سنة ١٩٧١م ص ١٧

الفصل السابع

منزلة الشعر العاملي
من
الشعر اللبناني والعربي

لاشك أن الطائفية البغيضة قد لعبت دورا أساسيا سيئا في حياة لبنان السياسية والاجتماعية والادبية . فكما أن المسلمين كانوا يتبعون دينيا وعاطفيا الى كل من الازهر الشريف في مصر والنجف الاشرف في العراق حاضرتي العروبة والاسلام ، كان الموارنة اللبنانيون يتبعون دينيله وفي كثير من الاحيان ، عاطفيا ، الى أوربا حيث الحقد الكامل على العروبة والاسلام . وتبعا لذلك فان المسلمين كانت ألسنتهم تستقيم في الوقت الذي كانت تعوج فيه ألسنة المسيحيين الذين كانوا يتعدون ، بتوجيه من الاوربيين ، عن لغة القرآن ويناصبونها العداء ففسدت سلائقهم ونشزت أساليبهم ، وهذا ماتؤكده الحوادث التي مر بها لبنان من أكثر من عشرة قرون ، وكانت الأحقاد تنمو بين الفريقين منذ أن آوى مسيحيو لبنان الصليبيين ونصروهم الى أن مدوا أيديهم الى الصهاينة وتعاونوا معهم ضد العرب والمسلمين في السنوات الاخيرة ، وهذا مايعرفه العالم أجمع.

وفي العصور السالفة أي ماقبل القرن العشرين كان يتحدث "فيليب دي طرازي" عن " فيلسوف " الموارنة " العبقري الفذ " جبرائيل اللحفدي المعروف بابن القلاعي المتوفى عام ١٥١٦م ، ويقول عنه " كان على جانب عظيم من القداسة والعلم والغيرة وكان وحيد عصره ونتيجة دهره ، بلغ من كل فضيلة غايتها "(١)

ومن " شعر " هذا " العبقري " :

بشرى بيوتك احترقت | بشرى كتبك اختنقت
كانت محصنة تشتتت | لأنها قطوة طغيان

++++

(١) تاريخ لبنان لطرازي ص ٧٤ ـ أوراق أديب ص ١١

نمرة يعقوب حلت فيك ... ويعقوب عاجز ليس يحميك
اطردي يعقوب الساكن فيك ... واقتبلي البركات من هذا الآن

+++++++++

كملت وبالدموع انكتبت ... ومن التواريخ اتخذت
عن ستمايه علم حصلت ... عهد مارون في جبل لبنان

+++ +++

ومن "شعر" فخر الدين المعني جاسوس الصليبيين ومعتمدهم في لبنان في القرن السابع عشر قوله :

نحنا صغار وفي عين العدو كبار ... انتو خشب حور نحنا للخشب منشار
وحق طيبة وزمزم والنبي المختار ... مابحمرك يادايرالا من حجر عكار

ومن " شعر " القس الياس عويضة في مدح الحاقلاني أحد تلامذة روما " اللاهوتيين " وصاحب النفوذ والاعتبار لدى الكرادلة والملوك والبابوات في القرن السابع عشر " قوله :

وشماس ابراهيم حاقلاني ... مشهور بعلم الكلداني
علمو مشهور بين الناس ... عند البابا والجلاس
عمل غراماطيق سرياني ... يورث حياة الأبدية
دائم كان مرفوع الراس ... ببيوت الكاردينالية (١)

وعلى هذا فقس .

في ذلك الوقت نبغ من العامليين بهاء الدين العاملي " ١٥٤٦ـ ١٦٢٢م " صاحب الكشكول والمخلاة وهو من هو في عالم الادب والشعر ، ومن شعره في مدح أبي الحسن البكري عندما زار مصر :

يامصر سقيا لك من جنة ... قطوفها يانعة دانية
ترابها كالتبر في لطفه ... وماؤها كالفضة الصافية
قد أخجل المسك نسيم لها ... وزهرها قد أرخص الغالية

(١) راجع الفصل الاول من كتاب علي الزين " اوراق أديب "

وقوله فى الرثـاء :

قـف بالطـول وسلها أين سلماها ورو من جرع الاجفـان جرعاهـا

وكلا القصيدتين قد أتينا على ذكرهما فيما سبق • وقوله فى الغزل :

ومائسة الاعطاف تستر وجههـا بمعصمها لله كم هتكت سـتره

وفى ذلك الوقت كان شعراء جبل عامل الفحول كابراهيم الكفعمى (١٤٣٦ـ ١٥٠٠م) القائـل :

واذا السعادة ألبستك قشيبهـا فاهمم فان لظى الجحيم جنـان

فاصرع بها الاعداء فهى ذوابـل واقطع بها البيداء فهى حصان

وكالحسن ابن زين الدين صاحب المعالم (١٢٥٢ـ١٦٠٢م) القائل فى الحنين :

شابت نواصى من وجدى فواأسفى على الشباب فشيبى قبـل ابانـى

لا يمكن الوجد ما دام الشتـات ولا تصفـو المشارب لى الا بلبنـان

والمشغـرى القائـل :

أنت ياشغلى المحب الواجـد قبلـة الداعى ووجه القاصـد

فـت آرام الفلا حسنـا فمـا قابلـت الا بطـرف جامـد

والحاريصى القائـل فـى الحمـاس :

ومـد النقـع فوقهـم غمامـا تراكـم لاتقـول لـه انقشاعـا

رويـدك لاتلمـنى ان نفسـى تـرى الاقطـار شـبرا أو ذراعـا

وقد ذكرنا نماذج كثيرة لشعراء من هذا الطـراز ، وبذلك نستطيع تكوين فكـرة عن المقارنـة بين الشعر فى جبل عامل ولبنان فيما قبل القرن العشرين •• ومـا أن أطل القـرن العشـرون حتى حاول شعراء لبنـان نفض غبـار الماضـى واستيقظـوا من سباتهم بعد ما أيقنـوا أن البعد عن لغة الاجداد أمر غير صحيح وبعد أن استطاعوا أن يفصلوا بين التعصب الطائفى والمشاعر القوميـة التى مازالت جيادهم تكبـو بهـم حتى هذه الساعة • واذا كان البعث القومى عند المسيحيين اللبنانيين قد ظهـر واضحا فانه لم يظهـر الا على يد شعراء المهجر منهـم وهنا تدخل العوامل النفسيـة التى لامجال لبحثها الآن ، فالذى يكـره المسلمين فى لبنان يحبهم عربـا فى أمريكا اللاتينيـة لان الحنين هناك يشده الى بلاد ينطق أهلها بالضاد ، ومع هذا فقد جاء

شعر المهجريين ضعيفا سطحيا لاغناء فيه الا في عواطفة الملتهبة باللهفة والحنين الى أرض الوطن .

يقول الشيخ على الزين في المقارنة لبين أدب اللبنانيين والعامليين : " وغير بعيد أن تكون هذه الامثلة السائرة من الاجيال نموذجا للادب العالي الذى كان يطمح اليه نوابغ لبنان في العهود السالفة اذ لاتصادف فيما حاولوه من نظم ونثر في اللغة الفصحى مايشبه هذه الازجال طرافة وعذوبة أو يرضي ذوق المثقفين ثقافة عربية صحيحة ويروى ظمأهم الا أدب شورى اللفظ والمعنى والهدف .. اللهم الا اذا تلفت بسمعك وقلبك الى هذه الآثار التي أشاعها نوابغ العامليين في العهد المعنى بين سنة ١٦٠٠ ــ ١٨٠٠ للميلاد فعندئذ تسمع وتبصر أنغاما وصورا ترتفع بشعورك واحساسك وذوقك عن مستوى هذه العامية الشائعة في الادب اللبناني .

وتنقلك الى جو فني يدنو بقلبك ووجدانك من الادب العباسي الاصيل في فصاحة لغته وصفاء خياله وصدق احساسه ونبل مقاصده ولا يشعرك بشيء من التقصير الا أنه أدب علماء وفقهاء ورؤساء دين يشغلهم النظر في الموضوعات العلمية والدينية عن التجرد للادب واعتباره غاية رئيسية يصح الانقطاع لها كما كانوا ينقطعون للتصنيف والتأليف والنظر في مشاكل العلم والدين والحياة الاجتماعية "(١) .

هذا وقد لعب الاعلام الرسمي في القرن العشرين دورا بارزا لطمس معالم الشعر والشعراء العامليين بدوافع طائفية وسياسية فلم يكن أحد من العامليين ليلقى التشجيع الرسمي الذى يتلقاه غيره للاسباب الآتية :

١) ان الشهادة النجفية التي كان يحملها معظم العامليين في حقل الادب من العامليين لم يكن لها أى وزن رسمي شأنها في ذلك شأن الشهادة الأزهرية لذلك لم يكن هؤلاء ليجدوا طريقهم الى الوظيفة التي تضمن للشاعر نفسية هادئة وحياة مطمئنة ومركزا مرموقا ودعما معنويا .

٢) ان بين الشعراء الكثير ممن ينتمون الى أسر فقيرة ومتوسطة الحال وهذه الطبقة لا شأن لها في المجتمع الطبقي .

---

(١) أوراق أديب ص ١٥

٣) التعصب الطائفي الذى يعمى العيون والبصائر عن رؤية الحق فكان فلاة الموارنة من المسكين بزمام الامور لا يتورعون عن السخرية بشعراء جبل عامل والتقليل من شأنهم عندما يعرض نتاجهم أمامه .

٤) عزوف الشباب عن شعر الشيوخ وعزوف الشيوخ عن شعر الشباب مما جعل الفريقين يتخاصمان ويحطم كل منهما الآخر والسلطة تحطم الفريقين معا ،

وهناك عوامل أخرى لا يتسع لها المقام ، فلم يبق أمام العامليين الا صحف ومجلات مصر والشام والعراق بالاضافة الى الصحف والمجلات المحلية العاملية وعلى رأسها " العرفان " و " العروبة " .

ومهما يكن من أمر فقد ظل الشعر العاملى حتى نهاية الخمسينيات يمثل فحولة الشعر العربي وقد استطاع أعلامه امتلاك ناصية البيان ومازال عهدنا قريبا بأقوال شكيب أرسلان وغيره في شعر العامليين ، فحافظوا على الديباجة في الشعر صافية نقية كما حافظوا على عامود الشعر العربي أسلوبا ولغة وحفظوا أدبهم من أى لكنة فكان تقليديا ومجددا فى آن واحد ، تقليديا في الاساليب والاشكال ، وجديدا في المضمون والفكرة والخيال والصور في حين تخلف شعر اللبنانيين عنهم أشواطا بعيدة ... واذا كان الاخطل الصغير شاعرا للهوى والشباب فان الحومانى شاعر الأسى والعذاب ، وأين ديباجة كامل شعيب من ديباجة شبل الملاط وأين قوة وجذالة شعر عبد الحسين صادق من قوة وجذالة شعر سعيد عقل ؟ ...

نعم ظل الشعر العاملى راسخا كالطود ، شامخا كالارز ، عصاميا يعتمد على ذكاء رائديه وعبقرياتهم فى حين كان يعتمد الشعراء اللبنانيون الاخرون على تشجيع الدولة والسفارات الاجنبية فجاء شعرهم ركيكا هشا مهما حسن فيه المكابرون ، ضعيفا مهما نفخوا فيه بأبواقهم .

وعندما أخذ يتلاشى تحيز الدولة واستطاع العامليون تخطى الحواجز رأينا شبابهم يقفزون قفزات عالية ويبرز الى السطح المستقر شعراء لبنان ، واذا

بالشعراء المسلمين يمثلون ثلاثة أرباع شعراء لبنان ، ولهذه الظاهرة مدلولها فعندما تعد شعراء لبنان اليوم تذكر منهم أدونيس والعاملي والياس لحود ومحمد علي شمس الدين والحوماني وبولس سلامة وسعيد عقل وشوقي بزيع وحسن عبد الله وأنسي الحاج وجورج جرداق وحليم دموس ، وهؤلاء نستثني منهم سعيد عقل وأدونيس وحليم دموس ، جميعهم عامليون وأدونيس طلم ، اذن فالشعر العاملي في قرننا الحالي يمثل بالنسبة للشعر اللبناني أغلبه ، وهو كذلك الموجه والمرشد والمحافظ على التراث .

وكان للثقافة النجفية الاسلامية أبلغ الأثر في توجيه الشعراء العامليين الوجهة العربية السليمة .

أما عندما طغت الثقافة الاجنبية على شعرائنا فيما بعد الخمسينيات فقد تصدروا جماعة المجددين ورسموا لهم خطوط المستقبل في الشعر مع محافظتهم في كثير من الاحيان على الروح الموسيقية للشعر .

ومرة أخرى نقول ان لشعراء لبنان المهجريين واقعا آخر ووضعا خاصا ألمحنا اليه فيما مضى .

هذا .. أما عن منزلة الشعر العاملي بالنسبة للشعر العربي عامة فقد تفاعل العامليون مع فحول الشعر العربي في مصر والعراق والشام واتصلوا بهم وحاكوهم وشكلوا جميعا نواة الشعر العربي بايجابياته وسلبياته ، فعلي مهدي شمس الدين اتصل بشوقي ، ومحمد سليمان جواد اتصل بأدباء وشعراء مصر وكذلك زينب فواز التي نبغت وعاشت وماتت في مصر ، وشبيب باشا أقام علاقات وطيدة مع شعراء وأدباء الشام ، ومحمد كامل شعيب كان على صلة بالعقاد والحوماني أقام في مصر وأسهم في تأسيس ندوة الأصفياء ... أما بالنسبة للعراق فحدث ولا حرج ، فالشعر العاملي هو في الواقع شعر عراقي النشأة عربي الروح عاملي الغرض والصورة ، فعبد الحسن الكاظمي له في جبل عامل ذكريات طويلة مع شعرائه وكذلك محمد رضا الشبيبي والالوسي والرصافي واحمد الصافي النجفي الذي قضى معظم حياته بلبنان وغيرهم .

واذا تقدم بنا الزمن فاننا نجد الشعراء المجددين في جبل عامل يقيمون أطيب العلاقات مع زملائهم في سوريا ومصر والعراق ، وقد رأينا مدى اهتمام نقاد مصر بشعراء جبل عامل الذين مثلوا شعراء لبنان في عدة مؤتمرات ومهرجانات ادبية في المربد ودمشق والقاهرة وتونس ، وأقاموا أحسن الروابط والعلاقات مع شعراء تلك الاقطار عبر الجسور الثقافية التي أقيمت عن طريق مجلات الاديب والاداب والعرفان والطريق . اذن فشعراؤنا سايروا الركب العربي في الشعر ، حافظوا على عامود الشعر وموازينه ودافعوا عن تقاليد الشعر العربي قبل الخمسينيات وتحللوا من تلك المقاييس فيما بعد ذلك ، وهكذا خضعوا لسنة التطور في الشعر عامة دون أن يكون هناك انطوائية او التواء . أما خصائص ومميزات هذا الشاعر فهي الآتية :

١) تلك الروح الشهمية التي نلمحها في قصائدهم حتى المسيحيين منهم كبولس سلامة وفؤاد جرداق وأخيه جورج .

٢) روح الرفض والتمرد التي تعود الى جذور تاريخية قديمة عندما تمسك العامليون بحبهم لآل البيت ، وحملوا لواء المعارضة ضد الامويين أولا ، والعباسيين ثانيا والاتراك ثالثا والفرنسيين بعدهم والحكام حاضرا .

٣) الروح الكفاحية التي تميز بها شعرهم ضد الاستعمار الفرنسي والصهيونية العالمية والرجعية العربية بعد احتلال فلسطين .

٤) الروح القومية الاصيلة التي تسيطر على أفكارهم في شتى المجالات والتي يتميز بها العامليون عن سواهم .

وأخيرا .. فان الشعر العاملي أصيل في نشأته وشكله وجوهره ، سار مع الشعر العربي في مختلف الاقطار وخضع تاريخيا وثقافيا لنفس العوامل التي خضع لها شعرنا العربي ، ولم يتميز عنه الا فيما ذكرناه له من خصائص ومميزات وهو مع الشعر العربي يشكل تراث الامة العربية الخالد ، وان كان فيه من علل فهي نفس تلك العلل التي يعاني منها الشعر العربي عامة .

الخاتمـــــة

وتنتهى رحلتنا مع الشعر العاملى فى القرن العشرين بقديمه وجديده ، ونحن لانملك من القول فى هذا الصدد شيئا غير التنويه بصعوبة تلك الرحلة ، وقد أشرنا الى ذلك فى المقدمة .

أجل كانت رحلتنا شاقة مريرة ، وما كان أحرانا باختيار موضوع آخر لو كان الهدف من ذلك انجاز مهمة ينظر اليها من زاوية شكلية ، الا أننا آثرنا ذلك الموضوع على صعوبته ايمانا منا بأن الارض البكر لابد وأن تستصلح مادام استصلاحها ممكنا ، وهكذا كان - وان كان المردود المباشر دون التكاليف حسب الموازين والاعراف الاقتصادية - ولكن الزمن على المدى البعيد كفيل بتغطية العجز ، وان كان فينا من حسنة فهى تلك النظرة البعيدة الى آفاق المستقبل المفعم بالثقة والأمل .

اذن كانت رحلتنا فى رحاب الشعر العاملى طويلة وشاقة جعلنا لها نافذة نطل منها على الماضى البعيد ، وأخرى نسير فيها أبعاد الحاضر وآفاق المستقبل ، ثم رسمنا بعد ذلك خريطة حددنا فيها نقاط البدء والختام ثم نقاط التوقف والانطلاق ومواقع الضعف والانحطاط ، ثم مواضع القوة والحيوية والنشاط لشعراء " جبل عامل " ولا شك أننا كنا نتوخى الصدق الادبى والامانة التاريخية دون أن ندس أنفنا بكل صغيرة وكبيرة أو أن ننصب أنفسنا قضاة للحكم على من ننظر فى فنه وكنا نكتفى بالنقد الموضوعى والتحليل المنطقى دون المس بالجوهر ودون النيل من آراء الآخرين ومعتقداتهم سواء اتفقنا معهم أو اختلفنا ايمانا منا بحرية الرأى والمعتقد ، ووفاء بالتزامنا الادبى وجعل الموازين الدينية والخلقية والوطنية فوق جميع الاعتبارات ، كما نظرنا الى الاصالة العربية التى يتميز بها الشعراء العامليون ، نظرة اكبار واجلال تتفق مع مايختلج فى صدورنا

من ايمان عميق بالعروبة التى تشكل الاطار الخالد لديننا الحنيف ولغتنا التى حباها الله بأن أنزل بها كتابه العزيز على رسوله العظيم •

ولكن كيف سرنا بدراستنا تلك وكيف اتجهنا وكيف تغلبنا على الصعاب وما هو الجديد فيها ؟

كل هذه الاسئلة نحاول الاجابة عليها فى السطور الآتية ، وقد أشرنا الى أننا أقمنا نافذة أطللنا منها على الماضى السحيق وسبرنا أغوار الماضى فى تاريخ " جبل عامل " السياسى والادبى ، ولم يكن هذا التاريخ سابقا لظهور الاسلام ، وانما واكبه ابتداء من فتح الشام ولما للادب العاملى عموما من علاقة تاريخية وتقليدية مع الفكر الشيعى ، فقد ربطنا بين الادب والمذهب دون أن يكون لنا الخيار فى ذلك •

وقبل أن نبدأ بالحديث الشعرى رسمنا خريطة سياسية تاريخية وأخرى جغرافية للجبل استعرضنا فيها تاريخ الهجرة العاملية من اليمن الى بلاد الشام وجنوب لبنان بالذات وعراقة العامليين بالعروبة ثم تحدثنا عن أصل التسمية مستندين فى ذلك الى المراجع التاريخية التى أثبتناها فى مواضعها ثم انتقلنا الى التاريخ السياسى للجبل ابتداء من صدر الاسلام حتى عصرنا هذا وما رافق ذلك التاريخ من صراع وتموجات قل أن ينجو من مثلها أى شعب فى العالم • ثم انتقلنا بعد ذلك لاستعراض النهضة الفكرية والادبية فى " جبل عامل " ابتداء من عدى بن الرقاع العاملى شاعر الامويين ومرورا بعبد الحسن الصورى حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد أن اتخذنا لأنفسنا محطات وقوف عند بعض الاعلام كبهاء الدين العاملى وابراهيم القعمى ومحمد بن على المشغرى وابراهيم الحاريصى •• استعرضنا فيها نماذج من أشعارهم وصورا من حياتهم ، ثم انتقلنا بعد ذلك الى القرن العشرين وبدأت بذلك رحلتنا الاساسية فتناولنا الاوضاع السياسية فى ظل الحكم العثمانى

ثم الفرنسي بشيء من التحليل وموقف العامليين منها ثم موقفهم من السلطات اللبنانية خليفة السلطات الفرنسية ، وموقفهما منهم وتطلعاتهم للانضمام الى سوريا ونضالهم المستمر من أجل ذلك ثم موقفهم بعد ذلك من القضية الفلسطينية .. وكل تلك المواقف تلمسناها في نتاج الشعراء جميعا دون تمييز .

هذا وقد قسمنا الشعراء في القرن العشرين تقسيما راعينا فيه العامل الزمني كما راعينا العامل الفني فكانوا ثلاث طبقات :

الاولى : وتتضمن طائفتين :

الطائفة الاولى وشعراؤها أولئك الذين عاشوا معظم حياتهم في القرن التاسع عشر الا أن الوفاة أدركتهم في القرن العشرين فماتوا أثناء الحرب الاولى أو قبلها أو بعدها بقليل وهؤلاء كانوا العتبة التي عبر عليها الشعراء وكانوا نقطة الاتصال بين قرنين من الزمان ، ومن هؤلاء شبيب باشا الأسعد المتوفى عام ١٩٢١ وزينب فواز المتوفية عام ١٩١٤ ومحمد سليمان جواد المتوفى ١٩١٣ ، وعلي حسين شمس الدين المتوفى عام ١٣٣٤ هـ أي عام ١٩١٦ وهاشم عباس الموسوي المتوفى ١٣٣٥ هـ أي عام ١٩١٧ وزينب بنت علي بك الاسعد المتوفية عام ١٣٣١ أي عام ١٩١٣م والشيخ علي مروة المتوفى ١٣٣٩ هـ — أي عام ١٩٢١م ، والسيد علي محمود الامين المتوفى عام ١٣٢٨ هـ أي عام ١٩١١م ، وعبد الكريم شرارة المتوفى عام ١٣٣٢ هـ أي عام ١٩١٤ م وغيرهم .

أما الطائفة الثانية وقد عاش شعراؤها معظم حياتهم في القرن العشرين وماتوا بعد الثلاثينيات أو من لا يزالون

على قيد الحياة ، ومنهم : محسن الامين ، عبد الحسين صادق ، محسن شرارة ، محمد نجيب مروة ، علي مهدي شمس الدين ، عبد المحسن سليمان ، محمد حسين شمس الدين ، حسن محمود الامين ، محمد كامل شعيب العاملي وغيرهم .

وهؤلاء هم أبناء الطبقة الاولى وهي الطبقة المحافظة التقليدية .

الثانية : وتضم الشعراء المقلدين في المبنى المجددين في المعنى فقد حافظوا على عامود الشعر الا أنهم طرقوا أبواب المعاني الجديدة دون مساس في القالب ، ومن هؤلاء : موسى الزين شرارة ، عبد الحسين عبد الله ، محمد علي الحوماني .. محمد يوسف مقلد ، بولس سلامة ابراهيم فران ، عبد المسيح محفوظ ، عبد الرؤوف الامين ،فؤاد جرداق ، احمد سليمان ظاهر ، محمد سليمان يونس ، علي الزين ، وديع ذيب ، ابراهيم شرارة زهرة الحر ، كامل مصباح فرحات وغيرهم .

الثالثة : وقد اطلقت على شعرائها اسم المجددين الانقلابيين بعد ما أطلقت على شعراء الطبقة الثانية اسم المجددين التقليديين ، وشعراء هذه الطبقة قد جروا في مضمار الشعر بعد ما أطلقوا الأعنة لانفسهم فهم يجرون حيث يريدون وأنى يرغبون دون انضباط أو ارتباط بأي من قواعد وموازين الشعر دون مراعاة للالفاظ بعد ما تخلوا عما يسمى بقاموس الالفاظ الشعرية ومن هؤلاء :

الياس لحود ـ محمد علي شمس الدين ـ حبيب

صادق - شوقي بزيع - حسن عبد الله - عبد الكريم شمس الدين - ياسر بدر الدين - حمزة عبود - موسى شعيب وغيرهم وهؤلاء كلهم أو معظمهم من الشباب الذين ولدوا بعد الثلاثينيات وتلقوا علومهم في المدارس الحديثة .

هذا ولم أعتمد على رأيي الشخصي عند تقويم نتاج هؤلاء كما لم أتخل عنه بل استعنت بآراء النقاد اللبنانيين واخوانهم من النقاد العرب وحاولت قدر الامكان التقريب بين هذه الآراء وعدم الغلو فيهما أو التطرف لمصلحة أحد على حساب أحد .

ومن الطريف في الأمر انه عند الحديث عن عوامل النهضة الأدبية في جبل عامل عرضنا لعامل مهم جدا في تطور الادب العاملي وهو غريب عن عوامل النهضة الأدبية في أي قطر ألا وهو ما أطلقت عليه اسم "منابر القبور" . فقل أن تجد في قطر عربي هذا الاهتمام الادبي الذي يعيره العامليون لموتاهم في مناسبات الموت الثلاث وهي يوم الدفن . ومرور اسبوع ومرور أربعين يوما . وتتفاوت هذه الاهتمامات حسب أهمية الفقيد . ولذلك كنا نرى أن الرثاء في الشعر العاملي يكاد يطغى عليه .

ومن المصطلحات الجديدة التي أثبت بها وهي ماسبق أن أشرت اليها تحت اسم "المجددين الانقلابيين" .

هذا أما مايتميز به الشعر العاملي فهو الآتي :

١ - أنه شعر يغلب عليه الطابع الديني عموما وطابع التشيع خصوصا .

٢ - أنه شعر مأساوي حزين في غالبه وذلك لتأثره البالغ بمأساة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومجزرة كربلا التي قطع فيها رأس الحسين بن علي سبط الرسول وسيد شباب أهل الجنة وحمل الى دمشق وتقذف به بين رجلي يزيد بن معاوية .

٣ ـ أنه شعر ثائر رافض سوءان مايستجيب لنداء الثورة فى كل عصر •

٤ ـ أنه مرتبط بالعروبة ارتباطا وثيقا •

٥ ـ أنه غزير ولكنه مبعثر ومعظمه مازال مخطوطا ولم يطبع عشر معشاره كما يقال •

٦ ـ قلة الغزل والخمريات فيه عموما وعدم جنوحه الى المجون والتهتك•

٧ ـ أنه سياسى فى معظمه وعلى الاخص فيما بعد الخمسينيات •

٨ ـ أنه متعدد الاغراض ذلك أنه لايوجد غرض الا وقال العامليون فيه شعرا •

٩ ـ تفاوته من حيث الجودة وبعد الهوة بين الجيد والردئ •

١٠ ـ اهتماماته الاجتماعية •

١١ ـ كثرة الوصف فيه •

١٢ ـ قلة الهجاء •

هذا ويخـ الى من يقرأ الرسالة من عناوينها أن فيها بعض التكرار • والحقيقة أن بعض الاسماء والعناوين قد تكررت ولكن كل فى مناسبة تختلف عن الاخرى • وان كنت لا أبرأ من العيوب الا انها كانت فى أخرى لا أستطيع تلمسها بنفسى ولو تلمس نها والكمال لله وحده •

وينبغى أن نلاحظ الوقت الذى أنجزت فيه رسالتى هذه عن الشعر العاملى فى جنوب لبنان الذى كان يتسم بشدة التعقيد والحرج من الحساسية ومرحلة السنوات الخمس السابقة كانت من أعقد المراحل التاريخية التى مر بها لبنان من تاريخه الطويل • وأن المنطقة التى اكتوت بنيران كوارث السنوات الخمس هى منطقة جنوب لبنان موطن الشعر العاملى ولذلك كان أى تحرك من جانبى يعتبر مغامرة محفوفة بالمخاطر ومع ذلك تلمست الابواب برفق وطرقتها بتؤدة وصنعت مايعجز عنه الآخرون بعد ما تمسكت بموضوع الرسالة ورفضت التخلى عنه فطال الزمن وزادت معه مؤونة البحث وسرت مع الشعر العاملى منذ اول القرن العشرين حتى نهاية عام ١٩٧٧ •

وها قد أنهيت رسالتي ويعلم الله كم بذلت فيها من مجهودات كانت أحيانا كثيرة فوق طاقتي وامكاناتي المتواضعة ، ولكنني تعلمت خلالها الصبر والعزيمة والتأمل ، وتعلمت كذلك أن الصبر والتأني هما طريق النجاح .

واذا كانت السنوات الخمس الماضية من تاريخ لبنان هي السنوات العجاف من حياة أبنائه ، فان عزائي الوحيد في هذه المحنة هو انجازي لهذه الرسالة التي أرجو أن ينتفع بها أبناء عاملة ، كما انتفعت أنا بما وضعه غيري ، واجيا من الله تعالى أن يلهم سواي لسلوك الطريق الذي سلكت ، ولاكمال الرحلة التي بدأت . والله أسأل تحقيق ما أصبو اليه ، كما أسأله تعالى أن يزيل المحنة عن شعبي لتعود الحياة الى لبنان كأحسن ما كانت عليه ، وليس ذلك على الله بعزيز ، وهو المعين ، واليه أنيب .

٣٠ آب (أغسطس) ١٩٧٨

المراجـــع

(أ)

١ — أوراق أديب لعلى الزين — مطبعة العرفان ١٩٦٢
٢ — اشراق (شعر) كامل سليمان — مكتبة العرفان — بيروت .
٣ — أجنحة (شعر) احمد سليمان ظاهر
٤ — الالهيات (شعر) سليمان ظاهر — المكتبة العصرية — صيدا ١٩٥٤
٥ — الأدب وفنونه محمد مندور (الطبعة الثانية)
٦ — الاتجاهات الجديدة فى الأدب العربى — أنيس المقدسى
٧ — الأصول الفنية للأدب — عبد الحميد حسن — مكتبة الانكلومصرية ١٩٤٩
٨ — الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى — المجلد التاسع — بيروت
٩ — أخبار الأعيان فى جبل لبنان — طنوس الشدياق ط بيروت ١٨٥٩
١٠ — أمل الآمل فى أعيان جبل عامل
١١ — أعيان الشيعة — محسن الامين .. ٥٦ مجلدا .

(ب)

١٢ — بير السلاسل — خليل أحمد خليل — دار الاداب للطباعة والنشر
١٣ — البحث الأدبى — شوقى ضيف — ط دار المعارف بمصر
١٤ — البلاد العربية والدولة العثمانية — ساطع الحصرى — جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية ١٩٥٧ — القاهرة .

(ج)

١٥ — جولة فى الشعر العربى المعاصر — ابراهيم العريض — ط دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦٢ .
١٦ — جيل الفداء — قصة الثورة العربية الكبرى — نهضة العرب — قدرى قلعجى .

(د)

١٧ ـ ديوان محمد على مقلد ـ بيروت ١٩٥٠ (لم يشر الى اسم المطبعة)
١٨ ـ ديوان الحومانى
١٩ ـ ديوان عبد المطلب الأمين ـ المطبعة العاملية ١٣٨٦هـ ١٩٧٦ م .
٢٠ ـ ديوان البشير ـ بشير حمودة ـ طبعة ١٩٤٦ بيروت
٢١ ـ ديوان محمد على شمس الدين ـ دار الآداب بيروت ١٩٧٤
٢٢ ـ ديوان عبد المحسن الصورى (مخطوط)
٢٣ ـ دائرة المعارف لبطرس البستانى ج ١١ بيروت ـ دار الروائع
٢٤ ـ ديوان براعم لسعيد فياض (لم يشر فيه الى المطبعة ولا الى سنة الطبع)
٢٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ حسن الامين ج ٢ بيروت ١٩٧٢ .

(و)

٢٦ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٢

(حـ)

٢٧ ـ حصار الاشواك عبد الحسين عبد الله ـ مطبعة العرفان بيروت ١٩٦١
٢٨ ـ الحماسيات لمحمد كامل شعيب العاملى ط صيدا ١٩٢٤
٢٩ ـ الحركة الفكرية فى جبل عامل ـ كاظم مكى ـ المطبعة المصرية بيروت ١٩٦٨
٣٠ ـ الحركة الادبية فى بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر ـ د . أسامة عانوتى

(ى)

٣١ ـ يتيمة الدهر للثعالبى ج ١ ط مصر ١٩٥٦ .

(ك)

٣٢ ـ الكشكول : نسخة مطبوعة عام ١٢٦٦ هـ بايران باللغتين العربية والفارسية
وقد حقق الكتاب طاهر الزاوى بليبيا
٣٣ ـ الكنى والألقاب للقمى ج ٢

(ل)

٣٤ ـ لسان العرب ـ المجلد الثانى

٣٥ ـ لبنان فى عهد الامراء الشهابيين ـ حيدر احمد شهاب

٣٦ ـ البحث عن تاريخنا فى جبل عامل ـ على الزين ـ بيروت ١٩٧٣

(م)

٣٧ ـ مواسم (شعر) عبد الكريم شمس الدين ـ مطبعة حايك وكمال بيروت ١٩٦٥ .

٣٨ ـ معادن الجواهر ـ محسن الامين ـ ثلاثة أجزاء (لم يذكر اسم المطبعة ولا تاريخها) .

٣٩ ـ مع الادب العاملى لعلى الزين (لم يذكر اسم المطبعة ولا تاريخها)

٤٠ ـ مذكرات جريج ـ بولس سلامة (لم يذكر اسم المطبعة ولا تاريخها)

٤١ ـ معجم متن اللغة ـ احمد رضا ـ مطابع دارة الحياة ـ بيروت ١٩٦١ ٦ أجزاء .

٤٢ ـ المهرجان الألفى لابى الطيب المتنبى ـ سليمان ظاهر مطبعة العرفان ـ صيدا ١٩٣٦ .

٤٣ ـ مع الادب العاملى ـ على الزين ـ مطبعة العرفان ـ ط ١٩٦٠ .

٤٤ ـ محاضرات فى الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام ـ د . جميل صليبا معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية ١٩٥٨ .

٤٥ ـ المآخذ على الشعراء ـ محمد كامل شعيب العاملى ج ١ ط ١٩٥٦ مطبعة العرفان

٤٦ ـ من الشعر الحديث ـ ابراهيم العريض ط ١ دار العلم للملايين ١٩٥٨ بيروت

٤٧ ـ مروج الذهب للمسعودى .

٤٨ ـ المجتمع السورى فى القرن الثامن عشر جرجس يني ـ المباحث م ١٩١٣/٥

٤٩ ـ معجم الادباء ـ ياقوت الحموى ـ ج ٧ ـ ٤ طبعة مصر .

٥٠ ـ معجم المطبوعات لسركيس .

٥١ ـ المضامير ـ عبد الحسين صادق (لم يذكر اسم المطبعة ولا تاريخ الطباعة)

٥٢ ـ مواكب الفداء ـ احمد سليمان ظاهر ـ مطبعة حايك وكمال ١٩٧١ بيروت

(ن)

٥٣ ـ نقد الساعر والسوس (شعر) محمد على الحومانى ـ مطبعة العرفان صيدا (لم يذكر التاريخ) ٠

٥٤ ـ نهاية الصدى (شعر) سكنة العبد الله ـ دار الكتاب اللبنانى ١٩٧١ بيروت ٠

٥٥ ـ نقدات عابر ـ مارون عبود ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٥٩ ٠

٥٦ ـ نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر لشيخ الربوة ٠

(س)

٥٧ ـ سقط المتاع (شعر) عبد الحسين صادق ـ تحقيق حسن صادق ١٩٦١ ـ مطبعة العرفان ٠

٥٨ ـ سفينة الحق ـ حسن صادق ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٦م

٥٩ ـ سوريا ولبنان وفلسطين فى القرن الخامس عشر ـ فرنسوا فولتى ـ تعريب حبيب السيوفى ـ المطبعة المخلصة ١٩٤٩

٦٠ ـ سلافة العصر

(ع)

٦١ ـ العقد المنضد لشبيب باشا الاسعد ـ دار الطباعة الهمايونية استانبول ١٣٠٩ هـ ٠

٦٢ ـ على حاشية الجرح (شعر) ياسر بدر الدين ـ بيروت ـ مطبعة جايك وكمال ١٩٧٣ ٠

٦٣ ـ عيد الغدير ـ بولس سلامة ـ المطبعة المخلصة ١٩٥١

٦٤ ـ عيد الرياض ـ بولس سلامة ـ المطبعة المخلصة ١٩٥٢

٦٥ ـ على دروب الخريف ـ الياس لحود

٦٦ ـ عرف الولاء ـ عبد الحسين صادق (شعر) ٠

٦٧ ـ العقد الفريد ج ٣ ط القاهرة ١٩٥٢ ج ١

٦٨ ـ عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن ابى أصيبعة ـ تحقيق نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٥

(ف)

٦٩ ـ فصول لم تتم ـ حبيب صادق ـ دار الآداب ط ١ سنة ١٩٦٩
٧٠ ـ فكاهيات بلباس الميدان (شعر) الياس لحود دار الآداب ١٩٦٥ .
٧١ ـ فى الشعر العربى المعاصر ـ عز الدين اسماعيل ـ دار العودة ودار الثقافة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ١٩٧٢ .
٧٢ ـ فى زمن القهر والغضب (شعر) حبيب صادق ـ مطبعة دار العودة ـ بيروت ١٩٧٢ .
٧٣ ـ فى الادب الحديث ـ عمر الدسوقى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ط ٧
٧٤ ـ فى قرانا ـ للشاعر ابراهيم شرارة ـ دار الاداب ١٩٧١ بيروت .
٧٥ ـ فى ذلك الزمان ـ بولس سلامة .
٧٦ ـ الفجر المدمى ـ عبد الكريم شمس الدين ـ مطبعة حايك وكمال ـ ١٩٦٩ ـ بيروت .

(ص)

٧٧ ـ صبح الأعشى للقلقشندى ـ نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
٧٨ ـ الفلسطينيات ـ سليمان ظاهر ـ منشورات المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ـ ١٩٥٤ .

(ق)

٧٩ ـ قصائد منسية ـ زهرة الحر ـ ط ١ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٧٠ .
٨٠ ـ قلب يغنى (شعر) وديع ذيب .
٨١ ـ قضايا الشعر المعاصر ـ نازك الملائكة ـ ط ٢ ١٩٦٥ مكتبة النهضة بغداد
٨٢ ـ القصائد الجمالية ـ سليمان ظاهر ـ مطبعة العرفان ـ صيدا .

(ر)

٨٣ ـ روائع الادب الفكاهي العاملي ـ علي مروة ـ بيروت ـ مطابع الامان درعون لبنان ١٩٧١ ٠

٨٤ ـ روضات الجنات ـ الخونساوى ـ طبعة ايران

٨٥ ـ رحاب النور (شعر) احمد سليمان ظاهر ـ ط ١٩٦٩ مطبعة حايك وكمال ـ بيروت ٠

(ش)

٨٦ ـ الشذرات ـ ج ٣ ٠

(ت)

٨٧ ـ تاريخ الشعر العربي الحديث ـ احمد قبش ـ دمشق ١٩٧

٨٨ ـ تاريخ جبل عامل ـ محمد جابر صفا ـ مطبعة العرفان

٨٩ ـ تاريخ لبنان ـ فيليب دى طرازى

٩٠ ـ تاريخ جباع ـ علي مروة ـ مطبعة الامان درعون ـ بيروت ـ لبنان

٩١ ـ تفسير الجلالين ـ طبعة دار العربية ـ بيروت ـ لبنان

٩٢ ـ تاريخ ابن الاثير ـ ج ١ ط ـ بيروت ٠

٩٣ ـ تاج العروس ـ م ٨ ـ ط بيروت

٩٤ ـ تاريخ الامم والملوك للطبرى ـ ج ٢

٩٥ ـ تقويم البلدان × ج ١

٩٦ ـ تاريخ ظاهر العمر ـ ميخائيل نقولا صباغ

٩٧ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ جورجي زيدان ـ دار الهلال ج ١

٩٨ ـ تاريخ سوريا للخوري يوسف الدبس ـ المطبعة المخلصة ـ لبنان

٩٩ ـ تاريخ مشاقة

(خ)

١٠٠ ـ خليل مطران ـ فطوزى عطوى ـ دار الهلال والاديب عام ١٩٧٤

١٠١ ـ خطط جبل عامل ـ محسن الامين ـ ج ١ ـ ٢ مطبعة الانصاف ـ بيروت

١٠٢ ـ خلاصة الاثر للمحبي ـ ج ٢ ج ٣

(ض)

١٠٣ ـ ضمير (شعر) احمد مغنية ـ مطبعة صور ١٩٦٠

(غ)

١٠٤ ـ غيوم ظامئة ـ وديع ذيب

الدوريــــــــــــات

١ ـ مجلة العرفـان (جميع مجلداتها منذ صدورها لاول مرة عام ١٩٠٩
حـتى عام ١٩٧٦) .
٢ ـ مجلة الاديب اللبنانية (آذار وتشرين أول ١٩٧٤) .
٣ ـ مجلة بيروت عدد /٧٨٨ السنة الثالثة تموز ١٩٧٦ وعدد ٦٢ ك٢ ١٩٧٥
٤ ـ مجلة الهلال اللبنانيـة ٣٠ تمـوز ١٩٧٣ .
٥ ـ مجلـة هنـا لنـدن ١٦ ك١ ١٩٦١ .
٦ ـ مجلة الموقف الادبـي عدد ٦١ نوار "مايو" ١٩٧٦ /عدد ١٩٧٤/٢٧
عدد ١٩٧٢/٢ ، عدد ١٧ ـ ١٨ / ١٩٧١ دمشـق .
٧ ـ مجلة الفكر المعاصر عدد ١١ ـ ١٢ / ١٩٧٥ .
٨ ـ مجلة الطريق عدد ١٠ ـ ١٩٧٢/٤ ، عدد ١٩٧٣/١٢ ، عدد ٧١/١٢ .
٩ ـ ملحق النهار الادبـي ١٥ /أب ١٩٧٢ .
١٠ ـ مجلة الاداب شباط ٧٥ ، شباط ١٩٧٢ ، ك٢/١٩٧٠ ، عدد ١٠ ـ ٨ /
١٩٧٣ ، عدد ١ / ١٩٧٥ .
١١ ـ ملحق الانوار ١٩٧٣/٣/١١ بـيروت .
١٢ ـ مجلة الانهار ١٩٧٣/٣/١٩ بـيروت .
١٣ ـ مجلة الاخبار ١٩٧٦/٧/١٠ .
١٤ ـ مجلة الفكر المعاصر عدد ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ / ١٩٧٥ .
١٥ ـ مجلة الدراسات الادبية حسن الامين عدد ١٩٥٩/٢ .
١٦ ـ المقتطـف م ٢٨ .

الفهرســـــت

المقدمـة :(أ)، (ب)، (جـ)، (د)، (هـ)، (و)

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

ﭬﭬﭬﭬﭬﭬﭬ

جبل لبنان

نهر الاولي

صيدا

جزين

جباع

زفتا

صرفند

البحر الابيض المتوسط

النبطية

الضار

نهر الليطاني

مرجعيون

الخيام

الطيبة

معركة

صور

مجدل سلم

حناويه

جويا

حولا

شقرا

قانا

تبنين

ميس الجبل

بليدا

بنت جبيل

ناقورة

فلسطين

ريطة

ل عامل